A.U.B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

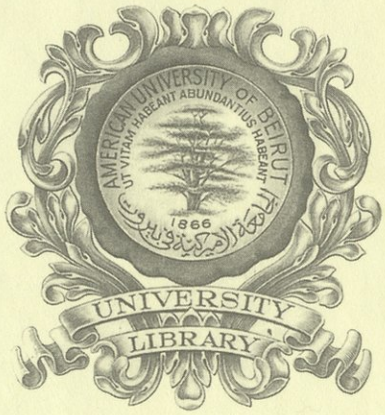

A.U.B. LIBRARY

# فهرست

# كتاب بغية المستفيد

تأليف العارف بالله سيدى محمد العـــربى

﴿ فهرست كتاب بغية المستفيد لشرح منية المريد تأليف العارف بالله سيدى محمد العربى ﴾

صحيفة


٢ خطبة الكتاب
٢ ذكر القطب الجامع مولانا أحمد التجانى رضى الله عنه
٣ ذكر سيدى عبد الرحمن الشنجيطي من علماء المغرب
٣ سبب دخول المؤلف فى الطريقة التجانية وتأليفه هذا الكتاب
٥ اصطلاح المؤلف فيما يعزوه من مآثر الطريقة التجانية فى تأليفه هذا
٧ مقدمة تشتمل على سبعة مطالب مهمة المطلب الأول فى منشأ علوم الطريق الخ
١٦ المطلب الثانى فى بعض ما يشير الى حقيقة الأدب على جهة الاجمال الخ
١٩ مدار الطريقة التجانية على المحافظة على الورد الأصلى وتوابعه
٢٠ التربية فى الطريقة التجانية جارية على نهج الصحابة وتابعيهم
٢٥ المطلب الثالث فى الاشارة الى نبذة من آداب الحضرة العلية الخ
٢٧ اعرف كلام شيخنا التجانى رضى الله عنه فى كمال أدبه صلى الله عليه وسلم
٢٨ كمال أدب شيخنا التجانى مع الحضرة العلية وحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم
٣٠ كيفية دعاء شيخنا رضى الله عنه لنفسه ولغيره وهو أصل عظيم فى الأدب
٣١ المطلب الرابع فى بعض ما يختص بالمريد من آداب الصحبة والأخوة الخ
٣٤ آداب تلقين الطريقة التجانية
٤٢ من آداب الوظيفة التجانية أن يجلس ذاكرها حيث ينتهى به المجلس فيها
٤٣ المطلب الخامس فى بيان فضيلة حسن الاستماع وبعض ما يختص به الخ
٤٧ المطلب السادس فى بيان أخلاق أولياء الله تعالى فى الطرائق والمذاهب الخ
٥٥ أحوال غالب أهل الطريقة التجانية جارية على أحوال الملامتية
٥٨ المطلب السابع فى بيان وجه تسمية هذه الطريقة السنية بالأحمدية والمحمدية الخ
٥٩ وجوه تسمية الطريقة التجانية بالمحمدية
٦١ التحذير من الخروج من الطريقة التجانية بعد الدخول فيها
١٠٢ ترجمة والد سيدنا التجانى رضى الله تعالى عنه
١٠٢ ترجمة جد شيخنا رضى الله تعالى عنه وهو سيدى المختار
١٠٤ تاريخ مولد الشيخ رضى الله تعالى عنه
١٠٥ شيمة الشيخ رضى الله تعالى عنه حال صغره فيما يحاوله من الأمور
١٠٧ شيخ القراءة الذى أخذ شيخنا التجانى عنه رضى الله تعالى عنهما
١٠٧ مبدأ توجه الشيخ رضى الله عنه الى طلب العلم
١١١ اعرف ما قاله شيخنا التجانى رضى الله تعالى عنه فى شرح حال المريد الصادق
١١٢ اعرف أن طلب الشيخ المرشد واجب نظراً لا شرعا وعليه شيخنا التجانى رضى الله عنه
١١٥ وفاة مولانا الطيب الوازانى سنة ١١٨١ ووصاياه لبعض أصحابه
١١٦ ترجمة أسلاف القطب مولاى الطيب رضى الله تعالى عنه

صحيفة


١١٨ اعرف سيدى عبد الله الأندلسى

١١٨ اعرف الشيخ سيدى أحمد الطواشى التازى وهو ممن أخذ عنه شيخنا التجانى رضى الله عنه

١٢١ ملاقاة شيخنا التجانى رضى الله عنه للشيخ سيدى محمد بن عبد الرحمن الأزهرى

١٢٣ وراثة شيخنا رضى الله عنه حين حلوله بمكة المشرفة لشيخه سيدى أحمد بن عبد الله الهندى وهى من وراثاته الابتدائية

١٢٤ ملاقاة شيخنا التجانى لشيخه القطب السمان المدنى رضى الله عنهما

١٢٦ ملاقاة شيخنا رضى الله عنه تلميذه الشهير سيدى محمد بن المشرى صاحب الجامع

١٢٧ نسب مولانا إدريس بن إدريس رضى الله عنهم

١٢٨ ملاقاة شيخنا رضى الله عنه مع تلميذه وخليفته سيدى على حرازم الفاسى صاحب الجواهر

١٢٩ ملاقاة شيخنا رضى الله عنه بالأستاذ سيدى محمد الفضيل التواتى

١٢٩ رجوع سيدى محمد الفضيل الى الطريقة التجانية بعد أن أخذ عليه شيخنا التجانى

١٣٠ اعرف ما وقع للشيخ التجانى رضى الله عنه من الفتح الكبير بأبى سمغون

١٣١ واعتبر تلقين سيد الوجود صلى الله عليه وسلم لشيخنا التجانى رضى الله عنه مشافهة

١٣١ اعرف وقت التلقين النبوى لشيخنا التجانى رضى الله عنه وكيفية مدارجه فيه

١٣٢ أدب شيخنا رضى الله عنه وتواضعه فى التلقين قبل الفتح الأكبر

١٣٤ تاريخ انتقال شيخنا رضى الله عنه الى فاس

١٣٤ اجتماع شيخنا التجانى رضى الله عنه بسلطان المغرب مولانا سليمان رحمه الله تعالى

١٣٨ دخول شيخنا التجانى رضى الله عنه للقطبانية الكبرى

١٣٩ للقطب الغوث ثلثمائة ذات وستة وستون ذاتا

١٤٨ كيفية وفاة الشيخ رضى الله تعالى عنه

١٤٩ مطلب الشيخ رضى الله عنه من مدة العمر وفيه لطيفة

١٥٣ ظهور الكرامات من الأولياء جائز عقلا ونقلا ومنكرها مبتدع

١٥٣ الفرقان نور يضعه الله تعالى فى القلب

١٥٥ الكرامة هى الوقوف على الآداب الشرعية

١٥٦ الرؤية العيانية والخطاب الشفاهى من الحضرة المحمدية للشيخ التجانى قدس سره

١٥٦ فضيلة من رأى الشيخ التجانى رضى الله تعالى عنه يومي الاثنين والجمعة خاصة

١٥٦ رؤية الذات المحمدية عيانا صلوات الله وسلامه عليها

١٥٧ الخلاف فى رؤية الذات المحمدية هل هى الذات الشريفة أو مثال يحكيها

١٥٧ الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم تنتج ملاقاته يقظة

١٥٧ من الأولياء من يحيا فى قبره حياة جسدية

١٥٨ سماع سعيد بن المسيب الآذان والاقامة فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الحرة

١٥٩ الرد على من أنكر رؤيته صلى الله عليه وسلم عيانا

١٥٩ من رأى ذاته الشريفة فى الدنيا يقظة يحشر معه يوم القيامة كما يحشر الصحابة الكرام

١٥٩ رواة الأحاديث المتصلة يحشرون مع الرسل لأنهم ورثتهم

صحيفة


١٥٩ الراؤون لذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم يقظة منهم شيخ الجماعة الجيلى رضى الله عنه
١٦٠ أول ما تكلم به الشيخ الجيلى رضى الله عنه فى بداية فتحه
١٦١ الاجتماع بالولاة حجاب عن رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة
١٦١ اعرف ما اختص به شيخنا رضي الله عنه من رؤية ذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم
١٦١ لطيفة فى تحقيق سعادة من رأى شيخنا التجانى رضى الله عنه فى يومي الاثنين والجمعة
١٦٢ خصوصية رؤية الامام الثعالبي رضى الله عنه والرد على منكرها
١٦٣ كمال أدب الشيخ التجانى رضى الله تعالى عنه مع أهل البيت وإنما يعرف الفضل ذووه
١٦٥ من المتحققين بالقدم السليمانى شيخنا التجانى رضى الله عنه
١٦٦ من آداب السؤال أن لا يتمنى المريد ما فضل الله تعالى به بعض إخوانه
١٦٨ اعرف شفوف رتبة أبى السعود بن الشبلى على أستاذه الجيلى رضى الله عنهما
١٦٩ التكذيب بكرامات الأولياء كالتكذيب بمعجزات الأنبياء
١٧٢ التظاهر بالتربية على رسوم المشيخة ممنوع فى الطريقة التجانية
١٧٤ مطلب البرهان على وجود الجن
١٧٥ مطلب تلقى سيدى الحاج على حرازم الحزب السيفى عن شمهورش الصحابى باذن الشيخ التجانى رضى الله عنهم
١٧٥ التحذير من مخالطة الجن ومجالستهم
١٧٥ فضيلة الصلاة بمدفن الشيخ التجانى رضى الله عنه بزاويته التى بفاس
١٧٦ تفتخر بقاع الأرض بسبب من يحلها
١٧٧ تلقى الشيخ التجانى رضي الله عنه الاسم الأعظم من الحضرة المحمدية يقظة لامناما
١٨١ كرامتان للشيخ التجانى رضى الله عنه فى تربية مريده
١٨٤ دعاء الشيخ التجانى رضى الله عنه على الجزائر
١٨٥ تزوج سيدى على حرازم بتونس باشارة نبوية رضى الله عنه
١٨٥ كيفية الشيخ التجانى مع من يستشيره
١٨٧ كرامة الشيخ التجانى فى البربرى الذى قصده بجموعة مدينة فاس
١٩٠ ترجمة الحب سيدى محمد بن العربى التازى رضى الله عنه
١٩٠ ترجمة سيدى الحاج على حرازم صاحب جواهر المعانى رضى الله عنه
١٩١ ترجمة سيدى محمد بن المشرى مؤلف الجامع رضى الله عنه
١٩١ ترجمة سيدى محمود التونسي رضى الله عنه
١٩٢ ترجمة سيدى محمد الحافظ العلوى الشنجيطى رضى الله عنه
١٩٢ وصية شيخنا التجانى رضى الله عنه لتلميذه سيدى محمد الحافظ عند الموادعة
١٩٣ ترجمة سيدى محمد الغالى أبى طالب الحسنى رضى الله عنه
١٩٤ ترجمة السيد المفضل السقاط الفاسى رضى الله عنه
١٩٥ ترجمة سيدى الحاج على التماسنى رضى الله عنه
١٩٦ ترجمة سيدى محمد السالك ابن الامام الودانى رضى الله عنه

صحيفة

١٩٦ ترجمة سيدى محمد الحفيان العمرى رضى الله عنه
١٩٧ ترجمة سيدى محمد الطالب جد الشنجيطى رضى الله عنه
١٩٧ ترجمة العارف بالله تعالي سيدى ابراهيم الرياحى التونسى رضى الله عنه
١٩٧ ترجمة سيدى عبد السلام ابن سيدى المعطى الشرقى مؤلف ذخيرة المحتاج رضى الله عنه
١٩٨ ترجمة سيدى عبد الرحمن الشنجيطى رضى الله عنه
١٩٩ النهى عن ظهور الكرامات وتستر الشيخ التجانى رضى الله عنه فى ظهورها
٢٠٠ الترغيب فى علو السند فى الأسرار الخاصة مثل الحديث الشريف
٢٠٠ الطريق التجانى أقرب الأسانيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٠١ معرفة فضائل الأعمال مما يحث على الاجتهاد فيها
٢٠١ مراتب العبادة ثلاث
٢٠١ ملاحظة الثواب فى الأعمال عبادة ثانية عند أهل العرفان
٢٠٢ إنما تحصل الفضائل لمن علمها خاصة
٢٠٢ أعرف سند شيخنا التجانى رضي الله عنه فى طريقته وأوراده
٢٠٣ الخصوصيات الخمس التى اختص بها آخذ الورد التجانى
٢٠٦ أعرف سند إلحاق الداخلين فى الطريقة التجانية مرتبة شيخهم الأكبر رضي الله عنه
٢٠٧ الفضيلة الثانية
٢٠٨ الفرق بين ثواب العمل وثواب المرتبة
٢٠٨ الفضيلة الثالثة
٢٠٩ الفضيلة الرابعة
٢٠٩ الفضيلة الخامسة
٢١٠ الفضيلة السادسة وأن اللطف لطفان : لطف مشيئة ولطف اختصاص
٢١٠ الفضيلة السابعة والثامنة والتاسعة
٢١٠ الفضيلة العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة
٢١٢ صفة المقدم
٢١٤ وصية شيخنا التجانى رضى الله عنه لمقدمي طريقته المباركة
٢١٦ التواضع رعاية الاعتدال بين الكبر والضعة
٢١٨ مايلزم من أراد أخذ الورد وما يلزمه بعد أخذه
٢١٩ بسط القول فى مسألة الزيارة
٢٢٣ لطيفة يستأنس بها لمنع زيارة الاستعداد
... اعرف أن التلقين الخاص مشروط عند أئمة القوم بالتجرد من كل علاقة
... التحذير من عقوق المشايخ والعياذ بالله تعالى
٢٢٥ ذنب الأسرار الالتفات عن الشيخ
٢٢٥ حكاية يعض عليها بالنواجذ
٢٢٦ خلاصة مايعتمده أهل الطريقة التجانية فى مسئلة الزيارة وهو عمدة هذا الباب

صحيفة

٢٢٦ وصية شيخنا التجانى رضى الله عنه لاتباعه بتقيدهم بتعظيم أولياء الله أحياء وأمواتا
٢٢٧ زوار أهل الطريقة التجانية بعضهم بعضا ومحمل ذلك فيما يظهر على تسويغ الاستمداد
٢٢٩ حكاية وفيها تحذير عظيم من الالتفات إلى غير الشيخ
٢٣١ قف على بعض محبطات الأعمال والعياذ بالله تعالى
٢٣٢ مراتب التقوى ثلاث حكاية وارشاد
٢٣٣ التحذير من معاهدة الله أن لا يعود الانسان إلى معصية أبدا
٢٣٣ الاستغفار للمظلوم وفاء بمظلمته ومثله اهداء القراءة
٢٣٥ فصل صلاة التسبيح والتحريض عليها
٢٤ الكلام على استعمال السكر القالب والتحذير منه تورع
٢٤٢ الكلام على السبحة
٢٤٤ الأصل فى وضع السبحة فى العنق وفعله الامام سحنون رضى الله عنه
٢٤٦ وقتا الورد
٢٤٨ لطيفة فى التربية بقصة ديك
٢٥٠ شروط الورد وما يلحق بها
٢٥٣ استقبال ذاكر الورد من شروط كماله
٢٥٣ مافتح الله على ولى إلا وهو مستقبل القبلة
٢٥٤ لطيفة فى سر الترتيب فى الورد الأحمدى التجانى
٢٥٥ فهم الذاكر معانى الذكر أو انصافه لذكر كمال فى حصول النتيجة
٢٥٦ خلاصة شرح صلاة الفاتح
٢٥٩ الآل فى مقام الدعاء جميع الأمة
٢٦٠ معنى كلمة الاخلاص وفيه للشارح مسلكان
٢٦٣ وقت الوظيفة
٢٦٤ بقية شروطها الزائدة على ماتقدم
٢٦٧ فضلها
٢٦٧ أعرف هذا الفضل العظيم لذاكر الجوهرة وأقدر قدره من الشكر
٢٦٩ جوهرة الكمال لا تذكر على ظهر دابة ولا سفينة
٢٧٠ أركانها
٢٧١ يتأكد على المريد التجانى أن يستفتح الوظيفة بالفاتحة
٢٧١ لايجزىء فى الوظيفة إلا صلاة الفاتح فمن لم يحفظها تسقط عنه الوظيفة
٢٧٢ حضرة يوم الجمعة
٢٧٢ كيفية ذكر الهيللة يوم الجمعة
٢٧٣ التحذير من التفريط فى الوقت المختار
٢٧٤ مما هو أحرى وأجدر أن تكون الموافقة بين المجتمعين على الذكر حركة وصوتا الخ
٢٧٤ تحقيق الكلام على مد هاء لا إله إلا الله

صحيفة

٢٧٤ النهى عن ركض الذاكر الأرض برجله
٢٧٥ النهي عن تكلف ما يسقط العمامة حال الذكر
٢٧٥ ما قيل فى القيام للذكر
٢٧٥ الأصل فى رقص الذاكر
٢٧٦ التحذير من محبة الشبان ولو لغير فاحشة
٢٧٦ كيفية تلقين شيخنا التجانى رضى الله عنه النسوة
٢٧٧ حضور النبي صلى الله عليه وسلم فى الهيللة يوم الجمعة كحضوره فى سابعة جوهرة الكمال فاقدر قدر ذلك واشكر الله عليه
٢٧٨ خاتمة فى فضل الياقوتة الفريدة وجوهرة الكمال فى مدح سيد الرجال
٢٧٨ الأخبار النبوية على قسمين الخ
٢٧٩ جهات تضعيف الأعمال بالأضعاف الكثيرة
٢٨٠ المرة الواحدة من صلاة الفاتح لما أغلق الخ تكفر ذنوب العبد
٢٨٠ التحاق التابع بدرجة المتبوع من محض الفضل
٢٨٢ كيفية إلهام الأولياء وهو الذى يسميه بعضهم وحيا
٢٨٤ خصائص جوهرة الكمال
٢٨٥ ما يعبر من المرائى النبوية وما لا يعبر منها
٢٨٦ خاصية جوهرة الكمال لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم والأولياء كلهم
٢٨٦ وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مهما ذكر
٢٨٦ فى تطلب رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم طريقان واردتان عن الصالحين
٢٨٨ على قدر الرسوخ فى العمل بالعلوم الشرعية يكون الشرب من الحوض المورود
٢٩٠ السعى فى منافع الاخوان من خلق أهل الله وربما قدموها على منافع الناس
٢٩١ ينتفع النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليه من حيث انها طلب زيادة فضل له صلى الله عليه وسلم
٢٩٤ الأسباب المسهلة لقيام الليل
٢٩٦ من أعظم موانع قيام الليل الذنب بالنهار والذنوب قيود
٢٩٨ فضائل الاستغفار
٢٩٩ الفضل العام للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
٢٩٩ صلاة الله على المصلى على النبي عشر صلوات أمر زائد على تضعيف الحسنة بعشر
٣٠٠ مستند ما جرى به عمل بعض الطرق من غلق الأبواب عند الذكر
٣٠٠ ما ورد فى فضل لا إله إلا الله
٣٠٣ سرية الحق والانتصار لسيدى محمد بن محمد الطيب الشنجيطى

﴿ تمت ﴾

﴿ فهرست كتاب الجيش الكفيل بأخذ الثار ممن سل على الشيخ التجانى سيف الانكار لسيدى محمد الشنجيطى رحمه الله ورضى عنه الذى بهامش البغية ﴾


صحيفة

١١ الباب الأول فى حقيقة الولى وشروطه بوجه ظاهر جلى
.. مقدمة
١٣ فصل وأما حقيقة الولى فهو العارف بالله
٢٣ خاتمة
٢٧ الباب الثانى فى حقيقة البدعة وما تشتمل عليه الخ
.. مقدمة
٣٠ فصل أما حقيقة البدعة
٣٢ خاتمة
٣٧ الباب الثالث فى التحذير من الانكار على أولياء الله الأخيار
.. مقدمة
٤٠ فصل قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه من آذى لى وليا الخ
٤٦ خاتمة
٥٣ الباب الرابع فى تحرير القول فى صحة جواز رؤية النبى صلى الله عليه وسلم الخ
٥٤ مقدمة
٥٨ فصل قال البدالى رؤية الأولياء للنبى صلى الله عليه وسلم الخ
٦٩ خاتمة
٧٠ الباب الخامس فى الرد على باطل هذا المنكر وزعمائه الخ
٧٠ مقدمة

صحيفة

٧٨ فصل وأما قول هذا المنكر المفتون وما ادعوا من أخذ هذا الورد الخ
١٤٤ الخاتمة وهى مشتملة على خمس تنبيهات
١٥٤ الباب السادس فى اتخاذ المشايخ وشروط المريد ومن له قدم راسخ الخ
١٥٤ مقدمة
١٦٢ فصل أما حكم اتخاذ المشايخ المربين الخ
١٨٢ خاتمة مشتملة على عدة تنبيهات
١٨٩ الباب السابع فى حقيقة الورد التجانى وما يشتمل عليه من الشروط والمعانى
١٨٩ مقدمة وهى دائرة على سبعة أقطاب
١٩٨ فصل وفيه سبعة مباحث
١٩٨ المبحث الأول فى حقيقة هذا الورد التجانى
٢٠٠ المبحث الثانى فى أصول هذه الأذكار الثلاثة
٢٠٢ المبحث الثالث فى ألفاظ هذا الورد الخ
٢٠٩ المبحث الرابع فى شروط هذا الورد الخ
٢١٤ المبحث الخامس فى سند هذا الورد وفضله الخ
٢٢٧ المبحث السادس فى الذكر وفضائله الخ
٢٣٩ المبحث السابع فى مقاصد هذه الأذكار الخ
٢٤٢ خاتمة وفيها فصلان الفصل الأول فى ذكر بعض رسائل الشيخ التجانى ووصاياه
٢٩٠ الفصل الثانى فى الأحزاب السبعة


﴿ تمت ﴾

297.4
I134bA
c.1

# بغيـــة المستفيد

## لشرح منيـــة المريد

تأليف الامام العلامة الشهير القدوة العارف بالله تعالى أستاذ
المغرب الأقصى وعنقاء مغربه المبرز باختصاصه بالفضائل
نصا الشيخ سيدى محمد العربى بن السائح الشرقى
العمرى نسبه التجانى مشربه نفعنا الله
ببركاته ومنحنا من عظيم نفحاته

وقد ألحق به سرية الحق والانتصار والذب عن أولياء الله الأخيار

وبهامشه كتاب الجيش الكفيل بأخذ الثار ممن سل على الشيخ التجانى
سيف الانكار وكلاهما تأليف الأديب البارع الحافظ المطالع العالم
العلامة المحقق الفهامة سيدى محمد بن محمد الصغير الشنجيطى التشيتى
رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه آمين

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمدعلى بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

مطبعة مصطفى محمد
صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر

المبتدعين بما ألقاه من الحق على ألسنة أهل السنة وجعل منهم مفاتيح للخير مغاليق للشر أولى بصيرة وفطنه ونصب لحماية دينه منهم أئمة يهدون بأمره إلى طريق الجنة فنهضوا بعزائمهم معتصمين بالله تعالى فأفاض عليهم تأييده وعونه وأعدوا لذلك ما استطاعوه من قواطع الصوارم وشوارع الأسنه وركبوا جياد المحبة لأولياء الله تعالى مطلقة الأعنه عاديات ضبحا بالاعراب عن ضمائر من تعظيمهم مستكنه مغيرات على أهل الانتقاد عليهم صبحا يزيل عن الأوهام كل ظن خيولا يكشفن عن وجه الخيال كل ضلالة ومظنه ويملأن قلوب المنكرين رعبا ومناخرهم من غبار ما أثرنه فرسانها شموس تزيل حالك كل دجنه حازوا قصب السبق فى مضمار كل نعمة ومنه فظهرت بهم مدافعة الله سبحانه عن عباده المؤمنين من أرباب المكنه وغلب هنالك وانقلب صاغرا من عاداهم ممن صدق عليهم إبليس ظنه والصلاة والسلام على من جاء بالفرقان نورا وشرع الدين وسنه وعلى آله وأصحابه الاكرمين ذوى النفوس المطمئنه ورضى الله تبارك وتعالى عن التابعين لسنته ذوى العقول المرجحنه ﴿ أما بعد ﴾ فان الله تعالى جعل الاعتصام بسنة نبيه أصدق أمارات الهداية وأتحف به أولياءه الذين أهلهم لخصوصية العناية وأنم عليهم باعتقاد المعتقدين فشكروا وابتلاهم بانتقاد المنتقدين فصبروا وجعل الاعتقاد فيهم ولاية والانتقاد

# بسم الله الرحمن الرحيم

يقول أفقر العبيد إلى عفو مولاه الغنى الحميد محمد العربى بن السائح الشرقى العمرى عامله الله واخوانه ووالدى الجميع بمحض فضله فى هذه الدار ودار الكرامة والمزيد .

الحمد لله الذى جعل سلوك طريق أهل ولايته منية المريد الصادق فى إرادته والتمسك بعهد الأئمة الدالين على سبيل طاعته بغية المستفيد الباذل فى مناصحة مولاه جهد استطاعته نحمده سبحانه وتعالى أن أشرق فى قلب المريد من أنوار الاخلاص فى بدايته ما تهيأ به لورود مقامات الاختصاص فى نهايته ونشكره جل وعلا أن يسر للسالك من إقامة الأوراد والوظائف فى حال مجاهدته ماهداه به سبل حضرة قربه ومشاهدته ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له المنفرد فى عظمة ملكه بعزة سناه وكبرياء جلاله المنزه فى علو سلطانه عن كل مالا يليق بكمال قدسه وسمو مجادته ونشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله إمام حضرة جبروته الذى جعل مبايعته عين مبايعته ومظهر أسرار ملكه وملكوته الذى أدرج طاعته فى طاعته صلى الله عليه وسلم وعلى آله الاطهار المخصوصين من الشرف الأتم بغاية غايته وعلى صحابته الأبرار المتبوئين بحسن صحبته وكمال التبليغ عنه أعلى الدرجات من مقامات ورائته صلاة وسلاما تندرج بسببهما فى سلك من بشر من الله تعالى بالمحبة والغفران من أهل متابعته وتنال ببركتهما أكبر الرضوان فى دار جزائه وكرامته ﴿ أما بعد ﴾ فان أولى ماتنافس فيه الأكياس وأجل ما أنفقت فيه بضائع الأنفاس وأفضل ماصرف اليه اللبيب عنان اهتمامه وجعله الأريب مطمح عين قلبه فى لياليه وأيامه سلوك طريق أهل الله الأولياء والتمسك بعد خاصته الأصفياء ونقل الاقدام بالمستطاع من الأعمال على أثرهم والاستضاءة فى عموم الأوقات والأحوال بلوامع أنوارهم إذ بذلك يتحلى العبد بملابس العرفان وبه يرتقى أعلى الدرجات من مقام الاحسان وبه يتهيأ لقبول الامدادات القدسية ويستعد لتلقى واردات الأنوار العلوية وكيف لاوهم نواب الرسول صلى الله عليه وسلم القائمون عنه فى الأمة بكمال الرعاية وحسن السيرة المخصوصون بتحقيق قدم المتابعة له فى مقام الدعوة إلى الله على بصيرة وان ممن أحله الله تعالى من هذه المقامات أعالى ذراها وحلاه من هذه الكرامات بواضح سناها شيخنا وأستاذنا العارف الربانى والوارث المحقق الفردانى القطب الجامع الصمدانى أبا العباس مولانا أحمد بن مولانا محمد التجانى رضى الله عنه وأرضاه ومتعنا وسائر الأحبة برضاه فلقد صار رضى الله عنه فى ذلك كله العلم المفرد بين الأكابر واستحق النداء بالرفع فى سائر الحضرات والمظاهر وانتهت اليه دون العصابة رياسة هذا الشان وخفقت عليه إمام الجماعة ألوية النصر فى هذا الميدان وأظهر من كنوز الشريعة المطهرة ابريزها الخالص

وأبرز من بحار الحقيقة خصائص الفرائد وفرائد الخصائص وجاء فى أساليب الدلالة على الله تعالى بما لم يسبق إليه وأتى فى مسالك التربية والترقية بما لم يعرج أحد عليه لبلوغه رضى الله عنه أقصى درجات الكمال فى الجمع بين العلم والحال والهمة والمقال فأسست طريقته على تقوى من الله ورضوان وشيدت من العلمين الظاهر والباطن على أقوم القواعد وأقوى الأركان وأيدت من أنوار الهداية وأسرار العناية بأوضح دليل وبرهان فعم النفع بها فى سائر الأقطار وشاسع الأصقاع والبلدان واختص ورده المحمدى اللفظ والترتيب الأحمدى السر والتركيب بتحقيق السير فى مقامات الدين الثلاثة وسائر منازلها على الاسلوب الغريب والمنهج العجيب كما يتبينه المنصف الذى كحلت عينه بأثمد الأنوار الايمانية بالوقوف عليه مبسوطا فى كتاب ميزاب الرحمة الربانية ويتحققه السالك المحافظ على هذا العهد فى السر والعلانية من طريق الذوق التام بالمشاهدة العيانية فلا جرم أن الله تعالى أحيا به مراسم السنة بعد اندثارها وأوضح معالم الطريقة بعد خفاء آثارها وأطلع به شمس الحقيقة بعد أفولها واستتارها ولله در العلامة المحقق شيخ مشايخ العلوم النقليات والعقليات المبرز على أهل زمانه فى تحقيق الجزئيات منها والكليات أبى زيد سيدى عبد الرحمن بن أحمد الشنجيطى المتوفى بفاس العليا فى شوال سنة أربع وعشرين ومائتين وألف حيث قال فيما نسجه فى مدح سيدنا رضى الله عنه على أبدع منوال وأعجب مثال

أحيا طريقة أهل الله فهى به * مؤلف شملها والكسر مجبور
شيخ المشايخ من فى طى بردته * جيب على النور والأسرار مزرور
من داره جنة الفردوس وهو بها * رضوان خازنها أذكارها الحور
يفيض من سلسبيل الذكر كوثرها * فاشرب مفجرها فأنت مأجور
أوراده عن رسول الله قد رويت * كذاك أفعاله والسر مأثور
فانقل فديتك فى آثاره قدما * فان فعلت فذاك النقل مدخور
واحرص بأن تنتمى يوما لجانبه * فحظ من ينتمى إليه موفور

وقد كنت حين قادنى رائد العناية الأزلية الذى ليس إلا عليه المدار وجذبنى جاذب الدائرة الفضلية التى هى من وراء دوائر العقول والأفكار فألهمت فضلا من الله تعالى الانتماء لجانب هذا الشيخ العظيم والالتجاء إلى حمى طريقته الشريفة وحزبه الكريم بالقاء القياد له وسلب الارادة إليه على طريق الاستسلام والتحكيم لقيت من أصحابه الذين أخذوا عنه علومه وأسراره واقتبسوا منه بحسن الصحبة وكمال المتابعة معارفه وأنواره ولازموه إلى أن فارقوه وهو عنهم راض جماعة وافرة فانتفعت بحمد الله على أيديهم بما أرجو عود بركته على وعلى أولادى وسائر الأحبة والاخوان فى الدنيا والآخرة فتلقيت ممن تأهل منهم للتلقين ورده المحمدى الشريف وأخذت عنهم عهده المصطفوى المنيف ورويت عنهم من طريق الاجازة العامة جميع ما اشتمل عليه كتاب جواهر المعانى من الأوراد والأذكار وتلقيت منهم سماعا شرح الكثير من مسائله الجليلة القدر وفوائده العظيمة المقدار وذاكرتهم بطريق الاستفادة منهم والأخذ عنهم فى كثير مما لم يشتمل عليه هذا الكتاب مما يوجد زائدا على ما فيه بغيره من المؤلفات والتقاييد التى بأيدى الأصحاب فاجتمع عندى بحمد الله من ذلك نبذة كافية وجملة شافية مما يحتاج إليه المسترشد المستفيد ولا يستغنى عائد إلى ثغرة نحره وأخشى أن يكون له ذلك فى عاقبة أمره ووشحها بذكر طريق القوم تلبيسا على العامة والاوغاد واستتارا برسوم فهو بمثابة الجلود التى يدفع بها عن فحول الابل شر العين ومن حكمته البالغة أن أظهر عليهم أحكام البشر فى الظواهر ستراً لما أودعهم من خصائص السرائر كل ذلك عناية منه بحفظ بواطنهم عن الركون إلى أحد من العباد ولطف منه سبحانه بهم وبعباده المنقسمين فيهم إلى موال ومعاد إذ لو أظهرهم حتى كان الجاهلون منهم على يقين لحبطت أعمال المسيئين اليهم وعجلت عقوبات المنتقصين ولخيف على المعتقدين فيهم من اطراء النصارى للمسيح فمنعهم من ذلك ما يصدر لهم من الفسقة من تنغيص وتجريح وليوفوا أجورهم كاملة يوم القيامة لم يأخذوا منها فى الدنيا أقل من قلامة وقد كان من قضاء الله وقدره أن وفق العبد الفقير إلى رحمة مولاه العلى الكبير محمد بن محمد الصغير غفر الله ذنوبه وستر عيوبه وأسكنه هو ووالديه وأشياخه وجملة الاحباب جنة الفردوس من غير سابقة عذاب ولا مناقشة حساب ولا تثريب ولا عتاب على ورقات فيها ما هو أرق منها وألين وأضعف أركانا من بيت العنكبوت وأوهن من الاستخفاف بعظيم حرمة شيخنا ومولانا سيدى أبى العباس أحمد ابن محمد التجانى الحسنى نجارا الفاسى قرارا قدس الله روحه وسقى بشآبيب الرحمة ضريحه منسوبة لبعض المنتسبين للعلم رمى فيها الشيخ بما هو اليوم

عن مراجعته المرشد المفيد فكنت أهم كثيراً باستحفاظى ذلك رسالة تشتمل عليه ليعم النفع به لمن عسى أن يحتاج من الاخوان والأولاد إليه فيصدنى عن الخوض فى تلك المسالك علمى بأنى بكل وجه و بكل اعتبار لست أهلا لذلك ويردنى عن اقتحام مضايق ذلك الأمر الخطير تحققى بما عليه نفسى الأمارة وعقلى الحسير من الاتصاف بغاية القصور والتقصير وبقيت أتردد فى ذلك منذ أعوام مضين من عمرى وأزمان إلى أن اشتعل منى الفودان وارتحل عنى زمان الشبيبة وبان ثم نظرت فاذا هاتيك الشموس الواضحة الاشراق والبدور الكوامل من تلك العصابة قد أفلت من هذه الآفاق واقشعرت البلاد لفقد أنوارهم أى اقشعرار وصوح نبتها اليانع بعد الاخضرار واتخذ جل من خلفهم من الاتباع هذا الامر وراءهم ظهريا حتى كاد أن يصير حديثه فيما بينهم نسيا منسيا بيد أنى رأيت جماعة من خاصة الفضلاء وافراد الأذكياء النبلاء لازالوا يسائلون عنه بغاية الجد والاجتهاد وينقبون عن جهينة خبره فى سائر الأغوار والانجاد فعلمت أنه لا بد لكل مغفول عنه ان يتنبه إليه ويطلب ولكل مرغوب عنه أن يرغب فيه ويخطب فانبعث منى بسبب ذلك على جمع ما كنت أتردد فى جمعه الباعث القوى وانقدح فى باطنى من الاقدام عليه كل زند ورى فبينا أنا أستخير الله فى الشروع فيه المرة بعد المرة واستقدره وأفكر فى أى قالب من القوالب التأليفية أفرغه وبأى شكل من الاشكال التصنيفية أخطه وأصدره إذ ورد علينا فى غفلة من موانع الحوادث وصوارف صروف الدهر ورود الفرح ولا فرح الظمآن فاجأه القطر بعض المحبين ممن جاور بالحرمين الشريفين عدة من السنين بهذه المنظومة العظيمة القدر الجليلة السنا والفخر المسماة ﴿ منية المريد ﴾ ليوافق اسمها مسماه بتوفيق الرب المجيد التى هى من إنشاء أخينا فى الله سبحانه وصفينا وحبيبنا الأخص وولينا أعجوبة الدهر فى كرم الأخلاق ولطف الشمائل وغرة العصر الجامع لشتات الفواضل والفضائل الفقيه الأديب العلامة المشارك الألمعى الاريب أبى العباس سيدى أحمد المدعو التجانى ابن العلامة سيدى بابا الشنجيطى العلوى على ما سيبين قريبا ان شاء الله تعالى عند التعرض للتعريف به وتحقيق القول فى اسمه ونسبه وقد كان رحمه الله تعالى كتب إلى أيام اقامته بزاوية عين ماض أنار الله برهانها وحاط بأسرار العناية عمارها وقطانها يخبرنى بانشائه لهذه الخريدة العديمة المثال وابرازه لهذه الفريدة العزيزة المنال وذكر لى منها أبياتا تشير إلى بيان موضوعها وجدواها على جهة الاجمال ووعدنى البعث بها إلى بعد التنقيح والاكمال ثم بعد ما اخترمته رحمه الله المنية حقق الله بفضله رجاءه فى ذلك الوعد وتلك الأمنية والأعمال بالنية فقيض الله من يأتى بها إلى بعد حصول الاكمال المعنوى لها بملامسة ترب خير البرية صلى الله عليه وسلم ولما سرحت فى رياض كلماتها المونقة النظر وأجلت بين حياض معانيها الغدقة طرف الفكر علمت علم يقين أنها المنية التى كنت أتطلب والبغية التى كنت منذ أزمان أترصد طالعها السعدى وأترقب فقرت بها ولله الحمد منى كل عين وعلمت أن الله تعالى كفانى ما كان أهمنى من ذلك الأمر الخطير دون مين غير ان بعض السادات الأجلاء والسراة الأخلاء مما يتعين على القيام بحقوقه الأكيدة لما هو عليه من حسن المؤاخاة فى الله تعالى والسيرة الحميدة ألحّ على مرات عديدة فى وضع تعليق عليه يكون كالتتمات والتكملات لكلماتها الجامعة المفيدة والتحصيلات لجملها النافعة وأقوالها الراجحة السديدة فحدانى

علومهم ليرد عن نفسه صوارم عليه ما يأخذ الحرد المغيظ غيرة وحمية على حرمات أولياء الله الحفيظ فهممت بتقطيعها وتمزيقها بعد ما فهمت مراد صاحبها بترقيقها ثم أمسكت عملا بالتثبت الذى أمر به سبحانه فى كتابه وتثبيطا لخاطر العجلة التى هى من عمل الشيطان وأحزابه فانبعثت التمس مخرجا حسنا لصاحبها فأعيانى فندبنى للرد عليها نادب لسان الشرع الظاهر ودعانى وقد كنت ممن لا يحسن الرد على أحد من العموم لا سيما من ينتسب لعدة فنون من العلوم لكن أراد الله أن يحق الحق بكلماته ويبطل باطل المبطل وزعماته فكان من حسن تأييده وعونه الجميل ما يستغرب به بالوقوف عليه كل نبيل مع أن مثل ذلك لا يستبعد ممن صحبته الهمة المحمدية الحافظية واكتنفته البركات الأحمدية التجانية ويا سبحان الله لقد بلغنى قبل على لسان من يرد على من ناحية هذا المنكر ما جاوز الحد من استطالة لسانه على الطائفة التجانية حفظها الله بعين رعايته وحاطها بسور عنايته حتى ان ذلك بلغ شيخنا المحفوظ بعين الله الملحوظ بعناية الله سيدى محمد الحافظ فاعرض عنه وأمر علية أصحابه بتخلية جنابه فمازاده ذلك إلا أنه استرسل فيما استرسل فيه وطاش وأطلق فيهم بما سولته له النفس لسانه الفحاش وما كنت أظن أنه سطر فى ذلك مسطوراً ولا نشر فى الطريقة التجانية منشوراً فقضيت العجب من اعراضهم عنه بعد ما تبين لهم من فحشه ما صدر منه لكن راجعت النظر

ذلك مع ماقصدته فى أداء هـذا الحق الأكيد من التعرض لنفحات المولى الغنى الحميد والتكثير لسواد هـذه العصابة والاستجلاب للدعوات الصالحة المستجابة والاكتساب للمودة الصادقة من كل أخ صالح ينظر فى هذه العجالة وهذه الصبابة على أن لبيت بعد الاستخارة دعوته وأسعفت بعد الاستعصام بحول الله وقوته رغبته وطلبته وشرعت فيما التمسه منى من التقييد على أبيات هذه القصيدة المباركة بقدر الاستطاعة وإن كنت فى العلم والعمل والتقوى مزجى البضاعة على أننى أعترف كل الاعتراف بأن ليس لى فيه إلا أعمال اليراعة وخدمت به الاعتاب الختمية والحضرة الأحمدية الكتمية

عسى عناية لطف الله تلحقنى * بالسابقين فقد عوقت من كسلى

ورجاء أن يغمرنى من امداداتها الوهبية ويشملنى من بركات أسرارها الغيبية ما يكون سببا لتطهير سريرتى وتنوير بصيرتى وغفران ذنوبى وستر عيوبى وموجبا بمحض كرم الله تعالى لالحاقى بدرجة الخاصة العليا من أهل هذه الطريقة الأحمدية فأفوز من فضل الله تعالى بالحياة الأبدية والسعادة الدائمة السرمدية والعيشة الراضية الهنية ﴿ وسميته بغية المستفيد لشرح منية المريد ﴾ ومن الله تعالى أسأل التوفيق الجميل والاعانة على الاتمام والتكميل وهو حسبى ونعم الوكيل فاعلم أن جميع ماسيذكر إن شاء الله تعالى فى هذا الكتاب من كل مايسند فيه من قول وعمل إلى سيدنا قطب الأقطاب رضى الله تعالى عنه وقدس أسراره العزيزة الطاهرة وجعلنا بمحض فضله وكرمه فى حماه دنيا وآخره إما أن ينسب لمثبته له وراويه وهذا لاإشكال فى أصله ولالبس يستره ويواريه وإما أن يكسى حلة الاهمال والابهام من غير قصد منى لغرض يقدح فى درجة صحته عند ذوى الافهام وهذا لاأذكر منه إلا مابلغ حد التواتر أوكاد من كل مايلتحق بدرجته عند الجهابذة النقاد وربما أذكر ماعدا ذلك مما ينحط إلى درجة الشذوذ أو يقاربها لكننى أحكيه بإحدى الصيغ المتداولة فى مثل ذلك كيذكر ويقال ونحو ذلك مما يدل على رتبته وياسبها نعم متى أطلقت فى الابهام فعبرت بالبعض أو بعضهم لاغير فالمراد من لم يدرك الشيخ رضى الله عنه من الأصحاب أهل العلم والفضل والخير ومتى قيدت فيه فقلت من أصحاب سيدنا رضى الله عنه أو نحوها مما يجرى فى الكلام فالمراد من أدركه وعاصره من أعيان أصحابه الأعلام رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل الوجه الكريم متقلبهم ومثواهم ونفعنا فى الدارين بمحبتهم وحشرنا بمنه وكرمه فى زمرتهم والناس باعتبار النظر فى هذا التقييد وبحسب الانتفاع به وعدمه أربعة لاخامس لها دون تفنيد (إما) محب صادق وجده الحال قد دخل فى الطريق وتمسك فى السر والعلانية بحبلها الوثيق حتى خامر قلبه نور اليقين والتصديق فانقدح له فى باطنه من علوم الطريق وأسرارها بعض أذواق التحقيق فحظ هذا من الانتفاع بمراجعته مايفيض فى قلبه عند مطالعته من شواهد الوجدان الحالية ودلائل واردات الأنوار العرفانية فيكون دليله على صحة ماذكرناه له المشاهدة والعيان وما بعد العيان بيان (واما) محب أيضا قد أخذ بقسط من التصديق لكنه لم يحظ بعد بالدخول فى الطريق والانخراط فى سلك هذا الفريق وهذا يرجى له ببركة مامعه من التسليم أن يرقى بأدنى مماسة لمسائله إلى درجة أهل الذوق السليم فيلتحق عن قريب بأول فريق ويستقى من مختوم هـذا الرحيق (واما) خال عن كلتا الحالتين تتجاذبه أيدى القبضتين وهذا يرجى له أيضا إن ساعدته الأقدار الالهية ووافقته المشيئة الربانية فتحلى

الجدل وطلب الرياسة نخاف أن يؤديه ذلك إلى ماهو أعظم من تضييع عمر هذا المنكر فى المناظرة والجدل كما هو شأن من سلف من أولياء الله الكمل فلم يحرك هذيانه إلا ماتحركه نفخة ناموسة من جبل

لو كل كلب عوى ألقمته حجراً
لأصبح الصخر مثقالا بدينار

بل حال الشيخ ينشد فيه قول الآخر

فمن هو حتى يحمل النطق عن فمى
اليه وتمشى بيننا السفراء

وأما أنا فانتهضت لضيق عطنى انتصارا لجناب الأولياء لامجادلة لعموم الأغبياء بل مناضحة عن سبيل هى من أحسن سبيل ولمن انتصر بعد ظلمة فأولئك ماعليهم من سبيل ونصرة لذلك الشيخ الكبير الولى الكامل وتنزيها لجنابه العلى عما لايليق بمن هو دونه بمراحل عسى أن تكون لى عنده حظوة أعتدها من أوثق مالدى مدخرا يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً

فنحن عبيد الدار حقا ولم نزل
نوالى مواليها ونحرس بابها

فأردت بعون الله تعالى وان كانت بضاعتى فى العلم مزجاة أن أبين وجه ذلك لمن سمعه أو رآه من عامة عباد الله المسلمين ليكونوا على بصيرة من حقيقة ماموه به وغشاه وللبعوضة فى الجرم المديد

تنال ماقصرت عنه يد الأسد

ومامن أحد يسمع هذا الانكار الذى حاصله تبديع وتكفير إلا سرى لقلبه منه أشد نكير ولذلك حذروا من مجالسة المنكرين على الأولياء أى تحذير قال سيدى محمد البيد الى رحمه الله تعالى فى

بحلية الاشراف واتصف بأكمل الأوصاف ونظر فيما اشتمل عليه بعين الانصاف أن يشرف على مدارك التحقيق أى إشراف ويقف من عين الحق على ما يتخلى به إن شاء الله تعالى عن شبه الاعتساف وعند ذلك يميل الى الشوق ميلا ويحيم بحمى ليلى والله ولى التوفيق والهداية ولاسبب فى الحقيقة الا العناية (واما) مبغض والعياذ بالله تعالى قد انهار به جرف هواه فى نار جهنم القطيعة وبئس مثواه وهذا ليس ممن يواجه بهذا الخطاب ولا ممن يرفع له عن وجوه مخدراته النقاب لأنه كما قال الشيخ العارف بالله تعالى أبو سليمان سيدى داود الباخلى رضى الله عنه فى شرحه لحزب البحر الذى سماه اللطيفة المرضية فى شرح دعاء الشاذلية لاينفع فيه البيان ولاينجع فيما قام بقلبه من الأعراض عن الله تعالى واضح البرهان لأنه صرفه الهوى عن اتباع سبيل الهدى ثم قال أعنى سيدى داود رضى الله عنه وموجب بغضه اما لأنه محب للدنيا مشغول بها عن الله تعالى فهو أبداً يعادى الآخرة وأهلها بطبع نفسه ويعادى من أجل ذلك أولياء الله تعالى عداوة باطنة زرعها الشيطان فى قلبه أو مترشح بظاهر طريق رأى أثر النعمتين الظاهرة والباطنة فثار من قلبه ثائر الحسد لما جبلت الطباع عليه من حسد من كان مماثلا أو مشاركا فى صفة كما قال سفيان بن عيينة مكتوب فى بعض الكتب عدوك من عمل بعملك أو منتسب الى الفقه وقف مع الظاهر وجمد عن النظر فى أرواح المعانى ولباب العلوم يسمع أسرار العلوم ولا يجدها تنطبق عليها قوالب الألفاظ ولا بعض الظواهر بمقتضى حظه من الفهم فينقبض عن قبولها أو متصلح وقف مع صور ظواهر العبادات البدنية دون أسرارها وفقهها ولم تفتح له أبواب المعارف ولا عرف العلوم القلبية ولا أعمال القلوب ولا ذاق شيئا منها بل يظن أن الله تعالى لا يعبد الا بحركة الجسد واللسان فقط فتراه اذا سمع العلوم الروحانية والأعمال القلبية والأسرار اللدنية وقف قلبه وكع عنها وقال لعل هذا غير دين الله عز وجل وعادى من ظهرت على يديه ثم قال بعد كلام نقله عن الشيخ أبى الحسن ليس من غرضنا الآن نقله مانصه فهؤلاء الطوائف يعز إيمانهم بأهل الطريق ومحبتهم لهم وقد نص على ذلك مشايخ الطريق اه وقد نقله فى الجيش عن الطوائف غير معزو للشيخ داود مع تصرف فى بعضه فانظره فيه ان شئت (وقد) حبب الى أن أقدم بين يدى الشروع فى الكلام على هذه المنظومة المفيدة الجامعة مقدمة كافية فى بابها ان شاء الله تعالى نافعة وأن أرتب الكلام فيها فى سبعة مطالب تشتمل على مالا بد منه فى طريق الارادة لكل سائل وطالب ﴿ المطلب الأول ﴾ فى بيان منشأ علوم الطريق وبعض ما اختص به أهلها من أسرار الأذواق والتحقيق ﴿ المطلب الثانى ﴾ فى بعض مايشير الى حقيقة الأدب على جهة الاجمال وبيان منشئه ومكانته من طريق أهل الكمال ﴿ المطلب الثالث ﴾ فى الاشارة الى نبذة من آداب الحضرة العلية وبعض ما اتصف به من ذلك أهل المراتب السنية ﴿ المطلب الرابع ﴾ فى بعض مايختص بالمريد من آداب الصحبة والاخوة وبيان مايلزمه فى ذلك من الوفاء وكمال الفتوة ﴿ المطلب الخامس ﴾ فى بيان فضيلة حسن الاستماع وبعض مايختص به من الآداب الموصلة بفضل الله تعالى الى طريق الفهم وكمال الانتفاع ﴿ المطلب السادس ﴾ فى بيان اختلاف أولياء الله تعالى فى الطرائق والمذاهب والاشارة الى أن منشأ ذلك هو تباين الأذواق والمشارب ﴿ المطلب السابع ﴾ فى وجه تسمية هذه الطريقة السنية بالأحمدية والمحمدية والابراهيمية الحنيفية (فأقول) ومن المولى العلى الأعلى الوهاب استمد العون والهداية الى الصواب

ولا تمش معه فان شيطانه وشيطانك يتعاونان على نفسك بالوسوسة فترجح قول المنكر وربما كنت أنكر منه انتهى ثم ان انتهى هذا المفتون وتاب الى الله تعالى فذلك المطلوب وان صمم على ماهو عليه من نصرته لنفسه والرضى بحاله والتعصب لباطله فالله حسيبه «وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون» على أنى أجعل عرضى وقاية دون اعراض أشياخى وجملة اصحابهم ثم انى تتبعت محصول مافى ورقات هذا المفتون فاذا هو مشتمل على ثلاثة فنون. أحدها تكفير هذه الطائفة بنسبة أشياء ذكرها عنها ونحن وأشياخنا وعامة المسلمين براء منها. منها نسبة الرضاع باخوة الورد وانكار اعادة الأجسام ومثل هذا والعياذ بالله لا يطرق عقول العوام. الثانى تبديعه لهم بظنون اسمية وتخييلات وهمية ركب فيها طريقا عمياء وخبط فى تحصيلها خبط عشواء ويأبى الله الا أن يتم نوره ويصرف عنه تزييف منكر الملحد وزوره. الثالث تحرير طريق القوم بوجه ينادى فيه على نفسه هلم الى عباد الله فانى من علماء الطريقة ولا شاهد يعضد ذلك من حق ولا من حقيقة بل أحب أن يشار اليه بالأصابع ويعظم وتعرف منزلته من العلم وتعلم وما صدق الله من أحب الشهرة كما قال ابراهيم بن أدهم وهذا أكبر دليل على استحكام علة الجاه الذى علق بقلبه فقام بحق نفسه وأنساه الشيطان حق ربه وقد قالوا ضمائر الجنان فى فلتات اللسان

﴿ مقدمة تشتمل على سبعة مطالب مهمة ﴾

﴿ المطلب الأول ﴾ فى منشأ علوم الطريق و بعض ما اختص به أهلها من أسرار الأذواق والتحقيق لا يخفى ان هذا المطلب مما يهم فى هذا المقام تقويمه و يتأكد فى حد أهل الطريق تعلمه وتعليمه إذ بالنظر فيه يرتقى المريد الموفق إن شاء الله تعالى عن حضيض الجمود على ظواهر الا نقال إلى أوج النظر فى أرواح المعانى ولباب علوم أهل الكمال ومن أدنى ما اشتمل عليه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة أن يسلم الناظر فيه بتوفيق الله تعالى من أن ينكر من كلام أهل الله تعالى مالم يبلغه علمه أو يرد من اشاراتهم ما لم يصل اليه فهمه وناهيك بها من فائدة عظيمة تضرب اليها أكباد الابل وتتفانى فى تحصيلها النفوس الزكية وقد قال الشيخ أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه إذا رأيتم من يؤمن بكلام أهل الطريق فاسألوه يدع لكم فانه مجاب الدعوة ( قال ) الشيخ محيى الدين رضى الله عنه أقل درجات أهل الطريق التسليم فيما لا تعلمه أنت وأعلاها القطع بصدقه وما عدا هذين المقامين فحرمان اه فلمثل هذه الفائدة المهمة آثرنا أن يكون هذا المطلب أمام مطالب هذه المقدمة فنقول وبالله المستعان وعليه الاعتماد والتكلان ( فاعلم ) أرشدنى الله واياك إلى مناهج التسليم والتصديق وأذقنا جميعا حلاوة الايمان والتحقيق أن العلم ينقسم بحسب ما يجب اعتباره هنا إلى قسمين علم الظاهر وعلم الباطن أما علم الظاهر فالمراد به العلم الشرعى المفيد لما يلزم المكلف فى أمر دينه عبادة ومعاملة وهو يدور على التفسير والحديث وعد منه النحو واللغة وأصول الفقه ونحوها على ماهو مبين فى كتب أهل العلم وأما علم الباطن فهو نوعان أصول علم المعاملة وحقيقته النظر فى تصفية القلب وتهذيب النفس بانقاء الأخلاق الذميمة التى ذمها الشرع كالرياء والعجب وحب العلو والثناء والفخر ليتصف بالأخلاق الحميدة كالاخلاص والشكر والصبر والزهد والتقوى والقناعة ليصلح عند أحكامه لذلك لهمله بعلمه ليرث مالم يعلم فعلمه بلا عمل وسيلة بلاغاية وعكسه جناية واتفاقهما بلاورع كلفة بلاأجرة فأهم الأمور زهد واستقامة لينتفع بعلمه وعمله وهذا النوع فرض عين فى تقوى علماء الآخرة فالمعرض عنه هالك بسطوة ملك الملوك فى الآخرة كما أن المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا ( وأما ) النوع الثانى فهو علم المكاشفة وهو نور يظهر فى القلب عند تزكية النفس فتظهر به المعانى المجملة فتحصل لصاحبه المعرفة بالله تعالى و بأسمائه وصفاته وكتبه ورسله وتنكشف له الاستار عن مخبآت الأسرار فافهم وسلم تسلم ولا تكن من المنكرين فتهلك مع الهالكين وهذا النوع هو الذى قال فيه بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخشى عليه سوء الخاتمة وأدنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله والله تعالى أعلم اه وانظر إرشاد السارى ثم ان علم الباطن بنوعيه هو غاية العمل بعلم الظاهر وزبدته ونتيجته المقصودة منه وثمرته وذلك ان العبد إذا عمل بالشريعة ووقف عند حدودها المرسومة بالمحافظة على شروطها المشروطة وآدابها المعلومة يستضىء قلبه لامحالة من فضل الله تعالى بأنوار الايمان فينقدح له فى الباطن مالا يكيف من غرائب العلوم والآداب وعجائب أسرار الحقائق والعرفان فيطلع من علوم الشريعة وآدابها على مالا تحيط به الأفكار ويتحقق من المعارف الالهية والأسرار الربانية بما يحير أذهان النظار فحقيقة العالم بعلم الباطن ما أشار اليه

إلا من خرق عوائد النفس بمخالفة هواها وعلومه ذوقية مؤسسة على قواعد التقوى ومجرد فهم نقولها وسردها بلا ذوق قليل الجدوى وقد قال صاحب تكملة الأنوار فى علوم المقربين والأبرار علوم التصوف أخبار عن وجدان واشارة عن عرفان وسلوك ذوق وتحقيق وميراث من السر الذى وقر فى صدر الصديق بتحقيق بصدق الحال ولا يفي بكنهها فصيح المقال فعلومهم مواهب ربانية ولطائف روحانية انتهى ومعاذ الله لا يكون التكحل كالكحل الصورى فى القياس ولا من اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان كمن بنى بلا أساس

قل للذين تكلفوا زى التقى
وتخيروا للدرس ألف مجلد
لا تحسبوا كحل العيون بزينة
ان المهالم تكتحل بالأثمد

وقد قال السلمى رحمه الله تعالى من حكى حكايات السلف واتخذها حالا لنفسه وهو خال عنها فهو مغرور والنبى صلى الله عليه وسلم يقول المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور وهذا المسكين يتهور فى كلامه تهور المتعصبين بالباطل وقد قالوا الأجهل من متعصب بالباطل ومنكر لما هو به جاهل فرح بما عنده من العلم فظن أن ليس فوق كل ذى علم عليم وانتفخ برياسة العلم الرسمى حتى كاد يبلغ الثريا فزعم مقاومة هذا الشيخ العظيم

ولسان الحال ينشد قول أحمد بن سليمان شاعر معرة النعمان أرى العنقاء تكبران تصادا * فعاند من تطيق له عنادا

هذا الأمر الزعامة تقليدا لخوارج أبا نعامة فسلك بهم فى الانكار سبيل الخطر فى بره وضرب لهم طريق الغرر فى بحره فتغولت غيلان المكر على أعمالهم فمزقتها وتلاطمت أمواج البحر على سفن أديانهم فخرقتها

مايبلغ الاعداء من جاهل

مايبلغ الجاهل من نفسه أضلهم والعياذ بالله وأضلوه وأقلهم على كاهل التهلكة وأقلوه وفى غير واحد من كتب الدين التحذير من صحبة من لاينهض حاله ولا يدل على الله مقاله وهو كما لسيدى زروق فى السابع عشر من شروحه على الحكم رضى الله عنه وأسبغ عليه زوائد النعم الراضى عن نفسه المرتفع عن أبناء جنسه الذى يعتد بعلومه وأعماله ويهمل نفسه فى ادباره واقباله وان كثرت أعماله وعلومه واتسعت أنظاره وفهومه وفى الحكم أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضى عن النفس وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضى منك عنها ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه انتهى وهو عجيب بديع لكنه ينادى على هذا المنكر وأشياعه بالتثريب والتقريع والمنصف الموفق اذا وقف على ماسنورده بعد بعون الله تعالى فى الرد عليه فى بابه علم أن هذا المفتون داخل فى زمرة المستهزئين بحرمة العلم العليا الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا لأنه قد أنكر بمجرد دعواه وأخذ من العلم ماوافق هواه ونبذ وراء ظهره

الشيخ العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله تعالى عنه فى كتابه اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر ونصه فى المبحث الثامن والأربعين منه اعلم أن حقيقة الصوفى فقيه عمل بعلمه لاغير فأورثه الله الاطلاع على دقائق الشريعة وأسرارها حتى صار مجتهدا فى الطريق والأسرار كما هو شأن الأئمة المجتهدين فى الفروع الشرعية ولذلك شرعوا فى الطريق واجبات ومحرمات ومندوبات ومكروهات وخلاف الأولى كما استنبط المجتهدون نظير ذلك وأبطلوا أى مجتهدوا القوم العبادات والعقود بالاخلال بما أوجبوه وشرطوه أو بارتكاب ماحرموه هذا شأنهم رضى الله تعالى عنهم فما من أحد منهم حق له قدم الولاية الا وهو مجتهد فى الطريق ليس عنده تقليد الا لما صرحت به الشريعة أو اجتمع عليه الأمة فمن ادعى مقام الكمال وهو مقلد لغيره فهو غير صادق (قال) وقد سمعت سيدى عليا الخواص رضى الله تعالى عنه مرارا يقول لايكمل الرجل عندنا حتى يأخذ العلم من حيث أخذه المجتهدون اه وذكر نحوه فى مقدمة طبقاته ثم قال بعده لكن لايشرف على ذوق ان علم التصوف تفرع من عين الشريعة الا من تبحر فى علم الشريعة حتى بلغ الغاية وقال فى المقدمة أيضا بعد أن حكى فيها نحو ماتقدم من أن علماء الطريق شرعوا فى الطريق واجبات ومحرمات ومكروهات الخ مانصه وليس إيجاب مجتهد باجتهاده شيئا لم تصرح الشريعة بوجوبه بأولى من إيجاب الولى حكما لم تصرح الشريعة بوجوبه كما صرح بذلك اليافعى وغيره اه وذلك لأن الكل مستنبط من نصوص الشريعة الظاهرة ومقتبس من أنوار علومها الفاخرة فكما أن الأئمة المجتهدين رضى الله تعالى عنهم استنبطوا من نصوص الشريعة مالايحصى من الأحكام والوقائع فكذلك هؤلاء علماء الباطن وأئمة الطريق استنبطوا أيضا من نصوص الشريعة أحكاما ووقائع فى الباطن لاتحصى والكل من طريق الاجتهاد الصحيح فالاجتهاد واقع فى دولة الباطن كما هو واقع فى دولة الظاهر ولاغنى باحدى الدولتين عن الأخرى فحقيقة بلا شريعة باطلة وشريعة بلاحقيقة عاطلة أى ناقصة اه وانظر اليواقيت فالفريقان لامحالة يغترفان من عين واحدة وكما أنه لايخرج شىء من علوم علماء الظاهر عن الشريعة فكذلك لايخرج شىء من علوم علماء الباطن عنها قال فى مقدمة الطبقات وكيف تخرج علومهم أى أهل الباطن عن الشريعة والشريعة هى وصلتهم الى الله تعالى فى كل لحظة اه فقد بان لك أن علم الباطن زبدة علم الظاهر ونتيجة العمل به على الوجه الأكمل من إيقاعه غير مشوب بالحظوظ والعلل ولهذا قال امام الطائفة الجنيد رضى الله تعالى عنه علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة اه ردا على من توهم خروجه عنهما ومعنى كونه مشيدا على الكتاب والسنة أنه نتيجة عن العمل بهما قاله الشيخ محيى الدين رضى الله تعالى عنه ثم قال وبذلك يفرق بينه وبين مايظهر لأرباب النواميس الحكمية قال وهذا لايعرفه الا أصحاب الذوق قلت وفى تعبير إمام الطائفة رضى الله عنه بمشيد اشارة الى إنافة قدر علم الباطن وشرف درجته من حيث أنه لب الشريعة وزبدتها وقد ذكر فى اليواقيت مايشهد له ونصه وقد رأيت فى كتب الرعاية للشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء بمصر فى عصره مانصه كل الناس قعدوا على رسوم الشريعة وقعد الصوفية على قواعدها التى لاتزلزل اه ثم قال فى اليواقيت بعده وقد بلغنا أنه أى الشيخ عز الدين كان يقول قبل ذلك وهل ثم طريق للشريعة غير مابأيدينا من النقول ثم يقول من زعم أن ثم علما

باطناً للشريعة غيرما بأيدينا من النقول فهو باطنى يقارب الزنديق فلما اجتمع بالشيخ أبى الحسن الشاذلى بمصر وأخذ عنه صار يمدح طريق القوم كل المدح ويقول انها طريق جمعت أخلاق المرسلين قال وكان حجة الاسلام الغزالى يقول مثل ماكان يقوله ابن عبد السلام فلما اجتمع بالصوفية وذاق طريقهم صار يقول ضيعنا عمرنا فى البطالة أى لما فى العلم على طريقة أهل الجدل من غلبة القول على العمل ثم قال أعنى صاحب اليواقيت رضى الله عنه والحق أن الاشتغال ليس ببطالة وإنما هو أساس الطريق فان من شأن أهل الطريق أن تكون جميع حركاتهم وسكناتهم محررة على الكتاب والسنة ولا يعرف ذلك إلا بالتبحر فى علم الحديث والتفسير فقول الغزالى هذا إنما هو قول صدر منه حال عشقه فى طريق القوم والعاشق حكمه حكم السكران ولو أنه تأمل فى حاله لعرف ماقلناه من أن الفقه أساس الطريق وان غاية الصوفى أنه عالم عمل بعلمه لاغير اه ونصوص الكل من مشايخ الطريق فى هذا الباب واضحة وتصانيفهم بمالهم فيه من جلى العبارات وسنى الاشارات طافحة واقتصرنا منه على هذا القدر اليسير مما يفيد مطلق التبصير فى التعريف بمنشأ علوم الرجال والاشارة إلى بعض ماامتازوا به فى هذا المجال وقد اتضح بحمد الله تعالى أن منشأ علومهم إنما هو العمل بالكتاب والسنة بأحكام الشروط الاسلامية والوفاء بالربوط الايمانية حتى ينقدح لهم فى بواطنهم من سواطع الأنوار الربانية مايكشف لهم باذن الله عن مخبآت أسرار الشريعة المطهرة وخفيات أنوار الحقائق العرفانية فالعالم بعلم الباطن هو من أخذ حظاً من علوم الدراسة فأفاده علم الدراسة العمل بالعلم وأفاده العمل علم الباطن فصار مشاركا للعلماء فى علومهم وتميز عنهم بعلوم زائدة هى علوم الباطن وتسمى أيضاً علوم الوراثة أخذا من بعض الخبر من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم إنما أفادهم العمل بما علموا علم مالم يعلموا لأحكامهم أساس التقوى دون غيرهم وقد قال الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله قال الشيخ محيي الدين أى مالم تكونوا تعلمون بالوسائط من العلوم الالهية ولذلك أضاف سبحانه التعليم إلى اسم الله الذى هو دال على الذات وجامع للأفعال والأسماء والصفات اه فأحكام أساس التقوى هو السلم الذى يرتقى به إلى إدراك العلوم الكبار ويشرف منه على فهم دقائق الأسرار . قال فى الحكم العطائية كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة فى مرآته أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل فى شهواته أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله تعالى وهو لم يتطهر من جنابات غفلاته أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته اه يريد أن فهم دقائق الأسرار لايكون إلا بتحقيق مقام التوبة ولا يتحقق مقام التوبة إلا بأحكام أساس التقوى فى الظاهر والباطن والسر والنجوى فأهل الطريق رضى الله عنهم أحكموا أساس التقوى فتعلموا العلم لله وعملوا بما علموا لموضع تقواهم فرزقهم الله علم مالم يعلموا من غرائب العلوم ودقائق الاشارات ورقائق الفهوم فاستنبطوا من كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم غرائب الأمور وعجائب الأسرار فرسخت أقدامهم فى العلم فهم العلماء الراسخون رضى الله عنهم وأرضاهم وأنالنا بمحض فضله وكرمه مما خصهم به وأولاهم آمين قال الشيخ أبو بكر الواسطى رحمه الله تعالى الراسخون فى العلم هم الذين رسخوا بأرواحهم فى غيب الغيب وفى سر السر فعرفهم الحق سبحانه وتعالى ماعرفهم وأراد منهم من مقتضى الآيات مالم يرده من غيرهم فخاضوا بحر العلم بالفهم لطلب الزيادات فانكشف لهم من معانى الخزائن والمخزون ماتحت كل حرف وآية فاستخرجوا الدرر

استند إليه ساقه من جلبه ليرده عليه وهل هذا الاستهزاء بجناب العلم الكريم ضمه إلى ماانطوى عليه من الاستخفاف بأولياء الله العظيم ولئن لم يتب هذا المفتون من سوء وزره لتغارت عليه قدرة من يملك زمام أمره فقد قال صلى الله عليه وسلم أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس جلود الكباش ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الحنظل إياى يخادعون أم على يجترئون فبعزتى حلفت لأتيحن لهم فتنة تدع الحليم منهم حيران وينحصر هذا المجموع فى سبعة أبواب هى أصول وفى كل باب منها ثلاثة فصول مقدمة هى كالتمهيد وفصل هو الأصل المبوب له وخاتمة هى كالتحصيل له والتكملة

﴿الباب الأول﴾ فى حقيقة الولى وشروطه بوجه ظاهر جلى ليعلم ان هذا الشيخ الأجل من أولياء الله الكمل ﴿الباب الثانى﴾ فى ذكر حقيقة البدعة وماتشتمل عليه ليعلم أن مقامه الشريف أرفع من أن تنسب إليه ﴿الباب الثالث﴾ فى التحذير من الانكار على أولياء الله الأخيار ليتحفظ الحازم ويأخذ حذره من الوقوع فى جنابهم بالتنقيص والغض وينتهى عنهم من كتب الله سعادته بالتوبة عما سلف له من



عض ويعلم المنصف الموفق أن هذا المنكر المفتون قد اقتحم الانكار عليهم قبل

فى تحرير القول فى صحة جواز رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة مع ذكر بعض من اتفقت له من السادات المتيقظة بنصوص صريحة شهيرة لا تقبل التأويل برؤية البصيرة كما حصرها هذا المنكر فيها وأحال غيرها فى زعماته القاصرة القصيرة

﴿الباب الخامس﴾ فى الرد على أباطيل هذا المنكر وزعماته وما سود به صحيفة أعماله ووجوه ورقاته

﴿الباب السادس﴾ فى اتحاد المشايخ وشروط المريد ومن له فى المشيخة قدم راسخ

﴿الباب السابع﴾ فى حقيقة هذا الورد التجانى وما اشتمل عليه من الشروط والمعانى وبه تكمل أبواب الكتاب السبعة جادعة لأنف كل ضلالة وبدعة وسميته (الجيش الكفيل بأخذ الثار ممن سل على الشيخ التجانى سيف الانكار) والله تعالى أسأل جزيل الأجر وجميل المغنم وأن يسدّ عنى بكل باب من أبوابه بابا من أبواب جهنم وأن يجعل سعينا فيه مشكورا وذنبنا بسببه مغفوراً ويجعله بعين الرعاية والقبول منظوراً فهو القائل وما كان عطاء ربك محظورا وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والناظر فيه إما جاهل يتحامل أو جاحد يعرف الحق ويتجاهل ولا كلام مع واحد أمنهما ومنصف فعلية أن لا يقبل شيئا منه الا بشاهد عدل من كتاب من كتب علماء المسلمين وسيقف عليه حجابك

والجواهر ونطقوا بالحكمة اه وقال يحيي بن معاذ رحمه الله تعالى التقى أحمد بن حنبل وأحمد ابن أبى الحوارى فقال ابن حنبل لابن أبى الحوارى يا أحمد حدثنا بحكاية سمعتها من أستاذك أبى سليمان فقال ابن أبى الحوارى لابن حنبل يا أحمد قل سبحان الله بلا عجب فقال ابن حنبل سبحان الله وطولها فقال ابن أبى الحوارى سمعت أبا سليمان يقول إذا عقدت النفوس على ترك الآثام جالت فى الملكوت وعادت إلى ذلك العبد بطرائف الحكمة من غير أن يؤدى اليها عالم علما فقام ابن حنبل ثلاثا وجلس ثلاثا وقال ما سمعت فى الاسلام بحكاية أعجب إلى من هذه ثم ذكر الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ثم قال لابن أبى الحوارى صدقت يا أحمد وصدق شيخك اه فعلم أن العلوم التى امتاز بها أهل الله تعالى عمن عداهم إنما هى كما قاله الشيخ أبو عبد الله القرشي أسرار يبديها الحق تبارك وتعالى إلى أمناء الأولياء وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة ولم يطلع عليها إلا الخواص اه. وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله تعالى للعارفين خزائن أودعوها علوما غريبة وأنباء عجيبة يتكلمون فيها بلسان الأبدية ويخبرون عنها بعبارة أزلية وهى من العلم المجهول قال فى العوارف وقوله بلسان الأبدية وعبارة أزلية إشارة إلى أنهم ينطقون بالله اه وقوله وهى من العلم المجهول أراد به العلم الذى لا يهتدى إلى فهمه والاطلاع عليه إلا العلماء بالله تعالى وهو المشار اليه فى الحديث الذى رواه ابن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله تعالى فاذا نطقوا به لا ينكره عليهم إلا أهل الغرة بالله اه وممن صرح بأن علم العارفين بالله هو المشار اليه فى هذا الحديث العارف ابن عباد الرندى رضى الله عنه فلا شك أن العارفين بالله تعالى هم المكاشفون بصريح العلم وان علمهم هو العلم اللدنى الذى لا بقاء للجهل معه كما أن طلوع الشمس لا بقاء للظلام معه فهو العلم الصحيح الذى لا يتطرق اليه الفساد بحال لأنه ليس من طريق الفكر قال الشيخ محيي الدين رضى الله عنه علومنا وعلوم أصحابنا ليست من طريق الفكر وإنما هى من الفيض الالهى وذلك لأن علوم الفكر يتطرق اليها الفساد والصحة فهى مظنونة فلا يوثق بما تعطيه قال وأعنى بأصحابنا أصحاب القلوب والمشاهدة لا العباد والزهاد ولا مطاق الصوفية إلا المحققين منهم ولهذا يقال فى علوم النبوة والولاية إنها وراء طور العقل ليس للعقل فيها دخول ولكن له القبول إذا كان سليما لم تغلب عليه شبهة خيالية فكرية يكون من ذلك فساد نظر اه فاذن اسم الفقيه أولى بهذه الطائفة من غيرهم فانهم هم الذين يدعون إلى الله على بصيرة. قال الشيخ محيي الدين عقب كلام له فى هذا المعنى وقال فى العوارف عقب كلام فى المعنى أيضا وهذا العلم يعنى علم العارفين بالله تعالى هو الفقه فى الدين وقد قال تعالى « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم » فصار الانذار مستفاداً من الفقه فى الدين والانذار هو إحياء المنذر بماء العلم فالاحياء بالعلم رتبة الفقه فى الدين فصار الفقه فى الدين من أكمل المراتب وأعلاها ومن هنا اختص علماء الباطن بالدلالة على الله والهداية الى الطريق الموصلة اليه سبحانه وتعالى دون غيرهم. وذكر فى اليواقيت والجواهر أن مما اختص به علماء الباطن عن غيرهم علمهم بالطريق الموصلة الى العمل بالكتاب والسنة قال فاذا قلت لهم مقصودى أن أزهد فى الدنيا بحيث لا يبقى عندى ميل عادى اليها مثلا يقولون لك أكثر من ذكر الله تعالى ليلا ونهاراً حتى يرق

منسوبا إلى أبيه الذى نقل منه فليبحث عنه فيه فان وجده فعليه أن يبرئنى من عهدته ثم ان قبله فذاك وإلا فقد

حجابك فتدرك الآخرة بعين بصيرتك وتنظر ما لمن يزهد فى الدنيا من الدرجات والنعيم فاذا رأيت ذلك زهدت لامحالة فى الدنيا ولو قال لك جمهور الناس ارغب فى الدنيا لاتصغى إليهم قال ولو أنك قلت ذلك لعالم أى بعلم الظاهر فقط لقال لك ان الله أمرك أن تزهد فازهد ولا يهتدى إلى الطريق الموصلة إلى ذلك فحكمه حكم طبيب يحفظ كتاباً فى الطب ولا يعرف كيفية علاج المرض اه ومما اختص به علماء الباطن أيضاً عمن سواهم معرفتهم بأمراض القلوب على كثرتها واختلاف أنواعها باختلاف مراتب النفس ومعرفتهم بأدويتها جملة وتفصيلا ومن ذلك أيضاً معرفتهم بآداب حضرات الحق جل وعلا فى بساط التكاليف الشرعية فى جميع مقامات الدين فان لكل مقام منها آدابا تخصه لا يعرف الطريق الموصلة إلى العمل بتلك الآداب إلا علماء الباطن قال الشيخ العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى طبقاته وكان سيدى على ابن سيدى محمد وفا يقول من المتفقهين تستفيد دعوى العلم بأحكام الدين ومن العلماء العاملين تستفيد العمل بأحكام الدين فانظر أى الفائدتين أقرب قربى عند رب العالمين فاستمسك بها وإذا قال لك المتفقهون ماذا استفدت من الصوفية الصادقين فقل لهم استفدت منهم حسن العمل بما استفدته منكم من أقوال أحكام الدين اه منها فى ترجمة الشيخ سيدى على المذكور رضى الله عنه وكما اختص علماء الباطن بمعرفة الطريق الموصلة إلى الأعمال الشرعية الظاهرة والباطنة فى بساط المعاملات فكذلك اختصوا أيضاً بما لم يشاركهم فيه غيرهم من علوم المعارف الالهية والحقائق الفردانية فى بساط المكاشفات وحظوات المشاهدات لأنهم حصلوا على علم التوحيد الخاص بالكمل من الخواص من طريق الكشف الحقانى والشهود العيانى وهذا العلم هو الذى تقدم لنا أنه يسمى علم المكاشفة لأن صاحبه يكاشف من المعرفة بالله تعالى وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا بما لاتدركه العقول ولا يأتى عليه المقول وهو أعلى الدرجات فى التوحيد لأنه إما تقليدى وهو توحيد العوام وإما نظرى وهو توحيد أهل النظر من علماء الظاهر القاصرين عن مرتبة أهل الأذواق العرفانية واما كشفى شهودى وهو توحيد العارفين بالله تعالى وهذا العلم حسبما تقدم هو النوع الثانى من نوعى علم الباطن وهو نتيجة العمل بالنوع الأول الذى هو علم المعاملات فى الظاهر والباطن كما أن علم المعاملات نتيجة علم الظاهر فقد اتضح لك بحمد الله تعالى منشأ علوم أهل الكمال وعثرت على بعض مايشير إلى ما امتازوا به من أسرار الأذواق على طريق الاجمال ﴿ تنبيه ﴾ ما تقدم لنا من أن العالم بعلم الباطن هو العالم العامل بعلمه الخ ربما تبادر منه أن شرط الاتصاف بعلم الباطن تقدم التغلغل فى علم الظاهر والاحاطة بعلوم الشريعة وليس ذلك بمراد وإنما المراد تقدم ما تقوم به فروض الأعيان أى ما يحتاج إليه من علوم الشريعة من كل ما يتوقف المريد عليه فى سلوكه إذ كثير من العلوم الظاهرة لا مدخل لها فى السير والسلوك وإلا لزم الحط من مرتبة كثير من فحول الطريقة فقد كان كثير منهم غير متضلعين بعلوم الشريعة والظاهر أنه انما تشترط الاحاطة بعلوم الشريعة فى الكمل من الأولياء كالأقطاب ونحوهم اه باختصار من الجيش ناقلا له عن المناوى فراجعه ان شئت . وقد نقل الشعرانى عن سيدى على الخواص رضى الله عنهما فى الطبقات وغيرها فى هذا الباب ما يشنف الاسماع ويقع به الامتاع وملخصه أن الكامل من الرجال يحيط من طريق كشفه الحقيقى بأحكام الشريعة كلها أصولها وفروعها ومنطوقها

أحلته فى المباحثة عليه ﴿ الباب الأول فى حقيقة الولى وشروطه بوجه ظاهر جلى ﴾ مقدمة قال الشيخ سيدى محمد بن الشيخ سيدى المختار الكنتى رحمه الله فى كتاب الطرائف والتلائد اعلم أن الله تعالى خلق الادراكات الحسية بعد خلق الروح نشأة أخرى ثم خلق التميز الذى يظهر بعد سبع سنين نشأة أخرى ثم خلق العقل بعد خمس عشرة سنة وما يقاربها نشأة أخرى وكل نشأة طور قال الله تعالى وقد خلقكم أطوارا ثم ظهور خاصية الولاية لمن سبقت له العناية نشأة أخرى ثم خاصية النبوة والرسالة لمن أيد بالهداية والولاية نشأة أخرى فكما أنه يعسر على من فى المهد فهم حقيقة التميز قبل حصوله ويعسر على المميز فهم حقيقة العقل وما ينكشف فى ظهوره من العجائب قبل حصول العقل كذلك يعسر فهم طور الولاية والنبوة فى طور العقل فان الولاية طور كمال وراء نشأة العقل كما أن العقل طور كمال وراء نشأة التميز والتميز طور كمال وراء نشأة الحواس وكان من طبع الناس إنكار مالم يبلغوه ومالم ينالوه حتى ان كل واحد منهم ينكر مالم يشاهد ولا يؤمر بما غاب عنه فكان من طباعهم انكار الولاية وعجائبها والنبوة وغرائبها فلو عرض طور العقل وعالمه وما يظهر فيه من العجائب على المميز لأنكره وجحده وأحال وجوده

فمن يؤمر بشىء لم يبلغه فقد أمر بالغيب وذلك هو مفتاح السعادات ومعراج الولايات كما قالوا الايمان بطريقتنا هذه ولاية أى لأن الايمان بالفتح

ومفهومها وناسخها ومنسوخها وسائر أحكامها وعللها ووجوه استنباطاتها وغير ذلك مما يتعلق بها حتى لو فرض اندثار دواوينها جملة وتفصيلا لأملاها من صدره بحيث لايترك مسئلة منها اه والظاهر أن المراد بهذا الكامل الموصوف بهذه الخصوصية القطب الكبير لاغيره لأنه هو الذى يفاض عليه سر القرآن العظيم قال سيدنا أبو العباس التجانى رضى الله عنه سر القرآن لا يعلمه الا القطب الكبير وان كان لايحفظ القرآن فسره ٣ يعلمه يفاض عليه بخلاف الحفظ فانه لايفاض عليه ولابد أن يقرأه كما تقرأه العامة اه الغرض من كلامه هنا رضى الله عنه وقد صرح رضى الله عنه فى بعض أجوبته حسبما فى جواهر المعانى بأنه لايحيط بمعرفة أحكام الشريعة وجميع العلوم التى يحتاج اليها الناس الا الفرد الجامع لأنه هو الحامل للشريعة فى كل عصر ولو كان أميا لم تسبق له قراءة اه ﴿ تذييل ﴾ يكون لما أوردناه فى هذا المطلب كالتتمة والتحصيل بهذا الذى تقرر فى هذا المطلب من بيان منشأ علوم أهل الله تعالى رضى الله عنهم وأرضاهم يتحقق المنصف المشفق على نفسه من النار وعلى دينه من اللحاق فيه باهل البوار أن جميعهم على هدى من الله تعالى وعلى بينة منه سبحانه فى جميع ما يأتون ومايذرون لايخرجون عن الشريعة المطهرة فيما يسرون به ولا فيما يجهرون وأنهم كما قال فى اليواقيت والجواهر كالأئمة المجتهدين لاينبغى لأحد أن ينكر عليهم كلامهم الا بعد أن يدخل طريقهم ويعرف مصطلحهم وأن جميع من شطح منهم عن ظاهر الشريعة انما هو دخيل فيهم أو غلب عليه حال أو كان مبتدئا فى الطريق وأما الكاملون فطريقهم محررة على الآداب تحرير الذهب اذهم حماة الدين وأنصاره رضى الله عنهم اه الغرض من كلامه فى هذا المحل وقال فى محل آخر من هذا الكتاب أيضا سبب انكار بعض الناس على أهل الطريق انما هو دقة مداركهم ولو أن المنكر لزم الأدب لسلم للقوم كل ماخالف فهمه مما لم يعارض كتابا ولا سنة ولا إجماعا اه قلت ولاسبيل له الى معرفة مالم يعارض الكتاب والسنة والاجماع الا بالاحاطة بأقوال جميع المجتهدين ومعرفة سائر منازعهم وقواعدهم التى أسسوا عليها مذاهبهم وأنى لهؤلاء المتهورين عفا الله عنا وعنهم ذلك وكيف لهم الوصول الى ماهنالك فحسبهم لو كانوا يفقهون التصديق بما أدركوه والتسليم لمالا يفهمون وانظر الذهب الابريز فيما يتعلق بهذا الباب فقد أجاد مؤلفه فيه بمالايحيد عن قبوله الا حائد عن الصواب متنكب نهج أولى الألباب وربما ألممنا ببعض ذلك ان شاء الله تعالى أثناء هذا الكتاب وقال الشعرانى أيضا فى الكتاب المذكور بمحل آخر أيضا ناقلا عن الشيخ محيي الدين رضى الله عنه أنه قال لايخفى أن أصل الانكار من الاعداء المبطلين انما ينشأ عن الحسب ولو أن المنكرين تركوا الحسد وسلكوا طريق أهل الله تعالى لم يظهر منهم انكار وازدادوا علما الى علمهم ولكن هكذا كان الأمر فلا حول ولاقوة الا بالله العلى العظيم قال ثم قال يعنى الشيخ محيي الدين وأشد الناس عداوة لأصحاب علوم الوهب الالهى فى كل زمن أهل الجدال بلا أدب فيهم لهم من أشد المنكرين قال ولما علم العارفون منهم ذلك عدلوا الى الاشارة كما عدلت مريم الى الاشارة فلكل آية أو حديث عندهم وجهان وجه يرونه فى نفوسهم ووجه يرونه فيما خرج عنهم قال سبحانه وتعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم فيسمون مايرونه فى أنفسهم اشارة ليأنس المنكرون عليهم ولايقولوا ان ذلك تفسير لتلك الآية أو الحديث وقاية لشرهم ورميهم لهم بالكفر جهلا من الرامين بمواقع خطاب الحق سبحانه وتعالى واقتدوا فى ذلك بسنن من قبلهم والحق سبحانه

الزوائد والامداد يتجلى عليه طورا باسمه الظاهر فيظهر بمعانى الخصوصية وطورا باسمه الباطن فيبطن تحت جلابيب البشرية فيتخرق ذلك الحجاب لعين الصادق المبصر ويقف دون ذلك الجلباب قدم الأعمى المنكر فيقول ماهذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون وقال أيضا الأولياء كثيرون لا ينقص عددهم ولا يفيض مددهم ولو نقص واحد منهم لنقص نور النبوة الا أن معرفتهم صعبة فلا يراهم الا من رآهم بعين مددهم اذ الضدية حجاب كثيف انتهى بحذف واختصار. وقال ابن عباد وفى بعض الاشارات عنه سبحانه أوليائى تحت قبائى لايعرفهم أحد غيرى وهذا من غيرته عليهم لان الحق تعالى أغير على أوليائه من أن يظهرهم الى من لايعرفهم فلم يجعل لأحد عليهم دليلا الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من أراد أن يوصله اليه لأنه يلبسهم لباس التلبيس بين الأنام ويظهرهم بما يحقرهم فى أعين الخواص والعوام فأنى يكون لأحد دليل عليهم أو وصول بسبب اليهم قال فى لطائف المنن فاولياء الله تعالى أهل كهف الايواء فقليل من يعرفهم قال واذا أراد الله أن يعرفك بولى من أوليائه طوى عنك وجود بشريته وأشهدك وجود خصوصيته الى أن قال قال أبو يزيد رضى الله عنه أولياء الله عرائس ولايرى العرائس الامن كان محرما وأما غيرهم فلا وهم محذورون

عنده فى مجالى الأنس لا يراهم أحد فى الدنيا ولا فى الآخرة انتهى ﴿ فصل ﴾ (١٣) وأما حقيقة الولى فهو العارف بالله تعالى وتعالى كان قادراً أن ينص ما تأوله أهل الله وغيرهم فى كتابه كآيات المتشابهات والحروف أوائل السور ومع ذلك فما فعل سبحانه وتعالى بل أدرج فى تلك الكلمات الالهية والحروف علوما اختصاصية لا يعلمها إلا عباده الخلص ولو أن المنكرين كانوا ينصفون لاعتبروا فى أنفسهم إذا رأوا الآية بالعين الظاهرة التى يسلمونها فيما بينهم فيرون أنهم يتفاضلون فى ذلك ويعلمون المزية لبعضهم على بعض فى الكلام والفهم فى معنى تلك الآية ويقر القاصر منهم بفضل غير القاصر عليه وكلهم فى مجرى واحد ومع هذا التفاضل المشهور فيما بينهم ينكرون على أهل الله إذا جاءوا بشىء يغمض عن إدراكهم قال وكل ذلك لكونهم لا يعتقدون فى أهل الله أنهم يعلمون الشريعة وإنما ينسبونهم إلى الجهل والعامية لا سيما إن لم يقرؤا على أحد من علماء الظاهر وكثيرا ما يقولون من أين أتى هؤلاء العلم لاعتقادهم أن أحدا لا ينال علما إلا على يد معلم وصدقوا فى ذلك فان القوم لما عملوا بما علموا أعطاهم الله تعالى علما من لدنه بأعلام ربانى أنزله فى قلوبهم مطابقا لما جاءت به الشريعة لا يخرج عنها ذرة قال تبارك وتعالى خلق الانسان علمه البيان وقال علم الانسان ما لم يعلم وقال فى عبده خضر وعلمناه من لدنا علما وصدق المنكرون فى قولهم إن العلم لا يكون إلا بواسطة معلم وأخطؤا فى اعتقادهم ان الله تعالى لا يعلم من ليس بنبي ولا رسول قال تعالى يؤتى الحكمة من يشاء والحكمة هى العلم وجاء بمن وهى نكرة ولكن هؤلاء المنكرون لما آثروا الدنيا على الآخرة وعلى ما يقرب إلى الله وتعودوا أخذ العلم من الكتب ومن أفواه الرجال حجبهم ذلك عن أن يعلموا أن لله تعالى عبادا تولى تعليمهم فى سرائرهم إذ هو سبحانه المعلم الحقيقي للوجود كله وعلمه هو العلم الصحيح الذى لا يشك مؤمن ولا غير مؤمن فى كماله ثم قال بعد كلام فعلم أن من كان معلمه الله كان أحق بالاتباع لمن كان معلمه فكره ولكن أين الانصاف ثم قال بعد كلام وأين تكذيب هؤلاء المنكرين لأهل الله تعالى فى دعواهم العلم من قول مولانا على بن أبى طالب رضى الله عنه لو تكلمت لكم فى تفسير سورة الفاتحة لحملت لكم منها سبعين وقرا فهل ذلك إلا من العلم اللدنى الذى آتاه الله تعالى من طريق الالهام إذ الفكر لا يصل إلى ذلك قال وقد كان الشيخ أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه يقول لعلماء زمانه أخذتم علمكم ميتا من ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت وكان الشيخ أبو مدين رضى الله عنه يقول لأصحابه إذا سمع أحداً منهم يقول أخبرنى فلان لا تطعمونا القديد يريد بذلك رفع همة أصحابه يريد لا تحدثوا إلا بفتوحكم الجديد الذى فتح الله تعالى به على قلوبكم فى كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الواهب للعلم الالهى حى لا يموت ليس له محل فى كل عصر إلا قلوب الرجال فتلخص من هذا كله أن علوم أهل الله تعالى مراتب ربانية ومنائح حقانية استنزلها صفاء السرائر وخلوص الضمائر فاستعصت بكنهها على الاشارة وطفحت على العبارة اه وإنما استعصت على الاشارة لأنها أمور شهودية ذوقية وما كان كذلك لا يستعمل فيه إلا الاشارة لأن العبارة لا تزيده إلا غموضا قال الشيخ على الروذبارى علمنا هذا إشارة فاذا صار عبارة خفى اه ومن هنا احتاج أهل الله تعالى إلى وضع الاشارات المصطلح عليها فيما بينهم فيتكلمون بها عند حضور الغير وفى تآليفهم ومصنفاتهم لا غير ولم يضعوها لأنفسهم لأنهم يعرفون الحق الصريح فى ذلك والحامل لهم على وضعها الشفقة على الدخيل بينهم خشية أن يسمع منهم أو يرى فى تآليفهم شيئا لا يصل إليه فهمه فينكره فيعاقب بحرمان علمه فلا يعلمه بعد والعياذ بالله تعالى اه

وصفاته المواظب على الطاعات المجتنب للمعاصى المعرض عن اللذات والشهوات قاله فى فرائد الفوائد قال وقال الزياتى الولاية على قسمين صغرى وكبرى فالصغرى أن يتولى الله سبحانه عبده بالعكوف على طاعته ومنابذة أسباب سخطه وامتثال المأمورات واجتناب المنهيات ومجاهدة ضبط الحواس ومحاولة مراعاة الأنفاس والكبرى أن يتولى الله عبده بأن يمحو من قلبه كل ما سواه ويجمعه عليه بحيث لا يرى إلا إياه فلو حاول الالتفات لغيره لم يجد إلى ذلك سبيلا بل لا يتصور ذلك فى حقه لأن الالتفات لشىء فرع الشعور به ولا شعور له بغير مطلوبه ومرغوبه فاهل الولاية الكبرى يحصل هذا لجميعهم إن شاء الله تعالى وأهل الولاية الصغرى قد يحصل ذلك لبعضهم لا لجميعهم انتهى . وقال القشيرى فى رسالته للولى معنيان أحدهما فعيل بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول فعلى هذا هو من يتولى الله سبحانه أمره قال تعالى وهو يتولى الصالحين فلا يكله إلى نفسه طرفة عين بل يتولى الحق سبحانه رعايته والثانى فعيل مبالغة من الفاعل وهو الذى يتولى عبادته فطاعته تجرى على التوالى من غير أن يتخللها عصيان وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولى وليا يجب قيامه بحقوق الله على الاستقصاء والاستيفاء ودوام حفظ الله اياه فى السراء والضراء وقال الشيخ سيدى محمد بن الشيخ سيدى

المختار الكنتى فى الطرائف والتلائد أصل الولى من الموالاة وله معنى يعم كل مؤمن وآخر يختص بمن أخلص لله فولاه أمره وأخص منه من

خفايا الملك والملكوت وهى مرتبة جليلة قال وله مراتب إلا أنه لا يشترط أن تكون له كرامة وهى تدل على صدق صاحبها أو فضيلته لا على أفضليته ولا تجوز له مسا كنتهما ولا ملاحظتهما فضلا عن الاغترار بهما اه وقال الشيخ سيدى أحمد زروق فى شرحه السابع عشر على الحكم بعد كلام فهى يعنى الكرامة تدل على اختصاص صاحبها الاعلى استقامته فيتعين تعظيمه واحترامه لا تقديمه واتباعه إلا أن يظهر عليه كمال الاستقامة وهى الاستواء فى الحق ظاهرا وباطنا على منهج السداد بلا علة فهى إذا توبة بلا إصرار وعمل بلا فتور واخلاص بلا التفات ويقين بلا تردد واستسلام بلا منازعة وتفويض بلا تدبير وتوكل بلا وهن ملازمها واصل قطعا وهى الكرامة الحقيقية لا غيرها انتهى وسيأتى الكلام على الكرامة فى الباب الرابع إن شاء الله * وأما شروطه فان يكون عارفا بأصول الدين حتى يفرق بين الخلق والخالق وبين النبى والمدعى وأن يتخلق بالاخلاق المحمودة التى يدل عليها الشارع كالورع وامتثال الأوامر والعقل وما تثمره المعرفة كعدم تعلق قلبه بما سوى الله تعالى خوفا وطمعا لعلمه حدوث العالم وأنه فى قبضته تعالى وكاخلاص العمل لعلمه الوحدانية إذ الربوبية لا تحتمل الشركة فى شىء واذا علم أن القدر سابق بما هو كائن لم يخف فوت شىء مما قدره له ولم يرج نيل شىء مما لم يقدر له وهذا هو المعبر عنه بالرضى ويرفق بالخلق ويصفح عنهم عند اذايتهم له لعلمه أنهم لا يستطيعون فى

نقله فى اليواقيت عن الشيخ محيى الدين رضى الله عنه قال ومن أعجب الأشياء فى هذه الطريق ولا يوجد إلا فيها أنه ما من طائفة تحمل علما من المنطقيين والنحاة وأهل الهندسة والحساب والمتكلمين إلا ولهم اصطلاح لا يعلمه الدخيل فيهم إلا بتوقيف من الشيخ أو من أهل هذا الفن لا بد من ذلك إلا أهل هذه الطريقة خاصة فان المريد الصادق إذا دخل طريقهم وما عنده خبر بما اصطلحوا عليه وجلس معهم وسمع منهم ما يتكلمون به من الاشارات فهم جميع ما يتكلمون به حتى كأنه الواضع لذلك الاصطلاح ويشاركهم فى ذلك ولا يستغرب ذلك من نفسه بل يجده علما ضروريا لا يقدر على دفعه فكأنه لا يزال يعلمه ولا يدرى كيف حصل له هذا شأن المريد الصادق وأما غيره فلا يعرف ذلك إلا بتوقيف منهم اه قلت وذلك لأن المريد الصادق لا يرى إلا ما يسره وكل ما أشكل عليه فى طريقه يلهمه الله تعالى فهمه وذلك من ثواب صدقه بخلاف غيره فانه لا يعرف شيئا من ذلك إلا بتوقيف من شيخ مرب أو أخ مرشد لا غير وهذا لا يجوز له الخوض فى علم الطريق حتى يعرف ما اصطلحوا عليه أى ما اصطلح عليه أهل الطريق فيما يتكلمون به من الاشارات فى تأليفهم قال بعض الشيوخ من لم يعرف ما اصطلحنا عليه لا يجوز له الخوض فى طريقنا اه ومن هنا كان الاستاذ القشيرى رضى الله عنه يقول نهوا المريد أن يطالع فى شىء من كتب القوم من غير قراءة على شيخ أو أخ عارف بما اصطلحوا عليه اه وكان بعض العارفين يقول نحن قوم يحرم النظر فى كتبنا على من لم يكن من أهل طريقتنا وكذلك لا يجوز أن ينقل كلامنا إلا لمن يؤمن به فمن نقله لمن لا يؤمن به دخل هو والمنقول إليه جهنم الانكار وقد صرخ بذلك أهل الله تعالى على رؤس الاشهاد وقالوا من باح بالسر استحق القتل اه فان قيل هلا طوى العلماء من أهل الطريق بساط التأليف والتصنيف فى مثل هذه العلوم وأمسكوا عن الخوض فى رقائق الاشارات ودقائق السر المكتوم لأن الكلام فى ذلك ربما أضر بالقاصرين من الفقهاء فضلا عمن عداهم وربما خفيت وجوه المخرج فيه عن بعض النبلاء فضلا عمن سواهم أما كان عندهم من الحكمة والنظر للخلق بعين الشفقة والرحمة ما يمنعهم من الخوض فى ذلك والتقحم لمضايقها تيك المسالك قلنا قد ذكر فى اليواقيت والجواهر عن العارف بالله تعالى سيدى على بن وفا رضى الله عنه أنه قيل له مثل هذا فأجاب بقوله رضى الله عنه يقال لهذا القائل أليس الذى أطلع شمس الظهيرة ونشر ناصع شعاعها مع أضراره بأبصار الخفافيش ونحوها من أصحاب الأمزجة الضعيفة علما حكيما فان قال صحيح ذلك ولكن عارض ذلك مصالح أخر تربو على هذه المفاسد قلنا له وكذلك الجواب عن مسئلتك فكما أن الحق سبحانه وتعالى لم يترك إظهار أنوار شمس الظهر مراعاة لابصار من ضعف بصره فكذلك العارفون لا ينبغى لهم أن يراعوا أفهام هؤلاء المحجوبين عن طريقهم بل الزاهدين فيها بل المنكرين عليها وأطال أعنى العارف بن وفا فى ذلك ثم قال دوّن المجتهدون من التابعين ومن بعدهم ما استنبطوه من الكتاب والسنة ليستعان بها على هوى النفس وحب الرياسة والجاه وكسب الدنيا به والمزاحمة على التقرب من الملوك والأمراء والله ما كان ذلك قصدهم ولكن كان أمر الله قدرا مقدورا ثم قال رضى الله عنه فكما أن المجتهدين لم يمنعوا من تدوين العلم الذى يكتسب الناس به بعض الدنيا بل جعل الشارع لهم أجر نيتهم الصالحة وإن لم يعمل الناس بذلك فكذلك العارفون لهم أجر نيتهم وقصدهم الصالح من نفع المريدين بما وضعوه من الحقائق الكاشفة لمشكلات علم التوحيد وأمراض القلوب ثم قال رضى الله عنه ومن فوائد تدوينهم تلقيح قلوب الناظرين

فى رسائلهم من بعدهم فيظفروا من تلك المعانى بما يرقيهم ويبعث سحائب الرحمة على قلوبهم وعلى ألسنتهم فتشرق أرض قلوبهم بنور رشدهم وتحيا بأثر هدايتهم فنابت عنهم رسائلهم فى نصيح المريدين من بعد موتهم وكان تدوين معارفهم وأسرارهم من أحق الحقوق عليهم لكون غيرهم لا يقوم مقامهم فى تدوين أدوية أمراض القلوب وآداب حضرات الحق تعالى فى جميع الأمور المشروعة فان لكل مقام حضورا وآدابا تخصه اه وانما أرخينا من عنان القلم فى جلب هذه الأنقال هنا تتميما للفائدة المقصودة من هذا المطلب الشريف وتنشيطا لهمم المريدين على التعلق بمركب هذا العلم السنى المنيف اذ لا محالة أنه العلم النافع والنور الذى يقذفه الله تعالى فى قلب من شاء من خواص عباده بلا منازع ولا مدافع قال الامام المحدث الصوفى أبو عبدالله سيدى محمد بن على الترمذى رحمه الله تعالى ورضي عنه العلم النافع هو الذى تمكن فى الصدر وتصور وذلك أن النور اذا أشرق فى القلب وتصورت الأمور حسنها وسيئها وقع بذلك ظل فى الصدر فهو صورة الأمور فيأتى حسنها ويجتنب سيئها فذلك العلم النافع فمن نور القلب خرجت تلك العلامات الى الصدر وهى علامات الهدى والعلم الذى تتعلمه علم اللسان انما هو شىء قد استودع الحفظ والشهوة غالبة عليه قد حاطت به وأذهبت بظلمتها ضوءه اه وهذا العلم أعنى العلم النافع هو المراد فى قول امام الأئمة مالك بن أنس رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الروايات وانما هو نور يقذفه الله فى القلوب اه قال سيدى أبو عبدالله بن عباد رحمه الله تعالى ورضى عنه ومنفعة العلم أن يقرب العبد من ربه وأن يبعده عن رؤية نفسه وذلك غاية سعادته ومنتهى طلبه وارادته اه وقد نقل رحمه الله تعالى فى حقيقة العلم النافع عن الامام الجنيد رضى الله عنه عبارة وجيزة سنية جامعة لما دار عليه مقصد علوم الصوفية وهو معرفة الله تعالى وحسن الأدب بين يديه سبحانه وتعالى فقال قال الجنيد رحمه الله تعالى العلم أن تعرف ربك ولا تعدو قدرك اه ثم قال رحمه الله وهذه العلوم هى العلوم التى ينبغى للانسان أن يستغرق فيها عمره الطويل ولا يقنع منها بالكثير ولا بالقليل قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه من لم يتغلغل فى هذه العلوم يعنى علوم أهل الله تعالى مات مصرا على الكبائر وهو لا يعلم اه قال سيدى محمد بن عباد رحمه الله تعالى وما سوى هذه العلوم قد لا يحتاج اليها وربما أضر بصاحبها مداومته عليها وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم لا ينفع اه وقال الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى مشيرا الى بيان منفعة العلم ما نصه العلم علمان علم لا يحتاج منه الا مثل ما يحتاج اليه من القوت فينبغى الاقتصاد فيه والاقتصار على قدر الحاجة وهو علم الأحكام الشرعية لا ينظر منه إلا قدر ما تمس الحاجة اليه فى الوقت فان تعلق ذلك انما هو الأفعال الواقعة فى الدنيا فلا تأخذ منه الا قدر عملك وعلم لا حد له يوقف عنده وهو العلم المتعلق بالله تعالى وبمواطن الآخرة ليستعد العبد لكل موطن بما يليق به اه

﴿ تحذير ﴾ لا يكن هذا الذى جلبناه فى هذا المحل من الانقال الرادعة لأهل الانكار والضلال ذريعة لأكل لحوم الأئمة المهتدين الذين هم حملة الشريعة المطهرة وأعلام السنة والدين فان وبال ذلك والعياذ بالله تعالى عظيم ومرتعه لا محالة وخيم قال الامام أبو القاسم ابن عساكر رحمه الله تعالى ورضى عنه اعلم يا أخى وفقنى الله وإياك لمرضاته وجعلنا جميعا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته ان لحوم العلماء مسمومة وعادة الله تعالى فى هتك أستار منتقصيهم معلومة وان من أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب فليحذر

رساله النصرة ناقلا عن الشيخ يوسف بن محمد الفاسى وابنه أبى العباس رضى الله عنهم لا يشترط فى شيخ الهمة ولا يطلب فيه من علم الظاهر عدا ما تقوم به فروض الاعيان أى ما يحتاج اليه فى خاصة نفسه ويحتاج المريد اليه فى سلوكه اذ كثير من العلوم الظاهرة لا مدخل لها فى السير والسلوك والا لزم الحط من مرتبة كثير من فحول الطريقة وأعلام الوجود فقد كان كثير منهم غير متضلعين بعلوم الشريعة وأما العلم الباطن فالمطلوب منه فيه التبحر التام اذ هو المقصود بالذات منه لتسليك المريد وتعليمه علم الطريقة والحقيقة فيكون عنده علم تام بالله وصفاته وأسمائه وما يتبع ذلك ويتعلق به من الأحكام والحكم وعلم بآفات الطريق ومكائد النفس والشيطان وطريق المواجيد وتحقيق المقامات قد حصل له ذلك على سبيل الذوق والوجدان وحصلت له مع ذلك قوة وتمكن من رفع الموانع وقطع العلائق الظاهرة والباطنة وبصيرة نافذة يعرف بها قابلية أصحابه واستعدادهم ليحمل كل واحد على شاكلة قابليته واستعداده قال ومعنى الجمع بين الشريعة والحقيقة أن يكون قد أشرق باطنه بانوار اليقين قائما بشعائر الدين أى مجذوبا سالكا لا أن معناه التغلغل فى علم الظاهر انتهى ثم قال والظاهر أنه انما تشترط

الاحاطة بعلوم الشريعة كلها فى الكمل من الاولياء كالاقطاب ونحوهم كما هو صريح ما نقلناه عن الشعرانى انتهى بحذف وتقديم

الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم اه بنقل العلامة الخطاب رحمه الله تعالى في أول شرحه لمختصر الشيخ خليل رحمه الله تعالى ورضي عنه آمين ومن الأمثال في هذا المعنى قول الشاعر

لحوم أهل العلم مسمومة * ومن يعاديهم سريع العطب

وليكن هذا القدر فيما أردنا في هذا المطلب ايراده مما ينتفع به إن شاء الله تعالى كل محب راغب في طريق الارادة وأعوذ بالله تعالى أن ادعي فيما أتيت به من هذه النقول اشرافا على شيء من أذواق أصحابها الأكابر الفحول وانما هو شيء أوردته على حسب ما تعلقته ليكون لي ولمن وافقني في تعلقه تذكرة وتبصرة في الغرض الذي قصدته والمرمى الذي انتحيته وجلت علوم أهل الله تعالى أن يتصرف فيها ببضاعة العقل وخصوصا في زمن انطمست فيه معالم الخير واندرست فيه مراسم الفضل واستولت على أهله إلا من عصمه الله بفضله عوارض الهوى فارتكسوا في أودية الضلال والجهل قفي واسمعي واياك أعني ياجاره وليس الى غير نفسي يساق حديث هذه الاشارة وقديما قال الاستاذ السهروردي رضي الله عنه بعد أن تكلم في بيان شرف علم الطريق وشفوف مرتبته وعلو قدره ومنزلته ما نصه وقد اندثر كثير من علومهم كما انطمس الكثير من حقائق رسومهم ثم قال وقال الجنيد رضي الله عنه علمنا هذا مطوي بساطه منذ كذا سنة ونحن الآن نتكلم في حواشيه اه ثم قال هذا القول من الجنيد في وقته مع قرب العهد من علماء السلف وصالحي التابعين فكيف لنا ذلك مع بعد العهد وقلة العلماء الزاهدين والعارفين بحقائق الدين اه وأقول هذا من الأستاذ السهروردي في زمانه الصالح المستضاء فيه بغرر أمثاله القادة الأعيان فاني لنا ذلك ونحن في آخر ذنب الأزمان مع ما غلب من استيلاء الغفلة واستحواذ الشيطان وتراكم ظلم الغواية والخذلان اللهم انا نسألك العافية الكاملة الدائمة الشاملة بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يارب العالمين ﴿ المطلب الثاني ﴾ في بعض ما يشير إلى حقيقة الأدب على جهة الاجمال وبيان منشئه ومكانته من طريق أهل الكمال لما كانت هذه الطريقة الأحمدية مشتملة من محاسن الآداب على مالا تكاد تحيط به العقود العددية وكان غالب مسائلها التي ينكرها البلداء الأغبياء مبنيا على كمال الأدب وتحقيقه في نظر النبهاء الاذكياء أحببت أن يكون هذا المطلب من جملة ما يتقدم في هذا التقييد أمام جميع مسائله ليكون كالغرة في وجه مقاصده ووسائله فأقول وبالله التوفيق والهداية الى مسالك الايضاح والتحقيق اعلم أن المشايخ الكاملين والعارفين المحققين الواصلين قد اتفقوا على أن الأدب في طريق أهل الله تعالى آكد كل أمر وجماع كل خير وبر ونظامه أنواع الطاعات والاعمال وملاك جميع المقامات والأحوال ونصوا على أن من لازم سلوك سبيله في جميع ذلك وصل واتصل ومن حاد عن نهجه في شيء منه انقطع وانفصل وذلك لأن الطريق كما قيل آداب كلها لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن لزم الأدب يبلغ مبلغ الرجال ومن حرم الادب فهو بعيد من حيث يظن القرب مردود من حيث يرجو القبول اه الى غير هذا مما سنورده ان شاء الله تعالى في هذا الباب من صريح عباراتهم وواضح اشاراتهم فأما ما يشير إلى حقيقة الأدب عند أهل الله تعالى فالأصل الذي اعتمده المشايخ رضوان الله عليهم فيما عبروا به عن حقيقته هو ما في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله أدبني ربي فأحسن تأديبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق الحديث قال في العوارف الأدب تهذيب الظاهر والباطن فاذا تهذب ظاهر العبد

لبادر الناس لانكارهم وقد يكون عند أحدهم علم الاولين والآخرين ولم يطلع عليه أحد من خلق الله لانهم معادن أسراره فربما كان أحدهم أميا لا يكتب ولا يقرأ فيفتح الله عليه من العلوم والحكم ما تعجز عن الاحاطة بأقله عقول العلماء العاملين الذين أفنوا أعمارهم في طلبه وأحرى غيرهم انتهى. ومنهم كما قال اللطي في الذهب الابريز سيدي عبد العزيز الدباغ نفعنا الله به وبأمثاله ومن أراد العجب العجاب من ذلك فلينظر في ذلك الكتاب. وقال القشيري رحمه الله واختلفوا في الولي هل يجوز أن يعلم انه ولي أم لا فمنهم من قال لا يجوز ذلك وقال ان الولي يلاحظ نفسه بعين التصغير فان ظهر عليه شيء من الكرامات خاف أن يكون مكرا وهو يستشعر الخوف دائما لخوف سقوطه مما هو فيه وأن تكون عاقبته بخلاف حاله وهؤلاء يجعلون من شرط الولاية وفاء المآل. ومنهم أبو بكر ابن فورك رحمه الله ومنهم من قال يجوز ذلك وليس من شرط تحقيق الولاية في الحال الوفاء في المآل ثم ان كان ذلك من شرطه أيضا فيجوز أن يكون هذا الولي خص بكرامة من تعريف الحق سبحانه اياه انه مأمون العاقبة اذ القول بجواز كرامة الأولياء واجب وهو وان فارقه خوف العاقبة فما هو عليه من الهيبة والتعظيم والاجلال في الحال أشد وأتم فان اليسير من التعظيم والهيبة أهدى للقلوب من كثير الخوف انتهى وقال الشيخ

وباطنه صار أديبا قال وسميت المأدبة مأدبة لاشتمالها على الأشياء الحسنة فلا يتكامل الأدب فى العبد إلا بتكامل مكارم الأخلاق فيه اه وقال الشيخ محيي الدين رضى الله عنه الأدب جماع الخير وهو ينقسم الى أربعة أقسام فى اصطلاح أهل الله تعالى (القسم الأول) أدب الشريعة وهو الأدب الالهى الذى يتولى الله تعالى تعليمه بالوحى والالهام به أدب الله نبيه صلى الله عليه وسلم وبه أدبنا صلى الله عليه وسلم فهم يعنى الانبياء عليهم الصلاة والسلام المؤدبون والمؤدبون وفى الحديث ان الله أدبنى فاحسن تأديبى (القسم الثانى) أدب الخدمة وهو ما اصطلحت عليه الملوك فى خدمة خدمها و ملك أهل الله هو الله تعالى وقد شرع لنا كيفية الأدب فى خدمته وهو معاملتنا اياه فيما يختص به دون خلقه فهو خصوص فى أدب الشريعة لأن الشريعة جامعة لحق الله تعالى وحق الخلق (القسم الثالث) أدب الحق وهو الادب مع الحق فى اتباعه عند كل من يظهر عنده ويحكم به فترجع اليه وتقبله ولا ترده ولا تحملك الانفة ان كنت ذا كبر فى السن أو المرتبة أن لا تقبل الحق ممن هو أصغر منك سنا أو قدرا وهذا هو الانصاف (القسم الرابع) أدب الحقيقة وهو ترك الادب بعنائك ورد ذلك كله الى الله تعالى اه ﴿قلت﴾ وقوله ترك الادب الخ المراد ترك شهوده لا ترك وجوده كما هو مصطلح الشيخ فى جميع التروك المترجم لها فى كتابه الفتوحات المكية والله تعالى أعلم (ونقل) بعض شراح الرسالة عن بعضهم فى حقيقة أدب أهل الله تعالى أنه ضبط الحواس ومراعاة الانفاس والاشتغال بالتفكر فى مصنوعات الله تعالى اه (ونقل) فى العوارف عن عبدالله بن المبارك أنه قال رضى الله عنه قد أكثر الناس فى الادب ونحن نقول الادب معرفة النفس اه ثم قال أثره هذه اشارة منه رحمه الله تعالى الى أن النفس منبع الجهالات وترك الادب من مخامرة الجهل فاذا عرف العبد النفس صادف نور العرفان على ماورد من عرف نفسه فقد عرف ربه ولهذا النور لا تظهر النفس بجهالة الا ويقمعها بصريح العلم وحينئذ يتأدب اه وفى كلام غير واحد من المشايخ الكبار فى تفسير هذا الخبر مايوضح ماذكره فى العوارف عن سيدنا عبدالله بن المبارك مع مافسره به قال الشيخ محيي الدين النووى رحمه الله تعالى فى فتاويه مامعناه من عرف نفسه بالضعف والافتقار الى الله تعالى والعبودية له عرف ربه بالقوة والربوبية والكمال المطلق والصفات العليا اه وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رحمه الله تعالى فى لطائف المنن سمعت شيخنا أبا العباس المرسى رضى الله عنه يقول فى هذا الحديث تأويلان أحدهما من عرف نفسه بذلها وعجزها وفقرها عرف الله بعزه وقدرته وغناه فتكون معرفة النفس أولا ثم معرفة الله من بعد والثانى من عرف نفسه فقد دل ذلك منه على أنه عرف الله قبل فالاول حال السالكين والثانى حال المجذوبين اه وقال الشيخ أبو طالب المكى رضى الله عنه فى قوت القلوب معناه اذا عرفت صفات نفسك فى معاملة الخلق وأنك تكره الاعتراض عليك فى أفعالك وأن يعاب عليك ماتصنع عرفت منه صفات خالقك وأنه يكره ذلك فارض بقضائه وعامله بما تحب أن تعامل به اه وقول الشيخ أبى طالب هذا فى كتابه القوت الذى هو مدونة الصوفية أصرح فى المراد وان كانت هذه الاقوال كلها تتسابق الى المرمى الذى قصدناه تسابق خيل الطراد والله تعالى أعلم . وقد ذكر هذه الاقوال كلها الشيخ جلال الدين السيوطي رضى الله عنه فى جوابه عن هذا الحديث بعد أن قال فيه انه ليس بصحيح ونقل عن النووى أنه قال فيه فى فتاويه ليس بثابت وذكر عن الزركشى أنه قال فيه فى الاحاديث المشتهرة ذكر ابن السمعانى أنه من كلام

أنه يجوز وعضده بنحو ماقاله القشيرى فيه وقال الشيخ المذكور فى رسالة أخرى له وخاصية الولى الحفظ من الكبيرة ومن الاصرار على الصغيرة كما أن خاصية النبى العصمة من التلبس بكبيرة أو صغيرة انتهى وقال فى الطرائف والتلائد الاولياء معصومون أم لا فالجواب أن الاولياء محفوظون والحفظ يجوز معه الوقوع فى المعصية وهو فرق مابينه وبين العصمة الواجبة للانبياء عليهم الصلاة والسلام نعم يصح أن تعتبر فى جانبهم العصمة لكن بقيد الجواز ويكون المراد بعصمتهم اللغوية بمعنى المنع من الذنوب بالستر من الوقوع فيها وذلك جائز فى غير حق النبى واجب له وللملائكة ومن هنا جاء لنا سؤال العصمة من كل الذنوب على أن العصمة فى حق النبى لا تختص بما ذكر بل تعم كل مايليق بمنصب نبوته الذى هو أخص من حفظ الولى مما ينافى ولايته فقط وعصمة الاولياء كيفية بساطها التخلى عن المذمومات والتحلى بالمحمودات والاستقامة على ذلك الى الممات فهى عبارة عن أن تكون ظواهر العبد معصومة بأحكام الشريعة وبواطنه معصومة بآداب الحقيقة فتكتنفه العصمة ظاهرا وباطنا أى تمنعه حدود الله الظاهرة والباطنة من الوقوع فى المخالفة والسائل منا العصمة لم يطلب العصمة الحقيقية التى هى للانبياء لقصور درجته عن ذلك وانما يسأل مايليق بمقامه من التحقق بالصديقية التى تلى درجة النبوة بان يكون له ذوق من

ولتباين المقامين صار المتكلمون فى هذا الفن يعبرون بالعصمة فى حق الأنبياء والحفظ فى حق الولى وهى فى حق الأنبياء واجبة لا يتصور عدمها وفى حق الأولياء جائزة فعلى هذا تنزه الولى عن وصف المخالفة أدبا لعظيم جنابه ولا نلزمه عدم وقوعها أدبا لتصرف قدر الله وقضائه وأيضا إن قلنا بمطلق الوقوع خفضناه لرتبة العموم وهو أجل من ذلك وإن قلنا بعدم الوقوع رفعناه لرتبة الأنبياء وليس له ذلك والحاكم فى قضية أحوالهم على الدوام «إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان - الآية» فبنفس التذكار يرجع الولى إلى مقامه وأعلى لأنه يتضمن التبصرة وهى تتضمن إسراع التوبة وهو يتضمن المحبة وهى تتضمن ولاية المحب للمحبوب فرجع إلى ولايته وبالجملة فالولى وإن جازت فى حقه المعصية فرضا إلا أنه لا يجوز معه الاصرار عليها إذ ليست المعصية بالعظيم عند الله إذ قال رسوله صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيتوبون فيتوب الله عليهم وإنما العظيم عند الله الاصرار على الذنب ثم قال بعد كلام وما قدمناه من الحفظ المحكوم به للأولياء لا ينافى الهفوة والهفوات مع امتناع الاصرار منهم عليها فهو حد فى الجملة وإلا فتلك الهفوات على تقديرها إنما تقطع منهم فى جانب الحق لا فى جانب الحقيقة المراد بالحق الشريعة ولذا قال ابن عطاء الله رحمه الله وقد بلغه قول أبى القاسم الجنيد وقد سئل أيزنى العارف بالله تعالى وكان مشيئته

يحيى بن معاذ الرازى اه رجع وقال ابن عطاء الله الأدب الوقوف مع المستحسنات قيل له ما معنى ذلك قال أن تعامل الله سرا وعلانية بالأدب فان كنت كذلك كنت أديبا وإن كنت أعجميا ثم أنشد

إذا نطقت جاءت بكل مليحة * وإن سكتت جاءت بكل مليح

اه ذكره فى العوارف وما أحسن قول بعضهم فى الادب الادب أن يؤدب العبد ظاهره وباطنه أما ظاهره فبالشريعة بأن يتبع السنة قولا وفعلا وأما باطنه فبالحقيقة بأن يرضى بما يرد عليه من الله ويتلقاه بالقبول ويرى أن الكل نعمة عليه من الله تعالى إما عاجلة وإما آجلة فالعاجلة بلوغ النفس محبوبها عاجلا والآجلة كانواع المضار والمكاره فانه يثاب عليها آجلا ويحط بها عنه من خطيئاته فهى نعمة بهذا الاعتبار اه وصاحب هذا الادب هو المخصوص برؤية النعم فى طى النقم فيرى نعم الله تعالى عليه ظاهرة وباطنة (قال) العارف بالله سيدى عبد الرحمن بن محمد الفاسي رضى الله عنه فى حاشيته على شرح الشيخ أبى عبد الله السنوسى لعقيدته الصغرى ما نصه قال ابن عباس فى تفسير قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة كل ما يتلذذ به البرايا نعمة ظاهرة وما شق عليهم من البلايا نعمة باطنة اه بلفظه وحاصل هذه العبارة التى عبر بها هؤلاء المشايخ الكل رضى الله عنهم فى بيان حقيقة الادب يرجع إلى أن المراد بالادب ما تحسن به حالة العبد فيما بينه وبين الله تعالى وفيما بينه وبين ملائكته سبحانه وكتبه ورسله وسائر الناس على اختلاف طبقاتهم وأنواعهم وعلى هذا فلا يخرج الادب عند التأمل عن الأقسام الاربعة التى ذكرها الشيخ محيى الدين رضى الله عنه ولا تخرج هذه الاقسام الاربعة عن قسمين أدب الفقهاء وأدب الصوفية ويندرج الاول منهما فى الثانى فتصير إلى قسم واحد حسبما أفصح به فى جواهر المعانى ونص كلامه فيه رحمه الله تعالى والادب عند الفقهاء عبارة عن القيام بما بعد الواجبات والسنن من الفضائل والرغائب المتعلقة بأحوال الانسان من نوم ويقظة وأكل وشرب وذكر ودعاء ونحو ذلك وعند الصوفية عبارة عن جميع خصال الخير وأوصاف البر فهو وصف جامع لصفات مجيدة وأخلاق حميدة تناسب أوصاف العبودية وجلال الربوبية من جمعها كان أديبا متأدبا مع الله تعالى ومع رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال والأدب بالمعنى الاول مندرج فى هذا اه وبهذا يعرف أن الحديث السابق وهو قوله صلى الله عليه وسلم أدبنى ربى فأحسن تأديبى ثم أمرنى بمكارم الاخلاق أصل جامع لجميع هذه العبارات مستوف لسائر هذه التقسيمات والاشارات ويعلم أن الادب هو الجمع لمكارم الاخلاق والفعال ومحاسن الصفات والخلال على أتم ما يمكن من وجوه الكمال فى حق الله تبارك وتعالى وفى حق عبيده على التفصيل والاجمال مع الوقوف فى ذلك كله عند الحد المحدود فيه شرعا فلا يرتكب فى شىء منه آداب العامة التى تبعدهم عن الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وقد كان سيدنا رضى الله عنه كما فى جواهر المعانى لا يحب ارتكاب شىء منها أصلا اقتصارا منه رضى الله عنه على ما ورد فى الشريعة وتخلقا بأخلاق السنة الرفيعة وإذا عرف أن هذا الحديث الشريف أصل لجميع العبارات فى الادب على ما قرر وعلم من ذلك أن الادب هو الجمع لمكارم الاخلاق ومحاسن الصفات على ما بين وسطر فيجب أن يعلم أن منبع جميع الآداب المرضية السجايا الصالحة المركبة فى طبائع النفوس الزكية ولا شك أن السجية باتفاق من أهل العلم والنظر هى فعل الله تعالى المحض الذى ليس شىء منه فى طوق البشر ولكن الله تعالى بنا فذ قدرته وصالح

مشيئته و بالغ حكمته جعل لمن أهله من عباده للهدى والصلاح وهيأه بفضله وكرمه للرشد والفلاح استخراجها بطريق الرياضة والتربية واكتسابها من جهة المجاهدة والتزكية وذلك كما قاله فى العوارف لأن الله تعالى خلق الانسان وهيأه لقبول الصلاح والفساد وجعله أهلا للأدب ومكارم الأخلاق ووجود الأهلية فيه كوجود النار فى الزناد ووجود النخل فى النوى ثم ان الله تعالى بقدرته ألهم الانسان ومكنه من اصلاح النوى بالتربية إلى أن يصير نخلا والزناد بالعلاج حتى تخرج منه نارا وكما جعل سبحانه فى الانسان صلاحية الخير والشر أحال الاصلاح والافساد عليه فقال تعالى ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها فتسويتها بصلاحيتها للشيئين جميعا ثم قال تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها فاذا تزكت النفس تدبرت بالعقل واستقامت أحوالها الظاهرة والباطنة وتكونت الآداب اه وهذا الذى ذكره من أن الله تعالى أحال الاصلاح والافساد على الانسان كما دلت عليه الآية الكريمة هو المذهب الحق والقول الأصح من أن تبديل الأخلاق ممكن مقدور عليه خلافا لمن منع مستدلا بظاهر قوله تعالى لا تبديل لخلق الله و بظاهر حديث فرغ ربك من أربع الحديث واستدل لهذا القول أعنى القول بأن تبديل الاخلاق ممكن الخ بهذه الآية أعنى قوله تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها وكذا بقوله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال فى تفسيرها فقهوهم وأدبوهم اه ومما استدل به له أيضا قوله صلى الله عليه وسلم حسنوا أخلاقكم الخ وانظر العوارف نعم قد تقع الآداب فى حق بعض الاشخاص كما قاله فيها أيضا من غير تزكية ولا رياضة لقوة ما أودع الله تعالى فى غرائزهم قال ومن يحتاج اليها من الناس فانما يحتاج اليها لنقصان قوة أصولها فى الغريزة ولهذا احتاج المريدون إلى صحبة المشايخ لتكون الصحبة والتعليم عونا على استخراج مافى الطبيعة إلى الفعل اه ملخصا (ومدار) التربية والتزكية فى طريقنا هذه المحمدية الشريفة المرضية على إقامة الورد الاصلى المعلوم الذى لا يصح الدخول فيها بدونه لاحد من الخصوص ولا من العموم وكذا توابعه من الاذكار المشمولة باللزوم معه وهى الوظيفة المعروفة وذكر الهيللة بعد عصر يوم الجمعة بالمحافظة فى جميع ذلك على الشروط المشروطة والآداب التى هى بغاية الحسن ونهاية الكمال منوطة وآكد الشروط وأعظمها المحافظة على الصلوات الخمس بادابها على الحد المحدود لها شرعا بقدر الامكان واستكمال شروطها وآدابها وتمام جميع مالها من الأركان ثم عمارة ما يقدر على عمارته من الأوقات والساعات بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم خصوصا بصلاة الفاتح لما أغلق التى هى من أسمى الذخائر وأسنى البضاعات على طريق المحبة والشكر والاعتماد على الفضل المحض الذى ليس إلا عليه فى بساط التحقيق المعول من غير التزام خلوة ولا كثرة مجاهدة ولا غير ذلك مما اصطلح عليه فى التربية من بعد الصدر الاول اذ هذه هى طريقة سيدنا رضى الله عنه التى سلكها وأمره بالتسليك بها سيد الوجود ومنبع الامداد والجود صلى الله عليه وسلم وفى جواهر المعانى أنه صلى الله عليه وسلم بعد ما أعلم سيدنا رضى الله عنه بأنه هو الواسطة بينه و بين الله تعالى والممد له على التحقيق وصرح له بأنه هو كفيله ومربيه دون غيره من مشايخ الطريق وأخبره انه لامنة لواحد منهم عليه لان جميع مايصله من الله تعالى فعلى يده صلى الله عليه وسلم و بوساطته ومنه اليه قال له فى وصيته التى أوصاه بها الزم هذه الطريقة من غير خلوة ولا اعتزال عن الناس حتى تصل مقامك الذى وعدت به وأنت على حالك من غير

الوقوع فى المخالفة فما يستعظم فى حقه يكون حكم غلبة الغفلة عليه فى بعض الأزمنة كحكم غلبة سنة النوم على الخائف فى بعض الأمكنة وعند الانتباه يقع منه شدة الندم فافهم وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب وفى الصحيح أيضا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم وفيه أيضا عن زيد بن أسلم ان الله عز وجل ليحب العبد حتى يبلغ من حبه أن يقول له اصنع ماشئت فقد غفرت لك وحاصل ماذكر عدم العزم على القبيح ابتداء ونفى الاصرار عليه انتهاء فالتوبة لازمة له لا تنفك عنه وهى ماحية للذنوب فمتى حصلت قبل الموت فلا تضر معها الذنوب الماضية انتهى بحذف واختصار ﴿تنبيه﴾ ماقدمناه من أوصاف الولى قد تظهر عليه فيجب التصديق به كما قال الشيخ سيدى المختار الكنتى فى جذوة الأنوار ونصه فأيما رجل تيقن خصوصيته يعنى الولى ولم يتبعه ولم يوافقه على أقواله وأفعاله فلا حجة له عند الله يوم القيامة مما يشهد لذلك ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الولى فى قومه كالنبى فى أمته فكما يجب تصديق النبى صلى الله عليه وسلم كذلك يجب التصديق به والاقتداء به ومحبته واجلاله لتمام متابعته لنبيه المقتبس من نور مشكاته فالأنبياء حجج الله والأولياء أنصار الله انتهى المراد منه وعضد وجوب تصديقه بما يعلم بالوقوف عليه من نصوص الكتاب والسنة فليراجعه من طلبه وقد لا يظهر ذلك

عليه وذلك لاينافى انه ولى إذ لايصح لأحد أن يقطع على المولى الكريم و يحجر على فضله الواسع بأنه لايكون إلا لمن صدقت عليه ضوابط الولاية وقواعدها وقد يبلغ الجهل بأقوام إلى إنكار الولاية عن كل موجود من أهل زمانهم لما استحكم فى قلوبهم من حصر الولاية وتحقيقها بالضوابط فاذا عرض تلك الضوابط على كل موجود من أهل زمانه وجدها لاتطابقه فينفى عنه الولاية و يصير حاصله انه يؤمن بولى لاوجود له فى الخارج ولم يدر أن الولاية هى مجرد اصطفاء من الله تعالى على عباده ولا يقدر على ضبطها مخلوق من المخلوقين قاله اللمطى فى الذهب الابريز ثم قال وكم من واحد إذا طالع الكتب فاذا عرض تلك الصورة على أولياء زمانه شك فيهم أجمعين لما يشاهد فيهم من الأوصاف التى لا تكتب فى الكتب ولو انه شاهد الذين دونت بكراماتهم قبل تدوينها لوجد فيهم من الأوصاف ما أنكره على أهل زمانه انتهى . ثم قال فى سماعه عن سيدى عبد العزيز الدباغ رحمه الله تعالى من توهم ان الولى لايعجز فى أمر يطلب فيه فقد وصفه بوصف من أوصاف الربوبية وهو القدرة ومن ظن انه لايصدر منه شىء من المخالفات فقد وصفه بوصف من أوصاف النبوة وهو العصمة والولاية لاتزاحم النبوة ثم قال والولى كسائر الناس تارة تظهر الطاعة على جوارحه وتارة تظهر المخالفة عليها كسائر الناس وإنما امتاز الولى عنهم بأمر واحد وهو ماخصه الله تعالى به من المعارف ومنحه من الفتوحات ومع ذلك فالمخالفة ان ظهرت عليه فانما هى بحسب مايظهر لنا لا فى الحقيقة لأن المشاهدة التى هو فيها تأبى المخالفة وتمنع من المعصية منعا

ضيق ولا حرج ولا كثرة مجاهدة اه و يرحم الله تعالى العارف البوصيرى فى داليته رضى الله عنه حيث قال

والفضل ليس يناله متوسل * بتورع حرج ولا بتزهد
إن قال ذاك هو الدواء فقل له * كحل الصحيح حلاف كحل الارمد
يمشى المصرف حيث شاء وغيره * يمشى بحكم الحجر مشى مصفد
من كان منك بمنظر و بمسمع * الحال منه على حديث مسند

وقد أشار إلى ذلك العلامة الشهير العارف الكبير سيدى عبيدة بن محمد الصغير مؤلف كتاب ميزاب الرحمة الربانية فى لاميته التى امتدح بها سيدنا رضى الله عنه فقال

بلاخلوة ربى وربوا بخلوة * فشتان مابين اليزيدين منهلا

ومرادنا من كون التربية فى هذه الطريق خالية عن التزام الخلوة والاعتزال عن الناس ونحو ذلك مما فيه تشديد على النفس وتضييق التنبيه على أن التربية فيها جارية على طريقة السلف الصالح من الصدر الأول التى هى الطريقة الأصلية وهى طريقة الشكر والفرح بالمنعم سبحانه والرياضة القلبية لاعلى الطريقة الأخرى التى استنبطها واصطلح على التسليك بها من بعد القرون الثلاثة نظراً لما اقتضته العوارض الوقتية وهى طريقة المجاهدة والمكابدة والرياضة البدنية وفرق بينهما فان السير فى الأولى سير القلوب وفى الثانية سير الابدان ومعلوم أن الاهم الذى عليه المدار فى طريق الوصول إلى حضرة الله تعالى هو سير القلوب بالنظر فى أحوال القلب وما يصلحه وما يفسده على سنن الاعتدال والتقييد بالشريعة المطهرة والسنة الشريفة المنورة لا على التضييق على النفس بالتقشف والاستخشان فى المأكل والملبس والكد والتعب من غير التفات إلى أحوال القلب على الحد الذى تقرر و إنما آثر من بعد القرون الثلاثة التسليك بالطريقة الثانية لما كثرت الاهواء وتشعبت الآراء فاستعانوا بذلك على تطهير النفس وتزكيتها ليستنير القلب و يتخلص من كدورات الهوى وقد حذروا مع ذلك من الغلو فيه بالخروج عن حدّ الاتباع إلى حد الابتداع قال الشيخ أبو عبد الله بن عباد وليس طريق تزكية النفس بقطع جميع الارفاق عنها وردها إلى الاجتزاء بأكل الحشيش والنخالة والمبالغة فى التقشف والتقلل مع قطع النظر عن أحوال القلب وهممه وقصوده و إرادته وترك الالتفات إلى مايمدح منها وما يذم فذلك كله غلو وبدعة وقد غلط فى هذا طوائف من الناس عملوا عليه فى رياضتهم ومجاهداتهم ولم يقصدوا بذلك اخلاص العبودية لربهم فأدّاهم ذلك إلى اختلال عقولهم وانحلال قوى أبدانهم ولم يحصلوا من أمرهم على فائدة وذلك لجهلهم بالسنة وما كان عليه سلف الامة اه وفرق أيضا بين نتائجها و يكفى أن الفتح فى الأولى هجومى لم يحصل من السالك تشوف اليه بخلافه فى الثانية وشتان مابينهما وسيأتى لنا من مزيد بسط الكلام فى التربية والتزكية بهذه الطريقة الأحمدية ماتقر به العيون وتبتهج به الأرواح وتستنير به القلوب بفضل مولانا الملك الفتاح فبالسلوك على هذا السبيل الاحمد والطريق الاقصد يفيض فى قلب السالك من الأنوار الوهبية مايحمله على محاسن الآداب و يقف به من أداء الحقوق الحقية والخلقية على عين الصواب فيصير أديباً متأدبا بافاضة فيض كرم الله تعالى ومنه وتوفيقه الجميل وعونه هذا ولسنا نريد بكون التربية فى طريقنا من غير خلوة ولا مجاهدة أنا لا نأخذ النفس بشىء من ذلك ولا نعرج فى طريق السير والسلوك على شىء مما هنالك كما قد يتبادر لذهن الضعيف الفهم أو يحمله عليه المتعسف المولع بالاستناد إلى الوهم

الوهم كلا ومعاذ الله وإنما مرادنا أنا لا نلتزم فى سلوكنا الرياضة بطريق المجاهدة على القانون الذى استنبطه واصطلح عليه من بعد القرون الثلاثة كما هو مقرر فى محاله وإلا فلا أخذ فى الجملة بما ذكر من الخلوة والصمت والاعتزال وغيرها مما دلت عليه السنة المطهرة من سنى الخلال مؤكد عند شيخنا رضى الله عنه غاية التأكيد فرغب فيه غاية الترغيب ومن ترغيبه فيه وحضه على العمل به ما فى جواهر المعانى فى الرسالة التي كتب بها رضى الله عنه إلى بعض فقهاء زرهون عمرها الله بذكره جوابا عن كتاب كتب به إليه رضى الله عنه ولفظه فيه رضى الله عنه وأما ما ذكرت من صعوبة انقياد نفسك عليك لأمر الله ودوامها على التخبط فيما لا يرضى فتلك عادة جارية أقامها الله تعالى فى الوجود لكل من أهمل نفسه وتركها جارية فى هواها أن لا يسهل عليه سبيلا إلى القيام بأمر الله بل لا يرى منها إلا الخبث والمعاصى والخروج عن أمر الله ومن أراد تقويم اعوجاج نفسه فليشتغل بقمع نفسه عن متابعة هواها مع دوام العزلة عن الخلق والصمت وتقليل الأكل والاكثار من ذكر الله تعالى بالتدريج وحضور القلب مع الذكر وحصر القلب عن الخوض فيما يعتاده من الخوض فى أمور الدنيا وتمنيها وحبها وحصر القلب عن الخوض فى جميع المرادات والاختيارات والتدبيرات وعن الخوض فى أخبار الخلق وذم القلب عن الجزع من أمر الله تعالى فبدوام هذه الأمور تتزكى النفس وتخرج من خبثها إلى مطابقة أمر الله وإلا فلا «سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا» والشيخ فى هذه الأمور دال ومعين لا خالق ولا فاعل إذ الخلق والفعل لله والدلالة للشيوخ والسلام اه بلفظه (ومما) وقفت عليه من كلامه رضى الله عنه فى هذا المحط بخط يمينه المباركة فى جواب لبعض خاصة الخاصة من أصحابه رضى الله عنه ومنه نقلت ما نصه أما ما ذكرت من العوارض الحائلة بينك وبين ما تقصد من عمل الآخرة فاعلم أن سببه ما تمكن من نفسك من الميل إلى الراحات واقتحام ما تقدر عليه من الشهوات فانها سمعت أن مقام المعرفة بالله تعالى حاصل لها بلا تعب فمالت إلى ما يقتضيه هواها من الراحات فلو أنها علمت أن مقصودها من المعرفة بالله لا يحصل لها إلا إذا جدت فيما هو من أمر الطريق معروف وفارقت كل مألوف لأجابت إلى ما يراد منها من المجاهدة لأنها تريد الظفر بمطلوبها فلما سمعت أنها يحصل لها دون تعب لم تجب إلى ما يراد منها من المجاهدة ومفارقة الحظوظ فكل عارض لا بد من ظهور حكمه فمن ظن أن قيام العارض بالقلب على حاله يمكن معه ظهور نقيض حكمه فقد جهل أمر الله عز وجل ولم يحصل له من ظنه إلا التعب لا غير ومثال العارض كالسحاب فى السماء ومثال ما وراءه من المجاهدة كالشمس فاذا صحا السماء من السحاب طلعت الشمس وإذا وقع السحاب دونها حال بيننا وبينها فلا يمكن وقوع السحاب فى السماء وطلوع الشمس صاحية من ورائه وتعقل هذا وتأمله تستفد منه علما عظيما وحيث قامت العوارض بالقلب من الميل إلى الراحات واقتحام ما تقدر عليه من الشهوات امتلأ القلب بصور الأكوان والميل إليها وحيث وقع ذلك تمكن تخليط القلب فى أمر الهوى والبعد عن حضرة القدس وعن جميع مقتضياتها فلا تزول منه هذه الامور إلا بوارد الفتح الاكبر الذى يفيض معه بحر المعرفة بالله وإلا فلا تطمع أن يخلو قلبك من الظلام والكدر مادامت فى قلبك هذه العوارض وحضرت الحق جارية على النسب لا تخرج عن نسبها واعلم أن مراد الله منك فى هذا الوقت ما أنت فيه فوقوفك بعبوديتك فيما أقامك الله فيه فى وقتك هو أولى بك وأمكن من رمى فكرك إلى مطلب قطعتك

ذاتى فى الأنبياء عرضى فى الأولياء فاذا العارف الكامل إذا صدرت منه مخالفة فهى صورية لا حقيقية قصد بها امتحان من شاهده واختباره ولذلك أسرار فنطلب من الله تعالى أن يوفقنا للايمان بأوليائه كما وفقنا للايمان بأنبيائه عليهم الصلاة والسلام. ثم قال ومن علم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فى أكله وشربه ونومه ويقظته وجميع أحواله فى بيته وحروبه وغزواته وكيف يدال له مرة ويدال عليه أخرى وسائر أحواله هانت عليه معرفة الأولياء ولا ينكر ما يراه على ظاهرهم من الأمور الفانية والأوصاف البشرية فعلى العاقل الذى يحب الخير لنفسه أن يكثر من مطالعة سيره صلى الله عليه وسلم فان ذلك يهديه إلى معرفة الأولياء العارفين انتهى ﴿قلت﴾ ولا يظن ظان أن هذه العصمة الذاتية للانبياء واجبة لهم ذاتا ولا أنها حق لازم لله تعالى حاشا وكلا لانه تعالى يقضى ولا يقضى عليه ويوجب ولا يوجب عليه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فلا يستوجب العصمة لذاته نبي ولا ولى بل الله يعصم من يشاء فضلا منه ومنة يختص برحمته من يشاء من غير وجوب عليه ولا استحقاق للمعصوم إلا بفضله عليه وإحسانه إليه قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا أنظر جذوة الانوار ولنرجع إلى ما كنا بصدده قال الشعرانى رحمه الله تعالى فى لطائف المنن من الناس فرقة صدقوا بكرامات الاولياء الذين ليسوا فى زمانهم وكذبوا بأولياء زمانهم فهم كما قال الشاذلى رضي الله عنه ما هى الإسرائيلية صدقوا بموسى وكذبوا بمحمد صلى الله

دونه العوارض ولم تحصل منه على طائل فسلم الأمر الى الله واعلم أن ماتطلبه له أجل ومقدار اذا جاء وقته جاء ولا يتعجل بطلب تعجيلك وان رمت الخروج عما انت فيه الى تنوير القلب وصفائه فاذهب وانقطع عما سوى الله تعالى فى مكان لاترى فيه أحدا وألزم نفسك اخراج مرادك مما سوى الله تعالى واستغرق أوقاتك فى الذكر المفرد ترى العجب من تمكين الصفاء فان لم تساعفك نفسك على هذا فاعلم أن مراد الله منك ماذكرنا واترك عنك ما يتغلغل فى قلبك من خواطر السوء المفضية الى سوء الأدب مع الله تعالى ومعناه بطلبك أمورا لانسبة لها فيك بل ليس فيك الانسبة نقائصها

لقد رمت الحصاد بغير زرع * يغوص البحر من طلب اللآلى

وهذا القدر كاف ان فهمت اه من خط سيدنا رضى الله عنه بلفظه فى الجواب المذكور وفى هذا القدر كفاية فيما يشير الى ماذكرناه ويحقق ماقدمناه من أن المراد بكون التربية فى هذه الطريقة الأحمدية خالية عن المجاهدة والرياضة المصطلح عليها عند من بعد الصدر الأول هو أن المعتمد فيها ماتقدم شرحه من الرياضة القلبية والسلوك على الطريقة الاصلية وذلك لاينافى العمل بما دلت عليه الشريعة المطهرة واقتضته آداب السنة فى الجملة من الصمت والاعتزال عن الناس ونحو ذلك مع المحافظة فى ذلك على عدم الخروج فيه الى حد التفريط فيه أو الافراط والتحرز مما يشير الى رؤية النفس من اظهار التعزز والانبساط فحقق هذا المناط فانه مهم جدا والله الموفق (وأما) ماعليه المدار فى التزكية والتصفية فيما عدا هذه الطريق من طرق الاولياء الاخيار والمشايخ الكبار فانه مذكور فى غير ما كتاب من كتبهم التى ألفوها فى هذا الباب . وبالجملة فالاتفاق واقع من المشايخ الكاملين والعارفين الواصلين على أن مطالعة كتب القوم وسماع الحكايات والمواعظ فى الادب لاتعمل وحدها فى النفس كبير تأثير يرجى نفعه فى المنقلب وانما ينفع فى ذلك بفضل الله تعالى السلوك بالاعمال المشروعة الفاضلة مع الاستعانة فيه بهمم العارفين المقربين الموصوفين بالمشيخة الكاملة فلا محالة أن النفس اذا أخذت بذلك على بابه واستعانت فيه بهمم سادات هذا الشأن وأربابه نبع منها ماء الحياة الهنية وتحلت بحلية أهل المراتب السنية فقامت بواجب آداب جميع الحضرات أتم قيام واستعدت لتوالى الامدادات الوهبية الفائضة عليها من حضرة الملك العلام فتقر عينها من فضل الله تعالى ببلوغ كل مرام وهذا القدر كاف فى الكلام على حقيقة الادب وبيان منشئه عند أهل الرتب (وأما) بيان مكانته من طريق أهل الكمال فقد تقدم فى أول المطلب أنه باتفاق من سادات الرجال نظام جميع الاعمال وملاك سائر المقامات والاحوال (وفى الحديث) عن معاذ رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حف الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الآداب (وقال) سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنه الادب فى العمل علامة قبول العمل (وقال) عبد الله بن المبارك رضى الله عنه من تهاون بالادب عوقب بحرمان السنن ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة (وقال) أبو على الدقاق رضى الله عنه العبد يصل بطاعته الى الجنة وبادبه فى طاعته الى الله تعالى وقال بعضهم التوحيد يوجب الايمان فمن لاتوحيد له لا إيمان له والايمان يوجب الشريعة فمن لاشريعة له لا إيمان له ولا توحيد له والشريعة توجب الادب فمن لا أدب له لا شريعة له ولا إيمان له ولا توحيد له (وقال) الشيخ أبو الحسن النووى رضى الله عنه ليس لله تعالى فى

وبالجملة فالولى لا يعرف الا بتوصيل الحق تعالى له وليس للأولياء حاجة عند أحد من الخلق حتى يتعرفوا اليه لجمعية قلوبهم على الحق سبحانه ثم قال والولى لا يتعرف لغيره الا لاحدى ثلاث خلال إما أن يكون له معنى نسبة الى المتعرف اليه من مريد أو نحوه أو يكون مأذونا له فى ذلك أو يتعرف اليه مكرا بالمتعرف له والعياذ بالله كأن يقصد بذلك اظهار مافى الباطن من الانكار عليه والاستخفاف بحقه والاستهزاء بخصوصيته اقامة للحجة فى المعرفة به ولهم مقاصد مع ربهم لا يطلع عليها الخلق وقال بعض الاكابر لا يعرف الولى الا بنور يقذف فى قلب المعتقد فيه انتهى ﴿قلت﴾ وبتمهيد هذا يظهر لك أن المبادرة بالانكار على من ينتسب للولاية أمر عظيم بل الحزم تركها وحسم مادتها حتى يظهر مايقتضى ذلك ففى الحديث إن الله أخفى ثلاثا فى ثلاث وعد منها الولى فى خلقه وقال أبو الفيض سيدى أحمد زروق رضى الله عنه اعلم أن الاعتقاد أصل كل خير والانتقاد أصل كل شر وشرط الاول عدم الاغترار والثانى عدم الاضرار وقال المقرى الاعتقاد ولاية والانتقاد جناية فان عرفت فاتبع وان جهلت فسلم ومبنى التصوف على التسليم والتصديق وحسن الظن حتى يتحقق الطارق ومبنى الفقه على البحث والتحقيق حتى يأتى الصارف والحذر عند الجميع واجب حتى تتحقق المزية المانعة للضرر انتهى وهو حسن فى بابه وبالله التوفيق

عبده مقام ولا حال ولا معرفة تسقط معها آداب الشريعة إذ الآداب حلية الظاهر والله تعالى لا يحب تعطيل الجوارح من التحلي بمحاسن الآداب (وقال) أيضا رحمه الله تعالى من لم يتأدب للوقت فوقته مقت (وقال) ذو النون المصري رضي الله عنه إذا خرج المريد عن حد استعمال الأدب فانه يرجع من حيث جاء (وقال) أبو علي الدقاق رضي الله عنه ترك الأدب موجب للطرد فمن أساء الأدب على البساط رد إلى الباب ومن أساء الأدب على الباب رد إلى سياسة الدواب وقال بعضهم الزم الأدب في الظاهر والباطن فما أساء أحد الأدب في ظاهر الا عوقب ظاهراً وما أساء أحد الأدب باطنا إلا عوقب باطنا (وقال) رويم رضي الله تعالى عنه يا بني اجعل عملك ملحا وأدبك دقيقاً (وقال) ابن المبارك رضي الله عنه نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم . وقال أيضا رحمه الله تعالى الأدب للعارف بمنزلة التوبة للمستأنف اه فهذه كلها نصوص صريحة وأقوال مؤيدة بنور الالهام مسددة صحيحة مفصحة أي افصاح يعلو مكانة الأدب من الطريق وسمو قدره لدى فحول هذا الفريق مصرحة بأن جميع الاعمال الدينية الموصلة إلى الحضرة القدسية قلبية كانت أو بدنية قولية أو فعلية لا يعتبر شيء منها في بساط التحقيق إلا محفوفا بالمحاسن الأدبية والمحامد الصفاتية والمكارم الخلقية وبأن تحلية العمل بالأدب عاجلا علامة قبوله آجلا وبأن الأدب كما يحتاج اليه المريد في أحوال بدايته يتوقف عليه المنتهي في مقامات نهايته لأنه كما تقدم عن ابن المبارك رحمه الله تعالى في حق العارف بمنزلة التوبة في حق المستأنف فكما أن المستأنف لا يصح منه الاستئناف في الخير إلا بالتوبة أي الرجوع من كفران النعم بارتكاب المخالفات إلى شكرها بالتزام القيام بأنواع العبادات والطاعات فكذلك العارف لا ترسخ قدمه في مقامات العرفان إلا بالتزامه الأدب فيما قل أو جل من أعمال القلوب والأركان إذ لا شك أن أدب كل إنسان دليل على قدر درجته في مقام الاحسان ووسع دائرته في مراتب العرفان (ومما) يزيدك تحقيقاً بهذا الذي أشرنا اليه في الطريق من علو مكانه محاسن الآداب وأنها المريد الوصول إلى حضرة رب الأرباب من أهم المهمات وأقوى الأسباب ماقرره فرسان هذا الميدان وعلماؤه الجهابذة الأعيان من أن لكل منزل من منازل مقامات الدين آدابا تختص به عند المحققين (فمما) يخص أول المنازل الثلاثة لمقام الاسلام وهو منزل التوبة التي هي كالأرض لبناء كل حال ومقام ترك صحبة الأقران الذين كان ألفهم على التقصير ومواصلة من يوافقه في طلب مرضاة الله تعالى على الجد والتشمير واجتناب مواضع اللهو والمجون وعدم ذكر شيء من لذاته السالفة إلا بقلب متحسر محزون فهذه أربعة آداب لا يصح الاستئناف في الخير مع ترك شيء منها الذي متاب (ومما) يختص بثاني المنازل لهذا المقام وهو منزل الاستقامة ظاهراً وباطناً في معاملة خالق الأنام متابعة الحبيب عليه الصلاة والسلام في كل ما يرجع إلى العبادة والعادة من قول وفعل وحركة وسكون بطريق المثابرة والدوام إذ لا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم باتفاق من العلماء أهل العرفان فعل لا عبودية فيه كيفما كان والأخذ بالأعم فالأعم من الأقوال والأفعال والقصد لتعديل الحركات والسكنات بالمتابعة في عموم الاوقات والاحوال والبناء في أمر المتابعة على ضبط النفس بالضوابط الشرعية ودفع الخواطر العارضة عند التلبس بالاتباع بامضاء العزم والقاء الوهم بالوقوف في ذلك كله عند الحدود المرعية فهذه آداب خمسة لا يصح لمن أخل بشيء منها أن يحلى بالاستقامة معتاد ولا حسه (ومما) يختص بثالث هذه المنازل وهو منزل التقوى التي هي شعار كل نبيه

المذكورين في قوله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء أفضل من الأولياء الذين لم يؤهلوا لبث العلم ونشره وكذا من الشرفاء الذين لم يؤهلوا لذلك وان كانوا أفضل من حيث البضعة قال وهذا هو الحق الذي انفصل عنه الأئمة المقتدى بهم . قال وقال أبو اسحق الشاطبي وقد أثنى الله تعالى على كل منهما ولكل منهما رتبة عالية والجمع بينهما لا غاية فوقها كما كان الصحابة رضوان الله عليهم ومن ألحق بهم من التابعين ثم بعدهم امتازت الطريقتان فخرج إلى جهة العلم من وفقه الله له وصار أغلب أحواله ومال إلى جهة لانقطاع إلى العبادة غير العلم من هيأه الله له وهما في الحقيقة طريقة واحدة إذ شرط العالم أن يكون عاملا بالعلم والعامل لا يصح عمله إلا بشرط العلم فلا يكون العلم علما في الشرع إلا بالعمل ولا يكون العمل عملا شرعا إلا بالعلم غير أنهما يختلفان باللقب الغالب لأنهم يسمون العالم من كان أغلب أعماله العلم * والولي من كان غالب أعماله الانقطاع إلى التعبد فاذا كل عالم ولي لله وكل ولي لله عالم ثم قال بعد كلام طويل وينبغي أن يعلم أنه ليس المراد بالعلماء في الحديث كل من يطلق عليه اسم العالم عند الناس إنما المراد به أهل العلم النافع الذي لا تفارقه الخشية وتكتنفه المهابة . وفي لطائف المنن أن كل علم تكون معه الرغبة في الدنيا والتملق لأهلها وصرف الهمة لاكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكثار وطول الامل ونسيان الآخرة فما أبعد صاحبه من أن يكون من ورثة الانبياء وهل

ومرعى قصد كل ماجد وفاضل الاحتياط لبراءة الذمة بالتحفظ من الشبهات التى هى الوسائط المشكلة بين طرفى الحلية والحرمية والتوقى بقدر الامكان من فضول الحلال وتجنب الافراط والتفريط فى سلوك سبيلها بكمال الاعتدال والتستر بذلك وسع الامكان ليسلم من الرياء وجدال العامة من أبناء الزمان فهذه أيضا آداب أربعة لاتصح التقوى لمن لم يكن جميعها معه (ومما) يختص بأول منازل مقام الايمان وهو منزل الاخلاص الذى هو تصحيح الوجهة إلى الله تعالى على وصف العبودية الخالصة فى السر والاعلان الجزع من ساب الاخلاص بسابقة الاهمال والاتهام للنفس فيما تدعيه من توفية حق الاخلاص على نعت الكمال واللجأ إلى الله تعالى من ذلك كله بالفزع اليه سبحانه بالدعاء والضراعة والمطالبة للنفس بالاخلاص فى المباحات والعادات بقدر الاستطاعة إذ هو الاكسير لأهل هذه الصناعة لأنه يخرق أعيان المباحات والعادات فيحيلها عبادة تامة من أجل القربات وأخص الطاعات فهذه أربع خصال لايمكن تصحيح الوجهة إلى الله تعالى مع الاختلال بشىء منها بحال (ومما) يختص بثانى المنازل الايمانية وهو منزل الصدق الذى هو صفاء المعاملة مع الله تعالى من امتزاج الخواطر النفسانية حفظ الوقت من الخواطر وتعلق القلب بعالم السرائر وتلمح الحكم من مختلفات الوجود واتهام النفس فى توفية حقوق الخلق على الحد المحدود وترك الاجتهاد بالتأويل حفظاً لرسوم القوم من التغيير والتبديل فهذه خمسة آداب لايصح لمن ترك شيئاً منها صفاء المعاملة مع رب الأرباب (ومما) يختص بثالث منازل الايمان وهو منزل الطمأنينة التى هى سكون القلب إلى ثلج اليقين سكونا عاريا عن الاضطراب وثلجاً يشبه العيان الحرص على العمل الظاهر والباطن بالتزام الأدب فيه على طريق الملازمة والمواظبة ومباحثة الأنفاس فى التصفية خشية الفضيحة عند ورود سلطان المراقبة وعدم الاكتراث بالطمأنينة عند حركة الانتهاض إلى مبادى المراقبة والسعى إلى مراقيها المكينة وخمود نار الفكر بورود نار معنى الذكر من غير أن يبلغ به مبلغ الشكر فهذه خصال أربع من استوفاها فقد استوفى الخير أجمع وذلك لأن منزلة الطمأنينة من أعظم أبواب الولاية إذ هو أول منازل المراد المواجه بأنوار العناية ومنه يتنسم المريد السالك روائح القرب وتبرق عليه بوارق مشاهدة سنى حضرة الرب ثم إن لكل منزل من منازل مقام الاحسان آدابا تختص به أيضا عند أهل العرفان منها الكتم لما يظهر ويلوح من مبادى الأسرار هنالك وتنزه الروح عن الالتفات إلى شىء مما كتمه من ذلك ومنها الثبوت عند أول الواردات التى تغدو عليه من حضرة المعارف وتروح والرجوع إلى الشاهد عند ما تضعف منه عن تحمل اعباء المشاهدة الروح ومنها وهى من آكد الآداب فى منزل المعرفة وأكملها إعطاء الحكمة أهلها ومنعها من غير أهلها ولمنازل هذا المقام آداب أخر يقصر عن شرح حقيقتها فى هذا المحل اللسان ولايفيد فى إيضاح ماهيتها البيان فمن الأدب هنا أن يثنى عن ذكرها العنان إحالة على الذوق والوجدان والاكتفاء بما يحصل للصادقين من طريق المشاهدة والعيان

ستكفيك من ذاك الجمال إشارة * ودعه مصونا بالجلال محجبا

وبهذا تظهر بعون الله تعالى مكانة الأدب من الطريق ودرجته من مقامات السلوك على التحقيق والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق والهادى إلى سواء الطريق

يتنقل الموروث إلى الوارث إلا بالصفة التى كان بها عند الموروث عنه انتهى كلام الشاطبى باختصار واقتصار على المقصود منه وحاصل ما أضربت عنه من كلامه الاحتجاج للفضيلة بين رتبة الولاية ورتبة العلم برسم تجريد كل واحدة منهما عن الأخرى وجنح فيه لتفضيل رتبة العلم وقد نقضه الشيخ سيدى محمد فى جنة المريد بما حاصله يرجع إلى اتحاد أصل المرتبتين وان مرتبة الولاية الخاصة أفضل من رتبة العلم الخاصة فانظره فانه أفاد وأجاد والله تعالى يجزيه أحسن جزاء وإذا تمهد هذا فالشيخ التجانى رضى الله عنه جمع أصول الشرف من العلم والولاية والنسب النبوى ووصفه بالولاية العظمى عدول أثبتوها له شاهدوه ورأوا عليه علامات الولاية والخصوصية وأخذوا عنه وردده منهم الشيخ سيدى محمد الحافظ العلوى وقاضى شنجيط ومدرسها الفقيه الطالب جد بن الشيخ العلوى امام وادان وعالمه أوحد زمانه السالك ابن الامام الحاجى رضى الله عن الجميع ولا نعلم أحداً أعدل من هؤلاء النفر الثلاثة فى المغرب الاقصى فبهم تنتفى عنه الخصوصية التى أثبتها هؤلاء حتى يرمى بالتبديع والتكفير بمجرد الدعوى والدعاوى مالم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء كيف والمثبت مقدم على النافى وهذا الذى يقوله هذا المنكر إما أن يكون اختلافا اختلقه والله حسيبه فيه وإما أن يكون سمعه من كذبة فسقة اختلقوه واعتمدوا فيه على التسامع الذى لا أصل له وللشيخ فى ذلك أسوة حسنة من العلماء والأولياء كامام الحرمين والشاذلى

## ﴿ المطلب الثالث ﴾

### ﴿ فى الاشارة إلى نبذة من آداب الحضرة العلية وبعض ما اتصف به من ذلك أهل المراتب السنية ﴾

لما قدمنا فى المطلب قبل هذا مافيه بحمد الله تعالى الكفاية العميمة من الكلام فى حقيقة الأدب ومعرفة منشئه وبيان مكانته الفخيمة وكانت مطالعته داعية بتوفيق الله تعالى إلى التعلق بحبله المتين وسببه القوى والانتهاج لنهجه الأقوم وسبيله السوى أحببت أن أردفه بما أذكره فى هذا المطلب مما يكون ان شاء الله تعالى عونا للمريد الراغب في كمال الاقتداء على مايرومه من تحقيق المتابعة لأئمة الاهتداء فأقول مستعينا بحول القوى المعين معتمداً على فضله الواسع وفتحه المبين (اعلم) أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين هم صفوة الله تعالى من البرية أكمل الناس آدابا مع الحضرة المقدسة العلية وأتم قياما بحقوقها ووظائفها المرعية من سائر من عداهم من أهل المراتب السنية حسبما نطق به القرآن العظيم وأفصحت به آيات الذكر الحكيم ( قال مولانا جل جلاله ) فيما خاطب به حبيبه المصطفى الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وإنك لعلى خلق عظيم قال فى العوارف قال مجاهد أى على دين عظيم والدين مجموع الأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة (وقال) الحسن لأنك لم يؤثر فيك جفاء الخلق مع مطالعة الحق اه وهذا غاية فى كمال أدبه صلى الله عليه وسلم (وقال) الواسطى الخلق العظيم أن لا تخاصم ولا تخاصم وقال أيضا لأنك قبلت ما أسديت اليك من نعمى أحسن مما قبله غيرك من الأنبياء والرسل (وقال) الجنيد لأنه لم يكن له همة فى سوى الله تعالى ولامحالة أن من كان بهذه المثابة كان أجمع لمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب على الوجه الأكمل (وقيل) فى تفسير هذه الآية الكريمة غير هذا فقيل لأنه صلى الله عليه وسلم عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه (وقيل) سمى خلقه عظيما لاجتماع مكارم الأخلاق فيه اه وقد تقدم لنا فى حقيقة الأدب أنه الجمع لمكارم الاخلاق ومحاسن الفعال والخلال على أحسن ما يكون من وجوه الكمال والآية الكريمة على مجموع هذا التفسير دالة على ذلك أتم دلالة وأوضحها فهى اخبار من الله تعالى بأن حبيبه صلى الله عليه وسلم مجمع الآداب ظاهرا وباطنا وأنه صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق أدبا وأتمهم قياما به مع الحق ومع الخلق على الوجه الذى لايدركه غيره والله تعالى أعلم (وقال) مولانا جل علاه « مازاغ البصر وماطغى » وفى هذه الآية الكريمة أيضا اخبار من المولى الكريم الاعظم عن كمال أدب حبيبه الاكرم صلى الله عليه وسلم (قال) فى العوارف وهذه غامضة من غوامض الادب اختص بها صلى الله عليه وسلم ثم قررها بما ملخصه أنه صلى الله عليه وسلم لكمال اعتدال قلبه المقدس فى الاعراض والاقبال كان حاله فى كلا الطرفين أتم الاحوال فكما أعرض عن كل ما سوى الله تعالى أتم اعراض وأكمله فكذلك أقبل عليه سبحانه وتعالى أحسن اقبال وأجمله فترك صلى الله عليه وسلم فى اعراضه الارضين والسموات وما فيهن من وراء ظهره ولم يزغ بصره ولا التفت الى شيء مما أعرض عنه ولا لحقه الاسف عليه فى سره ولا جهره وأدرك فى اقباله مما ورد عليه فى مقام قاب قوسين من المنح والمواهب والاسرار مالا تحيط به العقول ولا تكيفه الافكار فلم يطغ صلى الله عليه وسلم بالانبساط ولا أخل بشيء من آداب جلالة البساط وذلك أنه صلى الله عليه وسلم تلقى تلك المواهب التى وردت عليه من حضرة الرب فى خجال من حيائه وخفارة من أدبه بالروح والقلب ثم فر من الله

من شرح كبراه ولقد ابتلينا بأقوال باطلة تنسب لأئمة السنة والله تعالى يعلم هل صدرت منهم أم لا وعلى تقدير صدورها منهم فعلى أى وجه صدرت منهم وهو سبحانه حسيب من ينقل مثل ذلك عنهم ولا يدفعها عمن لا تليق به ان أمكنه انتهى بمعناه ولله در القائل

ما كان من شيم الأبرار أن يسموا
بالفسق شيخا على الخيرات قد جبلا
لالا ولكن إذا ما أبصروا خللا
كسوه من حسن تأويلاتهم حللا
لكن المؤمن يلتمس المعاذير والمنافق يتبع العيوب وانكار بعض أهل العصر عليه لاينهض حجة لهذا المنكر بل لايبعد أن يكون من أقوى الأدلة على ثبوت الولاية له قال قطب الدين الشيرازى رضى الله عنه انكار العوام على الخواص لايقدح فى مناصبهم كما لا يقدح فى رسالة الأنبياء نسبة بعض الناس لهم آى السحر والجنون وغير ذلك . وقال سيدى على الخواص رضى الله عنه لو أن كمال الدعاة الى الله عز وجل كان موقوفا على اطباق الخلق على تصديقهم لكان الأولى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنبياء قبله . وقال الشعرانى لايخفى أنه لابد أن ينقسم جماعة كل داع إلى الله عزوجل كما انقسم من دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم إلى دين الاسلام إذ هو الشيخ الحقيقى لجميع الأمة وجميع



الدعاة نوابه صلى الله عليه وسلم وقال سيدى احمد زروق رحمه الله تعالى فى عدة المريد جرت سنة

لتظهر عنايته عليهم فى عدم التمكين منهم ولتبدو فضائلهم لمن لم يكن له بها علم

وإذا أراد الله نشر فضيلة
طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف العود

وأيضا فلئلا يفوتهم الشكر على المدح والصبر على الذم قال فى فى الحكم إنما أجرى الاذى عليهم كيلا تكون ساكنا إليهم أراد أن يزعجك عن كل شىء حتى لا يشغلك عنه شىء انتهى ولبعضهم استقار الرجال فى كل عصر

تحت سوء الظنون قدر جليل
ما يضر الهلال فى حندس الليـ
ـل سواد السحاب وهو جميل

وقال اليدالى فى الذهب الابريز عند قوله تعالى «وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن ـ الآية» ما نصه يؤخذ من هذه الآية أن عادة الله فى أنبيائه وأصفيائه أن يسلط الخلق عليهم كلما مالت قلوبهم لغير الله لأن الولى إذا آذاه الناس وذموه ورموه بالبهتان نفرت نفسه منهم ولم يركن إليهم فيصفو له الوقت مع ربه فالرجل مبتلى على حسب دينه فلكل نبي وصديق عدو فقد كان لآدم ابليس ولنوح حام ولداود جالوت إلى أن قال وكان للأصفياء والأولياء بعد الأنبياء أعداء من عصر الصحابة إلى وقتنا هذا فكان لابن عباس نافع بن الأزرق وكان لسعد بن أبى وقاص بعض جهال الكوفة يؤذونه ويقولون لا يحسن أن يصلى ولا يخفى ما قاساه الأئمة ذكروه).

تعالى هيبة وإجلالا فطوى نفسه بقراره فى مطاوى انكساره وافتقاره لئلا تنبسط النفس بالاستغناء كما قال تعالى «كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى» ولاشك أن الانبساط من العبيد يسد باب المزيد وهذا الفرار بالنفس على ما وصفناه هو الفرار من الله إلى الله وهو نهاية الأدب وقد حظى منه صلى الله عليه وسلم بما لم يحظ به أحد قبله ولا بعده من أهل الرتب فدام له من ربه سبحانه وتعالى المزيد ونال منه غاية الأرب اه ما لخص من العوارف (ونقل) فيها بعده عن سهل بن عبد الله رضى الله عنه أنه قال فى الآية الشريفة لم يرجع صلى الله عليه وسلم إلى نفسه ولا إلى مشاهدة أوصافها وإنما كان مشاهداً بكليته لربه يشهد ما يظهر عليه من الصفات التى أوجبت له الثبوت فى ذلك المحل (قال) صاحب العوارف وهذا الكلام لمن اعتبره موافق لما شرحناه برمز فى ذلك من سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى ورضى الله عنه اه وقال الشيخ محيي الدين رضى الله عنه فيما يتعلق بمعنى الآية الكريمة ما نصه من أدب من يجالس الاكابر الهيبة والوقار فلا يلتفت ولا يشغل سره بمشاهدة غير جليسه ومن شأنه عصمة قلبه من الخواطر وعقله من الافكار وجوارحه من الحركات وعدم التمييز بين الحسن والقبيح ويجمع أعضاءه اجتماعا يسمع له أزيز كأزيز القدر الذى يغلى على النار ومن شأنه أن لا يحصل له عند المباسطة إدلال قال تعالى «مازاغ البصر وما طغى» اه فأشار رضى الله عنه فى هذا الكلام إلى جملة من آداب الحضرة مما تشير إليه هذه الآية الشريفة وبالجملة فهذه الآية الكريمة قد دلت على ما يضيق عنه نطاق التعبير من كمال أدبه صلى الله عليه وسلم الدال على كمال معرفته بربه سبحانه المعرفة التى لا مطمع فيها لأحد من الخلق كائنا من كان وقد قيل أدب الانسان دليل على قدر انساع دائرته فى مقام العرفان (وقيل) فى معنى الآية الكريمة غير هذا مما لا يمكننا فى هذه العجالة استيفاؤه وللشايخ الكمل رضى الله عنهم من العبارات فى كمال أدبه صلى الله عليه وسلم مع الحضرة الالهية مالا يكاد يدرك حصره ولا استقصاؤه وعلى هاتين الآيتين الكريمتين مدار كلام من عبر عن ذلك من فحول الطريقتين * ومن أجمع العبارات وأوعبها فى هذا الباب عبارة شيخنا قطب الاقطاب رضى الله عنه وأرضاه ونفعنا وسائر الاحبة برضاه ونصها كما فى جواهر المعانى (اعلم) أنه صلى الله عليه وسلم لما كمل خلوصه إلى أوطان القرب والتمكين من حضرة الله تعالى التى لا مطمع فيها لغيره كان قائما فيها بتكميل الأدب وتكميل وظائف الخدمة فى كل ما برز وما يبرز من الحضرة من الأسرار والتوقعات والتجليات فى ظاهر العلم وباطنه وباطن الحضرة الالهية فلا يفتر عن ذلك مقدار طرفة عين ولا يقطع منه التفريط فى حق من حقوق التجليات كلما برز من التجليات شىء على كثرتها وعدم نهايتها يعطيه حقه من العبودية من غير إخلال ولا ضعف ولا تزحزح ما عن موقف الكمال فان أطوار الوجود بكل ما تطور به من خير أو شر أو جلب أو دفع أو عطاء أو منع أو تحريك أو تسكين أو تلوين إلى سائر أقسام التطورات مما يعرفه العامة فى ظواهر الوجود وما يتطور فى بواطن الوجود من الارادات والتخيلات والتوهمات والخواطر والافكار كل ذلك تجليات الحق سبحانه وتعالى بآثار صفاته وأسمائه ما لم غيره سبحانه وتعالى فى كل ما سمعت وهو صلى الله عليه وسلم فى موقف كماله دائما أبدا سرمدا يعطى جميع التجليات حقها ويوفى أدبها وهو فى كل ذلك لله وبالله انتهى كلام سيدنا رضى الله عنه بلفظه فى جواهر المعانى ويكفى هذا القدر الذى ذكرناه فى هذا المحل مما أشارت اليه الآيات القرآنية من كمال أدب نبينا صلى الله عليه وسلم مع الحضرة الربانية (ومما

ذكروه ) فى هذا المقام من آدابه وآداب غيره من الأنبياء الكرام عليه وعلى جميعهم من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام آدابهم الظاهرة القولية التى هى رشحة آدابهم الباطنية القلبية وذلك مثل ماروى عن نبينا صلى الله عليه وسلم من قوله زويت لى الأرض فاريت مشارق الأرض ومغاربها قالوا قد حفظ صلى الله عليه وسلم أدب الحضرة حيث لم يقل فرأيت ومثل قوله سبحانه وتعالى حكاية عن نبيه أيوب عليه الصلاة والسلام « أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين » ( قال ) الأستاذ أبو على الدقاق رضى الله عنه قد حفظ نبى الله أيوب عليه الصلاة والسلام أدب الحضرة حيث لم يقل ارحمنى ومثل قوله تبارك وتعالى حكاية عن نبيه عيسى عليه السلام « إن كنت قلته فقد علمته » قال الشيوخ قد حفظ نبى الله عيسى عليه الصلاة والسلام أدب الحضرة حيث لم يقل لم أقله إلى غير ذلك من الآى الكريمة الدالة على آدابهم الفخيمة على جميعهم وعلى آل كل من المولى الكريم البر الرحيم أفضل الصلاة وأزكى التسليم (وأكمل) الناس اقتداء بهم فى هذا المقام الصحابة الكرام رضى الله عنهم ونفعنا بمحبتهم جميعا ( ومما ) أثبتوة من ذلك قول مولاتنا عائشة الصديقية رضى الله عنها لمن سألها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن (قال فى العوارف) لا يبعد والله أعلم أن قول عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن رمز غامض وإيماء خفى إلى الأخلاق الربانية فاحتشمت رضى الله عنها الحضرة الالهية من أن تقول كان متخلقا بأخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال اه ﴿ تنبيه ﴾ كثيراً مايجرى فى اطلاقات الأكابر كالشيخ محيي الدين رضى الله عنه وكذا غيره من الأكابر كشيخنا رضى الله عنه حسبما ستقف على بعضه فى هذا الكتاب إن شاء الله ذكر التخلق بالأخلاق الالهية ومعنى ذلك عند المحققين أن العبد يأخذ من بعض الأسماء الحسنى والصفات العليا وصفا يلائم ضعف البشر وقصوره مثل أن يأخذ من الاسم الرحيم وصفا من الرحمة على قدر ضعف البشر وقصوره وهكذا فى سائر الاسماء التى يصح التخلق بها للعبد وكل إشارات العارفين فى الأسماء والصفات التى هى أعز علومهم على هذا المعنى وهذا التفسير فليحذر العبد أن يميل بقصور فهمه وتخيلات وهمه إلى شىء مما يعطيه ظاهر عبارات الكمل رضى الله عنهم من الحلول والاتحاد فيجره ذلك والعياذ بالله تعالى إلى الزندقة والالحاد ومن هذه الآداب التى اتصف بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واقتدى بهم فيها أتم اقتداء أكابر الصحابة الكرام أخذ أهل الطريق آدابهم ومن أنوارهم اقتبسوها وعلى مذاهبهم المكينة بنوا قواعدهم فى ذلك وأسسوها فعمروا ظواهرهم وبواطنهم بحسن الأدب مع أساتيذهم ومشايخهم وحافظوا على ذلك بقدر جهدهم واستطاعتهم فأوصلهم حسن الأدب مع مشايخهم إلى حسن الأدب مع الله تعالى ومع رسوله صلى الله عليه وسلم فى جميع حركاتهم وسكناتهم فظهرت بسبب ذلك جواهر حقائقهم فاستحقوا التقدم على غيرهم والترؤس على أبناء جنسهم (فأما) حسن أدبهم مع أساتيذهم فمن أمثلته التى ينتحى المريد الموفق منحاها وينتهج نهجها القويم مقتبساً من نورسناها ما ذكره فى العوارف عن أبى منصور المغربى من أنه قيل له رحمه الله تعالى كم صحبت أبا عثمان فقال خدمته لا صحبته فالصحبة مع الاخوان ومع المشايخ الخدمة اه وهذا ينظر إلى ماروى فى بعض الأخبار عن سيدنا العباس عم نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قيل له أنت أكبر سناً أم النبى صلى الله عليه وسلم فقال هو أكبر منى وأنا ولدت قبله اه ( وأما ) حسن أدبهم مع الحضرة القدسية العلية فمنه

ومحمد بن الفضل البلخى وابن أبى جمرة والشبلى وأبو مدين والحكيم الترمذى وسحنون وسهل بن عبد الله وأبو سعيد الخراز والشبلى وغيرهم وساق عدة من الأولياء وذكر مارمى به كل واحد منهم ومنهم من قتل فلينظر آخر كلامه والله ولى التوفيق وهو الهادى إلى سبيل التحقيق

﴿ الباب الثانى فى حقيقة البدعة وما تشتمل عليه ﴾

مقدمة) قال صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة رواه مسلم والبخارى وغيرهما قال الأبى قوله الدين النصيحة أى عماده النصيحة قال النووى كقوله الحج عرفة أى معظمه قال ابن زكرى هذا الحديث الكريم قيل هو أحد الأحاديث الأربعة التى هى مدار الدين قال المناوى ولا يصح هذا بل هو وحده المراد وقال لم يوفه حقه من جعله ربع الاسلام بل هو الكل انتهى فاذا تقرر هذا فالناصح يحتاج إلى علم وعقل وفكر صحيح ورؤية حسنة واعتدال مزاج وتؤدة وتأدب فان لم يجمع هذه الخصال فخطؤه أسرع من إصابته فلا يشير ولا ينصح قالوا ومافى مكارم الأخلاق أدق ولا أخفى ولا أعظم من النصيحة انتهى قلت ومن هنا أخذ بعض المتنسبين لعلم الرسوم فنظر نفسه بعين الكمال واستحسن حاله حتى زعم أنه من علماء المسلمين الذين أهلوا للنصح لهم فتراه أبدا يتوصل لاظهار جاه نفسه بواسطة الحسبة إظهارا للتمييز بشرف العلم وذلك قيام بحظ نفسه أعماه عنه رضاه بحاله فزعم أنه قيام بحق ربه وللنفس

ماذكروه من آدابهم الفعلية التى هى عنوان آداب بواطنهم المطهرة السنية ذكر الأستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه عن الأستاذ أبى على رضى الله عنه أنه كان لا يستند الى شىء أدبا مع الحضرة الالهية (قال) وكان يوما فى مجمع فأردت أن أضع له وسادة خلف ظهره لأنى رأيته غير مستند فتنحى عن الوسادة قليلا فتوهمت أنه توقى الوسادة لأنها لم يكن عليها خرقة أو سجادة فقال لا أريد الاستناد فتأملت بعد ذلك فعلمت أنه لا يستند لشىء أبداً اه (وقال) السرى السقطى رضى الله عنه صليت ورد ليلة من الليالى ومددت رجلى فى المحراب فنوديت ياسرى كذا تجالس الملوك فضممت رجلى ثم قلت وعزتك لا مددت رجلى أبداً (قال) الجنيد رضى الله عنه فبقى ستين سنة ما مد رجله ليلا ولا نهاراً اه (وذكر) عن السرى أيضا رضى الله عنه أنه سئل عن مسئلة من الصبر فجعل يتكلم فيها فدب على رجله عقرب فجعل يضربه بابرته فقيل له ألا ترفعه عن نفسك فقال أستحى من الله تعالى أن أتكلم فى حال ثم أخالف ما أعلم فيه اه (وحكى) عن بعض الشيوخ أنه قال دخلت مكة فكنت ربما أقعد بحذاء الكعبة وربما كنت أستلقى وأمد رجلى فجاءتنى عائشة المكية فقالت لى يا أبا فلان يقال إنك من أهل العلم لا تجالسه إلا بالأدب وإلا محى اسمك من ديوان القرب قال وكانت من العارفات رضى الله عنها اه انظر العوارف . ومن هذا ماذكره فى جواهر المعانى من وصف آداب سيدنا رضى الله عنه حيث قال بعد سرده لجملة من آدابه ومارئى قط ماداً رجله إلى القبلة وما بصق قط وهو جالس بالمسجد ولا رفع به صوته وما سمع أحداً يرفع به صوته إلا نهاه وما رأى أحداً أخل بشىء من آداب الشريعة إلا نبهه ويقول له إذا كان له معرفة بها على سبيل الانكار والتوبيخ أهكذا ورد فى السنة اه وانظر ما يشير إلى بعض آدابه رضى الله عنه مع حضرة الله تعالى وحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا مع أولياء الله تعالى فى جواهر المعانى وغيره تعثر على معرفة حقيقة الأدب وتر من ذلك ما تقضى منه العجب (ويكفى) من آدابه مع الحضرة العلية أخذه بكمال الاحتياط فى الطهارة ثوبية ومكانية وبدنية وأمره بذلك فى جميع العبادات والتوجهات فعلية كانت أو قولية وذلك من الشائع الذائع عنه وعن أصحابه رضى الله عنه وكذلك أخذه بالاحتياط فى جميع المعاملات الدينية والدنيوية مما لا يسعنا الآن تفصيل بعضه فضلا عن كله ويكفى فى كمال أدبه مع حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم مبالغته فى تعظيم أهل البيت الطاهر ولهجه دائما بما خصهم الله به من سنى المحامد وفاخر المآثر وحضه على ذلك فى سائر أوقاته وأحواله وحثه الناس على أمحاض الود لهم ودلالته على ذلك بألسنة حاله ومقاله فكان رضى الله عنه يكرم الداخل منهم عليه بأسمى المجالس وأخصها ولا يترك أحداً منهم يجلس بأدناها وأخسها وما ترك أحداً منهم يجلس بازاء رجليه أو فى محل امتهان على أى حالة كان ولم يكن رضى الله عنه يساوى بخصوصيتهم الذاتية خصوصية ولا بمزيتهم الأصلية مزية وسيأتى بعض ما يتعلق بهذا أثناء الشرح إن شاء الله تعالى (ويكفى) فى كمال أدبه مع أولياء الله تعالى حضه على تعظيمهم وتوقيرهم أحياء كانوا أو أمواتا وعدم مسامحته فى الاستهزاء بهم والاستهانة بقدرهم وكان ينهى من يسكن بجوار واحد منهم أن يمد رجليه إلى جهته ولو أداه ذلك إلى مخالفة ماجرت به العادة فى نوم الناس فى محالهم كأن يجعل رأسه الى باب البيت مثلا لا يغفل عن ذلك رضى الله عنه أبداً وقد أخبرنى بعض الأفاضل من أعيان أصحابه رضى الله عنه أنه اتفقت له السكنى بدار مجاورة لضريح مولانا ادريس رضى الله عنه على عهد الشيخ رضى الله عنه وكان

---

فى ذلك لذتان عظيمتان إحداهما لذة الاحتكام والسلطنة ومرجعها إلى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الداعية الى الشرك الخفى قال فى الاحياء ينبغى للمحتسب أن يمتحن نفسه بمعيار وهو أن يكون امتناع ذلك الانسان عن المنكر بنفسه أو باجتناب غيره أحب إليه من امتناعه باحتسابه فان كانت الحسبة شاقة ثقيلة على نفسه وهو يود أن يكفر بغيره فليحتسب فان باعثه الدين وإلا فما هو إلا متبع هوى فليتق الله وليحتسب أولا على نفسه وعند هذا يقال له ماقيل لعيسى عليه السلام عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى منى وقيل لداود الطائى رحمه الله تعالى أرأيت رجلا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر فقال أخاف عليه السوط قال إنه يقوى قال أخاف عليه السيف قال إنه يقوى قال أخاف عليه الداء الدفين العجب انتهى الثانية لذة العلم ومرجعها إلى العجب واستشعارها اقرار للنفس على دعوى العلم وهو مهلك عظيم قال فى شرح شهية السماع ومن كلام سيدى على الخواص إياك أن تقر النفس على دعوى العلم فمن أقرها على ذلك فقد أقرها على الرياء والعجز ولا يخفى مافيهما من المقت قال ومن كلامه إياكم أن تبادروا الدعوى لمقام لم تبلغوه فتقعوا فى الكذب والرياء والنفاق وحرمان ذلك المقام بعد ذلك وانظروا إلى النبات لما عدم روح التصريف وحركة الحيوانية وطلب التشبه بالحيوان حين قام على ساقه طالباً للانفصال عن رتبته كيف عوقب بالحصاد والدرس بحوافر البهائم

البيت المعد للسكنى من تلك الدار مقابلا للضريح المعظم فلما أعلم الشيخ رضى الله عنه بذلك أعظمه غاية لأن من لازم من نام بذلك البيت أن يمد رجليه إلى جهة الضريح إلا بترك ثم أكد رضى الله عنه على الصاحب المذكور أن لا يمد رجليه إلى ناحية الضريح فى نوم ولا يقظة و بعد مدة يسيرة أدخلت الدار المذكورة فى المسجد الادريسى فكان بعض المحبين يرى أن ذلك من أثر تحرك همة الشيخ لذلك ولا بعد فيما رآه هذا المحب عند من فتح الله بصيرته ورزقه الايمان الكامل بكرامات أولياء الله تعالى وألهم التصديق بأن الاشياء تنفعل لتحرك هممهم العوالى باذن مولى الموالى سبحانه وتعالى هذا ولو تتبعنا ما نقل عن المشايخ رضى الله عنهم فى هذا الباب واستوعبنا ذكره ما اتصف به سيدنا رضى الله عنه من سنى الآداب لخرجنا إلى حد الاطناب مع أن القصد إنما هو الالمام بشيء مما عسى أن يكون للناظر فى هذا الكتاب تنبيها وتذكرة و إعانة له على ما هو بصدده من فهم مسائل هذا النظم وتبصرة والله تعالى المستعان وعليه سبحانه التكلان ( الحاق ) مما ينبغى أن يندرج فى هذا المطلب و ينساق ما حكاه فى العوارف عن الشبلى رضى الله عنه من قوله الانبساط بالقول مع الحق ترك الأدب يريد رحمه الله تعالى فى بساط الدعاء والطلب قال فيها أعنى العوارف وهذا يختص ببعض الأحوال والأشخاص دون البعض وليس على إطلاقه لأن الله تعالى أمر بالدعاء اه ( وقال ) الشيخ زروق رضى الله عنه بعد ذكره ما ورد فى حق الخليل عليه الصلاة والسلام حين زج به فى المنجنيق فتلقاه جبريل عليه السلام وقال له ألك حاجة فقال له أما إليك فلا وأما إلى الله فبلى فقال له إذن فاسأله قال حسبى من سؤالى علمه بحالى مانصه وهو طريق العارفين عند تعذر الأسباب أعنى الرجوع إلى الله تعالى بالاستسلام وترك الطلب بخلاف حال قبول المحل الأسباب فان العمل بها حينئذ مطلوب قال واعتبر ذلك بأمر أم موسى عليه السلام بالقائه فى البحر وإجابة الملائكة للوط عليه السلام بقولهم قد جاء أمر ربك عند قوله لقومه لو أن لى بكم قوة الآية فهو صلوات الله عليه أراد مقابلتهم بالأسباب فأجيب بنفوذ الأمر وأنه لا محل لها ولذلك أشار النبى صلى الله عليه وسلم بقوله يرحم الله أخى لوطا لقد كان يأوى إلى ركن شديد على معنى أن ترحمه عليه إنما كان لظنه ان الأسباب بقى لها محل لا كما فهمه من لا حقيقة عنده ( ثم قال ) والتوجهات ثلاثة أولها التوجه بالاستسلام وذلك عند تعذر الأسباب كما تقدم الثانى التوجه بالسؤال والطلب وذلك عند انشراح الوقت وجريانه بالمعتاد وفى موقف تذكير النفس بالافتقار والاضطرار عند غفلتها عن التوحيد أو يكون البساط بساط تعليم أو تذكير ونحوه الثالث التوجه بالتعريض وذلك حين يغلب حسن الظن والاكتفاء بالعلم وتحقيق التوحيد والاشتغال بالذكر كقول سيدنا ابراهيم عليه السلام والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين وكقول سيدنا موسى عليه السلام «رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير» وكقول نبينا صلى الله عليه وسلم لاغنى لى عن عافيتك عافيتك أوسع بى اه كلام الشيخ زروق رضى الله عنه ولا يخفى أن كل توجه لحال أو وقت هو الأدب فى تلك الحال أو ذلك الوقت بهذا الذى نقلناه عن الشيخ زروق رضى الله عنه يظهر ما أشار إليه الشبلى رحمه الله تعالى ورضى عنه و يعرف أنه ليس على إطلاقه كما تقدم عن صاحب العوارف نعم يحتاج التوجه بالسؤال والطلب إلى آداب تخصه ( منها ) الاخلاص قال تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين الآية ( قال ) فى تهذيب الأذكار وإخلاص الدعاء إلى الله تعالى أن يخلص الدعاء عما يشوبه من الحظوظ وأن يفرد الله تبارك

كلام سيدى أفضل الدين من نظر فى علوم السلف الصالح حكم على نفسه بالجهل ولم يحدثه نفسه بأنه من العلماء انتهى * وفى جنة المريد قال سهل ما نظر عبد إلى نفسه فأفلح ولا ادعى لنفسه حالا فتم له ولا أضاف لنفسه علما إلا أهلكه ألا ترى الله تعالى كيف حكى عن قارون إنما أوتيته على علم عندى نسى الفضل وادعى لنفسه العلم فخسف الله به وبداره الأرض ظاهراً وكم خسفت به الأسرار باطنا وصاحبها لا يشعر بذلك وخسف الأسرار هو المنع من العصمة والرد إلى الحول والقوة باطلاق اللسان بالدعاوى العريضة والعمى عن رؤية الفضل والقعود عن القيام بالشكر فى كل ما أولى وأعطى انتهى قلت و بما قدمناه تعلم أنه يجب على الناصح أن يفتش نيته حتى يعلم أن نصيحه غير مشوب بهوى فعمر رضى الله عنه كان لا يأمن النفاق من نفسه وقد قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم وما أبرىء نفسى ويجب عليه أن يحذر خدع النفس وتزوير الشيطان فقد يظن أنه مشتغل بواجب وهو مرتكب لحرام وذلك أن الشيطان يلبس عليه باظهار الشفقة على الحى وهو قائم بحظ نفسه قال الشعرانى من نصح لغير الله فقد طلب أن يكون له مالله تعالى على عباده من امتثال أوامره واجتناب نواهيه انتهى ومنازعة

الله تعالى فى صفات كماله من أعظم الجهل وليت هذا المسكين سلم له رأس مال اسلامه فان المنازعة تنافى حقيقة الاسلام الذى هو

لطريق التوبة ورزقنا وإياك جميل الأوبة إنه ولى الاجابة لمن طلب حسن الانابة

﴿فصل﴾ أما حقيقة البدعة فقد قال فى عدة المريد حقيقة البدعة شرعا احداث أمر فى الدين يشبه أن يكون منه وليس منه سواء كان بالصورة أو بالحقيقة لقوله صلى الله عليه وسلم من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو ردّ وقوله وكل محدث بدعة وقد بين العلماء رضى الله عنهم أن المعنى فى الحديثين المذكورين راجع لتغيير الحكم باعتقاد ماليس بقربة قربة لامطلق الاحداث اذ قد تناولته الشريعة باصولها فيكون راجعا إليها أو بفروعها فيكون مقيسا عليها قال وموازينها ثلاثة * الاول أن ينظر فى الامر المحدث فان شهد له معظم الشريعة وأصلها فليس ببدعة وان كان مما يأبى ذلك بكل وجه فهو باطل وضلال مبتدع وإن كان مما تراجعت فيه الادلة وتناولته الشبهة واستوت فيه الوجوه واعتبرت وجوهه فما ترجح من ذلك رجع إليه * الميزان الثانى اعتبار قواعد الائمة وسلف الامة العاملين بطريق السنة فما خالفها بكل وجه فلا عبرة به وما وافق أصولهم فهو حق وإن اختلفوا فيه فرعا وأصلا فكل يتبع أصله ودليله وقد وقع من قواعدهم أن ما عمل به السلف وتبعهم الخلف لا يصح أن يكون بدعة ولا مذموما وما تركوه بكل وجه واضح لا يصح أن يكون سنة ولا محمودا وما أثبتوا أصله ولم يرد عنهم فعله

وتعالى فى القصد بانه المعطى لاغيره (ومنها) أن يأتي فى دعائه بما يشعر بعظمة الربوبية وذلة العبودية قال الشيخ زروق رضى الله عنه كل دعاء لا يشعر صاحبه فيه بعظمة الربوبية وذل العبودية فهو تلاعب وبه أجيب عن عدم انتفاع كثير من الناس بالأدعية والاذكار الصحيحة الوعد بالاجابة المجربة النفع عند أهل الصدق والاخلاص (ومنها) الاكتفاء بعلم الله تعالى مع حسن الظن به والتفويض اليه فى الاجابة والعطاء (وقد) نقل الشيخ زروق رضى الله عنه عن بعضهم أنه قال من لم يكن فى دعائه تاركا لاختياره راضيا باختيار الحق تعالى فهو مستدرج وهو ممن قيل له اقضوا حاجته فانى أكره أن أسمع صوته فان كان مع اختيار الحق سبحانه وتعالى لامع اختياره لنفسه كان محبوبا وان لم يعط والأعمال بخواتمها اه (وذكر) فى جواهر المعانى عن شيخنا رضى الله عنه أنه كان اذا دعا لنفسه أولأحد بشىء مما كان مجهول العاقبة أو فيه حظ كان دعاؤه طلب الخيرة من الله تعالى وكان يقول المرة بعد المرة لاأدعو إلا بلسانى وقلبى مستسلم لله تعالى وأقول لاأريد شيئا ولا اختار شيئا تفعل ماتشاء وتحكم ماتريد وتارة اذا طلبه أحد فى الدعاء يمتنع منه أدبا مع الحق سبحانه واكتفاء بعلمه واختياره لعبيده وهذا كله فيما هو مشوب بالحظوظ وأما الدعاء على وجه العبودية فقد كان لايزال لهجا به رطبا قلبه ولسانه لأنه مأمور به شرعا وكان أكثر دعائه لمن سأله فى الدعاء الله يقبل عليك بمحض فضله ورضاه اه وفى هذا الدعاء من التحقيق بوصف العبودية والاستشعار لعظمة الربوبية مع مافيه من كمال النصح وحسن التربية مالا يخفى لاشتماله على جميع المطالب الدنيوية والأخروية مع الاعتماد فى جميعها على مايليق من الحضرة الفضلية وراجع آداب شيخنا رضى الله عنه فى جواهر المعانى وتأمل ما اشتملت عليه رسائله ومخاطبته من أدعيته لمن يخاطبه ترى مما خصه الله تعالى به من محاسن الأدب مايشهد العقل والنقل بانه لايتأتى مثله الا للخاصة العليا من أهل الرتب رضى الله عنه وأرضاه ومتعنا والأحبة فى الدارين برضاه آمين (واعلم) أنه قد تحصل مما ذكره فى جواهر المعانى من عمل سيدنا رضى الله عنه فى الدعاء على اختلاف الاحوال فيه ان الدعاء ينقسم الى ثلاثة أقسام ولكل قسم منها أدب يخصه ﴿القسم الأول﴾ الدعاء بما كان مجهول العاقبة والمراد به مالم تتبين مصلحته للعبد وقد أفاد عمل سيدنا رضى الله عنه ان الأدب فيه هو أن يكون بطلب الخيرة من الله تعالى وهو واضح والتحقق فيه بوصف العبودية بين (القسم الثانى) الدعاء بما كان مشوبا بحظ النفس وهو طلب الحوائج من الله تعالى أعنى الحوائج التى تبين للعبد أن له فيها مصلحة وقد أفاد عمل سيدنا رضى الله عنه أن يطلب ذلك الشىء على التعيين مع التفويض والاستسلام وترك مراد العبد الى مراد سيده واختياره الى اختياره سبحانه وحكم مشيئته مع رؤية التأثير من الله تعالى لامن نفس الداعى وهذا هو دعاء أهل اليقين (قال) الشيخ المحدث العارف بالله سيدى محمد بن على الترمذى رضى الله عنه فى نوادر الأصول وأما أهل اليقين فانهم يدعون ويلحون وهم فى ذلك ساكنون مطمئنون منتظرون مشيئة الله فاذ أجاب قبلوا وان تأخر صبروا وان منع رضوا واحسنوا الظن كما قيل منع الله اياك عطاء منه لك وذلك أنه لم يمنعك من بخل ولا عدم اه نقله فى شرح عدة الحصن الحصين وبهذا الأدب يصير الداعى متعبدا لله تعالى فى عين طلبه لحاجته فلا يؤثر فى عبادته اذ ذاك حظ نفسه * ومما يزيد هذا القسم بيانا وإيضاحا ما ذكره الشيخ أبو عبد الله بن عباد الرندى فى رسائله (ونصه) أن الوجه فى وقوع الدعاء يعنى طلب الحوائج من الله تعالى على وجه

فقال مالك بدعة لأنهم لم يتركوه إلا لأمر عندهم فيه وقال الشافعي ليس بدعة وإن لم يعمل به السلف لان تركهم للعمل به قد يكون لعذر قام بهم في الوقت أو لما هو أفضل منه والأحكام مأخوذة من الشارع وقد أثبته واختلفوا أيضا فيما لم يرد له في السنة معارض ولا شبهة فقال مالك بدعة وقال الشافعي ليس ببدعة واستند لحديث ما تركته لكم فهو عفو قال وعلى هذا اختلافهم في حزب الادارة والذكر بالجهر والجمع والدعاء إذ ورد في الحديث الترغيب فيه ولم يرد عن السلف فعله ثم كل قائل لا يكون مبتدعا عند القائل بمقابله لحكمه بما أداه إليه اجتهاده الذي لا يجوز له تعديه ولا يصح له القول ببطلان مقابله لقيام شبهته ولو قيل بذلك لادى إلى تبديع الامة كلها وقد عرف أن حكم الله تعالى في مجتهد الفروع ما أداه إليه اجتهاده سواء قلنا المصيب واحد أو متعدد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة فادركهم العصر في الطريق فقال بعضهم أمرنا بالعجلة وصلوا في الطريق وقال آخرون أمرنا بالصلاة هناك فاخروا ولم يعب صلى الله عليه وسلم على واحد منهم فدل ذلك على صحة العمل بما فهم من الشارع إذا لم يكن عن هوى

* الميزان الثالث ميزان التمييز بشواهد الاحكام وهو تفصيلي ينقسم إلى أقسام الشريعة الستة أعني الوجوب والندب والتحريم والكراهة وترك الاولى والاباحة فكل ما انحاز لاصل بوجه صحيح واضح لا بعد فيه ألحق به وما لا فهو بدعة وعلى هذا الميزان جرى كثير من المحققين واعتبروها من حيث اللغة للتقريب والله تعالى أعلم . ثم

العبودية أن تكون في حال دعائك طالبا من الله شيئا رأيت أن لك فيه مصلحة من غير أن تدعي استغناء عن ذلك ولا سخاوة نفس به ومن غير أن ترى دعاءك سببا موجبا لحصول ذلك الشيء المطلوب دون الحكم الأزلي وهذا لا ينافي كونك راضيا مفوضا متوكلا كما لا ينافي ذلك التسبب والتكسب إذا كان بحيث لا يتغير قلبك ولا يضطرب عند عدم افضاء سببك إلى مطلبك ثم قال ولا يضرك ما يفجأك أولا بمقتضى الطبع من بغضك لعدم حصول مطلبك إذ ذاك لا يثبت ولا يلبث أن ينهزم ويزول بما يكر عليه من وجود إيمانك ويقينك ومعرفتك ويكون بمنزلة الطائف الذي ينهزم بالتذكر اهـ نقله في الشرح المذكور بمعناه عن شيخ شيوخه العارف بالله ( قلت ) هو حسن في بابه مفيد جداً في إيقاع السؤال والطلب على الوجه الأكمل المرضي شريعة وطريقة وحقيقة حيث اشتمل على امتثال الأمر بالدعاء وعلى ترك دعوى النفس الاستغناء عن الشيء المطلوب وعلى رؤية التأثير للقدرة الآلهية والحكم الأزلي مع الرضا التام والله تعالى أعلم وإلى هذا أشار ما ذكره في الحلية عن محمد الباقر رضي الله عنه أنه قال ندعو الله تعالى بما نحب فاذا وقع ما نكره أحببنا ما أحب اه ( القسم الثالث ) الدعاء على وجه العبودية المحضة تعبداً لله تعالى وتقربا إليه سبحانه وتعالى من غير أن يشوب ذلك حظ وهو التوجه إلى الله تعالى بالدعوات المشتملة على أوصاف العبودية من إظهار فاقة وافتقار أو عجز واضطرار على وجه التضرع والخضوع إلى الله تعالى وعلى طلب التوبة والمغفرة والقبول والرحمة منه سبحانه وتعالى وعلى هذا القسم كان عمل من أدركناه من أصحاب الشيخ رضي الله عنه في جميع الأحزاب والأدعية وعليه كانوا يحضون وفيه كانوا يرغبون ورأينا الفضلاء المعتبرين منهم يكرهون أن يذكر المريد شيئا من الادعية والأحزاب المتداولة في الطريق كالسيفي وحزب البحر وغيرهما بنية شيء من الخواص ويصرحون بأن طريقنا أن نذكر ذلك تعبداً لله تعالى وتقرباً إليه وطلبا لمرضاته لا غير وفي هذا القدر مما رمنا الاشارة إليه في هذا المطلب كفاية والله ولي التوفيق والهداية .

## ﴿ المطلب الرابع ﴾

## ﴿ في بعض ما يختص بالمريد من آداب الصحبة والأخوة وبيان ما يلزمه من الوفاء وكمال الفتوى ﴾

لا خفاء أن حقوق الصحبة والاخوة وآدابها على ما سيتبين قريباً إن شاء الله تعالى من أعظم الحقوق وآكد الآداب إذ هي العصمة في مدارج السير والسلوك إلى حضرة رب الأرباب وخصوصا في طريقتنا هذه الاحمدية النجانية لقول سيدنا رضي الله عنه من ابتلي بتضييع حقوق الاخوان ابتلاه الله تعالى بتضييع الحقوق الآلهية وقد سمعت بعض أصحابه رضي الله عنه يقول سمعت سيدنا ومولانا الشيخ رضي الله عنه يقول إني لكثيرا ما أهم بوضع مؤلف في آداب الطريق تنبيها منه رضي الله عنه على أن الادب من أهم المهمات وآكدها في الطريق وأن من تمسك به فيها فقد تمسك بالسبب الاقوى والحبل الوثيق ( فلهذا ) جعلت هذا المطلب تابعاً للمطالب قبله وآثرت أن يكون كالتحصيل لمسائلها والتتمة والتكملة ( فأقول ) والله المستعان وعليه التكلان لا إله غيره ولا خير إلا خيره اعلم أن درجة الصحبة والاخوة عند الله تعالى درجة شريفة ومرتبتها من الطريق مرتبة سامية منيفة فقد اختارها ورغب فيها وآثرها جمع من السلف وتابعهم على ذلك الجم الغفير من جماهير الخلف ومما استندوا له فيما

قال وأقسامها ثلاثة البدع الصريحة وهى ما أثبتت من غير أصل شرعى فى مقابلة ماثبت شرعا من واجب أوسنة أومندوب أو غيره فأماتت سنة أوأبطلت حقا ثابتا وهذه شر البدع وإن كان لها ألف مستند من الأصول أو الفروع فلا عبرة به الثانى البدع الإضافية وهى التى تضاف لأمر لو سلم منها لم تصح المنازعة فى كونه سنة أوغير بدعة بلا خلاف أوعلى خلاف مما تقدم الثالث البدع الخلافية وهى المبنية على أصلين يتجاذبها كل منهما بحكمه فمن قال بهذا قال بدعة ومن قال بمقابله قال سنة كما تقدم فى حزب الادارة وذكر الجماعة انتهى باختصار واقتصار على المقصود من كلامه قلت ولعل هذا المنكر أخذ من جهل هذا القسم والميزان الثانى فأطلق اسم البدعة فى مواضع من نقده ولم يقيدها بكونها خلافية والله تعالى أعلم .

﴿ خاتمة ﴾

قال أبو اسحق الشاطبى رحمه الله تعالى كل ماعمل به الصوفية المعتبرون فى هذا الشأن كالجنيد وأمثاله لايخلو إما أن يكون مما ثبت له أصل فى الشريعة فهم خلفاء فيه كما أن السلف من الصحابة والتابعين خلفاء بذلك وإن لم يكن له أصل فى الشريعة فلا عمل عليه لان السنة حجة على جميع الأمة وليس عمل أحد من الأمة حجة على السنة لأن السنة معصومة من الخطأ وصاحبها معصوم وسائر الأمة لم تثبت لهم عصمة إلا مع إجماعهم خاصة وإذا اجتمعوا تضمن إجماعهم دليلا شرعيا فالصوفية كغيرهم ممن لم تثبت لهم العصمة يجوز عليهم

ذهبوا إليه من اختيارها واستأنسوا به لما اعتمدوه من إيثارها مارأوا من أن الله تعالى منّ على أهل الايمان حيث جعلهم إخوانا فقال سبحانه وتعالى « فأصبحتم بنعمته إخوانا » وقال سبحانه وتعالى « هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم - الآية » فقد دلت هذه الاشارة الكريمة على أن الصحبة والاخوة منة عظيمة ونعمة جسيمة امتن الله تعالى بها على من شاء من عباده المؤمنين المتحابين فى جلاله المتواخين فى طلب مرضاته والوصول إلى حضرة كماله وفى ذلك كما لايخفى غاية الحث عليها والترغيب فيها والندب إليها وقد دلت السنة المطهرة على ذلك أيضاً ( ففى الدر المنثور ) أخرج ابن مردويه عن سعد بن معاذ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة انقطعت الأرحام وقلت الأسباب وذهبت الاخوة إلا الأخوة فى الله تعالى وذلك قوله سبحانه وتعالى « الاخلاء يومئذ الآية » اه (وفى وصية) سيدنا عمر الفاروق المثنى عليه بأن الحق ينطق على لسان عمر والمأمور بالاقتداء به فى قوله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما عليك باخوان الصدق تعش فى أكنافهم فانهم زينة فى الرخاء وعدة فى البلاء اه ( وذكر ) فى العوارف عن سيدنا عمر أيضاً رضى الله عنه أنه قال لوأن رجلا صام النهار وقام الليل وتصدق وجاهد ولم يحب فى الله ولم يبغض فى الله مانفعه ذلك اه ومن لوازم الحب فى الله تعالى المؤاخاة فيه ولذلك يطلق أحدهما على الآخر وروى فى العوارف أيضاً بسنده إلى الأستاذ أبى القاسم القشيرى أنه قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الله بن المعلم يقول سمعت أبا بكر الطمستانى يقول أصحبوا مع الله فان لم تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله لتوصلكم بركة صحبته إلى صحبة الله وروى فيها أيضا بسنده إلى الشيخ أبى جعفر الحداد رحمه الله تعالى أنه سمع الشيخ على بن سهل يقول الأنس بالله أن يستوحش من الخلق إلا من أهل ولاية الله فان الأنس بأهل ولاية الله هو الأنس بالله وذكر فيها أيضا أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام قال يا داود مالى أراك منقبداً وحيداً قال إلهى قليت الخلق من أجلك فأوحى الله إليه يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك إخوانا وكل خدن لايوافقك على مسرتى فلا تصحبه فانه لك عدو يقسى قلبك ويباعدك منى ولهذا كانت الصحبة والصداقة عند الأحرار يراعى لها من الحقوق مايراعى لاخوة النسب على ماقيل الصداقة لحمة كلحمة النسب بل الحق أنها أعنى الصداقة والاخوة فى الله تعالى آكد حقا من اخوة النسب قيل لبعضهم أيهما أحب إليك أخوك أو صديقك قال إنما أحب أخى إذا كان صديقى (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه فى شرحه للوغليسية مانصه قال العلماء القرابة قرابتان قرابة دينية وهى أولى من القرابة الطينية اه وذكر الشيخ محيى الدين رضى الله عنه فى الفتوحات المكية أن شخصا دخل على شيخه ففاوضه فى معنى قولهم الأقربون أولى بالمعروف قال فقال الشيخ من غير توقف إلى الله يا فلان اه يعنى الأقربون إلى الله أولى بالمعروف من الأقربون من جهة النسب (وقال) الشيخ زروق رضى الله عنه الصداقة من قواعد الدين والدنيا اه ومما يشير إلى شرف منزلتها وكمال فضيلتها زيادة على ماتضمنته إشارات هؤلاء الأعلام ما اشتملت عليه من الفوائد العظام والكرامات والبركات والخيرات الجسام (قال) فى الجيش الكفيل مانصه ثم الفوائد المطلوبة من الصحبة دينية ودنيوية أما الدنيوية فكالانتفاع بالمال والجاه وليس ذلك من غرضنا وأما الدينية فتجتمع فيها أغراض مختلفة إذ منها الاستفادة بالعلم والعمل ومنها الاستفادة فى الجاه تحصنا من إيذاء من

يشوش القلب و يصد عن العبادة ومنها التبرك بالدعاء ومنها انتظار الشفاعة إلى غير ذلك اه (وفى العوارف) أنه يقع بطريق الصحبة التعاضد والتعاون وتتقوى جنود القلب وتستريح الأرواح بالتشام وتتفق فى التوجه إلى الرفيق الأعلى و يصير مثالها فى الشاهد كالأصوات إذا اجتمعت خرقت الاجرام وإذا انفردت قصرت عن بلوغ المرام (وقد) ورد فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن كثير بأخيه (قلت) وفى الخبر عنه صلى الله عليه وسلم للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا (وفى) العوارف أيضا أن من فوائد الصحبة والاخوة أنها تفتح مسام الباطن و يكتسب الانسان بها علم الحوادث والعوارض اه (قلت) و يريد بهذا والله أعلم أنه يتقوى نور الفراسة الايمانية باستمداد البعض من البعض وسريان سر البعض إلى البعض إذ من فوائدها مايسرى من الفاضل إلى المفضول من السر الباطنى الذى هو منتهى القصد من الصحبة وغاية السول (وقد) قيل من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها وأحط الناس مرتبة فى مقام الصحبة للاخيار المحب لهم فقط وكفاه ان لم يكن منهم أنه معهم لحديث المرء مع من أحب (وفى) مختصر الاحياء بعد كلام فى الصحبة ما نصه فاصحب الأخيار ان لم تكن منهم فأنت معهم انتهى يريد اصحبهم بالمحبة والتسليم لتكون معهم وإن لم تكن منهم فان المرء مع من أحب وبالجملة ففى مخالطة الأخيار مع التسليم والمحبة خير كثير بل المخالطة أصل كبير فى الانتفاع ولهذا قالوا انها أعنى المخالطة تغنى عن غيرها ولا يغنى غيرها عنها (وقد ذكر) عن العارف بالله تعالى سيدى عبد الرحمن ابن محمد الفاسى رضى الله عنه أنه قال لرجل من أصحاب بعض الأولياء من أهل عصره وقد رآه لايخالط الفقراء ماذا يأمركم به شيخكم فقال بالسبيحة واللويحة فقال له رضى الله عنه ليست هذه الطريق بالسبيحة ولا باللويحة وانما هى بالمخالطة خالط الجذمى تجذم اه (وقد ذكروا) أن لقاء الاخوان لقاح ولا شك أن البواطن تلتقح بالملاقاة وان مجرد النظر لأهل الصلاح يؤثر صلاحا بل كل نظر فى الغالب يؤثر أخلاقا مناسبة لخلق المنظور اليه كما أن النظر إلى المسرور يؤثر سرورا وإلى المحزون يكسب حزنا والجمل الشرود يصير ذلولا بمقارنة الذلول والماء والهواء يفسدان لمقاربة الجيف والزروع تنقى عن العروق المجاورة لها لموضع الافساد بالمقاربة فالمقاربة لها تأثير في الحيوان والنبات والجماد والماء والهواء وإذا كانت كذلك فهى فى النفوس الشريفة البشرية أكثر تأثيرا (ومن فوائد) الصحبة أيضا تحمل البعض من المتصاحبين عن البعض فى دار الدنيا ما ينزل بهم من المصائب والأحزان وتلقيهم للوارد عليهم منهم فى البرزخ بحسن البشر ومزيد الكرامة والبر والاحسان وأخذ البعض منهم بيد البعض يوم القيامة وشفاعته له فى نيل المغفرة والدرجات العلى فى دار الرضوان (وقد ذكر) فى العوارف أن أحد الأخوين فى الله تعالى يقال له ادخل الجنة فيسأل عن منزلة أخيه فان كان دونه لم يدخل الجنة حتى يعطى أخوه مثل منزلته فيقال له لم يكن يعمل مثل عملك فيقول إنى كنت أعمل لى وله فيعطى جميع ما يسأله لأخيه و يرفع أخوه إلى درجته اه فهذا بعض ما يشير إلى جلالة قدر صحبة الاخيار وانافة مكانة مؤاخاة الابرار على طريق الايجاز والاختصار وفيه كفاية لمريد التذكر والاستبصار (ولهذا) الذى ذكرناه من سمو درجتها وشرف مكانتها خصت بالحقوق العظيمة الاكيدة وحفت بمحاسن الآداب والاخلاق الحميدة فمن آدابها الخاصة عند ارادة الدخول فيها أن يسلم المدخول معه على الصحبة والاخوة نفسه وصاحبه الداخل معه عليها إلى الله تعالى بالاجتهاد فى المسئلة والدعاء والتضرع لانه يفتح على نفسه بصحبته إما بابا من أبواب الجنة و إما بابا من أبواب النار فان فتح

قال بعد كلام نقله عن القشيرى فى هذا المعنى فالواجب علينا أن نقف مع الاقتداء بمن يمتنع عليه الخطأ ونقف عن الاقتداء بمن يجوز عليه مطلقا إذا ظهر فى الاقتداء به اشكال بل نعرض ماجاء عن الأئمة على الكتاب والسنة فما قبلاه قبلناه ومالم يقبلاه تركناه ولا علينا إذا قام الدليل لنا على اتباع الشارع ولم يقم لنا الدليل على اتباع أقوال الصوفية وأعمالهم إلا بعد عرضها قال ثم نقول إذا نظرنا فى رسومهم التى حدوا وأعمالهم التى امتازوا بها عن غيرهم بحسب تحسين الظن والتماس أحسن المخارج ولم نعرف لها مخرجا فالواجب التوقف عن الاقتداء والعمل وان كانوا من جنس من يقتدى بهم لاردا لهم ولا اعتراضا عليهم بل لأنا لم نفهم وجه رجوعه إلى القواعد الشرعية كما فهمنا غيره ثم قال بعد كلام فوجب علينا بحسب الجرى على آرائهم فى السلوك أن لانعمل بما رسموه مما فيه معارضة لأدلة الشرع ونكون فى ذلك متبعين لآثارهم مهتدين بأنوارهم خلافا لمن يعرض عن الأدلة ويصمم على تقليدهم فيما لايصح تقليدهم فيه على مذهبهم فالأدلة الشرعية والأنظار الفقهية والرسوم الصوفية تذمه وترده وتحير من تحرى واحتاط وتوقف عن الاشتباه واستبرأ لدينه وعرضه انتهى نقله زروق فى عدة المريد ونقلته منه بحذف بعضه وساقه الشيخ سيدى محمد برمته فى الطرائف والتلائد ثم قال ما معناه

اعتراض قال تعالى «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم - الآية» وللوارث ما للموروث انتهى وقال فى القواعد العصمة غير ثابتة للأولياء فوجب التبصر والتذكر طلباً للتحقيق لا اعتراضا على القائل ثم إن علمت ديانته ووفور علمه سلم له ما لم يفهم وجهه أو لم يعرف أصله إن غاب إذ لعل بناءه على أصل لا علم لنا به انتهى وقال فى شرح المباحث واختصوا أى الصوفية فى الآداب والأحوال والحركات بأصل هو اجتماع قلوبهم على مولاهم فحيثما وجدوا سبب ذلك قالوا به وإن كان مع شبهة خفيفة فيها خلاف عالم ما لم يكن محرما صريحاً أو خسيسا متفقا عليه أو شبهة يجب اجتنابها فانه ظلمة وما كان ظلمة لا يصح أن يكون نوراً والقوم لا يؤثرون شيئا لا نور فيه فافهم ثم قال ومن هذا الأصل ضل من أنكر عليهم من غيرهم وضل بهم ولم يعرف مقصدهم من محبيهم فتوسع الأول فى الانكار بما طالبتهم فيه بما طلبوا به أنفسهم من الأحكام والفضائل والاحتياط وتوسع الثانى فى الأحكام والفضائل فاتبع الرخص بالتأويلات وهو أصل كل ضلالة وهلكة فالحذر الحذر من الجانبين إلا بحق واضح لا يمكن فيه الشك علما وعملا ولا يصح ذلك إلا بمعرفة أحكامهم فيه انتهى بنقل اليدالى فى فرائد الفوائد قلت وبتمهيد هذا يعلم المنصف أن العلماء رحمهم الله تعالى لم يفتحوا باب الانكار على الأولياء

عليهما فى مصاحبتهما بخير وداما عليه إلى أن ماتا عليها فقد فتح على نفسه بتلك الصحبة بابا من أبواب الجنة (قال) مولانا سبحانه وتعالى «الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين» وإلا بأن نشأ عن صحبتهما شر والعياذ بالله تعالى قطعهما عن الله تعالى فقد فتح على نفسه بصحبته باباً من أبواب النار قال تعالى «ويوم يعض الظالم على يديه - الآية» وهى وإن كانت نزلت فى سبب خاص وقصة مشهورة فان الله تعالى تنبيهاً فى ذلك لعباده على الحذر ممن تقطع صحبته عن الله تعالى (وقد قال) ابن عباس رضى الله عنهما وهل يفسد الناس إلا الناس فالفساد بالصحبة متوقع كما أن الصلاح متوقع وما هذا سبيله كيف لا يحذر فى أوله ويحكم الأمر فيه بكثرة اللجأ إلى الله تعالى وصدق الافتقار وسؤال البركة فيه وتقديم صلاة الاستخارة إلى غير ذلك انظر العوارف (قلت) وما رأيت ولا سمعت أكثر قياما بهذا الأدب ولا أشد اعتناء به من أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين صحبوه قيد حياته وحصل لهم التأهل لتلقين ورده فانهم كانوا إذا أتاهم من يريد الدخول فى الصحبة والاخوة يظهر عليهم مزيد الاهتمام بشأنه والاجتهاد فى الدعاء له ولهم معه بالثبات فى الأمر مع إسناد الأمر بينهم فى ذلك إلى همة الشيخ رضى الله عنه باظهارهم أن يدهم فيه إنما هى يد نيابة لا غير وأنهم ليس لهم فضل على من يلقنونه ولا حظ لهم فيما يعاملونه به من بذل النصيحة وكمال الارشاد إلا ما يرجونه من فضل الله تعالى بسبب التبليغ ظاهراً لا غير ورأيت منهم من لا يلقن أحداً إلا بعد صلاة الاستخارة النبوية وصدق اللجأ إلى الله تعالى على أكمل ما يمكن ومنهم من كان يزيد مع الاستخارة قراءة ما تيسر من صلاة الفاتح لما أغلق ويهدى ثوابها إلى الشيخ رضي الله عنه ويستأذنه فى تلقين ورده لذلك الانسان الذى طلب منه بقلبه أو بقلبه ولسانه بأن يقول هذا فلان طلب منى أن ألقنه وها أنا ألقنه عن اذنك وببركة همتك ونحو ذلك وقد أخبرنى الناظم قدس الله سره أنه لما عزم على الدخول فى هذه الطريقة الشريفة أتى هو ورفيق له إلى العلامة الكبير المقدم البركة الشهير أبى عبد الله سيدى محمد المدعو محمداً ابن سيدى عبد الله العلوى المدعو الخليفة لقيامه بعد الشيخ الجليل سيدى محمد الحافظ العلوى باعباء تلقين الأوراد والهداية والارشاد فلما طلبا منه رضى الله عنه أن يلقنهما الورد ظهر عليه ما ظهر من أثر الاهتبال لذلك ولم يقر له قرار حتى سار بهما إلى ضريح سيدى محمد الحافظ رضى الله عنه وكان على مسافة من محله فلما أدى الواجب من التسليم عليه وزيارته أمرهما أن يدنوا من القبر المبارك ثم خاطبه وهما يسمعان بأن قال له بلسان يعلم منه الخضوع والانكسار والعجز والافتقار هذا فلان بن فلان وفلان بن فلان جاآ يطلبان منى أن ألقنهما ورد مولانا الشيخ رضى الله عنه وها أنا ألقنهما عن إذنك وإذن الشيخ رضى الله عنه ثم لقنهما وأكثر الدعاء بذلك المحل المبارك له ولهما وقد اتفق للناظم أيضا رحمه الله مثل هذا بفاس فلقنه بعض مشاهير أصحاب سيدنا رضى الله عنه عند قبره الأنور رضى الله عنه على نحو ما تقدم وهذا من عناية الله تبارك وتعالى به وقد ظهر عليه أثر ذلك فصار أمره إلى ما صار إليه من التبريز فى التحقيق وبلوغ درجة الكمال فى الصدق والتصديق ومنهم من كنت أراه إذا أراد أن يلقن أحداً يأمره أن يحضر الوظيفة مع الفقراء بالزاوية فى وقتها المعلوم فاذا ختمت الوظيفة يظهر على وجهه من أثر الحضور ما يعلم منه أنه يستأذن فى ذلك الحضرة الشريفة ثم بعد الفراغ من القراءة والدعاء يتوسم وجوه الحاضرين كالمستمد من بركاتهم ويقول لهم هذا فلان قد أراد الدخول فى عهد الشيخ رضى الله عنه ثم يلقنه ويجتهد هو والحاضرون فى الدعاء له وإنما أطلت النفس فى هذا الأدب تنبيهاً ونصيحة للاخوان وإرشاداً إلى العمل على هذا

الأدب والقيام به بقدر الامكان فربما يرى بعض المتصدين للتلقين إذا كان غرا بمدارك الامور مافى كتاب جواهر المعانى وغيره من أن هذا الورد الشريف يلقن لكل من طلبه من المسلمين على أى حالة كان كبيراً أوصغيراً ذكراً أو أنثى طائعاً أوعاصياً فيظهر له أن المراد بهذا الكلام الأمر بالمسارعة إلى التلقين من غير تثبت ولا تأن ولا قيام بآداب المقام وليس الأمر كذلك بل لابد من التثبت والتأنى فلا يلقن الطالب لذلك إلا بعد عرضه الشروط المشروطة فى ذلك عليه وايناسه منه قبولها القبول التام كيف وهو يرى بازاء هذا الكلام من جواهر المعانى قول سيدنا رضى الله عنه ومن أخذ هذا الورد وتركه تركا كلياً أو متهاونا به حلت به العقوبة ويأتيه الهلاك فى الدنيا والآخرة إلى آخر كلامه رضي الله عنه المؤكد بالوصية التى هى من لفظ سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فالعمل على هذا الأدب من آكد الأمور فى هذه الطريقة وأهمها لما يفضي اليه ترك العمل عليه من التسبب فى العقوبة والهلاك والعياذ بالله تعالى والله تعالى يلهمنا الرشد والصواب ويختار لنا من الحركات والسكنات فى جميع التقلبات ماتحمد به العاقبة فى الحياة وعند المآب انه الكريم الجواد الفتاح الوهاب ومن آداب الصحبة والاخوة عند إرادة الدخول فيها أيضا أن يسأل كل منهما صاحبه عن اسمه واسم أبيه وعن منزله لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى ابن عمر رضى الله عنهما يلتفت يمينا وشمالا فسأله فقال يارسول الله انى أحببت رجلا فى الله تعالى فأنا أطلبه ولا أراه فقال له صلى الله عليه وسلم ياعبد الله إذا أحببت أحداً فى الله فاسأله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فان كان مريضا عدته وإن كان مشغولا أعنته اه وقد رأيت بعض الأصحاب يعمل على هذا الأدب حتى ربما قيد أسماءهم إن لم يكونوا من أهل البلد الذى هو فيه ولا شك أن ذلك من الاعتناء بحقوق الاخوة فى الله تعالى وقد علم مافى ذلك من الخير والله الموفق (ومن) آداب الاخوة التودد والتآلف بكل مايقدر عليه ويستطاع فعله مع الاخ من الافعال التى تستجلب بها مودته وتصفو بها اخوته وهذا الأدب هو الأصل الجامع لسائر الآداب كلها واليه مرجع الاخلاق الحسنة بأسرها ولهذا كان رأس العقل كما فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم رأس العقل بعد الايمان بالله تعالى التودد إلى الناس ويكون التودد بأمور هى معظم آداب الاخوه فى الله تعالى منها أن يحفظ الأخ قلبه بقدر استطاعته من أن يضمر فيه سوءا لأخيه إذا رأى منه مايكره وحفظ القلب من ذلك يكون بتنبيهه إياه على ماكرهه منه لكن بلطافة وحسن سياسة بحيث يفارق ماكرهه منه وهو لايشعر أنه مقصود من أخيه بذلك التنبيه وهذا أولى متى أمكن لحريه على سنن الاخلاق المحمدية ولبعده عن مظان الضغينة وغيرها مما يؤدى إلى فساد الطوية فان لم يكن هذا وأدى الحال إلى التنبيه بالكلام فليكن فى الخلا لافى الملا وبتقديم تمهيد يأنس به المنصوح بحيث يقع فى نفسه ذم ما أراد أن يأمره الناصح بالتخلية عنه قبل أن يأمره بذلك وباخلاص القصد فى ذلك لله تعالى والعزم على أن لايذكر ذلك لأحد كائنا من كان ومن آداب المنصوح هنا أن يروض نفسه لتلقى نصيحة أخيه بالقبول ويعلم انه انما فعل معه ذلك لكمال مودته وصفاء اخائه فيثنى عليه ويجازيه بدعاء الخير على ما أسداه اليه (وقد روى) عن سيدنا عمر رضى الله عنه أنه كان يقول رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبى ومعلوم أن الصادق يحب من يصدقه والكاذب بخلافه فلا يحب الناصح كما قال تعالى «ولكن لاتحبون الناصحين» وليحذر المنصوح من ثورة النفس عند سماعه النصيحة فيحتقر الناصح ويقول له مثلك ينصحنى أومافى

عليه اجماع العلماء من أنه لايحل للمكلف أن يفعل فعلا حتى يعلم حكم الله فيه لارداً عليهم ولا اعتراضاً عليهم وعامة المنكرين من أهل الزمان اليوم إنما ينكرون عليهم تفكهاً باعراضهم وانتهاكا لحرماتهم ولذلك تراهم يختلقون عليهم الاختلاقات وينسبونها اليهم عكس ماكان عليه السلف الصالح من التماس أحسن المخارج لهم فيما قالوه مما ظاهره يؤدى إلى الكفر أو مايقاربه وإذا سمعوا عنهم غريبة قصرت عنها أفهامهم حفظوها وأذاعوها ولاينقلونها على وجهها بل يحملونها على قدر قصور أفهامهم فيها تحكما عليهم زعما منهم أنهم أحاطوا بعلمى المعقول والمنقول وإذا سمعوا عنهم مالاينكره رسمى ولاعقلى نبذوه وراء ظهورهم وتتبعوا الشوارد والطوارىء ابتغاء الفتنة وتتبعا للعورات وليت منكرى هذا الزمان اقتصروا على ماصدر من الاشياخ من الموهمات والمبهمات فجعلوا عامة انكارهم فيه تخفيفاً لشناعة إنكارهم فلا تكاد ترى منكراً منصفا ولا ملتمساً مخرجاً حسناً فانا لله وإنا اليه راجعون واعلم أن حاصل انكار هذا المنكر المسكين فى بضع عشرة مسئلة منها ما هو مختلق على الشيخ وهو برىء منها وهى نسبة تحريم الرضاع باخوة الورد وانكار الحشر وتفضيل نفسه على الخضر وتفضيل نفسه على الصحابة رضي الله عنهم وتفضيل حضرته على القرآن العظيم ونسبة الكتمان للنبى صلى الله عليه وسلم والله حسيب من تقولها عليه ومنها ماتجاذبته

والاجتماع للذكر ورفع الصوت به وبالدعاء وتحديد السجود واشتراط الطهارة بأنواعها للورد واعطاء الورد لمن طلبه ومنها ماهو من جملة الكرامات التى يجيزها الشرع ولا يحيلها العقل وهو شهود النبي صلى الله عليه وسلم لمن قرأ جوهرة الكمال سبعا وأخذ ورده عنه صلى الله عليه وسلم ومنها مالا دليل ينفيه من الشرع ولا من العقل وهو اشتراط الطهارة المائية لمن قرأ جوهرة الكمال وبهذا تعلم أن هذا المنكر قد خاض فيما لا يعنيه مما لا ينكر على مثل هذا الولى واستعان على ذلك باختلافات وانخدع بذلك من معه من الجهلة فتم له بذلك أمر التقليد فيهم فما هو وهم إلا كما قال تعالى فاستخف قومه فأطاعوه والله يعيذهم من الحكم عليهم بآخر الآية بتوفيقهم للتوبة من كل جناية ومن قال ان الشهب أكبرها السهى * بغير دليل كذبته ذكاء ولو أنصف ونظر بعين الانصاف لعرف قدره وسكت عما لا يعنيه وخشى على نفسه أن يبوء بما نسبه اليه من التكفير فقد قال صلى الله عليه وسلم من قال لمؤمن يا كافر إن كان كما قال و إلا فقد باء بها رواه البخارى وأبو داود والترمذى ومالك ورواية مسلم إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما وأراه نسى ما فى تكفير المسلمين والتعرض له من الخطر وفى جذوة الأنوار وقد روى اخراج مسلم واحد من الملة أعظم عند الله من قتل ألف

معنى ذلك فان ذلك من الجفاء ومن أعظم أسباب الانتكاس والسقوط من عين الله والعياذ بالله تعالى قال الشيخ محيي الدين ومن قال لناصحه على سبيل شفوف نفسه عليه مثلك ينصحنى أو لمثلى يقال هذا فاعلم أنه سقط من عين الله تعالى وقد حجبه الله عز وجل عن عبوديته وعن الايمان فان الله تعالى يقول «وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين» وبالجملة فالذى عليه المدار فى هذا الأدب هو حفظ القلب من إضمار السوء للاخ فان أمكن تنبيهه على الكيفية السابقة أو التسبب فى إزالة الوصف المكروه منه بشيء فذاك و إن لم يمكن ذلك فليجتهد فى الدعاء له بظهر الغيب من غير تقصير وهذا أدنى الدرجات فيما يطلب من حقوق الاخوة فى هذا الباب وليجاهد نفسه بعد هذا فى التخلى عن إضمار السوء لأخيه ما أمكنه وذلك لأنهم نصوا على أن أحد الأخوين إذا أضمر لأخيه سوءاً وأحرى إذا أضمر كل منهما للآخر ذلك والعياذ بالله تعالى فقد ارتفعت بينهما الاخوة من أصلها إذ الاخوة مواجهة كما أفاده من طريق الاشارة قوله تعالى «ونزعنا مافى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين» ومتى وقع اضمار السوء من أحدهما أو منهما ارتفعت المواجهة وحصلت المدابرة وبالمدابرة يرتفع وصف الاخوة من بينهما والعياذ بالله تعالى ولهذا أمر سيدنا رضى الله عنه فى وصيته الشهيرة لفقراء فاس أن تصحب المناصحة بالرفق واللين من غير ضغينة ولا حقد (قال) فى الجيش الكفيل على قول سيدنا رضى الله عنه فى هذه الوصية من غير ضغينة ولا حقد هو تأكيد الامر بالرفق والملاطفة إذ عنهما ينشأ الحب وعن العنف البغضة والحقد قال ويحتمل أن يريد بذلك أن لا تكون السياسة مصحوبة بضغينة وحقد من الناصح لان المؤمن ليس بحقود كما فى الحديث ومعنى الحقد كما فى الاحياء أن يلزم قلبه استشغاله والبغضة له والنفار عنه وأن يدوم ذلك و يبقى فيثير الحسد والشماتة والهجران والاستصغار والوقوع فيما لا يحل من الكلام ومعنى الحق وغير ذلك وكل ذلك حرام وأقل درجاته أن يحترز من هذا كله ولكن يستشغله بالباطن ولا ينتهى باطنه عن بغضه حتى يمنع من البشاشة له والرفق والعناية به والقيام بحاجته ومجالسته والمعاونة على المنفعة له و يترك الدعاء له والثناء عليه وهذا كله ينقص من درجات الدين و إن كان لا يعرض للعقاب اه من الجيش وراجعه إن شئت (واختلف) إذا ظهر من أحد من المتواخين ما يوجب المقاطعة هل يهجر أم لا وكان أبو ذر رضى الله عنه يقول إذا انقلب الاخ عما كان عليه أبغضته من حيث أحببته وذهب غيره إلى أن الاخ لا يبغض بعد الصحبة ولكن يبغض فعله كما قال تعالى «فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون» ولم يقل جل وعلا انى برىء منكم وكان زين العابدين رضى الله عنه يقول لا تبغض ذات أخيك وابغض فعله فان تاب منه فهو أخوك وذكر أن شابا كان يلازم مجلس أبى الدرداء رضى الله عنه وكان أبو الدرداء يميزه على غيره فابتلى الشاب بكبيرة من الكبائر وانتهى إلى أبى الدرداء ما كان منه والذى عليه المحققون و يمكن أن يكون كالجمع بين القولين السابقين التفصيل فيما يظهر من موجب البغض فان كان الموجب فساد عقيدة وسوء ظن وفسخ عهد عمداً بانقلاب عن الحالة الاولى جهاراً بابداء العداوة والتجاهر بالمخالفة والعياذ بالله تعالى فان صاحب هذا الحال يجب هجره وابعاده موافقة للحق فيه لا احتقاراً له وعليه يحمل قول أبى ذر رضي الله عنه أبغضته من حيث أحببته فلا خير فى موالاته إلا إذا تاب ورجع نادما مستغفراً مستقيلا معترفا منكسراً وإن كان الموجب ارتكاب ذنب لا يرضاه ربه والتبس بشيء مما يشينه عند الناس ملابسته وقربه أو عثرة حدثت أو هفوة وقعت وكان بحيث ترجى توبته وتتوقع فيئته فهذا لا ينبغى أن يعامل

بالبغض

بالبغض لذاته ولكن يبغض فعله وما تلبس به من عوارض هفواته ويلحظ مع ذلك بعين الوداد وينتظر له الفرج والعود إلى مواطن الصلح من مواطن الجفاء والبعاد وهذا هو الذى يجب على أخيه أن يعامله بجميع ماتقدم ذكره وأن يتحفظ غاية التحفظ من أن يتغير عليه باطنه وسره وأحرى أن لا يشتمه مشافهة أو يعيره بفعله مواجهة (وقد) قال صلى الله عليه وسلم لمن شتم الرجل الذى أتى بفاحشة مه لا تكونوا أعوانا للشياطين على أخيكم وقال إبراهيم النخعى لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب لذنبه فانه يرتكبه اليوم ويتركه غدا وخصوصا إذا كان هـذا الأخ الذى صدرت منه هذه العثرة أودهمته هذه الفترة ممن تقدم له ممارسة بالطريق وإشراف على مدارج الأذواق والتحقيق فانه تجب معاملته بالاغضاء ومزيد البر والارضاء (وفى الخبر) اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته ومن الأدب هنا أن يكثر الأخ من الاستغفار لأخيه المبتلى بما ذكر بظهر الغيب وأن يهتم له غاية الاهتمام ويتوجه إلى الله تعالى بقدر الامكان في كشف مانزل به وأن لا يقصر فى نصحه لكن على الحد الذى تقدم وجهه (ومما ذكروه) من الحكايات فى هذا الأدب أن أخوين ابتلى أحدهما بهوى فاظهر عليه أخاه فقال إنى ابتليت بهوى فان شئت أن لا تقعد على إخوتى ومحبتى فافعل فقال لله تعالى قاله أخوه ما كنت لأحل عقد إخائك لأجل خطيئتك وعقد بينه وبين الله عقداً أن لا يأكل ولا يشرب حتى يعافى أخوه من هواه فطوى أربعين يوما فى كلها يسأله عن هواه فيقول لا زال فبعد الأربعين أخبره أن الهوى قد زال فحمد الله تعالى وأكل وشرب اهـ (وروى) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان آخى رجلا فى الله تعالى فخرج ذلك الرجل إلى الشام فسأل عنه سيدنا عمر رضى الله عنه بعض من قدم من الشأم فقال مافعل أخى فقال ذلك أخو الشيطان قال مه قال إنه قارف الكبائر حتى وقع فى الخمر فقال رضى الله عنه لذلك الرجل إذا أردت الخروج يعنى إلى الشام فآذنى فكتب اليه سيدنا عمر رضى الله عنه «حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب» ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى وقال صدق الله ونصح عمر فتاب ورجع (ومن) الأدب فى هذا الباب أيضا إذا وقع ونزل وحصلت فرقة ومباينة أن لا يذكره إلا بخير لما روى عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم أنه كانت له زوجة لا ترضيه أخلاقها فكان إذا استخبر عن حالها يقول لا ينبغى للرجل أن يقول فى أهله إلا خيراً ثم فارقها وطلقها فاستخبر عن حالها فقال امرأة بعدت منى وليست منى بشىء كيف أذكرها (قال) السهروردى رحمه الله تعالى بعد حكايته لهذا وهذا من التخلق بأخلاق الله تعالى الذى أظهر الجميل وستر القبيح اهـ (ومنها) أى الأمور التى ينشأ عنها التودد والتألف وهى كما أسلفناه معظم الأدب الموافقة وترك المخالفة مع الاخوان والاصحاب ويكون ذلك بترك المراء والجدال ولا ينتزع المراء إلا من نفوس زكية قد انتزع منها الغل وغيره من الأخلاق الردية واتصفت بالاخلاق الحسنة المرضية إذ وجود الغل فى النفوس كما قيل مراء وإذا انتزع المراء من الباطن ذهب من الظاهر وأكثر ماينشأ عنه الغل فى الباطن المزاحمة على الحظوظ العاجلة بكثرة المناصرة فيها والمنافسة خصوصا ممن كان بينهما مشاكلة ومماثلة ومجانسة ومن استقصى فى تذويب حظوظ النفس بنيران الذكر على سبيل التزكية بالسلوك على أيدى الكمل من أهل التربية تنحى الغل من باطنه بحيث لا تبقى فيه بقية وتصير نفسه أخروية بعد أن كانت دنيوية فلا ينافس بعد ذلك فى شىء من الحظوظ العاجلة من جاه وأموال

صلى الله عليه وسلم للذى قتل الأعرابى بعد ماتشهد ماتصنع بلا إله إلا الله إن جاءتك تجادلك يوم القيامة فقال إنما قالها تقية فقال له صلى الله عليه وسلم فهلا شققت عن قلبه ثم أنزل الله فيها قرآنا يتلى آخر الأبد وأثبت فيه إيمان المقتول وتخطئة القاتل فقال تعالى «ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة» انتهى ولو كان منصفا لعلم أن أئمة السلف رضوان الله عليهم لم يحكموا بتكفير بعض الخوارج وأهل الأهواء بل توقفوا عن تكفير كثيرين منهم مع ظهورهم وتصريحهم بما هم عليه من العدوان وتحقيق ضلالتهم فما ظنك بتكفير الجهابذة الأعلام المستمدين من مدد ذى الجلال والاكرام لتحقق هـدايتهم وثبوت ولايتهم فالانكار عليهم بالقلب يفضى إلى الهلاك فكيف إذا أضيف إلى ذلك الطعن باللسان والمعارضة بالزور والبهتان قاله فى الكوكب الوقاد ويروى أن من الذنوب ذنوبا لا عقوبة لها إلا السوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى التكذيب بالولاية والطعن فى المشايخ وادعاء الولاية وقد قالوا معاملة الاولياء بالنقد من أعظم أسباب الفقد والله يعصمنا من علم يؤدى إلى جهل ومن هوى يغلب على عقل انه ولى الاجابة والتوفيق وهو الهادى إلى سبيل التحقيق

﴿الباب الثالث في التحذير من الانكار على أولياء الله الأخيار﴾ (مقدمة) قال سيدى أحمد زروق رضى الله عنه فى النصيحة الكافية

لكمال تعلق قلبه بحضرة مولاه ذى الجلال كيف يبقي كما قيل الغل فى قلوب ائتلف بالله واتفقت على محبته واجتمعت على مودته وأنست بذكره واستغرقت فى شكره فان تلك قلوب تصفت من هواجس النفوس وظلمات الطبائع بل كحلت بنور التوفيق من فضل الملك الصانع ولا محالة أن هذه القلوب هى قلوب أهل الله المجتمعين على الكلمة الواحدة مع التعلق بشروط الطريق والانكباب على طلب الحق بكمال الصدق والتصديق (قال) أئمة الطريق رضى الله عنهم والناس فى هذا رجلان رجل طالب ماعند الله ويدعو إلى ماعند الله نفسه وغيره فما للمحق مع هذا منافسة ولا مراء ولا غل لأنه معه فى طريق واحدة ووجهة واحدة فهو أخوه ومعينه والمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا (ورجل) مفتتن والعياذ بالله تعالى بشىء من محبة الجاه والمال والرياسة ونظر الخلق فما للمحق مع هذا أيضا منافسة لأنه زهد فيما رغب فيه فهو فى واد وذاك فى واد اه (ومن الأدب) أن ينظر إلى مثل هذا نظر شفقة ورحمة فلا ينطوى له على غل ولا يشتغل معه بمراء ولا مجادلة لعلمه بظهور نفسه الامارة فى ذلك بما تقتضيه المجانسة الظاهرة والمشاكلة وترك المراء خير كله على كل حال (وفى الحديث) من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى وسطها ومن حسن خلقه بنى له فى أعلاها وهذا الأدب داخل فى عموم الأمر من الشيخ رضى الله عنه بالتجنب لكل مايوجب ضغينة فى قلوب الاخوان فليحافظ عليه بقدر الامكان والله المستعان ومن الأمور التى يكون بها التودد والتألف أيضا إيثار الأخ أخاه فى أمر دنياه قيل وكذا فيما يتعلق بأمر أخراه والأصل الذى استند اليه أهل الطريق فى هذا الباب قول الله تعالى فى حق الأنصار رضى الله عنهم «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» وقد سئل الشيخ أبو الحسن البوشنجى عن الفتوة فقال الفتوة عندى ماوصف الله تعالى به الأنصار فى قوله والذين تبوؤا الدار والايمان - إلى قوله - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» قال ابن عطاء ويؤثرون على أنفسهم جودا وكرما وان كان بهم خصاصة جوع وفقر فأما الايثار فى أمر الدنيا فقد وردت فى الترغيب فيه أخبار كثيرة ويكفى ماروى من ذلك فى سبب نزول هذه الآية الكريمة ويؤثرون على أنفسهم الآية فعن ابن عباس رضى الله عنهما فى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للانصار وقد حضرت غنيمة إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم فى الغنيمة وإن شئتم كانت لكم أموالكم ودياركم ولم يقسم لكم من الغنيمة فقالت الأنصار رضى الله عنهم بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت الآية (وعن) أبى هريرة رضى الله عنه فى ذلك حديث الرجل الذى استطعم النبي صلى الله عليه وسلم فبعث لأزواجه فلم يلف عندهن شىء فقال عليه الصلاة والسلام من يضيف هذا هذه الليلة فقام رجل من الانصار وذهب به إلى أهله وقال لزوجته هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكرميه ولا تدخرى عنه شيئا فقالت ماعندنا إلا قوت الصبية فأمرها أن تعللهم حتى يناموا فقدمت طعامهم للضيف ثم قامت إلى السراج كأنها تريد إصلاحه فأطفأته فجعل الضيف يأكل وهى وزوجها يمضغان ألسنتهما والضيف يظن أنهما يأكلان فأكل حتى شبع وباتا طاويين فلما أصبحوا غدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر اليهما تبسم وقال لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة ونزلت الآية (وعن) أنس رضى الله عنه فى ذلك أيضا انه أهدى إلى بعض الصحابة رضى الله عنهم رأس غنم مشوى وكان

ولا ينكر على الفقير إلا محرم مجمع عليه ولا يسلم له إلا فيما له صورة يباح بها من الأفعال قال ابن زكرى فى شرحه لهذا الكلام مانصه تقدم فى مبحث الامر بالمعروف أن من شرطه كالنهى عن المنكر أن يكون المنكر مما اتفق على تحريمه ولا فرق بين الفقير فى ذلك وغيره لكن تقدم أن المنصف يعتبر مطاق الاتفاق على التحريم فى مذهب الفاعل واعتبر هنا خصوص الاجماع فى الفقير لان غيره ممن لا يراعى النيات ولا المقاصد فى الاعمال لغلبة الغفلة عليه الظاهر أنه لا يخرج من مذهبه إلا على وجه المعصية بخلاف الفقير المتيقظ المراعى للمقاصد فان غالب الظن عند معتقده أنه إنما فعل ما ينكر فى مذهبه بوجه جائز ولو فى مذهب غيره انتهى وقال فى الطرائف والتلائد ومحققو الفقهاء أجمعوا أنه لا إنكار إلا فى الامور المجمع عليها وألا يؤاخذ أحد الا بالجريمة الظاهرة ومتى أمكن تأويل أفعالهم وأقوالهم وحملها على المحمل الحسن لا يعدل عن ذلك لاسيما من عرف منهم بالخير ولزوم الطريقة انتهى وقال فى عدة المريد اعلم أن ما يقع ممن له بقية من عقله وهو ثابت الخصوصية فى نظر معتقده لا يخلو إما أن يكون مما لا يباح بوجه كاللواط والزنا والغيبة وشرب الخمر إدمانا ونحو هذا فلا يصح تأويله وهو فيه اما عاص ان وقع مرة أو فاسق ان أصر عليه وذلك لا يصرفه عن مرتبته إلا فى الحال لحديث لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن أى كامل الايمان وفيما بعد ذلك تعود حرمته بتوبته فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له واما أن يباح بوجه ما

وذلك مما يحسن فيه التأويل على فاعله المعتقد بأن يكون إنما فعله بوجه مباح كأخذ مال شخص مثلا لاحتمال

مجهودا فوجه به إلى جار له فتداوله سبعة أنفس ثم عاد إلى الأول فنزلت الآية إلى غير ذلك مما روى من الأحاديث في هذا الباب وأما ما اتفق لكل الأولياء من هذا المعنى فشيء كثير وأعجب ما رأيناه في ذلك ما ذكروه عن الثوري مع جماعة من المشايخ منهم الجنيد لما سعى بهم فتستر الجنيد بالفقه وقبض على الباقين وأمر بضرب أعناقهم فتقدم الثوري فقيل له إلى ماذا تبادر فقال أوثر أصحابي بفضل حياة ساعة اه (وأما) الايثار بأمور الآخرة فمن ذلك ما ذكر عن بعضهم أنه لقي أخاله فلم يظهر البشر الكثير في وجهه فأنكر أخوه ذلك منه فقال يا أخي سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا التقى المسلمان تنزل عليهما مائة رحمة تسعون لأكثرهما بشرا وعشرا لأقلهما بشرا فاردت أن تكون أكثر مني بشرا ليكون لك الأكثر اه وانظر ما ذكروه من أن المريد لا ينبغي له أن يؤثر بفضلة الشيخ ونحوه مما يخصه به كما قال الشيخ زروق رضي الله عنه ومتى أعطاكم مأكولا أو غيره فلا تؤثروا به الغير ولا تشاركوا قريبا ولا بعيدا فيه فقد يكون جمع لكم فيه سرا فيفوت من المدد بحسب الشركة فيه اه هل هو مستثنى مما تقدم أولا والظاهر والله تعالى أعلم أن المريدين المتواخين في الله تعالى الصادقين في طريق الارادة موكولون في ذلك إلى ما تنتجه لهم أحوال محبتهم وصدقهم فلا يعترض على من امتنع منهم من الايثار كما لا يعترض على من جنح إليه إذ كل منهما على صواب بحكم ما أنتجه له حال صدقه ومحبته فافهم والله تعالى أعلم ومن ذلك أيضا وهو من آكدها مواساة الأخ أخاه من ماله وكذا من جاهه بالمقدور ومواصلته بطريق المجاملة والمكارمة في الورود والصدور والأدب في هذا الخلق أن يكون على أحسن وجوه الكمال حتى لا يحصل به شيء مما يتأذى به المواسى كالمن وما في معناه مما جبلت عليه أنفس اللئام من الناس ومما هو في معنى المن جعلها في مقابلة غرض من الأغراض أو عوض من الأعواض ولو الجزاء من الشكر عليها من المواسى والثناء من غيره لأن الحامل على الايثار والمواساة طهارة النفس وشرف غريزتها وهذا الوصف في النفس لا يتكامل إلا في أهل طريق الله تعالى وهو المعبر عنه بالسخاء وفي مقابلته الشح كما أن الجود في مقابلته البخل والفرق أن الجود والبخل يتطرق إليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف السخاء والشح إذ كانا من غرائز النفس البشرية فكل سخي جواد ولا عكس والجود يتطرق إليه الرياء لما فيه من التطلع إلى العوض بمقابلة ما ولو بالثناء والسخاء لا يتطرق إليه الرياء لأنه ينبع من النفوس الزكية والهمم المرتفعة عن الاعواض كيفما كانت فكل من كانت غريزته أسخى تكون مرتبته في الصفاء أعلى قال الله تبارك وتعالى «ومن يوق شح نفسه فأولئك المفلحون» فحكم سبحانه في هذه الآية بالفلاح للسخي والفلاح أجمع اسم لسعادة الدارين وهذا الأدب والذي قبله مصرح به في الرسالة الأولى وفي السادسة أيضا من رسائل الشيخ رضي الله عنه فراجع ذلك في كتاب جواهر المعاني وعلى ذلك فيجب التنبه له والعمل به بقدر الاستطاعة والله المستعان (ومنها أيضا) أي من الأخلاق المنتجة للتودد والتألف مداراة الاخوان واحتمال الاذى منهم وقد بلغ من مداراة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يذم طعاما ولا ينهر خادما (وعن) سيدنا أنس رضي الله عنه خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قال لي أف قط الحديث وقد قالوا لا شيء يستدل به على قوة عقل المرء ووفور علمه وحلمه كحسن المداراة وقالوا لكل شيء جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر ولهذا قيل باحتمال الأذى يظهر جوهر النفس

استحقاقه أو ضربه لاحتمال وجوبه عليه أو قتله لاحتمال تعلقه عليه وهذا كله مع إقامة الحق الشرعي عليه فلا يصرفنك وجوب الحق عن الاعتقاد ولا الاعتقاد عن إقامة الحد لان كلا منهما حق ومبنى ما ذكر في ذلك على قصة موسى مع الخضر عليهما السلام انتهى المراد منه وبعضه بالمعنى وقال في الطرائف والتلائد وبكل وجه فما يمكن تأويله ولا يتعين في ارتكابه حق شرعي سلم للقوم فيه ظاهرا وباطنا وما لا يمكن تأويله ويتعين فيه الحق الشرعي سلم لهم فيه باطنا وأقيم ظاهرا أثم قال بعد كلام طويل وبالجملة فالاعتقاد بمحله كله خير والانتقاد على غير أهله كله شر والاغترار أصل كل غواية والحذر أصل كل هداية والمراد بالاغترار التسليم لكل مدع وإنما يسلم لمن ظهرت عليه آثار الخصوصية لانه ذو مقصد صحيح فيما يأتي ويذر وان خفي علينا إلا ما ليس له وجه يباح به كما تقدم وما أتى على كثير من الناس إلا في الغلط في التسليم فسلموا لكل مدع دعواه محقا كان أو مبطلا ورأوه التسليم المأمور به بل أجمعوا أن من ادعى رتبة من الرتب مكلف باقامة الدليل على صدق دعواه وينصب له ميزان الشرع هل يصدق فيما ادعاه انتهى المراد منه بتقديم وتأخير في بعض جمله وفي فرائد الفوائد لليدالي قال في شرح المباحث وما وقع لسلف هذه الطائفة مما ينكره ظاهر الشرع فانكاره لازم والتسليم

واجب لان التعرض للتكفير مخطر وترك النكير في عين محله غش للشريعة وقال بعد ما ذكر كلام بعض المنكرين على ابن الفارض

ولا خطؤه ورتبته من العلم والدين لا تدفع عنه الأحكام فتعتبر عباراتهم من حيث حقائقها بأن يؤخذ ما دلت عليه من المعانى الصحيحة السالمة من الاعتراض وينظر فى الألفاظ من حيث ما يقتضيه موجب الحكم فى محله فلا يهمل حق الله فيه وحماية الشريعة بالعمل به ولا يتحامل على صاحبه بأن هذا مذهبه لان دليل انتفائه عنه أكثر من دليل ثبوته وحسن الظن فى محله مقدم على سوء الظن والمؤمن يلتمس المعاذير والمنافق يتبع العيوب وهذا الذى قلناه أسلم الوجوه وأحسنها شرعاً وحقيقة وبالله التوفيق انتهى وشروط المنكر تذكر فى الخاتمة إن شاء الله تعالى والله تعالى ولى التوفيق وهو الهادى إلى أقوم طريق .

﴿ فصل ﴾ قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب رواه البخارى وغيره وفى رواية للامام أحمد من أهان ولي المؤمن فقد استقبلنى بالمحاربة وفى حديث ميمونة فقد استحل محاربتى وفى حديث أنس من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وإنى لاغضب لاوليائى كما يغضب الاسد الحرد وفى حديث لمعاذ ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة فقوله من عادى لى وليا أى اتخذه عدوا وان لم يعاده الولى لحلم أو صفح ونحوهما قاله اليدالى قال وقال النووى آذنته أى أعلمته بأنى محارب له ومن حارب الله لا يفلح أبدا وقال السمهودى

وبيان ذلك أن النفس لا تزال تشمئز ممن يعكس مرادها ويستفزها الغيظ والغضب وبالمداراة والاحتمال قطع حميتها ورد طيشها وكظم غيظها ويكفى فى الحث على هذا الأدب والترغيب فيه قول الله عزوجل «سارعوا إلى مغفرة من ربكم - الآية» (وفى الحديث) من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره فى أى الحور شاء وتشتبه المداراة بالمداهنة والفرق بينهما أن المداراة ما أردت به صلاح أخيك فداريته رجاء إصلاحه واحتملت منه ما تكره والمداهنة ما قصدت به شيئا من الهوى كطلب حظ وإقامة جاه فالأولى من أخلاق الأخيار والثانية من سمات الأشرار وقيل فى الفرق بين حقيقتيهما أن المداراة بذل شىء من الدنيا لاصلاح الدين والمداهنة بذل الدين لاصلاح الدنيا وهذا الأدب أيضا قد أكد عليه الشيخ رضى الله عنه فى رسائله فهو داخل فى عموم الأمر بتجنب كل ما يوجب ضغينة فى قلوب الاخوان والأمر بالاكثار من العفو عن الزلل وغير ذلك مما يطول تتبعه وجلبه فليجتهد المريد فى العمل عليه وليجاهد نفسه ما استطاع بترك ما يبعد عنه وارتكاب ما يوصل إليه والله ولى التوفيق ( ومنها ) أى من الأخلاق التى تنتج التودد والتألف أن لا يحوج الأخ أخاه إلى المداراة ولا يلجئه إلى الاعتذار ولا يكلفه ما يشق عليه لقول مولانا على رضى الله عنه شر الأصدقاء من أحوجك إلى مداراة وألجأك إلى الاعتذار وتكلفت له اه والجمع بين هذا الخلق والذى قبله من أكمل أوصاف أهل الطريق وذلك بأن يعامل أخاه بحسن المداراة ولا يحوجه هو إلى أن يعامله بمثل ذلك وهذا من أعظم أخلاق الفتوة لأن فيه بذل الانصاف للأخ وترك المطالبة بالانصاف منه وهو من أعظم أخلاقهم وأكمل آدابهم ( قال ) الشيخ أبو عثمان الحيرى رضى الله عنه حق الصحبة أن توسع على أخيك بمالك ولا تطمع أنت فى ماله وتنصفه من نفسك ولا تطلب منه الانصاف وتكون تبعا له ولا تطمع أن يكون تبعاً لك وتستكثر ما يصل إليك منه وتستقل ما يصل إليه منك اه (وبالجملة) فالمعاملة على الأعواض ليست من أخلاق الأخيار وإنما هى من أخلاق الفجار ولا يخفى دخول هذا الأدب فيما تقدم عن الشيخ رضى الله عنه وفى غيره مما اشتملت عليه رسائله ووصاياه فليحكم بقدر الاستطاعة وليعمل عليه والله ولى التوفيق والهداية ( ومن ) الاخلاق المنتجة للتودد والتألف أيضا ترك تكلف الاخ لاخيه فى جميع معاملته ومعه وذلك لان التكلف تصنع من أجل الناس وما كان كذلك لا يلبث أن يضمحل وينقلب على الضد أمره ويقال التكلف تخلف أى تأخر عن شأو الصديقين وذلك لانه مباين لاحوال أهل الصدق مع فى بعضه من منازعة الاقدار وعدم الرضا بقسمة الجبار والتكلف يكون بالملبوس كان يلبس من أجل الناس من غير نية صالحة فى ذلك وبالكلام وذلك بأن يخرج فى الملاطفة إلى حد التملق وقد يتملق الانسان إلى حد يخرجه إلى حد النفاق والعياذ بالله تعالى وفى الحديث الحياء والعى شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق ( قال ) العلماء والمراد بالبيان هنا كثرة الكلام والتكلف للناس بزيادة تملق لهم وثناء عليهم وزيادة التفصح وذلك ليس من شأن أهل الصدق ويكون التكلف أيضاً بالطعام الذى يقدم للضيف ونحوه والفتوة ترك التكلف وإحضار ما حضر وبذلك يستوى مقام الضيف وذهابه وبالتكلف تؤثر مفارقته وفى الحديث من مكارم الاخلاق التزاور فى الله وحق على المزور أن يقرب إلى أخيه ما تيسر عنده وإن لم يجد إلا جرعة ماء

وان احتشم أن يقرب إلى أخيه ما تيسر له لم يزل فى مقت الله يومه وليلته اه (ويحكى) أنه لما ورد أبو حفص النيسابورى العراق تكلف له الجنيد أنواعا من الأطعمة فأنكر ذلك أبو حفص وقال صير أصحابنا مثل المخانيث يقدم لهم الألوان اه (قال) أبو حفص ما قاله لكراهيته التكلف الذى هو ليس من شأن الاخوان الصادقين مع اخوانهم وإنما هو من شأن المترفهين وإلا فمن قدم لاخوانه الألوان بنية صالحة لا يكون مذموما بل ذلك معدود عندهم مما يستجلب به رضا الله تعالى كما حكي عن بعض رجال الطبقات الشعراوية أنه كان يبالغ فى اكرام الفقراء حتى أنه كان يصنع لهم شبابيك من الحلواء ويقدمها لهم ليكسروها ويأكلوها وعلى هذا يجرى قول بعضهم إذا قصدت بالزيارة فقدم ما حضر وإذا استزرت فلا تبقى ولا تذر اه وكذلك اللباس المنتخب إذا كان بقصد صحيح ونية صالحة كالتجمل للوفود وللأعياد والجمعة ونحو ذلك مما هو سنة النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون من تكلف اللباس المذموم وكذلك ما يستعمله الصادقون من الفقراء فى مدح أساتيذهم من القصائد الشعرية ونحوها مما يحمل عليه صدق المحبة وصفاء المودة لا يعد من تكلف الكلام المذموم (وبالجملة) فالمدار على النية فما عمله الانسان بنية صالحة قاصداً به ما عند الله لا يعد تكلفا وما عمله بنية فاسدة متبعا فيه أغراضه وهواه عد تكلفا وصار وباله عليه والعياذ بالله (وقد ورد فى الخبر) من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك الأذفر ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة اه وانظر عوارف المعارف للسهروردى رحمه الله تعالى والعهود الكبرى والطبقات للشعرانى رضى الله عنه (وهذا الادب) أشار اليه سيدنا الشيخ رضى الله عنه بقوله فى بعض رسائله ما نصه استدراك ما ذكرناه من مراعاة حقوق الاخوان فليكن ذلك فى غير حرج ولا ثقل ولا كلفة بما تيسر وأمكن ثم قال سيدنا الشيخ رضى الله عنه إلا أن يكون فى بعض العوارض يخاف من أخيه والعداوة والقطيعة أو فساد القلب فليسرع لاصلاح قلبه فان ذلك يوجب الرضا من الله تعالى اه فأفاد كلامه رضى الله عنه أنه لا بأس باتيان الاخ ما فيه كلفة فى بعض الاحيان إذا كان فى ذلك تطييب لخاطر أخيه بحسب ما يعرض فى ذلك الوقت وأن ذلك لا يعد من التكلف المذموم عند أهل الطريق بل هو عندهم من الامور التى يستجلب بها رضا الله تعالى وذلك لانه من جملة المداراة المحمودة التى هى بذل شىء من الدنيا لاصلاح الدين فافهم والله تعالى أعلم (ومن) الاخلاق التى يدوم بها التودد والتألف أيضا محافظة الاخ على مساعدة أخيه وترك مخالفته فى كل شىء دق أو جل إلا فيما يخالف الشريعة المطهرة وقد قيل إن من آدابهم فى هذا الباب أن لا يقول الاخ لاخيه عند الدعوة إلى أين أو لم أو بأى سبب قال بعضهم إذا قلت لصاحبك قم فقال إلى أين فلا تصحبه بعدها وقال آخر من قال لاخيه اعطنى من مالك فقال كم تريد فما قام بحق

لا يسألون أخاهم حين يندبهم * فى النائبات على ما قال برهانا

(ومن تلك الأخلاق أيضا) محافظة الاخ على ستر عورة أخيه بما أمكن ويروى أن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام قال لاصحابه كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائما فكشفت الريح عنه ثوبه قالوا نستره ونغطيه فقال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا قال أحدكم يسمع فى أخيه الكلمة فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها (ومن تلك الاخلاق التى يدوم بها التودد والتألف أيضا) تقديم من يعرف الاخوان فضله من إخوانهم والتوسعة له فى

عن العداوة والعداوة تنشأ عن المخالفة

وغاية الحرب الهلاك والله تعالى لا يغلبه غالب فالمعنى قد أعلمته بتعرضه لأن أعمل به ما يعمله العدو والمحارب وفيه كما قال الفاكهانى تهديد شديد لأن من حارب الله أهلكه قال وذلك أن من كره من أحب الله فقد أظهر مخالفته ومن أظهر مخالفته فقد عاداه ومن عاداه فقد أهلكه وقد جرت العادة بأن عدو العدو صديق وصديق العدو عدو فعدو ولى الله عدو الله فمن عاداه كمن حاربه ومن حاربه فكأنما حارب الله عزوجل قال وإياك وموالاة من تجرأ على الاقدام على ما يوجب عداوة الخالق وحربه وهو الغالب الذى لا يغلب والقهار الذى لا قبل لأهل السموات والأرض بذرة من بلائه ولو وضع ذرة من ذرات قهره على الجبال لأذابتها فمن والى من تجرأ على ذلك كان من حزب محاربى المولى عز وجل وأعدائه فحق مقته وسوء عقابه فانه تعالى أغير من خلقه اه وفى المعنى أنشدوا

تود عدوى ثم تزعم أننى
صديقك ان الرأى عنك لعازب

قاله فى فرائد الفوائد ثم قال قال العلماء لم يحارب الله عاصيا إلا المنكر على الأولياء وآكل الربا وكل منهما يخشى عليه خشية تكون قريبة من سوء الخاتمة كذا فى المواهب القدوسية وقد روى أبو عمر الصفدى فى خبره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أعرض الله عن العبد أورثه



الانكار على أهل الديانات وقال أبو تراب النخشبى إذا ألف القلب الاعراض

المجلس و إيثاره بالموضع ومسندهم فى هذا ماروى أنه صلى الله عليه وسلم كان جالساً فى صفة ضيقة فجاءه قوم من البدريين فلم يجدوا موضعاً يجلسون فيه فأقام صلى الله عليه وسلم من لم يكن من أهل بدر فجلسوا مكانهم فاشتد ذلك عليهم فنزلت الآية « إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس — الآية » ومعلوم قيام الصديق الأكبر رضى الله عنه لمولانا على كرم الله وجهه وايثاره بالمجلس بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله له عليه الصلاة والسلام انما يعرف الفضل لأهل الفضل ذووه (وحكى) أن بعض من لقى الجنيد رضى الله عنه ورد على أبى عبد الله بن خفيف زائراً فتماشيا فقال له أبو عبد الله تقدم فقال بأى عذر فقال له لأنك لقيت الجنيد وما لقيته ﴿ تنبيه ﴾ قد ثبت عن سيدنا الشيخ رضى الله عنه أنه أمر أن لا يقصد أحد من الأصحاب بجلوسه فى نحو الوظيفة أعلى المجلس ولا أدناه بل يجلس حيث وجد أى حيث انتهى به المجلس كما هى السنة فى ذلك وقد دخل على بعض الفقراء اشتباه فى الامر من أجل أخذهم به من غير تثبت فى مراد الشيخ رضى الله عنه بهذا الكلام فرأوا أن عدم التفسح فى المجلس مأمور به فأداهم ذلك الى الاخلال بهذا الخلق والاعراض عن العمل به المرة فصاروا لا يوسعون لذى السن والفضل منهم فى مجالسهم ولا يؤثرونهم بصدر المجلس إكراما لهم لسنهم وسابقيتهم فى الفضل معتقدين أن فعلهم ذلك هو الذى أمر به الشيخ رضى الله عنه ولم يتأملوا كلامه رضى الله عنه حتى يعرفوا أنه انما نهى عن القصد إلى الجلوس فوق أو تحت أى أعلى المجلس الذى هو صدره ولا أدونه الذى هو مؤخره وذلك لان فى القصد إلى الجلوس فى أحد المحلين اتباع هوى النفس أما فى القصد إلى الاعلى فظاهر فيه حب العلو وأما فى القصد إلى الادون فلأن فيه دسيسة من دسائس النفس حيث تدعو إلى ماصورته صورة التواضع وهى تريد أن تفوق غيرها بذلك و يشار اليها به وهو على هذه الحال عين حب العلو أيضا فهو كالذى قبله فأمر الشيخ رضى الله عنه بمخالفتها ومجاهدتها فى ذلك بنهيه رضى الله عنه عن القصد لاحد الامرين تنفيراً عن الوقوع فى مكايد النفس الجلية منها والخفية ولا محالة أن هذا هو الشأن فى مثل هذا المقام عند جميع أهل التربية ويؤيد هذا الذى ذكرناه أن الشيخ رضى الله عنه تلا بعد ذكره له قوله تعالى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الارض — الآية » قيل له أهذا علو قال نعم وارادة العلو فى القصدين معا ظاهرة واذا علم مراد الشيخ رضى الله عنه فيما أمر به علم أنه لم ينه عن التفسح فى المجلس ونحوه مما اقتضته السنة من الايثار لاهل الفضل واستعمال الادب معهم الذى هو من أخلاق الابرار وسيما الاخيار فليتنبه لهذا بقدر الامكان وليتنبه عليه من أغفله من الاخوان والله المستعان وعليه التكلان هـذا ولا يخفى على الناظر الاريب بعد ما قدمناه دخول هذه الآداب وغيرها فيما اشتمل عليه كلام الشيخ رضى الله عنه فى رسائله ووصاياه واندراجها فيما أشارت اليه سيرته السنية من فضائله ومزاياه وانما أومأنا بطرف خفى إلى فتح هذا الباب تنبيها لما عسى أن يظن أن طريق سيدنا رضى الله عنه خالية عن مثل هذه الآداب وتعريفاً له بأنها اشتملت من أصول علوم الطريق وفروعها على ما هو لب اللباب والله تعالى أعلم ﴿ تكميل ﴾ قد تقدم أن اختيار الصحبة والاخوة عمل وأن كل عمل يحتاج إلى حسن الابتداء وهو النية على الوجه الذى تقدم بيانه وقد قالوا إن العمل كما يحتاج إلى حسن الابتداء كذلك يحتاج إلى حسن الاختتام فحصول النتيجة فى الصحبة والاخوة مشروط بحسن الاختتام وقد قال صلى الله عليه وسلم فى خبر السبعة الذين يظلهم الله تعالى بظله على ما فى بعض الروايات

عن الله تعالى صحبته الوقيعة فى أولياء الله تعالى انتهى . وقال الشعرانى فى لطائف المنن وكان سيدى على الخواص يقول من اعتقد أنه ينال حظا من الله تعالى فى الطريق مع مخالفته لطريقتهم وعدم الصفاء والمحبة لهم فقد كذب على الله فى زعمه وقال من آذى وليا فقد خرج عن دائرة الشريعة نسأل الله العافية وقال أبو طالب المكى من لم يكن له نصيب من هذا العلم اخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى النصيب منه التصديق به . وقال الشيخ عبد القادر من وقع فى عرض ولى أو أنكر عليه ابتلاه الله بموت القلب ولم يمت قلبه حتى تفسد عقيدته . وقال ابن حجر واحذر من الانكار فانه يوقع المنكر فى العثار وكن محسن الاعتقاد تكن على غاية من الازدياد فان المنكر محروم والمتعنت مذموم والحق أحق أن يتبع والباطل عن هؤلاء الائمة قد اندفع . وقال أبو العباس المرسى رضى الله عنه لحوم الاولياء مسمومة وان لم يأخذوك فاياك ثم إياك وقال الشيخ عبد الغفار رضى الله عنه فوالله مذ عقلت إلى الآن ما رأيت أحداً شوش على الفقراء أو أساء بهم الظن فأفلح ولا رأيت أحداً أحسن إليهم أو صحبهم أو أحسن الظن بهم فخاب . وقال بعض العارفين من رأيتموه يؤذى الاولياء وينكر مذاهب الاصفياء فاعلموا أنه محارب لله مبعود مطرود عن حقيقة حزب الله . وقال أبو القاسم رحمه الله من خذل بترك حرمة الشيوخ فقد ظهر رقم شقاوته وذلك لا يخطىء . وقال الشعرانى رضى الله عنه أجمع أهل الكشف

ورجلان تحابا فى الله فعاشا على ذلك وماتا عليه ( قال ) فى عوارف المعارف فيه إشارة الى أن الاخوة والصحبة من شرطهما حسن الخاتمة حتى يكتب لها ثواب المواخاة قال ومتى فسدت المواخاة بتضييع الحقوق فيها يعنى فى آخر الأمر فسد العمل من الأول ومن هنا كان الشيطان لعنه الله أشد حرصا على افساد ما بين المتواخيين فى الله تعالى وقد قالوا ما حسد الشيطان متعاونين على بر حسده متواخيين فى الله متحابين فيه فانه يجهد نفسه ويحث قبيله على افساد ما بينهما اه أى يوقع بينهما المخالفة فى أمر فيستوحش بعضها من البعض ( قال ) امام الطريقة الجنيد رضى الله عنه ما تواخى اثنان فى الله تعالى واستوحش أحدهما من صاحبه الا لعلة فى أحدهما فالمواخاة فى الله أصفى من الزلال وما كان لله فالله مطالب بالصفاء فيه وكل ما صفا دام والأصل فى دوام صفائه عدم المخالفة (دقيقة) قالوا إن أقل ما يزينه الشيطان للأخ فى معاملة أخيه التساهل فى القيام بحقه اتكالا على ما بينهما من المودة وهذا من مكره الخفى والعياذ بالله ولذلك نبه عليه مشايخ الطريق رضى الله عنهم ( قال عبد الله بن الجلاء ) لا تضيع حق أخيك بما بينك وبينه من المودة والصداقة فان الله تعالى فرض لكل مؤمن حقوقا لا يضيعها إلا من لم يراع حقوق الله تعالى اه ( تذييل ) فى الحديث عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المتحابون فى الله على عمود من ياقوتة حمراء فى رأس العامود سبعون ألف غرفة مشرفون على أهل الجنة يضيء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لاهل الدنيا فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين فى الله عز وجل فاذا أشرفوا عليهم أضاء لهم حسنهم كما تضيء الشمس لاهل الدنيا عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون فى الله وعن سيدنا معاذ رضي الله عنه أنه قال لمن قال له إنى أحبك فى الله أبشر ثم أبشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تنصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون ـ وهم أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء يارسول الله قال المتحابون فى الله عز وجل ( وروى ) عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل « حقت محبتى للمتحابين فىّ والمتزاورين فىّ والمتباذلين فىّ والمتصادقين فىّ » اه وفى هذا القدر مما قصدنا إيراده فى هذا المطلب كفاية والله ولى التوفيق والهداية

## ﴿ المطلب الخامس ﴾

### ﴿ فى بيان فضيلة حسن الاستماع وبعض ما يختص به من الآداب الموصلة بفضل الله تعالى إلى طريق الفضل وكمال الانتفاع

(اعلم) أن هذا المطلب فى طريق أهل الله تعالى من أجل المطالب قدرا وأعظمها فائدة وأسناها فخرا وذلك لان حسن الاستماع كما قيل أساس كل خير وسعادة ومرقاة سامية لادراك كل كرامة وافادة فما أجدره بالتقدم أمام جميع الوسائل والمطالب وما أحقه بأن تناط به جميع مباحث المقاصد والرغائب واعتبار هذا على الجملة فى بساط التحقيق فيما ذكره أئمة الهدى وأعلام الطريق من أنه لم يظهر وجود طريق السعادة ولا علم الفرق بينها وبين طريق الشقاء إلا بالقول الالهى والسمع الكونى قالوا فما ثم الا قول وسمع غير هذين لم يكن فلولا القول ما علم مراد

سيدى محمد المغربى أنه قال إذا أراد الله تعالى أن يسلب ايمان عبد عند الموت سلطه على ولى من أوليائه فيؤذيه وقال فى الطرائف والتلائد وقد جربنا فلم نجد فقيها ينكر على الصوفية الا ويهلكه الله وتكون عاقبته وخيمة انتهى وقال سيدى أحمد الحصونى رضى الله عنه الاعتقاد أصل الايمان والانتقاد أصل الكفر فمن اعتقد كرامات الأولياء فاعتقاد معجزات الأنبياء أولى ومن أنكر كرامات الأولياء فالشيطان يجذبه لانكار المعجزات فيكون الانكار سببا للكفر من هذه الحيثية . وقال فى لطائف المنن ومن كلام سيدى على الخواص رضى الله عنه فكما أنه يجب الايمان بالأنبياء كلهم وتصديقهم ومحبتهم كذلك الأولياء فمن اعتقد الأولياء كلهم إلا واحدا بغير عذر شرعى فقد كذب بالجميع وبارز الله بالمحاربة ومن رد دعوة ولى فقد رد دعوة نبى انتهى. وقال الشيخ سيدى المختار الكنتى فى جذوة الأنوار فى الحكم الداوودية إنما أجل وأزكى وأرحم من جد فى طاعتى وخضع لجلالى وعظم شعائرى وأطاع أنبيائى وأحب أوليائى وانما أنتقم ممن تهاون بجلالى ولم يعظم شعائرى ولم يطع أنبيائى ولم يعظم أوليائى لجلالى حلفت أن لا يذلهم أحد إلا أهنته فى الدنيا والآخرة وأقررت أعينهم بهلكته وقال ابن حجر جاء عن المشايخ العارفين والأئمة الوارثين

انهم قالوا أقل عقوبة المنكر على الصالحين أن يحرم بركتهم قالوا ويخشى عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى وقال فى فرائد الفوائد وفى شرح ابن

الحق سبحانه منا ولولا السمع ماوصلنا إلى ماقيل لنا فأول شيء علمناه من الحق القول منه والسمع منا وقدقدم سبحانه فى كتابه الحكيم السميع على العليم وعلى البصير فقال تعالى سميع عليم سميع بصير فافهم ولهذا الأمر الأكيد جعلنا هذا المطلب من جملة المطالب المقدمة بين يدى المقصود من هذا التقييد فنقول معتمدين على مددمن له القوة والحول طامعين فى فضل من ليس إلامنه المنة والطول (قال العارف) بالله تعالى الشيخ أبو حفص السهروردى رضى الله عنه قال سفيان بن عيينة رضى الله تعالى عنه أول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر اه يريد أن أول العلم حسن الاستماع بدليل ترتب الفهم عليه إذالفهم إنما يحصل بحسن الاستماع لا بمجرد الاستماع فافهم وقد قيل فى قوله تعالى « ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه » وقوله تعالى « لاتحرك به لسانك لتعجل به » الآيتين إن فى ذلك تعليما من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم حسن الاستماع (وقال بعضهم) تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام اه وحسن الاستماع يكون بكمال الأدب فيه (قال يوسف بن الحسين) بالأدب يفهم العلم وبالعلم يصح العمل وبالعمل تنال الحكمة وبالحكمة يقام الزهد وبالزهد تترك الدنيا وبترك الدنيا يرغب فى الآخرة وبالرغبة فى الآخرة تنال الرحمة عند الله تعالى اه فعلم من قوله بالأدب يفهم العلم أن حسن الاستماع يحصل بكمال الأدب فى الظاهر والباطن فأما كمال الأدب فى الباطن فيكون باخلاص النية فى القصد الى الاستماع وبتطهير المحل بالتوبة والاستغفار وبتحقيق الافتقار إلى الله تعالى واللجأ إليه وسؤاله بلسان الاضطرار أن يعلمه مالم يكن يعلم وعن كمال الأدب فى الباطن ينشأ كمال الادب فى الظاهر عند المحققين من أهل الطريق فينشأ عما تقدم من كمال الأدب فى الباطن الهيبة والوقار وخشوع الجوارح والسكون والتفرغ من الشواغل ونحو ذلك مما هو عنوان حسن الأدب فى الباطن (وقد حكى) أن الشيخ أبا حفص النيسابورى لماورد العراق وجاء إليه الجنيد فرأى أصحاب أباحفص وقوفا على رأسه يأتمرون لأمره ولايخطىء أحد منهم فقال ياأباحفص أدبت أصحابك أدب الملوك فقال أبو حفص لاياأباالقاسم ولكن حسن الأدب فى الظاهر عنوان حسن الادب فى الباطن اه ويشهد له حديث لو خشع قلبه لخشعت جوارحه الحديث فتحصل أن حسن الاستماع إنما يكون بكمال الاستعداد لذلك بحسب مقام المستمع فى ذلك وحاله ثم هذا إنما هو فى الاصل عند أهل هذا الشأن فى سماع كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم الذين لاتنقضى فوائدهما ولا تنفذ على مر الدهر عجائبهما (وألحق أئمة المشايخ رضى الله عنهم) بسماع القرآن العظيم والحديث الشريف مطالعة الكتب المتضمنة لما استنبط منهما بطريق التعريف من العلوم السنية والنور البديع والسر المنيف ومما يشير إلى أن حسن الاستماع إنما يكون بالاستعداد قوله سبحانه وتعالى « ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم » (قال بعضهم) لو علمهم أهلا للاستماع لفتح آذانهم للاستماع فمن تملكته الوساوس وغلب على باطنه حديث النفس لايقدر على حسن الاستماع اه ويشير إلى هذا أيضا قوله تعالى « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » (قال الفخر الرازى فى تفسيره) أى قلب موصوف بالوعى أى قلب واع يقال فلان له مال أى كثير فالتنكير يدل على معنى فى الكمال اه الغرض منه وفيه الاشارة إلى ماذكرناه من الاستعداد (قال فى العوارف) قال يحيى بن معاذ الرازى القلب قلبان قلب قد احتشى بأشغال الدنيا حتى إذا حضر أمر من أمور الطاعة لم يدرما يصنع وقلب قد احتشى

بأشغال

باديس أن رجلا كان يقع فى السلف بغير سبب عمومى فاحتضر وكان ينطق بكل شيء إلا الشهادة ويقول لم يؤذن لى فضج أهله وأتوا الشيخ سويدا فجاءه وأطرق طويلا ثم قال قل لا إله إلا الله محمد رسول الله فقالها مراراً فقال الشيخ انه عوقب لوقيعته فى السلف فدخلت على الحضرة واستوهبته من معروف الكرخى والجنيد والشبلى وغيرهم . وقال الشعرانى رحمه الله تعالى وقع ابن اللبان فى حق سيدى أحمد البدوى فسلب القرآن العظيم والعلم والايمان فلم يزل يستغيث بالاولياء حتى دل على سيدى ياقوت العرشي فمضى الى قبر سيدى احمد البدوى وكلمه واجابه وقال له أنت أبو الفتيان رد على هذا المسكين رأس ماله فقال بشرط التوبة فتاب ورد عليه رأس ماله انتهى . ثم قال وأخبرنى شيخنا الشناوى أن شخصا أنكر حضور مولد سيدى أحمد البدوى فسلب إيمانه فلم تكن فيه شعرة تحن إلى دين الاسلام فاستغاث بسيدى أحمد فقال بشرط أن لا تعود فقال نعم فرد عليه ثوب ايمانه ثم قال له ماذا تنكر قال اختلاط الرجال بالنساء فقال له سيدى أحمد ذلك واقع فى الطواف ولم يمنع منه أحد انتهى وقال اليدالى أيضا نا قلا عن ابن حجر وفيما آل إليه أمر النفر الثلاثة الذين زاروا الغوث أكبر زاجر وأبلغ رادع عن الانتقاد على الاولياء والنفر الثلاثة أمام الطريقة سيدى عبد القادر الجيلانى وهو يومئذ شاب وابن السقاء وإمام الشافعية أبو سعيد عبد الله بن أبى عصرون وهو المحدث بالقصة قال زرنا الغوث بمكة

بأشغال الآخرة حتى إذا حضر أمر من أمور الدنيا لم يدر ما يصنع اه وهذا القلب الثانى هو الذى حصل له الاستعداد لدرك العلوم الفاخرة وفهم الأسرار الباهرة (وقال بعضهم) فى الآية لمن كان له قلب سليم من الأغراض والأمراض وقال ابن سمعون فى الآية لمن كان له قلب سليم يعرف آداب الخدمة وآداب القلب ثلاثة أشياء فالقلب إذا ذاق طعم العبادة أعتق من رق الشهوة فمن وقف عن شهوته وجد ثلث الأدب ومن افتقر إلى ما لم يجد من الأدب بعد الاشتغال بما وجد فقد وجد ثلثى الأدب والثالث امتلاء القلب بالذى بدأ بالفضل منه تفضلا اه (وقد) قال محمد بن على الترمذى رحمه الله تعالى موت القلب من شهوات النفس فكلما رفض شهوة نال من الحياة بقسطها والسماع للأحياء لا للأموات قال تعالى «إنك لا تسمع الموتى - الآية» اه ومدار هذه العبارات كلها على حصول كمال الاستعداد للسماع حسبما تقدمت الاشارة اليه فالعبد إذا حصل له الاستعداد للسماع واتصف بالحياة التى يتأهل بها عند الله تعالى للاسماع سمع كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكذا ما استنبط منهما حق السماع وحظى فى جميع معاملاته بأكمل حالات الاتباع كما قال تعالى « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب» (قالوا) وفى هذه الآية الكريمة التصريح بالثناء على المتصفين بحسن الاستماع الناشىء عنه حسن الاتباع بأنهم الذين هداهم الله وأنهم هم أولوا الالباب وناهيك بهذا فخراً لمن أهله الله تعالى لهذه المزية العظيمة والخصوصية الجسيمة

﴿ تنبيهان ﴾ الاول إذا عرفت أن مطالعة كتب العلم والاخبار وسير الصالحين وحكايتهم وأنواع الحكم والامثال ونحو ذلك كلها ملحقة بالسماع فى هذا الباب ( فاعلم ) أن من الادب فى هذا المقام ما ذكره فى عوارف المعارف من أن الانسان إذا أراد مطالعة كتاب لا يبادر بذلك إلا بعد التثبت والاناية والرجوع إلى الله تعالى وطلب التأييد فيه فانه قد يرزق حينئذ بالمطالعة ما يكون مزيداً لحاله قال ولو قدم الاستخارة لذلك لكان حسنا فان الله تعالى يفتح عليه باب الفهم والتفهم موهبة من الله تعالى زيادة على ما يتبينه من صورة العلم فللعلم صورة ظاهرة وسر باطن هو الفهم والله تعالى قد نبه على شرف الفهم فى قوله « ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما» فأشار سبحانه وتعالى إلى الفهم بمزيد اختصاص وتمييز عن الحكم والعلم وقد قال الله تعالى إن الله يسمع من يشاء فاذا كان المسمع هو الله تعالى فانه يسمع تارة بواسطة اللسان أى لسان الرسل عليهم الصلاة والسلام ومن فى معناهم من ورثتهم وتارة فى مطالعة الكتب من التبيان فصار ما يفتح الله به فى مطالعة الكتب على معنى ما يرزق من المسموع ببركة حسن الاستماع فليتفقد العبد حاله فى ذلك وليتعلم علمه وأدبه فانه باب كبير من أبواب الخير وعمل صالح من أعمال المشايخ لاستفتاح أبواب الرحمة والمزيد من كل سر بفضل الله تعالى اه (ومن بعض كتب حجة الاسلام الامام الغزالى رضى الله تعالى عنه فى وصية أوضحها ونصيحة محضها ما نصه) أيها الطالب للعلوم والناظر فى التصانيف والمستشرف على كلام الناس وكتب الحكمة ليكن نظرك فيما تنظر فيه بالله ولله وفى الله لانه إن لم يكن نظرك به وكلك إلى نفسك أو إلى من جعلت نظرك به وكذلك إن لم يكن نظرك له فقد صار عملك لغيره فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وكذلك إن لم يكن نظرك فيه فقد أثبت معه غيره ولاحظت بالحقيقة سواه وإذا نظرت فى كلام أحد من الناس ممن قد شهر بالعلم فلا تنظر بازدراء ولا تقطع له بصحة ولا تقطع عليه بفساد وليكن تحسين الظن أغلب عليك

مسئلة وأنظر ما يقول فيها وقال عبد القادر

فقال ابن السقاء لا سألنه مسئلة لا يدرى لها جوابا قال وقلت أنا لأسألنه

معاذ الله أن أسأله شيئا أنا بين يديه أنتظر بركة رؤيته قال فدخلنا عليه فنظر إلى ابن السقاء مغضبا وقال ويحك يا ابن السقاء تسألنى عن مسألة لا أدرى لها جوابا هى كذا وجوابها كذا إنى لأرى نار الكفر تلتهب فيك ثم نظر إلى وقال يا أبا عبد الله أتسألنى مسألة لتدرى ما أقول فيها هى كذا وكذا وجوابها كذا لتخرن الدنيا عليك إلى شحمة أذنيك باساءة أدبك وقال يا عبد القادر لقد أرضيت الله ورسوله بحسن أدبك كأنى أراك ببغداد وقد صعدت الكرسى تتكلم على الملأ وقلت قدمى هذا على رقبة كل ولى وكأنى أرى الأولياء فى وقتك وقد حنوا رقابهم إجلالا لك ثم غاب عنا قال المحدث بالقصة فكان من أمر عبد القادر ما كان وأقبلت على الدنيا إقبالا وأما ابن السقاء فآل أمره إلى أن علق بنصرانية فخطبها فلم يجدها إلا بالدخول فى دين النصرانية ومات عليه والعياذ بالله فانظر شؤم قلة الأدب وفائدة الأدب والاعتقاد انتهى . وقال فى العهود المحمدية تكلم البلقينى فى ولى من الأولياء يبيع الحشيش فى مصر لما رأى ازدحام الناس عليه فقال أهل مصر لو خرج الدجال عليهم لاعتقدوه من شدة جهلهم فسلب ما معه حتى الفاتحة فتنكرت عليه أحواله فشكى حاله لفقير فقال هذا من الحشاش الذى أنكرت عليه فما زال يتلطف به ويسأله حتى قال له اذهب إلى الديك الذى فوق سطح مدرستك فاذبحه وكل قلبه يرد علمك عليك فكيف تنكر على المسلمين بعلم حمله الديك فى

قلبه فمن ذلك اليوم ما أنكر البلقينى على أحد من أرباب الأحوال انتهى بالمعنى وأمثال هذه الحكايات كثيرة يؤدى بنا استقصاء ماوقفنا عليه منها إلى التطويل وقدقال سيدى احمد زرّوق رحمه الله فى عدة المريد جرت سنة الله تعالى فى المنكرين على الأولياء أن يبتليهم ببلايا ظاهرة فى الوجود متى خالطهم فى الانكار هوى ولوقل لانه تعالى يغار لحرمتك جنابه إلا باذنه فالمتعرض له بالهوى مخذول والمنتصر لدين الله منصور انتهى . وقال بعضهم من آذى وليا ولم يعاجل بمصيبة فلا يحكم له بالسلامة من انتقام الله تعالى منه فقد تكون مصيبته أعظم بأن يصاب فى دينه وقال ابن عطاء الله رضى الله عنه قد تكون عقوبته قساوة فى قلبه أو جموداً فى عينه أو تعويقا عن طاعته أو وقوعا فى معصيته قاله اليدالى . ثم قال وينبغى لمن صدر منه الوقوع فى ولى أن يستوهب حاله من أولياء عصره أو يأتى إليه أو إلى قبره ان مات ويتضرع إلى الله عسى أن يغفر له ويرد حاله والا هلك مع الهالكين انتهى وبالله التوفيق وهو الهادى الى سبيل التحقيق .

﴿ خاتمة ﴾

نقل اليدالى فى الذهب الابريز عن كتاب اليواقيت والجواهر للشعرانى قال قال شيخ الإسلام المخزومى لايجوز لعالم أن ينكر على صوفى إلا ان سلك طريقهم ورآهم خالفوا السنة ولا يسوغ له الانكار عليهم حتى يعرف سبعين أمراً منها معرفة إصطلاحهم فى التجلى الذاتى والصورى وما هو الذات وذات الذات ومعرفة حضرات الأسماء والصفات والفرق بين الحضرات

حتى يزول الاشكال عنك بما تتيقن من معانيه وإذا رأيت له حسنة وسيئة فانشر الحسنة واطلب المعاذير للسيئة ولكل عالم عذر وله فى بعض ما يأتى به احتجاج وناهيك بما جرى بين ولى الله تعالى الخضر وكليمه موسى عليهما السلام وإذا ظهر لك من كلام عالم اشكال يؤذن فى الظاهر بمحال أو اختلال فخذ ماظهر لك علمه ودع ما اعتاص عليك فهمه وكل العلم فيه إلى الله تعالى فهذه وصيتى فاحفظها اه بنقل بعض الفقهاء له فى نوازله رحمه الله تعالى وجزاه خيراً ﴿ فائدة ﴾ مما ينبغى أن يعتنى به مريد المطالعة لكتب العلم أن يقول قبل الشروع بحضور قلب ( اللهم ) إنى أستودعك جميع ما أنظره فى هذا الكتاب حتى ترده على فى وقت احتياجى إليه وهو غاية فى الحفظ والوعى بفضل الله تعالى وقد كنت أعمل عليه منذ استفدته فيما أطالعه من الكتب وكذا إذا جلست إلى أحد من الفضلاء بقصد المذاكرة فاقول فيهما اللهم إنى أستودعك جميع ما أستفيده من هذا السيد أو من هذا المجلس حتى ترده على الخ فكنت أجد بحمد الله بركة ذلك مع ضعف استعدادى وعدم تأهلى من فضل الله تعالى

لم أكن للوصال أهلا ولكن * أنتم بالوصال أطمعتمونى

﴿ التنبيه الثانى ﴾ من الأدب فى هذا المقام أيضا ما ذكره فى العوارف أيضا وهو أن العبد إذا أراد أن يطالع شيئا من الحديث والأخبار يعلم أنه قد تكون مطالعة ذلك بداعية النفس وقلة صبرها على الذكر والتلاوة والعمل فيتروح بالمطالعة كما يتروح بمجالسة الناس ومكالمتهم فليتفقد الفطن نفسه فى ذلك ولا يستحلى مطالعة الكتب إلى حد يأخذ من وقته اه (قلت) وعلى هذا الأدب رأيت عمل بعض الفضلاء الأعيان من خاصة أصحابنا الموفقين حفظه الله تعالى وقد استعان على ذلك بضابط حسن وهو أنه جزأ أوقاته الليلية والنهارية فجعل جزءاً للتدريس وجزءاً لمطالعته وجزءاً لاقامة أوراده وجزءاً لنومه وهكذا سائر الأعمال المتعاقبة بالليل والنهار فلم يأخذ شيء منها بوقته وهو كما لايخفى نظر سديد لا يصدر إلا عن رأى رشيد مؤيد بالعناية والتوفيق من الرب المجيد (تكميل) قد مثل بعض الحكماء تفاوت الناس فى الاستماع فقال كالباذر خرج ببذره فملأ منه كفه فوقع منه شيء على ظهر الطريق فلم يلبث أن انحطت عليه الطير فاختطفته ووقع منه شيء على الصفوان وهو الحجر الأملس عليه تراب يسير وندى قليل فنبت حتى إذا وصلت عروقه إلى الصفوان لم يجد مساغا ينفذ فيه فيبس ووقع منه شيء على أرض طيبة فيها شوك ثابت فنبت فلما ارتفع خنقه الشوك فأفسده واختلط به ووقع منه شيء على أرض طيبة ليس على ظهر الطريق ولا على الصفوان ولا على أرض فيها شوك فنبت ونما وصلح فمثل الباذر مثل الحكيم ومثل البذر كمثل صواب الكلام ومثل ماوقع على ظهر الطريق مثل الرجل يسمع الكلام وهو لا يريد أن يسمعه فما يلبث الشيطان أن يختطفه من قلبه فينساه ومثل الذى وقع على الصفوان مثل الرجل يستمع الكلام فيستحسنه ثم تفضى الكلمة إلى قلب ليس فيه عزم على العمل فينسخ من قلبه ومثل الذى وقع فى أرض طيبة فيها شوك مثل الذى يستمع إلى الكلام وهو ينوى أن يعمل به فاذا اعترضت له الشهوة قيدته عن النهوض بالعمل فترك ما نوى عمله لغلبة الشهوة كالزرع يختنق بالشوك ومثل الذى وقع فى أرض طيبة ليس على ظهر الطريق ولا على الصفوان ولا على ذات شوك مثل المستمع الذى ينوى عمله فيفهمه ويعمل به ويجانب هواه اه وإنما يحصل هذا بالاستعداد والبراءة من الشهوة والهوى كما تقدمت الاشارة إليه وبيان هذا أن للشهوة والهوى حلاوة قد أشربت لذتها النفس فهى

تركن اليها وتلك اللذة هي التي تخنق النبت كالشوك وعند مايحصل الاستعداد باحتراق الشهوات والهوى بنار الذكر ينازل القلب حلاوة الحب الالهي والحب الالهي يعانق الروح بالحضرة القدسية ومن قوة انجذاب الروح إلى الحضرة الالهية بداعية الحب الصرف يستتبع الروح القلب والنفس وحلاوة الحب للحضرة الالهية تغلب حلاوة الهوى لأن حلاوة الهوى كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار لكونها لاترتقي عن النفس وحلاوة الحب الالهي كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء فاذا سمع هذا الذي حصل له الاستعداد الكلمة من كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم يتشربها بالروح والقلب والنفس ويقويها بكليته ويقول

أشم منك نسيما لست أعرفه * كأن لمياء جرّت فيك أذيالا

فتعمه الكلمة وتشمله وتصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصراً فيسمع الكل بالكل ويقول ان تأملتكم فكلي عيون * أو تذكرتكم فكلي قلوب

وفي هذا القدر من الكلام في حسن الاستماع كفاية في التوصل إلى باب الاطلاع وبالله التوفيق وعليه الاعتماد في الهداية إلى سواء الطريق

## ﴿ المطلب السادس ﴾

### ﴿ في بيان تخالف أخلاق أولياء الله تعالى في الطرائق والمذاهب والاشارة إلى أن منشأ ذلك هو تباين الأذواق والمشارب ﴾

(لايخفى) على الأريب وجه المناسبة في اشتمال هذه المقدمة على هذا المطلب العجيب من الفوائد العظيمة والمنافع الجسيمة ولو لم يكن إلا سلامته من الوقوع في مهاوي الانكار والتردي فيما تردى فيه كثير من الاغمار بالانتقاد على الأولياء الأبرار والعارفين الكبار وذلك بما استفادوه من الاقيسة الخيالية والتخمينات الوهمية باستقرائهم السقيم ومذهبهم الفاسد في اعتقادهم أن الولاية لاتجيء في كل زمان وفي كل شخص إلا على قانون واحد وأنها مما تشمله الحدود ويدخل تحت محيطات الضوابط والقواعد وقد صرح في الذهب الابريز بأنه لايصح لأحد أن يحجر الفضل العظيم فيقطع على المولى الكريم بأنه لا يختار لبساط كرامته ولايصطفي لحضرة قربه ومشاهدته إلا من صدقت عليه تلك الحدود والضوابط واستكملت فيه تلك العلامات والشرائط قال وقد يبلغ الجهل بأهل الانكار والجحود الى نفي الولاية عن كل موجود لما استحكم في قلوبهم من حصرها في ضوابط معلومة وتحقيقها بقواعد مرسومة فترى الواحد منهم يعرض على مامعه من القواعد والضوابط والاراء والأنظار أحوال كل واحد ممن يراه أو يسمع به من الاولياء الكبار فيجدها لاتنطبق على أحواله فينفي عنه الولاية بكل وجه وكل اعتبار ويصير مثال حاله الكاسد أنه يؤمن بولي لاوجود له في الشاهد ولم يدر أن الولاية مجرد اصطفاء من الله تعالى الفعال لما يريد لمن يشاء ويختار من العبيد وأنها ليس مما يدرك بالتخمين ولا مما يقدر على ضبطه أحد من المخلوقين اه بمعناه ولهذا الذي اشتملت عليه هذه الفائدة الجليلة من النكت البديعة والمنافع الجزيلة حسن منا إيراد هذا المطلب في جملة مطالب هذا الكتاب وماهو ان شاء الله تعالى إلا الخالص منها واللباب فنقول والله تعالى الموفق للصواب (اعلم) أنار الله قلبي وقلبك بأنوار الايمان واليقين وأمدنا جميعا بما أمد به عباده المتقين أن الاتساع الالهي الذي لايحتمل الحصر ولا التناهي يأبى

وعلم الماهية والهوية والشكر والمحبة ومن هو الصادق في الشكر حتى يسامح والكاذب حتى يؤاخذ وغير ذلك انتهى وفي الكوكب الوقاد قال شيخ الاسلام المخزومي يجب على المنكر أن لا ينكر إلا بعد أن يطالع معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ويلازم مطالعة كتب التفسير والتأويل ويعرف أسرار الكتاب والسنة ويكثر التأمل والنظر في آيات الصفات وأخبارها واطلاعه على ماقاله السلف والخلف في ذلك ويعرف من أخذ بالظاهر ومن قال بالتأويل ومن دليله أقوى وأرجح ويكثر الغوص على منازع المجتهدين وأدلتهم التي استندوا اليها من كتاب أو سنة أو قياس إلى أن قال فمن لم يرتق إلى هذه المقامات ولم يشم نفحة من نفحات التجليات ولم يذق ثمرة من ثمرات التدليات ولم يرتشف من بحار الولايات فكيف يحل له أن يعبر عن كلامهم أو ينكر عليهم في سيرهم ومقاماتهم مما هو عنه بمعزل انتهى وفيه أيضا قال الشيخ بدر الدين الزركشي لاتسمع فتوى شخص في القوم الا بعد تحقيقه لاصطلاحاتهم ومعرفته بحقائق ألفاظهم كما لاتسمع فتوى الأصولي والنحوي في الفقه تقليداً له إلا بعد غوصه على حقائق الكتاب والسنة ومعرفته بأصول الفقه لعدم احاطته واتقانه لذلك إذ علم النحو والأصول انما هما آلة لتحقيق الفقه لا انهما

عينه فان فعلا فقد ضلا وأضلا وكذلك من لامعرفة له باصطلاح القوم فانه إذا سمع قولهم من غير تحقيق لمقاصدهم ومعرفة فحوى اشاراتهم

انحصار المواهب الاختصاصية والمنح الاصطفائية فى نوع من أنواع الصفات الكمالية أو صنف من أصناف النعوت الجلالية والجمالية لأن المفيض لتلك المواهب والعطايا والمخصص بتلك المنائح والمزايا هو المولى الجواد الكريم ذو الفضل العظيم والطول الجسيم الفاعل المختار الموصوف بكمال الاقتدار الذى لا يسئل عما يفعل ويخلق ما يشاء ويختار وإذا كان سبحانه هو الواهب لتلك المواهب المانح لتلك التخصيصات والرغائب وكان سبحانه فتاحا على الدوام وهابا بلا انقطاع ولا انصرام فكيف تنحصر مواهبه لأوليائه فى شىء من الأنواع والأجناس أو تدخل منحه لخاصة أصفيائه تحت حيطة ضابط أو قياس فهذا الاصل إن أحكمته علما وفتح الله عليك فى التحقيق به ذوقا وفهما يسهل عليك الاطلاع على توجيه اختلاف مذاهب الأولياء وعدم توافق طرائقهم وينحل لك ما يشكل عليك من تباين أذواقهم وحقائقهم وتعرف موجب الانكار من البعض منهم على البعض ومعاملته إياه بالحط من قدره والغض فحينئذ لا يستفزك ظاهر أحوالهم ولا يحجبك عن الاستعداد منهم والاقتباس من نور كمالهم وترسخ قدمك إن شاء الله تعالى فى المتابعة لمن اتخذته منهم أمامك فألقيت اليه قيادك وملكته زمامك فتظفر بمينك بكيمياء السعادة وتستنتج نتائج النجاح من مقدمات هذه الفائدة وتعثر ذوقا على موقع الاشارة من قوله تعالى «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» ولنذكر من كلام العلماء العاملين والمشائخ الكاملين مايدل لتحقيق ماقصدنا الاشارة اليه فى هذا المقام قال الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى ورضى عنه فى مؤلفه الذى سماه الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والابدال مانصه ومن حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ان لله عز وجل فى الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم عليه السلام ولله فى الخلق أربعين قلوبهم على قلب نوح عليه السلام ولله فى الخلق سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم عليه السلام ولله فى الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام ولله فى الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام ولله فى الخلق واحد قلبه على قلب اسرافيل عليه السلام فاذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة فبهم يحيي ويميت ويمطر وينبت ويدفع قيل لعبد الله بن مسعود كيف يحيي ويميت قال لأنهم يسألون الله تعالى اكثار الامم فيكثرون ويدعون على الجبابرة فيقصمون ويستسقون فيسقون فتنبت لهم الارض ويدعون فيدفع بهم أنواع البلاء أخرجه ابن عساكر اه الغرض هنا وعنده فى مؤلفه المذكور أيضا مانصه وفى كفاية المعتقد لليافعى نفع الله ببركاته مانصه قال بعض العارفين الصالحون كثيرون مخالطون للعوام لصلاح الناس فى دينهم ودنياهم والنجباء فى العدد أقل منهم والنقباء فى العدد أقل منهم وهم مخالطون للخواص والابدال فى العدد أقل منهم وهم نازلون فى الامصار العظام لا يكون منهم فى المصر إلا الواحد بعد الواحد فطوبى لاهل إبلدة كان فيها اثنان منهم والاوتاد واحد باليمن وواحد بالشام وواحد بالمغرب وواحد بالمشرق والله تعالى يدير القطب فى الآفاق الاربعة من أركان الدنيا كدوران الفلك فى أفق السماء وقد سترت أحوال القطب وهو الغوث عن العامة والخاصة غيرة

من

اتهمهم لأنه إذا سمع قولهم حقيقة التوبة هى التوبة من التوبة فانه ينكر ذلك فاذا عرف أن مرادهم بذلك اتهام أنفسهم فى اخلاص التوبة ورؤيتها رجع عن انكاره قال وكان امام الحرمين رحمه الله يقول لو قيل لنا فصلوا ما يقتضى الكفر ويؤدى إلى التضليل من عبارات القوم لقلنا هذا اطمع فى غير مطمع فانه أمر بعيد المدرك وعر المسلك يمد من تيار بحور التوحيد ومن لم يحط علما بنهاية الحقائق لم يحصل من التكفير إلا على ما يضره فيكون كالباحث عن حتفه بظلفه أو كمتلقى النار عن نفسه بأنفه اذ ربما أراد تكفير غيره فيقع سهمه فى نحره انتهى. وفيه أيضا ذكر النووى أنه يحرم على كل عاقل أن يسىء ظنه بأولياء الله تعالى بل يجب تأويل أقوالهم وأفعالهم ما لم يلحق بهم أو يشرب من مشاربهم انتهى. وقال فى فرائد الفوائد قال ابن حجر والصواب للمعترض أن يقول فى عبارته هذه العبارة تحتمل وجوها ويثبتها ثم يقول ان أراد كذا فكذا ولا يقول من أول وهلة هذا كفر هذا جهل وخروج عن دائرة النصيحة التى يزعم انه أرادها ثم انه لا يجوز الانكار عليهم إلا بعد معرفة مدلول كلامهم ثم معرفة اصطلاحهم فان اللفظ المصطلح عليه حقيقة عند أهله فيما اصطلحوا عليه ثم تطبق ذلك الاصطلاح على ذلك المدلول وتنظر هل يطابقه أم لا قال وبحمد الله المنكرون عليهم كلهم جاهلون بذلك إذ ليس أحد منهم أتقن علوم المكاشفات بل ولا شم لها رائحة ولا أحد منهم ملك بزمامه لاحد منهم حتى أحاط باصطلاحهم انتهى. وقال الشعرانى من كان يخبر

من الحق عليه غير أنه يرى عالماً كجاهل أبله كفطن تاركا أخذ قريباً بعيداً سهلا عسيراً وكشفت أحوال الأوتاد للخاصة والعارفين وسترت أحوال النجباء والنقباء عن العامة خاصة وكشف بعضهم لبعض وكشفت أحوال الصالحين للعموم والخصوص ليقضى الله أمراً كان مفعولا وعدة النجباء ثلاثمائة والنقباء أربعون والبدلاء قيل ثلاثون وقيل أربعة عشر وقيل سبعة وهو الصحيح والأوتاد أربعة فاذا مات القطب جعل مكانه خيار الأربعة وإذا مات أحد من الأربعة جعل مكانه خيار السبعة وإذا مات أحد السبعة جعل مكانه خيار الأربعين وإذا مات أحد الأربعين جعل مكانه خيار الثلاثمائة وإذا مات أحد الثلاثمائة جعل مكانه خيار الصالحين وإذا أراد الله أن يقيم الساعة أماتهم أجمعين وبهم يرفع عن عباده البلاء وينزل قطر السماء ( وقال ) بعض العارفين والقطب هو الواحد المذكور فى حديث ابن مسعود أنه على قلب إسرافيل ومكانه فى الأولياء كالنقطة فى الدائرة التى هى مركزها به يقع صلاح العالم اه وكلام اليافعى هذا صريح فى أن من الأولياء من ليس من أهل الدائرة وهم الصالحون وعددهم كثير ويؤخذ منهم أنهم هم المعبر عنهم فى حديث ابن مسعود بالعامة وكلامه أيضاً صريح فى أن أحوال الأولياء منها ما لا يكشف لأحد ومنها ما يكشف للخاصة منهم فقط ومنها ما يكشف للخاصة والعامة أى والعامة منهم وهم الصالحون لاغير وإلا فمن أين لغير الولى ان يعرف الولى فكلامه هذا كالتفسير لحديث ابن مسعود رضى الله عنه فافهم ذلك وهنا دقيقة وهى أن قوله وكشفت أحوال الصالحين للعموم والخصوص يقتضى أن من ليس من أهل الدائرة من الصالحين يعرفه كل من كان من أهل الدائرة وكذا من ليس من أهل الدائرة مثله وليس المخصوص لائمة الطريق كذلك ففى النزهة للعارف بالله تعالى سيدى أحمد ابن عبد القادر النستاوتى رضى الله عنه ما نصه ويحكى عن الخضر عليه السلام أنه اجتمع ببعض الصالحين فقال له ذلك الصالح هل تعرف الأولياء جملة فقال عليه السلام أعرف أهل الدائرة وغيرهم منهم من أعرفه ومنهم من لا أعرفه فسأله عن عدد أهل الدائرة فقال هم واحد وثلاثة وأربعة وسبعة وعشرة وأربعون وسبعون وثلاثمائة ولو اطلع السبعون على الأربعين لرأوا سفك دمائهم حلالا كما وقع لى مع موسى عليه الصلاة والسلام فليس الشارب من الماء كالشارب من العسل المصفى ولا الشارب من العسل كالشارب من الخمر ولا الشارب من الخمر كالشارب من اللبن وهو شراب أهل التمكين ولا الساقى لهم من هذا كالساقى لهم من هذا ولا النشوان من هذا كالنشوان من هذا وقد تدفع هذه الكؤس كلها بيد واحد يسقى كل وارد على حسب ما سبق له يوم ألست بربكم اه وقد حمل كلام الخضر عليه السلام على ما يتأيد به كلام اليافعى من أن لله تعالى أولياء كثيرين من غير أهل الدائرة وقوله منهم من أعرفه ومنهم من لا أعرفه نص فى أن الصالحين يعنى عامة الأولياء الذين ليسوا من أهل الدائرة يعرف بعضهم لا كلهم لأنه إذا كان الخضر عليه السلام لا يعرف كلهم فغيره بالاولى والله تعالى أعلم وقد قال سيدنا الشيخ رضى الله عنه فيما ذكره عنه صاحب الجامع رحمه الله تعالى أن الاولياء الذين ليسوا من أهل الديوان كثيرون ومع كثرتهم فهم طوائف كل طائفة لها عدد لا ينقص فاذا مات الواحد منهم خلفه غيره فى مرتبته قال رضى الله عنه ومنهم طائفة تسمى الضنانيين عددهم أربعة آلاف قال وكذلك الذخائر طائفة أخرى وعددهم أربعة آلاف أيضا قال ومرتبة هاتين الطائفتين أنهم يعتقدون وجود الكون

إلا الثالث وهو أن يكون عدواً فليقل ماشاء ونقل عن شيخه سيدى على الخواص أنه كان يقول كل من أنكر على عالم فكأنه ادعى انه أعلم من ذلك العالم ولو أنه كان يعتقد أنه دونه فى العلم لسلم له قوله وانتهى عن الوقوع فى الانكار عليه ومع هذا المثبت مقدم على النافى وقيل إن كمال الدين بن يونس أنكر على قضيب البان فقال له يا ابن يونس أنت تعلم كل ما يعلم الله قال لا قال فانى من العلم الذى لا تعلمه أنت فلم يدر ما يجيبه به انتهى كلام اليدالى ثم قال ثم إن المنكر كأنه ادعى أنه كوشف له حتى ظهر له كذب مدعى المكاشفة فانه أكذب نفسه لأنه رجع إنكاره على دعواه فأبطلها لأنه أنكر المكاشفة وكأنه ادعاها انتهى وقال المسناوى وقد تكلم أبو عبد الله القرشى بما بهر عقول الحاضرين فقال بعضهم من أين لك هذا يا أبا عبد الله فقال له من الجهة التى استدبرتموها ذكره ابن خلكان وقال التفتازانى فى شرح المقاصد وأحوال الصوفية واشاراتهم إنما هى عن بصائر ربانية وأحوال ذوقية تخصهم ولا تتعداهم لغيرهم ولو تسور عليها غيرهم لم تكن خاصة بهم وكما لا يفهم الصغير أحوال الكبير فكذلك لا يفقه غير الصديق أحوال الصديق وماخص به فى طوره من المشاهدات التى تقصر عنها العقول وإنما تنال بوهب نور اليقين الذى لا أعز منه وقد قال عليه الصلاة والسلام إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله فاذا نطقوا به أنكره عليهم أهل

ولا يرونه لأنهم غرقى فى بحار الألوهية اه وهو مؤيد لما تقدم عن اليافعى أيضاً ثم ان قول الخضر عليه السلام ولو اطلع السبعون على الأربعين لرأوا سفك دمائهم حلالا يريد أنهم لو اطلعوا على ما يتحققون به من الحق فى بواطنهم لأفتوا بسفك دمائهم وذلك لأن كل واحد منهم يطلعه الله تعالى على مالم يطلع عليه غيره فيطلع هذا على مالم يطلع عليه الآخر ويطلع الآخر على مالم يطلعه هو أيضاً عليه بحسب ما اقتضته المشيئة الربانية والقسمة الالهية ومن هنا جاء إنكار بعضهم على بعض حتى ربما أفضى الأمر فى ذلك الانكار إلى التكفير * ورأيت فى حاشية الاكبار على مختصر الشيخ خليل عند قوله فيه ولا عالم على مثله ما نصه ذكر صاحب كتاب المعارج انه قد يفضى إنكار القوم بعضهم على بعض إلى أن يكفر بعضهم بعضاً وذلك من أجل أن يحكم بحاله على غيره وقال أبو حامد فى احيائه ولذلك تختلف أجوبتهم وهذا معنى قول تاج الدين تنوّعت أجناس الأعمال لتنوع واردات الأحوال وواردات الأحوال ما يرد على القلوب من المعارف فقد يكون وارد يوجب قبضاً وآخر يوجب بسطاً أو هيبة أو أنساً أو رجاء أو خوفا وانظر قضية يحيى وعيسى عليهما السلام حين التقيا فقال أحدهما لصاحبه كأنك آمن من مكر الله فقال له الآخر كأنك آيس من رحمة الله فتنوع ما ظهر عليهما لتنوع وارد حاليهما وكل منهما صادق بنسبته فلهذا يجب تحسين الظن بالجميع وأن لا يسمع كلام البعض فى البعض لأجل غيرتهم على الدين لا تحاسدهم اه بلفظه من الحاشية المذكورة وقد جرى التعبير بمثل عبارة الخضر عليه السلام فى قوله لرأوا سفك دمائهم الخ على ألسنة كثير من السلف والخلف فقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال ملأت من النبى صلى الله عليه وسلم وعاءين أما أحدهما فهاأنا أبثه لكم وأما الآخر فلو بثثته لكم لقطع منى هذا البلعوم اه ومعلوم أنه لا يقطع منه البلعوم إلا بافتاء من لم يطلعه الله تعالى على ما اختص به من العلم الذى يتحققه فى باطنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وروى) مثل ذلك عن مولانا على كرم الله وجهه وعليه قول إمام الطائفة الجنيد رضى الله عنه لا يبلغ أحد درجة الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق اه قال الشيخ محيى الدين رضى الله عنه وذلك لأنهم يعلمون من الله تعالى مالا يعلمه غيرهم وقال وهؤلاء هم حملة العلم الذين كان يقول فيهم على بن أبى طالب رضى الله عنه حين يضرب بيده على صدره ويتنهدان ههنا علوما لو وجدت لها حملة اه وكثيراً ما كانت تجرى هذه العبارة على لسان سيدنا الشيخ رضى الله عنه كما يعلم من استقراء كلامه فى رسائله وغيرها ولعلك تقف على بعض ذلك أثناء الكلام على أبيات النظم ان شاء الله تعالى وفى قول امام الطائفة رضى الله عنه لا يبلغ أحد درجة الحقيقة الخ إرشاداً إلى أن كل واحد من الأولياء له ذوق خاص به فى مرتبته الخاصة به وإن اشتركوا فى المقام وقد صرح سيدنا ومولانا الشيخ رضي الله عنه بذلك أتم تصريح وبسط القول فيه بما يغنى عن التلويح (ونص كلامه رضى الله عنه) فى بعض أجوبته لمن سأله عن شطحات الأولياء رضى الله عنهم أجمعين إن الله تعالى يفيض على كل ولى فى حضرته من الخيرات الكثيرة والمنح الجسيمة مالا يعلم قدره إلا معطيه وكل واحد من العارفين له حضرة خاصة به وربما اشترك فى الحضرة الواحدة جماعة لكنهم يتفاوتون فيها بحسب القسم الالهية فاذا عرفت هذا فاعلم ان الله تعالى قد يمنح بعضهم أسراراً خاصة فى الحضرة الخاصة أو المشتركة ويقال له هذا لم يعط لأحد قبلك ولا يعطى لأحد بعدك فيتكلم به ويصرح بأنه فى أعلى المراتب

ثركنا البحار الزاخرات وراءنا فمن أين يدرى الناس أين توجهنا

الغرة بالله انتهى كلام المناوى ولبعضهم

ويقولون لن يفهم عنك إلا من أشرق فيه مثل ما أشرق فيك وفى جواب الرسالة الخروبية يجب على الفقيه أن يرفق بنفسه وأن يعلم مقامه من الدين فلا يمدن يده الفرعية إلى ما فوق طوره من المقامات العرفانية والأحوال الربانية حتى يذوق ما ذاقت رجال الغيب المخلصون الأخيار قال تعالى « وما منا إلا له مقام معلوم » انتهى وقال اللمطى فى الذهب الابريز فيما قيده من كلام سيدى عبد العزيز الدباغ ما نصه واعلم وفقك الله ان الولى المفتوح عليه يعرف الحق والصواب ولا يتقيد بمذهب من المذاهب ولو تعطلت المذاهب بأسرها لقدر على احياء الشريعة وكيف وهو الذى لا يغيب عنه النبى صلى الله عليه وسلم طرفة عين ولا يخرج عن مشاهدة الحق جل جلاله لحظة وحينئذ فهو العارف بمراد النبى صلى الله عليه وسلم وبمراد الحق جل جلاله فى أحكامه التكليفية وغيرها وإذا كان كذلك فهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه لانه أقرب إلى الحق من غير المفتوح عليه وحينئذ فلا يسوغ الانكار على من هذه صفته ويقال إنه خالف مذهب فلان فى كذا إذا سمعت هذا فمن أراد أن ينكر على الولى المفتوح عليه لا يخلو إما أن يكون جاهلا بالشريعة كما هو الواقع غالباً من أهل الانكار وهذا لا يليق به الانكار والاعمى لا ينكر على البصير أبداً فاشتغال هذا بزوال جهله أولى به وإما أن يكون عالما بمذهب من المذاهب جاهلا بغيره وهذا لا يصح منه الانكار

والمقامات ويأتى من بعده فيقول مثل مقالته أو أكثر ويأتى آخر وآخر حسبما هو معلوم من شطحات الاولياء ثم قال رضى الله عنه جوابا عما أورده السائل على هذا الكلام ما نصه إن الاولياء صادقون فيما يدعى كل واحد منهم لأن كل واحد يعطى فى حضرته ما لم يعط لغيره ويسمع فى حضرته الخطاب به قيل له كيف نصنع بمراتب أهل الديوان فان بعضها أعلى من بعض بلاريب كمرتبة القطب مع غيره فقال رضى الله عنه ماحاصله أن ذلك الذى يعطى للولى فى حضرته الخاصة به إنما هو مزية فى حقه وهى لا تقتضى تفضيله على من هو أعلى منه كغير القطب مثلا مع القطب ثم قال رضى الله عنه وذلك كما يقع لبعض العارفين من أنه يدرك من العلوم المحمدية أكثر من القطب مع أنه لا يشم رائحة لمقامه ولا يقدر على تجلياته وكقضية سيدنا الخضر مع سيدنا موسى عليهما السلام مع ماذكر من أن لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ألف مجلس مع الله تعالى فى مدة حياته كل مجلس وهبه الله تعالى فيه من العلوم ما يبهر عقول الخلائق أجمعين وكالقطب المكتوم مع غيره ثم قال رضى الله عنه وليس مرتبة كاملة من جميع الوجوه إلا لسيد الوجوه صلى الله عليه وسلم اه وقد وقفت لبعض أهل التحقيق ممن له اليد الطولى فى علوم الأذواق وأسرار الطريق فى بعض مؤلفاته المتلقاة عن الخاص والعام بالقبول التام على كلام موافق لكلام الشيخ رضى الله عنه فى إفادة أن كل واحد من الأولياء يختص بما لا يشاركه فيه غيره وإن كان أعلى مقاما منه ونصه واعلم أنه لما كانت هذه الطريق أمرها عجيب وسرها غريب قلما تجد أهلها متفقين أو يثبت أحدهم للآخر قدما أو يكون له معظما بل ترى الغالب أن كل واحد يدعى أنه الواصل وأن غيره ليس عنده طائل حتى قال بعضهم إن للقطب مائة ألف مقام واثنتين وأربعين ألف درجة وكل واحد ممن سلك مرتبة من هذه المراتب أو مقاما من هذه المقامات يرى أنه لم يسلك أحد مقامه لقوة أنواره وعظيم أسراره اه بلفظه وبهذا الذى ذكرناه عن هؤلاء الأعلام والفحول العظام تتحقق سعة فضل مولانا الملك العلام فيما يتحف به كل واحد من أوليائه الكرام ثم لا يخفى عليك بعد التحقق بذلك توجيه ما يظهر من اختلافهم فى الطريق والمسالك وتعلم أن منشأ ذلك الاختلاف كما يظهر لمن سلك سبيل الانصاف وتجنب طريق الاعتساف هو تباين ما يختص به كل واحد منهم فى حضرته وينفرد به عمن سواه فى رتبته من الأسرار العجيبة والأذواق الغريبة البارزة له من الدائرة الفضلية على حسب القسم الأزلية وتعلم لامحالة أن كل واحد منهم على بينة من ربه وبصيرة فيما ينتحيه هو ومن اتبعه من المريدين الصادقين والسالكين الموفقين فتلحظ الجميع حينئذ بعين الكمال معتقداً أن الكل يشير إلى ذلك الجمال فتلج بحبوحة التسليم وينسحب عليك من فضل الله تعالى ذيل من أتى الله بقلب سليم وإذ قد حصلت على توجيه الخلاف بين مذاهبهم وعثرت على وجه التحقيق فى تباين مشاربهم وأنه لتباين ما يختصون به فى مقاماتهم ومراتبهم فينبغى أن نذكر لك بعض ما لأئمة هذا الشأن من التقسيمات للطرق التى عليها مدار السلوك والتسليك فى هذا الميدان ليكون ما نذكره من ذلك كالأمثلة لما قدمناه من المسائل إذ بالأمثلة تقرر الحقائق فى ذهن كل طالب وسائل وذلك بعد أن تعلم أن الطريق ان اعتبرت من حيث ثمرتها المقصودة منها وهى معرفة الله تعالى ومعرفة الآداب فى الأسباب الموصلة إليها وهى اتباع شريعته صلى الله عليه وسلم فهى متحدة وان اعتبرت من حيث اختلاف كيفيات اجتناء تلك الثمرة وتنوع الوسيلة المعتبرة فهى متعددة وبالنظر إلى تعددها قسمها جمع من الأئمة الكبار

المصوبة أما المصوبة فانهم يعتقدون الحق فى كل مذهب فهى عندهم كلها صواب وحكم الله عندهم يتعدد بحسب ظن المجتهد فمن ظن الحرمة فى نازلة فهى حكم الله فى حقه ومن ظن الحلية فيها بعينها فهى حكم الله عليهم فى حقه وأما المخطئة فحكم الله واحد لا يتعدد ومصيبه واحد ولكنهم لا يخصونه فى مذهب بعينه بل يكون الحق فى نازلة هو ما ذهب إليه امام وفى نازلة أخرى هو ما ذهب إليه غيره فاشتغال هذا المنكر بزوال هذا الاعتقاد الفاسد أولى به واما أن يكون عالما بالمذاهب الأربعة وهذا لا يتأتى منه الانكار أيضا إلا إذا كان يعتقد نفى الحق عن غيرها من مذاهب العلماء كمذهب الثورى والأوزاعى وعطاء وابن جريج وعكرمة ومجاهد ومعمر وعبد الرزاق والبخارى ومسلم وابن خزيمة وابن المنذر وطاوس والنخعى وقتادة وغيرهم من التابعين وأتباعهم إلى مذاهب الصحابة رضى الله عنهم أجمعين وهذا اعتقاد فاسد فاشتغاله بدوائه أولى من اشتغاله بالانكار على أولياء الله المفتوح عليهم وإذا وصلت إلى هنا علمت أنه لا يسوغ الانكار على الحقيقة إلا لمن أحاط بعلم الشريعة ولا يحيط به إلا النبى صلى الله عليه وسلم والكمل من ورثته كالاغواث فى كل زمان رضى الله عنهم فسكوتهم خير لهم لو كانوا يعلمون قال وكلامنا فى الانكار على أهل الحق من أهل الفتح قال وقد استأذن بعض الناس شيخه فى الانكار على الأولياء وقال له ياسيدى لا أنكر عليهم إلا بميزان

وتعددت تقسيماتهم بحسب ما راعاه كل واحد فى تقسيمه من الاعتبار فقسمها العارف السهروردى رضى الله عنه فى عوارفه إلى طريقين يجمعان جميع أحوال أهل التحقق بالطريق بلامين طريق المجذوبين المرادين وطريق السالكين المريدين قال وإليهما الاشارة بقوله تعالى «الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب» قال فقوم منهم خصوا بالاجتباء الصرف وقوم خصوا بالهداية بشرط مقدمة الانابة ثم بسط الكلام فى تقرير كل من الطريقين بما يعلم بالوقوف عليه لمن أراده (ومن) أحسن العبارات فى ذلك قول التاج بن عطاء الله رضي الله عنه فى حكمه قوم تسبق أذكارهم أنوارهم وقوم تسبق أنوارهم أذكارهم ذاكر ذكر ليستنير قلبه وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا فسبقية الأذكار للأنوار كما قاله ابن عباد رحمه الله تعالى هى حالة المريدين السالكين وذلك لأن شأنهم المجاهدة والمكابدة فهم يأتون بالأذكار فى حال تكلف منهم وتعمل ليحصل لهم بذلك زوائد الأنوار وسبقية الأنوار للاذكار حالة المرادين المجذوبين لأنهم مقامون فى السهولة والخفة فهم لما وجهوا بالانوار حصلت منهم الاذكار بلا تكلف ولا تعمل ومن أوضح التقريرات لهذا المعنى قول التاج بن عطاء الله أيضا فى لطائف المنن على قول شيخه المرسى رضى الله تعالى عنه الناس على قسمين قوم وصلوا بكرامة الله إلى طاعة الله وقوم وصلوا بطاعة الله إلى كرامة الله قال الله تعالى «الله يجتبى إليه من يشاء ـ الآية» ما نصه ومعنى كلام الشيخ هذا ان من الناس من حرك الله تعالى همته لطلب الوصال إليه فصار يطوى مهامه نفسه وبيداء طبعه إلى أن وصل إلى حضرة ربه فيصدق على هذا قوله تعالى «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا» ومن الناس من فاجأته عناية الله تعالى من غير طلب ولا استعداد ويشهد لذلك قول الله تعالى «يختص برحمته من يشاء» فالأول حال السالكين والثانى حال المجذوبين فمن كان مبدؤه المعاملة فنهايته المواصلة ومن كان مبدؤه المواصلة رد إلى وجود المعاملة ولا تظنن أن المجذوب لا طريق له بل له طريق طوتها عناية الله تعالى فسلكها مسرعا عاجلا وكثيراً ما تسمع أن السالك أتم من المجذوب لأن السالك عرف طريقا بها توصل إليه والمجذوب ليس كذلك وهذا أنباء عن أن المجذوب لا طريق له وليس الامر كما زعموا فان المجذوب طويت له الطريق ولم تطوعنه ومن طويت له الطريق لم تفته ولم تغب عنه وإنما فاته متاعبها وطول أمدها والمجذوب كمن طويت له الطريق إلى مكة والسالك كالسائر إليها على أكوار المطايا قال ابن عباد رحمه الله تعالى وهو حسن قل أن يوجد لغيره اه وانظر قوله في الحكم دل بوجود آثاره على وجود أسمائه الخ وما قيده عليه ابن عباد رحمه الله تعالى تستفد زيادة فى تقرير هذه الجملة وفى آخر جواب لسيدنا الشيخ رضى الله عنه عن الآية الكريمة «الله يجتبى إليه من يشاء ـ الآية» بعد تقريره للطريقين وذكره لحالة الاجتباء أمثلة تتضح بها كما هى عادته رضى الله عنه ما نصه وفى هذا يقول بعض الصوفية فى سيدنا موسى ونبينا عليهما الصلاة والسلام ان سيدنا موسى عليه السلام لما أراد الله به الارتحال إليه أمره بصيام ثلاثين يوما متصلة ليلا ونهاراً فلما كملت أنكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب طلباً لزوال ما أنكره فعاتبه الله تعالى على ذلك وأمره بزيادة عشر لتكمل أربعين ليلة (وأما) سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلم يؤمر بشىء وإنما كان من أمره فى ذلك أن نزل عليه الملك فقال قم فعرج به فسلك بسيدنا موسى عليه السلام مسلك المريد السالك حيث أمر بتقديم السبب وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مسلك المراد فاجتبى بلا سبب وقرب بلا علة بل بمحض



الشريعة فمن وجدته مستقيما سلمت له الصنوج كلها التى يوزن بها واذا كان عندك بعض الصنوج دون بعض فلا يصح ميزانك يشير إلى ماسبق من كونه ينكر وهو جاهل انتهى كلامه برمته وإنما جلبناه مع طوله لما فيه من الفائدة الغزيرة ومن أراد العجب العجاب فى هذا الباب فليطالع ذلك الكتاب ولولا خوف الاطالة الموجبة للملالة لجلبت منه ما يبهر قلوب السامعين والمطالعين ويرغم أنوف الجاحدين والمعاندين وفى هذا القدر كفاية لمن أراد الله هدايته وتوفيقه. وفى الكوكب الوقاد قال ابن الحاجب لا يجب القيام بدفع شبه المعتزلة والرافضة وجميع ملل الضلال إلا على من تمكن من النظر فى العلوم الشرعية والحقيقية تمكننا يقوم به على دفعهما وقال ابن شاش فى الجواهر أما القيام بدفع شبه المبتدعة فلا يحل إلا لمن طالع علوم الشريعة وحفظ الكثير منها وفهم مقاصدها وأحكامها وأخذ ذلك عن الأئمة وفاوضهم فيها وراجعهم فى ألفاظها وأغراضها وبلغ درجة الامامة وقد أرشدوه إلى وجه الصواب وحذروه من الخطأ والضلال حتى يثبت الحق فى نفسه ثبوتا راسخاً وقد قوى على رد شبه المخالفين وإبطال مذاهب المبطلين فيكون القيام بدفع الشبه فرض كفاية عليه وعلى أمثاله حينئذ وأما غيره فلا يجوز له التعرض لذلك لأنه ربما ضعف عن رد الشبهة فيتعلق بنفسه من فتنتها مالا يقدر على إزالته فيكون قد تسبب فى هلكته وضلالته

الجود والكرم اه وهذا ساقه الشيخ رضى الله عنه كالمثال لتعقل الطريقين بعد أن قدم التصريح بأن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يذكر فيهم الا الاجتباء واستدل رضى الله عنه لذلك بعدة آيات قرآنية فتنبه لذلك ولا يذهب بك القصور الى توهيم أهل الله تعالى وتخطئتهم فان لهم ألسنة أعجمية على غير أهلها وهى لأهلها لسان عربى مبين وانما أطلت فى بيان هذين الطريقين ليكون فى ذلك شرح ماعسى أن يتوقف فى فهمه مما سنذكره فى شرح أبيات النظم ان شاء الله تعالى من أن أهل طريقنا هذه الأحمدية مسلوك بجميعهم طريق المرادين وذلك أحد الوجوه التى من أجلها سميت بالمحمدية بالمعنى الأخص كما سيبين فى المطلب بعد هذا إن شاء الله تعالى ﴿ تنبيه ﴾ قال فى العوارف بعد تقريره الطريقين المذكورين ما نصه ودونهما طريقان آخران ليسا من طرق التحقق بالطريق فى شىء أحدهما مجذوب أبتر مارد إلى الاجتهاد بعد الكشف والثانى سالك أبتر ماخلص بعد الاجتهاد الى الكشف اه وهذان القسمان لا اعتداد بهما فى الطريق كما صرح به سيدنا الشيخ رضى الله عنه قائلا والاعتداد انما هو بمجذوب متدارك بالسلوك وسالك متدارك بالجذب لا غير (وقسمها) جمع من المتأخرين الى طريقين أيضا لكن لا بالاعتبار السابق بل باعتبار التربية والتسليك الطريقة الأولى طريقة الشكر والثانية طريقة الرياضة ومجاهدة النفس وربما سمى بعضهم الاولى طريقة الشاذلى والاخرى طريقة الغزالى وقد تقدم لنا الكلام فيهما فيما عدا هذا من المطالب مع التنبيه على أن طريقنا طريقة شكر ولسيدنا الشيخ رضى الله عنه فى ذلك كلام نفيس فليراجع فى محله من جواهر المعانى وكان رضى الله عنه يقول من لم يدخل فى هذا الزمان من باب الشكر لا يدخل وسيأتى لنا مزيد بيان لهذا فى المطلب بعد هذا ان شاء الله تعالى (وقسمها) الشيخ محيى الدين الحاتمى رضى الله عنه الى ثلاث لا بالاعتبارين السابقين بل باعتبار بعض المقامات وما يعرض لأصحابها من الامارات والعلامات ولنورد كلامه هنا بلفظه لما اشتمل عليه من الفوائد المهمة ونصه رجال الله ثلاثة لا رابع لهم رجال غلب عليهم الزهد والتبتل والأفعال الطاهرة كلها وطهروا أيضا بواطنهم من كل صفة مذمومة قد ذمها الشرع الا أنهم لا يرون شيئا فوق ما هم عليه من هذه الأعمال ولا معرفة لهم بالاحوال ولا بالمقامات والعلوم الالهية الوهبية ولا بالاشراق والكسوف ولا بشىء مما يجده غيرهم فهؤلاء يقال لهم العباد وهم إذا جاءهم أحد يطلب منهم الدعاء ينتهرونه ويقولون له أى شىء نحن حتى تدعو لك وما منزلتنا خوفا من أن يتطرق إليهم العجب وخوفا من غوائل النفس لئلا يدخلهم الرياء فى ذلك ورجال فوق هؤلاء يرون الافعال كلها لله وأنهم لا فعل لهم أصلا فزال عنهم الرياء جملة واحدة واذا سألتهم عن شىء مما يجوزه أهل الطريق يقولون قل الله ثم ذرهم وهم مثل العباد فى الجد والاجتهاد والورع والمقامات والعلوم والاسرار والكشوف والكرامات فتتعلق هممهم بنيلها فاذا نالوا شيئا من ذلك ظهروا به فى العامة من الكرامات لانهم لا يرون غير الله وهم أهل أخلاق وفتوة وهذا الصنف يسمونه الصوفية وهم بالنظر لاهل الطبقة الثالثة أهل رعونة وأصحاب نفوس وتلامذتهم مثلهم أصحاب دعاوى حتى أنهم ربما يظهرون الرياسة على رجال الله (والصنف الثالث) رجال لا يزيدون على الصلوات الخمس الا الرواتب ولا يتميزون على المؤمنين المؤدين فرائض الله بحالة زائدة يعرفون بها يمشون فى الأسواق ويتكلمون مع الناس لا يبصر أحد من خلق الله تعالى واحدا منهم يتميز عن العامة بشىء زائد على عمل مفروض أو سنة معتادة فى العامة

فى أهل الاهواء المحققة ضلالتهم فما ظنك بمعارضة الجهابذة الاعلام المستمدين من مدد ذى الجلال والاكرام انتهى. وقال سيدى احمد زروق رحمه الله تعالى فى بعض شروحه على الحكم العطائية قلت لشيخنا أبى العباس الحضرمى رضى الله عنه انهم ينكرون على ابن العربى الحاتمى فقال والله انه ليستحق الانكار لكن ممن هو أعلى منه لا ممن هو دونه فى السناديس انتهى. وقال فى بعض آخر ذكر لى أن النووى رضى الله عنه سئل عنه فقال الكلام كلام صوفى وتلك أمة قد خلت ونحوه قول الشيخ كمال الدين بن الهمام لمن سأله عن شىء من كلام القوم نحن بين الملأ حتى نصحح اسلامنا وفى طبقات الشعرانى أن أبا حنيفة سئل أيهما أفضل أعلقمة أم الأسود فقال والله ما نحن بأهل أن نذكرهما فكيف نفاضل بينهما انتهى. قلت وبتمهيد هذا يعلم المنصف الموفق أن هذا المنكر المسكين حمل نفسه مالا يطيق وأدخل نفسه فيما لا يعنيه مما هو خال عن شروطه وسيأتى فى مقدمة الباب الخامس ماظهر لنا أنه متصف به من علامات المنكرين بغير حق والله تعالى يستر عوراتنا ويؤمن روعاتنا ويلهمنا واياه توبة نتخلص بها من تبعاتنا إنه الحنان المنان القديم الاحسان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

﴿ الباب الرابع فى تحرير القول فى صحة جواز رؤية النبى صلى الله عليه وسلم يقظة مع ذكر بعض من اتفق له ذلك من السادات المتيقظة ﴾

نقلا وعقلا وكتب أهل السنة طافحة بوقوعها تواتراً معنويا لاينكره إلا غبى أومعاند أما النقل فقد ثبت وقوعها بالكتاب والسنة والآثار المسندة أما الكتاب فقصة أصحاب أهل الكهف ولبثهم فيه ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا كما ذكر الله عزوجل رقودا لم تبل ثيابهم ولم تتغير أجسادهم يقلبهم الحق عز وجل فى مرقدهم ذات اليمين وذات الشمال وقصة الخضر مع موسى من قوله إنك لن تستطيع معى صبرا ثم ماقص الله فى شأن السفينة وقتل الغلام و إقامته للجدار المائل وكما أخبر الله به عن مريم بقوله كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا من أنواع الفواكه والرطب فى غير إبانها وكقوله تعالى فى شأنها وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا وكان جذعا يابسا تتحكك به المواشى فهزته فاستحال غصنا يانعا وأثمر لحينه وكقصة آصف بن برخيا مع سليمان فى احضاره عرش بلقيس قبل ارتداد الطرف كما قال تعالى قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك وكقوله تعالى ياأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا أى نوراً يضعه فى صدوركم تفرقون به بين الحق والباطل والحسن والقبيح وذلك النور يتزايد بتزايد التقوى حتى يبلغ إلى حد الكشف والاطلاع على أسرار الغيوب وكقوله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال أكثر المفسرين

قد انفردوا مع الله راسخين لايتزلزلون عن عبوديتهم مع الله طرفة عين ولايعرفون الرياسة طمع الاستيلاء الربوبية على قلوبهم الى آخرما وصفهم به ثم قال فهم أرفع الرجال مقاما وتلامذتهم أكبر الرجال يتقلبون فى أطوار الرجولية رضى الله عنهم أجمعين ثم قال بعد كلام آخر فيهم فهم الطبقة العليا وسادات الطريقة المثلى ولهم علم الموازين وأداء الحقوق وكان سلمان الفارسى رضى الله عنه منهم بل هو من أجلهم قدراً اه وهؤلاء يقال لهم الملامتية والملامية حسبما دل عليه كلامه فيما قبل هذا من أبواب الفتوحات المكية وقد كان أخونا وسيدنا الشريف الأجل الولى الصالح مولانا محمد بن أبى النصر العلوى أحد الخاصة من أصحاب سيدنا الشيخ رضى الله عنه يقول لنا مراراً ان أحوال غالب أهل طريقتنا جارية على أحوال الملامتية وهو ظاهر فيما ينطبق عليه كلام الحاتمى رضى الله عنه من أوصاف أهلها وقد صرح بذلك بعض أصحابنا وهو من أعلام الطريقة وأركانها فى جواب له ( ونص كلامه ) فى جملة ماوصفهم به ولايدعون دعوى ولا مزية ولا خصوصية ولا تميزاً على الجنس كل ذى حرفة فى حرفته وكل ذى شغل فى شغله مع أن منهم المتصرفين فى الكون بالأحوال لابالخواص والاستعدادات الطبيعية فلا شك أنهم السادات الملامية الذين رئيسهم ذو الجلال سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه وعنهم

حسبى بهم من غيرهم بدلا فهم * روحى وريحانى وبرء سقامى
إنى ختمت على الضمير بحبهم * فغدا هواهم فيه زهر كمامى
وجعلته حرما لهم فسواهم * ما ان له بحماه من إلمام
إن لاح لى من أفق مغناهم سنى * فعلى الوجود تحيتى وسلامى

اه من الجواب المسكت وقسمها الشيخ الأكبر محيى الدين الحاتمى أيضا الى عدة طرق باعتبار آخر يفضى بنا ايراد ذلك الى التطويل مع أن المراد من هذه التقسيمات هو ماقدمناه من التمثيل ( وذكر ) الشيخ الامام العالم العلامة الراوية الرحالة أبو سالم العياشى رحمه الله تعالى ورضى عنه فى رحلته عن شيخه الشيخ أبى على حسن بن على العجيمى الحنفى رحمه الله تعالى ورضي عنه أنه قسمها الى أربعين طريقا وذلك باعتبار ما كان موجوداً فى زمنه بالبلاد المشرقية وغيرها من طرق المشايخ المعتبرين فى التسليك والارشاد الموصوفين بالتربية والترقية و إفاضة الامداد وذكر عن شيخه المذكور أنه أفرد تقسيمها برسالة استوعب فيها جميعها وذكر فيها ما يتميز به أهل كل طريق منها قال أى أبو سالم وهى غاية فى الباب مستوعبة أتم استيعاب مارأيت مثلها لاحد قبله ممن سلك الطريق وعد من أولئك الفريق ( قال ) وهى دالة على سعة اطلاعه وكثرة اعتنائه بالطريق ولقاء أهلها الى آخر كلامه فى ذلك فى رحلته ثم ذكر منها أى من الرسالة المذكورة بعض ماتمس الحاجة إليه من ذلك سرده لتلك الطرق هكذا محمدية أويسية قلندرية صديقية ملامتية كبروية همدانية ركنية نورية خلوتية مولوية جهرية برهانية أحمرية سهروردية خفيفية شاذلية وفائية زروقية بكرية جزولية خواطرية عبدروسية مشارعية حاتمية قادرية عرابية مدينية قشيرية رفاعية حلاجية خرازية خشنية مدارية شطارية عشقية نقشبندية غوثية حلاجية جنيدية سهلية اه ( أما المحمدية ) فمنسوبة الى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه اختصاصها بالانتساب إليه مع أن الكل راجعة إليه ومستمدة منه أن صاحبها بعد تصحيح بدايته وسلوكه

على منهج الاستقامة المبين فى الكتاب والسنة يشتغل بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم الى أن تستولى محبته على قلبه ويخامر سره تعظيمه بحيث يهتز عند سماع ذكره ويغلب على قلبه مشاهدته ويصير تمثاله بين عينى بصيرته فيسبغ الله عليه نعمه ظاهرة وباطنة ولا يجعل لمخلوق عليه منة الا النبى صلى الله عليه وسلم فيراه فى اليقظة والمنام ويسأله عما يريد قال وقد سلك على هذا جماعة من المشايخ قديما وحديثا قال الشيخ أبو سالم ذكر صاحب الرسالة جماعة منهم ثم قال أعنى أبا سالم رحمه الله تعالى قلت وقد رأيت بالقاهرة سنة بجامع المارديني الشيخ محمد الخلوتى وهو رجل مسن منقطع بالمسجد وله أصحاب فسألته عن طريقه ولمن ينتسب فقال لى أما أنا فطريقى محمدية لا أنتسب لأحد الا للنبى صلى الله عليه وسلم وذكر أنه محافظ على استحضار صورته الشريفة صلى الله عليه وسلم فى باطنه فأغناه ذلك عن التقليد لشيخ والاستمداد منه أو كلاما من هذا اه كلامه فى الرحلة وفى صنيع الرسالة ما يشهد لكمال ذوق صاحبها حيث قدم الكلام على هذه الطرق المنسوبة بالوجه الخاص لسيد الوجود صلى الله عليه وسلم (وقد عرفت) ما تميزت به الطريق المحمدية من كلام الشيخ العجيمى وكذا من كلام الشيخ محمد الخلوتى فيما حكاه عنهما صاحب الرحلة وبه تعلم أنها طريق شهيرة وقد أفردها القطب السمان بالتأليف وذكرها غير واحد من الأئمة فى غير ما تصنيف (ولغرابة) علم الطريق فى هذا الزمان تجد الكثير من أهل العلم وبعض المتصوفة وغيرهم من المتصلحين ينكرون وجودها بل لا يدرون لها حقيقة أصلا والأمر له ولا حول ولا قوة الا بالله ومن هذه الحيثية أى من حيثية ما عم فى الوقت من الجهل بعلم الطريق كبر فى صدور كثير من الناس أمر طريقنا هذه المحمدية حتى ادعوا أنها لا شيخ لها ولا امام فلم يهتد اليها الا من سبقت له العناية الأزلية لا غير وسيأتى لنا فى المطلب بعد هذا مزيد بيان وإيضاح فيما اختصت به هذه الطريقة الشريفة نفعنا الله بها وبأسرارها بمنه وكرمه آمين (ومما ذكره فى الرحلة) عن شيخه صاحب الرسالة المذكورة قوله فى الأويسية انهم المنسوبون الى روحانية بعض الأنبياء والمشايخ كأخذ سيدنا أويس عن روحانية سيد المرسلين وكأخذ أبى يزيد عن روحانية الامام جعفر الصادق فصار كل من أخذ عن روحانية تسمى طريقته أويسية اه وقد وجدت هذه الطريق فى أهل طريقنا كما بلغنا أنه اتفق لبعض مشاهير الاولياء من أهل تشيت فأخذ عن روحانية الشيخ رضى الله عنه بمسجده من بلده وأجاز له بالاطلاق أخبرنى بالأخذ عن روحانية الشيخ رضى الله تعالى عنه الناظم رحمه الله وأما الولاية فمتفق على إثباتها له ببلده متواتر أمرها عنه ولا نشك فى وقوع ذلك لغيره أيضا ممن يكرمه الله تعالى به اذ لا غرابة فيه (ومن ذلك) أيضا ما ذكره فى القلندرية من أن مبنى طريقهم على حصول طيبة القلب والتقلل من الدنيا وترك الادخار ومن شأنهم أنهم لا يشتغلون بترك المذوقات من الأطعمة المباحة ولا بالزيادة على الفرائض اذا حصلت لهم اه ما ذكره فى القلندرية فى الرحلة عن شيخه فى رسالته المذكورة وهو ملخص ما فى عوارف المعارف فى وصفهم (ومن ذلك) أيضا قوله فى الصديقية انها منسوبة الى سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (قال) وقد ذكر صاحب مفتاح الفلاح اه كلامه وهذه الطريق هى طريق الشيخ أبى بكر بن هوارى كما ذكره ابن باديس فى سينيته رحمه الله تعالى بقوله

* ولابن هوارى فى المقامات رتبة * الى آخر الابيات الخمسة راجع السينية وشروحها (ومن ذلك قوله فى الملامتية) أن مبنى طريقهم على الخروج من رعونات النفوس وتطهيرها من

بشرى عاجلة * وأما السنة فما فى الصحيحين من حديث جريج وكلام الطفل ببراءته فى مهده وما فيهما أيضا من حديث الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار بصخرة فقالوا ليتوسل كل واحد منا الى ربه بعمل أخلص فيه لوجهه فتوسلوا بأرجى ما عملوا ففرج الله عنهم وما بينها من قوله صلى الله عليه وسلم كان فى الأمم قبلكم محدثون فان يكن فى أمتى أحد منهم فعمر بن الخطاب وأما الآثار المسندة فكما فى قضية سارية إذ قال عمر رضى الله عنه وهو يخطب على المنبر يا سارية الجبل من ترك الحزم ذل وسمع سارية ذلك وهو بنهاوند وكما قال أبو بكر لعائشة رضى الله عنهما وقد كان نحلها جاد عشرين وسقا من ماله فحضرته الوفاة وأراد استرجاع الهبة وتطييب قلبها مع ذلك والله يا بنية ما من الناس أحد أحب الى غنى بعدى منك ولا أعز على فقرا بعدى منك وانى كنت نحلتك جاد عشرين وسقا ولو كنت خزنتيه كان لك وانما هو اليوم مال وارث وإنما هو أخواك وأختاك فاقتسموا على كتاب الله فقالت عائشة والله يا أبت لو كان كذا وكذا لتركته إنما هى أسماء فمن الأخرى فقال أبو بكر رضى الله عنه ذو بطن بنت خارجة أراها جارية فكان ذلك ومثله استحياء الملائكة لعثمان رضى الله عنه والفتح لعلى فى العلوم ورد الشمس له بعد غروبها حتى صلى العصر وأما الدليل على جوازها من العقل والنظر فوقوعها المتكرر تكررا ينتهى الى حد القطع بشهادة الكتاب

بالقدرة على إيجادها واذا ثبت كونها مقدور الله تعالى ولا شىء يمنع من حصولها فلا مقال لمن أنكرها أو أنكر نوعا منها قاله فى الطرائف واللائد ثم قال وبالجملة فالقول بجواز ظهورها على أيدى الأولياء واجب وعليه جمهور أهل المعرفة لكثرة ما تواتر بها من الآثار والحكايات والأخبار ومن توسط هذه الطريقة وتواتر عليه حكايات الأولياء وأخبارهم لم تبق له فى ذلك شبهة على الجملة وإنكارها بدعة ومنكرها مبتدع يخشى عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله لمكابرته ومصادمته لنصوص الكتاب والسنة وخرقه لاجماع الأمة وبالله العجب كيف يسوغ لأحد إنكارها بعد ما تلى عليه قوله تعالى « الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » انتهى فاذا تقرر جوازها ووقوعها من غير حصر فهى أمر خارق للعادة غير مستند لأسباب ولا مقرون بالتحدى يجريه الحق تعالى على يد من اختصه من عباده المطيعين ترقية لهبته أو إظهارا لرتبته أو تأنيسا له من وحشته أو اعانة له على وقته أو زيادة له فى معرفته أو امتحانا له فى حالته وشرطها ان تجرى على يد موسوم بخير وصلاح وكونها لا تبلغ الى حد ايجاد ابن بدون أب وأن لا تكون بمحرم مجمع على تحريمه قاله فى الطرائف والتلائد وقال اليدالى الذى عليه معظم الأئمة انه يجوز بلوغها مبلغ المعجزة فى جنسها وعظمها حتى احياء الموتى ويفترقان فى أن المعجزة

جناية العجب والرياء وحب الجاه والرياسة وإسقاط المنزلة من قلوب الناس بأمور ينكرها العوام اه وقد علمت ما اصطلح عليه الشيخ محيي الدين فى الملامتية من كونهم أعلى طوائف أهل الطريق فاشدد عليه يدك ولا تخرش لك فى وجهه ما فى عوارف المعارف وغيره مما يخالفه فان منشأ الاختلاف فى ذلك الاختلاف فى الاصطلاح ومعلوم أنه لا مشاحة فيه فافهم والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن ذلك) قوله فى الكبروية انها منسوبة للشيخ نجم الدين الكبرى (قال) والهمدانية شعبة منها إلا أن أهلها يختارون الأسرار بالذكر مطلقا الا بعد فريضة الصبح (قال) وقد ذكر الملاجامى أن الشيخ على الهمدانى ساح الربع المعمور وصحب ألفا وأربعمائة ولى أخذ عن كل واحد ذكرا وجد ذلك الشيخ ثمرته فجمعها ثم لما زار النبي صلى الله عليه وسلم رآه وقد أعطاه شيئا وقال له خذ هذه الأوراد فرآها فاذا هى التى جمعها من مشايخه فجعلها حينئذ وردا فى الصباح وقف على بركتها كثير ممن لازمها وذكر صاحب الرسالة عن نفسه أنه أخذها عن بعض ذرية الشيخ على الهمدانى المذكور (وذكر أيضا) فى الركنية نسبة الى الشيخ ركن الدين السمنانى أنها شعبة من التى قبلها يعنى الهمدانية والنورية نسبة الى الشيخ نور الدين الأسفرايني شعبة من التي قبلها أيضا كذلك (ثم ذكر) الخلوتية وان مبنى طريقهم على الذكر بالكلمة الطيبة بكيفية مخصوصة ثم ذكر الجلالة ثم ذكر الأسماء العشرة على الترتيب هو حق حى قهار وهاب فتاح واحد أحد صمد قيوم وتنتهي الى الشيخ قطب الدين أحمد بن محمد الأبهرى اه كلامه وهذه الطريقة هى التى سلك عليها شيخنا رضى الله عنه حتى فتح عليه بما فتح به من ملاقاته صلى الله عليه وسلم والأخذ عنه حسبما تقدم وسيأتى أيضا أخذها رضى الله عنه عن شيخه الشيخ محمود الكردى المصرى بسنده الى الشيخ الابهرى المذكور وهو عن أبى النجيب السهروردي بسنده الى الجنيد عن السرى عن معروف عن داود الطائى عن حبيب العجمى عن الحسن البصرى رضى الله عنهم أجمعين عن مولانا على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن رب العزة تبارك وتعالى وانظر السند بتمامه فى كتاب جواهر المعانى (ثم ذكر) المولوية وقال انها تنسب الى المولى جلال الدين الدوسى (والجهرية) قال ومبناها على الجهر بالذكر وتنتهى الى الخوجة أحمد السيورى قال وهى عن سيدنا الخضر عليه السلام (والبرهانية) نسبة الى الشيخ برهان قال من شأن أهلها الجهر بالذكر ولبس الزى وهو الاخضر (والاحمرية) ومن شأنهم لبس الزى وهو الاحمر (والسهروردية) معروفة (وكذا الخفيفية) وطريق أهلها الغيبة والحضور (والشاذلية) معروفة والأربع بعدها شعبة منها والخواطرية مبنية على الذكر بكلمة التوحيد على كيفية مخصوصة والعيدروسية نسبة الى الشيخ عبد الله بن عيدروس والمشارعة ومبناها على الجهر بالذكر ومن شأنهم السماع بشروطه ومطالعة كتب القوم وقراءتها ولبس الزى للدروزة وهو الوقوف على الناس للسؤال ونسبتهم الى الشيخ أحمد بن موسى المشرع اليمنى والقادرية والخاتمية منسوبتان الى الشيخين الجليلين الخاتمى والجيلانى والتى بعد الثانية شعبة منها (والمدينية) للشيخ أبى مدين الغوث وهى شعبة من القادرية أيضا (والرفاعية) شعبة من القادرية أيضا والقشيرية الى الاستاذ وهى معروفة والخرازية لأبى سعيد الخراز والحشنية فالى قطب الدين الحشنى والمدارية فالى الشيخ بديع الزمان الشاه مدارى والشطارية الى الشيخ عبد الله الشطارى والعشقية تنسب الى الشيخ أبى يزيد العشقى (والنقشبندية) الى الشيخ بهاء الدين نقشبند والغوثية خلاصات السادات

الشطاريين ينسبون إلى الشيخ غوث الله صاحب الجواهر الخمس والحلاجية معروفة وكذا الجنيدية والسهلية إلى سهل بن عبد الله اه الغرض مما لخصه الشيخ أبو سالم رحمه الله تعالى من رسالة شيخه المذكور وليراجع الرحلة من أراد الوقوف على ذلك بتمامه وفيما ذكرناه من هذه التقسيمات عن هؤلاء الاعلام كفاية فيما قصدنا التمثيل به فى هذا المقام ولا شك أن من نظر فيها وفتح الله بصيرته لفهمها يسلم لجميع المشايخ ويقر جميع طرقهم ويعلم أن الزهر ألوان وان قصر الكمال على ما اقتضاه الألف الطبيعى من أعظم أسباب الحرمان والله المستعان وليس إلا عليه فى التوفيق التكلان (تتمة) نافعة تكون ان شاء الله تعالى لما حمنا حوله فى هذا المطلب كالفذلكة الجامعة وقد عرفت من جميع ماذكرناه فى هذا المطلب أن الولاية أمر خارج عن دائرة العقل والتخمين وأن الأولياء تخفى حقائقهم وما امتازوا به من العلم بالله فى بواطنهم على بعضهم بعضا فضلا عن غيرهم فلهذا كان لا يصل اليهم إلا من جذبته جواذب العناية الالهية وقادته نحوهم أزمة الخصوصية الربانية لأن الولي إذا كان لا يعرف حقيقة ولى مثله فكيف يعثر عليها من ليس له قدم فيها مع كونه لا يرى إلا انسانا مثله يأكل كما يأكل ويشرب كما يشرب ويجرى عليه جميع الاعراض التى تجرى عليه هذا مما لا سبيل اليه والى هذا أشار التاج بن عطاء الله بقوله فى الحكم رضى الله عنه سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله اليه (قال) ابن عباد رحمه الله تعالى ولما كان الوصول الى الله تعالى لا يكون إلا بالعناية والخصوصية ويستحيل أن يكون بطلب أو سبب كان أولياؤه المخصوصون بالقرب منه كذلك لما خلع عليهم الخلع العظيمة وتولاهم بمننه الجسيمة واصطفاهم لنفسه واختصهم لمحبته وأنسه وطهر أسرارهم من أنجاس الاغيار وصان قلوبهم بما أودع فيها من الأنوار فكانوا لذلك فى ضمائنه فى عباده وخباياه فى بلاده كما قال فى بعض الاشارات عنه سبحانه وتعالى أوليائى تحت قبائى لا يعرفهم أحد غيرى وهذا من غيرته عليهم لان الحق تعالى غيور على أوليائه من أن يظهرهم إلى من لا يعرفهم فلم يجعل لاحد دليلا عليهم إلا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم إلا من أراد أن يوصله اليه لانه يلبسهم لباس التلبيس بين الانام ويظهرهم بما يحقرهم فى أعين الخواص والعوام فلا يكون لاحد دليل عليهم أو وصول بسبب اليهم اه ونقل عن التاج أيضا أنه رحمه الله تعالى قال فى لطائف المنن وسمعه يعنى شيخه الشيخ أبا العباس المرسى رضى الله تعالى عنه يقول معرفة الولى أصعب من معرفة الله فان الله تعالى معروف بكماله وجماله وحتى متى تعرف مخلوقا مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب قال وإذا أراد الله أن يعرفك بولى من أوليائه طوى عنك وجود بشريته وأشهدك وجود خصوصيته اه وذلك لان الولى لا يلزم من ثبوت خصوصيته انعدام بشريته وبيانه أن الخصوصية هى ما يخص الله تعالى به عبده من أوصافه العلية ونعوته القدسية ليغطى بذلك أوصاف نفسه البشرية ويوصله إلى حضرة معارفه السنية وهذا الستر وارد من الله تعالى على العبد من عين الجود والمنة وليس بذاتى له وأما البشرية فهى الاوصاف الذاتية للعبد والامر الذاتى يستحيل انعدامه وانما اللازم من ذلك الستر عدم غلبة ذلك الوصف على العبد بحكم الوارد الموجب لتعطيل أحكامه لا لانقلابه وانعدامه فاذا قدر ذهاب هذا الوارد الغالب بقي الوصف البشرى الذاتى غالبا قاهرا فمن أراد الله تعالى أن يوصله إلى أحد من أهل ولايته أيده بأنوار عنايته فطوى عنه أوصاف بشرية ذلك الولى الذاتية وأشهده تلك الخصوصية الواردة عليه من آثار النعوت الاسمائية والصفاتية ومن لم يرد الله به ذلك عميت عليه فى تلك الخصوصية فيه اختيار وتقوية يقين مريد ولا يجوز اظهارها لغير غرض صحيح ويفترقان أيضا فى أن دلالة المعجزة على النبوة قطعية وأن النبي يعلم أنه نبي والكرامة ظنية ولا يعلم مظهرها أو من ظهرت على يديه أنه ولى وقد يعلم بذلك وفاقا لابى على الدقاق وأبى القاسم القشيرى انتهى وقد تقدم ايضاح آخر هذا الكلام فى الباب الاول عند الكلام على شرط الولى فليراجع وقال فى الطرائف والتلائد بعد كلام فى الفرق بين المعجزة والكرامة ما نصه وأيضا المعجزة مطلوب شرعا اظهارها والكرامة ينبغى شرعا وأدبا اخفاؤها واسرارها فان أظهرها بعضهم فانما يظهرها عن اذن أو لفائدة دينية من بشارة أو تربية أو نذارة والاصل فى ذلك اختلاف البساط فتارة يغلب عليه الغنى بالله فينبسط باحسانه وتارة يغلب عليه الفقر الى الله فيرجع اليه فالاول مقام بسط وكرامة والثانى مقام أدب وتعظيم هذا المصطفى صلى الله عليه وسلم اطعم العباس صاعا اظهاراً للغنى بالله وشد على بطنه حجراً يرم الجوع اظهاراً للفقر اليه فأظهر الاول عند احتياج الناس اليه لنقص عقولهم والثانى لتأديبهم وتعليمهم وهو المقصود وما كان يظهر الخوارق إلا لشدة الحاجة وخوف نزول الضعفاء ومن هذا القبيل وأبينها قول الصديق رضى الله عنه لعائشة وقول عمر ياسارية الجبل لم يكن لقصد الكرامة وانما ألجأته ضرورة هزيمة المسلمين وقد كشف له حال القوم

فناداهم انقاذاً لهم ولعله غاب عليه الحال وغاب عن حسه شفقة فباعتبار هذا ونحوه يظهر لك الفرق بين الكرامة والمعجزة وأنه لاحجة لمنكر ظهورها بطلب اخفائها متى اقتضى المقام اظهارها إذا الشرع يدور على المصالح وتنبني حكمه وأحكامه عليها انتهى

﴿ فصل قال اليدالى ﴾ رحمه الله تعالى رؤية الأولياء للنبي صلى الله عليه وسلم يقظة أثبتها حجة الاسلام الغزالى والبارزى والسبكى والعفيف اليافعى من الشافعية والقرطبي وابن أبي جمرة وابن الحاج من المالكية قال ابن حجر أخبر بذلك من لا يتهم من الصالحين بل استدل بحديث البخارى من رآني فى المنام فسيرانى فى اليقظة أى بعينى رأسه وقيل بعينى قلبه وفى شرح ابن أبى جمرة للأحاديث التى انتقاها من البخارى ترجيح بقاء الحديث على عمومه فى حياته وبعد مماته لمن له أهلية الاتباع للسنة ولغيره قال من يدعى الخصوص بغير تخصيص منه صلى الله عليه وسلم فقد تعسف ثم ألزم منكر ذلك بأنه غير مصدق بقوله الصادق المصدوق وأنه جاهل بقدرة القادر وبأنه منكر لكرامات الأولياء مع ثبوتها بدلائل السنة الواضحة قال ومنكر ذلك إن كان ممن يكذب بكرامات الأولياء فلا نبحث معه لأنه مكذب لما أثبتته السنة وإلا فهذا منه ومراده بعموم ذلك وقوع رؤية اليقظة الموعود بها لمن رآه فى النوم ولو مرة تحقيقا لوعده الشريف الذى لا يخلف وأكثر ما يقع ذلك فى العامة قبل الموت عند الاحتضار فلا تخرج روحه من جسده حتى يرى له انجازاً لوعده وأما غيرهم فيحصل لهم ذلك قبل

الأنباء وانطمست بينه وبينها المسالك فافهم (وههنا دقيقة) وهى أن كل قاصد إلى الولى من المريدين لا يرى إلا ماهو متلبس به فى باطنه لما ذكره صاحب الذهب الابريز عن شيخه القطب سيدى عبد العزيز رضى الله عنه من أن الولى الكامل يتلون على قلوب القاصدين الخ كلامه فكل من قصد الولى معتقداً فيه الكمال مصدقا بما منحه الله تعالى من سنى الكرامات والأحوال كان جزاؤه من الولى الكبير المتعال أن لا يريه منه إلا ما يشرح له الصدر وينفسح به البال وكل من قصده معتقداً فيه غير ذلك لا يرى إلا ما يسوءه ويستهويه فى الردى والمهالك جزاء وفاقا (وقد قال) سيدنا الشيخ رضى الله عنه فى جواب له عن حقيقة الشيخ الواصل مانصه وأما التصديق للأولياء فهو أمر الهى يضعه الله فى القلب فلا يقدر على الانفكاك عنه ولو رأى منه ألف معصية لكن ان كان المريد صادقاً فثواب صدقه أن لا يرى إلا ما يسره الى آخر كلامه رضى الله عنه فليراجعه من أراد وليكن هذا آخر ما نورده فى هذا المطلب وبالله التوفيق والهداية إلى سواء الطريق

## ﴿ المطلب السابع فى بيان وجه تسمية هذه الطريقة السنية بالأحمدية والمحمدية والابراهيمية الحنيفية ﴾

(اعلم) أمدنا الله وإياك بأنوار اليقين وسلك بنا وبك مسالك الذين يؤمنون بالغيب من عباده المتقين أن لهذه الطريقة الشريفة بين الطرق مكانة عالية ومرتبة قصوى سامية وذلك لما امتاز به أهلها من الانتماء الحقيقى إلى امام حضرة الأنبياء وسلطان مملكة الأصفياء إذ لا أستاذ لها إلا أستاذ الأساتيذ كلهم على الاطلاق وامام الكل وممد الكل وسيد الكل بالاطلاق صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الكرام البررة السباق ولما تضمنه هذا المطلب من التحقق بوجه هذا الانتماء الفاخر والسبب فى هذا الانتساب الأخص الباهر جعلناه كالفص لخاتم هذه المقدمة والخاتمة لمقاصدها المهمة رجاء أن يختم الله لنا بالتحقق بهذه النسبة الشريفة والالتحاق بدرجة هذه الاضافة السامية المنيفة فنقول متبرئين من القوة والحول مستندين إلى فضل من له المنة والطول أما تسميتها بالأحمدية كما عليه اطلاقات جميع أصحاب الشيخ رضى الله عنه فمن وجوه أولها وهو الظاهر المتبادر لكل أحد انما سميت بذلك نسبة إلى اسم صاحبها لأن اسمه رضى الله عنه أحمد وهو امامها المتلقى لها من حضرة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم من دون وساطة شيخ آخر فلا اشكال عليه فى تسميتها بالأحمدية الوجه الثانى انها إنما سميت بذلك لكونها طريقة شكر كما تقدمت الاشارة اليه فلكون القطب الذى عليه مدارها هو الحمد بالوجه الأبلغ سميت أحمدية وهو ظاهر الوجه الثالث كون اذكارها الدائرة عليها مشتملة كلها على أبلغ المحامد إما تصريحاً أو ضمناً فمن ذلك أم القرآن ولا شك أنها مشتملة من أسرار المحامد على ما يقصر عنه اللسان ومن ذلك سورة القدر ومحل ذلك منها عندهم قوله تعالى « ليلة القدر خير من ألف شهر . سلام هى حتى مطلع الفجر » ومن ذلك صلاة الفاتح لما أغلق ولا شك أنها متضمنة للاعتراف بانعام الله علينا بهذا النبي الفاتح الخاتم الناصر الحق بالحق الهادى إلى الصراط المستقيم المخصوص عند الله تعالى بالقدر العظيم والمقدار المفخم الجسيم عليه وعلى آله من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليم (ومن ذلك) جوهرة الكمال ومحال ذلك منها ظاهرة منها البرق الأسطع بمزن الأرياح المائلة الخ وكذلك دعاء يا من أظهر الجميل وستر القبيح الخ وأما

ماتضمنه دعاء السيفى من ذلك مما لا يحتاج إلى بيان فلكون أذكارها المتداولة بين أصحابها دائرة على أبلغ الحمد صريحاً أو ضمناً سميت أحمدية الوجه الرابع كون صاحبها هو الخاتم الأكبر المخصوص بوراثة السر الأبهر كما أشار إليه الشيخ محي الدين رضى الله عنه فى حديث ( كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ) بقوله أى كنت نبيا بالفعل عالما بنبوتى وآدم بين الماء والطين قال وغيره لم يكن نبيا بالفعل ولا عالما بنبوته إلا عند بعثته ثم قال وكذا خاتم الأولياء كان وليا بالفعل عالما بولايته فى ذلك العالم وغيره من الاولياء ما كان وليا بالفعل ولا عالما بولايته إلا بعد تحصيله مايشترط فى الاتصاف بالولاية من الاخلاق التى يتوقف الاتصاف بالولاية عليها من كون الله تعالى تسمى بالولى الحميد اه فعرف من هنا أن خاتم الأولياء قدسبق فى حمد الله تعالى كل حامد من الأولياء فما حمده أحد من الأولياء مثل ماحمده خاتم الاولياء فتحقق فيه مالم يتحقق فى غيره من الاتصاف بالحمد على جهة الابلغية فصح اتصاف طريقه بالاحمدية وههنا وجوه أخر اقتضى النظر فيها انها مما لا ينبغى أن يسطر لان مدار الكلام فيها على تعقل معنى الحقيقة الكتمية وذلك مما لاسبيل لنا إلى الوقوف منه على جلية القضية على أن فى هذه الوجوه التى ذكرناها غاية الكفاية للمريد الصادق فيما يتمسك به مما يحرك همته إلى التوجه لحضرة الخالق والاقبال عليه سبحانه بمحو العلائق والعوائق فيستعد لتلقى أنوار المعارف والحقائق وتنكشف له الاستار عن مخبآت تلك اللطائف والدقائق وحسبه ذلك مما تنتجه له مطالعتها وتفيده إياه مراجعتها وبالله التوفيق ( وأما ) تسميتها بالمحمدية وقد قدمنا أنها من إطلاقات سيدنا رضى الله عنه عليها فهى متعددة أيضا أولها كون الطريقة المحمدية بالوجه الذى تقرر فى المطلب قبل هذا من جملة الطرق التى اشتملت عليها وهى الطريقة الثانية من الطرق الثلاث التى انتقاها صاحب كتاب ميزان الرحمة الربانية من كتاب جواهر المعانى وجعل مدار السلوك فى هذه الطريقة عليها وقد أجاد وأفاد رحمه الله تعالى فى بيان كيفية السلوك عليها والتربية بها فلينظر ذلك فيه وقد تقدم ماللشيخ حسن العجمى فى ذلك من أن صاحبها بعد تصحيح بدايته وسلوكه على منهج الاستقامة المبين فى الكتاب والسنة يشتغل بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم إلى أن تستولى محبته على قلبه ويصير تمثاله بين عينى بصيرته فيسبغ الله عليه نعمه ظاهرة وباطنة ولا يجعل لمخلوق عليه منة إلا النبى صلى الله عليه وسلم فيراه يقظة ومناما ويسأله عما يريد كما تقدم أيضا قول الشيخ محمد الخلوتى لمن سأله عن طريقه ولمن ينتسب لا انتسب لأحد ثم ذكر عن نفسه انه محافظ على استحضار صورته صلى الله عليه وسلم فى باطنه فأغناه ذلك عن التقيد بشيخ والاستمداد منه اه ( وذكر ) الشعرانى فى الأنوار القدسية عن الشيخ احمد الزواوى انه كان يقول طريقنا أن نكثر من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم حتى نصير من جلسائه ونصحبه يقظة مثل أصحابه ونسأله عن أمور ديننا وعن الأحاديث التى ضعفها الحفاظ عندنا ونعمل بقوله فيها اه إلى غير ذلك من العبارات المشيرة إلى كيفية السلوك على الطريقة المحمدية وحاصل ذلك كله ان القطب الذى يدور عليه السلوك فى الطريقة المحمدية عندنا هو الاكثار من الصلاة والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كون الذاكر على أحسن الحالات وأكملها باستحضار معانى الذكر والانصات إليه بقدر الاستطاعة وكذا استحضار صورته الكريمة صلى الله عليه وسلم فى باطنه واعتقاد أنه جالس بين يديه يستمد منه فان قدر على استحضار صورته صلى الله عليه وسلم

كبيرا انتهى وفى المنقذ من الضلالة للامام الغزالى بعد مدح الصوفية وبيان أنهم خير الخلق حتى أنهم وهم فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتهم ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق الناطق انتهى وقال تلميذه أبو بكر بن العربى المالكى ورؤية الأنبياء والملائكة وسماع كلامهم ممكن للمؤمن كرامة وللكافر عقوبة وقال ابن الحاج فى مدخله رؤيته صلى الله عليه وسلم فى اليقظة باب ضيق وقل من يقع له ذلك إلا من كان على صفة عزيز وجودها فى هذا الزمان بل عدمت غالبا مع أننا لا ننكر من يقع له ذلك من الأكابر الذين حفظ الله ظواهرهم وبواطنهم ولا ينكر ذلك إلا جاهل بمعرفة مايرد عليهم من الأحوال التى يشاهدون فيها ملكوت السموات والأرض وينظرون الأنبياء أحياء غير أموات كما نظر النبى صلى الله عليه وسلم إلى جماعة من الأنبياء فى السماء وسمع خطابهم وقد تقرر أن ماجاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدى انتهى كلام ابن حجر بنقل اليدالى قال اليدالى وللحافظ السيوطى

رؤية الأنبياء بعد الممات
أدخلوها فى حيز الممكنات
قل لمن قال إنها مستحيل
اترك الخوض عنك فى الغمرات
أنت لا تعرف المحال ولا المم

كن اما بالغير أو بالذات * واحذر أن تزل زلة كفر * وتوق مواقع الزلات * قال وحكى عن بعض الاولياء انه حضر مجلس فقيه فروى

يقول إنى لم أقل هذا الحديث وكشف للفقيه فرآه صلى الله عليه وسلم فقال له ماقلت ذلك فسلم الفقيه للولى وقال وقد تعقب ابن حجر المكى ما ورد عن بعض العلماء من استحالة رؤيته يقظة لاستلزامه خروجه من قبره ومشيه فى الاسواق وخلو قبره من جسده المقدس بقوله وهذه الالزامات كلها ليس شيء منها بلازم دعوى استلزامه لذلك عين الجهل والعناد قال وبيانه أن رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة لاتستلزم خروجه من قبره لان من كرامات الاولياء أن الله تعالى يخرق لهم الحجب فلا مانع عقلا ولا شرعا ولا عادة ان الولى وهو بأقصى المشرق أو المغرب يكرمه الله تعالى بأن لايجعل بينه وبين الذات الشريفة وهى فى محلها من القبر الشريف ساتراً ولا حاجبا بل يجعل ذلك الحجاب كالزجاج الذى يحكى ماوراءه وحينئذ فيمكن ان الولى يقع نظره عليه صلى الله عليه وسلم ونحن نعلم أنه صلى الله عليه وسلم حى فى قبره يصلى وإذا أكرم الانسان بوقوع بصره عليه فلا مانع من أن يكرم بمحادثته ومكالمته وسؤاله عن أشياء وانه يجيبه عنها وهذا كله غير منكر شرعا ولا عقلا وإذا كانت المقدمات والنتيجة غير منكرين عقلا ولا شرعا فانكارهما أو انكار أحدهما غير ملتفت إليه ولا معول عليه وقال ابن أبى جمرة فى بهجة النفوس لما تكلم على حديث فتنة القبر ماحاصله قوله عليه الصلاة والسلام يقال ماعلمك بهذا الرجل

الذاتية الواردة فى الاحاديث المروية عنه صلى الله عليه وسلم فذلك أكمل وأبلغ وإن لم يقدر فليستحضر أنه جالس بين يدى صورة نورانية عليها ثياب من نور فى غاية مايكون من الجلال والجمال ونعوت الكمال يداوم على ذلك حتى يشرق فى قلبه نور الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وتصير تنطبع الصورة الكريمة فى ذهنه كلما تأمل فى ذلك وتفكر فيه وهذه أضعف مراتب الانطباع ثم ينتقل منه إلى انطباع صورته الكريمة فى عينى بصيرته وقت الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ثم ينتقل منه إلى انطباع الصورة الكريمة فى عينى قلبه كلما مد عينيه نوما أو يقظة ومن هذه الحالة ينتقل إلى حالة رؤيته يقظة كفاحا وأهل هذه الحالة على قسمين منهم من يرى فى اليقظة روحه الشريفة متشكلة بصورته الشريفة ومنهم من يرى حقيقة ذاته الشريفة وكأنه معه فى حياته صلى الله عليه وسلم وهؤلاء هم أهل المقام الاعلى فى رؤيته صلى الله عليه وسلم هذا ملخص ما للمشايخ فى تحقيق معنى الطريقة المحمدية بالوجه الخاص فالطرق وإن كانت كلها محمدية بالوجه العام فقد اختصت عنها هذه الطريقة بهذه المزية العظيمة والخصوصية الجسيمة التى من أجلها اختصت بحيازة هذه النسبة الشريفة والحلية السنية والرتبة المنيفة ثم اختصت طريقتنا هذه الأحمدية فى هذه الطريقة المحمدية بمزيد كرامة وتفضيل وتخصيص لها من الملك الجليل وذلك بكون الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فيها بالياقوتة الفريدة وهى صلاة الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق التى لا يأتى الحصر على ماخصها الله تعالى به من المزايا الفاخرة والاسرار الباهرة والفضائل العديدة وذلك كما أوضحه صاحب ميزاب الرحمة الربانية لما اشتملت عليه مما لم يشتمل عليه غيرها من الأسرار السير والسلوك فى المقامات العرفانية (قال) فالتقرب إلى الله تعالى بهذه الصلاة سير فى مقامات الدين الثلاثة إذ المقامات مشتملة على مواقف مغلقة الأبواب وأولها باب المتاب إلى آخر مابعده من الأبواب فالغلق شامل لجميعها اشتمال باب واحد والفتح مطلوب فى كلها لكل قائم وقاعد والختم محتاج إليه فى كافة عوارضها المعتادة وان فى الختم معنى للزيادة وغلقا بين المريد وبين موانع جادة الافادة وان فى النصر لعدة لما يكون من الأعداء المذهلة والآفات المعضلة من الآمال الخالية واللوائح الكاذبة ولقد كان المريد للهداية عند تلاطم أمواج بحار حقائق الأسرار وللتوفيق لقطع مهامة تلك الأخطار والاهتداء إلى الحضرة ومالها من الأنوار فى غاية الاحتياج والاضطرار فكان الاليق بالمريد أن يتعلق بهذه الصلاة مابين كافة الصلوات على نبيه الكريم إذ ما كل صلاة تفى بما تفى هى به فى ظلمة ذلك الليل إلا الليل البهيم اه وانظر الطريقة الثالثة أنه من هذا الكتاب تستفيد مزيد بيان وتقف من أسرار هذه الصلاة على مالا يفى بشرحه التبيان على أن ما اشتمل عليه بالنسبة إلى مالم يذكر إنما هو قل من كثر ونقطة من بحره وسنلم بالنزر من ذلك عند تعرض النظم لذكرها والاشارة إلى شيء من مكنون سرها إن شاء الله تعالى وإنما مرادنا الآن أن نشير إلى مايؤذن ببعض ما امتازت به هذه الطريقة عن غيرها بالوجه الخاص ثم بالوجه الاخص لتعلم من ظهور مالها من الخصوصية فى ذلك والمزية وجه تسميتها بالمحمدية (الوجه الثانى) أنه صلى الله عليه وسلم أضاف جميع الفقراء المتمسكين بهذا العهد المواظبين على هذا الورد إلى سيادته السنية ومكانته العلية إضافة خاصة تؤذن بشرف منزلتهم وشفوف مرتبتهم عند الله تعالى وذلك أنه قال صلى الله عليه وسلم لسيدنا رضى الله عنه يقظة لامناما فقراؤك فقرائى وتلامذك تلامذى حسبما صح الاخبار به عنه رضى الله عنه

من غير واحد من أعيان أصحابه فكان كل من أخذ هذا الورد عن الشيخ رضى الله عنه أو عمن عنده الاذن فيه حائزاً لهذه الاضافة الشريفة والنسبة المنيفة سواء كان ممن سلك على الطريقة الثالثة من طرق الميزاب أو على غيرها من شعب هذه الطريقة الأحمدية فوجب تخصيصها باسم المحمدية (الوجه الثالث) أنه صلى الله عليه وسلم هو الضامن لجميع ما بشر به أهلها من الشيخ رضى الله عنه عن أعظم الوسائل من باهر الكرامات وسنى الفضائل كما انه صلى الله عليه وسلم هو القائم مقامه معهم لدى كل خطب هائل كحضوره صلى الله عليه وسلم موت من مات منهم على تباعد أوطانهم وتباين بلدانهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم وجدير لطريق امتاز أهلها بهذه المزية أن تخص بالتشريف بالاضافة المحمدية (الوجه الرابع) أن لأهل هذه الطريقة علامة يتميزون بها عن غيرهم ويعرف بها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صاحبها بوجه خاص وهى كما قاله حوارى هذه الطريق المشهود له فى معرفة أسرارها بالتبريز والتحقيق أن كل واحد من أهلها مكتوب بين عينيه بطابع النبى صلى الله عليه وسلم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قلبه مما يلى ظهره محمد بن عبد الله وعلى رأسه تاج من نور مكتوب فيه الطريقة التجانية منشؤها الحقيقة المحمدية اه كلامه فيما وقفنا عليه من بعض مؤلفاته ويؤيده ما تواتر بين الأصحاب عن جماعة من أرباب الأحوال أنهم صرحوا لبعض أهل هذه الطريق بأنهم رأوا طابع النبى صلى الله عليه وسلم بين عينيه وقد رأينا بعض الأصحاب إذا رأى أحداً من أهل هذه الطريق عرفه وقطع له بأنه من أهلها ولم يكن رآه قبل ذلك ولا يبعد أن يكون كشف له الغطاء عن هذا الطابع الأزهر والسر الأبهر ومعلوم أن مثل هذا إنما يراه من كشف الله له عن بعض أسراره الغيبية وأيده بأنواره الوهبية فلا مجال فيه للافكار إذ لا تفاق لبضاعة العقل فى هذا المضمار وهو من جائز الكرامات التى يتحف الله بها من شاء من عباده المؤمنين الأخيار ويختص بها من أراد من أوليائه المكرمين الأبرار فسلم تسلم .

وكن صادقا فى حبهم ومصدقا * بأحوالهم واحذر مخالفة الشمس

(الوجه الخامس) أن هذه الطريق أشبهت الملة المحمدية فى كونها آخر الملل وذلك لأنها آخر الطرق فلا يأتى أحد بعدها بطريق جديدة لأن سائر الطرق تدخل فى طريقة الشاذلى رضى الله عنه كما تقدم عن الشيخ رضى الله عنه إلا هذه الطريقة الاحمدية ولذلك سميت بالمحمدية (الوجه السادس) ان هذه الطريقة تدخل على سائر الطرق فتبطلها وطابعها ينزل على كل طابع ولا ينزل عليه طابع كما أن شرع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كذلك يدخل على جميع الشرائع ولا يدخل عليه غيره فلما أشبهت الشريعة المحمدية من هذه الحيثية قيل لها المحمدية (الوجه السابع) أن من ترك وردا من أوراد المشايخ لاجل الدخول فى هذه الطريقة المحمدية آمنه الله فى الدنيا والآخرة ولا يخاف من شىء يصيبه لا من الله ولا من رسوله ولا من شيخه أيا كان من الأحياء أو من الاموات وأن من دخلها وتأخر عنها ودخل غيرها تحل المصائب به دنيا وأخرى كما أن شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك فمن أجل هذه الخصوصية قيل لها المحمدية (الوجه الثامن) أن الطرق كلها فى آخر الزمان تصير إلى هذه الطريقة المحمدية وذلك عند ما تصير الطرق طريقاً واحداً والمذاهب مذهباً واحداً على ما أخبر به أهل الكشف رضوان الله عليهم فاشبهت أيضا الشريعة المحمدية من هذه الحيثية فقيل لها المحمدية (الوجه التاسع) أنه صلى الله عليه وسلم يغار لاهلها غيرة خاصة وأنه يؤذيه ما يؤذيهم حسبما اخبر به الشيخ رضى الله

الزمن الفرد فى أقطار الارض على اختلافها وبعدها وقربها كلهم يراه قريبا منه لان لفظة هذا لا تستعملها العرب إلا فى القريب وفيه رد على من يقول بأن رؤيته صلى الله عليه وسلم فى الزمن الفرد فى أقطار مختلفة على صور مختلفة لا تمكن لان القدرة صالحة لمقتضى ما نحن بسبيله وقد قال عليه الصلاة والسلام من رآنى فى المنام فكأنما رآني فمن يقول بعدم الرؤية فقد كذب هذا الحديث وقد حصر القدرة التي لا تنحصر ولا ترجع إلى حد ولا قياس فدليل القائلين بالرؤية من طريق النقل ما نحن بسبيله ومن طريق العقل أنهم جعلوا ذاته السنية كالمرآة كل إنسان يرى فيها صورته على ما هى عليه من حسن أو قبح والمرآة على حالها من الحسن لم تتبدل انتهى وقال اليدالى وقال ابن حجر المتأخر ولا يلزم من رؤيته صلى الله عليه وسلم كون الرائى صحابيا كما زعم ابن حجر المتقدم فى فتح البارى لان هذه الرؤية فى عالم الملكوت وهى لا تفيد صحبة انتهى. وقال فى شرح الشمائل وتأويل الاهدل وغيره لما وقع للاولياء من رؤيته بأنه إنما هو فى حال غيبتهم فيظنونه يقظة فيه إساءة ظن بهم حيث تشتبه عليهم رؤية الغيبة برؤية اليقظة وهذا لا يظن بأدون العقلاء فكيف بالاكابر وعجيب قوله فى قول أبى العباس المرسى

وشيخه لو حجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسى مسلماً هذا فيه تجوز أى لم يحجب عنى حجاب غفلة ولم يرد أنه لم

عنه وسيأتى بلفظه فى محله من الكلام على أبيات النظم إن شاء الله تعالى فمن أجل اختصاصهم بهذه الغيرة المصطفوية صحت لهم النسبة المحمدية ( الوجه العاشر ) ان هذا الشيخ الأكبر لما كان هو الختم المحمدى الأشهر الحائز لكل ما للأولياء من الكرامات الاختصاصية كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحائز لجميع ما للأنبياء والرسل من الكمالات الالهية سميت طريقه المحمدية ( الوجه الحادى عشر ) إن الله تعالى بمحض فضله العميم تفضل على أهل طريق هذا الشيخ العظيم بأن جعل سبحانه وتعالى نسبة تضعيف حسناتهم بالنسبة إلى تضعيف حسنات غيرهم من أهل الطرق كنسبة تضعيف ثواب حسنات هذه الأمة إلى تضعيف ثواب حسنات غيرها من سائر الأمم وراثة محمدية حبيبية مصطفوية ولهذا كان من أذكارها ما تكون المرة منه تعدل عبادة سائر العارفين ومنها ما تكون المرة منه تعدل تسبيح العالم ثلاث مرات إلى غير ذلك مما يبهر العقول ويعجز عن إدراك كنه حقيقته الفحول ( قال ) صاحب الرماح ولا ينكر هذا إلا من ينكر وجود الأذكار الجامعة وأسرارها ومن أنكر ذلك سقط معه البحث لأنه إنكار لما جاء به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم اه وفى هذا القدر الذى ذكرناه من وجوه تسمية هذه الطريقة بالمحمدية كفاية فى بساط التذكير ببعض ما اختصت به هذه الطريقة السنية من أسرار هذه النسبة العلية ( وأما ) تسميتها بالابراهيمية الحنيفية فمن وجوه الأول أنها لا تكون محمدية بالوجه الأخص إلا إذا كانت إبراهيمية حنيفية كما يشير إليه قوله سبحانه وتعالى « قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا » (الوجه الثانى) أنها ناشئة عن الدائرة الفضلية التى منها اتخذ الله ابراهيم خليلا فى الأزل قبل إيجاده وإيجاد الكون وما فيه « ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل ـ الآية » (الوجه الثالث) أنها طريقة شكر كما تقدم وقد أثنى سبحانه وتعالى على ابراهيم عليه السلام بقوله « شاكرا لأنعمه ـ الآية » (الوجه الرابع) أن الله تعالى جعلها بمحض فضله وكرمه معلم الخير فى هذا الزمان الذى هو آخر الازمان وألبسها ملابس طاعته فى السر والاعلان فكانت أمة وحدها قانتة لله تعالى حنيفة وذلك من ملة ابراهيم كما أشار إليه قوله سبحانه وتعالى « إن ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ـ الآية » (قال) الشيخ محيى الدين والامة معلم الخير والقانت المطيع لله فى السر والعلانية (الوجه الخامس) ان من أركان هذا الطريق إسلام الوجه إلى الله تعالى الاسلام التام والانقياد إلى كل مأمور به على الوجه الأكمل فى شريعة الاسلام « إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ـ الآية » والاسلام الانقياد إلى الله تعالى عند كل دعاء يدعو إليه من غير توقف قاله الشيخ محيى الدين وانظر رسالة سيدنا رضى الله عنه المسماة بالشافية وغيرها من رسائله ونصائحه الكافية تزدد تحققاً بما ذكرناه وتعثر بحمد الله على المعنى الذى رمزناه ( الوجه السادس ) أن هذه الطريقة لما كانت طريق اجتباء سهلة لا حرج فيه ولا مشقة ولا ضيق كانت إبراهيمية حنيفية اعتباراً بما أشار إليه قوله سبحانه وتعالى « هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم ـ الآية » وقد تقدمت وصية سيد الوجود صلى الله عليه وسلم لسيدنا رضى الله عنه لما وقع له الفتح على يديه صلى الله عليه وسلم وأذن له فى تربية الخلق على الاطلاق بقوله الزم هذه الطريقة من غير خلوة ولا اعتزال عن الناس الخ أنظر جواهر المعانى ( الوجه السابع ) ان من شأن السالكين على هذه الطريقة أن يغلب على أحوالهم كثرة الحلم والصبر على من يؤذيهم وينقصهم وكثرة التأوه لما يشاهدون من جلال الله تعالى فلا تجدهم يتميزون عن عامة المؤمنين بشىء مما يشير إلى الكمال ولا يدعون لانفسهم مع الله تعالى شيئا من المقامات والاحوال

يحجب عن الصورة الشخصية طرفة عين فذلك مستحيل انتهى قال فيقال له دعواك الاستحالة ان عنيت بها الاستحالة العقلية فباطل أو الشرعية فمن أى دليل أو قاعدة أخذت ذلك كلا لا استحالة فى ذلك بوجه كما قدمنا انتهى وفى نزهة الراوى للشيخ سيدى المختار الكنتى بعد كلام ذكره فى نحو ما قدمناه وهذا الميدان لا مجال للأقيسة والعقول فيه بل هو موكول إلى ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم وما ثبت عن وارثيه من الأولياء أرباب الذوق والأحوال والمكاشفات فيجب حينئذ التصديق إن أمكن وإلا فالتسليم مع حسن الظن والاعتقاد وإلا فقد أوقع نفسه فى ورطة وحملها مالا تطيق انتهى وفى فرائد الفوائد بعد كلام ثم ان ابن العربى صرح بجواز رؤية ذاته بروحه وجسده لأنه كسائر الأنبياء أحياء ردت إليهم أرواحهم وأذن لهم فى الخروج من قبورهم والتصرف فى الملكوت العلوى والسفلى ولا مانع من أن يراه كثيرون فى وقت واحد لأنه كالشمس وإذا كان القطب يملأ الكون كما قال ابن عطاء الله فما بالك بالنبى انتهى قال وقد صنف الامام السيوطى كتابا سماه تنوير الحلك فى إمكان رؤية النبى والملك انتهى وقال الغزالى فى الاحياء اعلم أن أرباب القلوب يكاشفون عن أسرار الملكوت تارة على سبيل الالهام بأن تخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة فى اليقظة على سبيل كشف المعانى بمشاهدة الأمثلة كما يكون

بل ترى الغالب عليهم فى كل حال الانابة إلى المولى الكبير المتعال المنفرد بالعزة والجلال سبحانه وتعالى وذلك من ملة إبراهيم عليه السلام إن إبراهيم لحليم أواه منيب (الوجه الثامن) من فضائل هذه الطريق أن من دخلها وأسلم قياده إلى صاحبها بطريق المحبة الخالصة وكمال التصديق كان من الآمنين عند الله تعالى فى الدنيا والآخرة لقول سيد الوجود لسيدنا رضى الله عنه أنت من الآمنين وكل من أحبك من الآمنين إلى آخر كلامه فى جواهر المعانى وقد تقدمت الاشارة لقول سيدنا رضى الله عنه من ترك وردا من أوراد المشايخ لأجل الدخول فى طريقتنا هذه المحمدية آمنه الله فى الدنيا والآخرة إلى آخر كلامه وسنورده بعد إن شاء الله تعالى بتمامه وقد قال مولانا جل علاه فى حق مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومن دخله كان آمنا (الوجه التاسع) ان سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام أسكن ذريته وعياله وادى الحرم بلازاد ولا راحلة فنادى مولاه سبحانه ودعاه باسم الرب رجاء لتربيته ذريته وعياله وأهله وإيوائهم إلى جوار كرامته سبحانه وفضله فقال فيما حكاه الله تعالى عنه فى محكم وحيه (ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم - الآية) فكانت فى ذلك إشارة إلى تربية ذريته وعياله بحقائق التوكل والرضى والتسليم ونعمت التربية هذه والبيت المحرم هو الذى يمنع ساكنه وقاصده من المساكنة والملاحظة والاستناد لغير الله تعالى قاله صاحب الرماح وهو على طريق أهل الاشارات كما لا يخفى وصاحب هذه الطريقة رضى الله عنه وأرضاه أسكن ذريته وعياله الذين هم أهل طريقته عند بيت الله المحرم الذى لا يضيع من أوى اليه ولا يخيب من عرج فى قصده عليه وهو سيد الوجود وعلم الشهود صلى الله عليه وسلم لأنه صلى الله عليه وسلم هو أستاذهم ومربيهم والضامن لهم وكفيلهم ومتوليهم وفى ذلك إشارة إلى تربيتهم بقصد النظر فى استمداداتهم واستناداتهم عليه وصرف الوجهة فى سائر تقلباتهم اليه ونعمت التربية هذه لأنه ﷺ هو باب الله الأعظم الذى من صد عنه لا يجد بابا يدخل منه والوسيلة العظمى التى من تخلف عنها لا يجد سببا يتعلق به ورضى الله عن إمام دار الهجرة سيدنا مالك بن أنس فى قوله للخليفة حين قال له أأستقبل القبلة وأدعو أو أستقبل القبر الشريف وأين تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام (الوجه العاشر) أن مدار دلالة صاحب هذه الطريقة رضى الله عنه على تعلق القلب بالله تعالى وعلى ما يوصل إلى ذلك وكلامه فى رسائله وأجوبته وإملاآته طافح من ذلك بما يبهر العقول ولا يصدر إلا من أكابر الفحول ومن كلامه فيه ما نصه زبدة الأعمال الشرعية وغاية ارتفاعها هو التعلق بالله تعالى بلا انفصام ولا تزلزل ولو دهمته دهمات الفتن الصعبة التى لا ينجو منها إلا بانخلاع يده من الله تعالى والانفصام عنه فهذا غاية العمل ومنتهاه اهـ وذكر رضى الله عنه لذلك أمثلة تبينه فيمن قام به فانظر ذلك فى جواهر المعانى إن شئت ومن كلامه فيه أيضا قوله لبعض من أوصاه بعد كلام أوصاه به ما نصه والأمر الذى لا بد منه بعد هذا وهو بداية جميع الأمور ونهايتها هو تعلق القلب بالله تعالى بالانحياش والرجوع اليه وترك ما سواه عموما وخصوصا إلى آخر كلامه فانظره فى رسائله وسيأتى فى الكلام على أبيات النظم إن شاء الله تعالى ومن كلامه أيضا فى ذلك بعد تقرير ما يتعلق بهذه المسئلة ما نصه فالجواب فى حق السالك أن يمسى ويصبح ويظل ويبيت وليس له مراد إلا شيئين الأول الله تعالى اختيارا له من جميع الموجودات واستغناء به عنها وأنفة من لحظها ولو لمحة وغيرة أن يختار سواه وليكن الله عز وجل مبدأ مراده ومنتهاه وأوله وآخره ومفتتحه ومختتمه مستغرقا لقصر مراده عليه فيما بين ذلك كله حتى لا تبقى عنده لمحة يريد فيها غيره لأن إرادة العبد

حد قصورك ففيه هلك من تورع ممن يزعم أنه أحاط بعلم المنقول والمعقول والجهل خير من علم يدعو إلى إنكار مثل هذه الأمور لأولياء الله تعالى انتهى وقال اللقانى فى بعض شروحه لجوهرة التوحيد رؤيته عليه الصلاة والسلام فى اليقظة والمنام جائزة باتفاق الحفاظ وإنما اختلفوا هل يرى الرائى ذاته الشريفة حقيقة أو مثالا يحكيها فذهب إلى الأول جماعة وذهب إلى الثانى القرافى والغزالى انتهى وفى نوازل الأجهورى ناقلا من كتاب تنوير الحلك ما نصه فحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث أن النبى صلى الله عليه وسلم حى بجسده وروحه وأنه يتصرف ويسير حيث شاء فى أقطار الأرض وفى الملكوت وهو بهيئته التى كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شىء وأنه تغيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسامهم فاذا أراد الله تعالى رفع الحجاب عمن أراد إكرامه برؤيته رآه على هيئته التى هو عليها لا مانع من ذلك ولا داعى إلى التخصيص برؤية المثال انتهى وقال الساحلى فى بغية السالك بعد ما ذكر طبقات الناس فى انطباع صورته الكريمة فى نفوسهم ووراء هذا ما هو أعلى درجة منه وهو أن يراه بعين رأسه عيانا فى عالم الحس ولا تنكر هذا فقد يكرم الله به من شاء من عباده باقامة صورته الكريمة له حتى يشاهدها وهذا من جائز الكرامات التى يتحف الله بها أولياءه انتهى

وقد نظم سيدى عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوى فى نظمه المسمى بروضة النسرين نحو كلام الساحلى فى طبقات من انطبعت

إما طمع و إما عبث كما تقدم والثانى من مرادات السالك أن يكون لله تعالى خالصا من رقية غيره كامل التعلق به سراً وروحا وعقلا ونفساً وقلباً حتى لا تكون منه ذرة متخلفة عن الله تعالى ويكون واقفا مع مراده عز وجل منسلخا عن جميع الارادات والاختيارات والتدبيرات والحظوظ والشهوات والاغراض واقفاً فى ذلك كله لله بالله مع الله لاشىء منه لنفسه ولا بنفسه ولا مع نفسه وليكن ذلك عبودية لله تعالى من أجله وارادة لوجهه وأداء لحق ربوبيته لا ليعود عليه منه شىء ولا يختار مع الله عز وجل شيئا عبودية له تبارك وتعالى لا قنوطا من خيره لأنه كفر وتحسين ظن به لما هو عليه من كمال الصفات المحمودة اه وهذا من ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومن كمال تعلقه بالله وتمام إخلاص وجهته إلى مولاه وتبرئه من التعلق بما سواه أنه أدرج فى المنجنيق ليرمى به فى النار فعرض له الأمين جبريل عليه السلام بعد ما أعرض عن ملك الرياح وملك الأمطار فقال له ألك حاجة فقال له أما اليك فلا وأما إلى الله فبلى فقال له الأمين جبريل فسله إذن فقال عليه السلام علمه بحالى يغنيه عن سؤالى فمن أجل كون مدار الدلالة فى هذه الطريقة المحمدية على هذه الحالة الشريفة السنية كانت إبراهيمية حنيفية ويذكر عن بعض أهل هذه الطريق أنه رأى فى بعض وقائعه الخضر عليه السلام فقال له أنا الخضر فهل من حاجة فقال له إن الله تعالى أغنانى عنك وعن غيرك من الأولياء بشيخى ووسيلتى إلى ربى سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه فلا شك أن مشرب صاحب هذا الحال مشرب إبراهيمى وفيه مع ذلك امتحان كبير لمن وقع له ذلك كما لا يخفى ووراء هذه الوجوه التى ذكرناها لهذه النسبة الجليلة القدر والاضافة السنية الفخر مالا يسعنا الآن شرحه واستيفاؤه ولا يمكننا فى هذه العجالة بسطه واستقصاؤه على أن هذا التقييد ليس موضوعا لذلك كما أن مقيده ليس أهلا لخوض هاتيك المسالك وليكن هذا آخر ما قصدنا إيداعه فى هذه المقدمة وأردنا إيراده فى مطالبها المهمة ولنشرع فيما نحن بصدده من الكلام على هذه المنظومة المباركة بحسن عون الله تعالى وتوفيقه الجميل وهو سبحانه حسبنا ونعم الوكيل فنقول قال الناظم رحمه الله تعالى ورضى عنه (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما) هكذا فى الأصل المشروح عليه باثبات الجملتين الشريفتين معاجريا على عمل المغاربة فى الجمع بينهما فى جميع افتتاحاتهم كتابة وقراءة والأولى أن ينسب الافتتاح بهما للناظم رحمه الله تعالى عملا بحسن الظن به إذ فى الافتتاح بهما من الفوائد والكرامات الجسيمة مالا يسع أحداً من أهل الدين إغفال مكانته الفخيمة ولا إهمال مثابته الكريمة والكلام عليهما بما تحتمله مسائلهما من الفصول مبسوط كل البسط فى شروح الأمهات والأصول وقد أفرده جمع من سراة الأماثل بما فيه الغنية من التأليف والرسائل فيكفينا الآن من ذلك التبرك لبعض ما يناسب المقام مما هنالك بحيث لا نذكر فيه إلا ما يحصل به للمريد الموفق الأريب مزيد تأديب وتهذيب أو ترغيب أو ترهيب أو ترقية لهمة أو تدريب فأما جملة البسملة فابتدأ الناظم رحمه الله تعالى بها أرجوزته هذه المباركة لأنها من الأمور ذوات البال التى لا يعتد بها شرعا مالم تصدر ببسم الله الرحمن الرحيم لحديث كل أمر ذى بال لا يبتدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع وفى رواية لا يفتتح بذكر الله فهو أبتر أو أقطع ولأن أول شىء نزل من القرآن اقرأ باسم ربك وطريق التأسى به الافتتاح بالبسملة وقد ذكر بعض العلماء عن صاحب الاستغناء فى شرح أسماء الله الحسنى أنه حكى عن شيخه الشيخ أبى بكر التونسى رحمه الله تعالى إجماع مشايخ كل ملة على أن الله تعالى افتتح كتبه كلها

صورته الكريمة فى نفوسهم فقال ومكثر الصلاة فيه يشرق *فى قلبه نور لها يحقق * والناس فى ذلك لهم مراتب *

بقدر ما تصفو لهم مشارب
لها بذهن بعضهم تصور
بعد تأمل وفكر يكثر
يراه فى النوم بلا كمال
وذو تصور لدى اعتزال
أحيان ذكره يفوق من سلف
وكامل الرؤيا به قد اتصف
ومن إذا يسد عينا أبصرا
نوما وضده سما من غبرا
فمن بعينى رأسه يراه
فى عالم الحس لما عداه

وقال فى شرحه لهذا البيت والذى يظهر إلى أن بعض الأولياء يرى فى اليقظة روحه متشكلة بصورته الشريفة وأهل المقام الأعلى يرون حقيقة ذاته الشريفة كأنه معه فى حياته صلى الله عليه وسلم انتهى وقال فى موضع آخر من هذا الشرح ومن فوائد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أنها تقرب العبد منه صلى الله عليه وسلم حتى يلتقى معه يقظة وبذلك يأمن من السلب وقبل التقاء الولى معه يقظة على خوف من السلب نعوذ بالله منه انتهى وسيأتى بمشيئة الله تعالى فى باب الرد على هذا المنكر طرف من هذا فى مبحث جوهرة الكمال وأما من اتفقت له رؤيته صلى الله عليه وسلم من الأولياء فى اليقظة فلا يكاد يحصى ولا يعد قال الشعرانى فى لطائف المنن والعهود المحمدية أدركت بحمد الله جماعة ممن رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة واجتمع به وعد منهم سيدى عليا الخواص والحافظ السيوطى وغيرهما قال وكان سيدى إبراهيم المتبولى رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم قال بعضهم ويشهد له خبر بسم الله الرحمن الرحيم فاتحة كل كتاب اه وطريق التأسى به كالذى قبله أيضا الافتتاح بالبسملة ولأن كتبه صلى الله عليه وسلم إلى الملوك مفتتحة ببسم الله الرحمن الرحيم فتكون الكتب العلمية كهذه المنظومة مجراة مجرى الرسائل للؤمنين عموما وخصوصا لينتفعوا بها وذلك هو معنى البركة فيها وقد روى من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم هرب الغيم إلى المشرق وسكنت الرياح وماج البحر وأصغت البهائم بآذانها ورجمت الشياطين وحلف الله تعالى بعزته وجلاله أن لايذكر اسمه على شيء إلا بارك فيه اه ولاستقرار عمل الأئمة المصنفين على افتتاح كتب العلم بالبسملة لكن اختلف القدماء فيما إذا كان الكتاب كله شعراً فجاء عن الشعبى منع ذلك وعن الزهرى مضت السنة أن لايكتب فى الشعر بسم الله الرحمن الرحيم وعن سعيد بن جبير جواز ذلك وتابعه على ذلك الجمهور قال الخطيب وهو المختار اه نقله العلامة الحطاب عن فتح البارى وقال بعده مانصه قلت فى غير الشعر المحتوى على علم أو وعظ فهذا لاشك فى دخوله فى كتب العلم وفى غير الشعر المحرم فان التسمية لا تشرع فى المحرم اه ولا محالة أن هذه الأرجوزة المباركة من قبيل الشعر المحتوى على العلم بل لاشك عند من أنصف أنها مشتملة على ما هو من قبيل العلم النافع فلا منازع إذن فى ندب التسمية فيما كان من قبيله ولا مدافع وهذا القدر كاف فى توجيه الافتتاح بها والاستدلال للحكم بندبها فى غالب ذوات البال وقد يعرض لها الوجوب فى بعض الصور وكذا الحرمة والكراهة وليس بيان ذلك من غرضنا هنا ثم ان فى افتتاح الكتاب العزيز بها والتأسي به فى غيره من كتب الأمة نكتة لطيفة أشار اليها بعض المحققين من أهل الأذواق السامية المنيفة وهى أن كل كتاب مفتتح بها لابد أن يشتمل على ماهو من مقتضيات أسماء العظمة والقهر والبطش والانتقام فكان فى تقديم البسملة الشريفة بما اشتملت عليه من أسماء الرحمة والانعام والتفضل والاكرام تأنيس وبشرى وتثبيت واعتصام إذ فى تقديمها على كل شيء من المخاطب بذلك الكتاب اعلام بأنه لم يرد إلا رحمة المواجهين بذلك الخطاب وماكل المعانى التى ذكرها العلماء لباء البسملة المفتتح بها الاستعانة بالله تعالى ولاشك أن الاستعانة به تعالى فيما هو داخل فى عبادته مشروعة حسبما نص عليه أهل العلم قالوا ويدل لمشروعيتها قوله سبحانه وتعالى «إياك نعبد وإياك نستعين» والسر فى مشروعية الاستعانة بالله تعالى تنبيه العباد على صفة العجز اللازمة لهم التى ربما حجبوا عنها بنظرهم إلى كسبهم فى عبادتهم فيؤديهم ذلك إلى التظاهر بالدعوى بما ليس لهم ولا منهم فيستحقون المقت من الله تعالى والعياذ بالله سبحانه من كل مايجر إلى مقته وغضبه وقد أشار الشيخ محيي الدين رضى الله عنه إلى هذا فقال مانصه ماطلب الحق سبحانه وتعالى من عباده أن يستعينوا به فى عبادتهم إلا لينبههم على صفة العجز التى ربما حجبوا عنها لأنهم يزاحمون الحق تعالى فيدعون القوة ويظهرون بتلك العبادة ملوكا وأربابا من دون الله اه فاذا فهمت هذا عرفت أن فى الافتتاح بالبسملة الذى هو استعانة بالله تعالى على عبادته تربية كبيرة للعبد على مولاه الغنى الحميد وذكرى عظيمة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد لما فى مشروعية الافتتاح بها حينئذ من التنبيه للعبد على أن يكون بأوصاف ربوبية مولاه جل وعلا متعلقا وبأوصاف عبوديته متحققا يشهد وجود نفسه ولوازم وجودها لاشيء من جميع ذلك له ولا منه وانما هى عوار عنده فلايرى وجوده إلا بوجود ربه ولاعزته إلا بعزته ولاقدرته إلا بقدرته إلى غير ذلك من

والشيخ عبد الرحيم الغنوى والشيخ أبو السعود بن أبى العشائر والشيخ أبو حسن الشاذلى رضى الله عنهم قال الشعرانى يحدث عن نفسه لاأعلم أحدا فى مصر الآن أقرب سنداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منى فان بينى وبينه رجلين سيدى عليا الخواص وسيدى ابراهيم المتبولى فقط انتهى وقال فى الأنوار القدسية قال الشيخ أحمد الزواوى طريقنا أن نكثر من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم حتى نصير من جلسائه ونصحبه يقظة مثل أصحابه ونسأله عن أمور ديننا وعن الأحاديث التى ضعفها الحفاظ عندنا ونعمل بقوله فيها انتهى وقال فى طبقاته فى مناقب سيدى أبى العباس المرسى رحمه الله قال لى أربعون سنة ماحجبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ولو حجب عنى طرفة عين ماعددت نفسى من جملة المسلمين انتهى وقال في الميزان بعد ماجزم أن المجتهدين جميعهم كمالك والشافعى رحمهم الله يقولون برؤية ذاته الشريفة فى اليقظة ويسئلونه عما يحتاجون للسؤال عنه مانصه وقد اشتهر عن كثير من الأولياء الذين هم دون الأئمة المجتهدين فى المقام أنهم كانوا يجتمعون برسول الله صلى الله عليه وسلم ويصدقهم أهل عصرهم على ذلك كالشيخ ابراهيم الدسوقى وسيدى الشيخ جلال الدين السيوطى والزواوى والمرسى وأبى مدين وأبى السعود والشاذلى وعبد الرحيم وجماعات ذكرناهم فى طبقات الأولياء قال

برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقتى هذا خمسا وسبعين مرة يقظة ومشافهة ولولا خوفى من احتجابه صلى الله عليه وسلم بسبب دخولى للولاة لطلعت القلعة وشفعت فيك عند السلطان وانى رجل من خدام حديثه صلى الله عليه وسلم وأحتاج إليه فى تصحيح الأحاديث التى ضعفها المحدثون من طريقهم ولا شك أن نفع ذلك أرجح من نفعك أنت ياأخى انتهى قال ويؤيد الشيخ جلال الدين فى ذلك ما اشتهر عن سيدى محمد بن زين المادح لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يراه يقظة ومشافهة ولما حج كلمه من داخل القبر ولم يزل هذا مقامه حتى طلب منه شخص من النحرارية أن يشفع له عند حاكم البلد فلما دخل عليه أجلسه على بساط فانقطعت عنه الرؤية فلم يزل يتطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تراءى له من بعيد فقال تطلب رؤيتى مع جلوسك على بساط الظلمة لاسبيل لك إلى ذلك فلم يبلغنا أنه رآه بعد ذلك حتى مات رحمه الله انتهى المراد منه وذكر الأجهورى رحمه الله تعالى فى نوازله أنه رأى جماعة ممن وقعت لهم رؤيته وسمع ذلك منهم قال منهم شيخنا العارف بالله تعالى شيخ الطائفة المالكية فى زمانه الشيخ محمد البنوفرى قال وقد ذكر ذلك بمجمع الناس ومنهم أيضا شيخنا العارف بالله تعالى الشيخ الحمالى المشهور بحشيش وكان يقع له ذلك كثيراً والقرائن الدالة على صدقهما فى ذلك

الأوصاف ولا يتم له ذلك إلا بالتحقق بأوصاف عبوديته من فقره وذله وعجزه وضعفه وغير ذلك من لوازم وصفه وأعلى مراتب هذا التعلق وهذا التحقق أن يفنى العبد عن نفسه ثم عن فنائه وصاحب هذه المرتبة هو المفتتح ببسم الله الرحمن الرحيم حقيقة ومن السر فى مشروعية الاستعانة بالله تعالى التى منها الافتتاح بالبسملة حسبما تقدم الاشارة إلى إثبات فعل الأسباب (قال) الشيخ محيى الدين رضي الله عنه إنما أمرنا الحق تعالى بالاستعانة به إثباتاً لفعل الأسباب التى لا يمكن رفعها ولا وجود للسبب إلا بوجودها وفى هذا رد على من لا يقول برؤية الأسباب وهو مذهب فاسد يلزم عليه أن لا يرى بعين بصره ولا يسمع بأذن رأسه إلى غير ذلك نعم الافتقار إلى الأسباب هو فى الحقيقة افتقار إلى المسبب وهو الله تعالى لما تقرر عند أهل الحق من أن كل سبب احتيج إليه يتجلى فيه حكم الاسم الالهى المؤثر فيه حتى ينقضى أثره فيعقبه أو يصحبه بسبب آخر فيتجلى فيه الاسم الذى هو له ثم كذلك إلى مالا نهاية له وقد بسط القول فى تقرير هذه المسئلة فى ميزاب الرحمة الربانية بما كشف به فيها عن وجه التحقق القناع فليراجعها فيه من أراد ذلك وهذا نزر النزر مما أشارت إليه باء بسم الله الرحمن الرحيم وهو لمن تأمله بعين الانصاف باب عظيم من أبواب علوم الباطن وقطب كبير من أقطابها التى تدور عليها دوائرها ومن هنا يشرف على فهم ما نقله العزيزى فى شرحه للجامع الصغير للامام السيوطى رحمهما الله تعالى عن النسفى فى تفسيره من أن معانى كل الكتب مجموعة فى القرآن ومعانى القرآن مجموعة فى الفاتحة ومعانى الفاتحة فى البسملة ومعانى البسملة فى بائها اه وتوجيهه فيما تقدمت الاشارة إليه من التعلق والتحقق والله أعلم ويقرب من هذا وجه آخر ذكره الامام الرازى وغيره وهو أن من معانى هذه الباء الالصاق فهى تلصق العبد بجناب الرب اه وهو عند التأمل راجع للوجه قبله (وقال) النسفى ان من معنى هذه الباء بى كان ما كان وبى يكون مايكون اه وهو يشير إلى التعلق والتحقق أيضاً كما لا يخفى وزاد غير النسفى ومعانى الباء فى نقطتها اه ووقفت فى بعض التقاييد على أن الشيخ محمد البكرى رضى الله عنه تكلم على نقطة باء البسملة فى أزيد من ألفى مجلس ومائة مجلس ونسبه مقيده لمسالك الهداية إلى معالم الرواية ورأيت مايؤيده وهو أنه ذكر فى مناقب الشيخ البكرى رضي الله عنه أنه أقرأ فى نقطة البسملة أربعة عشر عاما اه وهذا كله مما أشارت إليه الباء بمعناها ومما أشارت إليه بصورتها ورتبتها ماقيل فى ابتداء البسملة بها مع أن الألف أفضل وهو أنها استحقت التقديم على غيرها لأنها أول ما نطقت به بنو آدم فى عالم الأرواح يوم ألست بربكم قالوا بلى وقيل إنما استحقت التقديم لمكان الكسر ففيه إشارة إلى أن المنكسر المتواضع أحق بالتقديم ولله در القائل فى المعنى

من أحمل النفس أحياها وروحها * ولم يبت طاويا منها على ضجر

ان الرياح إذا اشتدت عواصفها * فليس ترمى سوى العالى من الشجر

إلى غير ذلك مما أشارت إليه هذه الباء من أمهات العلوم وقد قال الشيخ العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى الميزان مانصه وقد استخرج أخى أفضل الدين من الفاتحة مائتى ألف علم وسبعة وأربعين ألف علم وتسعمائة وتسعة وتسعين علما وقال هذه علوم أمهات علوم القرآن ثم ردها كلها إلى البسملة ثم إلى الباء ثم إلى النقطة التى تحت الباء وكان يعنى الشيخ أفضل الدين رضى الله عنه يقول لا يكمل الرجل عندنا فى مقام المعرفة بالقرآن حتى يصير يستخرج جميع أحكامه وجميع مذاهب المجتهدين فيها من أى حرف شاء من حروف

الهجاء اه (قال) الشعرانى رضى الله عنه ويؤيده فى ذلك قول الامام على كرم الله وجهه لو شئت لأوقرت لكم ثمانين بعيراً من علوم النقطة التى تحت الباء اه من الميزان وذكر الشعرانى فى هذا المحل عن نفسه رحمه الله انه ذكر فى كتابه الذى سماه بالجوهر المصون فى علوم كتاب الله المكنون نحو ثلاثة آلاف علم قال وأخفيت فى طيه مواضع استنباطه من الآيات غيرة على علوم أهل الله أن تذاع بين المحجوبين (قال) وقد أخذه الشيخ شهاب الدين ابن الشيخ عبد الحق عالم العصر فمكث عنده شهراً وهو ينظر فى علومه فعجز عن معرفة موضع استخراج علم واحد منها فقال لى وضعك هذا الكتاب فى هذا الزمان لأى شىء فقلت وضعته نصرة لأهل الله تعالى لكون غالب الناس ينسبهم إلى الجهل بالكتاب والسنة فقال لى أنا أقول فى نفسى إننى عالم مصر والشام والحجاز والروم والعجم وقد عجزت عن معرفة استخراج نظير علم واحد منه من القرآن ولا فهمت مما فيه شيئا ومع ذلك فلا أقدر على رده من كل وجه لأن صولة الكلام الذى فيه ليست بصولة مبطل ولا عامى اه والاسم من السمو أى العلو لأنه يعلو مسماه وقيل من السمة أى العلامة لأنه علامة على مسماه والحق أن اشتقاق الاسم من السمة لا تعلق له بقدم أسماء الله تعالى ولا حدوثها ولا يظهر ما عند الشيخ ابراهيم الشبراخيتى رحمه الله تعالى من الحدوث على السمة وجعله فائدة الخلاف اه قاله فى شرح المجموع وجىء بلفظ اسم ولم يقل بالله من أجل ان التبرك إنما هو بذكر اسمه جل وعلا وقيل جىء به للفرق بين التيمن واليمين حيث كان لا يقال فى اليمين إلا بالله وقيل لأن المسمى إذا كان فى غاية العظمة إنما يذكر اسمه وحضرته وجنابه ونحو ذلك وهذه الأوجه أوضح ما ذكره العلماء رضى الله عنهم فى توجيه مجىء لفظ اسم فى البسملة الشريفة وفى كلام بعض أهل الأذواق ما يرشد إلى توجيه آخر فائق عجيب وذلك لحمله جملة البسملة على محمل سنى غريب لا يتوجه معه البحث بحال فى مجىء لفظ اسم فى البسملة عند كل منصف أريب وهو ان لفظ اسم مراد به اسم الله العظيم الأعظم أعنى الاسم الأعظم المخزون المعلوم عند أهل الله تعالى هو اسم الذات المقدسة عندهم رضى الله عنهم ليس للذات غيره ولذلك أضيف إلى الاسم الأعظم الظاهر وهو الله الذى هو علم على الذات المقدسة جل وعلا وعلى هذا الحمل يكون الملاحظ لهذا المعنى متبركا بالاسم الأعظم المخزون الذى ورد فيه انه إذا دعى الله به أجاب وإذا سئل به أعطى فكأنه يقول مثلا أفتتح متبركا ومتيمنا باسم الذات العلية المدلول عليها بالاسم الله وحينئذ لا يبقى محل لما تقدم من التوجيهات لمجىء لفظ اسم والله الموفق فتنبه لهذه الدقيقة فانك لا تكاد تطلع عليها فى كتاب وسيأتى لنا مزيد كلام فى الاسم الأعظم عند تعرض الناظم لذكره وهنالك يزداد الناظر تحققا بما أودع فى هذه الدقيقة إن شاء الله تعالى وينظر لهذا المحمل فى البسملة الشريفة قول من قال ان بسم الله الرحمن الرحيم فيها مراتب التوحيد لأن بسم قبالة شهد والله قبالة الله والرحمن قبالة والملائكة والرحيم قبالة وأولو العلم وباشرافك على ما تقرر فى المحمل السابق من الدقيقة السنية تعرف أن قائل هذا أشار بالمراتب الأربع إلى نسب حقية لا يعرفها إلا أهل الاسرار الذوقية ومن هنا أيضاً يشرف على قول من قال فى قوله تعالى «فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين» الآية ما نصه للنبيين نسبة من بسم إلى الله وللصديقين نسبة من الله إلى بسم التى هى من نسبة النبيين وللشهداء نسبة من الرحمن إلى الرحيم وللصالحين نسبة من الرحيم إلى الرحمن فتتابعت الدرج فى الصعود والنزول فأول دائرة بسم الله كآخرها وباطنها كظاهرها اه ولا يخفى أن هذه النسب هى المراتب الأربع

مرارا عديدة ودعا لى بالدعوات الصالحة انتهى المراد منه ثم ذكر فى نوازله أيضاً ما نصه وفى بعض المجاميع حج سيدى أحمد الرفاعى رحمه الله تعالى فلما وقف تجاه الحضرة الشريفة أنشد يقول «فى حالة البعد روحى كنت أرسلها تقبل الأرض عنى وهى نائبتى وهذه نوبة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى» فخرجت اليد الشريفة من القبر الشريف انتهى وفى فتاوى ابن حجر وحكى السراج بن الملقن فى طبقات الأولياء أن الشيخ عبد القادر الجيلى قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم قبل الظهر فقال لى يا بنى لم لا تتكلم قلت يا أبتاه أنا رجل أعجمى كيف أتكلم على فصحاء بغداد فقال لى افتح فاك ففتحته فتفل فيه سبعا وقال تكلم على الناس وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فصليت الظهر وجلست وحضر إلى خلق كثير فارتج على فرأيت عليا قائما بازائى فى المجلس فقال لى يا بنى لم لا تتكلم فقلت يا أبتاه قد ارتج على فقال افتح فاك ففتحته فتفل فيه ستا فقلت له لم لا تكملها سبعا قال أدبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توارى عنى فتكلمت قال وحكى ابن فارس عن سيدى على بن وفا قال كنت وأنا ابن خمس سنين أقرأ القرآن على رجل فأتيته مرة فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم يقظة لا منامًا وعليه قميص أبيض قطن ثم رأيت القميص على فقال لى اقرأ فقرأت عليه سورة والضحى وألم نشرح ثم غاب عنى فلما بلغت إحدى

المشار إليها فى الكلام قبل هذا والكل ينظر إلى المحمل السابق ومبنى عليه كما لايخفى على المنصفين من ذوى الألباب والله الموفق للصواب ﴿ نكته ﴾ من خلال سجف هذا الذى تقرر فى هذه المسئلة يلوح للناظر فيها فهم معنى قول من قال ان بسم الله صعود إلى المبتدا والرحمن الرحيم هبوط إلى المثال ففيها سر المبتدا والمنتهى كما ان فيها مراتب التوحيد اه و بسط القول فى هذا مما يضيق عنه النطاق بل هو موكول الى مايفاتح به السالك من الأسرار والأذواق وحسب القاصر مثلى التسليم والمحبة رزقنا الله منهما الحظ الوافر بمنه وكرمه آمين ﴿ تنبيه ﴾ ربما استؤنس فيما يؤيد هذا المحمل الذى تقرر فى البسملة الشريفة بقول مدينة العلوم السامية المنيفة صلى الله عليه وسلم فيما رواه الحفاظ الأعلام عنه عليه الصلاة والسلام ما بين بسم الله الرحمن الرحيم وبين اسم الله الأعظم إلا ما بين سواد العين وبياضها اه والله تعالى أعلم ﴿ فائدة ﴾ ذكر بعض اهل السر أنه روى عن سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال من كانت له إلى الله حاجة فليصم الأربعاء والخميس والجمعة فاذا كان يوم الجمعة تطهر وراح إلى الجمعة وتصدق بصدقة قلت أو كثرت ما بين الرغيف إلى دون وما كثر فهو أفضل فاذا صلى قال اللهم إنى أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذى عنت له الوجوه وخشعت له الأصوات ووجلت القلوب من خشيته أن تصلى على سيدنا محمد وعلى آله وأن تعطينى حاجتى وهى كذا وكذا ويسميها قضيت حاجته وكان يقول لا تعلموها سفهاءكم فيدعو بعضهم على بعض فيستجاب لهم اه ( والله ) هو اسم دال على الذات الواجب الوجود المعبود بحق وهو اسم جامع للذات والصفات والأفعال ولهذا يقال له سلطان الأسماء (قال) فى إرشاد الساري وقد قال جماعة انه الاسم الأعظم لأن سائر الاسماء الحسنى يضاف إليه اه والذى عليه المحققون وكمل العارفين بالله تعالى كشيخنا رضى الله عنهم أجمعين أنهما اسمان أعظمان أحدهما الاسم الأعظم المخزون المتعارف بين أهل الكشف رضى الله عنهم ويقال له الاسم الأعظم الباطن والثانى هو الاسم الجامع وهو الله تبارك وتعالى ويقال له الاسم الأعظم الظاهر وانظر فى جواهر المعانى كلام الشيخ رضي الله عنه فى بيان كون الاول منهما عين الذات المقدسة والثانى عين المرتبة أعنى مرتبة الالوهية وقد قدمنا اننا سنلم بشىء مما يتعلق بالاسم الأعظم عند تعرض الناظم لذكره إن شاء الله تعالى وحظ العبد من هذا الاسم أعنى الاسم الله جل وعلا التعلق بالحق تبارك وتعالى فى الظاهر والباطن والاستغناء به سبحانه عن كل ماسواه فى سائر الاوقات والمواطن ومن هنا كان هذا الاسم الاجل ذكراً لاصحاب الفناء ولاصحاب البقاء قاله فى شرح الاسماء الحسنى وقد تواطأت آراء المشايخ الكمل رضي الله عنهم على أن لهذا الاسم العظيم أثراً عظيما فى تصفية النفس وتزكيتها لايكون مثله فى غيره ولهذا رجحوا الذكر به خصوصاً فى حال انقطاعهم إلى الله تعالى فى خلواتهم وتوجهاتهم الصحيحة الا انهم ذكروا لحصول الثمرة والفائدة العظمى منه قصداً خاصاً لا بد منه وهو أن لايقصد الذاكر بذكره الله الله نفس دلالته على العين بل يقصد ذكره من حيث أن المسمى به هو من لا نقيده الأكوان ومن له الوجود التام واحضار هذ فى نفس الذاكر به تقع الفائدة فانه ذكر غير مقيد وذلك أن الذاكر إذا قيده بلا اله الا الله لم ينتج له إلا ما تعطيه هذه الدلالة وكذا سبحان الله والله أكبر والحمد لله ولاحول ولاقوة إلا بالله وكل ذكر مقيد لاينتج إلا ماقيد به ولا يمكن ان صاحبه يجنى ثمرة عامة فان مبتدأ حالة الذكر تقيد ذلك وقد عرفنا الحق

وأما بنعمة ربك فحدث فأوتيت لسانه من ذلك الوقت ثم قال ابن حجر والحكايات فى ذلك كثيرة جداً ولا ينكرها إلا معاند أو محروم انتهى وقال الشيخ سيدى المختار الكنتى فى نزهة الراوى روى عن عبد الله بن سلام أنه دخل على عثمان بن عفان رضى الله عنهما فى اليوم الذى قتل فيه فقال له عثمان أترى هذه الطاقة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم تراأى لى منها فقال أحصروك ياعثمان قلت نعم بأبى أنت وأمي فقال ان شئت نصرت عليهم وان شئت أفطرت عندنا فقلت بل أفطر عندكم فقتل قبل غروب الشمس من ذلك اليوم انتهى (قلت) وذكر جلال الدين السيوطي هذه الحكاية عنه فى الخصائص الكبرى له ثم قال قال الشيخ أبو منصور فى رسالته يقال إن الشيخ أبا العباس القسطلانى دخل مرة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أخذ الله بيدك ياأحمد وعن الشيخ أبى السعود انه قال كنت أزور شيخى أبا العباس وغيره من صلحاء مصر فلما فتح على لم يكن لى شيخ إلا النبي صلى الله عليه وسلم وانه كان يصافحه عقب كل صلاة وقال أبو العباس الخراز دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته يكتب مناشير الاولياء بالولاية وكتب لاخى محمد معهم منشوراً فقلت ياسيدى يارسول الله تكتب لى كأخى قال أتريد أن تكون مهارا وهذه لغة أندلسية أى طريقيا وفهم منه أن له مقاما غير هذا وفى كتاب عوارف المعارف أن الشيخ

تبارك وتعالى أنه يعطى الذاكر بحسب حاله فى قوله إن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى الحديث فلهذا قصدت الطائفة ذكر لفظة الله وحدها أو ضميرها من غير تقييد وذلك لأن هذا الاسم الأعظم له بساط وثمرة فبساطه العلم وثمرته النور والنور ليس مقصوداً لذاته وانما هو ليقع به الكشف والعيان اه نقله العارف بالله الشيخ أبو زيد سيدى عبد الرحمن الثعلبى فى الدر الفائق عن الشيخ أبى العباس المرسى رضى الله عنهما وهو يشير الى أن الثمرة فى ذكر هذا الاسم مشروط حصولها بالعلم أى بالعمل على العلم الذى هو بساطه والعمل على العلم هو ذكر الاسم على الحال الموصوفة آنفا وهذه الحال هي التى تنتج للعبد الذاكر بفضل الله تعالى وصدق وعده سبحانه أن يذكر عند ربه بجميع الفضائل اللائقة به جزاء وفاقا وذكر هذا الاسم الاعظم بالاستحضار الموصوف هو الذكر الخاص بالخاصة وهو المشار اليه حسبما أشار إليه الشيخ محيي الدين رضى الله عنه فى حديث لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض أحد يقول الله الله قال لانه ذكر الخاصة من عباد الله الذين يحفظ الله بهم عالم الدنيا وكل دار يكونون فيها فاذا لم يبق فى الدنيا منهم أحد لم يبق للدنيا سبب حافظ يحفظها الله من أجله فتزول وتخرب وكم من قائل الله باق فى ذلك الوقت ولكن ما هو ذاكر بالاستحضار الذى وصفناه فلهذا لم يعتبر اللفظ دون الاستحضار اه ومن الوجوه التى من أجلها اختارت الطائفه الذكر بهذا الاسم الاعظم خشية ادراك الموت لهم على وحشة النفى وهذا من كمال معرفتهم بالله تعالى وعظيم حيائهم من جلاله سبحانه وذلك لأنهم لا مشهود لهم سواه حتى ينفوه اه الغرض وراجع أبواب الفتوحات المكية تر العجب مما يتعلق باسم الله وفوائده الجليلة السنية ( والرحمن الرحيم ) قال بعض من شرح الأسماء الحسنى هما اسمان مشتقان من الرحمة وهى فى حقه سبحانه بمعنى ارادة الانعام الدنيوى والأخروى فتكون صفة ذات أو بمعنى نفس الانعام فتكون صفة فعل وأما معناها الحقيقى الذى هو الرقة والتحنن فمستحيل فى حقه تبارك وتعالى اه ولا أثر لما وقع لبعض الشراح هنا من البحث بأن من شرط المشتق أن يكون مسبوقا بالمشتق منه وأسماء الله تعالى قديمة لأن ألفاظ الاسماء حادثة قطعا اه قاله فى شرح المجموع ثم قال وقد بسطنا ذلك فى حواشى الهجرة اه ومعنى الاسمين الكريمين واحد عند المحققين إلا أن الرحمن خاص به تبارك وتعالى فهو خاص اللفظ ولا يجوز أن يسمى به أحد غير الله تعالى عام المعنى من حيث انه يشمل جميع الموجودات والرحيم عام من حيث الاشتراك فى التسمية خاص من طريق المعنى لانه يرجع الى اللطف والتوفيق اه انظر الارشاد وزاده بيانا وإيضاحا الشيخ زروق رضى الله عنه حيث قال فى شرح الوغليسية الرحمن اسم من أسمائه تعالى مقتض لايجاد الخلق فلذلك لا يتسمى به غير الحق تعالى ومن تسمى به هلك والرحيم مقتض لامداد الخلق بقوام وجودهم وانما جاز تسمية الخلق به مجازاً لأن مجاز الامداد يصح فى حقهم ولذلك وجب شكر الخلق على ما وصل على أيديهم من النعم اه وعلى هذا فوجه تقديم الرحمن كونه خاصا بالمولى تبارك وتعالى وقيل الأول دال على الانعام الدنيوى والثانى على الانعام الأخروى وعليه فيحتمل أن يكون تقديم الاول لتقدم متعلقه فى الوجود ويحتمل أن يكون من باب الترقى لأن الانعام الدنيوى دون الاخروى بكثير إذ موضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها ومع هذا يعطى لأدنى أهل الجنة قدر الدنيا عشر مرات اه وفى الجمع بين الاسماء الكريمة فى البسملة من الدلالة على وحدانية الله تعالى الذاتية والصفاتية والفعالية

النزهة فلينظره من شاء ولولا خشية الاطالة لذكرت أكثر من ذلك ومن أراد شفاء علته من اعتقاد استحالة رؤيته يقظة فلينظر كتاب الذهب الابريز فيما قيده جامعه اللمطى عن سيدى عبد العزيز الدباغ ولو تتبعت ما فيه من هذا القبيل لأدى ذلك إلى التطويل وفى هذا القدر كفاية لمن أراد الله توفيقه ومن يضلل الله فما له من هاد ولو أنصف هذا المنكر المسكين لعلم أن هذا الولى من جملة الأولياء فلا ينكر عليه أمراً من كراماتهم الجائزة التى لا معارض لها اللهم الا أن يكون منكر الجميع ما نقل عنهم فيكون حينئذ مكذباً لهؤلاء السادات الذين نقلوها عنهم ودونوها فى كتبهم والشر يجر الى الشر والعياذ بالله تعالى والله تعالى يلهمنا وإياه لما فيه رضاه ويعصمنا مما يوجب سخطه انه المجيب لمن دعاه ﴿ خاتمة ﴾ لم نرد بما أو ردناه عن هؤلاء الأئمة فتح باب الدعوى لرؤيته صلى الله عليه وسلم والاخذ عنه بلا واسطة إذ هو مقام عزيز لا يناله كل أحد بل دونه أى الأخذ عنه كما ذكر الشعرانى فى لطائف المنن مائتا ألف مقام وسبعة وأربعون ألف مقام وتسعمائة وتسعون مقام وأمهاتها مائة ألف مقام وخاصتها ألف مقام فمن لم يقطع هذه المقامات كلها فلا يصح له الأخذ المذكور انتهى بل لا تقبل إلا ممن تأهل لها من الكمل لا غير

ويسئل من ادعاها فليس من يخبر عن عيان كمن يخبر عن غيره وانما جلبنا ما جلبناه فى ذلك لتنشرح الصدور باعتقاد صحة

جوزها للكمل إذ هى من جملة كراماتهم وفى نزهة الراوى أن وقوعها قد تواترت بأجناسها الآثار * وصار العلم بها قويا فانتفى عنه الشك والغبار * وما تواترت عليهم أخبارهم ليس فيه شبهة انتهى والله ولى التوفيق * وهو الهادى الى سبيل التحقيق

## ﴿ الباب الخامس فى الرد على باطل هذا المنكر وزعماته وما سود به صحيفة أعماله ووجوه ورقاته ﴾

خليلى هذا ربع عزة فاعقلا قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

(مقدمة) اعلم أيها المنصف رحمك الله تعالى أن الانكار على صفوة الله لا يزال يتوارث وقد كان فيمن قبلنا من الامم وآيات القرآن الكريم طافحة بذلك كما فى قصص الانبياء وفى صحيح مسلم لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا فى جحر ضب لاتبعتموهم فأخبر أن ما فعله من قبلنا من الامم من الانكار موجود فينا وفى حديث رواه البيهقى عن عائشة مرفوعا قال لا تذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها أولها قال فى نسيم الرياض وأدخل بعضهم فى هذا من سب بعض الانبياء وعلماء السلف وذكرهم بالسوء وافترى عليهم ما لم يقولوه كما شاهدناه من بعض السفهاء يسبون العارف بالله تعالى سيدى محيى الدين بن عربى وسيدى عمر بن الفارض ونحوهما من أولياء الله تعالى انتهى . وقال اليدالى فى فرائد الفوائد والمنكرون على الفقراء ثلاثة أصناف أرباب الدنيا واتباعهم والجامدون من الفروعية واتباعهم والمتعمقون فى الاعمال واتباعهم أما أرباب الدنيا



مالا يخفى وقد تقدم الايماء إلى بعضه فى الكلام على الجلالة الشريفة جل وعلا وعلى القول بأن الرحمن دال على الانعام الدنيوى والرحيم على الأخروى تكون فى الوصل بينهما إشارة لطيفة وهى أن المطلوب من العاقل أن يواخى بين متعلقيهما فى التحصيل كما واخى بينهما فى التلفظ وذلك بأن لا يأخذ من النعم الدنيوية التى هى متعلق الاسم الرحمن الا ما يتوصل به إلى النعم الاخروية التى هى متعلق الاسم الرحيم فيقبل على الأعمال الصالحات وما يعين عليها من ضرورى المعاش ثم يزهد فيما سوى ذلك زهداً كليا خوف أن ينقطع بذلك عن نعم الآخرة التى هى الغاية والمقصود اه من شرح الاسماء وحظ العبد من هذين الاسمين العظيمين الاتسام بالرحمة لجميع العباد ورفض ماسواه سبحانه اكتفاء برحمته الواسعة التى ليس إلا إليها الاستناد فى هذا اليوم ويوم يقوم الأشهاد ولزوم الشكر للمولى الكريم ورؤية المنة له وحده فى كل ما يبدأ من النعيم بالتخصيص والتعميم اه من الشرح المذكور وهذا الذى أشار إليه هو معنى التخلق والتعلق بالاسماء الكريمة فالتخلق فى جملة قوله الاتسام بالرحمة الخ والتعلق فى قوله ورفض كل ماسواه سبحانه اكتفاء برحمته الخ ( وقد قال ) الاستاذ القشيرى رحمه الله تعالى إن جميع أسمائه سبحانه صالحة للتعلق والتخلق إلا لفظ الجلالة فانه لا يصلح إلا للتعلق اه قال بعضهم ومعنى التعلق الاعتماد والتوكل عليه والافتقار بكل حال إليه اه وقد تقدم لنا فى المطلب الثانى من المقدمة أن معنى التخلق بالاسماء الحسنى عند المحققين هو أن العبد يأخذ من معنى بعض الاسماء وصفا يلائم ضعف البشر وقصوره فيأخذ من الرحمة مثلا وصفاً على قدر ضعفه وقصوره وراجعه فى المطلب المذكور إن شئت وطريق الوصول الى الاستعداد للتخلق بالأسماء الحسنى هو السلوك بالاعمال الصالحات المشروعة على يد المشايخ الكاملين بطريق التصفية والتزكية حتى يحصل بفضل الله على الحالة المسماة عندهم بالتحلية والتخلية ( دقيقة ) من الآداب التى تختص بمقام التخلق بالاسماء الحسنى ما أشار إليه الشيخ محيى الدين رضى الله عنه بقوله بعد كلام له فى المعنى فاحفظ يا أخى نفسك عند التخلق بالاسماء الحسنى فان العلماء لم يختلفوا فى التخلق بها فاذا تخلقت بها فلا تغب عن شهود كونك بحكم النيابة لتكون فى ذلك غير مشارك للخالق سبحانه فى اطلاق اسم من أسمائه عليك وقل رب زدنى علما اه ومن أجل أهل التخلق بمعنى الاسمين الكريمين وما فى معناهما من الاسماء الحسنى طائفة من رجال الله تعالى يقال لهم رجال الحنان والعطف الالهى وهم رجال لهم الشفقة على عباد الله كلهم مؤمنهم وكافرهم ينظرون الخلق بعين الوجود لا بعين الحكم والقضاء لا يولى الله تعالى أحداً منهم ولاية ظاهرة من قضاء ملك لان مقامهم وذوقهم لا يحتمل القيام بأمر الخلق فهم مع الحق تبارك وتعالى فى الرحمة المطلقة المشار إليها بقوله عز وجل « ورحمتى وسعت كل شىء » اه ذكره الشيخ محيى الدين رضى الله عنه واذا عرفت ما تضمنته البسملة من أسرار التوحيد الموجب لمن تحقق به ذوقا ورسوخ القدم فى مقام التجريد علمت علم اليقين أن فى مشروعية الافتتاح بها فى الامور ذوات البال تنبيها على صدق الرجوع إلى المولى الكبير المتعال بتبرء العبد من حوله وقوته واعتصامه بحول الله وقوته فى كل دفع وترك وكل حال من الاحوال وهذا الامحالة هو الاكسير الذى تتفانى فى طلبه أرواح السباق والكنز الدائم الذى لا يخشى عليه من كثرة الانفاق كما أشار إليه الحديث الثابت عنه صلى الله عليه وسلم لاحول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة وفى رواية كنز من كنوز تحت العرش ( قال ) فى

لطائف المنن فالترجمة ظاهر الكنز والمكنوز فيها صدق التبرى من الحول والقوة والرجوع الى حول الله وقوته اه ومن هنا كانت التسمية من الصادق ملحقة له بدرجة أهل التكوين قال العارف بالله فى حاشيته على دلائل الخيرات ما نصه وفى تفسير الفاتحة للامام أبى العباس أحمد الاقليشى قال وهب بن الوردة وكان من الابدال لو قال بسم الله صادق على جبل لزال وإلى هذا أشار بعض أهل الاشارات بقوله بسم الله منك بمنزلة كن منه معناه انك إذا قلتها موقنا كون الله حاجتك وأعطاك طلبتك دون تأخير اه يعنى كلام الاقليشى رحمه الله ثم قال العارف بالله تعالى بعده ما نصه وعد الحاتمى من الكرامات أسماء التكوين اما بمعرفة الاسماء واما بمجرد الصدق لأن بسم الله منك بمنزلة كن منه قال كذا أشار اليه بعض العارفين من أهل التكوين وهو صحيح قلت وقد صرح الشيخ محيي الدين الحاتمى رضى الله عنه فى الفتوحات المكية أثناء الأجوبة الترمذية بنسبة هذه القولة وهى بسم الله منك الخ للحلاج رحمه الله تعالى ونص عبارته (قال) الحلاج بسم الله من العبد بمنزلة كن من الحق اه ثم قال الشيخ محيي الدين رضى الله عنه بعده وبعض الناس له كن دون بسم الله وهم الأكابر كما قال صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك لما رأوا شخصا فلم يعرفوه كن أبا ذر فاذا هو أبو ذر رضى الله عنه اه وأتينا به تتميما لفائدة الكلام كما هى عادتنا فى مثل هذا المقام (فائدة) رأيت فى بعض كتب الاسرار أن من قرأ البسملة ثمانمائة مرة كانت له فدية من النار لحديث قدسى فى ذلك من جاء يوم القيامة وفى صحيفته بسم الله الرحمن الرحيم ثمانمائة مرة وكان مؤمنا موقنا بربوبيتى أعتقته من النار وأدخلته الجنة دار القرار (وأما) جملة الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم فافتتح الناظم بها نظمه هذا افتتاحا نسبيا عملا بما هو الأكمل من الجمع بين ذكر الله تعالى وذكر حبيبه صلى الله عليه وسلم فى مقام التنويه محافظة على ذكره صلى الله عليه وسلم مع ذكر ربه عز وجل وتخلقا بقوله تعالى «ورفعنا لك ذكرك» لما فى ذلك من التنبيه على عظيم السلطان الذى أعطيه صلى الله عليه وسلم ولم يعطه أحد قبله ولا بعده حيث قرن اسمه مع اسم مولاه الملك الديان فيما شرع لنا من التوحيد والأذان مع ما فى ذلك من ملاحظة وساطته فى كل خير خص أو عم وكونه الوسيلة الكبرى لكل سعادة والباب الاعظم لكل كرامة صلى الله عليه وسلم ولا محالة أن هذا أبلغ وأدخل فى التبرك والتيمن فى مثل هذا المحل وبه تكون هذه الجملة مفيدة لما أفادته الجملة قبلها من تحقيق التوحيد بالوجه الاكمل وقد عدوا من المواضع التى تستحب فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم صدور الرسائل وما يكتب بعد البسملة قالوا ولم يكن هذا فى الصدر الأول وانما أحدث عنه ولاية بنى هاشم فمضى به عمل الناس فى أقطار الأرض ومنهم من يختم به الكتب أيضا أنظر الشفاء للقاضى أبى الفضل عياض رضى الله عنه وفى الحديث من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تصلى عليه مادام اسمى فى ذلك الكتاب قال العارف بالله فى حاشيته على دلائل الخيرات ويحتمل بالكتابة وهو أظهر وبالقراءة وهو أوسع وأرجى والله أعلم وقد حاز المتصدون لكتابة الحديث وقراءته من هذه الفضيلة ما لم يحزه غيرهم وتذكر حكاية الجار الذى رأى جاره النساخ فى النوم وما أجابه به عن سؤاله إياه والله ذو الفضل العظيم (وصلى) من الصلاة والصلاة اسم يوضع موضع المصدر ولا يقال تصلية ولعله فرارا من صليت الشيء فى النار تصلية وفى القاموس صلى صلاة لا تصلية دعا اه (ومعنى سيدنا) قال الشيخ زروق من له السودد علينا والسودد الشرف الكامل قال

أطعنا سادتنا وكبراءنا الآية» وأما الجامدون من الفروعية فانهم يعتقدون الاحاطة بالشريعة وينكرون على من ترك طريقهم وتتبعهم العوام على ذلك والاحاطة بالشريعة متعذرة فان الطرق الى الله بعدد أنفاس الخلائق والفقه فى اللغة الفهم ولا يكون إلا فى القرآن والحديث وحقيقة الفقه هو ما أدى لترك الدنيا وطلب الآخرة وأما المتعمقون فى الأعمال ففتنهم الشيطان برؤية أعمالهم فعظمهم الناس فهم يبغضون الفقير لأن الفقراء لا يتصنعون فمن لم يحذق فى العلوم ولا حفظ الأحاديث النبوية والسنن المأثورة واشتغل بما لا يعنيه أنكر عليهم بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه انتهى وفى كتاب الطرائف والتلائد الناس بالنسبة الى الانكار وضده على هذه الطائفة ثلاثة محب ومبغض وخال منهما أما المبغض فلا ينفع فيه البيان وموجب بغضه اما لأنه محب للدنيا مشتغل بها عن الله تعالى يعادى أهل الآخرة بطبع نفسه فهو أبدا يحتقر أولياء الله ويقع فيهم وفى مثله يقول ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى

أهل المناصب فى الدنيا ورفعتها *
أهل الفضائل مرذولون عندهم
قد أنزلونا لأنا غير جنسهم *
منازل الوحش فى الاهمال بينهم
ياليتنا قد قدرنا أن نعرفهم
مقدارهم عندنا أو قدر رأوهم

واما لانه متوسم بظاهر طريق رأى أثر النعمتين الظاهرة والباطنة فثار من قلبه ثائر الحسد لما جبلت الطباع عليه من حسد من كان مماثلا أو مشاركا فى صفة وفى بعض

يسمع أسرار العلوم وأرواح الحقائق فلا يجدها تنطبق عليها قوالب الالفاظ ولا بعض الظواهر بمقتضى حظه من الفهم فيأنف عن قبولها أو متصلح وقف مع ظواهر صور العبادات البدنية دون أسرارها ولم تفتح له أبواب المعارف ولا عرف العلوم القلبية والاسرار اللدنية وقف طبعه وكع عنها ادراكه وقال لعل هذا غير دين الله تعالى وعادى من ظهرت عليه وظن انه على غير هدى ولا اشكال ان العلوم الكبار لا تقبلها العقول الصغار فالطفل المرضع لا يعرف الطعام والشراب فهذه الطوائف يعز ايمانهم بأهل الطريق ومحبتهم لهم فأما المتفقهون والمتصلحون المنكرون بصدق وحسن نية وعدم هوى لكن لعدم اطلاعهم على ذلك وجهلهم بأهل الطريقة وعلوم الصوفية وأحوالهم كغالب أهل المغرب الاقصى فترجى لهم السلامة والعفو والرجوع لأول منبه ومرشد واما من أنكر بهوى وحسد وحب دنيا فهؤلاء يخشى عليهم بل قلما سلموا واما المحب غير الذائق والمنصف الخالى من الميل والهوى فيرجى لهما مزيد الخير وقوة الايمان انتهى . وقال سيدى زروق فى القواعد دواعى الانكار على القوم خمسة أولها النظر لكمال طريقهم فاذا تعلقوا برخصة أو برز منهم نقص ما أسرع الانكار اليهم لان النظيف يظهر فيه أقل عيب ولا يخلو الانسان من نقص الا بعصمة من الله أو حفظ الثانى رقة المدرك ومنه وقع الطعن على

بحيث لو قلنا انه سيد يملكنا فالنبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم اه وان قلنا سيد منا فهو سيد بنى آدم ولا فخر بعث فيهم من أنفسهم واستعمال لفظ السيادة فى الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عليه عمل من يرى أن الأولى سلوك الادب وقد حسنه غير واحد من الاعلام منهم الابى فى شرحه الامام مسلم وذكر يعنى الابى رحمه الله تعالى فى ذلك حكاية وهى أن طالبا اتفق له ان قال لا يزاد فى الصلاة لفظ سيد لانه لم يرد فنقمها عليه الطلبة وبلغ أمره للقاضى ابن عبد السلام فأرسل وراءه الأعوان فاختفى مدة حتى تشفع فيه صاحب الخليفة وحينئذ خلى سبيله ورأى أن تغيبه تلك المدة هو عقوبته اه (ومحمد) الاسم الشريف علم على نبينا صلى الله عليه وسلم سماه به جده عبد المطلب بالهام من الله تعالى رجاء أن يحمده أهل السماء والارض قال فى شرح الحصن واشتق له صلى الله عليه وسلم من الحمد اسمان وأحدهما يفيد المبالغة فى المحمودية وهو محمد والآخر يفيد المبالغة فى الحامدية وهو أحمد واشتهر الأول اشتهارا أكثر وخص بمقارنته لكلمة التوحيد لمناسبة المحبوبية اه فهو فى حقه صلى الله عليه وسلم دال على معنى هو وصف مدح وليس علما محضا كما فى حق غيره (قال) الزرقانى فى شرح المواهب اللدنية ما نصه قال ابن القيم إن محمدا علم وصفة فى حقه صلى الله عليه وسلم وان كان علما محضا فى حق غيره وهذا شأن أسماء الله تعالى أعلام دالة على معان هى أوصاف مدح فلا تضاد فيها العلمية الوصفية ولما كانت الاسماء قوالب المعانى ودالة عليها اقتضت الحكمة أن يكون بينها وبينها ارتباط وتناسب وأن لا تكون معها بمنزلة الأجنبى المحض الذى لا تعلق له بها فان حكمة الحكيم تأبى ذلك والواقع يشهد بخلافه بل للاسماء تأثير فى المسميات وللمسميات تأثير فى أسمائها فى الحسن والقبح والثقل واللطافة والكثافة كما قيل

وقلما أبصرت عيناك ذا لقب * الا ومعناه ان فكرت فى لقبه

اه وكما دل هذا الاسم الشريف بمعناه على ما هو وصف مدح فكذلك دلت حروفه الهجائية على ذلك أيضا (قال الشيخ ابراهيم الشبراخيتي) فى شرحه الاربعين النووية ما نصه قال أهل المعانى فى اسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الميم الأولى محو الكفر بالايمان ومحو السيآت أى سيآت من أتبعه أو منة من الله على المؤمنين به والحاء حكمة بين الخلق بحكم الله والميم الثانية ملكه الذى أعطاه الله تعالى ولم يعط لأحد قبله ولا بعده وذلك أنه قرن اسمه مع اسمه فى المشرق والمغرب والدال دليل للخلق على الحق فى الدنيا لأنه داعيهم الى الله تعالى ودليلهم فى الآخرة الى الجنة اه والآل المراد بهم أقاربه صلى الله عليه وسلم المؤمنون من بنى هاشم وقيل والمطلب وقيل ذريته وقيل أزواجه وقيل أتباعه وقيل أتقياء أمته قاله فى شرح الحصن وقد رد بعضهم هذه الاقوال إلى قول واحد بالتفصيل فقال آله صلى الله عليه وسلم فى مقام الزكاة المؤمنون من بنى هاشم أو المطلب على الخلاف فى ذلك عند الفقهاء وفى مقام المدح أتقياء أمته وفى مقام الدعاء كل مؤمن ولو عاصيا (وصحب) اسم جمع لصاحب أو مخفف عنه والصحابى هو من اجتمع مؤمنا بالنبى صلى الله عليه وسلم وان لم يرو عنه أو لم يطل اجتماعه به صلى الله عليه وسلم هذا الذى عليه جمهور المحدثين ونقل غير واحد عن أبى زرعة الرازى أنه صلى الله عليه وسلم توفى عن مائة ألف وأربعة عشر الفا كلهم رآه أو روى عنه وممن نقله الشيخ أبو الفيض زروق رضى الله عنه وقال بعده ذكره ابن القطان فى مراتب الصحابة وابن الاثير فى جامع الأصول اه (وأما السلام) فهو الأمان وطيب التحية (وجملة وصلى الله على سيدنا محمد)

خبرية لفظاً قصد بها إنشاء طلب الصلاة والسلام من الله تعالى على حبيبه صلى الله عليه وسلم قال العارف بالله تعالى فى حاشيته على دلائل الخيرات ما نصه قال بعض الحنفية والحكمة فى أن الله تعالى أمرنا أن نصلى عليه صلى الله عليه وسلم والتعليم وقع بطلب صلاة الله أنه عليه الصلاة والسلام طاهر لا عيب فيه ولا نقص وفينا العيب والنقص فكيف يثنى ذو العيب على من لا عيب فيه فسألنا الله تعالى أن يصلى عليه لتكون الصلاة من طاهر على نبى طاهر اه قال العارف بالله تعالى أثره ما نصه قلت ويحتمل أن يقال فى توجيه ذلك أن الحكمة فى ذلك عجز الخلائق عن الوفاء بما يستحقه من الخير والثناء لعدم قدرتهم وقصور علمهم عن الاحاطة بما هو عليه من الكمالات ولما كان ذلك معلوما منهم ردوا إلى سؤال ذلك من القادر على ما يشاء من الخيرات العالم على الاطلاق بكل الكائنات وبما دق وجل من الخفيات اه المراد منه وهو توجيه حسن ونظر فائق مستحسن جزاه الله خيراً ورضى عنه ثم قال رحمه الله تعالى :

( قال ابن بابا العلوى نسبه * المغربى المالكى مذهبه )

قال من القول وهو ابداء صورة المعنى المتكلم به نظما بمنزلة ائتلاف المحسوسات جمعاً قاله الحرانى اه بنقل المناوى وأتى بالفعل الماضى اما لتقدم المقول فى الوجود أو تفاؤلا أو إظهارا للرغبة فى حصوله أو لتنزيل ما عزم على الاتيان به منزلة ما أتى به وهو مما يدل على بعد همته ونفوذ عزمته ولا يضره ما يلزم على ذلك من الايذان بطول الأمل لأن الأمل كما قاله ابن الجوزى مذموم إلا من العلماء فلولا أملهم لما ألفوا ولا صنفوا وفى الأمل سر لطيف لأنه لولا الأمل لما تهنى أحد بعيش ولا طابت نفسه أن يشرع فى عمل وفى الحديث إنما الأمل رحمة من الله لأمتى ولولا الأمل ما أرضعت أم ولدها ولا غرس غارس شجرا رواه الخطيب عن أنس رضى الله عنه والمذموم من الامل الاسترسال فيه وعدم الاستعداد لأمر الآخرة فمن سلم من ذلك لم يكلف بازالته وورد فى ذم الاسترسال فى الأمل حديث أنس رفعه أربعة من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وطول الأمل والحرص على الدنيا رواه البزار قاله فى فتح البارى اه من فتح الرحيم على نصيحة ابن الوردى رحمه الله (وبابا) اسم والد الناظم رحمه الله واقتصر عليه دون ذكر اسمه لشهرته به فى جيله ولدى من يعرفه (والعلوى) نسبة لقبيلته ذوى على وهى قبيلة معروفة من قبائل شنجيط وهم ينتسبون إلى سيدنا محمد بن مولانا على كرم الله وجهه وقيل إلى على آخر هو جد القبيلة والقبيلة عند قائل هذا منسوبة إلى مولانا الحسن السبط رضى الله عنه هذا الذى سمعته من الناظم رحمه الله ( والمغربى ) نسبة إلى المغرب القطر المعروف وذلك لأن بلده شنجيط وهى أقصى المغرب (والمالكى) نسبة إلى عالم المدينة إمام دار الهجرة على مشرفها أفضل الصلاة وأزكى السلام إمامنا وإمام الائمة مالك بن أنس رضى الله عنه وأراد رحمه الله بهذا البيت التعريف بنفسه وجرى فى البداءة به على سنن المقتدى بهم فى تسمية أنفسهم أوائل تصانيفهم وإشاراتهم إلى ما يفيد التعريف بهم وبأنسابهم ومذاهبهم فى تآليفهم وذلك كما هو اللائق بحسن الظن بهم للاعتماد لا للافتخار فان الفائدة إذا عرف مفيدها عظم فى القلوب موقعها وفى ذلك فوائد أخرى يحتاج إلى معرفتها عند أهل النظر وهى على قسمين قسم يحتاج إليه داخل التصنيف وقسم لا يحتاج إليه إلا خارجه عند أهل التعريف ( فمن فوائد القسم الأول ) معرفة عقل المصنف ودينه ليعلم هل هو ممن يوثق بنقله ويعتمد عليه فى قوله أم لا ومنها معرفة مرتبته فى العلم وخصوصاً فى الفن المتكلم فيه ليعلم هل هو حجة فى ذلك الفن أم لا وذلك لان قول الحجة حجة ومنها معرفة مذهبه ليتمكن من قبول كلامه أورده أو تضعيفه أو تصحيحه أو

وذلك سبب إنكار حال من ظهر منهم بدعوى وإن قام عليها الدليل لاشتباهه الرابع خوف الضلال على العامة باتباع الباطن دون اعتناء بظواهر الشريعة كما اتفق لكثير من الجاهلين الخامس شحة النفوس بمراتبها إذ ظهور الحقيقة مبطل لكل حقيقة ومن ثم أولع الناس بالصوفية أكثر من غيرهم وتسلط عليهم أصحاب المراتب أكثر من سواهم وكل الوجوه المذكورة صاحبها مأجور معذور إلا الأخير والله أعلم وقال فى قاعدة أخرى إنكار المنكر إما أن يستند لاجتهاد أو لحسم ذريعة أو لعدم التحقيق أو لضعف الفهم أو لقصور العلم أو لجهل المناط أو لانبهام البساط أو لوجود العناد فعلامة الكل الرجوع إلى الحق عند تعيينه إلا الاخير فانه لا يقبل ما ظهر ولا تنضبط دعواه ولا يصحبه اعتدال فى أمره انتهى المراد منه وفى فرائد الفوائد قال سيدى زروق وعلامة المنكر عنادا للتشنيع واتساع الدعوى وعدم انضباط الحجة والهروب من مواطن التحقيق المؤدى لابطال دعواه وما آله إلى الهلاك لان الله تعالى يغار لحرمتك جناب من انتسب لجنابه بمجرد الدعوى بل بمداخلته ومن ثم تضرر كثير من المنكرين مع قيامهم بالحق فاحذر جهدك ولا تأخذ إلا بما بان رشده مسلماً لما لا تعلمه والسلام انتهى فاذا تمهد هذا فاعلم أيها الناظر أن لكل شىء ميزان



يظهر به الحق من الباطل ومحكا يعرض عليه الحال بالصدق من العاطل

وأعرضه على المحك الذى قدمناه يظهر لك وجه مقصده السقيم وبه تحكم عليه بالدخول فى زمرة المبطلين وأنه متبع هوى ليس على هدى بل هو فى ضلال مبين ثم إن حاصل إنكاره تكفير وتبديع ركب فى إثبات كل منهما أقبح طرق التشنيع أما التكفير ففى قوله سامحه الله تعالى .

وأنكروا إعادة الأجسام

من عهد آدم وعهد سام ثم إن كان معنى الايمان بالاعادة الاعتقاد الجازم أن قوله تعالى «وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً» وقوله تعالى « قل يحييها الذى أنشأها أول مرة » مطابق لما فى نفس الأمر لا يتخلف مع القطع بأن المعاد هو الجسم الذى جرت عليه الطاعات والمعاصى كما استدل عليه الأئمة بالاجماع ومع التوقف عن القطع بكون الاعادة عن عدم أو عن تفريق كما هو المختار عند إمام الحرمين والسنوسى لعدم ورود نص بأحدهما وعلى كل فالمولى تبارك وتعالى قادر على إيجاد الشىء بعينه بعد إعدامه وأجرى جمعه بعد تفريقه شذر مذر إذ محال أن يكون ممكنا ثم إذا وجد وعدم صار مستحيل الوجود كما أشار إليه قوله تعالى «يحييها الذى أنشأها أول مرة» فنحن مؤمنون والحمد لله وإن كان للايمان بالبعث معنى آخر أكمل مما عندنا فليفدنا به وغايتنا أن نكون جهالا لا منكرين إذ بين الجهل والانكار بون فان قال لستم بصادقين قلنا له الايمان أمر باطنى لا يعلم إلا بما ظهر على الجوارح

تشهيره أو ترجيحه أو نحو ذلك ( ومن فوائد القسم الثانى ) التعرض لدعاء داع أو ثناء مثن أو وداد أخ اه قاله المحقق اليوسى رحمه الله تعالى ( قلت ) وفى هذه الفوائد ما لا يخفى من البركات المأثورة والخير المتزايد (أما التعرض لدعاء داع) فانه من أجل ما يعتنى به اللبيب وأفضل ما يهتم به الأريب لأنه من مظان الاجابة لما ورد من أن دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة ( وأما الثناء ) فكذلك ويكفى أنه مما يستوجب به العبد الجنة بفضل الله تعالى لحديث من أثنيتم عليه خيراً وجبت الحديث ولا سيما إذا كان الثناء من أهل الخير كالعارفين والصديقين لما ورد أن شخصا مات على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد الناس كلهم فيه بالشر إلا أبا بكر الصديق رضى الله عنه فأوحى الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم ان الذين شهدوا فى فلان بالسوء صادقون ولكن الله تعالى أجاز شهادة أبى بكر تكرمة له اه ذكره الشعرانى فى الميزان وفيه أن الثناء من أهل الكمال ترجى بركته على كل حال (لطيفة) ومن هنا يرجو بعض الناس بركة التحلية من أهل الخير والصلاح ويحصل له بها السرور والانشراح وربما يستأنس فى هذا بما ذكره الفخر الرازى رحمه الله تعالى فى تفسيره على قوله سبحانه وتعالى «هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين — الآية » كيف سماهم الحق تعالى ضيفا ولم يكونوا قال الفخر نقول لما حسبهم إبراهيم عليه السلام ضيفا لم يكذبه الله تعالى فى حسبانه إكراما له ( وأما التعرض ) لوداد الأخ فى الله فانه من أخلاق الصالحين ومن مكارم الأخلاق التى تدل على لطف الشمائل وطيب الاعراق ولا يخفى ما فيه من الفضل وفى الحديث رأس العقل بعد الايمان بالله تعالى التودد إلى الناس (واسم الناظم ) رحمه الله تعالى التجانى سماه به والده على ما أخبرنى به عن نفسه تبركا باسم سيدنا الشيخ رضى الله عنه وذكر لى رحمه الله أن له أخوين اسم أحدهما الشيخ واسم الآخر أحمد قصد والدهم حصول بركة التسمية باسم الشيخ رضى الله عنه لجميعهم وهذا مما يشهد لعظيم محبته فى جانبه وكمال تعلقه به رضى الله عنه والتسمية بأسماء الأنبياء والصحابة والأولياء من السنن الواضح المعروف قديماً وحديثا ( وفى الحديث ) ولد لنا الليلة ولد فسميته بأبى إبراهيم عليه السلام ولما نزل قوله تعالى « يا أخت هرون — الآية » قالوا يا رسول الله كيف تكون أخت هرون وبينهما دهر طويل فقال عليه الصلاة والسلام إنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم أى فهو هرون آخر مسمى باسم هرون النبى عليه السلام ( واسم والده ) بابا حسبما تقدم مصرحا به فى النظم وكان عالما ناسكا فاضلا مشاراً إليه فى بلده وجيله ملحوظاً بعين التعظيم فى معشره وقبيله وأخبرنى ولده الناظم رحمه الله أن له شرحا على التحفة العاصمية وتكملة التكملة للديباج انتهى فيها إلى ذكر أهل القرن الثانى عشر فترجم للشيخ التاودى بن سودة والشيخ أبى حفص الفاسى وغيرهما وأخذ طريق الشيخ رضى الله عنه عن قريبه العلامة الكبير القدوة الشهير سيدى محمد الحافظ العلوى وهو ابن نحو عشرة أعوام وهذه إحدى المزايا التى كان يلحظ من أجلها عند الخاصة من أهل الطريق وبالجملة فبيت الناظم رحمه الله بيت علم وفضل لأنه من ذرية علامة شنجيط سيدى الطالب العلوى الشهير الذكر ببلدهم ومن أولاده العلامة سيدى عبد الله بن الطالب كان قرأ على الشيخ أبى الحسن الأجهورى فكان أعلم أهل زمانه وإليه المرجع فى إقليمه فالناظم رحمه الله التجانى بن بابا بن أحمد بيبا بن عثمان بن عبد الرحمن بن الطالب المذكور حسبما هو عندنا بخط يده وكانت له اليد الطولى فى العلم وخصوصا فى فن السير والفقه والأصول والبيان والنحو والتصريف واللغة والمنطق والعروض وأشعار العرب وأيامها وغير ذلك من الاخبار والنوادر وأما التصوف فقد رزق من

الذوق الغريب فيه ما يشهد له بالتقدم التام وستقف فى نظمه هذا على بعض الرشحات والدقائق التى تحار فى دركها الأفهام مع إفراغه ذلك فى قوالب القواعد العلمية ستراً لما له مع الله تعالى من أحوال الخصوصية وله نظم ذكر فيه أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وبنيهن منه عليه السلام وما لبناته من بنين وبنات أيضا قرأناه عليه وكتبنا عليه من إملائه فى مواضع منه وكتب لنا بخط يده فى مواضع من هوامشه كذلك أيضا وأذن لنا فى شرحه وقد قيدنا عليه بحسب ما تيسر لنا فى الوقت وله عليه شرح نفيس فى مجلد أبدع فيه غاية ولم يمكنا كتبه لاستعجاله وله أرجوزة نظم فيها الورقات للشيخ أبى المعالى إمام الحرمين رحمه الله تعالى وله رحلة التزم فيها ذكر من لقيه من الأعلام فى وجهته لبيت الله الحرام وابتدأ بأشياخه الذين قرأ عليهم ببلده كوالده ووالدته وغيرهما رأيتها عنده وقد كمل منها مجلد وذلك قبل أن يجتاز ببلاد الواسطة والجريد وتونس والبلاد المشرقية وله هذه المنظومة المباركة نظمها بزاوية عين ماضى أيام إقامته بها بأمر من سيدنا العالم الفاضل الناسك العارف بالله تعالى أبى المواهب سيدى محمد الحبيب نجل سيدنا ومولانا الشيخ رضي الله عنه وقد أومأنا إلى بعض ذلك فى طالعة الكتاب (وأخذ الطريقة) عن العلامة الأوحد الفاضل الأمجد أبى عبد الله سيدى محمد المدعو محمد الملقب بالخليفة لقيامه بالخلافة فى إعطاء الطريق بعد وفاة شيخه سيدى محمد الحافظ رضى الله عنه وله خمسة جدود كل واحد منهم أعلم أهل زمانه وهم أبوه سيدى عبد الله بن سيدى أحمد الفخ بن سيدى محمد بن سيدى عبد الله المعروف بالقاضى وهو الذى تقدم لنا أنه قرأ على الشيخ الأجهورى ابن علامة شنجيط سيدى الطالب المتقدم الذكر وفيه يجتمع نسبه مع الناظم رحمه الله تعالى وقد تقدم لنا ذكر كيفية تلقينه إياه وما عامله به من الاعتناء فى ذلك وكان لهذا السيد على ما أخبرنى به الناظم رحمه الله باع فى العلوم وله فى مدح شيخه الحافظ ومولانا الشيخ رضى الله عنه قصائد كثيرة وكان يقال له حسان الطريق لقوله فى قصيدة يمتدح بها الشيخ رضى الله عنه ويرد على المنتقدين على أهل طريقتنا

وإنى لحسان الطريق وأهلها * أذود أبا جهل النكير وأزجر

وكان الناظم رحمه الله تعالى من أعاجيب الدهر فى الذكاء والفطنة ومكارم الأخلاق وحسن الشيم وعلو الهمة عن الخلق والتجافى عن سفساف الأمور مع ما هو عليه من الجد والاجتهاد فى طاعة رب العباد وكان اجتيازه بنا بمكناسة الزيتون عام سبعة وخمسين ومائتين وألف ومكث عندنا ثلاثة أشهر صحبناه فيها وذاكرناه واستفدنا منه ما نرجو الله تعالى أن ينفعنا به فى الدين والدنيا والآخرة بفضله وكرمه (وكانت وفاته) رحمه الله تعالى أوائل العشرة التى بعد الستين ومائتين وألف وذلك قبل وفاة والده بما يزيد على العشرة أعوام بالمدينة المنورة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام ﴿تكميل﴾ ما قدمناه من الخلاف فى نسبة قبيلة الناظم رحمه الله تعالى سمعنا منه ما يرجح القول الثانى وأن النسبة إلى على جد القبيلة وهو من ذرية مولانا الحسن بن مولاتنا فاطمة الزهراء رضى الله عنهما ونفعنا بمحبتهما وذلك أنه أخبرنى مراراً بأنه وجد أهله وأقاربه ينتسبون إلى سيدى محمد بن الحنفية نجل مولانا على كرم الله وجهه وكان والده يسر اليه أنهم من أولاد مولانا الحسن وأن النسبة المذكورة هى إلى على أحد أجدادهم لا غير وكان الناظم رحمه الله لا ينفك عن التردد فى ذلك فى باطنه حتى رأى ذات ليلة فيما يرى النائم كأنه دخل إلى بستان وإذا فيه نهر ماء يجرى وإذا إلى جانب النهر حوض يجتمع فيه الماء وامرأة تتوضأ من ذلك الحوض كاشفة عن ساقيها حاسرة عن بعض أعضائها كما هى حالة المتوضىء وإلى جنبها شابان واقفان ينظران

---

الحكم للجنس بحكم النوع * من خطأ البرهان عند نوع * وأخذ غير مجرم بجرم * ظلم وذو الظلم غداً فى الظلم * ثم يجرى مثل

---

ونحن ناطقون وإنما يجب الحكم بالظواهر والله يتولى السرائر وأيضا موجب تكذيبه لنا إن كان وقوعنا فى المعاصى المقتضى لنقص إيمان صاحبه بالآخرة فهذا ليس خاصا بنا وإن كان كوشف بأن أسرارنا والعياذ بالله تعالى على خلاف دعوانا فليأت ببرهان ثم إن أراد بقوله وأنكروا أن التجانى وجميع آخذى ورده فهذا والحمد لله زور واضح عند جميع سكان هذه البلاد وإن كان يعنى به شخصا معينا أو أشخاصا ثبت ذلك عنهم بالبينة المعتبرة على وجه لا يمكن تأويله فالشيخ وأهل ورده برآء منه فكيف يحكم عليهم بذلك وماذا يضر هذا المنكر لو عين هذا الشخص أو الأشخاص ولم يخف فى الله لومة لائم وأتى ببينة على دعواه شارحة للانكار الذى يكفر به موضحة لمعناه إذ قيل

والدعاوى ما لم تقيموا عليها
بينات أبناؤها أدعياء

يستبرىء لدينه وعرضه ويسلم من الوقوع فى نهيه صلى الله عليه وسلم كفوا عن أهل لا إله إلا الله لا تكفروهم بذنب فمن كفر أهل لا إله إلا الله فهو إلى الكفر أقرب ويسلم من فضيحة نفسه بين الخاص والعام لحكمه لجنس التجانيين الشامل لبعض الأولياء وجهابذة العلماء الأعلام كشيخنا الحافظ والطالب جد والسالك بن الامام وغيرهم كما هو ضرورى عند العوام بحكم نوع منه فى زعمه خرج عن الاسلام هبه صادقا أليس من المقرر عند المناطقة وأهل الكلام صدق هذا الكلام

هذا كله فى قوله * من ذاك جعل وردهم رضاعا * والله تعالى أعلم وينبغى للمنصف إذا بلغه مثل هذا أن يقول ماقال الامام السنوسي رحمه الله تعالى قد ابتلينا بأقوال باطلة تنسب لأئمة السنة إلى آخر كلامه وقد قدمناه فى خاتمة الباب الأول وأما ماذكر من التبديع فبمجرد الوقوف على ردنا عليه يعلم انتفاؤه عنا بمشيئة الله تعالى ويعلم ماهو عليه من التصميم على الفرار من مواطن التحقيق حرصا على تحقيق دعواه وما يضره لما سمع بهذه البدعة على زعمه وكان قصده نصح المسلمين لو فعل ماكان يفعل الامام الشعرانى رحمه الله تعالى فيما حدث به عن نفسه مما من الله به عليه من حضوره درس من سمع بشبهة فى إيمانه من العلماء ويداوم على حضوره حتى يزيل تلك الشبهة بحيث لايشعر هو ولا أحد من طلبته عن ذاك العالم ثم يترك حضوره ولو كان من أهل هذا الطريق لعلم أن مبناها على الظن الحسن عند موجبه وإن ظهر معارض كما لزروق فى القواعد ولو أراد الله توفيقه لقيض له واعظا من نفسه يبصره بعيوب نفسه فيشغله بذلك عن عيوب إخوانه المسلمين فقد ذكر رجل عند الربيع بن خيثم فقال ما أنا عن نفسى براض فأتفرغ منها إلى أن أذم غيرها وقال الشعرانى قال أخى أفضل الدين لو كشف للانسان لرأى ذاته كلها عيوبا ضم بعضها إلى بعض فصارت صورة آدمى انتهى ولبعضهم

لنفسى أبكي لست أبكى لغيرها ... لنفسى فى نفسى عن الناس شاغل وفى الحديث من تتبع عورة أخيه المؤمن

اليها فوقع فى باله أنها ليست بذات محرم منه فلا يحل له أن ينظر اليها فأراد أن ينحرف عنها فأشارت اليه أن تقدم فزال عنه كونها ليست بذات محرم فتقدم إلى أن دنا منها ثم استيقظ. فقص رؤياه على بعض من كان مشهوراً بالتعبير ببلدهم فقال فى تعبيرها لعل لهذا الرائى نسبة إلى مولاتنا فاطمة الزهراء رضى الله عنها وهذه الرؤيا تحققها حيث لم تستتر منه والشابان الحسن والحسين وقد دعته إلى الدنو منهما هذا ملخص ماعبر به المعبر فسر الناظم بذلك وزال عنه ذلك التردد فيما كان يسره اليه والده لكنه بقي فى الظاهر على ماعليه عامة الناس فى ذلك كما هى عادة أهل الفضل والدين فى عدم التظاهر بالأنساب والتفاخر بها ميلا منهم إلى ماهو شعار السلف الصالح من عدم التميز عن أبناء الجنس وترك كل مايشير إلى الرضا عن النفس رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم آمين ثم قال رحمه الله تعالى

( الحمد للجاعل الأولياء * ورثة الكل الأنبياء )
( والجاعل النبي خير الأنبيا * وشيخنا أحمد خير الأوليا )
( حمداً يدوم بدوام النعم * على الخلائق وكل مسلم )

لما افتتح الناظم رحمه الله تعالى منظومته هذه ببسم الله الرحمن الرحيم افتتاحا حقيقياً وهو الذى لم يسبقه شىء افتتحها أيضاً بالحمد افتتاحا إضافيا وهو الذى يتقدم أمام المقصود سواء سبقه شىء أم لا لما فى بعض رواية الحديث السابق كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله وفى رواية كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله الحديث وإنما لم يعكس فيجعل الافتتاح الحقيقى بالحمدلة لقوة حديث البسملة ولموافقة الكتاب العزيز (والحمد) لغة الثناء بالجميل سواء تعلق بالفضائل أو بالفواضل والفضائل جمع فضيلة وهى الصفات والفواضل جمع فاضلة وهى الأفعال فالمراد كما عبر به بعضهم الثناء على المحمود بأفعاله الجميلة وأوصافه الحسنة الجليلة وعرفا فعل ينبىء عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما على الحامد أو غيره (والشكر) لغة هو الحمد عرفا واصطلاحا صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من سمع وبصر وغير ذلك إلى ماخلق لأجله (والكلام فى هذه الحقائق) باعتبار مابينها من النسب وغير ذلك مما يتعلق بها شهير واضح وليس من غرضنا التطويل به فى هذا المحل (وأل) فى الحمد للجنس ويعبر عنها بلام الحقيقة فتفيد قصر الحمد على الله تعالى لدلالتها على استحقاقه جل وعلا جميع المحامد القديمة والحادثة لأن القديمة وصف القائم بذاته المقدسة والحادثة خلقه وقيل للاستغراق وقيل للعهد (قال) الشيخ إبراهيم الشبراخيتى فى شرح الأربعين النووية مانصه حكى عن الشيخ أبى العباس المرسى رضى الله عنه أنه قال قلت لابن النحاس النحوى ما تقول فى الألف واللام فى الحمد لله أجنسية هى أم عهدية قال ياسيدى قالوا إنها جنسية فقلت الذى أقول إنها عهدية وذلك أن الله تعالى لما علم عجز خلقه عن كنه حمده حمد نفسه بنفسه فى الأزل نيابة عن خلقه قبل أن يحمدوه ثم أمرهم أن يحمدوه بذلك الحمد فقال ياسيدى أشهدك أنها عهدية قال الشبراخيتى وهو معنى حسن (واللام) الجارة فى قوله للجاعل ليست لام علة وإنما هى للعاقبة وهى داخلة على اسم الجلالة المقدر موصوفا للجاعل ولم يقدر بغيره من الأسماء الحسنى لأن الاسم الله تبارك وتعالى جامع لسائر الأسماء والصفات فيفيد الكلام أن الحمد مستحق له تبارك وتعالى لذاته لأنه لو قدر بالخالق أو الرازق مثلا لأوهم الكلام أن الحمد مستحق له سبحانه لكونه خالقا أو رازقا (والجاعل) اسم فاعل جعل وهو هنا بمعنى صير وفيه معنى التشريف كما فى قوله تعالى «جعلناكم أمة وسطا» وقوله تبارك

وتعالى «جعل الله الكعبة البيت الحرام - الآية» حسبما مثل له بذلك صاحب القاموس (وجعل) بهذا المعنى يتعدى إلى مفعولين ففاعله الضمير العائد على لفظ الجلالة المقدر وهو مضاف إلى مفعوله الأول الذى هو الأولياء ومفعوله الثانى ورثة وسبك البيت على هذا التقدير الحمد لله الجاعل الأولياء الكرام ورثة الأنبياء الكمل عليهم الصلاة والسلام (ثم الحمد) على قسمين مطلق ومقيد فالمطلق هو الذى لايدل إلا على حمد الذات العلية مجرداً نحو الحمد لله والمقيد هو الذى يدل على حمد الذات المقدسة لأجل شىء كالرحيم والخالق والرازق ونحوها (واختلف) الأئمة رضى الله عنهم فى الأفضل والذى عليه إمامنا مالك رضى الله عنه أن المقيد أفضل من المطلق والمقيد بالاثبات أفضل من المقيد بالنفى والدليل عنده على أفضليته كثرة وروده فى القرآن وكونه يثاب عليه ثواب الواجب لأن الغالب وقوعه فى مقابلة نعمة وفضل الامام الشافعى المطلق لصدقه على جميع المحامد ذكره بعض محققى المالكية فى شرحه للرسالة ومنه يعرف أن الناظم رحمه الله تعالى أتى بما هو الأفضل فى مذهبه فانه قيد الحمد للذات العلية جل وعلا بجعله سبحانه وتعالى أولياء هذه الأمة ورثة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبجعله نبينا صلى الله عليه وسلم خير الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين وبجعله شيخنا الخاتم المحمدى الأشهر خير الأولياء رضى الله عنهم على ماسيقرر قريبا بحول الله تعالى ويظهر فأتى فى هذه الصيغة بالحمد المقيد وأتى من نوعى المقيد بالمقيد بالاثبات (وهذه) إحدى النكت التى من أجلها صرح بانتسابه إلى مذهب الامام فى البيت قبل هذا فتفطن لذلك واعرف للناظم قدره (والأولياء) جمع ولى (قال) الأستاذ القشيرى فى رسالته للولى معنيان أحدهما فعيل بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول فعلى هذا هو من يتولى الله سبحانه أمره قال تعالى «وهو يتولى الصالحين» فلا يكله لنفسه طرفة عين بل يتولى الحق سبحانه رعايته والثانى فعيل مبالغة من الفاعل وهو الذى يتولى عبادة الله تعالى فطاعته تجرى على التوالى من غير أن يتخللها عصيان وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولى وليا يجب قيامه بحقوق الله على الاستقصاء والاستيفاء ودوام حفظ الله إياه فى السراء والضراء نقله فى الجيش الكبير وكذا الزرقانى فى شرح المواهب اللدنية وقال بعده وهو يعنى الولى من أسماء الله تعالى وهو الولى الحميد ولعله أعنى صاحب المواهب رضى الله عنه لمح بهذا إلى ماقاله الشيخ محيى الدين فى الفتوحات المكية (ونصه) لما أغلق الله عز وجل باب الرسالة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك من أشد ماتجرعت الأولياء مرارته لانقطاع الوصلة بينهم وبين من يكون واسطتهم إلى الله تعالى فرحمهم الله سبحانه وتعالى بأن أبقى عليهم اسم الولى الذى هو من جملة أسمائه تعالى وان كانت الحقيقة مختلفة جبراً لمصيبتهم وأراد بالأنبياء مايشمل الرسل عليهم الصلاة والسلام إنما عبر بالأولياء ولم يعبر بالعلماء كما هو لفظ الحديث الثابت عنه صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الأنبياء الحديث لأن المراد بالعلماء فى الحديث أولو الخشية الراسخون فى العلم قاله بعض الشراح ودليله من القرآن واضح ولامحالة أن العلماء الموصوفين بالخشية لله تعالى والراسخ فى العلم هم الأولياء إذ العلماء على الحقيقة هم الأولياء لكن لما كان الزمان صالحا وكان الغالب على العلماء الاجتهاد فى العمل بالعلم كأنه أراد بلفظ العلماء الأولياء وحيث صار أمر الزمان إلى ماصار اليه فصار الغالب تخلف العالم عن العمل اختص العاملون بالعلم باسم الأولياء إذ لامعنى للولى إلا العالم العامل بعلمه وجرى على من عداهم اسم العلماء فلهذا احتاج الناظم رحمه الله الى التعبير



فحكم عليهم بأنهم ليسوا صالحين لرحمة الله تعالى وفضله وفى ذلك تضييق وتحجير لهما وقد قال صلى الله عليه وسلم للاعرابى الذى سمعه يقول اللهم ارحمنى وارحم محمدا ولا ترحم معنا أحدا ياهذا ضيقت واسعا ولم يسعه أن يقول ماقال العبد الصالح ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا وفى الحديث حسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ونسى ما ورد فى موالاة المسلمين ومناصرتهم وحسن الظن بهم ففى الحديث خصلتان ليس فوقهما شىء من الخير حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شىء من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله تعالى وقال سيدى على الخواص لم يكلف الله عبداً بالتجسس على عيوب اخوانه وانما أمر بالستر وفى العهود المحمدية قال النووى يجب على الطالب أن يحمل اخوانه على المحامل الحسنة فى كل كلام يفهم منه نقص إلى سبعين محملا قال ولا يعجز عن ذلك إلا قليل التوفيق وقال عمر رضى الله تعالى عنه لاتظن بكلمة خرجت من فى امرىء مسلم شرا وأنت تجد لها فى الخير محملا انتهى وقال ابن حجر صرح أئمتنا كالرافعى فى العزيز والنووى فى الروضة والمجموع وغيرهما بأن المفتى إذا سئل عن لفظ يحتمل الكفر وغيره لا يقول

هو مهدر الدم أو يقتل أو نحو ذلك بل يقول يسأل عن مراده فان فسره بشىء عمل به انتهى . وفى المناوى وعدة المريد قال أبو بكر بن

ظهرت منه انتهى . وقال الشعرانى فى لطائف المنن ولم أزل أؤول للقوم ما صح عنهم وأنفى عنهم مالم يصح أدبا مع الله تعالى وأخذاً بالاحتياط وأؤول قول الحلاج

* على دين الصليب يكون موتى *

بأن مراده أنه يموت على دين نفسه الذى هو الاسلام وأشار أنه يموت مصلوبا وكذلك مات رحمه الله تعالى انتهى ولنقتصر على هذا القدر المذكور هنا ولنثن عنان القول على رد ماصدر منه من فحش وخنا فأقول معتصما بالله مستجيراً برسول الله صلى الله عليه وسلم متوسلا بأكابر أوليائه أن يهدينى فى سبيل الجواب إلى سوائه فانه لاحول ولا قوة إلا بحوله وقوته

﴿ فصل ﴾ أما قول هذا المنكر المفتون أقال الله عثرته وما ادعوا من أخذ هذا الورد عن الرسول يقظة لا يجدى إذ لم تحقق فى اللقاء الدعوى ولم تنل كرامة بطغوى ولم يرد عن النبى المصطفى لقياه يقظة بنور ما انطفى فحاصله نفى رؤيته صلى الله عليه وسلم فى اليقظة وعدم تحقيق دعوى الشيخ رؤيته وأخذ الورد عنه أما الاول فيرده ماتقدم فى الباب الرابع فليراجعه المنصف هناك واصلنا جواب المنكر على ما أجاب به من ذكرنا هناك من أكابر العلماء كالغزالى وابن العربى وابن أبى جمرة وابن الحاج وابن حجر والسيوطى وغيرهم

بلفظ الأولياء فليس فى تعبيره مخالفة للحديث الشريف وانما فيه بيان القصد منه وهذا أيضا من الطائفة رحمه الله تعالى ورضى عنه ونفعنا ببركاته آمين وقد عقد العارف بالله تعالى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى اليواقيت والجواهر لهذه المسئلة مبحثا حققها فيه غاية التحقيق وهو المبحث السابع والأربعون فى مقام الوارثين للرسل عليهم الصلاة والسلام من الأولياء رضى الله عنهم قال فيه نقلا عن الشيخ محيى الدين رضى الله عنه اعلم أن ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم العلماء والأولياء فالأولياء حفاظ الاحوال والأحكام الباطنة التى تدق عن الافهام والعلماء حفاظ لأحكام الظاهرة التى تفهم ببادىء الرأى وقد يرث هؤلاء أيضا الأنبياء فى الأحوال الباطنة كما كان عليه السلف الصالح فكانوا أولياء علماء فلما تخلف الناس عن العمل بكل مايعلمون سموا علماء فقط وسلبوهم اسم الولى وإلا فالعلماء حقيقة هم الأولياء فعلى ما عليه الناس اليوم كل ولى عالم بلا شك وليس كل عالم وليا لأنه قد يتخلف عن مقام العمل بما علم يريد وإذا تخلف عن العمل فليس هو من العلماء الوارثين للأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذ لا ينتقل الشىء الموروث للوارث إلا بالصفة التى كان عليها عند الموروث منه والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أعلم الخلق بالله تعالى وأتقاهم وأخشاهم له سبحانه بلا شك فيتحصل من هذا الذى نقله فى اليواقيت والجواهر عن الشيخ محيى الدين أن الوارثين للرسل عليهم الصلاة والسلام هم حفاظ الأحوال والأحكام الباطنة وهؤلاء يختصون باسم الأولياء وأولياء علماء حسبما تقدم ولا اشكال وحفاظ الأحكام الظاهرة لكن بشرط العمل بما علموا إذ هم بالعمل بما علموا يصيرون من حفاظ الاحوال والاحكام الباطنة أيضا كما كان عليه السلف الصالح وهؤلاء علماء أولياء وان اختص بهم اسم العلماء لشمول لفظ الاولياء لهم بعموم حقيقة الولاية وهى أعنى حقيقة الولاية منة تقدمتها خدمة وكان سيدنا الشيخ رضى الله عنه يقول فى حقيقتها محض منة تقدمها محض خدمة وهو من التحقيق بالمكانة التى لا تجهل عند من أنصف فافهم وقوله (والجاعل النبى) الخ عطف على ماقبله أى والحمد لله الجاعل النبى صلى الله عليه وسلم الخ وكذا قوله (وشيخنا الخ) عطف على ماقبله أيضا أى والجاعل شيخنا الخ والنبى المراد به نبينا الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم فأل فيه نائبة عن الضمير والتقدير كما يدل عليه السياق والجاعل نبينا خير الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام والشيخ اما مصدر شاخ يشيخ شيخا وصف به كعدل ورضا أو صفة كسيد فخفف سمى شيخا لما جمع من كثرة المعانى المقتضية للاقتداء به لا لكبر سنه قال الراغب وأصله من طعن فى السن ثم عبروا به عمن كثر علمه إذ شأن الشيخ أن تكثر تجاربه ومعارفه اه بنقل منوى ( وأحمد ) هو اسم شيخنا وأستاذنا الخاتم الأكبر مولانا أبى العباس التجانى الحسنى الموضوع هذا النظم فى بيان ورده وما يتعلق به وكون نبينا صلى الله عليه وسلم خير الانبياء والمرسلين وسيد الخلائق أجمعين مما لا يحتاج فيه عند أهل الملة الاسلامية إلى بيان ولا يتوقف فيه على اقامة دليل وبرهان لما تقرر فى جميع عقائد أهل الايمان من الاتفاق والاطباق على أنه صلى الله عليه وسلم أفضل من كل مخلوق على الاطلاق (قال) مجدد السنة والدين الشيخ جلال الدين السيوطى رضى الله عنه ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم تفضيله على جميع العالمين من الانبياء والمرسلين والملائكة أجمعين ( ثم حكى ) عن بعض أئمة المفسرين الاجماع على ذلك قال واستثنوه من الخلاف فى تفضيل الملك على البشر وذكر المحقق الشيخ سيدى محمد بن شيخ الاسلام سيدى عبد القادر الفاسى رضى الله عنهما

ممن أثبتها وعلى الشعرانى وغيره ممن نقلها عمن وقعت له من الكل فلا نطيل بذلك «فلا تعاود حديثا إن طبعهم موكل بمعاداة المعادات»

عن بعض العارفين بالله تعالى فى قوله عزوجل « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض - إلى - ورفع بعضهم درجات » ذلك البعض هو الحقيقة المحمدية قال إذ قد تحققنا كشفا وثبت لدينا سمعا أنه أول نور بدا إذ كان عليه السلام أول متلق من حضرة الوجوب بل لا متلقي على الحقيقة إلا هو فكان له صلى الله عليه وسلم حيثيتان حيثية ابتدائية وبها حصل له الكمال الاختصاصى المتوحد وحيثية انتهائية وبها حصل له الكمال المتكثر الذى انقسم على الحقيقة النبوية وله صلى الله عليه وسلم الحظ الأوفر الجامع بين كمالاتهم كلهم فمن حيث الكمال الاختصاصى كان رسولا لجميع العالم وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين كنت نبياً وآدم بين الماء والطين ومن حيث كمال علمه الجمعى الاشتراكى كان رسولا للجن والانس « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً » فبعث للأحمر والأسود فاعلم من ذلك رسالته صلى الله عليه وسلم العامة والخاصة وكماله الخصوصى المتحد وكماله العام المشترك وأوليته وآخريته وبذلك تطلع على بحر من العلوم لا ساحل له ونهر من التحقيق لا نهاية له اه ملخصاً والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة ( منها ) حديث الشيخين وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه حين رفع صلى الله عليه وسلم الذراع فنهش منها فقال أنا سيد الناس يوم القيامة الحديث ( ومنها ) حديث الترمذى عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا مستشفعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد يومئذ بيدى وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر (وله أيضا) من رواية أبى بن كعب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم الحديث ( ومنها ) حديث الترمذى أيضا وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال ألا أنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر (ومنها) عن الترمذى أيضا من رواية أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر بيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى (ومنها) حديث ابن عساكر من حديث سلمان رضى الله عنه قال هبط جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال إن ربك يقول ان اتخذت ابراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقا أكرم على منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندى ولولاك ما خلقت الدنيا اه وأما كون الشيخ رضى الله عنه خير الأولياء رضى الله عنهم فلنا فى كلام الناظم فى هذه المسألة تقريران أحدهما فى بساط التربية العامة عند أهل الطريق والثانى فى بساط العلم الخاص وهو خاص بأهل التصديق فاما التقرير الأول فهو أن يقال إنما قال الناظم رحمه الله تعالى وشيخنا أحمد خير الاولياء عملا على ماهو الواجب عند أهل الطريق حسبما نص عليه فى عوارف المعارف فى حق المريد الصادق مع شيخه من كمال الاعتقاد فيه بحيث لا يرى معه فى الصورة الكمالية التى اعتقدها له غيره كائنا من كان إذ من شروط الصحبة للمشايخ والانتفاع بهم أن لا يدخل المريد فى طريق شيخ ويقيد نفسه بعهده إلا بعد حصول الاعتقاد الموصوف فيه بحيث لا يبقى فيه تطلع الى شيخ آخر ومن تعشق بطريقة أخرى لا تصفو محبته ولا ينفذ القول فيه ولا يستعد باطنه لسراية حال الشيخ إليه فان المريد كلما أيقن بتفرد الشيخ بالتربية والترقية وتفرد طريقه بالكمال عرف فضل شيخه وقويت محبته فيه والمحبة الكاملة القوية هي الواسطة بين المريد وشيخه فعلى قدر

وقوله ولم يرد الخ قصور إن كان جاهلا بحديث البخارى المتقدم وتقحم على الشارع إن كان عالما به وأما الثانى فان كان موجب تحقيقها أن يكون الشيخ صدوقا ظاهر الصلاح ثابت العدالة أخبر عن ممكن عقلا وشرعا واقع لكثير من أمثاله من الأولياء وأخبر بذلك عنه عدول ثابتو العدالة فى سائر الأقطار كالشيخ سيدى محمد الحافظ العلوى والسالك ابن الامام الحاج والطالب جد الشنجيطى العلوى وقد شهدوا بعلمه وعمله وفيض أنواره فدعواه حق لا يكذب فيها إلا من لا يصدق العدول والشريعة إنما تثبت باخبار العدول وإن كان تحقيقها عنده أن يشاهد عدول رؤيته إياه وخطابه فهذه سخافة عقل لأنا ننقل الكلام إلى هؤلاء العدول فيلزم فيهم مثل ذلك ولا يقول هذا إلا جاهل وإن كان تحقيقها إنما يثبت باخبار ولى يعلم علامة رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة وقد اختبر هذا الولى الشيخ فلم يصادق فليأتنا بهذا المختبر وإن كان موجب عدم تحقيقها فسقا شاهده فيه أو أخبره به عدول فليخبر به وبمن أخبره وليثبت ترجيح أعدليتهم على مثبتى العدالة مع أن المثبت مقدم على النافى والمنكر فكل من أثبت فكلامه ودعواه مقبول وكل من أنكر فكلامه ودعواه مردود كمن ادعى على رجل ألفا من قرض فشهد شاهدان على ذلك وشهد ألف رجل على أنه لم يسلفه شيئا فانه يحكم بشهادة الشاهدين ولا تعتبر شهادة ألف رجل شهدوا

جرى صاحبها على نقيضها كجرى مدعى التصوف والعلم على انكار ما لم يفهمه كبعض العوام وكجرى مدعى الورع على أكل الشبهات وكجرى مدعى الكرامات التى منها رؤية النبى صلى الله عليه وسلم يقظة على مخالفة السنة والاصرار على المعصية والشيخ رضى الله عنه برىء من هذا كله بشهادة العدول وبهذا يعلم المنصف ان تجويزه أن يكون المخاطب للشيخ التجانى رضى الله عنه الشيطان تجويز عقلى والتجويز العقلى لا يثبت دليلا وأيضا هذا لا يشتبه على الاولياء الكمل وإذا كانوا يميزون خاطره من الخواطر الباطنة فكيف لا يميزون قوله فى الظاهر وأيضا انما يستقيم قوله

فصح أن يخاطب التجانى

شيطانه من جهة العدنان الخ لو قال الشيخ رضى الله عنه سمعت ونحوه وإنما قال الشيخ رأيته صلى الله عليه وسلم وحاشى مثل الشيخ أن يجهل أوصافه صلى الله عليه وسلم التى يعلمها كثير من العوام فلم يبق إلا أن يقول تمثل له الشيطان فى صورته حاشاه صلى الله عليه وسلم أو يقول الشيخ لم يبلغ مقام رؤيته أو يقول اختبر فى ذلك فلم يوافق الحق فنقول «هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين» فاذا تمهد هذا فلا موجب لتكذيبه فى أخذ الورد عنه الا العناد والجحود والاستبعاد والتحجير على الله فى تقييد فضله ببعض العباد والازمان والبلاد وفضل الله تعالى يؤتيه من يشاء

المحبة تكون سراية الحال من الشيخ الى المريد لأن المحبة علامة التعارف والتعارف علامة الجنسية والجنسية جالبة للمريد حال الشيخ أو بعض حاله وبهذا قال الشريشى فيما عقد معناه من كلام صاحب عوارف المعارف فى رائيته الشهيرة

ولا تقدمن قبل اعتقادك أنه * مرب ولا أولى بها منه فى العصر

فان رقيب الالتفات لغيره * يقول لمحبوب السراية لا تسرى

وكلام الكمل من مشايخ الطريق فى هذا الباب كثير وسنذكر البعض منه إن شاء الله تعالى عند الكلام على شروط هذا الورد ولوازمه وعلى هذا التقرير يكون فى كلام الناظم رحمه الله تعالى تعريف لحاله وما هو عليه من الاعتقاد الكامل فى سيدنا الشيخ رضى الله عنه (ولا محالة) ان اعتقاد المريد أنه لا أكمل من شيخه ولا أفضل من طريقه هو عين الفتح له فيما دخل فيه لأنه من الايمان بالغيب وهو إنما يحصل بمحض الوهب الالهى بلا ريب ولهذا جعله الناظم رحمه الله تعالى من جملة المحمود عليه الذى هو أحد أركان الحمد ففيه تعريف لغيره بالحال الذى هو أبلغ من المقال وأما التقرير الثانى فهو أن يقال إنما قال فى الشيخ رضى الله عنه خير الأولياء لأنه هو أحد الخاتمين للولاية وهما أعظم الورثة كما سيتضح قريباً إن شاء الله تعالى فهو رضى الله عنه خاتم الولاية المحمدية وسيدنا عيسى عليه الصلاة السلام هو خاتم الولاية المطلقة حيث ينزل خاتما وارثا ومعنى كونه خاتما لمنصب الولاية المحمدية انه لا يظهر أحد فى ذلك المنصب بمثل الظهور الذى ظهر به فيه فهو خاتم لكمال الظهور فى ذلك المنصب لا لنفس الظهور وذلك لما تقرر عند علماء الطريق من أن لختم المناصب العلية باعتبار من تختم عليه معنيين أحدهما أن لا يظهر أحد بذلك المنصب بعد من ختم عليه وذلك كمنصب النبوة والرسالة فانهما ختما على نبينا صلى الله عليه وسلم ومعنى الختم فى هذا المقام أن لا يظهر أحد أصلا بدينك المنصبين الشريفين بعده عليه الصلاة والسلام والثانى أن لا يظهر بكمال الظهور فى ذلك المنصب أحد بعد من ختم عليه وذلك كما فى منصب الولاية المحمدية فانه ختم على سيدنا الشيخ رضى الله عنه حسبما أخبر بذلك عن نفسه وليس المراد بالختم فى هذا المقام أن لا يظهر أحد بمنصب الولاية بعده وإنما المراد أن لا يظهر أحد بعده بمثل كمال الظهور الذى ظهر به هو بذلك المنصب ومن لازم من ختم عليه منصب ما من المناصب سواء على المعنى الأول أو على المعنى الثانى أن يبلغ فى المنصب المختوم عليه أعلى درجة فيه بحيث يرتقى عن جميع من أدرك ذلك المنصب قبله أيضا وذلك صادق بخيريته وأفضليته من هذه الحيثية فيصح اتصافه بالخيرية والأفضلية على جميع من عداه ممن أدرك ذلك المقام أما على الحقيقة كما فى نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع من عداه من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأما بالنسبة للحيثية المذكورة وان كان غيره قد يفضله من حيثية أو حيثيات أخر كما فى حق من يختم عليه منصب الولاية المحمدية أو غيره من المناصب والله أعلم اه وانظر عقائب الصوفية وشرحها للشيخ فيروز الأكبر أبادى تقف على عين التحقيق فيما قررناه لك فى هذه المسألة إن شاء الله تعالى وقد تقدم كلام سيدنا الشيخ رضى الله عنه فى تفاوت الاولياء فى المزايا العرفانية والمنح الالهية وقوله رضى الله عنه هنالك وليس مرتبة كاملة من جميع الوجوه إلا له صلى الله عليه وسلم وسيأتى لنا مزيد بسط فى هذا بمحله من كلام الناظم فى التعريف بسيدنا

الشيخ رضى الله عنه بحول الله مع قوته (وقوله حمدا يدوم) البيت هو تأكيد للحمد المذكور وتأبيد له فالتأكيد فى المصدر والتأبيد فى قوله يدوم بدوام النعم والنعم جمع نعمة بكسر النون وحقيقتها كل ما ينتفع به من كل ملائم تحمد عاقبته ومن ثم اختلف فى الكافر هل هو منعم عليه أم لا والذى عليه الأشعرى أنه غير منعم عليه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وهذا القول هو الذى تنطبق عليه الحقيقة السابقة (وقيل) منعم عليه فيهما ووجه كونه منعما عليه فى الآخرة عند القائل به أنه ما من عذاب إلا وثم ما هو أشد منه وقيل منعم عليه فى الدنيا دون الآخرة ومن نعم الله عليه فى الدنيا عند القائل بهذا تأخير العذاب عنه إلى الآخرة اه انظر شروح الرسالة ونعم الله تعالى على عباده لا تحصى قال تعالى « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » قال بعض العلماء فى تفسيرها أى إن أردتم عدها لا يمكنكم ذلك اه واختلف فى أول نعمة على العبد فقيل الايجاد وهى عامة تشمل الكافر وغيره حتى الحيوانات والجمادات وقيل الحياة التى توصل إلى إدراك اللذات التى لا يعقبها ضرر ويدخل فى قول الناظم رحمه الله تعالى الخلائق بحسب ظاهر اللفظ غير الحيوانات كالأحجار والأشجار ونحوها (وقد توقف) بعض مشاهير العلماء فيها هل هى منعم عليها أو وجودها نعمة على الغير قال بعضهم والذى يظهر من كلام العلماء فى حد النعمة الثانى قال لأن وجود الجمادات ونحوها من كل ما لا نفع له بوجود نفسه نعمة على غيره من كل ما يترتب على وجوده انتفاع به وليس منعما عليه بخلاف الحيوان فانه منعم عليه بنحو الصحة والأكل والشرب كالانسان وعلى هذا يجرى القول السابق من أن الكافر منعم عليه فى الدنيا ويزيد الكافر بأنه منعم عليه بتأخير العذاب إلى الآخرة ومن هنا كان نبينا صلى الله عليه وسلم رحمة له حسبما ذكره العلماء فى الآية الكريمة «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» والمسلم المراد به فى كلام الناظم رحمه الله تعالى الموحد فيشمل جميع الموحدين المنعم عليه فى الدنيا بالايمان الذى هو أعظم النعم وبغير ذلك من النعم التى لا تحصى وفى الآخرة بأنواع الشفاعات والحسنات العظيمة والدرجات الرفيعة وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا محالة أن ذلك لهم من المولى تبارك وتعالى دائم مستمر بدوام الأبد بلا غاية ينتهى إليها ولا أمد فقد أتى الناظم رحمه الله تعالى بما يفيد تأبيد الحمد فى الدنيا والآخرة بلا انقطاع ولا تناه (ثم العطف) فى قوله وكل مسلم على الخلائق من عطف الخاص على العام والنكتة فيه وجود الخلاف فى الكافر والتوقف فى الجمادات بخلاف المسلم فهو منعم عليه بالنعم العظيمة الدائمة المستمرة بالاتفاق التام فجىء به فيما قصد من تأبيد الحمد من أجل الاتفاق أو التنويه بعظيم قدر الانعام بنعمة الايمان والاسلام ولا شك أن نعمة الايمان هى أعظم نعمة على الانسان لكونها سبب الخلود فى الجنان والنجاة من النيران (وقد) ثبت أنه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول الحمد لله على نعمة الاسلام فقال له يا هذا لقد حمدت الله على نعمة لم يحمد على نعمة أفضل منها اه (وذكر) عن بعض الصالحين أنه قال على جبل عرفات الحمد لله على نعمة الاسلام وكفى بها نعمة فلما كان العام القابل أراد أن يقولها على عرفات فهتف به هاتف مهلا يا عبد الله حتى تفرغ من ثوابها بالعام الماضى اه وأى نعمة حينئذ أعظم من هذه النعمة قدراً أو منة أرجى منها ذخراً نسأل الله تعالى أن يعرفنا قدرها ويؤدى علينا بفضله وكرمه شكرها وأن يحفظها علينا إلى أن نلقاه عليها غير خزايا ولا نادمين ولا مبدلين ولا مغيرين إنه على ما يشاء

من بعد ما انتشرت له الأضواء
ما دل أن الفجر ليس بطالع
بل إن عينا أنكرت عمياء
وإذا لم تر الهلال فسلم
لأناس رأوه بالأبصار

وقوله وقد أبت رسالة السلوك
عن رؤية اليقظة فى سلوك
إنما يستقيم إيراده لو أثبت هذا المنكر
المفتون أن الشيخ رضى الله عنه
رأى النبى صلى الله عليه وسلم حين
رآه وهو فى مقام السلوك الذى
لا يرى فيه النبى صلى الله عليه وسلم
وأيضا فما ذكره عن رسالة
السلوك لعله جرى مجرى الغالب
ويشهد لهذا ما تقدم عن ابن
العربى من جوازها للمؤمن كرامة
وللكافر عقوبة ولعله قد اغتر
بما ذكر الشيخ عن نفسه من أنه
كان يكثر الصلاة على النبى صلى
الله عليه وسلم حتى أفضى به ذلك
إلى لقاء النبى صلى الله عليه وسلم
يقظة وقد كان على ذلك القدم عدة
من الاكابر كالشونى وغيره كما
ذكر الشعرانى وغيره ومن المعلوم
أن كثرة الصلاة على النبى صلى
الله عليه وسلم تربى وتغنى عن
الشيخ كما فى غير واحد من كتب
العلماء واحتجاجه على منع الرؤية
بقوله فالروح من عالمنا العلوى
ولا يرى العلوى بالسفلى
فيه ما فيه لان الملائكة من العالم
العلوى وقد ثبتت رؤية الصحابة
لجبريل عليه السلام فى الصحاح
كالبخارى وغيره إذ طلع عليهم
فجلس إلى النبى صلى الله عليه وسلم
ولم يعرف أحد منهم ولا رأوا عليه أثر السفر فسأله عن الاسلام

والايمان والاحسان ثم انطلق فقال إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم اليس جبريل من العالم العلوى وقد رأته الصحابة بأبصارهم وهم من العالم السفلى وقد ذكر سيدى عبد الرحمن الثعالبي فى العلوم الفاخرة له قال أخبرنى الخطيب أبو محمد البرجينى رحمه الله تعالى عن الشيخ الصالح الطاهر الركراكى قال حضرت عند ولى من الأولياء حين انتزع فشاهدت نفسه وقد خرجت من مواضع من جسده ثم تشكلت على رأسه بشكله وصورته ثم صعدت إلى السماء وصعدت نفسى معها فلما انتهينا إلى سماء الدنيا شاهدت بابا ورجل ملك ممدودة عليه فأزال ذلك الملك رجله وقال لنفس ذلك الولى اصعدى فصعدت فأرادت نفسى أن تصعد معها فقال لها ارجعى وقد بقى لك وقت قال فرجعت فشاهدت الناس دائرين على جسمى وقائل يقول مات وآخر يقول لم يمت فدخلت فى أنفى أو قال من عينى قال الثعالبى وهذه الحكاية صحيحة ورجال اسنادها ثقات معروفون بالفضل والركراكى من أكابر الأولياء معظم عند أهل تونس انتهى وأكبر شاهد على ذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم لأرواح الأنبياء على شكل أجسامهم ليلة الاسراء وكل ما جاز معجزة لنبى جاز أن يكون كرامة لولى وأما قوله كيف ترى الروح بعين الرأس وذا محال كان فى القياس فان كان يعنى القياس العادى فليس مما نحن بصدده إذ الكرامات خوارق له وإن كان يعنى القياس العقلى فليس هذا بمحال فيه لأن مصحح الرؤية الوجود كما استدل بذلك أئمتنا

قديرو بالاجابة جديروهو نعم المولى ونعم النصير وإذا تأملت هذه الأبيات الثلاثة بعين الانصاف عرفت أن الناظم رحمه الله تعالى أتى فى هذا الافتتاح بصيغة من صيغ الحمد فائقة جامعة لمعان سنية رائقة لا ينكر ذلك إلا جاهل أو مكابر من أهل الاعتساف ولنختم الكلام على هذه الأبيات بتتمات مشتملات على بيان نكت لطيفة وفوائد مهمات (التتمة الأولى) مما يتأيد به ما تقدم من أن الحمد المقيد أفضل من المطلق كون جل المحامد التى قيل فيها إنها أفضل المحامد من قبيل المقيد لا من قبيل المطلق (من ذلك) الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم أعلم على جميع نعمه كلها ما علمت منها وما لم أعلم زاد بعضهم عدد خلقه كلهم ما علمت منهم وما لم أعلم اه فقد قال بعض العلماء فى هذا الحمد انه أفضل المحامد (ومن ذلك) الحمد لله حمداً يوافى نعمه ويكافىء مزيده قال بعضهم فى هذه الصيغة انها أفضل المحامد لما ورد أن الله تعالى لما أهبط آدم إلى الأرض قال يارب شغلتنى بكسب يدى فعلمنى شيئا فيه مجامع الحمد والتسبيح فأوحى الله إليه أن قل عند كل صباح ثلاث مرات الحمد لله رب العالمين حمداً يوافى نعمه ويكافىء مزيده فقد جمعت لك فيها مجامع الحمد اه (التتمة الثانية) ما تقدم من أن الحمد المقيد يثاب عليه ثواب الواجب بخلاف المطلق فيثاب عليه ثواب المندوب لأن المقيد يقع غالبا فى مقابلة النعمة فيكون شكراً للمنعم سبحانه وشكر المنعم واجب قد يقال عليه حقيقة الشكر هى صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فى طاعته وذلك إنما يحصل بتوفية أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه قولا وفعلا واعتقاداً فما بالهم جعلوا حمد اللسان فقط هنا شكراً (والجواب) أنه ورد ما يفيد أن التلفظ بالحمد شكر كما فى حديث من لبس ثوبا أو أكل طعاما فقال الحمد لله فقد وفى حق الشكر اه نعم قال الشعرانى رضى الله عنه فى هذا الحديث هو محمول على من قال ذلك على وجه الاخلاص الكامل دون أمثالنا اه وقد نقل العارف بالله تعالى سيدى عبد الرحمن ابن محمد الفاسى فى حاشيته على شرح الامام السنوسى لصغراه عن الهروى أن المشيخة من الصدر الأول قسموا الشكر وجعلوه ثلاثة منازل وعدوا منها اللسان قالوا وشكره إظهار النعمة مع الذكر التام والتحدث بالنعمة وقول الحمد لله قالوا وهو أى قول الحمد لله رأس الشكر كما أن كلمة الاخلاص رأس الايمان اه الغرض منه (وقال الشيخ محيى الدين) فى الفتوحات المكية لم يبق من عبادة الشكر على النعماء إلا قولهم الحمد لله والشكر لله لفظ ما فيه كلفة قال وأهل الله تعالى يزيدون على مثل هذا اللفظ العمل والتوجه بالهمم اه الغرض منه فقد عرفت أن التلفظ بالحمد لله شكر لكن مع صحة القصد وكمال الاخلاص لله تعالى وقد أشار سيدنا ومولانا الشيخ رضى الله عنه فى بعض وصاياه إلى بيان كون الحمد باللسان شكراً مع التنبيه على أنه أقل ما يلزم العبد من الشكر على النعم فلا أعجز ممن عجز عنه وأرشد رضى الله عنه إلى بيان العمل فى ذلك فقال وعليكم بشكر النعم الواردة من الله تعالى بسبب أو بلا سبب والشكر يكون بمقابلتها بطاعة الله إن قدر على أن تكون كلية وإلا فالأقع خير من الأسود كله وأقل ذلك شكر اللسان فلا أعجز ممن عجز عن شكر اللسان وليكن ذلك بالوجوه الجامعة للشكر فأعلى ذلك فى شكر اللسان تلاوة الفاتحة فى مقابلة ما أنعم الله عليه شكراً ولينو عند تلاوتها أنه يستغرق شكر جميع ما أحاط به علم الله من نعمه عليه الظاهرة والباطنة والحسية والمعنوية والمعلومة عند العبد والمجهولة لديه والعاجلة والآجلة والمتقدمة والمتأخرة والدائمة والمنقطعة ويتلو بهذه النية ما قدر عليه من الفاتحة من مرة إلى مائة مرة فمن

فعل ذلك كتبه الله شاكراً وكان ثوابه المزيد من نعمه على قدر رتبته بحسب وعده الصادق ثم قال سيدنا رضى الله عنه ووجوه المحامد الجامعة كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك (ومنها) إلهى لك الحمد ولك الشكر مثل ما أحاط به علمك من صفاتك وأسمائك وجميع محامدك التى حمدت بها نفسك بكلامك والتى حمدك بها كل فرد من خلقك بأى لفظ ذكروك به كل حمد من ذلك لك ومن جميع خلقك عدد ما أحاط به علمك من نعمك على اه قال رضى الله عنه فهو حمد جامع لأنواع المحامد مستغرق للشكر على جميع النعم اه بلفظه رضى الله عنه فى الوصية المذكورة وقوله رضى الله عنه فأعلى ذلك فى شكر اللسان تلاوة الفاتحة الخ تريد والله أعلم أن ذلك لأن التالى لها بالنية السابقة يكون حامداً لله تعالى فى حال كونه تاليا فيجمع بين الشكر والتلاوة فيكون له أجرهما معا حسبما أفاده كلام الشيخ محيى الدين رضى الله عنه فى الباب التاسع والستين من الفتوحات المكية فرضى الله تعالى عن سيدنا ما أغزر مادة علومه وما أدق مدارك أذواقه وفهومه وما أكمل دلالته على الله وما أبلغ ارشاده الى مسالك العمل الذى به يصل العبد إلى مرضاة مولاه (التتمة الثالثة) قد أفاد سياق كلام الناظم رحمه الله تعالى فى قوله والجاعل النبى على ما قررناه به من أن مراده والجاعل نبينا بدليل قوله بعده وشيخنا الخ أن المراد بالأولياء فى قوله الجاعل الاولياء أولياء أمتنا هذه الأمة المحمدية المرحومة وقد نقل فى اليواقيت والجواهر عن الشيخ محيى الدين رضى الله عنه أن عدد منازل الأولياء فى المعارف والأحوال التى ورثوها من الرسل عليهم الصلاة والسلام مائة ألف منزل وثمانية وأربعون ألف منزل وتسعمائة منزل وتسعة وتسعون منزلا لا بد لكل من حق له قدم الولاية أن ينزلها جميعها ويخلع عليه فى كل منزل من العلوم ما لا يحصى (قال) الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله تعالى قال الشيخ محيى الدين رضى الله عنه وهذه المنازل خاصة بهذه الأمة المحمدية لم ينلها أحد من الأمم قبلهم ولكل منزل ذوق خاص لا يكون لغيره اه وبه تعرف ما ذكره الشعرانى عن الشيخ محيى الدين رحمهما الله تعالى أيضا أن الدولة المحمدية جامعة لجميع أقدام النبيين والمرسلين اه فبان لك من هذا أن الأولياء الوارثين للنبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام على التحقيق والكمال هم أولياء هذه الأمة المحمدية ولهذا كانت هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة إلى قيام الساعة كما فى حديث لا تجتمع أمتى على ضلالة ولهذا أيضا كانت لا تزال طائفة من هذه الامة ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك كما فى الحديث (وقد صرح) بعض شراح الحديث بهذا فى الكلام على حديث العلماء ورثة الأنبياء فقال بعد أن بين أن المراد بالعلماء العاملون وهم الاولياء كما تقدم ما نصه وهؤلاء لا يزالون فينا إلى قرب الساعة لحديث لا تزال طائفة الحديث وقال على قوله فى هذا الحديث حتى يأتى أمر الله أى يقرب اتيانه (التتمة الرابعة) لما ضمن الناظم رحمه الله تعالى البيت الاول أن أولياء أمة نبينا المصطفى المختار هم الورثة للأنبياء الكمل المصطفين الاخيار وكان نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام منهم بل هو مركز دائرة فضلهم الذى ليس إلا عليه المدار فيكون وارثه أكمل من غيره لا محالة رمز إلى ذلك بما ضمنه البيت الثانى من خيرية خاتم النبوة والرسالة وذلك منه رحمه الله تعالى إيماء إلى تفضيل الورثة المحمديين على من عداهم من الوارثين وتوطئة بالرمز الخفى إلى ما قصد بيانه أثناء النظم من مقام شيخنا رضى الله عنه بيان مقامات العارفين فاكتفى بالاشارة فيما لا تسعه العبارة رحمه الله

وكل موجود يصح أن يرى
وأما قوله أقال الله عثرته
وهكذا شرح ابن باديس نفى
سوى المنام من لقاء المصطفى
بل عده فائدة للنوم
ومثل ذا ينفى كلام القوم
من أن خير الخلق لا يغيب
عنهم وان شخصه قريب

فمستنده ما حكاه الشارح عن بعضهم أنه قال من فائدة النوم أن يرى المصطفى صلى الله عليه سلم وأصحابه والسلف الصالح فى النوم ولا يرون فى اليقظة وجوابه أن هذا خرج مخرج الغالب فلا يستدل به على نفى ما كاد يكون مجمعا عليه ويؤيد ما قلناه أنه ذكر فى آخر ذلك الشرح عند ذكر مناقب خليفة أنه كان كثير الرؤية له صلى الله عليه وسلم يقظة ومناماً فرآه ليلة سبع عشرة مرة وقال له فى احداها يا خليفة لا تضجر منى فان كثيرا من الأولياء مات بحسرة رؤيتى وعلمه استغفاراً يدعو به انتهى كلام الشارح وهو أحمد بن محمد بن الحاج وقد قدمنا فى الباب الرابع ما نقل عنه فى جواز الرؤية فليراجع وانظر كيف جر الانكار على هذا القول الى الانكار على غيره من الأولياء حيث قال

* ومثل ذا ينفى كلام القوم *
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
وأملى لهم إن كيدى متين. وأما قوله
ألهمه الله طريق التوبة من ذنب
إنكاره وأخذ بيده من عثاره
وكل ما أوهم رؤية البصير
مؤول إذ فى البصيرة انحصر

فلعل مستنده فيما تقدم عن الأهدل فى الباب الرابع وقد أبطله ابن حجر شارح الشمائل بما يعلم بالوقوف عليه هناك وأيضا لو سلمنا أن ما أوهم

ابراهيم رحمه الله تعالى

فمن بعينى رأسه يراه

فى عالم الحس لما عداه

وكقول الساحلى رحمه الله تعالى

و وراء هذا ماهو أعلى منه درجة

وهو أن يراه بعين رأسه عيانا فى عالم

الحس إلى آخر كلامه ورؤية الفقيه

الذى قدمنا والتنصيص والابهام

ليسا بشىء واحد إذ النص ما أفاد

معنى لا يحتمل غيره فحمله على غير

معناه تكلف وتعسف والتأويل

حمل ما أفاد معنيين على أضعفهما

مع الاستناد الى دليل آخر قوى

وان استند إلى ضعيف فتأويل

فاسد و إن خلا عن دليل فلهو

ولعب كما للاصوليين ومازعمه من

أن هذا الذى ذكره جمع بين الأدلة

فى قوله

وجمعنا بين الدليلين متى

ما أمكن الجمع لمالك أنى

ليس كذلك بل هو الغاء لبعضها

وانما الجمع أن يحمل من نفاها على

الغالب وقول القائل بأن المراد

يقظة القلب على بعض المقامات

وقول القائل بعين الرأس على المقام

الأعلى فلا يلغي قولا منها وأما

انكاره حضور روح النبي صلى الله

عليه وسلم وأرواح الخلفاء لمن قرأ

جوهرة الكمال سبعا فى قوله

وأنه يزور أهل الجوهره

بروحه إذ هى دين أظهره

وقوله

وأنه يحضره فى رجال

عند ابتداء جوهرة الخيال

فلا دليل له فيه عقلا ولا شرعا وانما

أنكره بهواه * ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله * وقد ثبت أن أرواح الانبياء أيضاً

تعالى وجزاه خيراً ونفعنا ببركته دنيا وأخرى وعلى هذا الذى أومأ إليه كلامه نقول (قال الشيخ) العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فيما نقله فى هذا البحث عن الشيخ الأكبر سيدى محيي الدين رضي الله عنه أن أكمل الورثة هو من ورث نبيه صلى الله عليه وسلم ( قال ) والفرق بين الوارث المحمدى وغيره أن ورثة الأنبياء آياتهم فى الآفاق من خرق العوائد وغيرها وآيات الوارث المحمدى فى قلبه فلذلك كان الوارث المحمدى مجهولا فى العموم معروفا فى الخصوص لاغير لأن خرق العادة انما هو حال وعلم فى قلبه فهو فى كل نفس يزداد علما بربه علم حال وذوق لا يزال كذلك اه و نقل عنه أيضا فى هذا المحل قوله ان من علامات الوارث المحمدى أن يشهد نفسه خلف كل نبي ولو كانوا مائة ألف نبي لرأى نفسه فى أماكن على عددهم فان جميع الأنبياء والرسل قد جمعت حقائقهم وشرائعهم فى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انتهى الغرض منه ( وذكر عنه أيضا ) فى هذا المبحث التصريح بأن أعظم الورثة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام هما الختمان فأحدهما يختم الله به الولاية على الاطلاق وهو سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام فانه ينزل آخر الزمان وارثا خاتما لا ولى بعده والثانى يختم الله به الولاية المحمدية انتهى وقد تقدم قريبا معنى الختم فى هذا المقام (التتمة الخامسة ) قد علم مما تقدم فى تقرير البيت الاول من هذه الأبيات الثلاثة أن الورثة للرسل عليهم الصلاة والسلام هم الاولياء والعلماء العاملون إلى آخر ما تقرر ومحصل ذلك فيما نقله فى اليواقيت والجواهر عن الشيخ محيي الدين رضى الله عنه ( ونصه ) لايخفى أن الارث كله يرجع إلى نوعين معنوى ومحسوس فالمحسوس هو الاخبار المتعلقة بأفعاله صلى الله عليه وسلم وأقواله وأحواله وأما المعنوى فهو تطهير النفس من مذام الأخلاق وتحليتها بمكارمها وكثرة ذكر الله عز وجل على كل حال بحضور ومراقبة اه فقد علمت منه أن أهل النوع الأول هم العلماء حفاظ القال وأهل النوع الثانى هم الاولياء حفاظ الحال وقد علمت مما تقدم أن حفاظ أقواله صلى الله عليه وسلم إنما يكونون ورثة الانبياء إذا عملوا بما علموا فيصيرون حينئذ علماء أولياء أى حفاظ القال والحال كما أن أهل النوع الثانى أولياء علماء ولا إشكال فاتحد أهل النوعين بلا شك ( وقد جهل ) بعض غلاة المتصوفة درجة الأئمة المجتهدين فقال إنهم ليسوا من حفاظ الأحوال وانما هم من حفاظ المقال وهذه إحدى الفرطات لغلاة المتصوفة الذين حذر أهل الحق من صحبتهم ( قال الشيخ الشعرانى ) رضى الله عنه فى كتابه الميزان ما نصه وسمعت سيدى عليا المرصفى رضى الله عنه يقول مراراً كان أئمة المذاهب الأربعة وارثين له صلى الله عليه وسلم فى علم الأحوال وعلم الأقوال معا خلاف ما يتوهمه بعض المتصوفة حيث قال ان المجتهدين لم يرثوا منه صلى الله عليه وسلم الا علم الاقوال فقط حتى أن بعضهم قال إن جميع ما علمه المجتهدون كلهم ربع علم رجل كامل عندنا فى الطريق إذ الرجل لا يكمل عندنا حتى يتحقق فى مقام ولايته بعلوم الحضرات الاربع فى قوله تعالى «هو الأول والآخر والظاهر والباطن» وهؤلاء المجتهدون لم يتحققوا بسوى علم حضرة اسمه الظاهر فقط لا علم لهم بعلوم حضرة الازل والابد ولا بعلم الحقيقة اه أى كلام المرصفى ( قال الشعرانى ) عليه ما نصه قلت وهذا كلام جاهل بأحوال الأئمة الاربعة الذين هم أوتاد الارض وقواعد الدين والله أعلم اه من الميزان بلفظه وهذا من جملة ما حذر منه من افراط المتصوفة الجاهلين ( وهنالك أقوام ) من المنتسبين إلى العلم وقفوا مع الظواهر فقصروا وصف الوراثة للانبياء عليهم الصلاة والسلام على علماء الظاهر وهذا

أيضا من جملة ما حذر منه من تفريط الجامدين على ظواهر الألفاظ ولا يخفى ما عليه هؤلاء من التقصير والآخرون من الشطط وخير الأمور الوسط (ولعل الحامل) لهؤلاء الجامدين على ما قالوه هو اعتقادهم فى الأولياء أنهم جاهلون بالشريعة وليس الأمر كما زعموا بل الأولياء هم العاملون بالشريعة على الحقيقة (قال الشيخ عبد الوهاب الشعرانى) رضى الله عنه ما نصه وسمعت سيدى عليا الخواص رضى الله عنه يقول لا يكمل مقام العالم عندنا حتى يرد سائر أقوال المجتهدين ومقلديهم فى سائر الأدوار إلى الكتاب والسنة ولا يصير عنده جهل بمنزع قول واحد منها لو عرض عليه قال وهناك يخرج عن مقام العامة و يستحق التقليب بالعالم وهى أول مرتبة تكون للعلماء بالله تعالى ثم يترقى أحدهم عن ذلك درجة بعد درجة إلى أن يصير يستخرج جميع أحكام القرآن وآدابه من سورة الفاتحة فاذا قرأ بها فى صلاته ربما يكون ثوابه كثواب من قرأ القرآن كله من حيث احاطته بمعانيه ثم يترقى من ذلك إلى أن يصير يخرج أحكام القرآن والشريعة وجميع أقوال المجتهدين من أى حرف شاء من حروف الهجاء ثم يترقى إلى ما هو أبلغ من ذلك (قال) وهذا هو العالم الكامل عندنا اه فانظر كيف لا يوصف بالعلم من كان بهذه الصفة التى تضمنها كلام هذا العارف الكامل رضى الله عنه فتح الله بصائرنا ونور سرائرنا بمنه وكرمه (وقد علمت) مما تقدم فى المطلب الأول من المقدمة أن الاتصاف بهذا الذى ذكره العارف بالله تعالى الخواص رضى الله عنه خاص بالكمل من المشايخ وهم الأقطاب رضى الله عنهم (ومن هنا) تعرف أن الواحد منهم انما يظهر تقيده بمذهب بعض الأئمة الأربعة أدبا مع ذلك الامام حيث سبقه للقول بمسائل ذلك المذهب وجعله الله اماما يقتدى به فيه وإلا فالولى الكامل مطلع على وجه الدليل فى تلك المسائل كشفا فهو يعمل بذلك تقليدا للشارع لا لذلك المجتهد قاله الشعرانى فى الميزان ثم قال رحمه الله تعالى فما ثم ولى يأخذ علما إلا من الشارع ويحرم عليه أن يخطو خطوة لا يرى قدم نبيه أمامه فيها (قال) وقد قلت مرة لسيدى على الخواص رضى الله عنه كيف صح تقليد الشيخ عبد القادر الجيلى للامام أحمد وتقليد سيدى محمد الحنفى الشاذلى للامام أبى حنيفة مع اشتهارهما بالقطبية الكبرى وصاحب هذا المقام لا يكون مقلداً إلا للشارع وحده فقال رضى الله عنه قد يكون ذلك منهما قبل بلوغهما لذلك المقام ثم لما بلغا اليه استحب الناس ذلك اللقب فى حقهما مع خروجهما عن التقليد اه (التتمة السادسة) فى تأبيد الناظم رحمه الله تعالى للحمد بدوام النعم على جميع الخلائق اشعار بنعمتى الايجاد والامداد وهما كما قاله التاج رضى الله عنه نعمتان ما خرج موجود عنهما ولا بد لكل ممكن منهما وفى هذا الاشعار ذكر لهما واعتراف بهما وفى ذكر النعمة والاعتراف بها شكرانها كما أن نسيانها وعدم الاعتراف بها كفرانها ومن شكر النعم فقد قيدها بعقالها ومن لم يشكرها فقد تعرض لزوالها وقد ضمن رحمه الله التأبيد المذكور شكر نعمتى الايجاد والامداد وفى تأبيده الحمد أيضا بدوام النعم على كل مسلم اشعار بنعمة الاسلام التى لا أعظم منها على من أكرم بها من الأنام وفى اشعاره أيضا بذلك ذكر لهذه النعمة العظمى واعتراف بها فقد ضمن التأبيد بدوامها الشكر عليها (وكأن) صنيع الناظم رحمه الله تعالى فى عطفه وكل مسلم على ما قبله ينظر إلى نحو ما قاله الشيخ أبو عبد الله بن عباد رحمه الله تعالى على قوله فى الحكم أنعم عليك أولا بالايجاد وثانيا بتوالى الامداد (ونصه) مما لا ينبغى أن يتغافل عنه من أنواع هذا الجنس إيجاد الايمان ومحبة الطاعة فى قلبك وامدادها وكذا كراهية الكفر

صلى الله عليه وسلم يقظة ومناما بل كان صلى الله عليه وسلم كثير الورود عليه ومعه الشيخان أو الأربعة الخلفاء أو مع غيرهم من جملة أصحابه رضى الله عنهم فلينظر آخر كلامه فيه وكلام هذا السيد أبلغ فى التصريح بالحضور والتنصيص على الورود مما نقل عن شيخنا رضوان الله عليه من ذلك فانه انما ذكر انه يشهد من قرأها سبعا ولم يفسر معنى شهوده مع انه لو فسره بالزيادة والورود لما استبعد إذ قد ثبت ان بعض الأولياء كسيدى عبد القادر الجيلى يتصرف بعد الموت تصرف الأحياء كما فى شرح ابن باديس لابن الحاج وإذا جاز هذا للأولياء فما الدليل على منعه للنبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء بل فى المدخل لابن الحاج انه يشاهد أمته و يعرف أحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم وذلك عنده جلى لاخفاء به إذ لا فرق بين موته وحياته فى مشاهدته وعليك بتمام كلامه فانه أطال وأصاب وقد ذكر فى الذهب الابريز فى مناقب سيدى عبد العزيز ان فى الدنيا مسئلة خير من الجنة وهى مجالسة النبى صلى الله عليه وسلم وفيها مسئلة شر من النار وهى الحجاب بعد الفتح انتهى وبالجملة فهو من أخيار الأولياء بالغيب ولا مجال للعقول فى ذلك وقد قال الشعرانى فى لطائف المنن وكراماتهم وراء أستار العقول وحكى عن شيخه سيدى على الخواص انه قال أحب للعلماء عدم الانكار على كمل العارفين فيما علموه وأظهروه فى كتبهم وان كان دليل العقل يحيله لأن دائرة الولاية

والمعصية فان ذلك من النعم العظيمة التى لامدخل لكسب العبد فيها ولا له وسيلة اليها ولولا تولى الله تعالى بتبيينك النعمتين فى القسمين لتاه فى ظلمات الضلالة وغرق فى بحار الجهالة (وقد نبه) عز وجل على هذا المعنى فى كتابه الكريم فقال عز من قائل «ولكن الله حبب اليكم الايمان ـ الآية» اه كلام ابن عباد رحمه الله تعالى ثم قال ما نصه قال الأستاذ القشيرى رحمه الله تعالى وان من فكر فى صنوف الضلال وكثرة طرق المحال وشدة أغاليط الناس فى البدع والأهواء وما يتشعب به كل قوم من مختلفى النحل والآراء ثم فكر فى ضعفه ونقصان عقله وكثرة تحيره فى الأمور وشدة جهله وتناقض تدبيره فى أحواله وشدة حاجته إلى الاستعانة باشكاله فى أعماله ثم رأى خالص يقينه وقوة استبصاره فى دينه ونقاء وجه توحيده عن غير الشرك وصفاء عين عرفانه عن رهج الشك علم أن ذلك ليس من طاقته ولا بجهده وكده ووسعه وجده بل بفضل ربه وسابغ تطوله قال تعالى «وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة» فهو الظاهر بنعمائه وآثار نعمه عليك ظاهرة والباطن بآلائه وزوائد كرمه لديك متواترة اه كلام الأستاذ رضى الله عنه ثم نقل ابن عباد فى هذا المحل عن الشيخ أبى طالب المكى رضى الله عنه قوله على حديث أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه (ونصه) فمن أفضل ما غذانا به نعمة الايمان به والمعرفة لنا وغذاؤه لنا منه دوام ذلك ومدده بروح منه وتثبيتنا عليه فى تصريف الأحوال إذ هو أصل الأعمال التى هى مكان النوال فلو قلب قلوبنا عن التوحيد كما يقلب جوارحنا فى الذنوب أو قلب قلوبنا فى الشك والضلال كما يقلب نياتنا فى الأعمال أى شىء كنا نصنع وعلى أى شىء كنا نعول وبأى شىء كنا نطمئن ونرجو فهذا من أكبر النعم ومعرفته هو شكر نعمة الايمان والجهل بهذا غفلة عن نعمة الايمان توجب العقوبة وادعاء أن الايمان ٧ وأخاف على من توهم ذلك أن يسلب الايمان لأنه بدل شكر نعمة الله كفرا اه كلام الشيخ أبى طالب المكى بنقل الشيخ ابن عباد رحمهما الله تعالى ورضى عنهما وانما جلبناه والذى قبله لأنه فى غاية الحسن مع ما فيه من الفائدة العظيمة والمنفعة الجسيمة ولتتحقق هذه النكتة التى أشار اليها الناظم بهذا العطف وتعلم ما فى كلامه رحمه الله تعالى من الدلالة على طريق الشكر فلله دره من ناظم نبيه نبيل وسيد فاضل جليل نفعنا الله ببركاته وبركات أمثاله آمين (التتمة السابعة) لما كانت هذه الطريقة الأحمدية طريقة شكر بالمعنى الخاص حسبما تقدمت الاشارة اليه أتى الناظم رحمه الله فى هذا الافتتاح الذى تضمنته الأبيات الثلاثة بما يشير إلى ذلك السر الخفى ويدل بالرمز اللطيف عليه فتخير من أحسن صيغ المحامد وأجملها ما يؤذن بأعلى مراتب الشكر وأكملها ليستفاد ذلك من عبارته المستنتجة من مقدمة حاله وما هى الا رشحة من رشحات تحقيقاته وكماله فضمن ما تلفظ به من الحمد والثناء على المنعم سبحانه وتعالى الثناء على الوسائط فى نعمه المتواردة علينا ومننه المتواصلة لدينا فأثنى على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما يتضمن أن جميع الأنوار السارية إلى الأولياء مقتبسة من مشكاة أنوارهم كما أثنى على الأولياء بأنهم المختصون بارث علومهم والمستمدون من فيضات أسرارهم وخص بالثناء بعد التعميم نبينا الرسول المصطفى الكريم إذ هو صلى الله عليه وسلم الواسطة العظمى فى كل خير وكل سعاده والمظهر الأكمل لكل فضل وكل سيادة ثم خص هذا الشيخ الأكرم الوارث الأعظم إذ كان من فضل الله تعالى عليه أستاذه وإمامه وقدوته الذى ملكه قياده وألقى اليه زمامه فسلك لا محالة من طريق الشكر أكملها وانتحى من

تبتدأ من وراء طور العقل كما يعلم ذلك من سلك الطريق انتهى ومع هذا فمن ثبتت عدالته لا سبيل إلى تكذيبه الا العناد والاستبعاد وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ومن أين يوجد أتقى لا يصدق ولى الا فيما سبق له وان الله لا يخص بعض الأولياء وأتباعه بما لم ينله غيرهم ولله در ابن مالك رحمه الله تعالى حيث قال وإذا كانت العلوم منحا الهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين أعاذنا الله من حسد يسد باب الانصاف * ويصد عن جميل الأوصاف * والهمنا شكرا يقتضى توالى آلاء ويقضى بانقضاء اللأواء * اه «نظروا بعين عداوة لو انها عين الرضى لاستحسنوا ما استقبحوا» وقد قدمنا عن الشعرانى أنه قال من كان يخبر عما يشاهد يجب على السامع التصديق به ان كان مريدا والتسليم له ان كان حبيبا انتهى ولقد بلغنى أن بعض المنكرين حضر مجلسا تذكر فيه جوهرة الكمال فلما انصرفوا قال لهم لم نر ما كنتم تزعمون من حضور النبى صلى الله عليه وسلم بمجلسكم فقضيت العجب من سخافة عقله لأن حاله يقتضى أنه لا يصدق قلبه إلا بما شاهده بعينه وذلك لزعمه الفاسد أن معنى الحضور جلوسه مع الذاكرين حقيقة حسا وليس كذلك بل لم يدع أحد منهم أنه جالسه ولا رآه فى المجلس وليس هو المحجوب بل هم المحجوبون عنه ولا علينا أن نورد هنا ما يقرب هذا المعنى الذى ذكره شيخنا رضى الله عنه للمنصف ليزداد الذين آمنوا ايمانا ويراه الملحدون غيظا وخسرانا

مقاصده أجلها وأفضلها وذلك مما ينبىء عن علو رتبته فى منازل الصالحين الأخيار ويشير إلى رسوخ قدمه فى مقامات المقربين الأبرار إذ من أخلاقهم رضى الله عنهم شكر المحسن اليهم على ما أسداه اليهم من الاحسان بالثناء عليه والدعاء له وإمحاض الود فى السر والاعلان وذلك لتحققهم بأوصاف الكمال ورسوخ أقدامهم فى مقامات القرب والوصال فلم تحجبهم رؤية الوسائط من العبيد عما هم عليه من صفو اليقين وتحقيق التوحيد فوفوا حقوق جميع المراتب وقاموا أتم قيام بما لها فى ذلك من القسط الواجب جمعا منهم بين الحقيقة والشريعة وتخلقا بالسنة الزكية الرفيعة (وقد أشار فى الحكم) إلى الجمع بين الشريعة والحقيقة فى هذا المقام فقال رحمه الله تعالى ورضى عنه إن كانت عين القلب تنظر إلى أن الله واحد فى منته فالشريعة تقتضى أنه لابد من شكر خليقته اه فعلم أن على العبد وظيفتين فى هذا المقام الأولى وهى عين الحقيقة أن يشهد انفراد الله تعالى بالانعام والثانية وهى عين الشريعة أن يشكر من وصل اليه الانعام على يديه من الأنام وهذه حال أهل الكمال والخاصة العليا من الرجال (وقد ذكر فى عوارف المعارف) أن المبتدىء فى حال ابتدائه ينفى الخلق ويرى الأشياء من الله تعالى وذلك عندما يطالع ناصية التوحيد ويخرق له الحجاب المانع للخلق عن صرف التوحيد فلا يثبت للخلق منعا ولا عطاء ويحجبه الحق عن الخلق فاذا ارتقى إلى ذروة التوحيد يشكر الخلق بعد شكر الحق ويثبت لهم وجودا فى المنع والعطاء بعد أن يرى المسبب أولا وذلك لسعة علمه وقوة معرفته ويثبت الوسائط فلا يحجبه الخلق عن الحق كحال العامة ولا يحجبه الحق عن الخلق كحال أرباب الارادات والمبتدئين فيكون شكره للحق لأنه المنعم والمعطى والمسبب وشكره للخلق لأنهم واسطة وسبب اه فالحالات ثلاث (الأولى) حالة أهل الغفلة من العامة وهم المحجوبون برؤية الخلق عن الخالق جل وعلا فلا يرون المنعم وإنما يرون من جرت النعمة على يديه (والثانية) حالة المبتدئين من أرباب الارادات وهؤلاء لا يرون الخلق جملة وتفصيلا بل لا يرون إلا الخالق تبارك وتعالى (والثالثة) حال أهل الكمال وهم الموفون المراتب حقها حقيقة وشريعة كما تقدم وقد شرح هذه الحالات الثلاث بما يشفى ويكفى العارف بالله تعالى التاج ابن عطاء الله فى آخر حكمه ولا علينا أن نورده بلفظه تتميما للفائدة (قال رحمه الله تعالى) والناس فى ذلك على ثلاثة أقسام غافل منهمك فى غفلته قويت دائرة حسه وانطمست حضرة قدسه فنظر الاحسان من المخلوقين ولم يشهده من رب العالمين اما اعتقادا فشركه جلى واما استنادا فشركه خفى وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك الحق وفنى عن الأسباب بشهود مسبب الأسباب فهذا عبد مواجه بالحقيقة ظاهر عليه سناها سالك للطريقة قد استولى على مداها غير أنه غريق الأنوار مطموس الآثار قد غلب سكره على صحوه وجمعه على فرقه وفناؤه على بقائه وغيبته على حضوره وأكمل منه عبد شرب فازداد صحوا وغاب فازداد حضورا فلا جمعه يحجبه عن فرقه ولا بقاؤه يصرفه عن فنائه يعطى كل ذى قسط قسطه ويوفى كل ذى حق حقه اه وحالة هذا الأكمل هى التى أشار اليها كلام الناظم رحمه الله فى هذا الافتتاح وبه تعرف منزلته مراتب الخير والصلاح إذ كلام الانسان دليل على حقيقته وعنوان (وقد قال) مولانا على كرم الله وجهه تكلموا تعرفوا وقال عقل المرء مخبوء من وراء لسانه (ففى افتتاحه هذا) رحمه الله تعالى إشارة إلى التعريف بنفسه بالطريقة المستحسنة عند أهل جنسه ولا يقال إن كان قصد هذا الذى ذكرتم من الاشارة فهو من بقايا رعونات النفس الامارة إذ هو من قبيل إرادة الظهور وهو عند أهل الله تعالى قاصم للظهور (لأنا نقول) إنما يلزم ذلك على من

صورا بها يرى صلى الله عليه وسلم فى أماكن كثيرة فى المنام وفى اليقظة وذلك ان لذاته الطاهرة نورا منفصلا عنها قد امتلأ به العالم كله فما من موضع إلا وفيه النور الشريف ثم هذا النور تظهر فيه ذاته عليه الصلاة والسلام كما تظهر صورة الوجه فى المرآة فنزل النور بمثابة مرآة واحدة ملأت العالم كله والمرتسم فيها هو الذات الكريمة فمن هناك كان يراه عليه السلام رجل بالمشرق وآخر بالمغرب وآخر بالجنوب وآخر بالشمال وأقوام لا يحصون فى أماكن مختلفة فى وقت واحد وكل يراه عنده وذلك لأن النور الكريم الذى ترسم فيه الذات مع كل واحد منهم والمفتوح عليه هو الذى إذا رأى الصورة التى عنده تبعها ببصيرته ثم يخرق بنورها إلى محل الذات الكريمة وقد يقع هذا لغير المفتوح عليه بأن يمن تعالى عليه برؤية الذات الكريمة وذلك بأن يجيئه عليه السلام إلى موضعه كما إذا علم منه كمال المحبة والصدق فيها فأمر المسئلة موكول إلى النبى صلى الله عليه وسلم فمن شاء أراه ذاته الكريمة ومن شاء أراه صورتها وله صلى الله عليه وسلم ظهور فى صور أخرى وهى صور عدد الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام وصور عدد الأولياء من أمته من لدن زمانه عليه السلام إلى يوم القيامة والعدد المذكور الصحيح فيه أنه غير معلوم وقيل إنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ومثل هذا العدد فى أولياء أمته عليه السلام فله عليه السلام الظهور فى مائتى ألف وثمانية وأربعين ألفا الآن

أراد به التبجح والافتخار لا على من أورده مورد الفرح بالمنعم الجبار وقد قال عز من قائل «وأما بنعمة ربك فحدث» وأيضا فقد ذكر الشيخ محيي الدين رضى الله عنه فى الباب الثالث والعشرين من فتوحاته المكية أن الظهور كمال للرسل عليهم الصلاة والسلام وكذلك لمن ورثهم فى مقام الارشاد للخلق من الأولياء وهو نقص فيمن لم يكن من أهل الارشاد منهم اه (ومقام الناظم) رحمه الله تعالى مقام إرشاد للخلق فافهم ذلك والله تعالى اعلم وفى هذا القدر كفاية فيما قصدنا بيانه فى هذه اليتيمات من النكت البديعة المتعلقة بكلام الناظم رحمه الله تعالى والفوائد المهمات وفيه مما لم نشر اليه غير هذا من المستحسنات واللطائف والدقائق ففيه الاقتباس فى البيت الأول من قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث العلماء ورثة الأنبياء وهو أن يورد الشاعر فى كلامه آية من القرآن الكريم أو حديثا لا على أن ذلك منهما ولذلك كان لا يضر التغيير اليسير فيه حسبما هو معلوم عند علماء الفن كتغيير لفظ لنحو تقفية أو إيهام ما لا يصح ويصح أن يكون ما هنا من الأول وهو ظاهر أو من الثانى ووجهه أنه لما تقرر أن المراد بالعلماء فى الحديث العاملون لا غيرهم صار لفظ العلماء من غير تقييد بالعمل موهما ما لا يصح فى مثل هذا المقام فغير لفظ العلماء بلفظ الأولياء لما ذكر ويحتمل أن يكون ما هنا من نقل الحديث بالمعنى وهو وإن اختلف فيه فلا شك فى جوازه فى نحو الدعاء والثناء على الله تعالى كما هنا بل لا شك فى نقل القرآن بالمعنى فى نحو هذا المقام لاستعماله صلى الله عليه وسلم لذلك فى الصلاة وغيرها فقال «إنى وجهت وجهى» الآية وقال اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا احفظ على دينى وأمنى من الفقر فقول بعضهم إن ألفاظ القرآن لا تستعمل فى غير التلاوة مطلقا غير صحيح راجع شروح الرسالة ونقل الحديث بالمعنى فى نحو هذا المقام منصوص على أنه مما يستحسن عند العلماء الأعلام والله تعالى أعلم (وفيه براعة الاستهلال) التى هى إشارة المتكلم فى أول كلامه إلى ما انتحاه من قصده بذلك الكلام ومرامه إذ مقصوده رحمه الله ذكر ما يتعلق بهذا الورد المحمدى الكفيل لمن تعلق به على طريقة التعبد واخلاص الوجهة إلى الله بالوصول إلى درجة الولاية والحلول فى مقام الوراثة بفضل الله وثم أمور ليس يمكن كشفها * هنا قلدتنى عقدهن شرائع

ثم قال الناظم رحمه الله تعالى

﴿ تم على الفاتح ماقد أغلقا * ومن به ختم من قد سبقا ﴾
﴿ أزكى صلاة وسلام وعلى * أصحابه وآله ذوى العلى ﴾

العاطفة الترتيب مع المهلة وأتى بها الناظم رحمه الله تعالى هنا تبعا لغيره من فحول العلماء كالزين العراقى وغيره للايذان بأنه لم يقتصر من حمد الله تعالى والثناء عليه سبحانه على ما ذكره بل زاد على ذلك فتلفظ منه بغير ما رقمه قبل وسطره (والفاتح) من أسمائه صلى الله عليه وسلم وكذا الخاتم سمى فاتحا لوجوه منها أن الله تعالى فتح به البصائر للايمان والمعرفة بالله ومنها أنه تبارك وتعالى فتح به أبواب الرحمة على الخلق عموما وعلى المؤمنين خصوصا وهذان الوجهان أنسب بالمقام ومحل استيعاب الوجوه الباقية فى معنى هذا الاسم الشريف فى شرح الياقوتة الفريدة وهى صلاح الفاتح لما أغلق الخ والمراد بمن قد سبق فى كلام الناظم رحمه الله تعالى الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام وخاتمهم هو نبينا صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين ومعنى خاتم نبوة النبيين أى علامة تمامها وخاتم بيتها فلا ينبأ أحد بعده أو الذى بعث آخرهم فلا نبى بعده والمعنيان بحسب ضبط تاء

هنا يقع كثيرا للمريدين رؤيته عليه السلام فى ذوات أشياخهم ثم قال

قلت وقد رأيته مرة فى صورة شيخنا رضي الله عنه فاحتضنته عليه السلام وأردت أن أدخله فى باطنى فقال لي الشيخ رضى الله عنه هذا لا يكون فى مرة واحدة وإنما يحصل بالتدريج شيئا فشيئا يريد أن حصوله عليه السلام فى باطن الرائى إنما يكون بالتدريج وإنما نسبت هذا القول للشيخ رضى الله عنه لأنه كلمنى من جهة أخرى والذات التى احتضنتها لم تزد على التبسم والفرح فهذا ما تعلق بخاطرى والله تعالى أعلم انتهى كلام اللمطى رحمه الله تعالى وهذا هو الذى وعدنا به فى الباب الرابع وفى هذا القدر كفاية لمن نور الله بصيرته «إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور»

لقد أسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادى

قال الحصونى ان المنكر لو قرأت عليه التوراة والانجيل والزبور والفرقان والكتب المنزلة كلها لم يترك الانكار وقال الغزالى الحكاية لا تنفع الجاهل ما لم يشاهد ذلك من نفسه انتهى وأما قوله

من أجل ذاك شيخهم فى النادى
ينشر ثوبا للنبى الهادى

فالجواب عنه أنه ليس العمل عندنا بنشر الثوب فان الشيخ لم يأمر به وليس من الأمر اللازم عندنا وإنما فعله التلامذة استشعارا للحضور هذا ما كتب لنا به شيخنا سيدى محمد الحافظ رحمه الله تعالى ثم إن كان الشيخ قد أمر به فهو مما لم يرد فيه نص وقد قدمنا أنه لا ينكر

خاتم وهما متقاربان وقد مثل صلى الله عليه وسلم النبوة ببيت قد كمل إلا موضع لبنة واحدة وانه صلى الله عليه وسلم هو تلك اللبنة فقال صلى الله عليه وسلم مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا وأحسنه فأكمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به و يتعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال فانا اللبنة وأنا خاتم النبيين اه وقد مثلوا النبوة بدائرة ألفت من نقط ووجود النقطة الأخيرة هو المتمم لصورة الدائرة والمظهر لحقيقتها بجميع أوصافها انتهى (وأزكى صلاة) أنماها وأبركها (وسلام) معطوف على صلاة أى وأزكى سلام وأنماه وأبركه والأصحاب جمع صاحب غير مقيس أو هو جمع لصحب الذى هو اسم جمع له أو مخفف منه والمراد صحابته صلى الله عليه وسلم (والآل) تقدم (وذوى العلى) أصحاب العلا بالضم جمع علياء تأنيث الأعلى أو بالفتح ممدودا أى الشرف وهو أى قوله ذوى العلى على كلا المعنيين راجع لكل من الآل والاصحاب رضى الله عنهم أجمعين إذ لاشك أن الجميع ذوو سودد وشرف ومراتب فى الفضل شامخة لاتدرك غايتها ولاتعرف وأتى الناظم رحمه الله تعالى بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعد الثناء على الله تعالى قصدا للتبرك فيما أدرك الشروع فيه رجاء حصول إكماله وإتمامه وبلوغ غرضه فيه وغاية مرامه ولذلك أتى فى صلاته بالوصفين الشريفين الفاتح والخاتم اذفى اتيانه بهما فى هذا المقام تعريض منه باستمداده الفتح فيما قصد الشروع فيه والاعانة على الاتمام من حضرة الموصوف بهما عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام مع ما فى ذلك من ملاحظة وساطته واستحضار على قدره عند الله تعالى وعظيم كرامته ولا محالة أن طالعة هذه المنظومة المباركة كغيرها من طوالع المنظومات العلمية جارية مجرى الخطب ومن لازم الخطب ذكره صلى الله عليه وسلم فيها مع ذكر ربه عز وجل حسبما تقدمت الاشارة إليه وقد قال قتادة فى قوله جل ثناؤه «ورفعنا لك ذكرك» رفع الله قدر نبينا صلى الله عليه وسلم فى الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولاصاحب صلاة إلا وهو يقول أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله أى بذكره صلى الله عليه وسلم مع ربه عز وجل سواء فى لفظ التشهد فيما لا يكتفى فيه غيره أو بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بعد الثناء على الله تعالى فيما يكتفى فيه بذلك كما فى طوالع هذه المنظومات فانهم وان أجروها مجرى الخطب لا يأتون فيها بلفظ التشهد وذلك لأن النظم مبنى على الاختصار والايجاز وهو عند المحققين محل للاكتفاء بالايماآت والتلميحات التى تكاد تلحق بالرموز والألغاز على أن من العلماء من ذكر انه يكتفى بحصول معنى التشهد حتى فى النثر فى غير خطبة النكاح وجعل حديث أبى داود كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء خاصا بخطبة النكاح (وتخير الناظم) لفظ الصلاة التى أتى بها هنا لما ذكرناه من التعريض بالاستمداد من حضرته صلى الله عليه وسلم بذكر الوصفين الشريفين أيضا لأنها مقتطعة من صلاة الفاتح لما اغلق التى هى أحد الاذكار القائم منها هذا الورد الموضوع فيه هذه المنظومة مع كثرة ترغيب سيدنا الشيخ رضى الله عنه فيها واشادته لفضلها ففى تخيره للالفاظ المقتطعة منها محافظة على اتباع القدوة وقد علم ما فيه من الخير والبركة والسر (وعبر رحمه الله تعالى) فى الفاتح لما أغلق بما لارادته بصائر أهل المقامات العرفانية وأبواب الرحمة الربانية (وعبر) فى قوله ومن به ختم من قد سبق بمن لارادته النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهو اقتصار منه رحمه الله تعالى على مايدل على بعض معانى الخاتم لما سبق الذى هو لفظ الصلاة المقتطع منها هذه ولعل ذلك قصد منه رحمه الله تعالى للاتيان بما يدل على مجرد التوحيد

عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه كان ينشر ثوبه للملائكة وكان بعضهم إذا خرج للخلاء طرح ثوبه فيقول للملائكة أجلسوا هنا حتى آتيكم كما فى العهود المحمدية فان قيل هذا من التصديق بمصاحبة الملائكة الواردة وتعظيمهم قلنا هذا أيضا من التصديق المأمور به شرعا فيما لا دليل ينفيه وقد قدمنا أن من صدق الأولياء إلا واحدا فكأنما كذب الجميع وإذا كان لا مانع عقلا ولا شرعا من حضور روح النبى صلى الله عليه وسلم للمصلى عليه فلا ينكر على من فرش له جبينه كما قيل

لو علمنا مجيئكم لفرشنا
مهج القلب أو سواد العيون
وجعلنا فوق الجفون طريقا
ليكون المرور فوق الجفون
بل لو أمر بنشر السندس والحرير
حينئذ لوجده لما استبعد فى مقام
الأدب والتعظيم له صلى الله عليه
وسلم غير أن هذا المسكين حرم
التصديق بكرامات الأولياء فحمله
تكذيبهم على ارتكاب ما هو أعظم
من إنكار كراماتهم ولو أنصف
لسلم ولو لم تكن روح النبى صلى
الله عليه وسلم تحضره فلا أقل من
أن يكون نشر الثوب كتبخير
مجلس الذكر وتطييبه لمن يحضره
من الملائكة ومؤمنى الجن كما قال
سيدى عبد الله بن الحاج ابراهيم
لما ذكر عمل الاخيار فى مجالس الذكر
منه طهارة وطيب الملبس
لمؤمن الجن وطيب المجلس

وأما قوله أقال الله عثرته وفضلوا شيخهم على الخضر * وكونه شيخا لموسى لم يضر

والخلف فى الخضر هل نبى * أو مرسل أو صالح ولى وهو على كل يكون أفضلا * ممن عليه أقبلوا مفضلا

فهذا التفضيل لم يبلغنا عن الشيخ ولا عمن يعتمد عليه من أصحابه أما على انه رسول أو نبى فمقطوع بفضله قطعا على الصحابة فضلا عن غيرهم واما على أنه ولى فلا نعلم نصا ولا اجماعا فى تفضيله على ولى معين كما زعم هو فى تفضيله على شيخنا ولا يلزم منه عدم الفضل فى نفس الأمر لأن نبينا عليه السلام مع كونه أفضل الخلق باجماع قال بعضهم لا يفاضل بينه و بين نبى لقوله عليه السلام لا تفضلونى على يونس ابن متى انظر الذهب الابريز لليدالى وسيأتى آخرا الكلام على التفضيل وبهذا يعلم المنصف ان تفضيل الاشخاص موقوف على نص الشارع فى أمته كما فى الخلفاء الأربعة رضى الله عنهم و يشهد لما قلناه ما ذكره الشيخ سيدى المختار الكنتى رحمه الله تعالى فى الكوكب الوقاد ونصه ولا ينبغى لأحد أن يحكم بتفضيل شخص على شخص ولا نوع على نوع الا بتوقيف ممن له التفضيل أو بدليل يستدل به من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أو اجماع أمته انتهى ثم ان لم يوجد هذا وأخبرنا ولى بذلك فان كان ثابت العدالة كسيدى عبد القادر الجيلى رضى الله عنه فى قوله قدمى هذه على رقبة كل ولى وكشيخنا رضي الله عنه فى قوله لما حكيت عليه مقالة الجيلى هذه وكان مضطجعا فجلس وجمع بين قدميه وقال سيدى عبد القادر قالها فى أهل عصره وأنا أقول قدماى هاتان على رقبة كل ولى من لدن خلق الله آدم الى النفخ أمره

رعيا لمناسبة المقام والله أعلم ﴿ تنبيه ﴾ قد ذكر العلماء فى حكمه كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين أوجها ( منها ) أن يكون الختم بالرحمة إذ هو صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة وجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام خلقوا من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم هو عين الرحمة (ومنها) ارادة الله تعالى أن لا يطول مكث أمته تحت التراب اكراما لها بسببه صلى الله عليه وسلم ( ومنها ) أن لا تنسخ شريعته صلى الله عليه وسلم بل من شرفها نسخها لجميع الشرائع ولهذا اذا نزل سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام فى آخر الزمان انما يحكم بها اه (وقد علم) من حديث من صلى على فى كتاب الحديث المتقدم فضل الاتيان بالصلاة عليه فى مثل هذا المحل ( وذكر غير واحد ) من العلماء الأعلام عن الامام الشافعى رضى الله عنه انه رؤى بعد موته فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى وفعل بى وفعل وذكر خيرات كثيرة فقيل له بم ذلك قال بقولى فى خطبة الرسالة وذكر الصلاة التى صلى بها على النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبته من كتاب الرسالة ثم قال رحمه الله

﴿ وبعد ذا فشيخنا التجاني * أوراده منقذة للجاني ﴾

الاشارة بذا الى ما تقدم من الحمد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والشيخ تقدم معناه لغة وعرفا وباعتبار المعنى العرفى قسم الشيخ زروق رضى الله عنه الشيوخ إلى ثلاثة (شيخ التعليم) وشروطه ثلاثة تحصيل عقد الباب المتكلم فيه والقدرة على الالقاء بلا تقصير والانصاف فى القبول والرد (وشيخ التربية) وشروطه ثلاثة علم المعاملات ظاهرا وباطنا والبصيرة النافذة والتجربة الحاصلة (وشيخ الترقية) وشروطه ثلاثة البصيرة النافذة والنور التام والهمة العالية فبالبصيرة يميز وبالنور يمد وبالهمة يرفع ويحط كما أن شيخ التربية بالعلم يربى وبالبصيرة يرقى وبالتجربة يحقق اه وقد تجتمع الثلاثة فى واحد وهو نادر فى هذا الزمان لتقاصر الهمم وضعف الاستعدادات ومن الاصل فى التربية بالهمة التى هى وظيفة شيخ الترقية حديث أنس رضى الله عنه خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى لشىء صنعته لم صنعته ولا لشىء تركته لم تركته الحديث ولا يشك منصف فى اجتماع الثلاثة فى شيخنا رضى الله عنه حسبما يحققه النظر فى سيرته والاستقصاء للاخبار المتعلقة بأحواله فى دلالته على الله تعالى وتربيته وجمع الضمير المضاف اليه الشيخ اعتبارا بدخول أهل طريقته معه رجاء أن يحقق الله هذه الاضافة بسبب شمول الضمير له معهم فيرحم بسببهم ( والتجانى ) بكثر المثناة مشددة و بالجيم المشددة أيضا وقد تخفف كذا كان يضبطه الناظم رحمه الله تعالى وسيأتى بيان وجه هذه النسبة لسيدنا الشيخ رضى الله عنه (والاوراد) جمع ورد وهو أى الورد عبارة عما يقع بكسب العبد من عبادة ظاهرة أو باطنة فهو ما من العبد للحق تعالى من معاملة وعبودية ( وحقيقة الأوراد ) عقود وعهود أخذها الله تعالى على عباده بواسطة المشايخ فمن بجل المشايخ وحافظ على العقود ووفى بالعهود كان له خير الدارين ومن تهاون بالمشايخ وفرط فى العقود والعهود كان ذلك سببا لزيغه وخرق سفينته قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ( وهذه الآيات الثلاث) هى أصول الأوراد من لدن زمان النبى صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا اه أنظر الجيش الكبير وانظر قول المنقول عنه فيه وهذه الآيات الثلاث الخ فان فى القرآن العظيم آيات أخر دالة على ما دلت عليه هذه والله تعالى أعلم ( والمراد بالأوراد ) فى كلام الناظم رحمه الله تعالى أوراد الشيخ رضى الله عنه التى

أمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يلقنها لكافة الخلق حسبما يأتى مبسوطا إن شاء الله تعالى (وللشيخ) رضى الله عنه فى خاصة نفسه أوراد كثيرة من أذكار السنة والأحزاب والأدعية منها ماهو فى الصباح والمساء ومنها مافى دبر الصلوات ومنها ماهو فى عموم الأوقات والكل بترتيب النبى صلى الله عليه وسلم له رضى الله عنه لما ثبت عنه من أنه كان يقول لا أذكر إلا مارتبه لى صلى الله عليه وسلم وإنما حملنا الأوراد فى البيت على الأوراد اللازمة فى الطريق فقط لدلالة سياق الكلام على ذلك ولأن النظم إنما هو موضوع للازمه ولا يتعلق بها لاغير (ومنقذة للجانى) إخبار عن الأوراد ومنقذ اسم فاعل أنقذه إذا خلصه من الهلاك بعدما أشفى عليه والجانى المسرف على نفسه المنهمك فى سوء كسبه يقول وبعد ماتقدم من حمد ذى الجلال والصلاة والسلام على الفاتح لابواب الرحمة والسبب الاعظم فى كل عطاء ونوال خاتم الأنبياء والارسال صلى الله عليه وسلم فشيخنا الشيخ الاكبر القطب المكتوم الاشهر مولانا أبو العباس التيجانى رضى الله عنه أوراده أى أذكار طريقته اللازمة لمن أهله الله لها بسابق عنايته منقذة للجانى المسرف على نفسه بانهماكه فى غوايته ومخلصة له باذن الله من أسر شهوته وشراك غفلته لان التعلق بها على الحد المحدود لها مستلزم بحول الله تعالى للتوبة وصلاح الحال المنجى بفضل الله تعالى من وخامة المرتع وسوء الحال (وأشار به) إلى مابرز للشيخ رضى الله عنه من حضرة سيد الوجود ومنبع كل أفضل وجود صلى الله عليه وسلم من الوعد الصادق بأنها أى الاوراد المذكورة موصلة الى الله تعالى من غير رياضة ولا مجاهدة ولا كد ولا تعب ولا غير ذلك مما اصطلح عليه فى التربية من بعد الصدر الاول بل بمجرد التلقين ممن عنده الاذن الصحيح فى تلقينها مع القيام بشروطها الاغير (وقد تقدم لنا) ماله تعلق بهذا وسيأتى بعض مزيد عليه أيضا ان شاء الله تعالى فهى أى الاوراد بهذه المثابة لامحالة منقذة للجانى من أسر شهوته ومن حجابية غفلته وبذلك تكون منقذة من النار بفضل الملك الجبار الذى له كمال الاقتدار وكان الله على كل شىء مقتدراً (وكأن الناظم) رحمه الله تعالى قصد فى تعبيره بمنقذة التلميح إلى قوله فى الحكم العطائية من استغرب أن ينقذه الله من شهوته وأن يخرجه من وجود غفلته فقد استعجز قدرة الالوهية وكان الله على كل شىء مقتدرا (قال الشيخ) أبو عبد الله بن عباد رضى الله عنه من استرقته الشهوة واستولت عليه الغفلة فلا ينبغى له أن يستغرب أن ينقذه الله من أسر شهوته وأن يخرجه من وجود غفلته لما يشاهد من استحكام ذلك فيه فان فيه نسبة العجز الى القدرة الالهية والله تعالى متصف بالاقتدار على كل شىء وهذا من الاشياء وليعلم العبد أن قلوب العباد ونواصيهم بيده سبحانه فلا يقنط ولا ييأس وليقصد باب مولاه بالذل والافتقار يسهل عليه ما استصعبه ويظهر فيه ما استغربه (وكأنه) رحمه الله تعالى أراد بهذا الايماء الحسن والتلميح المستحسن التنبيه على ماتضمنته هذه الحكمة ليكون له كالدليل على ماذكره فان كثيراً من الجهلة ومن لاتحقيق عنده يستغرب أن يكون ذكر هذا الورد المشتمل على هذا العدد اليسير منقذاً من ذلك الخطب الخطير وذلك من جهله بمزية الاوراد والخصوصية المودعة فى التلقين من خواص العباد وخصوصا فى هذا الورد الشريف الذى صدر عن اذن الحضرة المحمدية وتولت نظم جواهره ويواقيته يد الذات المصطفوية عليه من الرب العظيم أفضل الصلاة وأزكى التسليم (ومراد الناظم رحمه الله تعالى) ذكر فائدة هذا الورد وبيان ثمرته والافصاح عن مزيته العظمى وخصوصيته ليعلم من ذلك أهمية التأليف فى بيان حقيقته وبه يعرف أنه من الاعمال

يشاهد يجب على السامع التصديق به إن كان مريداً والتسليم له ان كان حبيبا وإن لم يكن عدلا فلا التفات لما يقوله فى الشاهد فضلا عن الغيب قال الشعرانى فى لطائف المنن له بعد كلام ولا يلزم من الأفضلية الظاهرة الأفضلية الباطنة بل الواجب علينا محبة الجميع والوقوف عندما أمر الله تعالى به انتهى ومع هذا فالصواب ترك المفاضلة مطلقا وحسم مادتها فما لنا إلا التسليم وهذا السيد الخضر رضى الله عنه فضل على نفسه وليا خفى عليه فيما حكاه الشيخ سيدى المختار فى الكوكب الوقاد عن الشبلى انه سأل الخضر هل رأيت وليا أعلى منك مقاما قال له واحد من هذه الأمة وجدته فى مسجد الرسول وذكر له ماجرى له معه الى أن قال فعلمت أنه من الابدال وعلمت أنه أعلى منى لأنه عرفنى ولم أعرفه فانظره فيه إن شئت وفى شرح صغرى الصغرى للامام السنوسى ناقلا عن ابن عباد رحمهما الله تعالى فى معنى الأفضلية التى ثبتت بين الأنبياء والرسل ومن فى معناهم مامعناه إنما وقعت الأفضلية بينهم بحكم الله تعالى بأفضلية بعضهم على بعض لامن أجل علة موجبة وجدت فى الفاضل ولم توجد فى المفضول وللسيد أن يفضل بعض عبيده على بعض وإن كان كل واحد منهم كاملا فى نفسه بالغا من ذلك الغاية التى تليق به من غير أن يحمله على ذلك وصف فيهم وذلك مما يجب

له بحق سيادته والتمثيل بالسيد أمر تقريبى إذ لايخلو من البواعث والاغراض والله تعالى منزه عن جميع ذلك

وما فى معناه قلنا به ووقفنا على ما أخبرنا به من بعض البعض واقتصرنا عليه ولم نتعرض لالتماس ما يوجب وجوب ذلك من قبل نظرنا إلى ما أعطى من الآيات وما فقد غيره من الأنبياء منها وإن لم يتعين لنا الوجه أمسكنا عنه لأن التفضيل راجع إلى اختيار سيد الجميع وهو الله تعالى وبذلك نسلم من سوء الأدب مع خواصه وأحبائه ومعه سبحانه وإلا فسوء الأدب لازم لنا لزوما ضروريا كما تواطأ عليه بعض الجهال من العلماء حيث يقولون إن فلانا من الأنبياء حاله كذا وحال نبينا كذا وشتان ما بين الحال والحال أو يقول ان كان اختص بكذا فعند نبينا ما هو أعظم منه كما قالوا فى انفجار الماء من الحجر لموسى وانفجار الماء بين أصابع نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يفرقوا بينهما سوى ان الحجر مألوف منه انفجار الماء والأصابع لم يؤلف منها ذلك قال ولا أقول انهم فى ذلك بمنزلة من هدم قصرا وبنى مصرا أو بنى قصرا وهدم مصرا ولكنه بمنزلة من هدمهما جميعا لأن الأفضل لا يجب ان يفضل بما لم يجعله الله تعالى سببا لافضليته والمفضول لا يجب أن يجعل مفضولا بسبب لم يجعله الله تعالى سببا لمفضوليته والله تعالى لا يحب أن يفاضل بين أحبائه بما لم يجعله سببا للمفاضلة بينهم فآل سوء الادب معهم الى سوء الادب مع الله تبارك وتعالى وهو عظيم انتهى ملخصا (قلت) ما تقدم عن الشيخ رضى الله تعالى عنه من قوله كل ولى من لدن خلق

الصالحات التى لا تنقطع نتيجتها بالممات رحمه الله تعالى وجزاه خيرا ثم قال رحمه الله تعالى :

﴿ وهاك نظما يكشف الحقيقه * فى ورده اللازم للطريقـــه ﴾

﴿ جعلنـا الهنـا من أهلهـا * بجـاه منشيهـا وجاه فضلهـا ﴾

هاك معناه خذ والنظم فى اللغة الجمع وفى الاصلاح كلام موزون قصدا مرتبط معنى وقافية ( والمراد هنا ) المعنى الاصطلاحى وهو فيه من إطلاق المصدر على المفعول كنسج على منسوج ونثر على منثور والمراد بالحقيقة هنا الماهية وما يتعلق بها من اللوازم والشروط المعتبرة لها صحة وكمالا وغير ذلك والورد تقدم معناه والضمير راجع للشيخ رضى الله عنه والمراد الورد الذى رتبه له النبى صلى الله عليه وسلم وأمره بتلقينه لكافة الخلق حسبما حملنا عليه قوله أوراده منقذة للجانى فى البيت قبله ولذلك وصفه بقوله اللازم للطريقة أى الذى لا يصح الدخول فى طريقة الشيخ رضى الله عنه بدونه ولا يسع أحدا ممن دخلها تركه ولو مرة فى العمر فمن فاته فى الوقت المعلوم يبقى مخلدا فى ذمته لأنه صار واجبا بالالتزام والعهد والنذر ( قال العلماء ) ولا قائل بعدم قضاء الالتزامات والنذر شريعة وحقيقة اهـ انظر الجيش الكبير ( وأهل الطريقة ) الذين طلب الناظم أن يجعله الله تعالى منهم هم الذين سبق العلم فى الأزل القديم بأنهم أهلها الذين يختم لهم عليها (وأمر الخواتم غيب ) فلا يقال ان طلبه ذلك من تحصيل الحاصل فافهم ذلك والله تعالى أعلم (وأتى رحمه الله تعالى) فى قوله جعلنا الهنا بنون العظمة إما لإرادته ادخال غيره من إخوانه معه عملا بما هو المطلوب من التعميم فى الدعاء وبما ورد من ان دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة وأن عند رأسه ملكا كلما دعا لأخيه بخير قال ولك مثل ذلك الحديث الذى رواه البخارى فى الأدب (واما لارادته) إظهار نعمة الله عليه بأن أهله للعلم النافع عملا بقوله تعالى «وأما بنعمة ربك فحدث» (وفى هذا) إشارة إلى جواز التعاظم بالعلم حسبما قاله غير واحد فى مثله وقد جاء فى الأثر ليس منا من لم يتعاظم بالعلم اهـ ( وعن مولانا على رضى الله عنه ) لا يحل لأحد الفخر إلا للعالم بعلمه اهـ ذكره بعض شراح الرسالة وقد علمت ان العلم عند المحققين حيث أطلق فالمراد به العلم النافع المقرون بالخشية ومنه يعلم ان ليس المراد بالتعاظم رؤية النفس مرتفعة على الغير محتقرة له فان هذا منهى عنه نهى تحريم باجماع المسلمين ( قال الشراح ) فى معنى الحديث المتقدم أى ليس منا من لم يعتقد أن الله جعله عظيما بالعلم حيث جعله محلا له وموصوفا به ولم يسترذله بحيث يحظره عليه ويمنعه منه لأنه ورد فى الحديث إذا استرذل الله عبدا حظر عليه العلم والأدب اهـ ( وحاصل ) هذا الذى ذكروه أن المراد بالتعاظم شهود المنة من الله تعالى حيث أهله لما حظره على كثير من أمثاله مع عدم استشعار احتقار من حظر عليه ذلك بل يعتقد فى نفسه أنهم أفضل منه من جهة قيام حجة الله عليه بما علمه دونهم وحينئذ لا يزدرى نعمة الله عليه ولا يفتخر بشىء عساه أن يكون حجة عليه عند الله تعالى وليحذر كل الحذر من رؤية النفس ولحظها بعين الكمال ومن اقرارها على دعوى العلم لما يؤدى إليه ذلك من المقت والعياذ بالله تعالى (ومن) كلام سيدى على الخواص رضى الله عنه إياك أن تقر النفس على دعوى العلم فمن أقرها على ذلك فقد أقرها على العجب والفخر ولا يخفى ما فيهما من المقت اهـ ( وقوله منشيها ) هو بتسهيل الهمزة للوزن والضمير فيه للطريقة المذكورة ومنشيها هو النبى صلى الله عليه وسلم إذ هو الذى رتب للشيخ أورادها وأمره بتلقينها ونسبها لنفسه صلى الله عليه وسلم ( وفضلها ) هو ما خصها الله به من الشرف

التام وكفى فى ذلك نسبتها بالوجه الأخص إلى حضرته عليه الصلاة والسلام (يقول) رحمه الله تعالى ومن أجل أن أوراد شيخنا رضى الله عنه وأرضاه منقذة ومخلصة للجانى بفضل الله تعالى من أسر شهوته واتباع هواه خذ أيها المخاطب نظما أى كلاما منظوما يكشف لك الحقيقة فى ورده رضى الله عنه الذى هو عنده لازم للطريقة جعلنا إلهنا الملك المعبود ممن سبق فى علمه القديم أنه من أهلها الذين يختم لهم عليها بمحض الكرم والجود بجاه منشيها وقدوتها العظمى الذى اليه مرجع سندها ومن فيضه الخاص مادة مددها وجاه فضلها الذى اختصت به ببركة عنايته صلى الله عليه وسلم ووصل حبلها بسببه وانما توسل الناظم رحمه الله تعالى بجاهه صلى الله عليه وسلم لأنه أعظم جاه توسل به المتوسلون الى الله عز وجل ويروى توسلوا بجاهى فان جاهى عند الله عظيم (وقد قال ابن عباس) رضى الله عنهما لم يخلق الله جاها أعظم من جاه نبينا صلى الله عليه وسلم والتوسل بفضل الطريقة توسل فى الحقيقة بمشرفها إذ من حضرته برزت وعلى يده ظهرت صلى الله عليه وسلم ولما جرت عادة العلماء العاملين من المؤلفين والمصنفين أن يشيروا فى أول تآليفهم وتصانيفهم إلى الترغيب فيها والحض عليها قياما بحق النصيحة المطلوبة فى الدين أشار الناظم رحمه الله تعالى إلى محض ذلك فيما جعله كالتوطئة لما قصده من وضع الترجمة لمنظومته والتسمية فقال رحمه الله تعالى

﴿ لما سلكت مسلك التحقيق * فيه وأسرجت دجى الطريق ﴾
﴿ سميته بمنية المريد * آخذ ورد شيخنا السديد ﴾

أتى فى هذه الجملة بلما إشارة الى أنه قصد موافقة الاسم للمسمى والضمير فى فيه راجع للنظم المذكور والاسراج الاصباح والدجى معروف والطريق المراد بها هنا هذه الطريقة السنية الموضوع فيها هذا النظم والمريد المراد به هنا الداخل فى هذه الطريقة على طريق الارادة ولذلك بينه بقوله آخذ ورد شيخنا إلى آخره والسديد نعت للورد ووصفه به لما جمع من معانى السداد التى هى القصد والصواب والصدق والعدل والاستقامة يقول لما سلكت فى هذا النظم مسلك التحقيق لمسائله والاتقان لها رواية ودراية مع التحرير لأصوله ودلائله أوسرجت فيه بالايضاح ما كان من مسائل الطريق مظلما وبينت وجه الحق فيما كان من بعض العبارات مبهما أو موهما سميته وترجمته بمنية المريد آخذ هذا الورد المحمدى السديد (وفى قوله) لما سلكت البيت من المدح لنظمه الفائق مالا يخفى ببادىء الرأى على الأريب الذائق وبما سلكه فيه من التحقيق وأوضحه من معانى الطريق وافق الاسم مسماه وبلغ سهم القصد منه مرماه (وفيما ذكره أيضا) من سلوكه فى نظمه مسلك التحقيق إلى آخره إشارة إلى موجب نظمه لهذه المنظومة المباركة لأن تحقيق المسائل وتحرير ما لها من الأمور والدلائل معدود عند العلماء فى الفوائد التى لا يدخل تأليف فى العلم الذى ينتفع به بعد الموت إلا باشتماله على بعضها ثم قال رحمه الله تعالى

﴿ لولا مخافتى التطويل * لجئت للمذكور بالدليل ﴾
﴿ لكننى أرجو من المهيمن * تسهيل شرح للنظام حسن ﴾
﴿ فعند ذا تقر بالتصديق * لما ذكرت لك بالتحقيق ﴾

المخافة هنا الخوف والتطويل المراد به هنا بسط المسائل وجلب ما يتعلق بها من الشواهد والمستندات والدلائل لا الأطناب الذى هو الخروج عن حد الاعتدال والمذكور المراد به المسائل المذكورة فى هذا النظم من أوله إلى آخره والدليل المراد به هنا الانقال التى تشهد لصحته بذات الحافر فى عرف أهل مصر وأيضا يبين مراد الشيخ بذلك ماصرح به رضى الله عنه فى جواهر المعانى لما حكى الخلاف فى الولى

ويدل على ذلك أن الولى فى الاصطلاح اليوم المتبادر منه إلى الذهن غير الصحابة فصار حقيقة عرفية فى غيرهم من صالح الأمم المخصوصين بالمعارف والأسرار ومجازا فيهم ولا يعدل إلى المجاز متى أمكنت الحقيقة وان كان الصحابة هم الاولياء الكبراء والسادات العظماء ألا ترى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم أولياء الأولياء ولا يقال فيهم ذلك فى الاصطلاح بدليل مقابلتهم بهم فى قولهم الانبياء معصومون والاولياء محفوظون ويشهد لما قلناه من كون لفظ الولى صار فى العرف حقيقة فى غير الصحابة أن من قال مثلا رأيت كلاما لبعض الاولياء انما يتبادر منه غير الصحابة والتبادر عند التجرد عن القرينة بدليل على الحقيقة قال سيدى عبد الله فى نشر البنود على مراقى السعود المعنى الذى يتبادر الى الذهن من اللفظ عند عدم القرينة هو المعنى الحقيقى له وغيره وهو مالا يتبادر اليه إلا بالقرينة فهو المجازى وقال ابن السبكى فى جمع الجوامع اللفظ إما حقيقة أو مجاز الى أن قال ثم هو محمول على عرف المخاطب أبدا انتهى فبان واتضح أن قول الشيخ رضى الله عنه كل ولى الخ عام خصصه العرف بغير الصحابة وقد عده الأصوليون من المخصصات قال سيدى عبد الله فى عدة لها

* والعرف حيث قارن الخطابا *

﴿قلت﴾ ومن ذلك تخصيص عموم قول الحالف مثلا لاركب دابة

وثبوته شريعة وطريقة والرجاء ضد الخوف وهو من مثل الناظم مظنة لأن لا يخيب لصدق نيته وعلو همته والمهيمن من الأسماء الحسنى قالوا معناه الشاهد الذى لا يغيب عنه شيء وقال الخليل وأبو عبيدة هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيباً على الشيء هذا أصله عندهما وقيل فيه غير ذلك وقال ابن الانبارى المهيمن القائم على خلقه برزقه وأنشد

ألا إن خير الناس بعد نبيه * مهيمنه التاليه فى العرف والنكر

قال معناه القائم على الناس بعده اه أنظر مفاتيح الغيب عند قوله تعالى «المؤمن المهيمن» وعند قوله سبحانه «ومهيمنا عليه» (وفى بعض شروح أسماء الله الحسنى) معناه الرقيب والحفيظ على كل شيء بعلمه وحكمه وقدرته قال وحظ العبد منه الاذعان لحكمه تبارك وتعالى والمراقبة له سبحانه فى جميع الحركات والسكنات ظاهراً وباطنا تحققا منه باحاطته به علما وقدرة وحكما انتهى (والتسهيل) التيسير سهل الله الأمر يسره (والشرح) معروف والنظام النظم المذكور و (حسن) المراد به هنا مفيد جداً والاشارة بذا من قوله فعند ذا إلى تسهيل الله تعالى فى وضع شرح و (تقر) من الاقرار وهو الاعتراف والاذعان والتصديق من صدقت فلانا أو القول نسبته للصدق ومامن قوله لما ذكرت لك الى آخره واقعة على جميع المذكور فى النظم يقول لولا أنى خفت وخشيت أن يفضى بى البسط والتقرير لما أشرت اليه فى البيتين قبل هذا من التحقيق والايضاح والتحرير إلى التطويل الذى لا يحتمله المقام ولا تسعه دائرة النظام لأتيت لجميع ماذكرته وحققته من المسائل وبينته بالدلائل القاطعة والبراهين الساطعة أى النصوص التى تشهد له والانقال التى تسفر عن وجوه مآخذه ومستنداته شريعة وحقيقة وتبين أصله لكن لما كان التعرض لذكر تلك النصوص واستخراج مافيها من السر المصون محله الشروح لا المتون فانى أرجو وآمل من فضل الكريم الذى لا تخيب لديه الآمال المهيمن الكفيل لعباده بجزيل النوال أن يسهل بمنه على فى شرح لهذا النظام حسن مفيد مشتمل على جميع وجوه الكمال والتمام فبسبب التسهيل من الله تعالى لما ذكر تقر وتذعن أيها المتشكك أو المنكر معترفا ومصدقا أى تصديق لجميع ماذكرته لك فى هذا النظم على التحقيق ويحتمل أنه طلب من الله تعالى تسهيل وضع الشرح على يده لا على يد الغير وهو الأنسب بحال الصادق الحريص على الخير ويحتمل أن يكون طلب ذلك مفوضا فيه إلى مولاه فلا عليه أن يحصل على يده أو يد من عداه وهو الأقرب لتحقيق منزل الاخلاص لما فيه من التفويض وطلب الخيرة من الله تعالى كما هو شأن العبيد الخواص ويؤيد هذا الاحتمال بل ربما أفاد أنه المتعين اتيانه رحمه الله تعالى فى طلبه بالاسم المهيمن إذ التحقق بمعناه الذى هو احاطته تعالى بالعبد علما وقدرة وحكما موجب للعبد خروجه عن جميع صفات نفسه خروجا جزما وبسبب ذلك ينسلخ عن جميع تدبيراته فى كل جليل وحقير ويكتفى بالتدبير والاختيار ممن هو على كل شيء قدير وإلى هذا فهذا العبد الحقير يسأل بلسان التضرع والاضطرار من فضل مولاه العلى الكبير أن يجعل هذا التقييد دعوة الناظم رحمه الله تعالى ويديم به النفع الكثير انه سبحانه وتعالى بالاجابة جدير آمين ﴿تنبيه﴾ الخطاب فى مثل قول الناظم رحمه الله تعالى لولا مخافتى إلى آخره خاص بدرجة الفقيه لا الفقير الموفق قال الشيخ أبو الفيض سيدى زروق رضى الله عنه الموفق من يقبل الحق بلا دليل ولا يقبل الباطل وإن قام عليه ألف دليل كأبى بكر رضى الله عنه لما دعى أجاب بلا تردد والفقيه من يقبل الحق بالدليل ولا يقبل الباطل بحال والمنافق من يقبل مايلقى

---

المفتوح عليه والصحابى غير المفتوح عليه والحق أن الصحابى أفضل للحديث ان الله فضل أصحابى على سائر العالمين ماعدا النبيين والمرسلين ولمشاهدة طلعته عليه السلام التى لم تحصل لغيرهم ولان غيرهم فى موازينهم فكيف يفضلهم والمرء فى ميزانه اتباعه

فاقدر إذا قدر النبى محمد وكان يقول ان أعمال غيرهم بالنسبة إلى أعمالهم كسير النملة بالنسبة إلى سير القطاة انتهى وهذا كاف لمن يلتمس أحسن المخارج وإذا كان كلام الشارع يخصص بعضه بعضا ويقيده فما المانع من ذلك فى كلام ورثته من الاولياء والمؤمن يلتمس المعاذير والمنافق يتبع العيوب بل يجدها «ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة» والعجب كل العجب ممن يترك صريح لفظه ويأخذ بما توهمه من لازم قوله الذى لا يقول به فهو كما قال كثير من المشايخ فى الشيخ محيي الدين بن العربى الحاتمى كما فى المسناوى ان محكم كلامه يقضى على متشابهه ومطلقه يرد إلى مقيده ومجمله إلى مبينه ومبهمه إلى صريحه كما هو الشأن فى كلام من ظهرت عدالته انتهى ولله در الأديب سيدى عبد الله بن أحمد دام الحسنى حيث يقول فى الرد على الزعم الفاسد فالشيخ فضل أصحاب النبى على غير النبيين حقا ما به فقد قال الصحابة يلفى فى صحائفهم أمثال أعمال ممن بعدهم عبدوا وان كالنمل بطئا سير غيرهم وان سيرهم كالورق إذ ترد لا يطمع المرتقي فيهم لصحبتهم * بفضل تلك على جوز السما قعدوا

اليه

إليه بغير هدى من الله « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا » الآية » اه كلام الشيخ زروق وعليه فيكون الناظم رحمه الله تعالى احتاج إلى الاعتذار عن عدم إتيانه بالدليل رعيا لجانب المتشكك أو المنكر لعلوم الطريق كما قررناه به لا لمن عداهم من المريدين الصادقين المصدقين الموضوع هذا النظم تذكرة وتبصرة لهم فافهم ذلك والله الموفق. ثم إن الناظم رحمه الله تعالى لمن ضمن هذه الأبيات الثلاثة والبيتين قبلها مدح منظومته هذه بما يؤذن بجمعها لجميع وجوه الحسن والكمال وكان شأن النفس أن تستشعر التعاظم والتفاخر بما ينسب إليها من ذلك فى ظاهر الحال أتى بما يشعر بتحققه بوصف عبوديته ويشير إلى ما هو عليه فى حقيقته من قصوره وعجزه وضعفه وزلته سالكا فى ذلك طريق التدلى من حال أهل التعريف إلى حال أهل التكليف فقال رحمه الله تعالى ورضى عنه .

﴿ هذا مع العلم بأنى لست * أهلا لذا وأننى استهدفت ﴾
﴿ لكننى أرجو من اللطيف * حفظى من الخطا والتصحيف ﴾
﴿ وأن يكون ذا النظام سببا * إلى ارتقاء درجات النجبا ﴾

استهدف صير نفسه هدفا أى نصبها غرضاً إذ الهدف الغرض وأهدف واستهدف انتصب وقولهم من صنف فقد استهدف أى انتصب كالغرض يرمى بالأقاويل اه أنظر المصباح واللطيف من أسمائه تبارك وتعالى والخطأ ظن الشىء على غير ما هو عليه والتصحيف التغيير والسبب الحبل وهو ما يتوصل به إلى الأعلى ثم استعير لكل شيء يتوصل به إلى أمر من الأمور فقيل هذا سبب عن هذا وهذا مسبب عن هذا اه مصباح والنجباء جمع نجيب وهو من نجب بالضم نجابة فهو نجيب والجمع نجباء مثل كريم وكرماء وزناً ومعنى اه منه أيضا والمراد بالنجباء هنا العارفون الواصلون المخصوصون بكمال الشهود إذ هم أكرم الناس « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وهو الذى يدل عليه سياق الكلام بلاشك والله أعلم يقول هذا وقد قلت ماقلته فى الابيات السابقة مما هو مشوب بنوع إدلال المتوقع مع بسطه قبض الاذلال مع علمى وتحققى بأننى بكل اعتبار وعلى كل حال لست أهلا لهذا الذى تصديت فى هذا المجال إليه ولا محلا لما حمت حوله فى هذا المقام وعرجت عليه ومع علمى وتحققى أيضا بأننى استهدفت أى نصبت نفسى هدفا لسهام التأنيب والملام من كل من يقف على هذا النظم من الأنام ومن المعلوم الشائع بين الخلف عن السلف قولهم من صنف فقد استهدف لكن حيث كان لطف الله تعالى لا ينفك عن مشيئته وإحسانه جل وعلا لا ينقطع عن بريته فانى أرجو وأطلب من ربنا سبحانه المولى اللطيف أن يحفظنى فى هذا الذى اقتحمته من زال الخطأ والتصحيف فهو سبحانه الحنان المنان الكافى عباده الراجين لفضله والحامل عنهم أثقال ماحملوه بمحض الامتنان فصاروا إليه محمولين فى محفات البر والعطف والحنان مروحا عليهم بنفحات اللطف والاحسان حتى وصلوا إلى حضرة قربه ورضاه وولجوا بحبوحة مأمن الله إلى الله كما أطلب منه سبحانه وتعالى أن يتدارکنى بلطفه الخفى فيأخذ بيدى من شهود علمى وعملى إلى شهود توفيقه الأزلى حتى يكون هذا النظام الذى أجرته على يدى ولسانى أيدى الافضال والانعام سببا موصلا من فضل مولانا واسع الكرم والجود إلى ارتقاء درجات النجباء أى العارفين المخصوصين بكمال الشهود ﴿ تنبيهان ﴾ الأول تفسيرنا للنجباء فى كلام الناظم بأنهم العارفون المخصوصون بالشهود الكامل هو أحد احتمالين فيه ويحتمل أن يكون رحمه الله تعالى طلب من الله أن يجعله من النجباء الثمانية

فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويجزيه أحسن جزاء وبما قدمناه يندفع قول هذا المنكر أقال الله عثرته وفضلوا محجوب صحبه على

قرن الصحابة وقرن من تلا نعم الذى صدر عن الشيخ رضى الله تعالى عنه مثل قوله ليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بلا حساب ولا عقاب إلا أنا وحدى إلى أن قال ووراء ذلك مما ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وضمنه صلى الله عليه وسلم لهم أمر لا يحل لى ذكره ولا يرى ولا يعرف إلا فى الآخرة انتهى. وهذا ونحوه من التحدث بالنعم واقع من كثير من الأولياء ولا يقتضى تفضيلا على الصحابة لأن المفضول قد ينال مزية لم ينلها من هو أفضل منه ومن هذا القبيل ماقاله سيدى محمد بن ناصر رضى الله عنه المتعمش تعمشا ما فى دينه متعلقا بحزبنا وكان من جملة فقرائنا خير من الخازم المتعلق بغيرنا وقول شيخ شيخه من وقع عليه طابعنا تهنينا منه ونشفع فى غيره من المحبين وقوله وقع عليه طابعنا أى أخذ منا وردنا ومنه قول بعضهم البيضة منا تعدل الف فرخ من غيرنا أو كما قال أنظر فرائد الفوائد ومنه ضمان الشيخ سيدى عبد القادر الجيلى لمريديه إلى يوم القيامة أن لا يموت أحد منهم إلا على توبة كما فى كذا ٣ وأما قوله أقال الله عثرته وستر عورته والكفر فى تفضيل هذا القرن * لقوله خير القرون قرنى فكذب وافتراء على الحنيفية السمحاء فقد قال اليدالى فى فرائد الفوائد أما القدر المعلوم من الدين ضرورة

من غير نظر واستدلال وكذا يخل بالايمان جحد ما علم من الدين بالضرورة فخرج ماعلم من الدين ضرورة وليس بحكم ولا يتضمن حكما ولا تكذيب قرآن كانكار وجود أبى بكر وعمر وقتل عثمان أو خلافة على أو غزوة تبوك أو مؤتة أو وجود بغداد مما علم من النقل ضرورة وليس فى إنكاره جحد شريعة فلا يكفر بخلاف صحبة أبى بكر فيكفر لمخالفة قوله تعالى « إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » ولا يقال يلزم من إنكار وجوده إنكار صحبته لانا نقول لازم المذهب ليس بمذهب وبخلاف إنكار وجود مكة والبيت أو غزوة بدر أو حنين بمرتد لتكذيب القرآن و إنكار مكة والبيت يتضمن إبطال حكم شرعى وهو الحج وانظر هل كذا إنكار وجود بيت المقدس لتكذيب قوله إلى المسجد الأقصى أم لا لأن لازم المذهب ليس بمذهب قاله عبد الباقى انتهى وقال الهيتمى على الأربعين التكذيب المقتضى للكفر هو إنكار ماعلم من الدين ضرورة بأن يعلمه بديهة حتى العامة كالوحدانية والنبوة والبعث والجزاء ووجوب نحو الصلاة وندب الرواتب إلى أن قال وقد يكون الشىء متواترا معلوما بالضرورة عند قوم أى كتواتر وجوب الصلاة على المكلفين دون غيرهم كمن نشأ بشاهق جبل لم يخالط أحداً فيكفر من تواتر عنده دون غيره أما المجمع عليه غير المعلوم من الدين بالضرورة كاستحقاق بنت الابن السدس مع بنت الصلب فلا كفر

الحبيب

الذين لا يخلو منهم زمان ومتى مات واحد منهم خلفه آخر ووصفهم فى الفتوحات المكية بأنهم هم الذين يبدو عليهم ومنهم آثار القبول من أحوالهم و إن لم يكن لهم فى ذلك اختيار لكن الحال يغلب عليهم ثم قال ومقامهم الكرسى لا يتعدونه ماداموا نجباء فلهم علم الثمانية أفلاك اه وعلى هذا الاحتمال يكون تخصيصه لهذا المقام بالطلب إما بالهام من الله تعالى لسبق العلم الأزلى بأنه من أهله أو لقوة ظن منه أن الله تعالى أراد به ذلك المقام ولا يبعد ذلك من حاله فقد كان يبدو عليه ومنه من آثار القبول مالا مزيد عليه ولا يصل واصل بالتعمل إليه والله تعالى أعلم ﴿ التنبيه الثانى ﴾ إذا تأملت كلام الناظم رحمه الله تعالى فى هذه الأبيات من قوله وهاك نظما إلى هنا على ما قررناه به ألفيته دائراً على أقسام الشهود الثلاثة المشار إليها فى قول أبى العباس المرسى رضى الله عنه الناس على ثلاثة أقسام عبد بشهود ما منه إلى الله وعبد هو بشهود ما من الله إليه وعبد هو بشهود ما من الله إلى الله فقوله هاك نظما مع قوله لما سلكت مسلك التحقيق الخ يشير إلى حال القسم الأول وقوله لكننى أرجو من اللطيف الخ يشير إلى حال القسم الثانى وقوله وأن يكون ذا النظام سببا الخ يشير إلى القسم الثالث وراجع ما قررنا به كلامه مع ما قدرناه فيه فى سبك البيت الأخير تقف على حقيقة ما ذكرناه فى هذا التنبيه إن شاء الله تعالى ( وأعاد الناظم ) رحمه الله تعالى الطلب هنا بعد ما تقدم من قوله جعلنا الهنا من أهلها الخ لأن الاكثار من الدعاء مستحب مرغب فيه ولاسيما فى أول الشروع فى نحو التآليف العلمية لما يتوقع فيها من الزلل ويتخوف من دخول الخلل وقد ورد حديث من أهمل الدعاء فقد استهدف البلاء (اللهم) انا نسئلك العفو والعافية ومصاحبة الطائف الخفية لجميع تقلباتنا فى السر والعلانية بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين آمين ( ولما كان ) طلبه من الله تعالى مشتملا على طلب أعلى درجات الكمال وكان اجتناء ثمرة ذلك مشروطاً بحسن المآل أردف ذلك بطلب حسن الخاتمة فقال

﴿ وأن يمتنى على دين النبى * وحب شيخنا الامام الطيب ﴾
﴿ قطب الأنام ذى التقى والجود * حب الرسول سيد الوجود ﴾

أطلق الحب على أصناف الموالاة محبة واعتقاداً واستناداً وخدمة وغير ذلك لأن الحب يستلزم جميع ذلك كما لا يخفى مع ما فيه من الاشارة إلى أن اجتناء ثمرة التعلق بالشيخ مشروط بحسن المآل والاضافة فى شيخنا للتشريف مع مافيها من الاشارة إلى كمال الانحياش إليه رضى الله عنه ووصفه بالامام تعريضاً منه بطلب الشفاعة منه فى إجابة دعائه إذ الأئمة شفعاء ووصفه أيضا بالطيب تقوية لرجائه أن ينال من طيبه بسبب تعلقه به ولو بأدنى شىء إذ لا يخلو من تعلق بالطيب عن أن يعلق به شىء من طيبه ثم أكد تعريضه فيما عرض بما ذكره من قوله قطب الأنام الخ البيت من النعوت السنية والأوصاف الجليلة إيماء منه إلى أن من اتصف بها لا يسوم الضيم والخسف جاره ونزيله ( والقطب ) فى الأصل حديدة تدور عليها الرحى سمى خيار الناس به لكون جميع خصال الخير مجتمعة عنده ودائرة عليه ولا يكون فى كل عصر إلا واحداً خليفة النبى صلى الله عليه وسلم لحفظ العالم بالنيابة عنه صلى الله عليه وسلم ولهذا قال قطب الأنام إذ الأنام كسحاب وساباط وأمير الخلق أو الجن والانس أو جميع ما على وجه الأرض اه قاموس بلفظه وسيأتى لنا بسط الكلام فيما يتعلق بالقطب عند قول الناظم رحمه الله تعالى وفى المحرم غداً الخ إن شاء الله تعالى والتقى جمع تقاة مصدر تقى كتعب فى تقدير رتبة ورتب اه والجود بالضم التكرم والجب بالكسر

بانكاره عندنا انتهى كلام اليدالى وقال عبد العزيز الأندلسي المشتهر بالحنفى

الحبيب ( وسيد الوجود ) نبينا صلى الله عليه وسلم والوجود خلاف العدم والمراد كل موجود أوجده الله تعالى يقول وأرجو وأطلب من مولانا الرب اللطيف أن يتم نعمته على فى هذا الذى طلبته منه بأن يميتنى على دين نبينا صلى الله عليه وسلم سيد كل مشروف وشريف وعلى محبة شيخنا الامام الاكرم الطيب الأخلاق والشيم قطب الانام المحلى بالتقى والتكرم ورعى الذمام حبيب نبينا الرسول المصطفى الكريم سيد الوجود المخصوص بالدرجة العليا والجاه العظيم صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم ووصفه بحب الرسول لما صح عنه رضى الله عنه من أخباره بأنه صلى الله عليه وسلم قال له أنت حبيبى وكل من أحبك حبيبى وقد ذكر بعض مشاهير الاصحاب وفضلائهم عن بعض خاصته رضى الله عنهم وكان من أهل بيته صلى الله عليه وسلم أنه حدثه أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال له أنت ابن الحبيب وأخذت طريقة الحبيب ثم قال

﴿ عليه أزكى صلوات الرب * وآله شم الذرى والصحب ﴾

﴿ ما اشتاق مؤمن إلى طيبته * وحبه وحب آل بيته ﴾

الصلوات جمع صلاة وقد تقدمت وكذلك معنى أزكى والرب إذا دخلت عليه أل لا يطلق إلا على الله تعالى قاله القرطبى فى تفسير الفاتحة اه بنقل بعض الشراح وفى المصباح المنير الرب يطلق على الله تعالى معرفاً بالألف واللام ومضافا اه ومعناه المالك الذى يربى عباده باحسانه فلا مالك غيره ولا مدبر سواه والآل المراد بهم فى هذا البيت أهل بيته خاصة بقرينة سياق الكلام وشم من الشمم وهو الارتفاع ( والذرى ) جمع ذروة بالكسر والضم وذروة كل شىء أعلاه والصحب جمع صاحب وقد تقدم وأل فيه نائبة عن الضمير واشتاق من الشوق وهو نزاع النفس إلى المشوق إليه (وطيبة) اسم مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم مشتق من الطيب سميت به لطيب هوائها وترابها وساكنها وطيب العيش بها قاله الزرقانى فى شرح المواهب اللدنية ثم قال قال ابن بطال من أقام بها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة لا توجد فى غيرها اه وقال الهيثمى فسميت بذلك لان الله تعالى طيبها لرسوله فجعلها دار هجرته ومحل نصرته وموضع تربته قال ولها أسماء أخر كثيرة جداً اه قال الزرقانى وقد بلغت أسماؤها خمسة وتسعين وكثرة الأسماء آية شرف المسمى والضمير فى قوله وحبه للنبى صلى الله عليه وسلم وهو معطوف على قوله طيبته وكذا قوله وحب أهل بيته وأهل البيت هم أزواجه صلى الله عليه وسلم وذريته وأقاربه كالعباس وعلى وكل من تحرم عليه الصدقة اه قاله ابن جزى فى تفسيره (وفى الشفاء) عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم الله أهل بيتى ثلاثا قال الراوى عنه قلنا لزيد من أهل بيته قال آل على وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس قال السيوطى أخرجه مسلم اه ذكره فى شرح الحصن يقول رحمه الله تعالى على سيد الوجود والسبب فى كل موجود أزكى صلوات الرب الواجب الوجود وعلى آله وصحبه وذريته ما اشتد شوق كل مؤمن كامل الايمان إلى مشاهدة أنوار طيبة والتمتع بانتشاق طيب تربته وتعفير وجنتيه بثرى أعتاب روضته وما اشتد شوق كل مؤمن مؤيد بأنوار العناية محفوف بأسرار التوفيق والهداية لمحبته صلى الله عليه وسلم المحبة الكاملة المستلزمة لاتباع شريعته الطاهرة الفاضلة وما اشتد شوق كل مؤمن صادق الرغبة فيما عند الملك القادر إلى كمال المحبة وإمحاض المودة لأهل البيت الطاهر ﴿ تنبيهات ﴾ الأول أتى بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا المحل لوجهين الأول كونه ذكره صلى الله عليه وسلم ( وفى الحديث ) البخيل من

فان قلت أطلق كثير من أئمة الشافعية القول بتكفير جاحد المجمع عليه قلت قال النووى ليس على اطلاقه بل من جحد مجمعا عليه فيه نص وهو من أمور الاسلام الظاهرة التى يشترك فى معرفتها الخواص والعوام كالصلاة فهو كافر وما لا يعرفه إلا الخواص فليس بكافر ونحوه للقرافى قال بل جحد أصل الاجماع جماعة من الخوارج والروافض ولا نعلم من كفرهم من حيث جحدوا الاجماع انتهى. قلت كيف يكفر معتقد ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق إيمانا قوم فى أصلاب الرجال يؤمنون بى وفى رواية قوم يجيئون بعدكم فيجدون كتابا بين لوحين يؤمنون بما فيه. وقال أيضا ليدركن المسيح أقواما انهم لمثلكم أو خير ولن يخزى الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها وقال أيضا أمتى كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره أو كما قال وليس قصدنا بما ذكرناه من هذه الأحاديث الاستدلال على أفضلية المتأخرين لأن معتقدنا ولله الحمد عدمه قائلين ما قال الشهاب أفندى فى نسيم الرياض وهذا يشير إلى هذا الحديث بالنظر لأفراد مخصوصة وذلك يعنى حديث خير القرون قرنى بالنظر لمجموع العصر وشتان ما بينهما وجعل كل منهما فى واد قال قد يجىء فى الامة من ينفع الناس نفعا عظيما لم يتيسر لغيره ممن سبقه لكن العجب من تكفير هذا المنكر لمعتقد ذلك بمجرد اتباع الهوى من غير دليل صحيح وإنما يكفر من أنكره عناداً بعد علمه بصحة ما ورد فيه عن الشارع ومع

فى كبيره عند أول كلامه على باب الاعتقاد منها وهل تبرع المصنف بشىء فى هذا الباب أم لا فمنهم من قال تبرع بقوله وان خير القرون الخ ومنهم من قال يجب اعتقاد ذلك انتهى. ومثله فى الاجهورى فى ذلك المحل وزاد ما نصه قلت وعلى القول بأنه تبرع بقوله وان خير القرون الخ يكون هذا مما لا يجب اعتقاده لكن يضر اعتقاد خلافه أى لا يجوز ذلك انتهى. وأما قوله أقال الله عثرته

وقول بعض القوم خضنا بحراً ما خاضه من بالعلوم أحرى
لم يك حجة بها يفضل
أهل التصوف على من فضلوا والانبيا وقوفهم بالساحل
لم يك عن جهل كما للداخل

فليس مما نحن بصدده ولعله أتى به ليكون تقوية لما توهمه مما نسبه الى الشيخ من تفضيله نفسه على الصحابة وأنه اعتمد على نحو ظاهر هذا اللفظ واغترّ به وحاشا جانب الشيخ من ذلك ولفظ هذه المقالة خضنا بحراً وقف الانبياء بساحله وتنسب لابى يزيد البسطامى رضى الله عنه ولكن لم تصح نسبتها إليه كما فى فتاوى ابن حجر قال وان صح أنه قالها وجب صرفها عن ظاهرها وتعين تأويلها بما يليق بجلالته بأن يقال وقفوا بساحله ليعبروا فيه من رأوا فيه أهلية العبور أو ليدركوا من أشرف على الغرق أو نحو ذلك مما فيه نفع للغير كما يقف الأفضل يشفع فى دخول الجنة ويدخل المفضول قال بعضهم أو يقال وقوفهم وقوف صدور لا وقوف

كان

ذكرت عنده فلم يصل علىّ وتعريف الجزأين يدل على الحصر للمبالغة أى لا أبخل ممن بخل بالصلاة على من كان سببا فى كل رحمة واصلة إلينا وصلاتنا عليه نافعة لنا مع خفتها على اللسان وثقلها فى الميزان فالبخيل بها أبخل ممن بخل بماله قاله الرصاع بمعنى مختصرا اه ينقل شارح الحصن رحمه الله تعالى قال ومقتضى هذا الحديث وغيره من الأحاديث التى بمعناه كحديث من ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله وحديث شقى عبد ذكرت عنه فلم يصل على وحديث من الجفا أن أذكر عند أحد فلا يصلى على وجوب الصلاة عند ذكره صلى الله عليه وسلم وبه قال اللخمى من المالكية والطحاوى من الحنفية والحليمى والأسفرايينى من الشافعية وابن بطة من الحنابلة (والوجه الثانى) هو أنه ختم طلبته من الله تعالى بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم لحديث كل دعاء محجوب حتى يصلى على محمد وآل محمد وفى رواية أن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شىء حتى تصلى على نبيك صلى الله عليه وسلم ﴿التنبيه الثانى﴾ أتى رحمه الله تعالى بالصلاة هنا خالية عن السلام خلاف ما فعله فيما تقدم اشارة إلى أن إفراد الصلاة عن السلام أو العكس انما يتحقق إذا لم يجمعهما مجلس أو كتاب فلا تتناوله الكراهة فى قول من قال بها فى ذلك (قال) الشيخ عبد الرؤف المناوى قال خاتمة الحفاظ أبو الفضل بن حجر لم أقف على دليل يقتضى الكراهة أى كراهة الافراد على أن الافراد إنما يتحقق إذا لم يجمعهما مجلس أو كتاب كما حققه بعض الأئمة الانجاب اه ﴿التنبيه الثالث﴾ قصد الناظم رحمه الله تعالى بقوله ما اشتاق مؤمن إلى طيبته الى آخر البيت تأبيد الصلاة من الرب الجليل الأكرم على حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم وبيان وجه التأبيد فى اشتياق كل مؤمن كامل الايمان إلى طيبة على مشرفها أفضل الصلاة وأزكى السلام هو أن الاشتياق إليها انما هو من أجله صلى الله عليه وسلم

أحب الحمى من أجل من سكن الحمى * ومن أجل من فيها تحب المنازل

فالاشتياق والحب فى الحقيقة انما هو لذاته الكريمة ومحاسنه الفخيمة ومحبته صلى الله عليه وسلم من الأحوال والمقامات التى لا تنقطع بالموت ولا تنقرض بانقراض هذه النشأة بل لا يزال كل مؤمن عارف بالله يترقى فى درجاتها إلى ما لا نهاية له لاتساع دائرتها باتساع دائرة المعرفة بكمالاته صلى الله عليه وسلم وكمالاته عليه الصلاة والسلام لانها مظهر الكمالات الالهية ومجلى الحضرات القدسية الفردانية والعارف دائم الترقى فى مقامات المعرفة بتلك الكمالات مادام فى الدنيا ثم لا يزال كذلك فى البرزخ ثم فى الجنة ولهذا صرح القطب السمان رضى الله عنه فى رسالته التى ألفها فى التصوف بأن العارف كلما اتسعت دائرة معرفته بكمالاته صلى الله عليه وسلم كان أكمل من غيره ممن ليس له ذلك الاتساع إذ هو صلى الله عليه وسلم المظهر الأتم والمجاب الأعظم وبهذا يظهر أن التأبيد بالاشتياق الى طيبته عليه الصلاة والسلام هو فى الحقيقة راجع إلى التأبيد بالاشتياق الى حبه وحب أهل بيته الطاهرين الكرام رضى الله عنهم وأدامنا على محبتهم بلا انقطاع ولا انصرام آمين ﴿التنبيه الرابع﴾ انما قال الناظم رحمه الله تعالى ما اشتاق مؤمن إلى حبه وحب أهل بيته مع أن كل مؤمن موقور فى قلبه محبته صلى الله عليه وسلم ومحبة أهل بيته لارادته ما تقدمت الاشارة إليه من المحبة الكاملة ورسوخ القدم فى أعالى درجاتها الفاضلة وذلك لأن المحبة الشرعية تتفاوت مقاماتها كمالا ورجحانا ورسوخا بحسب تفاوت المتصفين بها فى تزكية النفس وتصفيتها فكل من كان ذا نفس مطمئنة كان حبه راجحا أو أمارة كان حبه مرجوحا قاله ابن حجر المكى رحمه الله تعالى وذكر عن القرطبى رحمه الله تعالى أن كل من

كان ذا إيمان صحيح فانه لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة ولكنهم يتفاوتون فيها تفاوتا ظاهراً وكثير من العامة يؤثرون رؤيته صلى الله عليه وسلم على أهله وماله وولده بل يؤثرون زيارة قبره صلى الله عليه وسلم على كل شيء وذلك لما وقر في قلوبهم من محبته صلى الله عليه وسلم قال غير أن ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات والشهوات عليهم اه ولا شك على هذا أن كل مؤمن صحيح الإيمان دائم الاشتياق إلى حبه صلى الله عليه وسلم وحب أهل بيته رضي الله عنهم ونفعنا بحبهم ومنه يعلم أن الناظم رحمه الله تعالى أبد الصلاة فيه وفي الذي قبله بما لا ينقضي على الأبد ويعرف أنه سلك في تأبيده هذا أسنى المسالك التي لا يسلكها إلا المخصوص بغرائب الفهوم العزيزة المدارك ﴿التنبيه الخامس﴾ محبته صلى الله عليه وسلم المحبة الكاملة هي المستلزمة حسبما تقدم في التقرير لاتباع شريعته الطاهرة واقتفاء سيرته الفاضلة ولا شك أن المتصف بها على الحقيقة يكون ممن يحب الله تعالى ويغفر ذنبه ويصطفيه لحضرته سبحانه ويمنحه مؤانسته وقربه كما قال سبحانه فيما خاطب به حبيبه المصطفى الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم» ولا محالة أن من كان بهذه المثابة يشتد اليه اشتياق كل مؤمن كل الاشتداد ويستعد له بكل ما يستطيعه من الاستعداد (وأما) محبة أهل بيته صلى الله عليه وسلم فهي بفضل مولانا الواسع الجود والاحسان من أقوى الأسباب للحلول في أعلى فراديس الجنان والفوز بالنعيم الدائم المقيم في جوار جدهم النبي المصطفى الكريم عليه وعليهم من الله أفضل الصلاة والتسليم كما يشهد له ما ذكره ابن حجر رحمه الله تعالى من حديث الامام أحمد والترمذي من أحبني وأحب حسناً وحسينا وأباهما وأمهما كان معي في الجنة اه (ومعلوم) أن عقب الكل مشمول بهذه المزية محفوف برداء هذه الخصوصية هذا وقد صح كما قاله ابن حجر خلافا لما توهم فيه ابن الجوزي حديث أحبوا الله لما يغدوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله عز وجل وأحبوا أهل بيتي لحبي وحديث والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم مني اه إلى غير ذلك مما ورد في الترغيب في محبتهم نفعنا الله بها وذلك لا محالة من موجبات اشتياق كل مؤمن إلى الاتصاف بكمالها والتضلع من صافي زلالها ثم إن في كلام الناظم رحمه الله تعالى في هذين البيتين لطائف وما هي وإن أطنبنا بها إلا اتحف المحب المنصف وطرائف ﴿اللطيفة الأولى﴾ في إضافته رحمه الله تعالى الصلوات للاسم الرب جل وعلا في لفظ هذه الصلاة التي ختم بها هذه المطالب التي طلبها من الله تعالى استفتاح منه بهذه الصلاة لأبواب تربيته سبحانه وحنانه وعطفه واستمناح بطرائق التعريض لموانح بره وهدايته ولطفه فقد ختم رحمه الله تعالى طلبه من الله تعالى في هذه الأبيات بمثل ما افتتحه به في قوله لكنني أرجو من اللطيف حيث أتى هناك بالاسم اللطيف جل وعلا فافهم ذلك والله تعالى أعلم ﴿اللطيفة الثانية﴾ في قوله رحمه الله تعالى ما اشتاق مؤمن إلى طيبته الخ غاية المناسبة لحاله لما قدمناه من أن نظمه لهذه الأرجوزة المباركة كان في وجهته للحرمين الشريفين ولا شك في اشتداد شوق المؤمن المتوجه اليهما وتكاثر شغفه بالتخييم عليهما

وكل مسافر يزداد شوقا * إذا دنت الديار من الديار

على أنه رحمه الله تعالى كان كثيراً ما يلهج بذكر المدينة المنورة ويذكر من فضلها وشرفها ويفحص كل الفحص على الكتب المؤلفة فيها ويعتني بمطالعة ما يقف عليه منها ويغبط الدفين بها بما يظهر منه غاية الترجي لذلك بل كان كثيرا ما يصرح بذلك ويطلبه من الله تعالى فكان

وورود وعلى كل حال فلا يظن بأبي يزيد إلا ما يليق بجلالة قدره وعلو مقامه قال وأجاب بعضهم بأنهم وقفوا بساحل السلامة ليتبعهم فيه عموم الناس لكونه ظاهرا مبلغا محل السلامة من غير تعميق وخاض الخواص في غوامضه وأدركوا منه شيئا من المعارف والأحوال لم يدركها من وقف من أولئك العامة بالساحل انتهى وقال في الطرائف والتلائد وفسرها أئمة الحق بأن الأولياء يخوضون في بحر من المعارف خاضه الأنبياء ووقفوا بساحله فالأولياء في البحر يخوضون لجه والأنبياء خاضوا تلك اللجج وعبروا إلى ساحلها فنهاية الأولياء الخوض في المعارف وهو بداية الأنبياء ونهايتهم العبور إلى الساحل «وان إلى ربك المنتهى» هذا ما فسره به من لم يبقه على ظاهره من العلماء وبكلامهم قامت لنا الحجة عليه وقد سئل عن هذه المسألة شيخنا رضي الله عنه فأجاب بجواب يقع من المنصف موقعا بالغا فأحببنا إيراده هنا استعطافا لقلوب المنصفين ليقروا للشيخ بكمال المعرفة في علوم العارفين ونص ما أجاب به رضي الله عنه اعلم أن الأصل الأصيل الذي لا محيد عنه ولا بد لكل مؤمن من اعتقاده ومن خرج عنه خرج عن قاعدة الايمان هو أن الحق سبحانه وتعالى تجلى بعلو كبريائه وعظمته وجلاله وعموم صفاته العلية وأسمائه وخواصها وان ذلك التجلي ليس هو في كل شخص كما عند الآخر ولا على قانون واحد ولا على كيفية مطردة بل البصائر فيه متفاوتة وأسرار الخلق في ذلك متباينة من كثير وقليل فهو يتجلى لكل شخص على قدر طاقته وعلى قدر ما تسعه حوصلته من تجلي الجمال القدسي

من تجليات الصفات والأسماء والحقائق لامطمع فى دركه لأحد من أكابر أولى العزم من الرسل فضلا عمن دونهم من النبيين والمرسلين وأن الذى فى مرتبة أولى العزم لامطمع فى دركه لأحد من الأقطاب وأن الذى فى مرتبة القطبانية لامطمع فى دركه لأحد من الصديقين وإذا كان الأمر كذلك وعرفت هذا التفصيل فاعلم أن الشطحات التى صدرت من أكابر العارفين مما يوهم أو يقتضى أن لهم شغوفا وعلوا على مراتب النبيين والمرسلين مثل قول أبى يزيد البسطامى خضنا قرأوقفت الأنبياء بساحله ومثل بحول الشيخ عبد القادر الجيلى معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب وأوتينا مالم تؤتوه ومثل قول ابن الفارض

ودونك بحراً خضته وقف الألى * بساحله صونا لموضع حرمتى

وكقوله

وإنى وإن كنت ابن آدم صورة
فلى فيه معنى شاهد بالأبوة

إلى أن قال

وفى المهد خرّبى الأنبياء وفى عنا
صر لوحى المحفوظ والفتح صورة

وكقوله أيضا

فحق على جمع القديم الذى به
وجدت كهول الحى أطفال صبوة
ومن فضل ما أشارت شرب
معاصرى
ومن كان قبلى فالفضائل فضلة

وكقوله فى الكافية

كل من فى حماك يهواك لكن
* أنا وحدى بكل من فى حماك *

وكقول بعض العارفين نهاية أقدام النبيين بداية أقدام الأولياء ورسوله

من أمره حسبما تقدمت الاشارة اليه أن توفاه الله بها وأكرمه بالدفن ببقيع الغرقد منها فلا يشك أن قوله مااشتاق مؤمن إلى طيبته الخ رشحة من رشحات حاله ونفحة من نفحات بضائع رحاله وألسنة الحال أصدق من ألسنة المقال وأفصح وكل إناء بما فيه يرشح ﴿اللطيفة الثالثة﴾ فى قوله مااشتاق مؤمن إلى طيبته تلميح إلى ماقاله بعض الشيوخ فى حديث حب الوطن من الايمان من أن المدينة هى وطن كل مؤمن لأنها وطن الايمان فلذلك يحبها كل مؤمن اه قال الشيخ الراوية أبو سالم العياشى رحمه الله تعالى بعد أن ذكره عن الشيخ المذكور ويشهد لهذا الذى قاله هذا الشيخ قوله صلى الله عليه وسلم إن الايمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها قال فثبت بهذا الحديث أنها وطن الايمان وإذا كانت وطن الايمان وهو أشرف أوصاف المؤمن بل هو فى الحقيقة كليته التى بها صار معتبراً وجوده ولولا الايمان لكان العدم المحض أفضل منه ثبت أنها وطن كل مؤمن وإذا ثبت ذلك فهو لاينفك عن الشغف بها والكلف بحبها لأن حب الوطن من الايمان كما جاء فى الحديث السابق اه والتلميح عند علماء النقد أن يلمح الشاعر فى كلامه إلى قصة أو شعر أو مثل سائر أو رسالة أو خطبة أو نحو ذلك والذى يتأيد به عندنا كون الناظم رحمه الله تعالى قصد التلميح لهذه المسئلة كثرة جريانها على لسانه مع الاستحسان لها والتنويه بذوق صاحبها وقد نوه الشيخ أبو سالم بذلك أيضا فى آخر كلامه ولنذكره لما فيه من الحسن وتمام الفائدة بتمامه (ونصه) أثر تقريره المسئلة بما تقدم وفى هذا إشارة حسنة إلى أدب حسن وهو أنه لاينبغى لساكن المدينة بل ولو لمن بات بها ليلة بل أقام فيها لحظة من المؤمنين أن يرى فى حال إقامته بها أنه غريب بل يرى نفسه كأنه فى ذلك الوقت استقر بوطنه الذى هو أحب أوطانه بين أهله وأقاربه إذ المدينة المنورة وطنه الحقيقى كما تقدم بل ينبغى أن لايطلق على أحد ممن فى المدينة من أهل الآفاق أنه غريب أو مجاور تأدبا لما يشعر به ذلك من غربته فى وطن الايمان الذى هو روحه وحقيقته ولايكون غريبا فى وطن الايمان إلا من لاعبرة بإيمانه فأى صفة ذم أقبح من وصف المؤمن بكونه دخيلا فى الايمان غريبا فيه فتأمل هذه النكتة فانها حسنة عند من له ذوق سليم وعرف الاشارة ولم يتقيد فهمه بصريح العبارة نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن كانت المدينة وطنه حسا ومعنى ونال من جميع الآفات الدينية والدنيوية مسالمة وأمنا آمين ثم قال رحمه الله تعالى

﴿التعريف بالشيخ رضى الله عنه﴾

لما كانت معرفة الشيخ فى طريق الارادة من الأمر المقدم الأكيد لما ينشأ عنها من المحبة والتآلف اللذين هما الواسطة فى إيصال المدد من الشيخ إلى المريد قدم الناظم رحمه الله هذا المبحث على سائر المباحث المتعلقة بهذا الورد وأتى فيه بما هو أذكر للأرواح من شميم الورد ولعمرى لقد أيقظ النائم الوسنان وأسمع من كانت له أذنان فجزاه الله خيرا ووالى عليه سحائب الرضوان آمين وتقرير الترجمة هذا باب التعريف أو مبحث أو فصل أو نحو ذلك وقصد رحمه الله تعالى بهذا المبحث وهذا الباب عدّ مايتعلق بالتعريف بسيدنا قطب الأقطاب وذلك بذكر نبذة مما يشير إلى كماله وفضله كشرف نسبه وكرم أصله ومولده ونشأته المرضية وتنقله فى أطوار كمالاته السنية مع الالمام خلال ذلك بذكر بعض من لقيه فى عصره أو أخذ عنه فى أول أمره من المشايخ الكاملين والعارفين الواصلين والاشارة إلى فتحه رضى الله عنه ووصوله وبيان أن ذلك كان بتخصيص من الله تعالى على يد حبيبه ومصطفاه من خلقه سيدنا ومولانا محمد نبيه

ورسوله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم وبدأ بذلك بما يشير إلى شرف نسبه الطاهر وكرم أصله الفاخر فعقد فرائده الثمينة فى هذه الأبيات الثمانية المزرى حسنها بالعقود الجمانية والقلائد العقيانية فقال رحمه الله تعالى

(ما أنجبت خود من الغوانى * فى كل ما مضى من الزمان)
(كمثل أم شيخنا الربانى * عائشة الطاهرة الحصان)
(فما لحوائية فخر كما * لها بشيخنا امام العلما)
(سوى اللواتى جئن بالمختار * وحزبه وصحبه الأخيار)
(إذ أنجبت به رضا مسددا * مهذبا ممجدا مسودا)
(من بعلها ذى الشرف الطينى * والشرف العلمى والدينى)
(محمد نجل الفتى المختار * نجل الرضى أحمد ذى الفخار)
(نجل المفخم الامام العالم * سيدنا محمد بن سالم)

أنجبت المرأة أتت بنجيب أى كريم فائق لغيره والغوانى جمع غانية قال فى المصباح غنيت المرأة بزوجها عن غيره فهى غانية مخففا والجمع الغوانى اه وعليه قول الشاعر

دعانى الغوانى عمهن وخلتنى * لى اسم فلا أدعى به وهو أول

وقيل الغانية المرأة التى تطلب ولا تطلب وقيل الغنية بحسنها عن الزينة أو التى غنيت ببيت أبويها ولم يقع عليها سباء أو الشابة العفيفة ذات زوج أولا اه ذكره فى القاموس وذكر غيره انها المرأة اللطيفة الحسنة الخلق والخلق انتهى وتصح ارادة هذه المعانى هنا كلها أو جلها إذ كلها من وصف كل حرة كاملة وما من قوله ما مضى واقعة على جزء وعليه فكل المضاف اليها يدل على الاستغراق لسائر أجزاء الزمان الماضى لوقوع ما التى هى المضاف اليه على المفرد المنكر منها والمراد فى كل جزء مضى من أجزاء الزمان والزمان كسحاب اسم للعصر كزمن متحركة ويطلقان على كثير الوقت وقليله كما فى القاموس وغيره والمثل الشبه والنظير ونحوه المثيل كأمير والأم بالضم وقد تكسر المراد بها هنا الوالدة وعائشة علم أم الشيخ رضى الله عنه وهو بدل من أم أو عطف بيان عليه والطاهرة وصف لها وكذا الحصان ومعناه العفيفة وفى القاموس وامرأة حصان كسحاب عفيفة أو متزوجة اه وفى كلام سيدنا حسان رضى الله عنه

* حصان رزان لا تزن بريبة * الخ وحوائية منسوبة إلى أمنا حواء والفخر التمدح بخصال الكمال والضمير فى لها لأم الشيخ رضى الله عنه وإمام العلماء مقدم جماعتهم فى تحقيق العلوم ولا يكون كذلك إلا من كان جامعا لعلم الدراسة وعلم الوراثة والشيخ رضى الله عنه من ذلك بالمكانة التى لا تنكر وسوى هى بمعنى غير وهى بالكسر وتضم وجئن أتين أى غير اللواتى أتين بالمختار أى نبينا صلى الله عليه وسلم وحزبه صلى الله عليه وسلم طائفته إذ الحزب الطائفة والمراد الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام وصحبه صحابته رضى الله عنهم واذ من قوله إذ أنجبت ظرفية أو تعليلية أى وقت إنجاب هذه أو لأنها أنجبت به رضى الله عنه ورضا وما بعده منصوبات على الحال من فاعل أنجبت ومن الجارة من قوله من بعلها تتعلق بأنجبت والبعل هنا الزوج والشرف الطينى الشرف النسبى وصفه به لأن نسبته السنية مرفوعة إلى سيدنا محمد النفس الزكية وصفه أيضا بالشرف العلمى والشرف الدينى لأنه كان من العلماء العاملين والأولياء الواصلين رضى الله عنه ومحمد بالفتح بدل من بعلها وهو الموصوف بما ذكر من أنواع الشرف والنجل هنا الولد والفتى أراد به هنا الكامل الفتوة التام النجدة والمختار اسم جد سيدنا رضى

حتى يخرج عن جميع مداركه ووجوده لكن تارة يكون ذلك فى ذات الحق سبحانه فيتدلى له من قدوس اللاهوت من بعض أسراره فيض يقتضى منه انه يشهد ذاته عين ذات الحق لمحقه فيها واستهلاكه فيها ويصرح فى هذا الميدان بقوله سبحانى لا اله الا أنا وحدى الخ من التسبيحات وكقوله جلت عظمتى وتقدس كبريائى وهو فى ذلك معذور لأن العقل الذى يميز به الشواهد والفوائد ويعطيه تفضيل المراتب بمعرفة كل ما يستحقه من الصفات غاب عنه وانمحق وتلاشى واضمحل وعند فقد هذا العقل وذهابه وفيض ذلك السر القدسى عليه تكلم بما تكلم به فالكلام الذى وقع فيه خلقه الله فيه نيابة عنه فهو يتكلم بلسان الحق لا بلسانه ومعرب عن ذات الحق لا ذاته ومن هذا الميدان قول أبى يزيد البسطامى سبحانى ما أعظم شانى وقول الحلاج أنا الحق وما فى الجبة الا الله وقول بعضهم فالأرض أرضي والسماء سمائى وكقول التسترى

أنظر أنا شىء عجيب لمن رآنى
أنا المحب والحبيب ما ثم ثانى

وكقوله أيضا

«أنا من أهوى ومن أهوى أنا»

البيت وأقوال ابن الفارض مثل هذه كثيرة وهذا مما يعطيه الفناء والاستغراق فى ذات الحق وهذا أمر خارج عن المقال يدرك بالذوق وصفاء الأحوال فلا يعلم حقيقته الا من ذاقه وتارة يكون الاستغراق

للعارف والفناء فى ذات النبى صلى الله عليه وسلم فيغيب عن ذاته فى ذات النبى صلى الله عليه وسلم فيتدلى له صلى الله عليه وسلم ببعض أسراره

صلى الله عليه وسلم من الخصوصيات التى لا مطمع فيها لغيره صلى الله عليه وسلم فيتكلم بلسان النبي صلى الله عليه وسلم نيابة عنه ببعض ما اختص به الله نبيه صلى الله عليه وسلم من الخصوصيات العظام مما له به علو وشرف وشفوف على مراتب جميع النبيين والمرسلين فهو يخبر عما أعطى الله نبيه صلى الله عليه وسلم معبرا عن نفسه فمن سمعه يظن انه ينسبه لنفسه وهو انما نسبه للنبي صلى الله عليه وسلم لغيبته فى ذاته فاذا انفصل عن هذا الفناء والاستغراق ورجع لحسه وشاهده تبرأ من ذلك لعلمه بمرتبته وسق هذا المساق فى كل ما تسمعه من الشيوخ مما يقتضى أن لهم شفوفا على مراتب النبيين والمرسلين مثل قول الدسوقى:

أنا كنت مع نوح لما شهد الورى * بحورا وطوفانا على كف قدرة
أنا كنت فى رؤيا الذبيح فداءه * وما أنزلن بالكبش إلا بفتوة
أنا كنت مع أيوب فى زمن البلا * وما شفيت بلواه إلا بدعوة

وأكثر من هذا رضى الله عنه وكل ذلك لفنائه فى ذات النبي مترجما عن مقامه صلى الله عليه وسلم وهذا يغنى فى الجواب ومن وراء ذلك مالا يلحقه العقل ولا يأتى عليه القول ولا يحل ذكره لبعده عن الافهام والسلام وهذا الذى ذكرناه من فناء العارف فى ذات الله وفى ذات النبي صلى الله عليه وسلم ليس هذا لكل العارفين ولا فى كل وقت من أوقات من وقع له بل هو خاص ببعض الأوقات لبعض العارفين والسلام (استدراك) البحر الذى خاضه رسول الله صلى الله عليه وسلم

الله عنه وأحمد هو جد والد سيدنا رضى الله عنه ووصفه بذى الفخار أى صاحبه لجمعه بين طرائف المزايا وتلائدها وحيازته لأطراف ازر المجد وأخذه إياها من معاقدها لجمعه بين شرف الآباء والأجداد وشرف النفس والأبناء والأحفاد والمفخم المعظم إذ التفخيم التعظيم ومحمد بالفتح هو الموصوف بالفخم وبالولى العالم وهو رابع أجداد سيدنا رضى الله عنه وسالم هو جده الخامس فمن ينسب الشيخ إليه كأهل الصحراء وأهل تونس وغيرهم فانه ينسبه إلى خامس أجداده ولعل السبب فى نسبة الشيخ اليه كون جده الرابع سيدى محمد بن سالم هو الذى استوطن عين ماضى أولا من أجداده فجرى على الانتساب اليه من بعده من ذريته والله أعلم يقول رحمه الله تعالى ورضى عنه ما أنجبت حرة كريمة النسب ولا عقيلة جليلة الحسب فى كل ما سلف من الاعصار إنجابا كانجاب أم شيخنا القطب الربانى الجليل المقدار الا وهى العظيمة القدر والشأن سيدتنا عائشة الطاهرة الحصان فما لامرأة من بنات أمنا حواء وأبينا آدم عليه السلام فخر يساوى فخرها بولادتها لهذا الامام غير النساء اللواتى أتين بنبينا المصطفى المختار وخرّ به الأنبياء عليه وعليهم صلوات الرب الغفار وكذا اللواتى أتين بالصحابة الكرام ذوى المراتب العالية التى لا تدرك ولا ترام وذلك لأنها أنجبت به جامعا لأوصاف العدالة مستكملا لنعوت الفضل والجلالة من بعلها الآخذ من كل نوع من أنواع المجد بطرف المستوفى لكل نوع من أنواع السودد والشرف وهو سيدنا محمد فتحا نجل الفتى المعظم المقدار سيدنا المختار نجل الرضى مولانا أحمد ذى المزايا والفخار وهو نجل المفخم قدره صراحة لا كناية سيدنا محمد فتحا ابن سالم الجامع بين أعلى درجتى العلم والولاية رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل الوجه الكريم متقلبهم ومثواهم آمين وقدم الناظم رحمه الله تعالى أم الشيخ رضى الله تعالى عنه فى الذكر تأدبا بآداب السنة الطاهرة ففى صحيح مسلم من رواية جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال من أحق الناس بحسن صحابتى قال أمك قال ثم من قال ثم أمك قال ثم من قال ثم أمك قال ثم من قال ثم أبوك الحديث وفيه التصريح بتقديم حق الأم فى البر فكان من الأدب تقديمها فى الذكر فى مثل هذا المقام وهى رضى الله عنها الحرة العفيفة المصونة السيدة عائشة الطاهرة الميمونة بنت السيد الجليل الفاضل الأصيل أبى عبد الله سيدى محمد بن السنوسى التجانى المضاوى التجانى نسبة إلى قبيلة معروفة هنالك وهم أخوال سيدنا رضى الله عنه غلبت عليه النسبة اليهم والمضاوى نسبة إلى قرية عين ماضى وهى قرية معروفة شهيرة من قرى الصحراء الشرقية من بلاد المغرب (وأما والده) فهو كما قاله فى جواهر المعانى الشيخ الامام كهف الاسلام أبو عبد الله سيدى محمد بن المختار كان عالما ورعا متبعا للسنة زاد فى الجامع ذاكرا مدرسا للحديث والتفسير وذكر فى الجواهر وكذا فى الجامع أن الروحانية كانوا يأتونه و يطلبون منه تسخيرهم فى حوائجه فكان يمتنع من ذلك و يقول لهم اتركونى لا تدخلوا بينى و بين الله تعالى لاحاجة لى بالتعلق بسوى الله تعالى وكان لا تأخذه لومة لائم فى الله تعالى وكان له فى داره بيت لذكر الله تعالى لا يدخله أحد سواه رضى الله عنه وكانت وفاته هو وزوجته سيدتنا عائشة رحمهما الله تعالى فى يوم واحد بالطاعون عام ستة وستين ومائة وألف ودفنا معا فى القرية المذكورة (وذكر فى الجواهر) وكذا فى الجامع أجداده المذكورين فى النظم وهم سيدنا المختار وذكر فى الجامع انه كان من أعيان قومه وكبرائهم وسيدى أحمد وذكره فى الجامع بوصف العلم وأن الشيخ أبا سالم العياشى رحمه الله تعالى

تعالى حلاه بالعلم الكبير وسيدي محمد بن سالم وذكره في الجواهر وكذا في الجامع بالعلم والورع والتشديد في اتباع السنة وانه كان له بيت يختلي فيه للعبادة بداخل داره لا يدخله غيره وكان اذا خرج من داره الى المسجد يتبرقع ولا يرى أحد وجهه حتى يدخل المسجد ثم اذا خرج من المسجد يتبرقع كذلك أيضا حتى يدخل خلوته (قال) كل من صاحبي الجواهر والجامع سألت الشيخ رضي الله عنه عن سبب تبرقعه ذلك فقال لعله بلغ مرتبة في الولاية كل من بلغها يصير كل من رأى وجهه لا يقدر على مفارقته طرفة عين وان فارقه مات من حينه وهي مرتبة من أدرك اثنين وسبعين علما من العلوم المحمدية ومكث فيها ثلاثة وعشرين سنة (قيل للشيخ) رضي الله عنه هذه لمفاتيح الكنوز أو لغيرهم قال رضي الله عنه بل لغيرهم (وأما القطب) ومفاتيح الكنوز لا يستترون لكمالهم انتهى وبالجملة فجميع أسلاف سيدنا رضي الله عنه علماء عباد أتقياء زهاد موصوفون بالامامة العظمى والولاية الكبرى عند أهل تلك البلاد إلا أنهم كانوا لشدة اتباعهم للسنة يسترون ولايتهم بالعلم فلا يعرفهم بها الا الخاصة بخلاف العلم (وقد رأيت) فيما كتب به الشيخ الامام العلامة الراوية الرحالة الهمام حجة المغرب على المشرق ومن هو في علماء زمانه تاج المفرق أبو سالم سيدي عبد الله العياشي رضي الله عنه الى بعض اخوانه من علماء سجلماسة حين أزمع الرحلة قاصدا حج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام يوهيه بما يحتاج اليه في وجهته وينهيه على ما يتأكد التنبيه عليه في رحلته فذكر له المراحل والبلاد وذكر أهل كل مرحلة وبلدة بالوصف المقسوم لهم بين العباد حتى انتهى الى ذكر عين ماضي بلدة سيدنا رضي الله عنه ومقر أسلافه رضي الله تعالى عنه وآبائه الكرام فنوه بقدر من اشتملت عليه من الأعلام ثم قال له فاذا حللتها فشحذ ذهنك لمذاكرة أهلها في كليات الفنون وجزئياتها واستعد للجواب عما يلقونه عليك من مسائل منقولياتها ومعقولياتها في كلام وصفهم فيه بالتضلع من العلوم ونفوذ الادراكات والفهوم ولم يحضرني الآن نصه ولعلي أراجعه فاثبته في هذا المحل ان شاء الله تعالى بلفظه ﴿تنبيهان﴾ الأول ما تقدم لنا من تسخير الروحانية منه ما يكون من طريق الاستخدامات والاستنزالات المعروفة عند أربابها وهو طريق مذموم وصاحبه على ألسنة الشرائع والحقائق مدنف ملوم بل هو طريق مشؤم وصاحبه مخذول محروم وهو سيء العاقبة بلا شك والعياذ بالله تعالى والتسخير من هذا الطريق منزه عنه من كان من أمثال والد الشيخ رضي الله عنه (ومنه) ما يكون من طريق انقياد الكون بما احتوى عليه لمن أهله الله تعالى لبساط قربه ومشاهدته واصطفاه لحضرة تخصيصه وعنايته وهذا من باب كرامات الأولياء وخرق العوائد الخاصة الأصفياء الا أن الزهد فيه وعدم الاكتراث به هو الكرامة الحقيقية الخاصة بخاصة الخاصة من عباد الله الأتقياء الأبرياء وهذه الحالة هي اللائقة بمقام والدي الشيخ رضي عنه وهي حالة أهل التمكين المخصوصين من الله تعالى برسوخ القدم في مقامات اليقين وهي لهم بحكم الارث من سيد المرسلين وإمام المتقين صلى الله عليه وسلم حيث عرض عليه أن تجعل له جبال تهامة ذهبا تسير معه حيث سار فأبا إلا العبودية والاضطرار ولزوم العجز والافتقار وسيأتي لنا بعض ما يتعلق بصحبة الجان ان شاء الله تعالى ﴿التنبيه الثاني﴾ كثيرا ما يجري في كلام سيدنا الشيخ رضي الله عنه التعبير بمفاتيح الكنوز والظاهر انه رضي الله عنه يعبر بذلك عن الأفراد الخارجين عن حكم القطب لكن في كلام العارف بالله سيدي عبد الرحمن

الى هلم جرا فان تلك الحقائق لو تجلى الله بها للنبيين والمرسلين لصاروا محض العدم في أسرع من طرفة البصر وانما وقفوا بساحل تلك التجليات التي خصهم الله بها من طلوع الجمال والجلال والعظمة والكبرياء فتلك الحقائق التي هي لهم بالنسبة الى حقائقه صلى الله عليه وسلم المنكشفة له خصوصا كالساحل للبحر فانهم تكلموا بلسانه صلى الله عليه وسلم لغيبتهم فيه وفنائهم فيه ثم قال رضي الله عنه وأما ما وراء هذا من العبارة على حقيقة البحر فلا يحل ذكره فضلا عن كتبه في الاوراق والسلام وعلى التأويل فالمنصف يعلم ان أبا يزيد لم ينطق بنفي الخوض بل انما قال وقفت الانبياء بساحله وبقي كلامه محتملا لما فسروه به من العبور وعبارة هذا المنكر لا تعطي ذلك بل هي صريحة في عدم العبور أصلا فاذا سمعها من لا علم له باصل المقالة لم يجل بدا من الاعتراض عليهم لاسيما ان كان ممن يعتقد مثل هذا المنكر فينبغي للمنكر أن يترك ايراد هذه المقالة رأسا ثم ان أورد نصا فينبغي أن يأتي بلفظه أو بما يفهم منه معنى اللفظ بلا زيادة والله تعالى يقيل عثارنا وعثاره آمين وأما قوله أفاله الله من عثرته وأعاذنا من سوء أدبه وجرأته

ومنعوا تيمم الصعيد

لمن تلا جوهرة الوعيد

الى آخره فنقول نحن ليس هذا المنع على بابه وانما هو من باب الكمال والأدب ولعله يحصل الا بالطهارة المائية وانظر ما السر في منع الجمعة لمن يصلي غيرها بالتيمم

فان قلت يأتى بالأصل قلنا كذلك هذه لها بدل يأتى به وهو الأصل وهو عشرون من صلاة الفاتح لما أغلق وليس

هذا اعتراضا على السادات الفقهاء بل نحن مسلمون لهم ولله الحمد ونعلم أن أحكام الله تعالى منها ماهو تعبدى لم تظهر علته وانما القصد اظهار ما يكتفى به من يلتمس أحسن المخارج وهذا ونحوه لا يعلق قلبه بالاعتراض عليه الا متتبع العورات البعيد عن التوفيق وانظر رحمك الله كيف سماها جوهرة وأضافها الى الوعيد مرة والى الخبال مرة أخرى ولم يلاحظ جانب حرمته صلى الله عليه وسلم فى تسمية صلاة صلى بها عليه بهذا الاسم وتغيير لفظ الكمال بهذين اللفظين اللذين يناديان عليه بالوعيد المتوعد به فى اساءة أدبه مع سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وبالخبال الذى عاد الى عقله زين له سوء عمله فرآه حسنا و يعلم المنصف ان من العلماء من كره اطلاق لفظ التصلية على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أدبا معه مع انها مصدر صلى قياسا وقد أصيب بدينه هذا المنكر ولم يشعر والمؤمن المحتاط لدينه ربما علم زلته من خلق دابته وأحرى ما يصدر من نفسه لكن لا مصيبة لعامة الطلبة اليوم الا مصيبة المال والابدان فشاركه فى ذلك بنى حسان ومن شابههم من اللحمة المشاركين للبهائم ولقد صدق من قال

أبنى ان من الرجال بهيمة
فى صورة الرجل اللبيب المبصر
فطن لكل مصيبة فى ماله
واذا يصاب بدينه لم يشعر *

الشامى ما يؤذن بان مفاتيح الكنوز غير الافراد فانظره والله أعلم ( وقد سئل ) رضي الله عنه أيهما أعلى مقاما هل القطب أو الواحد من مفاتيح الكنوز فأجاب بان مقام القطب أعلى من مقاماتهم من جهة ومقامهم أعلى من جهة وانظر الجواب بنصه فى جواهر المعانى وهو صريح فى وصف الأفراد حسبما هو فى الفتوحات المكية وغيرها من كتب المحققين نعم وقع فى جواهر المعانى عند ذكر مؤلفه رحمه الله تعالى لمرائى الشيخ رضى الله عنه ومبشراته ما يشير الى أن للقطب خصوصية لا يناالها غيره لا من الأفراد ولا من غيرهم وانه رضى الله عنه من أجل هذه الخصوصية صار يطلب مقام القطبانية بعد ان كان يطلب مقام الفردانية قبل ان يطلع على الخصوصية المذكورة فبلغه الله تعالى بفضله غاية مناه وأولاه من خزائن جوده ما قرت به عيناه حسبما سيأتى ذكر بعض ذلك مفصلا إن شاء الله تعالى ( استدراك ) ما تقدم لنا عند قول الناظم رحمه الله تعالى الشرف الطيني من أن نسب الشيخ رضى الله عنه يتصل بسيدنا محمد النفس الزكية ابن مولانا عبد الله الكامل ابن مولانا الحسن المثنى ابن مولانا الحسن السبط ابن مولانا على بن أبى طالب ومولاتنا فاطمة الزهراء رضى الله عن جميعهم ونفعنا بمحبتهم ذكر فى جواهر المعانى ان الشيخ رضى الله عنه وجد هذا النسب الشريف محوزا لآبائه وسلفه بالحوز التام ومع ذلك كان رضى الله عنه فى ذلك الوقت لا يرفع به رأسا ولا يعلل به نفسا لما كان عليه من شدة التعشق بالترقى إلى المقامات العالية والمراتب القصوى السامية حتى خاطبه صلى الله عليه وسلم فى ذلك يقظة لا منامابقوله أنت ولدى حقا كررها له صلى الله عليه وسلم ثلاثا تأكيدا لما خاطبه به ثم أردف صلى الله عليه وسلم ذلك التأكيد بما يقويه ويرفع الاحتمال فيه بان قال له صلى الله عليه وسلم نسبك الى الحسن بن على صحيح فعند ذلك صار رضى الله عنه يذكر فى سياق التعريف بنفسه هذا النسب السنى فيكتب بيده المباركة أحمد بن محمد التجانى الحسنى حسبما شاهدناه متعددا بخط يده فيما وقفنا عليه من الرسائل والاجازات والتقييدات والوجادات رضى الله عنه وأرضاه ومتعنا ومحبيه برضاه آمين ثم قال الناظم رحمه الله مشيرا الى بيان زمن ولادته رضى الله عنه على طريقة الرمز مع التورية متبعا لذلك بما يشير الى نشأته الطاهرة المرضية

﴿ حصل مفخر العلا حين ولد * بعين ماضى ذا بفضلها شهد ﴾
﴿ أنبته الله نباتا حسنا * فى أرغد العيش وأنور سنى ﴾

المفخر ما يتمدح به والعلا جمع علياء والمراد المراتب العالية والحين الزمان والولادة معروفة وعين ماضى القرية المتقدمة الذكر والماضى يطلق فى اللغة على معان منها الأسد والسيف ولعل تسميتها من الأول والاشارة بذا الى كون الولاية بها والفضل الشرف وشهد من الشهادة بمعنى الأخبار بما قد شوهد حسبما فى المصباح عن ابن فارس والمراد هنا الدلالة الحالية وأنبته الله نباتا حسنا أنشأه نشأة صالحة وأرغد العيش أوسعه وأهنأه وأنور السنى أوضحه وأسماه يقول حصل للمراتب العالية والمقامات الرفيعة والمناصب السامية ما تتمدح وتفتخر به حين ولد هذا السيد الجليل رضى الله عنه وأرضاه وظهرت للوجود طلعته الشريفة ولاح واضح سناه وذلك فى العام المرموز لتاريخه بقوله حصل مفخر العلا وهو عام خمسين ومائة وألف من هجرة سيد الملا صلى الله عليه وسلم بزاوية عين ماضى مطلع اليمن والرباح ومقر أسلافه الكرام المشهورين بالخير والصلاح وهذا شاهد مقبول ودليل قاطع على شرفها

وأما قوله أقال الله عثرته * وقد نهوا عن مطلق الزيارة * وندبها لنا فيه بشارة * وفضلها

وفضلها وفخامة مكانتها عند الله تعالى وسعادة أهلها لما تقرر عند العلماء الكبار من أن الأماكن تكتسب الشرف والفخار بمن يولد بها أو يحلها من الأفاضل والأخيار

وما عرف الأرجاء إلا رجالها * وإلا فلا فضل لترب على ترب

وكما كانت هذه البلدة المباركة محل ولادته كانت أيضاً محل نشأته فأنبته الله تعالى بها نباتاً حسناً فى كفالة أبويه الأكرمين الجليلين القدر العاطرى الثناء فكانا حسبما ذكره فى جواهر المعانى يؤدبانه بآداب السنة الطاهرة ويهذبانه ويربيانه بأسرار الشريعة وأنوار الحقيقة ويرقيانه فتربى بينهما فى عفاف وصيانة وتقى وديانة لا يتقيد بما عليه الناس من العوائد ولا يلتفت لما دفعوا اليه من فضول الزوائد متحلياً بالأخلاق الحميدة ذوقاً وتحققاً ومرتديا رداء العفاف وعلو الهمة جبلة وخلقا متصفا فى وروده وصدوره وفى جميع ما يتعاطاه من أموره بمضاء العزم وشدة الحزم فكان لا يريد شيئاً إلا ابتدأه ولا يبتدئه إلا أتمه وإذا تعلقت همته بشىء كائناً ما كان لا يهنأ له عيش ولا يقر له قرار حتى يصله ويتجاوزه وهذا وأبيك العيش الرغد والنعيم الذى لا تنقضى لذته على الأبد إذ لا يخفى أن من كان متحليا فى بدايته بهذه الخلال الفاخرة كانت نهايته الى درك المواهب السنية والأسرار الباهرة (وقد ذكر) فى جواهر المعانى انه لم يختلف جميع من أدركه فى حال شبيبته من أئمة عصره وعلماء قطره فى أنه كان من المصطفين من عباد الله وممن نشأ فى طاعة الله وممن هدى واجتبى الى صراط الله فاستوجب بذلك الوراثة والامامة فلم يتقدم فى عصره أحد أمامه كما قيل

فأصبح عين الوقت والقول قوله * ولا أحد فى الناس يبلغ قدره اه

ولما تقرر فى الفراسة الحكمية وتأيد بالسنة المحمدية أن محاسن الذوات تدل على ما بطن فيها من بدائع الأخلاق وجلائل الصفات أشار الناظم رحمه الله تعالى الى ما أعطيه سيدنا الشيخ رضى الله عنه من ذلك فقال

﴿ زين من أنشاه وخلقه * بين الأنام خلقه وخلقه ﴾
﴿ فكان ينبىء بهاء منظره * لحسنه لامحه عن مخبره ﴾
﴿ لشبهه بسيد العباد * أحسن كل حاضر وباد ﴾

زين فعل بالتضعيف للمبالغة من الزين ضد الشين وأنشأه خلقه والخلق التقدير ومن صفاته سبحانه وتعالى الخالق ومعناه المبدع للشىء المخترع له على غير مثال سبق اه قاموس والانام هو هنا كسحاب وقد تقدم عن صاحب القاموس أنه الخلق أو الجن والانس أو جميع ما على وجه الارض وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه أى الانام الناس قال الصلتانى فى نظم الغريب بعد إيراد ما ذكر فى القاموس من المعانى ما نصه

وبعضهم خصصها بالناس * وهو ابن عباس بلا التباس

أى وبعض من فسر القرآن العظيم والخلق بالفتح عبارة عن الصورة الظاهرة وبالضم وبضمتين عبارة عن الصورة الباطنة والبهاء الحسن وفعله بهو كسرو وكرضى أيضا ودعا وسعى اه قاله فى القاموس ونحوه فى المصباح زاد ويكون البهاء حسن الهيئة وبهاه الله عظمه اه والمنظر الوجه ولامحه من لمحت الشىء لمحاً من باب نفع نظرت اليه باختلاس النظر قاله فى المصباح وعلى هذا التفسير ربما يكون الناظم عبر به إيماء إلى أنه رضى الله عنه كان لا يستطاع النظر اليه من شدة الهيبة إلا نظر اختلاس والمخبر الحقيقة الباطنة والشبه بالكسر وبالتحريك وكأمير



ولا تعد عن حال اعتقادك أنه مرب ولا أولى بها منه فى العصر فان رقيب الالتفات لغيره

الى آخر ما قال فكذب وافتراء بل لم ينه الشيخ عن مطلق الزيارة التى هى زيارة التبرك وتحرى أماكن الاجابة بل ندب اليها وأما زيارة التعلق فله فى منعها أسوة حسنة من الأولياء وهى زيارة الأكابر الذين يعتقد فيهم ويتعلق بهم ومعتمدهم فيها على القاعدة المشهورة وهى أن درء المفاسد أولى من جلب المصالح قال ابن حجر من يريد التبرك يجوز له الأخذ عن مشايخ متعددين ومن يريد السلوك والتربية يحرم عليه الخروج عن شيخه بل لا رخصة عندهم للشيخ الثانى إن علم أن المريد الآخذ عنه أستاذاً كاملا بل يأمره بالرجوع لأستاذه ولكن يتعين عليه على مصطلح القوم السالمين من المحذور واللوم أن لا يبتدىء إلا بمن جذبه اليه حاله قهراً عليه ويعلم منه الاحاطة بعلمى الشريعة والحقيقة فحينئذ يتعين عليه الاستمساك بهديه والدخول تحت أوامره ونواهيه ورسومه حتى يصير كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف شاء انتهى وفى العهود المحمدية لا ينبغى للمريد أن يزور ولا يزار لغلبة الآفات عليه فما هو مرصد للتربية ليقتدوا به ولا المزور معد للتربية وربما سمع من ذلك الشيخ الذى زاره كلمة موافقة لهواه فتسر بها نفسه فيهلك قال وشاور بعضهم شيخه فى زيارة شخص من مشايخ عصره وسماها فقال الشيخ يا محمد لا ينبغى لمريد أن يأخذ عن شيخ إلا إذا علم أنه يكفيه عن جميع الناس فان كنت لا أكفيك تقيدت على من شئت انتهى وقال الشريشى فى قصيدته

المثل والظاهر أن المراد هنا الشبه محركا بمعنى المشابهة مخففة للوزن أى وإنما كان ينبىء بهاء منظره عن حسن مخبره لحصول الشبه له بسيد العباد صلى الله عليه وسلم والحاضر والبادى معروفان يقول زين المولى جل علاه الذى أنشأه وسواه وخلقه وبراه بين الناس خلقه وصورته الظاهرة كما زين خلقه وسجيته الفاخرة فصار ينبىء بهاء منظره وهيئته المعظمة وحسنه الكامل كل من نظر إليه ولمحه بطرفه عما انطوى عليه مخبره من غرر الفضائل وذلك لما حصل له من فضيلة الشبه بنبينا صلى الله عليه وسلم سيد العباد على الاطلاق وأحسن كل حاضر وباد ذاتا وصفات بالاطباق وأشار الناظم بهذا إلى ما فى جواهر المعانى من ذكر صفاته رضى الله عنه ومحاسنه الظاهرة والباطنة وهي متفرقة فى أبوابه وفصوله فليراجعها هنالك من أراد مراجعتها وقد عقد جلها فى اللامية ومن عقده للمعنى الذى أشارت اليه هذان البيتان ما نصه

تميز بالوصف الجنانى مثل ما * تميز بالكونى العيانى مستجلا
له صورة بين الأنام عليـة * ترى مرة وسطى وطورا ترى عبلا
على طبق ما لاقته راشحة بما * حوت من جمال أوجلال سقى ذهلا
بياض مجلاها مشوب بحمرة * وقامتها قدوى ومنطقها أحلى
يرى جهورى الصوت أحسنه على * سنا شيبة أبهى بهى مشى حجلا
له الجود طبع والفتوة ديدن * له ولنعم القول أن طابق الفعلا
مهابا جليلا ذا حياء وعزة * وسحر بيان لا يمل إذا يملا

الخ ماذكره فى وصفه للشيخ رضى الله عنه فليراجع ذلك فيها من أراده وبالله التوفيق وأسند الناظم رحمه الله التزيين فى الخلق والخلق الى المولى تبارك وتعالى لأنه لا اكتساب فيه للعبد أما الخلق فظاهر وأما الخلق فالذى عليه المحققون ان هذه الأخلاق الحميدة جبلية فيمن خصه الله بها وإنما المكتسب من طريق تزكية النفس وتصفيتها هو قوتها واستدلوا لذلك بأدلة ذكروها منها ما فى صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال لرجل إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة فقال يارسول الله أنا أتخلق بهما أم الله جبلنى عليهما فقال عليه الصلاة والسلام بل الله جبلك عليهما الحديث وما ذكره من أن بهاء المنظر ينبىء عن حسن المخبر يشهد له ما علل به من حصول الشبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن حصول ذلك مظنة لأوصاف الكمال بلا ريب ولهذا كان عند أهل التحقيق مما يتمدح به (قال سيف الدين الآمدى) جمال الوجه وحسنه مما يتمدح به لأنه يتيمن به ويدل على الخصال الممدوحة ثم قال أعنى الآمدى وقد غلط من توهم أنه لايدخل فى مدح العظماء اه ومما يشهد له أيضا حديث اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وهو كما قاله أهل التحقيق يحتمل وجوها من التفسير الأول قيل معناه اطلبوا الخير عند الحسان الوجوه فان الخير مقرون بهم الثانى اطلبوا الخير منهم فانهم يصدر عنهم الخير باذن الله تعالى إذ حسن الخلق عنوان لحسن الخلق الثالث اطلبوا الخير عندهم ومنهم فان النفس تنبسط اليهم وتتمتع برؤيتهم وفى الحكمة اعتمد بحوائجك الصباح الوجوه فان حسن الصورة أول نعمة اه وفى تقديم الناظم رحمه الله تعالى لهذا خلاف صنيع صاحب جواهر المعانى وصاحب اللامية إيماء الى ما أشار اليه الحديث ففيه استحثاث للنفوس اللطيفة والهمم المنيفة على الأخذ عن هذا الشيخ الجليل حيث ثبت له ماذكر من الوصف المحمدى الجميل مع ماله من المجد الأثيل والحسب الاصيل رضى الله عنه وأرضاه وهذه أيضا من لطائف

رضى الله عنهم يحضون عليها ويوصون تلامذتهم بالعمل بها وتسمى بسرائر الانوار وأنوار السرائر قاله المسناوى وقال الشيخ سيدى محمد الكنتى فى جنة المريد بعد ما ذكر وظائف الشيخ ثم لا يترك أصحابه يزورون شيخا آخر ولا يصلح ذلك بالمريدين إذ المضرة لهم بذلك محققة الوقوع إذ لكل شيخ طريقة تخصه لا يتعداها ولا يخلطها بغيرها فيسمع المريد تلك الطريقة ويرى منها ما هو خلاف طريقته فيختلف عليه الامر فيقف فى سلوكه وقلما يجىء منه شىء وعلى الشيخ سد هذا الباب على المريدين ولا يمنعه تخيل من لا علم عنده ولا صدق أن ذلك من جهة الاستبداد بالرياسة والحسد فمقام الشيخ موخة منزه عن ذلك انتهى ثم قال والقطب الذى عليه مدار هذا الباب هو حسن التعلق بالشيخ وحسن الاقتداء به وصدق التحكيم وكمال الاستسلام له من غير منازعة ولا نزوع ولا اعتراض وقد قالوا لا عقوبة لعقوق المشايخ إلا سوء الخاتمة والعياذ بالله انتهى. وقال الشعرانى غالب المريدين لا يخلو غالبا إذا اجتمع بغير شيخه من ثلاثة أمور اما أن يحتقره ويعظم شيخه فيمقت وإما أن يعظمه على شيخه فيخون عهد شيخه ويمقت أيضا وإما أن لا يظهر له أمر من اعتقاد ولا عدمه فلا فائدة إذاً فى الاجتماع انتهى. وقال فى الميزان سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول إنما أمر علماء الشريعة الطالب بالتزام مذهب

الناظم رحمه الله تعالى ثم قال

﴿ وحفظ القرآن فى سبع سنين * عن شيخه العالم ذى الدين المتين ﴾

حفظ القرآن استظهره والمراد برواية نافع وقوله فى سبع سنين يريد لسبع سنين مضين من عمره وبه تظهر المزية خلاف ماتعطيه عبارة الناظم بظاهرها وتبع فى ذلك ظاهر عبارة جواهر المعانى ففى كليهما تسامح ظاهر إذ الثابت خلاف ظاهرهما وعبارة صاحب اللامية أصح وأوفق وأصرح ونصه فيها

وقد حفظ القرآن سابع حجة * مجيداً مجيداً أى طفل بدا طفلا

يريد أنه رضى الله عنه حفظ القرآن العظيم سابع حجة أى فى سابع حجة من حجج عمره وقوله فى بيت اللامية مجيداً بضم الميم من الاجادة اى حفظا جيداً ومجيداً بفتحها من المجادة والطفل الأول بالكسر أى الصغير والثانى بالفتح ومعناه الناعم فبان لك أن تعبير اللامية بسابع حجة أصرح فى المراد من تعبير الناظم ولاسيما مع قرينة قوله أى طفل الخ فتأمله منصفا نعم قد يقال ان فى من قول الناظم فى سبع الخ بمعنى اللام أى لسبع بناء على ما نقله الفخر الرازى عن بعض النحاة من أنها تعاقبها فى مثل هذا فيقال خرجت لعشر بقين وبالليل وفى شهر رمضان مثلا فيستعمل الباء واللام وفى حينئذ يشبه أن يتبادر من كلام الناظم هنا والمراد والله أعلم والشيخ تقدم معناه لغة وعرفا والمراد هنا شيخ التعليم والعالم وصف له وذى بمعنى صاحب والدين يطلق فى اللغة على معان كثيرة أنسبها بالمقام الاسلام والعبادة والطاعة والتوحيد والمتين وصف للدين وهو من متن ككرم أى صلب والمراد ذى الدين الصلب أى القوى يقول وحفظ الشيخ رضى الله عنه القرآن العظيم من رواية نافع وقد بلغ من سنه العام السابع وذلك بقراءته على شيخه الرضى الأمين سيدى محمد بن حمو التجانى الموصوف بالعلم والدين المتين ولم يسم الناظم رحمه الله تعالى هذا الشيخ وكان من حقه أن يسميه لأن ذلك وظيفه لا وظيف الشراح ( وقد سماه ) فى جواهر المعانى وحلاه بالشيخ العالم الأستاذ وذكر أنه قرأ هو أى هذا الشيخ على شيخه سيدى عيسى بوعكاز المضاوى التجانى قال وكان رجلا صالحاً مشهوراً بالولاية وكان مؤدبا للصبيان بقرية عين ماضى ( وحكى ) عنه أنه رأى رب العزة فى النوم وقرأ عليه القرآن برواية ورش من أوله إلى آخره فقال له تبارك وتعالى هكذا أنزل وحصل على يديه النفع فى قراءة القرآن اه وكانت وفاة شيخ الشيخ رضى الله عنهما سيدى محمد بن حمو المذكور عام اثنين وستين ومائة وألف ثم قال رحمه الله تعالى

﴿ وبعد ذا اشتغل بالعلوم * فجعل الغامض كالمفهوم ﴾
﴿ وحاز فى صغره قصب السبق * فيها وقطره على ذاق اتفق ﴾
﴿ أفتى ودرس وذلك على * صغر سنه نعم ونازلا ﴾

الاشارة بذا المضاف إليه بعد الى حفظه رضى الله عنه القرآن فى السر المذكور واشتغل من الاشتغال وهو افتعال من الشغل بالضم وبضمتين ضد الفراغ يقال منه اشتغل به وشغل أيضا كغنى والعلوم جمع علم والمراد هنا الفنون من فقه ولغة ونحو ومنطق وبيان وغير ذلك من الفنون والغامض الخفى من بعض كعقد غموضا إذا خفى وأراد به هنا العويص من المسائل العلمية وأراد بالمفهوم البديهى الذى لايحتاج فيه إلى تأمل وأفتى من الافتاء وهو فى عرف الفقهاء الاخبار بالحكم الشرعى والمراد هنا مايعم الجواب عن سائر مسائل العلم فقها وغيره

مثال الكف ومثال مذاهب المجتهدين وطريق الأشياخ مثال الأصابع ومثال أزمنة الاشتغال بمذهب ما أو طريق شيخ ما مثال عقد الأصابع لمن أراد الوصول إلى الكف لكن من طريق الابتداء بمس عقد الأصابع وكل عقدة من عقد الأصابع الثلاث بمثابة وصول الطالب إلى ثلث الطريق إلى سلوك عين الشريعة أو عين المعرفة التى مثلناها بالكف فاذا كان مدة سلوك المريد أو الطالب فى العبادة ثلاث سنين ويصل إلى عين الشريعة أو حضرة المعرفة فتقيد بمذهب أو شيخ سنة ثم ذهب لآخر سنة ثم ذهب لآخر سنة فقد فوت على نفسه الوصول ولو أنه جعل الثلاث سنين على يد شيخ واحد لأوصله الى عين الشريعة أو حضرة المعرفة بالله تعالى لكنه فوت على نفسه بذهابه من مذهب أو شيخ لآخر إذ لا يصح أن يبنى مجتهد او شيخ له على مذهب غيره أو طريق غيره ولو سلمه حفظا لقلوب اتباعه من التشتت انتهى المراد منه و ياسبحان الله ما أبعد ماذكره هذا المسكين من مقاصد هؤلاء الأعيان فانه فى واد وهم فى واد ألا ترى انهم انما حجروها على المريدين لما لهم فى ذلك من النفع وهو يزعم أن هناك منافسة أو حسداً حاشاهم من ذلك ولا يستلزم منع زيارة التعلق منع الزيارة المطلقة فاما زيارته صلى الله عليه وسلم لأهل البقيع فلعلها لقصد نفع الاموات أو لبيان التشريع وزيارة عمر رضى الله عنه لاويس القرنى زيارة تبرك ومعلوم قطعا أن عمر أفضل من أويس فكيف

والتدريس درس العلم للناس والقاء مسائله مفسرة إلى المتعلمين وحاز معناه هنا أحرز والسبق محركا الخطر وهو ما يتراضى عليه المتسابقان وسبقته بالتشديد أخذت منه السبق ويقال أيضا بمعنى أعطيته إياه قال الأزهرى وهذا من الاضداد ومن السبق قولهم أحرز قصب السبق وأصله أنهم كانوا ينصبون فى حلبة السباق قصبة فمن سبق اليها اقتلعها ليعلم أنه السابق من غير نزاع ثم كثر استعماله حتى أطلق على المبرز والضمير فى فيها للعلوم وقوله وقطره القطر معروف والمراد وأهل قطره فهو من مجاز الحذف ونعم بفتحتين وقد تكسر العين ونعام أيضا فى غير ماهنا كلمة جواب كبلى الا أنها أى نعم تقال فى جواب الايجاب ونازلا الألف لاطلاق القافية وهى من المنازلة وهى نزول كل واحد من المتنازلين فى مقابلة الآخر قال فى المصباح نازله فى الحرب منازلة ونزالا وتنازلا نزل كل واحد فى مقابلة الآخر اه وأصله فى الحرب واستعمل فى المناظرة فى العلم ويصح فى قوله ونازلا ونزل أيضا كما فى القاموس زيادة على ما فى المصباح والمراد أنه ناظر العلماء فى صغره يقول وبعد حفظه رضى الله عنه القرآن العظيم حفظا متقنا ووعيه إياه على ظاهر قلبه لسبعة أعوام مضين من عمره اشتغل بتحصيل فنون العلم الظاهر فرزق من الملكة فيها القسط الأكبر والحظ الوافر حتى جعل الغامض العويص من مسائل تلك العلوم بما أوتيه من قوة الادراك وغزارة العارضة كالبديهى المفهوم وحاز بذلك بين معاصريه قصب السباق حسبما أقربه علماء قطره ووقع منهم عليه الاتفاق وأفتى رضى الله عنه فى تلك السن من استفتاه فى سائر الفنون وأظهر بتدريسه لها خفى سرها المكنون ونازل فى ميادين المناظرة أبطال الأقران فاختص فيها بنصر اللواء واحتياز الرهان ( وعقد ) الناظم رحمه الله تعالى فى هذه الأبيات ما أشار اليه فى جواهر المعانى من أنه رضى الله عنه بعد ما حفظ القرآن اشتغل بطلب العلوم الأصولية والفروعية والأدبية حتى رأس فيها وحصل أسرار معانيها ثم قال قرأ على شيخه المذكور مختصر الشيخ خليل والرسالة ومقدمة ابن رشد والأخضرى ثم تمادى فى طلب العلم زمانا ببلده حتى حصل من العلوم ما انتفع به فكان رضى الله عنه يدرس ويفتى وله أجوبة فى فنون العلم أبدى فيها وأعاد وحرر المعقول والمنقول فأفاد اه (وذكر) فى الجامع أنه قرأ على شيخه سيدى المبروك ابن بوعافية التجانى المختصر وغيره مما تقدم قال وتوفى سيدى المبروك سنة ست وستين ومائة وألف اه وراجعه فقد ذكر فيه ما اختص به سيدنا من العلوم وبعض ما حصل له منها من طريق الوهب الالهى والفتح الربانى رضى الله عنه وأرضاه وأدامنا دنيا وأخرى فى حوزة حماه آمين ثم قال رحمه الله تعالى

﴿ ثم ارتقت همته العليه * الى اتباع السادة الصوفيه ﴾
﴿ فجال فى طلب أهل الله * عادة كل عابد أواه ﴾
﴿ وعمره احدى وعشرون سنه * لله در أمه ما أحسنه ﴾

الهمة العلية العزم القوى كذا فى المصباح المنير وهى عند الصوفية عبارة عن قوى النفس التى يقع عنها الانفعال فى بعض الموجودات باذن الله تعالى يقولون فلان أحال همته على كذا فانفعل له باذن الله تعالى أى بقضائه وقدره فاذا صدق المريد فى ارادته تكون له همة جمعية لا يقوم لها شىء قالوا وهذه الهمة توجد فى قوم من المريدين يقتلون بها من يشاؤن لأن النفس إذا جمعت أثرت فى اجرام العالم وأحواله ولا يعتاص عليها شىء باذن الله تعالى قال ابن عباد رضى الله عنه وهذه الهمم تكون للأولياء كرامات ولغيرهم استدراجا كما هو شأن العائن والساحر

---

تتمة زيارة التعلق فى حقه بل ليس فى واحدة من هاتين الزيارتين اللتين استشهد بهما ما يدل على نفى منع زيارة التعلق ومشايخ الحق رضوان الله عليهم انما منعوا زيارة التعلق المريد لقصوره وضعفه لا استخفافا بحق المزورين من الأولياء كما يعطيه كلام هذا المنكر المسكين والله تعالى يقيل عثرته فى قوله

وبعض من ينتمى إلى التملق
يمنعها مخافة التعلق

فانه ما ترك شيئا من الطعن فى المشايخ الذين منعوها إذ وصفهم بالتملق وفى الحديث ليس من أخلاق المؤمن الملق الا فى طلب العلم قاله فى النخبة العليا وفى القاموس الملق أن يعطى باللسان ما ليس فى القلب وذلك من أخلاق المنافقين نعوذ بالله مما يجر الى الوقوع فى على مناصبهم وسبب ذلك جرأته على هذا الشيخ والشر يجر الى الشر والفتنة تؤدى الى الفتنة نسأل الله السلامة وأما قوله أقال الله عثرته

واتحفوا بالسر كل صالح
وذاك فى الحكمة غير صالح

وفى الحديث انها لا تعطى

لغير أهلها فراع المعطى
فان يكن أهلا لعلم السر
أعطى علمه وأجر البر
وان يكن من جملة الأوباش
لم يعط سرا عند من يحاشى

الى آخره فكلام جاهل أو متعسف متجاهل ولو نظر بعين التحقيق لعلم أن الحكمة التى لا تعطى لعموم الناس ما يشوش عليهم من دقائق التوحيد والأحوال والمقامات وعلم الخواص وأما هذا الورد فحاصله استغفار وصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وهيللة وكل الناس أهل لها ولذا عم الخطاب بها جميع المكلفين نعم فى أخذها عن أعاذنا

أعاذنا الله من شرها وشر كل ذى شر بمنه (والصوفية) من تصوف الرجل فهو صوفى من قوم صوفية وهى كلمة مولدة كما صرح به فى المصباح وجزم فى عوارف المعارف بأنها لم تكن فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ثم حكى فيما بعد زمانه صلى الله عليه وسلم قولين الأول أن هذا الاسم كان فى زمان التابعين لما ذكر عن الحسن البصرى أنه قال رأيت صوفيا فى الطواف فاعطيته شيئاً فلم يأخذ وقال معى أربعة دوانق يكفينى مامعى ويشبه هذا الذى نقل عن الحسن البصرى ماروى عن سفيان الثورى رضى الله عنه أنه قال لولا أبو هشام الصوفى ما عرفت دقيق الرياء القول الثانى أن هذا الاسم إنما ظهر بعد زمان التابعين قال لأنهم كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم يسمون الرجل منهم صحابياً وذلك لشرف درجة صحبته صلى الله عليه وسلم فالاشارة إليها أولى من كل إشارة و بعد انقراض زمن الصحابة صار من أخذ العلم منهم يسمونه تابعيا ثم لما تقادم العهد بزمان الرسالة وتكدرت مشارب العلوم باتباع الاهواء وغلبة الجهالة وغلظت النفوس وكثف حجابها وكثرت العادات وتملك أربابها وتزخرفت الدنيا وكثر خطابها تفرد قوم بالأعمال المرضية والأحوال السنية فتنبه لهم صفاء الفهوم لقبول غوامض العلوم ظهر هذا الاسم بينهم أى اسم الصوفية وتسموا به وسموا بذلك اهـ من العوارف ملخصا بمعناه وغالب ألفاظه ويحتمل الجمع بين القولين بأن هذا الاسم كان أول ظهوره فى زمان التابعين ولم ينتشر كل الانتشار إلا فيما بعد زمانهم حيث صار الأمر إلى ماصار إليه مما تقدم ذكره والله تعالى أعلم ثم ان هذا الاسم كما اختلف فى زمان ظهوره اختلف أيضا فى أصل التسمية به فقيل نسبة إلى الصوف ووجهت هذه النسبة بوجهين على هذا القول الأول أن هؤلاء السادات الكرام لما آثروا الذبول والخمول والتواضع والانكسار والتخفى والتوارى صاروا بمنزلة الصوفة الملقاة التى لا يلتفت إليها فلذلك نسبوا إليها والمناسبة فى هذا الوجه ظاهرة من حيث الاشتقاق لأنه يقال فى النسبة إلى الصوفة صوفى كما يقال فى النسبة إلى الكوفة كوفى الوجه الثانى أنه نسبة إلى ظاهر اللبسة لأنهم كانوا يؤثرون لبس الصوف لكونه لباس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفى الحديث مر بالصخرة من الروحاء سبعون نبيا حفاة عليهم العباء يؤمون البيت الحرام الحديث (ويروى) أن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام كان يلبس الصوف والشعر والمناسبة فى هذا الوجه أيضا كالذى قبله لأنه يقال تصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص وقيل نسبة إلى الصفة التى كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين نزل فيهم قوله تعالى « للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض ـ الآية » (قال) فى عوارف المعارف وهو وان كان لا يستقيم من جهة الاشتقاق فهو صحيح من حيث المعنى لمشاكلة أحوال الصوفية لأحوال أولئك السادات الكرام رضى الله عنهم وذلك لكونهم مجتمعين متآلفين متصاحبين لله وفى الله وانظر العوارف وقيل سموا به لأنهم أهل الصف الأول بين يدى الله تعالى بارتفاع هممهم واقبالهم على الله تعالى بقلوبهم ووقوفهم بين يديه بسرائرهم ويؤيد هذا القول ما قيل من أن هذا الاسم كان فى الأصل صفوى نسبة إلى الصفا فاستثقل ذلك فجعل صوفى ويؤيده أيضا قولهم الصوفى من صفت سرائره واستقامت على الكتاب والسنة ظواهره وقول الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه التصوف تدريب النفس على العبودية وردها لأحكام الربوبية اهـ إلى غير ذلك من عبارات المشايخ الكاملين التى تنحو هذا المنحى ويتأيد بها هذا القول ولا شك أن المدار من

والحكمة فهم أدرى بما لا يفشى منها وبمن لا يعطاها ولا حجر عليهم وقد يأتيهم الانسان فى أرذل الحالات مغموسا فى المعاصى والشهوات فيرفعونه فى أقرب مدة لأعلى الدرجات بتلقين الاذكار والدعوات كما وقع للسبكى مع ابن هوارى ويأتيهم من ينتسب إلى العلم والعمل والسيادة فيطردونه لما انطوى عليه من موانع الافادة والله أعلم حيث يجعل رسالاته. قال اللطى فى الذهب الابريز قال الششترى لا يعترض على المشايخ فيما يصنعون فانهم لا يتصرفون إلا عن إذن و بصيرة وقال الشيخ سيدى أحمد زروق فى عدة المريد وقد اختلف علماء الصوفية فى بذل علومهم لغير أهلها فقال بعضهم لا تبذل إلا لأهلها وقال بعضهم تبذل لأهلها ولغيرهم والعلم أحمى جانبا من أن يصل إلى غير أهله ثم قال والحق أن ما كان من حيز المعاملات يبذل لكل أحد لأنه حق الله تعالى على عباده وجوبا أو ندبا وما كان من حيز الحقائق فيعتبر فيه الوجه فقد قال صلى الله عليه وسلم أمرنا معاشر الأنبياء أن نخاطب الناس على قدر عقولهم وقال أبو حامد الغزالى وقد يتضرر بالحقائق أقوام كما يتضرر الجعل بالورد انتهى كلام زروق وذكر من وجوه الضرر سبعة أشياء فانظرها فيه وكلها فيما كان من حيز الحقائق الذى ذكر فيه أنه يعتبر فيه الوجه

وهذا المنكر المفتون إما أن يكون وقف على هذا فلم يبق له إلا التعصب بالباطل لما هو بصدده من الانكار وإما أن يكون لم يقف عليه

ونسبة الكتمان للنبي
نقد من مناكر البدعي
فورده صين عن الصحابه
فيما ادعى وخص بالاصابه
وذاك ينفي ما على الرسول
إلا البلاغ محكم النزول
واليوم أكملت لكم والمكمل
دين المخاطبين أو من يرسل

فلعل الحامل له عليه ما توهمه من قول الشيخ رضي الله عنه لما سئل هل كان النبي صلى الله عليه وسلم عالما بفضل صلاة الفاتح لما أغلق فقال نعم كان عالما به قالوا ولم لم يذكره لأصحابه قال لعلمه صلى الله عليه وسلم بتأخير وقته وعدم وجود من يظهره الله على يديه في ذلك الوقت إلى آخر كلام الشيخ رضي الله عنه فانظر أيها المنصف لو سئل أحد من الأولياء والعلماء عما ذكروا من الأوراد والصلوات وفضائلها مما لم يروه عنه صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه هل كان صلى الله عليه وسلم عالما بذلك أيسوغ له أن يقول هو صلى الله عليه وسلم جاهل بذلك كيف وهو يعلم علم الأولين والآخرين وإذا سئل لم لم يذكر ذلك لأصحابه أيسوغ له الجواب إلا بمثل ما أجاب به الشيخ رضي الله عنه ومعلوم قطعا أنه صلى الله عليه وسلم لم يؤمن بتبليغ كل ما علمه لكل أحد وليس هذا من الكتمان المحال عليه صلى الله عليه وسلم بل ذلك ما فيه مخالفة لقوله تعالى «بلغ ما أنزل اليك من ربك» وفي فقه الأعيان للشيخ سيدي المختار الكنتي رحمه الله تعالى ما نصه قال عليه الصلاة والسلام أخذت ليلة أسري بي من

جهة المعنى المقصود إنما هو على ما يوصل إلى حضرة الملك المعبود وليس ذلك الاصفاء السرائر واستقامة الظواهر فلا يفيد لبس الصوف وحده فيما هو المراد كما لا يخفى على أهل السداد وإنما الكلام في أصل هذه التسمية وما نقل في ذلك من الأقوال عن أئمة هذه الطائفة الزكية ليظهر وجه اصطلاحهم على هذه العبارات حتى يكون الناظر في كلامهم على بصيرة مما قصدوه في هذه الاشارات وقد ذكروا أن هذا اللفظ أي لفظ الصوفي أوقع بظاهره كثيراً من عامة الناس في الغرور والالتباس لاعتقادهم أن الصوفي من لبس ثياب الصوف المرقعة لا غير ولا سيما ان انضاف إلى تلك اللبسة غزارة أقوال فانهم يعتقدون بلوغه أعلى درجات الكمال من غير أن يبالوا بما هو عليه من صفاء سره واستقامة ظاهره (وقد قيل) الصوفي لا يفوق بغزارة الأقوال وانما يفوق بوقع الهمة والحال والتخلية عن رؤية الأعمال وقد ذكر الشيخ خالد البلوي رحمه الله تعالى في تاج المفرق عن بعض من لقيه من علماء المشرق أنه أنشده لطاهر بن الحسين المخزومي هذه الأبيات

ليس التصوف أن يلاقيك الفتى * وعليه من نسج النحوس مرقع
بطرائق بيض وسود لفقت * فكأنه فيها غراب أبقع
ان التصوف ملبس متعارف * تخشى الفتى فيه الاله ويخشع

﴿وأنشده أيضا﴾

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه * ولا بكاؤك ان غنى المغنونا
ولا صياح ولا رقص ولا طرب * ولا تغاش كأن قد صرت مجنونا
بل التصوف أن تصفو بلا كدر * وتتبع الحق والقرآن والدينا
وأن ترى خاشعا لله مكتئبا * على ذنوبك طول الدهر محزونا

﴿وأنشد غير البلوي في المعنى﴾

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا * وكلهم قال قولا غير معروف
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى * صافى فصوفي حتى سمي الصوفي

اه وعلى كل حال فالمراد بلفظة الصوفية حيث أطلق جميع طرائق الخير والصلاح قال في عوارف المعارف والله تعالى ذكر طوائف الخير والصلاح فسمى قوما أبرارا وآخرين مقربين وآخرين الصابرين وآخرين الصادقين وآخرين المخبتين وآخرين الذاكرين الله كثيرا وغير ذلك واسم الصوفي يجمع المتفرق في هذه الأسماء المذكورة اه (قلت) وهذا بحسب الاطلاق فقط والا فمن استقرأ سياق كلام المشايخ المؤلفين في علم الطريق علم يقينا ان الغالب عليهم اطلاقه على المقربين خاصة وقد صرح صاحب عوارف المعارف عن نفسه بذلك كما سنورده في تقرير هذه الابيات هنا إن شاء الله تعالى وقوله جال من جال البلاد طاف بها غير مستقر والعادة معروفة وتجمع على عادات وعوائد سميت به لأنها تعاود أي يرجع اليها مرة بعد أخرى والعابد المطيع لله تعالى والأواه يطلق على معان منها الرحيم وعليه فالمراد هنا الرحيم لنفسه المشفق عليها والعمر معروف وهو من عمر كتعب عمرا وعمرا فهو عامر وبه سمي تفاؤلا والمضارع يعمر ويتعدى بنفسه وبالتضعيف وتدخل لام القسم على المصدر المفتوح منه والمعنى وحياتك وبقائك انتهى والدر اللبن تسمية بالمصدر ومنه لله دره فارسا في سياق التعجب انتهى يقول ثم بعد ما حصل رضي الله عنه ما حصل من المسائل العلمية والتبريز في ميادين الفنون الرسمية

سما به عزمه القوى وهمته العلية وتاقت نفسه الزكيه إلى اتباع السادات الصوفية والتقيد بعهود المشايخ الكاملين من أهل التربية فحن الى اقتفاء طريقهم والانحياش إلى حزبهم وفريقهم فبسبب ذلك ومن أجله استسهل الصعب واستصغر المشاق فجال البلاد وطاف الآفاق رغبة فى العثور على من يوصله الى الله كما هى عادة كل عابد موفق حليم أواه وكان قد بلغ من العمر إذ ذاك واحداً وعشرين عاما فلله در أمه التى أنجبت به سيداً كريما هماما وعقد الناظم فى هذه الأبيات الثلاثة مافى الجامع وهو ملخص مافى جواهر المعانى متفرقا فى مواضع منه ونص مافى الجامع فلما شب رضى الله عنه واطلع على شىء من كلام القوم تاقت نفسه إلى أحوالهم والوصول الى مراتبهم فلما كان فى سنة نيف وسبعين ومائة وألف سافر من بلده عين ماضى إلى مدينة فاس وأحوازها قاصداً مطلوبه وباحثاً عما تعلقت به همته من ملاقاة الرجال اه وفى جواهر المعانى أنه فى هذه الوجهة سمع بفاس شيئاً من الحديث ثم اشتغل بملاقاة الرجال و بلغنى على لسان أهل الصدق من أصحابه رضى الله عنه أنه فى خلال المدة التى أقامها بفاس فى هذه المرة كان يحضر بعض مجالس أهل العلم بها وأنه ارتحل الى جبل العلم لأخذ القراءة بالتجويد على بعض المتقنين لذلك بتلك البلدة وفى سفرته هذه لجبل العلم بالقصد المذكور حبسه المطر بخيمة رجل من أهل الغرب نحواً من عشرين يوما فلما استوطن فاسا بعد ذلك وظهر على ذلك الرجل فحضر لديه فوصله رضى الله عنه بصلة وعهد إليه أن يأتى لأخذ مثلها على رأس كل سنة فكان الرجل يأتى على رأس كل سنة فيجد الصلة مهيأة له دراهم معدودة وحكايته معروفة بين الأصحاب وفى كلام الناظم رحمه الله تعالى هنا نكت بديعة تشهد له عند من أنصف بحلوله من البلاغة وسعة الاطلاع المكانة الرفيعة * النكتة الأولى فى قوله ثم ارتقت حيث أتى بثم التى هى للتراخى والمهلة لافادة أن ما حصل للشيخ رضى الله عنه من التوقان لاتباع طريق السادات الصوفية لم يكن على ماعليه أكثر الناس في هذا الزمان من كونهم يدخلون فى طريق الارادة من غير نظر ولا معرفة لحقيقة ما دخلوا فيه ولا لماذا دخلوه وانما ذلك منهم موافقة لبعض من استحسنوا حاله بالطبع فى الوقت لا غير بل كان تشوفه وتوقانه رضى الله عنه الى اتباع طريقهم بعد النظر والمعرفة لما قصد اليه والتحقق بفائدة ما عرج عليه كما هو شأن المريد الصادق الموصوف حاله فى جواب الشيخ نفسه رضى الله عنه لمن سأله عن ذلك وملخصه المريد الصادق هو الذى عرف جلال الربوبية وما يجب القيام به من حقوق الألوهية وعرف ما عليه نفسه من العجز والكسل والاخلاد إلى الراحة والتقاعد عن صالح العمل وأنه ان قام مع نفسه على تلك الحالة لحقه فى الدارين مالا غاية له من الوبال فلما عرف ذلك رجع بصدق وعزم وجد واجتهاد طالبا من ينقذه من وحلته ويحل وثاقه من أسر شهوته ويدله على طريق الوصول إلى حضرة رب العباد (قال) رضى الله عنه فهذا هو المريد الصادق وأما غيره فهو طالب لا غير قد يجد وقد لا يجد اه ومن هذا نفهم معنى قولهم البدايات مجلاة النهايات وقولهم كل من كانت بدايته أحكم كانت نهايته أتم وذكر فى عوارف المعارف بسنده الى إمام الطريقة الجنيد رضى الله عنه أنه كان يقول أكثر العوائق والموانع من فساد الابتداء اه وأقوالهم فى البداية وتصحيحها وكونها أساسا للنهاية كثيرة وغرضنا هنا بيان النكتة فى إتيان الناظم رحمه الله تعالى بثم ليعلم من ذلك ما تحت عبارته من العلم وليعرف منه سعة اطلاعه وخصوصا فى علم الطريق رحمه الله تعالى ورضى عنه * النكتة الثانية فى تعبيره بالارتقاء الذى هو الصعود إلى أعلى إشارة إلى علو

أصحابى الذين يقدرون على حمله وعلم أنه لا يقدر على حمله غيرى فأخذ على العهد أن لا أخبر به أحدا قال الجيلى وهى العلوم التى تجرى على ألسنة المجاذيب إن وصلوا الى الحق المحض والكشف الصرف فمنهم من يقدر على الكتمان لما بقى معه من العقل ومنهم من يبوح فيصيبه الأذى من عوام المؤمنين لسماعهم منه مالا تحمله عقولهم ولا تبلغه أفهامهم فان قتل فهو شهيد والقاتل مأجور لقيامه بحق الشريعة اه وفى جذوة الأنوار له أيضا قال جعفر الصادق لما قرب الحبيب من الحبيب غاية القرب نالته الهيبة فلاطفه الحق غاية الملاطفة إذ يقول «فأوحى إلى عبده ما أوحى» أى كان ما كان وجرى ما جرى فلم يعلم ما أوحى الا الذى أوحى فأبهمه لعظمه فان الابهام لا يقع إلا للتعظيم وعن أبى هريرة رضى الله عنه كان يقول أخذت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابى علم أما أحدهما فقد بثثته وأما الآخر فوالله لو قلت منه كلمة لقطعتم هذا البلعوم قبل أن أتمها وفى مثل ذلك يقول زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنه

يارب جوهر علم لو أبوح به
لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمى
يرون أقبح ما يأتونه حسنا

انتهى فاذا تقرر هذا علمت ضرورة أنه صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بتبليغ

كل ما علمه كيف وعنده علم الأولين والآخرين كما فى حديث الاسراء فوضع يده بين كتفى بلا تكييف ولا تحديد فوجدت بردها فأورثنى

درجة الصوفية على من عداهم وشفوف مراتبهم على مراتب من سواهم وقد تقدم لنا فى المقدمة من الكلام فى هذا المعنى ما يغنى عن إعادته هنا على أن الكلام فيما يشير إلى ما للصوفية على غيرهم من الكمال والفخر مما لا يكاد يأتى عليه الحصر * النكتة الثالثة فى إسناد الارتقاء إلى الهمة العلية إشارة الى أنه قصد بالصوفية خاصة المقربين ومعلوم أن الهمم العلية لا تتعلق إلا بالمراتب السنية فيكون الناظم رحمه الله تعالى على هذا جاريا على ما عليه الأكثرون ممن ألف فى الطبقات وغيرها فى اطلاقهم الصوفية على المقربين كما صرح به فى أول عوارف المعارف بقوله واعلم أن كل حال شريف نعزوه فى هذا الكتاب للصوفية فهو حال أهل القرب والصوفى هو المقرب ثم قال ولا يعرف هذا الاسم فى طرفى بلاد الاسلام شرقا وغربا لأهل القرب وانما يعرف للمتسمين وكم من رجال مقربين فى بلاد الغرب وغيرها لا يسمون صوفية لأنهم لا يتزيون بزى ثم قال ولا مشاحة فى الألفاظ. فيعلم أنا نعنى بالصوفية المقربين اه وقوله ولا يعرف هذا الاسم إلى آخره يعنى فى تداول العامة وما هو جار عليه عرف التخاطب بينهم فى الغالب والا فالاستقراء شاهد بأن غالب المشايخ المعتبرين إنما يطلقونه على المقربين بدليل قوله فى العوارف أثر ما تقدم ما نصه ومشايخ الصوفية الذين أسماؤهم فى الطبقات وغيرها من الكتب كلهم كانوا فى طريق المقربين وعلومهم علوم أحوال اه يعنى وأنت تعلم أنهم يطلقون عليهم صوفية فيقال فلان ألف فى طبقات الصوفية وهذه طبقات الصوفية ونحو ذلك ويؤيد كون الناظم رحمه الله تعالى قصد بلفظ الصوفية هنا المقربين ما هو معروف من تفرد سيدنا الشيخ رضي الله عنه من علو الهمة بما لم يذكر مثله عن أحد من أهل هذا الشأن بحيث صار يضرب به المثل فى ذلك بين الناس فى سائر الأقطار والبلدان ولولا خشية الاطالة لذكرت من الحكايات الدالة على ذلك ما يشنف أسماع المعتقدين ويرغم آناف المنتقدين ويكفى فى الجملة التواتر والاشتهار وهل يخفى على الناس النهار * النكتة الرابعة فى قوله فجال الخ فان جعله الجولان فى طلب الشيخ مسببا عن تعلق الهمة باتباع طريق الصوفية الذى هو نتيجة النظر ولازمه بلا شك حسبما تقدمت الاشارة إليه يشير الى أن طلب الشيخ المرشد واجب ولو بالسفر إليه لكن هذا الوجوب من طريق النظر لا من طريق الحكم الشرعي حتى يكون تاركه عاصيا فى حكم الشرع الظاهر فان هذا وان قال به بعض أئمة الطريق فقد خالفه سيدنا رضى الله عنه فيما أجاب به عن هذه المسئلة حسبما نقل جميع ذلك فى الجيش الكبير ( ونص جواب الشيخ رضى الله عنه فى ذلك ) ليس فى نصوص الشرع إلا وجوب توفية القيام بحقوق الله تعالى ظاهرا وباطنا على كل فرد من جميع العباد ولا عذر لأحد فى ذلك من طريق الشرع ولا عذر لأحد فى غلبة الهوى عليه وعجزه عن مقاومة نفسه فليس فى الشرع إلا وجوب ذلك وتحريم غيره لوجوب العقاب عليه ولا شيخ يجب طلبه إلا شيخ التعليم الذى يعلم كيفية الأمور الشرعية التى يطلب فعلها من العبد أمرا ونهيا وفعلا وتركا فهذا الشيخ يجب طلبه على كل جاهل لا يسع أحدا تركه وما وراء ذلك من المشايخ لا يجب طلبه من جهة الشرع لكن يجب طلبه من طريق النظر بمنزلة المريض الذى أعضلته العلة وعجز عن الدواء من كل جهة وانعدمت الصحة فى حقه فنقول له إن شاء البقاء على هذا المرض بقي كذلك وان طلب الخروج إلى كمال الصحة قلنا له يجب عليك طلب الطبيب الماهر الذى له معرفة بالعلة وأصلها والدواء المزيل له وكيفية تناوله كما وكيفا ووقتا وحالا والسلام اه وراجع كلام من قال من الشيوخ أن من ترك طلب شيخ التربية فهو عاص لله تعالى ووجه

علم الأولين والآخرين إلى آخر الحديث فظهر أن كلام الشيخ رضى الله عنه لا يستلزم نسبة الكتمان مع أن لازم المذهب لا يعد مذهبا على القول الصحيح ولو مشينا على الآخر لزم تكفير هذا المنكر لتكفيره للمؤمنين وأما استدلاله على نفى هذا الورد بقوله تعالى «اليوم أكملت لكم دينكم» فان معنى الاكمال أنه لم ينزل بعدها حلال ولا حرام أو أنه لم يحج معكم مشرك وخلا لكم الموسم أو أكملته باظهاره على الأديان وتأمينكم من العدو ومن كل مخوف أو معنى الاكمال أنه لا يزول ولا ينسخ أنظر الذهب الابريز أو بالتنصيص على قواعد العقائد للتوقيف على أصول الشرائع وقوانين الاجتهاد قاله البيضاوى ولا حجة تتوهم فيما عدا المعنى الأول وهو أيضا انما تقوم به حجة لو قال الشيخ رضى الله عنه أنزل على هذا الورد أو نحوه مما يتوهم أنه مناقض لآية الاكمال كيف وهذا الورد كله داخل فى قوله تعالى واستغفروا الله وقوله تعالى صلوا عليه وسلموا وقوله تعالى فاعلم أنه لا إله إلا الله واذكروا الله ذكرا كثيرا بل إنما يحتج بالآية من يعتقد أن كل ذكر ليس لفظه صريحا فى القرآن ليس من الدين المكمل ويلزم هذا أن يقول كل حكم ليس لفظه صريحا فى القرآن لا يعد من الدين وإن أبى هذا اللزوم لزمه التخصيص بدون مخصص ومثل هذا حمق وضلال نعوذ بالله وأما قوله أقال الله عثرته ولم يجز إطلاق لفظ مفهم نقصا على النبى مثل الأسقم فانما يقوله فى حق هذا الولى من يبتغى زلات الأولياء والأصفياء ومن المقرر أن كل ما صدر من

ذلك عند القائل به فى الجيش الكبير وبذلك يظهر لك أن القول الفصل فى المسألة هو ما أجاب به شيخنا رضى الله عنه وبه يتضح سر النكتة المشار اليها فى كلام الناظم رحمه الله تعالى (النكتة الخامسة) فى قوله عادة كل عابد الخ انما أتى به عقب قوله فجال الخ تنبيها على مالم يذكره من مقاصد المريدين الصادقين بالسفر فى بدايتهم فانه لم يصرح مما جرت عادتهم أن يقصدوه فى السفر إلا بمقصد واحد وهو طلب الملاقاة لأهل الله تعالى والحال أن لهم مقاصد متعددة منها وهو أهمها هذا الذى صرح به وهو طلب ملاقاة أهل الله تعالى ومنها غير ذلك وهو مايشعر به قوله عادة كل عابد الخ لأنه أى عادة منصوب على المفعولية المطلقة بجال والتقدير فجال فى طلب أهل الله تعالى جولان عادة كل الخ أى الجولان المعتاد لكل عابد الخ فاما ماصرح به وهو طلب ملاقاة الرجال الواصلين والاخوان الصادقين فلما فى اللقى من الفوائد العظيمة والمنافع الجسيمة (قال) فى العوارف فللمريد بلقاء كل صادق مزيد وقد ينفعه لحظ الرجال كما ينفعه لفظ الرجال وقد قيل من لاينفعك لحظه لاينفعك لفظه وذلك لأن الرجل الصادق يدل على الله بحاله أكثر مما يدل عليه بمقاله وأيضا لأن نظر العلماء الراسخين والرجال البالغين ترياق نافع ينظر أحدهم إلى المريد الصادق فيستشف بنفوذ بصيرته حسن استعداده واستئهاله مواهب الله الخاصة فينظر اليه نظرة محبة عن بصيرة وهم من جنود الله تعالى فيكسبون بنظرهم أحوالا سنية ويهبون آثارا مرضية إن لله عباداً إذا نظروا إلى شخص أكسبوه سعادة لا شقاوة بعدها اه وأما ما أشعر به قوله عادة الخ فأمور كثيرة جرت عادة الصادقين أن يقصدوها فى سفرهم حال بدايتهم منها قطع المألوفات والانسلاخ عن ركون النفس الى معهود ومعلوم ونحو ذلك وفى ذلك من التأديب والتهذيب للنفس واستخراج رعوناتها والاستكشاف عن دسائسها مالايخفى على الصادق المحقق ولا يكاد يدرك منها بدون السفر قالوا وقد يكون أثر السفر فى نفس المبتدئ كأثر النوافل من الصلاة والصوم والتهجد ونحو ذلك فتطمئن وتلين كما تلين بدوام النافلة ويكون لها بالسفر دباغ يذهب عنها الخشونة واليبوسة الجبلية والعفونة الطبيعية كالجلد يعود من هيئته إلى هيئة الثياب (ومنها) رؤية الآثار والعبر قال تعالى «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق» وفى الحديث أطلبوا العلم ولو بالصين وقيل إن جابر بن عبدالله سافر من المدينة الى مصر فى شهر لحديث بلغه أن عبدالله ابن أنيس يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لو سافر رجل من الشام الى أقصى اليمن فى كلمة تدله على الله ما كان سفره ضائعا وقيل فى قوله تعالى السائحون انهم طلاب العلم اه الى غير هذا من مقاصدهم الحسنة التى يقصدونها فى سفرهم حال بدايتهم ومما يشهد لتضمن كلام الناظم رحمه الله تعالى لهذه النكتة التى ذكرناها هنا كونه اعتنى فى هذا النظم كثيرا بعقد مافى الجواهر وقد سبق لنا أنه ذكر فيه عن الشيخ رضى الله عنه أنه سمع فى هذه الوجهة بفاس شيئا من الحديث مع ماقدمناه عن الثقات من حضوره بعض مجالس العلم بها أيضا وقصده الى أخذ التجويد عمن تيقنه فليقدر الناظم من أجل ذلك قدره رحمه الله تعالى وقدس سره (النكتة السادسة) فى قوله لله در أمه الخ فانه لما ذكر عن الشيخ رضى الله عنه توقانه وشغفه باتباع طريق أهل الله تعالى فى السن التى ذكرها التى هى معظم سن الشباب الذى هو ليس بمظنة لذلك أثنى عليه من أجل ذلك بقوله لله در أمه الخ وعدل فى ثنائه عليه الى صيغة التعجب دون غيرها من صيغ الكلام ايماءا الى ماورد عجب ربك من شاب ليس له صبوة

له محمل حسن حمل عليه وليس صوفى أولى من فقيه ولا فقيه أولى من صوفى بل الصوفى أولى بالعذر لضيق عبارته غالبا عن الاحاطة بمراده أنظر قواعد زروق ولعل هذا المنكر يحتج بقول من قال لا يؤول إلا كلام المعصوم وقد قال فيه المناوى هذا القول وان جل قائله غير معتبر كيف وقد ملأ ذلك القائل كتبه الفقهية والحديثية بتأويل النصوص والوجوه واعتنى بأن يجمع بين الكلامين المتناقضين وتنزيل الخلاف على حالين متغايرين وقال فى ترجمة الشيخ محيى الدين وأقوى ما احتج به المنكرون عليه أنه لايؤول إلا كلام المعصوم ويرده قول الامام النووى فى بستان العارفين أنه يجب تأويل أفعال الأولياء التى قد ينكر ظاهرها قال المناوى واذا وجب تأويل أفعالهم وجب تأويل أقوالهم إذ لا فرق انتهى بنقل المسناوى وقال ابن زكرى وفى الرسالة القدسية للشعرانى والعجب ممن يؤول كلام الحق تعالى مع كماله ولا يؤول كلام البشر مع عجزه ونقصه انتهى ولو أنصف هذا الطاعن المتعسف لرجع الى ما فسره به الشيخ رضى الله عنه وقبله منه فانه فسره فى شرحه لجوهرة الكمال بقوله الأسقم يعنى المستقيم المعتدل فى الاستقامة بلا اعوجاج انتهى فان قلت هذا المعنى الذى فسر به غير مناسب لحروف اللفظ قلنا من المقرر عند أهل الصناعة النحوية اجراء المزيد فيه مجرى الأصلى والعكس ومن المقرر عندهم أيضا أنه إذا

فافهم الاشارة والله تعالى يتولى هدانا وهداك ثم قصد الناظم رحمه الله تعالى الى ذكر بعض من لقيه الشيخ رضى الله عنه فى رحلته هذه أوأخذ عنه من المشايخ الكاملين والعارفين الواصلين رضى الله عنهم أجمعين فقال رحمه الله تعالى

﴿ فكان من جملة من أتاه * من أولياء عصره الأواه ﴾
﴿ سيدنا الطيب خلفة الفضل * وفارس الحلبة أحمد الصقل ﴾
﴿ وغيره هذينك من أهل المنن * كسيدى محمد نجل الحسن ﴾
﴿ وهو الذى قال لهذا الكامل * تدرك لا بد مقام الشاذلى ﴾

الضمير البارز فى قوله أتاه راجع للموصول الذى هو من وهو مفعول أتى والمستتر فيه للشيخ رضى الله عنه وهو فاعله والاواه اسم كان ومن جملة الخ خبرها ومن من قوله من أولياء عصره لبيان من الموصول والأولياء جمع ولى وقد تقدم والمراد هنا المشايخ الذين أهلهم الله تعالى لهداية الخلق وإرشادهم بطريق التربية والترقية والعصر الزمان والاواه تقدم أنه يطلق على معان والأنسب هنا الخاشع المنيب قالوا وهو من التأوه وهو التوجع والتحزن والنطق بأواه أواه وسيدنا الطيب المراد به الشيخ الكامل والعارف الواصل القطب مولانا الطيب بن محمد العلمى العلمى دفين وازان رضى الله عنه وعن أسلافه الكرام وخلفة بالكسر اسم من خلفته جئت بعده والفضل أصله الفضلاء فرخمه لضرورة الوزن والقافية والحلبة على وزن سجدة خيل تجمع للسباق من كل أوب ولا تخرج من وجه واحد يقال جاءت الفرس فى آخر الحلبة أى فى آخر الخيل وهى بمعنى حلبة ولذا تجمع على حلائب والصقل أراد به الصقلى فرخمه أيضا كالفضلاء والمراد القطب الكبير والعلم الشهير مولانا أحمد الصقلى دفين فاس الادريسية وأحد أركان الطريقة الخلوتية رضي الله عنه والاشارة بقوله هذينك الى هذين الشيخين الجليلين والمنن جمع منة وهى العطية والنجل هنا الولد ( والمراد بسيدنا محمد نجل الحسن ) الولى الصالح العارف المكاشف سيدى محمد بن الحسن الوانجلى نسبة لبنى وانجل قبيلة معروفة بجبل الزبيب والاشارة فى قوله لهذا الكامل للشيخ رضى الله عنه والشاذلى هو شيخ الطريقة وإمام أهل الحقيقة مولانا أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه يقول ان الشيخ رضى الله عنه وأرضاه لما سافره من بلده الى فارس الادريسية وما بازائها من الديار المغربية بقصد العصور على من يأخذ بيده ويوصله الى حضرة المعرفة بالله كان من جملة من قصده لذلك المطلب وأتاه السيد الجليل الماجد الأصيل الخاشع المنيب الحليم أواه قطب زمانه ومصباح أهل أوانه الشيخ أبو محمد مولانا الطيب بن القطب سيدى محمد بن القطب مولانا عبد الله الشريف خلفة آبائه الفضلاء الأعيان القائم باعباء التربية والترقية بعدهم فى زاويتهم الشهيرة بوازان وكذلك القطب الكبير والعلم الشهير فارس حلبة هذا الشأن المختص فيه بالتبريز مولانا احمد الصقلى الشهير بفاس رضى الله عنه وقدس سره العزيز وكذا غير هذين الشيخين الأعظمين الامامين الأكرمين ممن كان من أولياء عصره من أهل المنن الربانية والمواهب الرحمانية مثل العارف المكاشف سيدى محمد بن الحسن الذى قال له أول ملاقاته معه قبل أن يكلمه بشيء لا بد أن تدرك مقام القطب الكبير مولانا أبى الحسن يعنى الشاذلى رضى الله عنه وعن أولياء الله أجمعين (وعقد الناظم) رحمه الله تعالى فى درر هذه الأبيات للوامع ماذكره صاحب الجواهر وصاحب الجامع إلا أنهما اتفقا فيما ذكراه وتواطآ كلاهما فيما أخبرا به وسطراه على أن مولانا الطيب

إنما أوتى باللفظ من جهته انظر كتاب الاشباه والنظائر لجلال الدين السيوطى وأيضا غاية الامر أن يقال ماهذا فى العربية ولا جرى على اصطلاحهم فللشيخ رضى عنه أن يقول لا يلزمنا الجرى على ما عرفتم من الاصطلاح قل للذى يدعى علما ومعرفة

علمت شيئا وغابت عنك أشياء لاسيما ان مشينا على جواز القلب المبنى على أن اللغة اصطلاحية أى لكل أحد أن يجرى فيها على اصطلاح نفسه فلك أن تقول اسقم وأنت تريد اصح فضلا عن غيره من المعانى ولك أن تسمى الثوب فرسا وهو المبنى عليه لزوم الطلاق والعتاق باسقنى الماء ونحوه ان نواه وهو الأصح كما فى المختصر هذا لو كان اللفظ من كلام الشيخ رضى الله عنه كيف وقد نسب رضى الله عنه جوهرة الكمال للنبى صلى الله عليه وسلم ولعل فى ذلك اللفظ خاصية كما قد يوجد فى ألفاظ وردت عن السلف فتبقى كما وردت من غير افتيات عليهم كما ذكره صاحب الكوكب الوقاد عند شرحه للحزب السيفى للقادرى فانهم يقتصرون على كلمة كذلك دون آخر الآية من قوله تعالى « ليس بخارج منها كذلك » وعللها بما قدمناه وأيضا ان حملنا لفظ الأسقم على المعنى الذى حمله عليه هذا المنكر وهو أنه أفعل تفضيل من سقم ككرم وفرح بمعنى مرض فليس فيه نقص مستحيل عليه صلى الله عليه وسلم لانعقاد الاجماع على جواز ذلك عليه لمشاهدته بهم

المتقدم الذكر هو أول من لقيه الشيخ رضي الله عنه من المشايخ الكمل ذوى الثناء والفخر وليس فى عبارة الناظم رحمه الله تعالى ما يفيد هذه الأولية ولا ما ينبه على هذه المزية والله أعلم بموجب إغفاله لذلك وعدم تعريجه على ما اعتنى به غيره فى التعبير عما هنالك ففى اللامية

فأول من لاقاه والطير غالبا * على جنسها وقاعة تبتغى الشكلا
لقى الطيب ابن الطيب مولاى باغيا * طريقته من بين مصمودة نهلا
وشهرته تغنى بوازان قبره * فلقى من تلقينه الرحب والسهلا

إلى آخر كلامه فيها وفى قوله والطير غالبا الخ تصريح بذكر المزية التى أشرنا إليها فى الأولية ففى تعبير الناظم رحمه الله تعالى بعض قلق وكأنه اكتفى فى الاشارة إلى ما ذكره بتقديمه فى الذكر على غيره والله تعالى أعلم فأما مولانا الطيب رضى الله عنه فقد أخذ عنه الشيخ رضى الله عنه ورده وأجازه فى تلقينه لمن طلبه منه فامتنع الشيخ رضى الله عنه من المساعدة فى التلقين لاهتمامه رضى الله عنه فى ذلك الوقت بأمر نفسه وعدم تفرغه فيه لملاقاة أحد من أبناء جنسه ولأنه لم يتحقق بحقيقة مقام الشيخ المذكور فى ذلك الوقت وهذه إحدى القضايا الدالة على علو همته الذى تفرد به رضى الله عنه وجبله الله عليه فى أصل فطرته فهذا الشيخ رضى الله عنه أحد الشيوخ المعتبرين لسيدنا الشيخ رضي الله عنه فى أول أمره وناهيك به من شيخ كامل وقدوة واصل وشهرته كافية عن التعريف به وكانت وفاته رضى الله عنه يوم الأحد ثامن عشر شهر ربيع الثانى عام واحد وثمانين ومائة وألف ذكره بعض من ألف فى مآثره وما ثر أسلافه رضى الله عنهم من فضلاء فاس وشرفائها ووقع فى الجواهر عام ثمانين فانظره (ومما أوصى به) بعض أصحابه ممن كان مقدما على إخوانه فى الطريق استوص خيراً باخوانك ما استطعت واحرص على التخلق بالحلم جهدك فقد كاد الحليم أن يكون نبياً وأزهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس وازهد فى الدنيا يحبك الله وإذا هدى الله على يديك رجلا واحداً خير لك من كل شىء اه (ومما أوصى به) جماعة من فقرائه وقد وردوا عليه زائرين من فاس وكان فيهم من هو من أبناء الصالحين الكبار مانصه إنكم جئتم لزيارة أشياخكم ساداتنا وقد أحسنوا إليكم وكسوكم فلا تنسوا ثيابكم وأعينوهم بأن ترفعوها عن الأوساخ والأزبال ولا يكن لأحد منكم التفات لغير هذه الدار ولا يقل أحد عندى أبى وعمى وماؤكم بينكم فان توافقتم شربتم وانتفعتم وإن تنازعتم غار ماؤكم وظمئتم قال تعالى «ولا تنازعوا فتفشلوا - الآية» وإن كنتم وحدكم فلا جناح عليكم أن تبشروا وتنفروا فان الشيخ على رؤسكم كالغطاء يستركم وإذا جلس معكم من ليس منكم فاحفظوا ألسنتكم واعلموا ما تقولون ثم حكى رحمه الله حكاية على طريق ضرب المثل لما أوصى به فقال كان بعض الناس يقوم بالليل يسأل الله تعالى فى حاجة يسميها ويعينها يعنى والحالة انه وحده وليس معه أحد قال فقام ليلة على عادته فوجد رجلا نائما إلى جنبه قد غطى رأسه وقدميه لم يعرفه فرفع يديه وقال يارب أسألك الحاجة التى سألتكيها البارحة ولم يسمها اه وإنما آثرت ذكر هاتين الوصيتين من كلام هذا الشيخ الجليل القدر ليزداد الناظر فيهما معرفة بمكانته القصوى من مقام التربية وكمال إرثه للأخلاق المحمدية ولأنهما مشتملتان على أمهات الآداب التى لا يستغنى عنها أحد من الفقراء فى الوقت فلا شك أنها رشحة من رشحات الكمل العارفين بأنواع الأدوية والعلل فما أجدر كل واحد من الفقراء الصادقين بحفظها والمحافظة على العمل بما فيها (ومما تضمنته هاتان الوصيتان) تعرف ما أشار إليه الناظم بقوله

لأخيه حفرة وقع فيها والله يقيل عثاره ويحسن عزاءه فى مصيبة دينه التى أعماه عن الاحساس بها التعصب للباطل ويعصمنا مما ابتلاه به

وقد ورد فى القرآن وصف الأنبياء بالسقم كقوله تعالى فى يونس عليه السلام «فنبذناه بالعراء وهو سقيم» وحينئذ يصير لفظ الاسقم الذى فى الجوهرة نعتا لقوله صراطك فيرجع إذاً إلى قوله صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الانبياء ثم الأمثل فالأمثل ويكون فيه غاية المدح له صلى الله عليه وسلم لأنه صراط الله التام المستقيم مع شدة مايقاسيه من السقم والبلاء ولم ينقص ذلك من استقامته شيئاً أو يكون من التعبير باللازم على الملزوم لأن الحب من لازمه غالبا إذا أفرط السقم ولذلك قال البوصيرى رحمه الله تعالى فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت * به عليك عدول الدمع والسقم فيصير معنى الاسقم إذا الشديد المحبة البالغ منها مالا يدرك وإذا علمت أيها المؤمن المنصف ما قدمناه وتأملته ظهر لك أن لا موجب لقول هذا المنكر إلا مجرد العناد والجحود لما ثبت من فتحه وفيض أنواره ولو وفق لطريق الانصاف لسكت أو حذر من اللفظ فقط كما حذروا من مواضع من الاحياء والقوت أو حذر من الصلاة جملة ولم يطعن فيها كما حذروا من نحو كلام ابن الفارض ولم يطعنوا فيما حذروا منه لكن جره سوء الادب مع هذا الشيخ الكريم إلى إساءة الادب مع سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فذهب ليفضح غيره فافتضح هو بعين ماطاب به إظهار الفضيحة ألا تراه نهى عن كل مايوهم نقصا فوقع فى عين التنقيص فسمى جوهرة الكمال جوهرة الخبال وجوهرة الوعيد ومن حفر

وقد ذكر الشيخ سيدى محمد فى جنة المريد قال كان لشيخنا يعنى والده الشيخ المختار مريد من بعض الأصحاب ممن له باع فى علم العربية فاتفق أن الشيخ أنشد قصيدة منها قوله

أيا غارة المولى أجيبى وهلمى

بنصر الاله ثم بالخيل والرجل

فاعترض على لفظة هلمى وراجع فيها الشيخ رضوان الله عليه على رسم الانتقاد وكنت يومئذ صبيا فى المكتب فغدا علينا الصاحب جزعا مذعوراً وجعل يتصفح الألواح ولا يهتدى إلى كلمة بل لا يميز الحروف وجعل يبكى بكاء الثكلى ويتحرق تحرق الحية فى المقلى وتوجه إلى البيت مستشفعا بالشيخة إلى الشيخ فى رد ما سلب منه فلزم كسر البيت أياما فشفعت له عند الشيخ فرد له ما كان وحجر عليه التعليم فكان لا يعلم طلبته فأقام على ذلك زمانا ثم صدق فى عقد التوبة وأهدى واستشفع فرد عليه الاقراء وبقى به داء أرق ورعشة إلى أن توفى رحمه الله تعالى انتهى

وأظن هذا المنكر لا يرتدع إلا بمثل هذا لما بلغنى من تصممه والعياذ بالله وأما قوله أقال الله عثرته

كذا مطلسم وما يدريك

لعلها كفر نفى الشريك

فكلام متعسف ومتشيع بما ليس عنده أما وجه تعسفه فجعله معنى المطلسم الذى هو بمعنى المستور من جملة الطلسمات التى هى معدودة من جملة الباطل وهى نقش أسماء خاصة لها تعلق بأفلاك وكواكب على زعم أهل الطلاسم فى جسم من المعادن أو غيرها تحدث لها خاصية ربطت بها فى مجارى العادات وليت شعرى لو صدق قوله وما يدريك لعلها كفر على الطلسمات فما وجه صدقه

خلافة الفضلاء أى تعرف أنه ورث مقام أسلافه فى الدلالة على الله وكمال المعرفة بالله لأنه خلف أخاه القطب مولانا التهامى وهو خلف والدهما القطب سيدى محمد وهو خلف جده القطب مولانا عبد الله الشريف ولا علينا أن نتعرض هنا لنبذة من التعريف بهؤلاء السادات الكرام حيث جرى فى النظم ذكرهم لما فى ذلك من مزيد الفوائد السنية المعينة للمريد الصادق فيما هو بصدده من سلوك طريق التزكية فنقول أول من نزل بوزان من هؤلاء السادات الأعيان جدهم القطب الأشهر مولانا عبد الله الشريف وكان فى أول أمره يبحث عن أهل الخير والصلاح ويطلب من يدله على طريق الرشد والفلاح فدل على الشيخ الكبير العارف الشهير سيدى أحمد بن على الصرصرى أحد أركان الطريقة التابعية الجزولية الشهيرة بغربنا فوفد عليه زائراً ثم انقطع إليه وعول فى سلوك طريق الارادة عليه فجعله فى بستان له يخدم فيه ويصلح ما يحتاج إليه فبقى على ذلك مدة ثم وجهه إلى تطوان بقصد قراءة العلم ثم منها إلى فاس فلازم قراءة العلم بها مدة وظهر له خلال مدة إقامته بها كرامات كانت على ما صار حاله إليه أمارات وعلامات ولما توفى شيخه الصرصرى رضى الله عنه وذلك سنة سبع وعشرين وألف نزل مدشر شقزة من قبيلة مصمودة وانعزل عن الناس للخلوة للعبادة ومكث نحو أربعة عشر شهراً لا يخرج ولا يلقاه أحد إلا رجل واحد من الشرفاء اسمه سيدى عبد الكبير اعلوات كان يأتيه بما يحتاج إليه وحدث عنه أنه ما دخل عليه فى وقت من ليل أو نهار إلا وجده قائما على قدميه يقول اللهم صل على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم لا يفتر عن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم إلا إذا كان متلبسا بالصلاة وحدث أيضا أنه دخل عليه صبيحة الليلة التى فتح عليه فيها فى وقت الغلس فوجده مستلقيا على الأرض فأنكر ذلك من حاله فكلمه فى ذلك فأخبره بأنه قد فتح عليه وقال دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى يا عبد الله أمدد يدك ورجلك وقبل من جاءك فمن قبلهما فهو آمن النار فاعتذر للنبى صلى الله عليه وسلم بأنه لا يقدر على ملاقاة الناس فأعاد صلى الله عليه وسلم عليه كلامه الأول فاشتكى أمراً آخر من ملاقاة الناس فأعاد صلى الله عليه وسلم كلامه عليه ثالثا فعند ذلك خرج وانتصب لدعوة الخلق إلى الله تعالى وكان من أمره ما هو مشهور ثم انتقل من مدشر شقزة ونزل المغال فضاقت به فارتحل ونزل وازان بدار سيدى أبى سلهام فى القديم وذكروا أن ورده كان من الصلاة المذكورة عشرين مائة ألف وأربعمائة ألف وهو من باب خرق العادات ولا غرابة فى ذلك من أمثاله (ويحكى) أنه رضى الله عنه ذكر له عن رجل أنه يختم القرآن فى نصف ساعة فقال الرجل عندهم هكذا يختمه وهكذا يختمه وأشار برأسه يمينا وشمالا وكانت وفاة مولانا عبد الله الشريف هذا سنة تسع وثمانين وألف ثم خلفه من بعده ولده القطب سيدى محمد وقد ذكر له من عرف به من الأخلاق الزكية والأحوال السنية ما يبهر العقول ولا يفى بشرحه المقول وكان على طريقة والده من الاكثار من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم آناء الليل وأطراف النهار وكان كثيراً ما يقول ما نالت الرجال أعلى المقامات إلا بكثرة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وكانت وفاته رضى الله عنه ليلة الجمعة التاسع والعشرين من محرم سنة عشرين ومائة وألف ثم خلفه ولده القطب مولانا التهامى وكان على طريقة والده وجده من كثرة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أيام طفوليته يخدم جده مولانا عبد الله فكان يحمله المشاق حملاله على مكارم الأخلاق وكان يلازمه فى الحضر والسفر كثير التعظيم له وكان إذا أراد

الصلاة أتاه بالوضوء ووقف على رأسه حتى يفرغ فيقدم له نعليه ليلبسهما فبيناهو واقف ذات يوم على رأسه والنعل بيده إذ حضرله أن نعل القطب لاتحمل كذلك فجعلها تحت ابطه ثم بعد أيام حضرله أنه ينبغى لها أن توضع على القلب ففعل ذلك أياما ثم حضرله أنه لاينبغى لها إلا أن توضع على الرأس ففعل بها ذلك مدة وكان إذا فرغ جده من الوضوء وأراد أن يرفع رأسه أزالها بسرعة حتى لايراه فذهل مرة فرآه والنعل على رأسه فقال له ماهذا فقال ياسيدى لوكان عندى موضع أعلى من الرأس لجعلتها عليه فدعا له وقال اللهم نفعه منى كما انتفعت الأرض من السماء وأعاده الدعاء بذلك مراراً فكان من أمره ما كان وكان يتبرأ من الدعوى أتم براءة (ويحكى) أن رجلا من فقراء أبيه عرض له وهو بفاس فحلف له بالطلاق لارفعت قدما حتى تخبرني بمقامك بين الأولياء فقال له إنما أنا كالأرض والأولياء كالأشجار فأشار إلى أنه قطب لأن الأشجار لاتنبت إلا بالأرض ولا تستقل بدونها لكن أتى بذلك على وجه تبرأ فيه من الدعوى وتفصى من العهدة لكمال أدبه مع الله تعالى وكانت وفاته رضى الله عنه يوم الاثنين مهل المحرم الحرام فاتح سبع وعشرين ومائة وألف وفي هذا القدر مما قصدنا التعرض اليه هنا مما يتعلق بقول الناظم خلفة الفضلاء كفاية والله ولى التوفيق والهداية (وأما) القطب مولانا أحمد الصقلى المذكور فهو معروف بفاس واضح مشهور وسياق النظم يعطى أن سيدنا رضى الله عنه أخذ عنه أو تبرك به لعطفه على القطب قبله وليس الأمر كذلك إذ الثابت مما بلغنا عن الشيخ رضى الله عنه أنه شاهده فى هذه الوجهة بفاس وأبصره ولم يأخذ عنه شيئا بل لم يكلمه فى شىء أصلا فيما أخبر به عن نفسه وذكره وقد صرح صاحب الجامع بذلك وبين وجه العلة فيما هنالك فراجع كلامه فيه متمهلا منشدا فى تلك الحال السنية متمثلا

وإذا كانت النفوس كبارا * تعبت فى مرادها الأجسام

فالعلة فيها كالعلة فى الامتناع من مساعدة القطب قبله فى تلقين ورده للناس من اشتغاله بما أهمه من أمر نفسه مع ماأوقعه فيه ظاهر الحال فى ذلك الوقت من الالتباس على أن العلة فى ذلك على الحقيقة هى أن سوابق العناية الربانية أبت أن تكون عليه منة إلا لسيد الوجود وأشرف الخليقة صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم فسرح فيما ذكرته لك النظر واعرف منه لماذا اتخذت السلاليم فى السفر وكيف تقف دون الغاية همة من تسنم كاهل العناية وقد ناداه هاتف الحقائق وخاطبه لسان سره الناطق «فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون» ولتقصير العنان عما جمح بنا فيه القلم واللسان واستغفر الله العظيم إن الله غفور رحيم هذا وقد كان سيدنا جعلنا الله فى حماه ومتعنا وسائر الأحبة برضاه بعد مافتح عليه بما فتح ومنح من سر التخصيص مامنح كثيراً مايلهج بالتعريف بهذا القطب الجليل وينبىء عن حقيقة أمره وينوه على رءوس الاشهاد بعلى قدره وسنى فخره ويصرح بأن دفنه داخل حضرة فاس من المزايا التى تتأرج بها من بقاعها الأنفاس ولامحالة أن ذلك مشاهد لمن ألهمه الله الفهم عنه رأى العين واضح أتم وضوح بلاريب ولامين ولتتفطن فى هذا الذى ذكرناه هنا لما تحت العبارة من مكنون الاشارة «يهدى الله لنوره من يشاء» من العبيد ويختص من شاء بالكرامة والمزيد لايسئل عما يفعل سبحانه ثم إذا تفطنت لذلك وعقلت ماهنالك فأعرض عمن تولى ومايعقلها إلا فهنيئا ثم هنيئا لفاس بجيادها وينبوع امدادها والله يقول الحق وهو يهدى السبيل (وأما سيدى محمد بن الحسن الوانجلى رضى الله

بلغ فى العلم مبلغ مالك رحمه الله حيث قالها لما سئل عن ألفاظ مجهولة المعنى يقال إنها من أسمائه تعالى فأجاب السائل بمثل هذه المقالة وإن كان المراد بهذه الجملة هنا الاخبار عن هذه المقالة بأنها حسمت مادة التلفظ بمادة طلسم كما يقتضيه قوله نفى الشريك فجهل منه باللسان العربى مع ادعاء الاحاطة باللغة حتى حكم بأن مالم يجده هو فى القاموس وإن كان فى غيره من كتب اللغة لايكون على زعمه القاصر إلا مصنوعا من كلام المولدين وحينئذ لايصح له وجه إلا ماوجهه به كيف والمصباح من أجل كتب اللغة وقد نقلها منه الشيخ سيدى محمد الكنتى رحمه الله تعالى فى شرحه للصلاة الدرعية أو اليوسية على الخلاف فى نسبتها اللهم صل على طلعة الذات المطلسم قال فى المصباح طسم الشىء وطلسمه بزيادة اللام للتأكيد أخفاه وستره انتهى وأما قوله أقال الله عثرته

وأفرطوا فى حضرة التجانى

حتى ادعوا فضلا على القرآن فانظر مامراده بالحضرة فان كان مراده بها حضرة محضر يوم الجمعة فلم يبلغنا عن الشيخ تفضيلها على القرآن ولكن أظنه توهم ذلك من قول الشيخ رضى الله عنه أن صلاة الفاتح لما أغلق تعدل ستة آلاف من القرآن وقد قال فى آخر كلامه لامعارضة بين هذا وبين ماورد من فضل القرآن والكلمة الشريفة لأن فضل القرآن

الاسلام أبو حامد رضى الله عنه قراءة القرآن أفضل للخلق كلهم إلا للذاهب إلى الله تعالى فى جميع أحوال بدايته وفى بعض أحوال نهايته فان القرآن هو المشتمل على صنوف المعارف فما دام العبد مفتقرا إلى تهذيب الأخلاق وتفصيل المعارف فمداومة الذكر أولى فان القرآن يجاذب خاطره ويسرح به فى رياض الجنة والمريد الذاهب إلى الله تعالى لا ينبغى له أن يلتفت إلى الجنة ورياضها بل يجعل همه هما واحدا حتى يدرك درجة الفناء انتهى وقدس هذا الذى ذكره هذا الامام أبو عبد الله السيد الساحلى فى بغية السالك ونصه بعد كلام فالكلام فى المفاضلة بين حركة اللسان بالتلاوة وحركته باسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته أو نحو ذلك يكون على الجملة والتفصيل اما على الجملة فتلاوة القرآن أفضل لاشتماله على الأسماء والصفات والمواعظ والقصص والأخبار والأحكام وأما على التفصيل فالناس باعتبار ذلك على قسمين عامة وخاصة أما العامة فثلاثة أصناف صنف قائم على تلاوته قاصداً ما وعد الله به من الأجر فى ذلك فهذا ثابت الأجر وصنف قائم على تلاوته تعلما مجهداً نفسه فهذا له الأجر الأول وزيادة أجر تعبه وصنف قائم على تلاوته ترتيلا وتدبراً ليجنى ثمار معارفه فيعمل بها ويعلمها غيره فهذا أفضل من الأول والثانى وكلهم له أجر حركة اللسان وهؤلاء الأصناف الثلاثة هم الذين يعاملون الله ابتغاء أجره وثوابه

عنه) فهو كما فى الجواهر من بنى وائل من جبل الزبيب ورد عليه سيدنا رضى الله عنه فقال له قبل أن يكلمه بشىء أنك تدرك مقام الشاذلى رضي الله عنه حسبما تقدمت الاشارة اليه فى سبك النظم وكاشفه بأمور كانت بباطنه وأخبره بما ينتهى اليه أمره ولم يأخذ عنه سيدنا رضى الله عنه وكانت وفاته حدود خمسة وثمانين ومائة وألف (وأما من لقيه رضى الله عنه فى هذه الوجهة) ممن أشار اليه الناظم بقوله وغير هذين الخ فمنهم الولى الصالح المرشد الناصح سيدى عبد الله بن سيدى العربى بن سيدى أحمد بن سيدى محمد بن عبد الله من أولاد معن الأندلسى رضى الله عنه وعن سلفه الصالح لقيه سيدنا رضى الله عنه وذاكره فى أمور ثم لما أراد توديعه دعا له بخير وكان آخر ما افترقا عليه أن قال له الله يأخذ بيدك ثلاثا ولم يأخذ عنه سيدنا رضى الله عنه لأن طريقهم طريق الاشراق وكانت وفاته سنة ثمان وثمانين ومائة وألف (ومنهم) الولى الصالح الملامتى أبو العباس سيدى أحمد الطواش نزيل تازة لقيه سيدنا رضى الله عنه بتازة فلقنه ذكرا وقال له الزم الخلوة والوحدة والذكر واصبر حتى يفتح الله فلم يساعده على ذلك فقال له الزم هذا الذكر من غير خلوة ولا وحدة (قال) فى الجامع وعين لى سيدنا هذا الذكر وقال لى ذكرته مرة وتركته وكانت وفاة هذا السيد بتازة ليلة الثامن عشر من جمادى الأولى سنة أربع ومائتين وألف وذكر صاحب الجواهر أنه اتفق له مع هذا السيد كرامات عديدة وأنه سمع منه ما ينبىء عن تصريفه بتلك البلدة وأنه أخبره بما يصله سيدنا رضى الله عنه من المقامات وكان ذلك وفق ما أخبر رضى الله عنه وهؤلاء السادات هم الذين لقيهم سيدنا رضى الله عنه فى وجهته الأولى لفاس وأخذ عمن أخذ عنه منهم ودعواله وبشروه بما بشره به الأولياء الأحياء وأما الأموات فقد أخذ عدة من طريقهم عمن كان يلقنها فأخذ القادرية عمن كان مشتهراً بتلقينها إذذاك بفاس وأخذ الناصرية عن سيدى محمد بن عبد الله التزانى الشهير بالريف وأخذ طريق العارف الأكبر سيدى أحمد الحبيب السجلماسى الصديقى عمن كان يأذن فيها بفاس ثم رآه فى عالم النوم فلقنه اسما كل ذلك يتركه بعد مدة طلبا للأعلى مهما ظهر له كما هو شأن أهل الهمم العوالى الذين لا يرضون إلا بالرتب الغوالى وسيأتى ذكر من عدا هؤلاء الأعلام ممن لقيه فى وجهته لبيت الله الحرام ثم أشار الناظم رحمه الله تعالى إلى قول سيدنا رضى الله عنه من رحلته هذه فقال

﴿ وبعد ذا رجع للصحارى * ثم أتى مدينة الجدار ﴾
﴿ ودرس التفسير والعلم وجد * فى قرع باب الملك المولى الصمد ﴾
﴿ فاحتاز ما احتاز من العبادة * والحزم والتشمير والافادة ﴾
﴿ فبرقت بوارق الفتح عليه * وظهرت خوارق العز لديه ﴾
﴿ فكان يفتتن من مرآه * لحسنه جميع من رآه ﴾
﴿ فاقبل الناس عليه فزجر * وشرد الفرار عنهم ونفر ﴾

الصحارى جمع صحراء وهى معروفة والمراد بلده رضى الله عنه ومدينة الجدار تلمسان وتدريس العلم إقراؤه للناس والتفسير هو الوقوف على أسباب نزول الآية وشأنها وقضيتها ولا يجوز إلا بالسماع والتأويل ما يرجع فى كشفه إلى معنى الكلمة وتلخيصه التفسير ما يتعلق بالرواية والتأويل ما يتعلق بالدراية ويطلق علم التفسير على ما يعمهما وهو مراد الناظم رحمه الله تعالى إذ مراده

وأما الخاصة فهم على قسمين أهل بداية وأهل نهاية أما أهل البداية وهم الذين أخذوا فى تخليص أنفسهم من علمها

تدريسه أعنى الشيخ رضى الله عنه أى اقراؤه للناس تفسير القرآن العظيم ولا بد فيه من الحمل على المعنيين كما لا يخفى والله أعلم وعطفه العلم على التفسير من عطف العام على الخاص ومراده سائر ماعدا التفسير من الفنون العلمية والجد الاجتهاد وهو من باب ضرب وقتل والاسم بالكسر وقرع الباب نقره والمراد هنا صدق التوجه إلى الله حال التقرب اليه سبحانه بما شرعه على الوجه الذى يرضاه كما وكيفا ووقتا وحالا بجهد الاستطاعة والملك من الأسماء الحسنى جلت وتقدست ومعناه الذى له كمال القدرة والاستقلال بالتصرف العام بلا حجر وله الأمر المطاع والنهى المتبع والوعد والوعيد والجزاء بالثواب والعقاب بلا معارض ولا معاند وحظ العبد منه لزوم الخدمة والذلة والتعظيم والمخافة والرجاء والحياء مع الوقوف بالباب ورفع الكلمة عن جميع الأكوان بالانتماء إلى على ذلك الجناب اه من بعض شروح أسماء الله الحسنى بلفظه (والصمد) من الأسماء الحسنى أيضا ومعناه الذى يصمد أى يلجأ اليه فى جميع الحاجات واليه ينتهى السودد ويتوجه اليه فى جميع الأغراض لأنه الكفيل وحده بقضائها ولا يحتاج إلى سواه أصلا وحظ العبد منه ظاهر لا يخفى اه من الشرح وهو أى حظ العبد التوجه إلى جلال الربوبية بتحقق الافتقار وصدق العبودية والاكتفاء به عمن سواه تعديلا واستنادا فى الظاهر والباطن وبما ذكر من شرح الاسمين العظيمين تعرف وجه المناسبة فى إتيان الناظم بهما هنا فلله دره ما أغزر علومه وأدق أنظاره وفهومه واحتاز مطاوع حاز الشىء ضمه إلى نفسه والعبادة قال الرازى التذلل ومنه طريق معبد أى مذلل قال ومن زعم أنها الطاعة فقد أخطأ لأن جماعة عبدوا الملائكة والمسيح وما أطاعوهم قال ولكن فى الشرع صارت اسما لكل طاعة لله أديت له على وجه التذلل والنهاية فى التعظيم اه والحزم أسرار الأمور فى غاية الضبط والاتقان ظاهرا وباطنا ومنشؤه العقل الكامل والتشمير معروف والافادة مصدر أفاده إفادة والمراد إفادة الناس من علومه الجليلة وبرقت لمعة والبوارق جمع بارقة والمراد بالبوارق اللوامع واللوائح وحاصل هذه الألفاظ يرجع عند أهل الطريق إلى معنى واحد وهو مبادى الحال ومقدماته والمراد والله أعلم الفيض الذى يرد على العبد قبل الفتح من أنوار الحضرة الالهية وعلامته أنه إذا سرى فى الذات حملها على طلب الحق ومنعها من الباطل عملا وحالا ولا بد لهذا الفيض أن يتقدم الفتح فى حق السالك قاله سيدنا رضى الله عنه ولذلك أضاف للناظم البوارق للفتح والفتح هو زوال الحجب الحائلة بين العبد وبين حضرة القدس قال سيدنا رضى الله عنه وهى مائة ألف حجاب وخمسة وستون ألف حجاب والخوارق جمع خارقة وهى الأمر الخارق للعادة المسمى كرامة والمراد هنا أحد أنواعها وهو حسبما صرح به فى جواهر المعانى ماظهر عليه من الفيضان وجرى منه على المنطق واللسان مما أشرق به باطنه من التوحيد والعرفان وأضاف الخوارق إلى العزلاء لأنها نتيجة استقامة فلا خزى يلحق صاحبها ولا ملامة والافتتان هنا الأخذ بمجامع القلوب محبة وتعظيما ومرآة رؤيته أى النظر اليه والحسن المراد به هنا السمت والبهاء أى مايلوح على الأسرة من الجمال والسناء وزجر منع وكف بعنف وشدة والفرار الهرب والنفور معروف يقول وبعد هذا الذى ظفر به سيدنا رضى الله عنه فى سفره هذا من قضاء مهنته أسرع بالرجوع إلى الصحراء مقر آبائه ومحل نشأته مؤيدا لما هو المطلوب منه شرعا من تعجيل أوبته وعاملا على أمر السيد الوانجلى المذكور ومقتضى إشارته فانه هو الذى أشار عليه بذلك وأخبره من طريق كشفه أن فتحه لا يكون إلا هناك وقصد إلى بلد الأبيض حيث زاوية الشيخ الكبير سيدى عبد القادر

مجاهدة على سبيل الرياضة فالأولى بهم دوران أقرب الوسائل على ألسنتهم مداومة بالتكرار فيؤمرون بالمداومة على ما يذهب الأهم فالأهم من علل النفس نطقا باللسان وتدبرا لمعناه بالفكر فتأمر صاحب علة الأمن مثلا بالاستغفار فلا يزال يردده حتى يقوم ما تضمنه من الخوف بالنفس وتلاوة القرآن لا توصل إلى هذا المعنى المراد فان الآية تجرى على اللسان والفكر يتدبر معناها فلا تلمح النفس ذلك المعنى إلا واللسان قد جاوز إلى آية أخرى لها معنى آخر فينتقل الفكر لتدبر ما انتقل اليه اللسان ذاهلا عن معنى الآية الأولى فلا تلمح النفس معنى الآية الثانية إلا ومعنى الأولى قد غاب عنها ثم ذلك فى الآية الثالثة والرابعة وإن بقى فى النفس من ذلك أثر علمى لا ذوقى ولو أمرنا صاحب علة الامن بالادمان على التلاوة فمر على آية تقتضى الخوف فما هو إلا أن صرف لها وجه الفكر لتدبر معناها ليرسخ فى النفس وإذا باللسان قد انتقل إلى آية أخرى ربما اقتضت الرجاء فينقل الفكر معه إلى تدبر معنى الخوف فى النفس قائما راسخا فيها فينتفى عنها نقيضه مع اختلاف الآيات واختلاف معانيها فلا يزال ينتقل من نوع إلى نوع والمعانى تخطر على النفس خطورا لا يحصل له مع ذلك الاتصاف بها ولا يتأتى رسوخ ذلك فيها فلذلك كان الذكر الواحد

أولى ونعنى بالاولوية هنا أن يكون الذكر الخاص فى الخاص بذهاب علته هو الغالب عليه فى أكثر أوقاته مع بقاء حظه من التلاوة

عندهم سواء فى استثمار ثمرة التوحيد وأما أهل التمكين فلهم حالان حال استغراق وحال صحو أما حال الاستغراق فالمداومة على مايقتضى استصحاب استغراقهم أولى لهم لشرف أحوال الاستغراق وأما حال الصحو فجميع وسائل الذكر عندهم لما حصلوا عليه من رسوخ فى معنى التوحيد وما نالوه من طهارة وزكاة واطمئنان انتهى بحذف واختصار قلت وهذه الاولوية التى ذكرها هذا السيد فى حق السالك الآخذ فى تخليص نفسه بالذكر هى عين المراد بما ذكره شيخنا رضى الله عنه فى كلامه المتقدم من فضل صلاة الفاتح لما أغلق ألا تراه ذكر فى آخر كلامه ان ذلك للخواص دون غيرهم فما هو جواب الساحلى هو جوابنا لتوارد الكلامين على معنى واحد والله تعالى أعلم وهذا التفصيل الذى ذكره الساحلى ذكر الشيخ رضى الله عنهما مايقاربه فانه قال فى جواهره ما ملخصه أما تفضيل القرآن على جميع الكلام من الأذكار والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فأمر أوضح من الشمس كما هو معلوم فى استقرا آت الشرع وأصوله شهدت بذلك الآثار الصحيحة وتفضيله من حيثيتين الحيثية الأولى كونه كلام الذات المقدسة المتصفة بالعظمة والجلال فهو فى هذه المرتبة لا يوازيه كلام والحيثية الثانية مادل عليه من العلوم والمعارف ومحاسن الآداب وطرق الهدى ومكارم الأخلاق والأحكام الالهية والاوصاف العلية التى لا يتصف بها إلا الربانيون

ابن محمد المعروف بسيدى الشيخ القطب الصديقى الشهير رضى الله عنه فآثرها فى ذلك الوقت منزلا ودارا واختارها متعبدا وقرارا وانقطع فيها للعبادة والزهادة والتدريس والافادة حتى أكمل بها خمسة من السنين زار فى خلالها بلده عين ماضى دار آبائه الأكرمين عملا على إشارة السيد الوانجلى المتقدم الذكر فيما أشار به عليه وتصديقا لما أوما من طريق كشفه اليه ثم بعد ما انطمأنت به بالصحارى الدار ونهضت به إرادته والسالك قبل أن يصل إلى مراده لا سكون له ولا قرار فأتى بعد انقضاء المدة المذكورة مدينة الجدار فآثر المقام بها أيضا واختارها للنزول والاستقرار فعكف بها على ماكان عليه من الجد والتشمير فى العبادة وتدريس العلوم خصوصا علمى الحديث والتفسير وبقى على تلك الحال من الجد والاجتهاد فى طاعة رب العباد حتى حصل له ما أهله الله له بسابق عنايته من كمال الاستعداد لتوالى الفتوحات وتراسل الامداد فلاحت عليه بوارق الفتح ومباديه وظهر عليه من الخوارق مادان له به شانئه ومعاديه فصار يفتتن به كل من رآه لما يشاهد من طلعته البهية وسناه فلا يراه أحد إلا أخذ بمجامع قلبه وأزمة عقله ولبه فأقبل الناس عليه للاخذ عنه أفرادا وأزواجا وأتته الوفود بقصد الزيارة والتبرك به أفواجا فنهى وزجر وشرد عنهم ونفر وامتنع من إقرارهم على مايدعونه له من المشيخة كل الامتناع قائلا لكل من واجهه بشىء من ذلك كلها واحد فى الاحتياج إلى ما يحصل به الانتفاع فلا معنى لدعوى المشيخة إلا سوء الابتداع كل ذلك اهتمام منه لنفسه وفرار من ادعائه المشيخة بلا إذن واستحلائه الترأس على أبناء جنسه (وهذا) أيضا مما يدل على علو همته وكمال صدقه مع الله تعالى فى وجهته رضى الله عنه ونفعنا ببركاته وأعاذنا بجاهه من الوقوع فى جحيم اتباع الهوى ودركاته انه ولى ذلك والقادر عليه (وعقد فى هذه الأبيات) ما فى جواهر المعانى فراجع فى هذا المحل ألفاظه الرائقة المبانى المغنية عن زنات المثالث والمثانى فيما سبكنا به كلام الناظم رحمه الله تعالى يعلم ما تحت عباراته من حسن الايجاز وسنى اللطائف والنكت البديعة والرشحات التى تشهد لكمال ذوقه ورسخ قدمه فى مقامات المعارف (ولما أنهى الكلام) فيما قصده من الأخبار عما اتفق لسيدنا رضى الله عنه فى رحلته هذه المغربية من ملاقاة الأولياء ومشايخ التربية اتبع ذلك بالأخبار عما اتفق له رضى الله عنه فى رحلته المشرقية مع بعض من لقيه بها من الكمل من أهل التربية والترقية فقال

﴿ ثم سما بعزمه القوى * للحج مع زيارة النبى ﴾
﴿ فمن تلمسان إلى البيت الاجل * سنة ست وثمانين ارتحل ﴾
﴿ فحل تونس وسوسة سنة * فأيقظ القلوب من سجن السنة ﴾
﴿ وكان فى تونس إذذاك ولى * بشر شيخنا بحبه العلى ﴾

العزم القوى هو الهمة والعلية وقد تقدم والحج هو من حج يحج حجا من باب قتل ومعناه القصد هذا أصله فى اللغة مع قصر استعماله فى الشرع على قصد الكعبة المشرفة للحج أو العمرة ومنه يقال ماحج ولكن دج فالحج القصد للنسك والدج القصد للتجارة والزيارة فى اللغة القصد من زاره يزوره زيارة قصده وهى فى العرف قصد المزور إكراما واستئناسا به والبيت الاجل بيت الله الحرام وارتحل معناه توجه وحل معناه نزل (وتونس) المدينة المعروفة وسوسة من أعمالها وأيقظ نبه والسجن والسنة معروفان والمراد هنا بسجن السنة حجاب الغفلة والولى تقدم معناه والمراد به الولى الذى كان بتونس إذذاك وكان لا يلاقيه أحد إلا أفراد أربعة منهم الولى الصالح سيدى

فهو فى هذه المرتبة أيضا لا يوازيه كلام فى الدلالة على هذه الأمور ثم

عبد الصمد الرحوى وهو كان قطب تلك البلدة فى ذلك الوقت ولم يسم فى الجواهر ولا فى الجامع باسمه وقوله بحبه هو من إضافة المصدر إلى مفعوله وهو الضمير العائد على الشيخ رضى الله عنه والعلى من أسماء الله الحسنى تعالت وتقدست وهو فاعل المصدر المتقدم الذى هو حب ومعناه الذى يصغر عند ذكر وصفه كل شىء سواه وهو أى هذا الاسم الأجل سار فى كل معنى تعلق بالذات والصفات حسبما صرح به غير واحد ممن تعرض لشرح الأسماء الكريمة فيكون فى أنيان الناظم به هنا إشارة إلى أن الشيخ رضى الله عنه محبوب فى سائر الحضرات والمراتب فليفهم ذلك والله أعلم ( يقول ) ثم بعد ما ظهر على سيدنا من لوائح الفتح وبوارقه ما ظهر وتحلى من الصفات الجلالية والجمالية بما أذهل العقول وبهر ولم يبق له من متمناه بين الأنام إلا الحج لبيت الله الحرام وزيارة قبر الحبيب الأعظم عليه الصلاة والسلام سما به عزمه القوى وهمته العلية الى المبادرة لاقتناء هذه الفضيلة السنية فارتحل من مدينة تلمسان مبايناً لكل قطين وألف سنة ست وثمانين بعد المائة والألف قاصداً بلوغ السؤل والمرام من حج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فلما وصل حضرة تونس أقام بها و بسوسة سنة كاملة فألان بما ينشره فيهما من العلوم والأسرار القلوب القاسية ونبه الهمم الغافلة

وكذا الكريم إذا أقام ببلدة * سال النضار بها وقام الماء

وكان بهذه الحضرة لذلك العهد ولى كبير القدر والشان مشهور بالقطبية فى تلك الأوطان إلا انه لم يسمح له بالاذن فى ملاقاة أحد فراسله سيدنا رضى الله عنه مع الولى المتقدم الذكر سيدى عبد الصمد وكان تلميذاً لهذا القطب وتحت ولايته وهو رابع أربعة سمح لهم فى كل ليلة جمعة وليلة اثنين بالاذن فى لقيه ومشاهدته فبشر سيدنا رضى الله عنه وأرضاه بأنه محبوب عند المولى جل علاه وعقد فى هذه الأبيات ما فى الجواهر بتقديم وتأخير وملخصه ان سيدنا رضى الله عنه دخل الى تونس فى السنة التى ارتحل فيها من تلمسان ولقى بها بعض الأولياء منهم الولى الشهير صاحب القدر الكبير سيدى عبد الصمد الرحوى وكان تحت ولاية غيره وهو قطب تلك البلدة فطلب سيدنا رضى الله عنه ملاقاته من سيدى عبد الصمد فاعتذر له بأنه لا إذن له فى الملاقاة وانه لا يلاقيه إلا أفراد أربعة هو أحدهم وذلك ليلة الجمعة أو ليلة الاثنين خاصة فبعث له بمحبوب ذهبا مع صاحبه المذكور فقال له المحبوب بعث محبوباً وهذه هى البشارة التى أشار اليها الناظم فأقام بتونس وسوسة سنة فدرس بتونس الحكم العطائية وغيرها فأرسل إليه أمير البلد يطلب منه المقام بتونس لاقراء العلم وتدريسه والقيام بأمر الدين وتدوينه وأمر له بدار وأنفذ له مسجد الزيتونة وعين له مرتبا عظيما فلما قرأ الكتاب أمسكه ومن الغد سافر الى مصر كما سيأتى قريبا ان شاء الله وذلك بعد أن وجه للولى المذكور صاحبه سيدى عبد الصمد يخبره بأنه يريد السفر فى البحر الى مصر ويطلب منه الضمان من كل ما يشوشه ويروعه فساعفه بمطلوبه وقال لصاحبه قل له أنت مضمون ذهابا وإيابا (وهذا) أيضا مما يشير الى ما تفرد به من علو الهمة رضى الله عنه ولم يتعرض الناظم لذكر ملاقاته فى وجهته من تلمسان الى تونس مع الشيخ الامام العارف الهمام قدوة المتقين وعمدة المحققين أبى عبد الله سيدى محمد بالفتح بن عبد الرحمن الأزهرى رضى الله عنه وذكر صاحب الجواهر وكذا صاحب الجامع أن سيدنا رضى الله عنه لقيه بمنزله من جرجرة ببلاد زواوه وأخذ عنه الطريق الخلوتية وهو أخذها عن الشيخ الحفناوى رضى الله عنهم أجمعين وكانت وفاة هذا الشيخ سنة ثمان ومائتين وألف فهو من مشاهير من لقيه

هاتين الحيثيتين لا يبلغ فضل القرآن فيهما الا عارف بالله قد انكشفت له بحار الحقائق فهو أبدا يسبح فى لججها فصاحب هذه المرتبة هو الذى يكون القرآن فى حقه أفضل من جميع الاذكار لكونه يسمعه من الذات المقدسة فى حال استغراقه وفنائه المرتبة الثانية دون هذه وهى معرفة معانى القرآن ظاهراً والقاء السمع عند تلاوته كأنه يسمعه من الله يقصه عليه ويتلوه مع وفائه بالحدود فهذا أيضاً لاحق فى الفضيلة بالمرتبة الاولى إلا أنه دونه المرتبة الثالثة رجل لا يعلم شيئا من معانيه ولا ماذا تدل عليه حروفه من العلوم والمعارف الا أنه يعتقد أنه كلام الله ويلقى سمعه عند تلاوة القرآن وهذا لاحق فى الفضل بالمرتبتين الا أنه منحط عنهما بكثير بشرط أن يكون مهتديا موفيا بالحدود والواجبات غير مخل بشىء منها المرتبة الرابعة رجل يتلوه يعلم معانيه أو لا يعلمها الا أنه متجرىء على معصية الله تعالى غير متوقف عن شىء منها فهذا كلما ازداد تلاوة ازداد ذنبا وتعاظم عليه الهلاك ومثل هذا الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أسلم له وأنجى له من القرآن لأنه يزداد بالتلاوة لعنا وطردا يشهد لذلك قوله تعالى «ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه - الى قوله - فلن يهتدوا إذا أبداً» وقوله تعالى « ويل لكل افاك أثيم - الى قوله - ولهم عذاب عظيم » لستم



على شىء حتى تقيموا التوراة وكل من يحفظ القرآن ولم يقم بحدوده فقد اتخذه هزؤا قال

تعالى « ولا تتخذوا آيات الله هزؤا » وقال تعالى « ومن أعرض عن ذكرى - إلى قوله - وكذلك اليوم تنسى » فمن ترك العمل بالقرآن فقد نسيه والوعيد ثابت عليه وتلاوة القرآن مع عدم العمل به هو المثل الذى ضربه الله لأهل التوراة فقال سبحانه « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها » أى لم يعملوا بما فيها وقال تعالى « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته » وحق تلاوته هو العمل بما فيه ومن أعرض عنه بعدم العمل بما فيه فما تلاه حق تلاوته وأما الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى قد تكفل لصاحبها بأن يصلى عليه بكل صلاة صلاها عليه عشرا عشرا ويصلى عليه جميع العوالم فى كورة العالم عشراً والسر فى ذلك أن الله تعالى سبحانه عظيم المحبة والعناية برسوله فمن توجه اليه بالصلاة على حبيبه اعتنى به وأحبه لأجل تحببه بحبيبه فلو أتاه بذنوب أهل الأرض كلها لأدخلها فى فضله وواجهه بتبليغ أمله فى الدارين فاذا عرفت هذه الحيثية عرفت أن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم لمثل أهل هذا الوقت أسلم من تلاوة القرآن من هذه الحيثية التي سمعتها فقط لا أنها أرفع درجة من القرآن فان القرآن هو أفضل الدرجات فى التقرب الى الله تعالى لكن لمن صفت أعماله وأحواله مع الله تعالى فتاليه اذا من أعظم الفائزين برضى الله تعالى ولا قدرة لأهل هذا الوقت على هذا فانه يقع بهم من المقت بتلاوة القرآن مالا تدركه العقول فان لله تعالى غيرة على كتابه لكونه حضرة القرب التداني فمن خالط كتابه وأساء الأدب معه طرده ومقته لكونه لم يعط

سيدنا رضى الله عنه من كمل المشايخ ذوى القدر الشامخ والقدم الراسخ رحمهم الله تعالى ورضى عنهم وكان ذكره هنا مما يستحسن الاتيان به فى النظم وقد قلت فيما يتضمن ذكره بيتين يناسب الحاقهما بهذا المحل وهما

فحن للأزهرى المفضال * أعنى الزواوى أخا الكمال
فمال نحوه نحص بالمرام * وهو من الحفنى شيخه الامام

وحل تونس الخ فمن ألحق البيتين ينبغى له أن يتصرف فى البيت بعدهما بالاتيان فيه بالواو مكان الفاء والله المستعان ولما ذكر الناظم رحمه الله تعالى ما اتفق لسيدنا رضى الله عنه بالحضرة التونسية مع هذا السيد الكبير وما جرى له على لسانه من التبشير أتبعه بما اتفق له من مثل ذلك ونظيره بمصر المحروسة وما جرى له فيها على لسان شيخه الكردي ذى الجاه العظيم والقدر الخطير فقال

﴿ كذا بذا بشره الولى * سيدنا محمود الكردى ﴾
﴿ وهو الذى قال له لك أجل * من الذى للقطب ياله أمل ﴾

سيدنا محمود الكردى هو الشيخ الشهير ذو القدر الخطير الآتى ذكره إن شاء الله تعالى رضى الله عنه وأجل معناه أرفع وأكمل والقطب هو بالضم فى الأصل أى فى أصل اللغة حديدة تدور عليها الرحى أو نجم معروف تعرف به القبلة وملاك الشىء وسمى خيار الناس به لاجتماع خيار أوصافهم عنده وهو لا يكون فى كل عصر إلا واحداً خليفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لحفظ العالم بالنيابة عنه صلى الله عليه وسلم وقال ابن حجر فى فتاويه الابدال وردت فى عدة اخبار والقطب ورد فى بعض الآثار وألف السيوطى تأليفا فى ثبوت القطب والأوتاد والابدال فلا عبرة بمن نفاه كما سيذكر عن ابن خلدون فى ذلك وسيأتى مزيد بيان فيما يتعلق بالقطبانية بعد هذا ان شاء الله تعالى ولكون درجة القطبانية أعلى الدرجات تعجب الناظم ممن يزيد عليها فقال ياله أمل أى ما أجله وما اسناه (يقول) ومثل هذا الذى بشره به قطب الحضرة التونسية من خصوصية المحبوبية بشره به أيضا بمصر المحروسة الولى الكبير سيدنا محمود الكردى العراقى الشهير وذلك أنه رضى الله عنه ارتحل من تونس قاصداً لملاقاته متشوقا إلى رؤيته ومناجاته فلما وصل مصر لم يلبث أن سأل عنه وأتاه فقال له أنت محبوب عند الله فى الدنيا والآخرة أول ما رآه فقال له سيدنا من أين لك ذلك فقال من الله وهو الذى قال لسيدنا أيضا بمقتضى كشفه العيانى وفراسته النورانية لك عند الله تعالى ما هو أجل من مقام القطبانية وذلك ان سيدنا قال له فى أول ما لقيه رأيتك وأنا بتونس يعنى فى عالم النوم فقلت لك انى نحاس كل ذاتى فقلت لى هو كذلك وأنا أقلب نحاسك ذهبا فقال له الشيخ محمود رضى الله عنه هو كما رأيت ثم قال له بعد أيام ما مطلبك قال القطبانية العظمى قال لك أكثر منها قال له عليك قال نعم وأخبره عما وقع له فى سياحته وسبب ملاقاته مع شيخه الشيخ الحفنى وشيخ شيخه مولانا مصطفى البكرى الصديقى رضى الله عن جميعهم ( وعقد ) الناظم فى البيتين ما فى الجواهر من غير زيادة ولا نقصان ولم يتعرض صاحب الجواهر وكذا صاحب الجامع لذكر تاريخ وفاة الشيخ رضى الله عنه فمن وقف عليها فليثبتها فى هذا المحل والله ولى التوفيق ولما قضى سيدنا رضى الله عنه الوطر من ملاقاة هذا الشيخ الأكبر والعالم الأشهر تهيأ لما هو بصدده من التوجه لبيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فودعه شيخه الشيخ محمود ودعاله

وضمنه فى سفره ذهابا و إيابا فأتى مكة المشرفة زادها الله شرفا وتعظيما والى ذلك أشار الناظم رحمه الله تعالى حيث قال

﴿ وجاء فى شوال الكعبة فى * سنة سبع دون ما توقف ﴾
﴿ وكان إذ ذاك من الكبار * بعض بها وكان ذا أسرار ﴾
﴿ فانتفع الشيخ به مكاتبه * ولم تقع بينهما مخاطبه ﴾
﴿ فأخبر الشيخ بموته فقال * أنت الذى ترث مالى من كمال ﴾
﴿ فكان ما قاله و بشره * بما الزيبى به قد أخبره ﴾

المراد بالمجىء هنا الوصول وشوال الشهر الذى يلى رمضان وهو معروف والكعبة البيت الحرام وهو من كعبت المرأة تكعبت من باب قتل كعابة نتأ ثديها فهى كاعب سميت به تنويها وقيل فيه غير ذلك انظر المصباح والمراد بسنة سبع هنا سنة سبع وثمانين ومائة وألف والتوقف فى الشيء التردد وعدم القطع فيه بشيء والكبار جمع كبير وهو على حذف موصوف أى الأولياء أو المشائخ الكبار أو نحو ذلك والأسرار جمع سر والسر يطلق فى اصطلاح أهل الطريق على أمور كثيرة والمراد هنا أذكار مخصوصة يتوجه بها على كيفيات مخصوصة بنيات مخصوصة فى أوقات مخصوصة وغايتها التى تحصل عندها باذن الله تعالى الاستعداد لتلقى مايرد من حضرة الحق من المواهب والفتوحات وأما الاسرار بمعنى الخواص مما يذكره أهل السيمياء والكيمياء فليست من أغراض أهل الطريق فى شيء فلا يحتفل بها إلا محجوب عن طريق أهل الكمال فلا يذهب بك الوهم نحوها إذا ذكرت فى مثل هذا المجال والمكاتبة المراسلة بالكتابة والمخاطبة المواجهة بالخطاب مشافهة كفاحا من غير واسطة وترث هنا معناه تحيط بمتخافى ومتروكى والمراد هنا مقامه الخاص به بما اشتمل عليه فى حضرته الخاصة به من المعارف والانوار والعلوم والاسرار وما يتعلق بذلك من الاحوال الجلالية والجمالية وسائر النعوت الكمالية ولذلك بين ذلك بقوله من كمال والزيبى هو العارف المكاشف سيدى محمد بن الحسن الوانجلى الذى لقيه سيدنا بجبل الزيب وأخبره بأنه يدرك مقام الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه يقول ولما ارتحل سيدنا من مصر المحروسة على ماتقدم انطلق حتى جاء ووصل الكعبة البيت الحرام وحظى باستلام الركن والمقام وذلك فى شوال سنة سبع وثمانين ومائة وألف من هجرة نبينا عليه الصلاة والسلام وهى السنة الثانية من خروجه من الحضرة التلمسانية أعادها الله دار إسلام صرح بهذا فى جواهر المعانى وهو لامحالة حذام هذه المغانى والقول ما قالت حذام فلهذا تعرض الناظم لنفى التوقف فى هذا المقام (وكان) بمكة المشرفة زمن وصول سيدنا رضى الله عنه اليها بعض المشائخ الكبار المشار اليهم فى تلك الديار بالمعارف اللدنية والاسرار وهو حسبما تقدم فى جواهر المعانى الشيخ الامام الحبر الفهام بدر التمام ومسك الختام وشمس الانام وقمر دائرة الاعلام أبو العباس سيدى أحمد بن عبدالله الهندى قاطن مكة المشرفة رضى الله عنه فانتفع سيدنا رضى الله عنه على يده فأخذ عنه علوما وأسراراً وحكما وأنواراً لكن بالمكاتبة فقط والمراسلة من غير ملاقاة ولا مواصلة (وكان) من جملة ما كتب به لسيدنا رضى الله عنه وراسله به مع خديمه اخباره بزمن وفاته و بأنه هو المحيط بالارث لأسراره وكمالاته وذكر أنه فى العشرين من حجة ذلك العام ينزل به محتوم الحمام ثم أقسم عليه بما له من أكيد الحق لديه أن يأخذ بيد ولده من بعده و يحسن اليه وشافه الخديم الشهير بينهما بأن قال له وأشار الى سيدنا

ملخص كلامه وحاصله أن نسبة الفضل باعتبار حال الذاكرين لا باعتبار الذكر وهو مقتضى كلام الغزالى والساحلى أيضا وذلك لاينافى أفضلية القرآن على غيره من جميع الاذكار بل نص كل منهم على ذلك صريحا ولهذا قيد الشيخ رضى الله عنه تفضيل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بقوله من هذه الحيثية فقط يعنى من حيث أن التالى له مع قلة الأدب والعصيان ممقوت والمصلى عليه صلى الله عليه وسلم يصلى الله تعالى عليه بكل صلاة عشراً كيف كان والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم مقبولة قطعا أو ظنا على خلاف وهذا لا يقتضى أنه فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم على القرآن كيف وقد رفع ذلك الايهام بقوله رضى الله عنه لأنها أرفع درجة من القرآن فان القرآن هو أفضل الدرجات الى آخر كلامه المتقدم ومما يبين صحة كلامه رضى الله عنه ما علم من قواعد الشرع ونصوصه أن العمل المفضول قد يكون فاضلا والفاضل مفضولا باعتبار الأشخاص والأزمان قال الأجهورى فى حاشيته على الرسالة مانصه وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال فقال الصلاة فى أول وقتها وقال فى حديث آخر بر الوالدين وقال فى آخر الجهاد وظاهرها التعارض وأجيب بوجهين أحدهما أن ذلك باعتبار الأشخاص وكان طيبا للخلق صلى الله عليه وسلم فرب شخص كان الغالب عليه عدم البر فقال له بر الوالدين ورب شخص كان الغالب عليه ترك المحافظة على الصلاة فقال له

الصلاة فى أول وقتها ورب شخص كان الغالب عليه ترك الجهاد فقال له الجهاد ثانيهما أن ذلك يختلف باختلاف الأزمان فرب عبادة فى زمان أفضل من غيرها وغيرها أفضل فى زمان آخر ذكره الشاذلى فى شرح العقيدة انتهى قلت ومعلوم أن الشيخ رضى الله عنه قد اعتبر فى هذه الأفضلية الأشخاص والأزمان وأن الأفضلية جارية بين عملين وهما حركة اللسان بالقرآن وحركته بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ومن المعلوم أيضا عند العلماء أن المفضول قد يختص بمزية لم ينلها الفاضل وذلك لا يقتضى أنه أفضل منه قال فى جنة المريد بعد كلام ما نصه قد وردت فى أعمال خاصة وعود بأجور لم يرتب مثلها على غيرها بل قد ورد تخصيص بعض الأعمال المفضولة بنوع من الأجر لم يحصل على العمل الفاضل مثاله حديث أبى موسى الأشعرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك إذا أدى حق الله تعالى وحق مواليه ورجل كانت له أمة فأدبها وأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران وكان فى الصحابة جماعة آمنوا بأنبيائهم وآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم مع أن غيرهم من الصحابة أفضل منهم اختص هؤلاء بأن لهم أجرين وانهم يؤتون أجرهم مرتين وكذلك العبد المملوك وكما ورد فى أجر الشهيد من الحياة بعد الموت فثبت أن الدرجات تتفاوت تارة بحسب الأعمال وتارة بحسب رتب الأعمال وكنه

رضى الله عنه وأرضاه وعناه هذا هو الذى كنت أترجاه فقال الخديم هذه مدة من ثمانية عشر عاما وأنا فى خدمتك أرتقب ما يعود على من جهتك والآن أتى رجل مغربى تقول هو الوارث لسائر كمالات منصبى فقال له الشيخ هذا مما ليس لأحد فيه اختيار وانما هو بيد الفاعل المختار فهو سبحانه يؤتى فضله من يشاء ويخلق ما يشا ويختار ولو كان لى فى الأمر اختيار لكان ولدى أولى من أخصه بالايثار فكان الامر كما قال ونزل به الأجل فى التاريخ الذى ذكره تصديقا لذلك المقام فدعا سيدنا رضى الله عنه وأرضاه ولده فاختلى به واكرمه وفق وصية والده وحباه من الأسرار ما حباه ( وكان ) من جملة ما خص به سيدنا رضى الله عنه من الأسرار العرفانية ذكر يداومه سبعة أيام فيظفر بالفتوحات الربانية لكن بشرط أن ينعزل بعد ذلك العمل كما هو عليه رضى الله عنه عن الخاص والعام فلا يراه أحد من الأنام فلم يفعل سيدنا رضى الله عنه لهذا الشرط المشروط وشأن الهمة العلية كله باتساع النظر منوط وبنور العناية محوط كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا ولعمله على هذا الشرط لما حاول منه سيدنا رضى الله عنه أن يسمح بالمشاهدة والعيان اعتذر له وأحاله عند وصوله للمدينة المنورة على القطب السمان ومما أخبر به أيضا مكاتبة بلوغه مقام الشاذلى رضى الله عنه وفق ما تقدم له من العارف الوانجلى فيما فاجأه به أول المخاطبة وعقد الناظم رحمه الله فى هذه الأبيات ما ذكره فى الجواهر على حسب ما سمح له به قلم التعبير فادمجت فى سبكها ما أخل به مما يتعلق بترجمة هذا الشيخ الكبير رضى الله عنه وأرضاه وجعل الوجه الجميل متقلبه ومثواه ثم اتبع الناظم رحمه الله ذكر بعض ما يتعلق بحج الشيخ رضى الله عنه لبيت الله الحرم بذكر بعض ما يتعلق بزيارته لقبر خير الأنام عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام مع ما اتفق له بالمدينة المنورة من لقى قطب الزمان وحامل لواء أهل العرفان الشيخ سيدى محمد بن عبد الكريم السمان فقال

﴿ وبعد فعل حجه المبرور * وسعيه هنا لك المشكور ﴾
﴿ رحل للمدينة المنيفه * لكى يزور الروضة الشريفه ﴾
﴿ فزار خير من له المراحل * جيبت وذللت له الرواحل ﴾
﴿ ثم التقى مع الرضى السمان * قطب الزمان الكامل العرفان ﴾
﴿ فأخبر الشيخ بكنه حاله * وما يكون منه فى مآله ﴾
﴿ وقال للشيخ أقم لتصبغا * فاعتذر الشيخ وما له صغا ﴾
﴿ وأذن القطب له فيما طلب * من عنده وكل ما فيه رغب ﴾

الحج تقدم والمدينة علم بالغلبة لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يستعمل معرفا إلا فيها والنكرة اسم لكل مدينة من مدن بالمكان أقام به أو من دان بمعنى أطاع إذ يطاع السلطان فيها وهى أبيات كثيرة تجاوز حد القرى ولا تبلغ حد الأمصار ونسبوا للكل مدينى وللمدينة المشرفة مدنى للفرق والمنيفة من أناف على غيره ارتفع عليه وصفها بهلا نافتها به صلى الله عليه وسلم على جميع البلاد حتى مكة عندنا والروضة الشريفة هى ما بين القبر والمنبر وخصها لأنها محل ركوع الداخل للمسجد النبوى ركعتى التحية وقد يراد بها القبر الشريف وما حواليه والله أعلم والمراحل جمع مرحلة وهى المسافة التى يقطعها المسافر فى نحو يوم وجيبت قطعت من جاب الأرض يجوبها جوبا قطعها والرواحل جمع راحلة وهى الناقة التى تصلح أن ترحل أو المركب من الابل مطلقا

وكنه الشيء حقيقته وباقي الألفاظ ظاهر يقول وبعد قضاء نسكه وتكميل حجه المبرور وفوزه رضي الله عنه بنتيجة سعيه المشكور ووفاة شيخه سيدي أحمد بن عبد الله الهندي المذكور أزمع رضي الله عنه الارتحال لزيارة خير من تحط ببابه الرحال فتوجه تلقاء مدين المآرب مكرراً بلسان حاله عسى ربي أن يهديني سواء السبيل وأقوم المذاهب وسار والأشواق تفري به نحو تلك المشاهد العاطرة النواسم مالا تفريه أيدي الاينق العتاق النجيبات الرواسم منشداً في تلك الحال كلما جدبه نحو الحبيب الترحال

﴿ مأربا ليس لي في غيره أرب * اليك آل التفصي وانتهي الطلب ﴾

ولسان هواتف الحقائق يناديه في ذلك كله ويجيب ماضاع من زار الحبيب

أيضيع من زار الحبيب وقد درى * ان المزور بباله زواره

وقد حظي بالوصول إلى مدينة خير نبي ورسول صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم لم يلبث أن تقدم من حينه لزيارة القبر الشريف تحفه ألطاف البر والتعريف وتجذبه العناية إلى ما أودع فيه من السر المنيف فقام بوظيف الزيارة أتم قيام ووفى بالفرض والنفل من آداب المقام وما زاغ بصره وما طغى حتى أدرك غاية المبتغى ثم بعد ذلك مال لملاقاة القطب السمان صدر الصدور وعين الأعيان فلقي منه الرحب والسهل والمنال الجزل وأخبره من طريق الكشف بما انطوى عليه باطن حاله وأنبأه بما تصير اليه نهايته في مآله ثم طلب من سيدنا رضي الله عنه في الاقامة لديه ليدخله الخلوة ثلاثة أيام فيصبغه صبغة تامة بما يفاض من الفتح عليه فتعلل سيدنا رضي الله عنه بعدم امكان المقام لعذر قام به في ذلك المقام ثم طلب منه الاذن العام فأسعفه بالمرام وبشره بما قرت به منه العين وأخبره عن نفسه بأنه هو القطب الجامع بلامين وقال له اطلب ماشئت فطلب سيدنا رضي الله عنه أموراً فساعده على جميع ماطلب منه رحمه الله تعالى ورضي عنه والشيخ السمان هذا أخذ عن مولانا مصطفى البكري الصديقي رضي الله عنهما وعن أولياء الله أجمعين ولم يتعرض صاحب الجواهر لتاريخ وفاته فمن عرف ذلك فليلحقه بهذا المحل من هذا التقييد والله ولي التوفيق والتسديد ثم أشار الناظم رحمه الله الى قفول سيدنا رضي الله عنه من تلك البقاع المنورة الطاهرة إلى مصر القاهرة وما اتفق له في قفوله هذا مع شيخه الشيخ محمود من الاقبال والكرامة والاعتناء الذي هو على ما آل اليه أمر سيدنا رضي الله عنه أكبر علامة فقال

﴿ وسافر الشيخ مع الحجاج * عن قبر صاحب اللوا والتاج ﴾
﴿ لمصر دار شيخه العراقي * وحين جا هم بالتلاقي ﴾
﴿ مع شيخه هذا فرحب به * وحين جا أجلسه بقربه ﴾
﴿ وكان يلقى كلما يستشكله * على امامنا وعنه يسئله ﴾
﴿ فظهرت علومه الغزيره * حتى أتته سادة كثيره ﴾
﴿ من علماء مصر للافاده * وكل من سأله أفاده ﴾

صاحب اللواء والتاج هو النبي صلى الله عليه وسلم والشيخ العراقي هو الشيخ محمود الكردي رضي الله عنه حسبما تقدمت الاشارة اليه والترحيب بالتقادم هو أن يقال له مرحبا مرحبا والمراد هنا مايشمل البشاشة وطلاقة الوجه واظهار السرور بقدومه واستشكل المسئلة إذ لم يعثر على عين التحقيق فيها وباقي ألفاظ الأبيات ظاهر يقول ولما قضى سيدنا رضي الله عنه نهمته من

أكثركم على صلاة أكثركم أزواجا في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة صلى الله عليه عشرا إلى آخره ومنه أيضا ماذكر العلماء رحمهم الله أن ثواب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مقصور على فاعلها لا يؤخذ في الديون والتباعات يوم القيامة إلى غير ذلك مما لم يرد في القرآن مع أنه أفضل الاذكار ومن ذلك ماورد من فرار الشيطان من عمر ولم يكن ذلك لأبي بكر رضي الله عنه مع أنه أفضل منه رضي الله عنهما ولهذا قالوا ان الكرامة لا تقتضي التفضيل كما قال الجنيد رضي الله عنه مشى رجال باليقين على الماء ومات بالعطش من هو أفضل منهم ونحو هذا لا يكاد ينحصر فتأمله فان كثيرا من الناس إذا سمع فضلا لعمل أو كرامة لشخص اغتر بها فاعتقد أفضليته وبهذا يتضح لك وجه تفضيل الشيخ رضي الله عنه استعمال الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لمثل أهل هذا الوقت مع أنه رضي الله عنه أوضحه غاية الايضاح للمنصف المتأمل ولا عبرة باستثقال نفس الجاهل كلام العارف الكامل فان قلت ماذكره رضي الله عنه من المقت لمثل أهل هذا الوقت بتلاوة القرآن يقتضي أن يهجروا تلاوته ويشتغلوا بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم قلت ليس هذا مراد الشيخ حاشاه بل هو رضي الله عنه حض قارئه على التأدب مع الملك الجليل في تلاوة كلامه وان يعطي الحضرة حقها ولعله رضي الله عنه يعجز أهل هذا الوقت عن ذلك حضهم أيضا على الاكثار من الصلاة عليه

القرآن مطلوبة شرعا لما فيه من أسرار المعاملة ولهذا لايحل لقارئه ترك تلاوته وأما فضل هذه الصلاة فمن باب التخيير ولا شيء على من تركها ونظير ذلك ما ذكره العلماء من آفات العلم وسطروه فى كتبهم أتراهم قصدوا بذلك تنفير الناس عن العلم حاشاهم من ذلك كيف وقد حثوا على طلبه غاية الحث ورغبوا فيه غاية الترغيب بل إنما قصدوا بذلك تعريف الطلبة بالآفات ليتحرزوا منها و يأخذوا حذرهم فان من لايعرف الشر لا يتقيه مع مافى ضمن ذلك من إرشادهم إلى تصحيح النية والاخلاص فيه فان قلت ما وجه المخرج الحسن للمتمسه فى قول الشيخ المتقدم صلاة الفاتح لما أغلق تعدل ستة آلاف من القرآن قلت والله الموفق له عندى فى توجيهه مأخذان أحدهما أن ذلك باعتبار السلوك لأهل البدايات فى سلوكهم بالصلاة و بالقرآن وقد علمت ما تقدم عن الساحلى والغزالى من أن الذكر أسرع تأثيراً فى تهذيب الأخلاق وحينئذ فيمكن أن يراد أن المرة الواحدة من هذه الصلاة للسالك المنجمع خاطره فيها المستحضر لمعانيها المشخص لصورته صلى الله عليه وسلم مع نية الاستمداد منها تؤثر فى أخلاقه مالا يؤثره فى ذلك العدد من القرآن مع تشتيت الفكر وليس فى ذلك ما يقتضى أفضلية رأسا لأن المفضول قد يختص بما لم ينله الفاضل والله أعلم .المأخذ الثانى أن ذلك باعتبار الثواب المرتب عليهما باعتبار به

زيارة نبينا صلى الله عليه وسلم وملاقاة شيخه القطب الأعظم آثر ما هو المطلوب من تعجيل الأوبة كما هى عادته الكريمة من إيثار كل فضيلة ذى نية وقربة فسافر مع ركب الحجيج لمصر القاهرة ممتطيا متن الاشتواق لشيخه الكردى ذى الأخلاق الزكية الطاهرة فلما وصل إليه توجه من حينه لملاقاته واغتنام رؤيته ومناجاته فلما أقبل عليه رحب به وأكرمه بأخص المجالس لديه ثم أمره بالتردد فى كل يوم إليه فصار يلقى عليه الأمور المشكلة والمسائل العويصات المعضلة فيكشف عن وجوه حقائقها القناع حتى يقر الخصم و يرتفع النزاع فظهر للخاص والعام علمه الغزير وأحدقت به علماء مصر يستنفعون من تيار عذبه النمير وكل من أتاه فى مسألة كيفما كانت ومن أى فن كانت نقع بتقريره غلته وشفى بتحريره علته ثم لما أزمع سيدنا رضى الله عنه الارتحال إلى البلاد المغربية أجازه شيخه الكردى فى طريقته الخلوتية وجعل له التسليك بها والتربية بعد أن امتنع سيدنا من إجابته فيما دعاه اليه حتى قال له لتقن الناس والضمان على فقبل حينئذ ما أشار به عليه وانظر سنده فى جواهر المعانى وكذا فى الجامع أيضا فهو مذكور فيهما على التحقيق والله ولى الهداية والتوفيق . ثم أشار الناظم إلى زمن وصوله إلى الحضرة التلمسانية ورجوعه إلى الحرمين الشريفين محفوفا بالعناية الربانية وزمن عوده لحضرة فاس بقصد زيارة مولانا ادريس العاطر الأنفاس فقال

﴿ وتلمسان أتى فى القابل * من حجه وزور خير كامل ﴾
﴿ فحل فيها مدة وزارا * بفاس ادريس الرضى مرارا ﴾
﴿ فى عام واحد وتسعين وفى * هذا التقى مع خله الخل الوفى ﴾
﴿ تلميذه صاحبه حرازم * صاحب سره الامام الحازم ﴾
﴿ ولم تكن معرفه من قبل * ذاك له بشيخنا ذى الفضل ﴾
﴿ حتى تعرف له فكاشفه * يوما برؤيا سلفت مكاشفه ﴾
﴿ دلت على صحبته وذكره * وقد نسى و بالمعانى بشره ﴾

أراد بالقابل العام الذى بعد عام حجه وهو عام ثمانية وثمانين لأن حجه كان عام سبعة وثمانين حسبما تقدم وزور أراد به الزيارة وقد تقدمت وخير كامل النبى صلى الله عليه وسلم والمزار يكون مصدرا وموضع الزيارة والمراد هنا الأول وباقى ألفاظ الأبيات ظاهر يقول ان سيدنا رضى الله عنه بعد ماودعه شيخه الكردى رضي الله عنه حين اجتاز به قافلا من رحلته المشرقية ووجهته انتهى إلى الحضرة التلمسانية ووصل إليها فى العام الذى يلى عام حجته وهو كما قدمناه عام ثمانية وثمانين بعد المائة والألف من هجرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين فاتخذ الحضرة المذكورة فى ذلك الوقت دارا وتخيرها فى تلك المدة متبوأ وقرارا وفى هذا العام أى عام قفوله من حجه للحضرة التلمسانية أعادها الله دار اسلام حظي بالتقى معه صاحبه وخازن أسراره الفقيهة العلامة الامام القدوة المبجل الهمام أبو عبدالله سيدى محمد بن محمد بن المشرى الحسنى السائحى البساعى التيكرتى الدار وهى أى تكرت بلدة معروفة من عمل قسمطينة رحمه الله تعالى ورضى عنه نخص منه إذ ذاك بتلقينه إياه الطريقة الخلوتية وتلقى منه أسراراً وأذكارا أخر حسبما أخبر بذلك عن نفسه رحمه الله ونفعنا به و بقي فى صحبته من ذلك الوقت إلى أن توفى رحمه الله سنة أربع وعشرين ومائتين وألف وهو الذى ألف كتاب الجامع لما افترق من العلوم وكتاب نصرة الشرفاء فى الرد على أهل الجفاء وكان سيدنا رضى الله عنه اتخذه اماما يؤم

به فى الصلوات لأنه رضى الله عنه كان فى ذلك الوقت لا يحب أن يصلى إماما إلا إذا كان داخل داره فيؤم أهل داره وعياله وفى عام ثمانية وما ئتين وألف تصدى للامامة بنفسه لموجب قام به فى ذلك الوقت قاله فى الجواهر و بلغنا من طريق الثقات من أصحابه رضى الله عنه أنه فعل ذلك باذن من النبى صلى الله عليه وسلم وكان يقول أمرنى من لا تسعنى مخالفته أن لا أصلى خلف أحد ما عدا الجمعة ولهذا كان رضى الله عنه إذا كان فرضه التيمم وحضرت الصلاة وهو مع أصحابه صلى بهم والحال انهم متوضئون لكن بعد أن يقول لهم ان فرضى التيمم فان شئتم أن تجتمعوا على امام فافعلوا فلا ينكر على من اجتمع إلى غيره ومن صلى معه أقره على فعله بناء على قول ابن العربى وابن الماجشون فى ذلك كما هو معروف فى المذهب مع اطلاعه رضي الله عنه على ما هو فى نفس الأمر من الفضيلة فى الصلاة خلف أمثاله ولعلنا نتعرض لما فى الصلاة خلف العارفين بالله فيما سيأتى لنا إن شاء الله ووجه بيانه رضى الله عنه الخوف من أن يكون هناك من لا يريد أن يعمل إلا على المقابل لقول الشيخين المذكورين فهو جار فى ذلك رضى الله عنه على قاعدة الورع فى نظائر المسئلة ظاهرا والله أعلم وكان من وظيف الناظم رحمه الله أن لا يغفل عن التنبيه على أن هذا الزمن هو زمن اجتماع هذا السيد الجليل القدر بسيدنا رضى الله عنه وقلت فيما يشير إلى ذلك لمن أراد أن يلحقه بهذا المحل ما نصه

وجاءه إذ ذاك سامى القدر * فرد ألسنا سيدنا ابن المشرى
ففاز منه ثم بالتلقين * عن شيخه الكردى الرضى الأمين

فحل فيها الخ ولنرجع إلى سبك النظم فنقول قال فحل فيها أى فى الحضرة التلمسانية مدة هى من الأعوام نحو الثمانية وفى أثناء هذه المدة تاقت همته السنية إلى الوصول للحضرة الفاسية فتوجه نحوها بقصد زيارة قطب دائرة أفلاك السيادة و ينبوع كل فخار ومجاده مطلع أنوار المعارف وسمت محيا كل ناسك وعارف سبط الرسول ونخبة سلالة بضعته الزهراء البتول مولانا ادريس الذى بفاس نجل التاجر مولانا ادريس الذى تعطرت من مغرسه بناهذا بأرج فتوحاته الانفاس نجل مولانا عبد الله الكامل جامع شتات الفضائل والفواضل نجل مولانا الحسن المثنى الحائز من جميع المفاخر المفرد والمجموع والمثنى نجل السبط مولانا أبى محمد الحسن الآخذ من سائر الكمالات الذاتية والصفاتية بأوثق رصن نجل فحل الفحول وليث الكتائب ابن عم نبينا صلى الله عليه وسلم وأخيه وصهره مولانا على بن أبى طالب وابن بنت المصطفى وخلاصة الصفا وكعبة أرواح أهل الوفا شمس سماء المعالى التى لا يلحقها أفول و ريحانة روض الرتب العوالى التى لا يعتريها ذبول ينبوع الامداد لقلوب العارفين الواصلين ومنهل الوراد من سائر الابدال والاوتاد والافراط والاقطاب الكاملين بضعة الرسول مولاتنا فاطمة الزهراء البتول صلى الله وسلم على والدها الرسول المصطفى وعلى إخوانه من الرسل والأنبياء وعليها وعلى ذريتها وجميع الآل والأصحاب الكرام الأصفياء والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين من العلماء والصلحاء والمؤمنين البررة الأتقياء

اساميا لم تزده معرفة * وانما لذة ذكرناها

فلما توجه للحضرة المذكورة بقصد الزيارة المسطورة وذلك فى عام واحد وتسعين من المائة قبله لقى بمدينة وجدة والخير لا يزال يرصد إبانه وأهله حبيبه الأخص ومطمح بصره وخله الصديق الاكبر والخليفة الأشهر أبا الحسن سيدنا على حرازم الفاسى الاطهر وهو جامع كتاب

طهارة أنظر بغية السالك للساحلى رحمه الله تعالى وسيأتى لهذا مزيد فى الباب السابع إن شاء الله تعالى وأما قوله اقال الله عثرته

مقطوع بقبولها يحصل بها من الأجر ما لا يحصل بذلك العدد من القراءة مع سوء الأدب المتعرض صاحبها للمقت لاسيما وقد ذكر الهاروشى رحمه الله تعالى فى شرح كنوز الأسرار أنها أى صلاة الفاتح لما أغلق تعدل ستمائة ألف صلاة فانظره واقدر قدر ما ينال المصلى بكل صلاة من صلاة الله تعالى عشرا عشرا وقال فى شرحه أيضا قال شيخنا العياشى حفظه الله تعالى وجدت مقيدا تحت هذه الصلاة ما نصه عن الامام الولى سيدى محمد البكرى الصديقى المصرى رضى الله عنه قال من قرأ هذه الصلاة مرة ولم يدخل الجنة يقبض بين يدى الله تعالى انتهى

لعمرى لقد نبهت من كان نائما
وأسمعت من كانت له أذنان
لكن الله يسمع من يشاء وما أنت
بمسمع من فى القبور وقد تقدم ما
قال الحصونى لو قرأت على المنكر
التوراة والانجيل والزبور والفرقان
والكتب السماوية لم يترك الانكار
وإن كان معنى الافراط فى الحضرة
عند هذا المنكر هو ما اشترطوه
لها من استصحاب طهارة الحدث
والخبث وغيرهما فليس فيه افراط
بل هو من عمل الاخيار ولا شك
أن ذكر الله تعالى أولى ما استعد له
طهارة الظاهر والباطن وقد صح
أنه صلى الله عليه وسلم مال إلى
جدار ليتيمم وأجاب المسلم ثم قال
أكره أن أذكر اسم ربى على غير

وحددوا سجود كل فرض * ولم يكن تحديده بالمرضى لأن مالكا عن الحد أبى * ومارووا فى الحد ليس مذهبا إلى

آخر ما قال فمستندنا فى التحديد ما فى سنن أبى داود قال قال عليه الصلاة والسلام إذا ركع أحدكم فليقل ثلاث مرات سبحان ربى العظيم وإذا سجد فليقل سبحان ربى الأعلى وفى رواية إذا ركع أحدكم فقال فى ركوعه سبحان ربى العظيم ثلاثا فقد تم ركوعه وذلك أدناه وإذا سجد فقال فى سجوده سبحان ربى الأعلى ثلاثا فقد تم سجوده وذلك أدناه انظر شرح الفاسى لعدة الحصن الحصين وفى شرح التهذيب لأبى الحسن بعد ما ساق هذا الحديث قال ابن حبيب يريد أن ذلك أدنى التخفيف الذى ينتهى فى الركوع والسجود وفيه أيضا قال ابن رشد قوله يعنى مالكا لا أعرفه يعنى التسبيح فى الركوع معناه لا أعرفه من واجبات الصلاة وكذلك قوله انه لا يراه معناه لا يراه من حد السجود الذى لا يجزىء دونه أنه يرى أن تركه أحسن من فعله لأن التسبيح من السنن التى يستحب العمل بها انتهى وقال أبو الحسن فى كبيره على الرسالة غاية الأمانى والتسبيح فى الركوع أخذ بوجوبه أحمد بن حنبل وداود واستحب الشافعى أن يسبح ثلاثا لما قدمناه عن أبى داود قلت ولا ينافى هذا الذى أمر به الشيخ تلامذته عدم تحديد مالك فى المكث فان هذا نقوله نحن فى اللبث للطمأنينة والزائد عليها ولا تحصل هى وما زيد عليها غالبا بأقل من قدر ثلاث تسبيحات ولا نقول ببطلان الصلاة لمن ترك ذلك بعد حصول الطمأنينة

جواهر المعانى والمخصوص من سيدنا رضى الله عنه بأخص مراتب القرب والتدانى ولما لقيه هنالك ولم يكن له قبلها بسيدنا تقدم معرفة تعرف له سيدنا رضى الله عنه وذكر له رؤيا سلفت له تدل على صحبته إياه وقد كان أنسيها حتى ذكره سيدنا إياها من طريق المكاشفة فلما تذكرها وتحقق أن سيدنا رضى الله عنه أخبره صدقا علم يقينا أن قد جعلها ربى حقا فعند ذلك قال له سيدنا رضى الله عنه أما تخاف من الله تتعبنى من مكانى اليك فلا حاجة لى إلا ملاقاتك فاحمد الله على ذلك قال فحمدت الله وشكرته وعلمت أن الله تعالى تفضل على وأنه رضى الله عنه هو الكفيل لى والمتولى جميع أمورى بتصريح منه بذلك إلى

وإذا سخر الاله أناسا * لسعيد فانهم سعداء

فتوجه معه إلى الحضرة الفاسية فلما وصلها أقام بها مدة لقضاء وطره من زيارة الروضة الادريسية ثم لقنه الطريق الخلوتية وألقى اليه ما قسمه الله له على يده من العلوم والأسرار السنية وحين عزم على الرجوع إلى حضرة تلمسان أخبره بأن حاله لم يستقم بها وأنه لابد له من الانتقال إلى غيرها مما يختاره الله له من البلدان وحين التشييع والموادعة قال له الزم العهد والمحبة حتى يأتى الفتح إن شاء الله تعالى ثم رجع رضى الله عنه إلى حضرة تلمسان وبقى بها مدة ثم كان ما أشار اليه الناظم حيث قال

﴿ ومن تلمسان نوى انتقاله * إلى أبى سمغون والشلاله ﴾
﴿ فى عام ست وتسعين ارتحل * عنها اليهما بأهله وحل ﴾
﴿ وسافر الشيخ إلى توات * لأجل عارف له مواتى ﴾
﴿ كذلك سافر إلى ابن العربى * تلميذه الحب الرفيع المنصب ﴾
﴿ وهو الذى وصى عليه المصطفى * صلى عليه الله من له اصطفى ﴾

نوى قصد وأبو سمغون ويقال بالصاد قصر معروف بالصحراء الشرقية به مدفن القطب الكبير سيدى أبى سمغون وبه سمى القصر والشلالة قصر قريب من قصر أبى سمغون بينهما أدون من المرحلة وتوات صقع صحراوى معروف ومواتى موافق والمراد هنا أنه مشاكل له لما بينهما من الجنسية التى هى طلاب الرتب العوالى والمقامات العزيزة الغوالى واسم هذا العارف على ما بلغنى عن ثقات الأصحاب من أهل الصحراء سيدى محمد بن الفضيل بالتصغير وهو من أهل تكرارين من توات الغربية وابن العربى أحد الخاصة من أصحابه رضى الله عنه وهو التازى الدمراوى المعروف عند الأصحاب بما يغنى عن التطويل به وباقى الألفاظ ظاهر (يقول) ثم بعد ما رجع سيدنا رضى الله عنه من فاس إلى حضرة تلمسان بقى بها مدة يستخير الملك الديان حتى قوى عزمه على الانتقال منها إلى قصرى أبى سمغون والشلالة لما أراده الله به من بلوغه فيهما أقصى درجات الفضل وأسنى مراتب الجلالة لما سبق فى علم الله تعالى من كونهما محل فتحه ومطلع سعده ونجحه فارتحل رضى الله عنه من تلمسان عام ستة وتسعين من المائة المذكورة واستوطن أولا بأهله قرية الشلالة المعروفة المشهورة وبعد ذلك فى عام تسعة وتسعين نزل قصر أبى سمغون المبارك الأسعد الميمون وبقى به إلى أن انتقل بأهله إلى الحضرة الفاسية الزاهرة التى أهل الله تربتها لضم جثته الكريمة الطاهرة وفى هذه المدة التى أقامها بأبى سمغون سافر الى توات بقصد زيارة أهل الخير بها وملاقاتهم وخصوصا العارف بالله سيدى محمد بن الفضيل المتقدم الذكر المشار اليه فى النظم (ومما) سمعته من الثقات

الفضلاء من أصحابه الصحراويين وحفظته بالتقييد أن سيدنا رضى الله عنه كان كتب إلى هذا السيد أولا كتابا يطلب منه فيه شيئا من الأسرار فلم يجبه عن ذلك الكتاب رغبة منه فى اللقى والمواجهة بالخطاب فعرف سيدنا رضى الله عنه مراده فبادر من حينه إلى إجابته فيما قصده منه وأراده فعمل الرحلة إليه وسار حتى انتهى إلى محله وخيم عليه ولما قضى الواجب من زيارته ومواصلته أتحف منه بما كان السبب فى رحلته إليه ووفادته واستفاد هو أيضا حسبما فى الجواهر من سيدنا رضى الله عنه بعض أسرار الطريق وشيئا من علوم الأذواق والتحقيق وبلغنى أن سيدنا رضى الله عنه لقى بتوات فى وجهته هذه بعض الرجال وهو غير الأول وكان من أهل الانس والادلال فاشترى منه شيئا من الأسرار بثلاثة عشر محبوبا من خالص الذهب النضار وأخبرت عن هذا السيد أنه كان ربما أفضى به الحال إلى أن ينادى فى الأسواق الغاصة بالخلق ألا من يشترى السر الفلانى بكذا وكذا من المال وهذا شأن أهل الادلال المستغرقين فى غمرة الحال الواجب التسليم لمن أفضى إليه حاله إلى هذا المرمى ان السلامة من سلمى وفى هذه المدة التى أقامها بأبى سمغون أيضا سافر إلى تارة بقصد ملاقاة صاحبه وتلميذه العارف الأكبر الواسطة المعظم الأشهر سيدى محمد بن العربى الدمراوى التازى لأنه كان فى ذلك الوقت من أكبر أصحابه وخاصته من أحبابه وكان لسيدنا رضى الله عنه مزيد اعتناء بشأنه لأن النبى صلى الله عليه وسلم أوصاه به فكان رضى الله عنه يزوره فى حياته وبعد مماته فى قبره وسيأتى لنا مزيد فى التعريف به عند تعرض الناظم لذكره فيما سيأتى إن شاء الله تعالى وفى كلام الناظم رحمه الله تعالى هنا لطائف (الأولى) فى جمعه بين ابى سمغون والشلالة ولم يذكر فى الجواهر إلا أبا سمغون لكونه هو والشلالة كالبلدة الواحدة لتقاربهما وقد علمت مما شرحنا به كلامه رحمه الله تعالى تحقيق الثابت من ذلك فلله در الناظم رحمه الله فى إفصاحه بذكر الشلالة فى هذا البيت وبه يعرف شدة اعتنائه وسعة اطلاعه رحمه الله تعالى وقدس سره ﴿ اللطيفة الثانية ﴾ فى قوله لأجل عارف له مواتى فان فى قوله مواتى اشارة إلى أنه من أشكاله رضى الله عنه وأضرابه المتأهلين لأن يأخذ عنهم ويأخذوا عنه فاكتفى بلفظ مواتى عن التصريح بذلك وهو من لطائفه عند من أنصف بلا شك ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ فى قوله مواتى إشارة أخرى أيضا وهى أن هذا السيد على ما حدثنى به الثقات من خاصة الأصحاب الواردين علينا من زاوية عين ماضى صانها الله واسنا برهانها آل أمره بعد وفاة سيدنا رضى الله عنه إلى أن أخذ طريقه هذه المحمدية وصار اليه التقديم فيها فانتشرت على يده فتوات الشرقية وهى المعروفة بتدكلت لا بالمغربية المعروفة بتكرارين التى هى بلده ومحل نشأته ولما توفى خلفه بعض إخوانه ممن قدمه فزاد انتشار الطريق على يده وبنى هنالك زاوية يجتمع اليه فيها الفقراء للصلاة وقراءة الوظيفة وذلك بالبلدة المسماة انصلح وهى إحدى قواعد تلك البلاد ودخل فى الطريق على يد هذا المقدم خلق لا يحصون كثرة من التوارق وغيرهم فكان فى قول الناظم مواتى إشارة إلى مواتانة للشيخ رضى الله عنه بكونه أهلا للدخول فى طريقته الخاصة والانخراط فى سلك حزبه الخاص نفعنا الله بهم وأماتنا على محاضهم ودهم بمنه وكرمه آمين ولم يتعرض فى الجواهر لذكر سفر الشيخ لتازة بقصد ملاقاته تلميذه ابن العربى المذكور وذكر ذلك صاحب الجامع ولم يتعرضا معا رحمهما الله تعالى لذكر الوصية من النبى صلى الله عليه وسلم وهى مما ثبت فى التواتر عن الشيخ رضى الله عنه بلا ريب والله المستعان. ثم أشار الناظم

بالأحوط فى الدين ويشددون على أنفسهم فى العمل على الخروج من الخلاف ما أمكن طلبا لصحة العبادة على جميع المذاهب أو أكثرها بل من جملة الاحتياط اجتناب المكروه حتى كأنه حرام والاعتناء بالسنن حتى كأنها واجبة كما قال الشعرانى والحامل للشيخ رضى الله عنه على الايصاء بذلك نصح الأمة كما ستقف عليه إن شاء الله فى وصاياه فى خاتمة الباب السابع وذلك لما رآه من كثرة نقر الديكة والغراب فى صلاة الناس فى هذا الزمان بحيث لا تحصل طمأنينة وأحرى ما يزيد عليها كما شاهدناه من كثير من الناس اليوم حتى أنهم يقولون فى كلامهم ديكية ولا أتروكية يعنون أن صلاة تنسب لنقر الديك خير من ترك الصلاة رأسا لا سيما والصلاة مكيال فمن استوفى استوفى له ومن طفف فقد علم ما قال الله فى المطففين كما قال ابن مسعود وقال صلى الله عليه وسلم شر الناس سرقة من سرق فى صلاته وقال يزيد الرقاشى كانت صلاته صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة وهذا لا ينافى التخفيف المطلوب لما فى حديث أنس رضى الله عنه أنه لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أمير آ بالمدينة قال ما صليت وراء أحد أشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب قال وكنا نسبح وراءه عشرا عشرا ذكره الغزالى فى الاحياء وقال ابن عباد رضى الله عنه فى بعض رسائله الكبرى وما ذكرته عن سيدى أبا العباس المرسى رضى الله

رحمه الله تعالى إلى ما اتفق لسيدنا رضى الله عنه بقصر أبى سمغون من الفتح الأكبر والفيض الأغزر وما يتعلق بذلك فقال

﴿ وفتح الله بهذا العام * فتحا لشيخى الكامل الامام ﴾
﴿ بان رأى بالعين عين الرحمه * يقظة فصار عين الأمه ﴾
﴿ وقال دع كل شيوخك وذر * أنا مربيك وشيخك الأبر ﴾
﴿ وقال أنت وارثى وحسبى * وولدى حقا بغير عتب ﴾
﴿ وكان فتح شيخنا ذى الدين * بقصر الاسعاد أبى سمغون ﴾

الفتح تقدم أنه يطلق عند أهل هذا الشأن على أمور والمراد من ذلك هنا ما صوره الناظم بقوله بأن رأى الخ وأى فتح هو لمن أكرمه الله وأسعده فتفضل به عليه (اللهم) ان لم نكن لرحمتك أهلا أن ننالها فرحمتك أهل أن تنالنا فى سلامة وعافية يا قريب يا مجيب ولكونه أجل الفتوح وأعظمها أسند الفعل للاسم الأعظم الجامع الذى هو الله جل وعلا وأكد الفعل بالمصدر والاضافة لقوله لشيخى للتشريف وفيها الاستشعار بكمال التعلق بالشيخ رضى الله عنه بامحاض المحبة له وكمال الانحياش اليه والانجماع عليه وموجب هذا الاستشعار ما هو معلوم من وظيف الخائض فى هذا المقام من كمال الاستحضار فلله در الناظم رحمه الله ونفعنا به ووصفه بالكمال و بالامام لمناسبة المقام لأن هذا الفتح المذكور هنا لا يكون إلا لمن اتصف بأوصاف الكمال والامامة على التمام قال الشعرانى رضى الله عنه فى مقام رؤية النبى صلى الله عليه وسلم يقظة بعين الرأس والأخذ عنه المشار إلى ذلك بالفتح هنا ما نصه هو مقام عزيز لا يناله كل أحد بل دونه مائتا ألف حجاب وسبعة وأربعون ألف مقام وسبعمائة وتسعون مقاما وأمهاتها مائة ألف مقام وخاصتها ألف مقام فمن لم يقطع هذه المقامات كلها لا يصح له الأخذ عنه صلى الله عليه وسلم يقظة والعين الاولى المعرفة بأل الباصرة والثانية المضافة إلى الرحمة ذاته صلى الله عليه وسلم الطاهرة واليقظة ضد المنام وعين الأمة صدرها ومقدمها وسيدها والعتب الملام وقوله ذى الدين المراد به هنا المتحقق بمقامات الدين الثلاثة الاسلام والايمان والاحسان وسائر منازلها منازلة وكشفا عيانيا وأضاف قصر أبى سمغون للاسعاد لما حصل فيه لسيدنا رضى الله عنه من الفتوح والامداد يقول وفى هذا العام الذى انتقل فيه سيدنا رضى الله عنه من تلمسان فتح الله تعالى بفضله له فتحاً كاملا تاماً واضح البرهان وذلك بأن رأى بعينى رأسه يقظة وجه سيد الأكوان وتشرف بمشاهدة طلعة سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم وصرح له عليه الصلاة والسلام بأنه شيخه ومربيه وكافله وأنه لامنة لمخلوق سواه عليه من الأنام وأمره بترك جميع ما أخذه من مشايخ الطريق و إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل على التحقيق ومعلوم أنه لامزية للانفصال إذا وجد الاتصال فلقنه صلى الله عليه وسلم طريقة من الأوراد وافية بكل غرض ومراد وقال له الزم هذه الطريقة من غير خلوة ولا اعتزال من الحقيقة حتى تصل مقامك الذى وعدت به وأنت على حالك من غير ضيق ولا حرج ولا كثرة مجاهدة ثم أمره بالاقتصار على ما أسداه اليه وقصر النظر فى الطلب والاستمداد عليه ومن كمال إقباله عليه واعتنائه به وانعطافه اليه إن قال له أنت وارثى وقال له أنت حبيبى وسيأتى ذلك بلفظه فى فضل الورد إن شاء الله وقال له أيضا أنت ولدى حقا ثلاثا وقد تقدم ذلك فى الكلام على نسبه رضى الله عنه وصرح فى الجامع بأن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم رتب لسيدنا رضى الله عنه أورادا تختص

---

عنه أن صلاته كانت موجزة فى تمام فهو صحيح وهو من الرأى الحسن إذ بوجازتها تسلم من الآفات ومجاذبة الخواطر وبتمامها يكون فيها أهلية التقرب بها إلى الرب القادر وكون صلاة الابدال خفيفة لا أدرى هل هو لما ذكرناه أم لا على أن الثقل والخفة أمور نسبية فرب صلاة خفيفة بالنسبة إلى ما هو أثقل منها و إن كان فيها طول والناس يغلطون فى هذا فاذا سمعوا أن تخفيف الصلاة مطلوب فى الشرع نقروها نقر الديك ولم يعبؤا باتمام ركوعها ولا سجودها ولا مراعاة شروطها فالأولى أن يرجع فى تقدير الخفة والثقل إلى ما ثبت فى الشرع وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى آخر عمره صلاة المغرب بسورة والطور وأظن هذا الحديث فى الصحيح مع أن صلاة المغرب من أقصر الصلوات قراءة فاذا عملنا على هذه النسبة كانت الصلاة التى نصليها اليوم المغرب أو غيرها خفيفة جداً وقد أسند الحافظ أبو نعيم رحمه الله عن ابراهيم التيمى كان أبى وهو يريد ابن شريك قد ترك الصلاة معنا قلت مالك تركت الصلاة معنا قال انكم تخففون الصلاة قلت فأين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فان فيكم الكبير والضعيف وذا الحاجة قال قد سمعت عبد الله بن مسعود يقول هذا ثم صلى أضعاف ما تصلون فانظروا فى هذا ويمكن أن يتلمح من أحوال السلف فى الزمان المتقدم ما ذكرناه هنا انتهى المراد من كلام ابن عباد رحمه الله فانظر تمامه ان شئت فى شرح النصيحة لابن زكرى وفى شرح ابن أبى جمرة للأحاديث التى انتقاها من صحيح البخارى

به دون غيره من الناس وأوراداً يعطيها لمن رغب اليه فيها من الخلق على اختلاف الانواع منهم والاجناس فأما الخاصة به فقد قال فى الجامع انه لا يتعرض لها لأنها مكتومة وأما التى أمره صلى الله عليه وسلم أن يلقنها للمسلمين فهى المشار اليها هنا بقول الناظم رحمه الله

﴿ وأذن النبى للشيخ بأن * يلقن الانام ورده الحسن ﴾
﴿ وهو صلاتنا على المختار * خير الانام مع الاستغفار ﴾
﴿ ثم برأس القرن تممه له * أحسن تتميم بذكر الهيلله ﴾
﴿ فلاحت أنوار الهدى عليه * وبانت أسرار الرضا لديه ﴾
﴿ وفاق فى الخيرات كل عارف * لغرفه من منبع المعارف ﴾

أذن له فى كذا أطلق له فى فعله فهو مأذون له والفقهاء يحذفون الصلة فيقولون العبد المأذون إذا أطلق له سيده فى التجارة و يطلق الاذن على الامر أيضا و يصح قصره هنا كالذى قبله و يطلق أيضا على الارادة ومنه قولهم إذا أذن الله فى كذا كان ولا يستقيم الحمل عليه هنا والتلقين من لقن الرجل الشىء لقنا فهو لقن من باب تعب أى فهمه و يتعدى بالتضعيف الى ثان فيقال لقنته الشىء فتلقنه إذا أخذه من فيك مشافهة وانظر المصباح والاتقان تقدم معناه فيما سبق من الكلام على بعض أبيات النظم والمراد هنا كل مسلم كان ذكراً أو أنثى عبداً أو حراً صغيراً أو كبيراً طائعا أو عاصيا لكن على الشرط المقرر فى الملقن والملقن والورد القدر الموظف من قراءة أو ذكر أو نحو ذلك وتقدم وسيأتى أيضا ووصفه بالحسن لاشتماله من وجوه الحسن والكمال على الغاية القصوى حسبما سيتبين عند الكلام فى ترتيب أذكاره و بيان صيغها وما يتعلق بذلك عند تعرض الناظم له إن شاء الله والقرن مائة سنة وأل فيه للعهد أى ثم برأس المائة المذكورة وهى الثانية بعد ألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وتممه الى آخر الكلمة المشرفة ولاحت أشرقت والمراد بأنوار الهدى هنا الانوار التى تفاض على العبد من حضرة القدس بسبب تقربه الى الله تعالى بالنوافل التى أكبرها فائدة وأعظمها خطراً وعائده ذكر الله تعالى على الوجه الاكمل فيكسبه فيضانها حالة لم يكن يعهدها من نفسه من القوة على الذكر والحنين الى الوقوف بباب الله تعالى من حيث يرضى بما يرضي و بانت ظهرت والمراد بأسرار الرضا هنا ما ينتهى اليه فيضان هذه الانوار من القوة على الاستغراق التام فى الذكر آناء الليل وأطراف النهار فيكسبه حالة لم يعهدها قبل من نفسه من الرضا والصبر والتوكل واطمئنان القلب بذكر الله تعالى ولاشك أن العبد عند ذلك يصير هاديا مهديا راضيا مرضيا يستحق أن يكون قدوة لغيره وأما ماله فى مدارج سلوكه وسيره و بهذا الذى شرحناه هنا يعرف وجه تخصيص الناظم رحمه الله إضافة الأنوار للهدى والاسرار للرضا فليتنبه لذلك وفاق غيره فى كذا زاد عليه والخيرات المراد بها هنا ما ينتجه ما تقدم من أنوار الهدى وأسرار الرضا من الترقيات والتجليات وما يفيده ذلك من الرقائق والدقائق واللطائف وأنواع التحف والمنح والكمالات والمعارف والعارف المراد به هنا الولى الواصل والغرف معروف والمراد به هنا التلقى والاستمداد والاستفاضة ومنبع المعارف هو النبى صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم يقول وفى هذا العام الذى انتقل فيه سيدنا رضى الله عنه من حضرة تلمسان الى الشلالة وأبى سمغون حسبما تقدم مبينا أى بيان أذن النبى صلى الله عليه وسلم لسيدنا

يأخذ فى أنقص منه و يجعله من باب التخفيف وهو الداء العضال فينبغى أن يعرف الشخص القدر الذى يجب عليه وما هو قدر الزيادة

ما نصه لا نفهم التخفيف حتى نذكر شيئا من عادتهم المنقولة عنهم فى طول صلاتهم لأن الله تعالى قد أثنى على المطيلين فى صلاتهم فى كتابه حيث يقول «وقوموا لله قانتين» والقنوت فى الصلاة لغة هو طول القيام فيها وما تورمت قدماه صلى الله عليه وسلم الا بطول القيام وقد نقل عن الصحابة والسلف رضى الله عنهم أنهم يكونون فى الركعة الواحدة فيخرج الرجل الى البقيع و يرجع الى المسجد وهم فى الركعة الواحدة لم يتموها وأن الرجل منهم كان يدعو فى سجوده بعد ما يسبح الله سبحانه و يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم و يستغفر لنفسه ولأبويه و يسميهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم قال وقد رأيته وسمعته عن بعض من ينسب فى الوقت الى العلم و يقتدى به وهو لا يكمل الواجب من بعض أركان صلاته فانا لله و إنا اليه راجعون على تضييع العلم وحقيقته والعمل وتمامه وكذلك قال رزين رحمه الله ما وقع الناس فى الأمور المحذورات إلا لوضعهم الأسماء على غير المسميات المعروفة أولا لأنا الآن إذا أخذنا بالتخفيف فى صلاتنا خرجنا عن حد الاجزاء لأن المطول فى صلاته لا يصل بجهده الى حد الاجزاء البتة فان نقص منه شيئا خرج عما به طلب والتمام فى الصلاة فى ثلاثة أشياء فى الاجزاء وفى القراءة وفى إكمال الاركان وفى عدد الركعات ولا يتحقق الاجزاء فى الاقل إلا بالقطع بالزيادة اليسيرة فيه ما لم تكن محظورة فى الشرع كالرابعة فى الوضوء والجاهل قد يجعل حد الاجزاء هو الكمال ثم

منادیا علیهم إلا من عصمه الله وقلیل ماهم و بذلك یتبین لك كمال نصح الشیخ رضی الله عنه لأمة النبی صلی الله علیه وسلم والتخفیف وان كان مطلوبا فی حق الأئمة فلیس كما یقدره من لا علم عنده من عامة أهل الزمان الیوم فلیتحفظ المؤمن المعتنی بدینه علی ما قدمناه عن هذین السیدین ولا یستخفنه جهلة یتكلمون برأی أنفسهم نبذوا السنة وراء ظهورهم وقد قال الغزالی رحمه الله تعالی فی كتاب الاحیاء لما ذكر وظائف الامام وهو شافعی فعد منها أن یخفف الركوع والسجود فلا یزید فی التسبیحات علی ثلاث وساق ماذكرناه من الاحادیث ثم قال وذلك حسن ولكن الثلاث أحسن انتهی فانظر رحمك الله كیف عد الثلاث فی حق الامام المطلوب بالتخفیف ولم یجعلها طولا فی حقه فان قلت مالك رضی الله عنه أعلم بظاهر الحدیث ولم یحد فلم تحدون قلنا نعم مالك أعلم بظاهر الحدیث لكنه لم یر الیوم ما أحدث من نقر الدیكة حتی صار كالامر بالمعروف والجمود علی الانتقال بدعة وضلال وقد قال سیدی عبدالله بن أحمد بن الحاج حمی الله رحمه الله تعالی

لو قعد الیوم خلیل بدلا
مراعیا طواریا وعملا

وغایة الأمر أن تكون من الخلافیات أیسع عالما إطلاق اسم البدعة علیها إلا بقید الخلافیة لاسیما والصلاة أحق أن یحتاط لها وفی الحدیث ما بین العبد و بین الكفر

رضی الله عنه فی تلقین هذا الورد المحمدی لسائر الأنام فی الیقظة لا المنام وهو أی الورد المأذون له فی تلقینه فی ذلك الوقت للخاص والعام الاستغفار والصلاة علی النبی علیه وعلی آله الصلاة والسلام واستمر علی تلقینه الذكرین فقط لمن رغب فی ذلك الیه الی رأس تلك المائة وهی الثانیة بعد الألف من الهجرة الشریفة حسبما تقدم التنبیه علیه فتمم له صلی الله علیه وسلم الورد بالكلمة الشریفة فكملت فیه بسبب ذلك المحاسن الفائقة المنیفة فعند ذلك ظهر علیه من أنوار الهدی واسرار الرضا ما استعد به للهدایة والارشاد والدلالة بالحال والمقال علی ما یوصل لحضرة رب العباد وترادف علیه من أنواع الخیرات والبركات والفضائل ما فاق به كل عارف واصل وصدیق كامل وذلك لما أكرم به من التلقی والاستمداد بلا واسطة من سید الوجود ومنبع المعارف الذی الیه تنتهی مسانید كل فضل وجود من هذا الوقت الذی حصل له هذا الفتح الفائق والعطف التام من سید الخلائق تنزل لافادة الطالبین وتربیة المریدین الراغبین وتظاهر بالمشیخة الكاملة بین العباد وصار یقبل من یرد علیه للاستفادة والأخذ عنه من سائر البلاد بعد أن كان شدید التنصل من ذلك كثیر الهرب والنفور عمن ینسبه الی تلك المسالك وقد كانت تأتیه الوفود وهو بالحضرة التلمسانیة قبل أن یحظی من سید الوجود صلی الله علیه وسلم بما حظی به من هذه المشاهدة العیانیة فیطلبون منه التلقین والدخول فی صحبته علی طریق المشیخة المعروفة فیمنع البعض و یلقن البعض لكن علی نهج الأخوة فی الله تعالی وسبیل الصحبة المألوفة ویصرح لمن تلقن منه بأن یقول إنما نحن أصحاب وأما المشیخة فلا هذا مع كونه رضی الله عنه كان مأذونا له فی التربیة مفوضا الیه فیها موعودا لمن لقنه بالضمان التام من المشایخ الكاملین والعارفین المقربین الواصلین كما عرفت ذلك مما سبق وما ذلك إلا لبعد همته وكمال صدقه مع الله تعالی فی معاملته وخدمته رضی الله عنه وأرضاه ومتعنا وسائر إخواننا في الله تعالی بمحبته ورضاه آمین . ثم أشار الناظم رحمه الله الی ما حصل لسیدنا رضی الله عنه بعد اتفاق هذا الفتح الأكبر له الذی هو الاجتماع بسید ولد عدنان من باهر الفیضان بالعلم اللدنی وغریب الذوق والوجدان فقال

﴿ وفاض بالعلم اللدنی ولا * أتی لشعب قنة إذ هملا ﴾
﴿ كم آیة فسرها یوما بما * قصر عنه شأو من تقدما ﴾
﴿ وكم حدیث غامض معناه * بینه حتی بدا سناه ﴾
﴿ وكم لهذا الشیخ من عباره * حل بها مستشكل الاشاره ﴾

والعلم اللدنی هو علم الوهب أی هو الذی یحصل من لدنه تبارك وتعالی كما قال فی حق عبده خضر وعلمناه من لدنا علما وهذا العلم هو علم العلماء بالله وفی الكلام فی تحقیق هذا المناط طول وخروج عما قصد من أجله فی هذا التقیید المقول وما تقدم فی المقدمة من ذلك كاف فی تعریف حقیقته فی الجملة ومن أراد الاستقصاء فی ذلك فلیطالع مظانه من كتب أهل التحقیق ومحله والشعب بالكسر الطریق وقیل الطریق فی الجبل یجمع علی شعب والقنة ذروة الجبل وتطلق علی الربوة والكدیة أیضا وهملا جری وأراد بهذه الجملة أن علمه رضی الله عنه لما فاض جری منسجما فی منحدر من البسیط ولم یجر فی شعب قنة أو ربوة أو شیء یعترضه فینحرف أو یقف عن الجریان والكلام علی طریقة التمثیل الظاهر أنه مأخوذ من مثل سائر أو تلمیح الی قصة

أو بيت شعر إذ لا يحسن الاتيان بمثل هذا عند علماء النقد والبلاغة إلا إذا كان كذلك ولم يحضرني الآن مأخذه فمن عثر عليه فليلحقه بهذا المحل والآية هنا الآية القرآنية وقصر إدراكه عن الشيء لم يبلغه علمه والشأو الغاية والمراد هنا المبلغ من العلم والحديث الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغامض من غمض الحق يغمض غموضا من باب قعد خفي وغمض بالضم لغة انظر المصباح والسناء الضياء والعبارة معروفة والاشارة في اللغة معروفة أيضا ويحتمله النظم فيهم ويحتمل إشارة الأولياء فيخص وهو أظهر بل هو المتعين هنا والله أعلم يقول ولما أكرم الله تعالى بفضله الواسع العميم سيدنا رضي الله عنه بالاجتماع بهذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وحظي منه بما حظي به من كمال العطف والاقبال فاض بالعلم اللدني الخاص بالكمل من أهل القرب وخول الرجال ففسر كثيرا من آيات القرآن الكريم بما قصر عنه إدراك غيره في الحديث والقديم وبين كثيرا من غوامض الأحاديث النبوية بما اتضحت به وجوه إشاراتها السنية ولطائف أسرارها الخفية وحل كثيرا من مستشكل الاشارة لما أوتيه وخص به من كمال الذوق وسني العبارة وانظر كتاب جواهر المعاني فقد عقد مؤلفه فيه لكل من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والاشارات الولوية بابا يغتبط به كل نبيه ثم أشار الناظم إلى ما حصل لسيدنا رضي الله عنه في هذه المدة التي أقامها بأبي سمغون من اقبال الخلق عليه وكثرة قصدهم إياه بقصد الأخذ عنه والانتماء اليه وإلى ما كان يمدهم به في الحس والمعنى من الامدادات الباهرة ويرصدهم به من الهبات الوافرة فقال

﴿ فجعل الناس من الأقطار * يأتونه محبة الأسرار ﴾
﴿ من آخذ طريقه السنيه * وناظر بهجته السنيه ﴾
﴿ تراه مثل الكعبة المشرفه * يوم الطواف أو كمثل عرفه ﴾
﴿ يعشو إلى أنواره السعيد * وعنه يعشو الجاهل المريد ﴾
﴿ وكلما أتاه حب حاج * يجده كالصيب الثجاج ﴾
﴿ خالص احسان ومحض رحمه * أكرم ربنا به ذي الأمه ﴾

الاقطار جمع قطر وقد تقدم وكذلك الاسرار والطريق المراد بها هنا هذه الطريقة المحمدية التي أذن له صلى الله عليه وسلم في التربية بها والبهجة معروفة ويعشو الى كذا يأوي اليه وعنه أعرض وحاج جمع حاجة وتجمع أيضا على حاجات وحوائج والصيب من صاب المطر صوبا وسمي المطر صوبا تسمية بالمصدر وسحاب صيب ذو صوب والثجاج من الثج وهو شدة الانصباب يقال مطر ثجاج ودم ثجاج أي شديد الانصباب وباقي الألفاظ ظاهر يقول فبسبب ما أكرم الله به سيدنا في هذه المدة التي قام فيها بأبي سمغون من الفتوحات المتراسلة والمواهب المتواصلة حتى ظهر عليه من الفيوضات ما ظهر وبهر عقول الناظرين والسامعين من أمره ما بهر جعل الناس يأتونه من سائر الأقطار ويفدون إليه أفواجا من جميع القرى والأمصار فمن مريد صادق قادته جواذب العناية إلى أخذ طريقته السنية ومن متبرك حملته رياح المحبة إلى حضرته السعيدة ليتشرف بمشاهدة طلعته السنية فترى الناس من شدة الازدحام على اتباعه وكثرة الوفود منهم على بابه كأنهم يطوفون بالكعبة المشرفة أو يضجون بالتلبية يوم عرفة تعشو الى أنواره بصائر السعداء وتعشو عنها أعين الخفافيش البعداء وكل من قصده في شيء نال مرغوبه وحصل مطلوبه فما هو إلا محض رحمة وامتنان على هذه الامة المرحومة من ربها الواسع

قالها لما رأى رجلا لا يتم ركوعه وينقر في سجوده رواه الطبراني وابن خزيمة وروى الامام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نقر الغراب كما في العهود المحمدية أيضا فمثل هذا لا ينكر على مثل هذا الولي لأن مدركه قوي لا ينقض الحكم بمثله لاسيما إذا انضاف اليه الخروج من الخلاف فان المازري من أكابر المالكية وقد كان يبسمل في الصلاة سرا خروجا من الخلاف لوجوبها عند الشافعي وقال في عدة المريد والخروج من الخلاف مستحب اتفاقا حسب الامكان انتهى وأما قوله ومارو وافي الحد ليس مذهبا فان أراد به ليس مذهبا لمالك فهو معاد مع ماسلف والمعاد معادى وان أراد أنه ليس مذهبا لأحد فقصور منه أو تحكم فان الشافعي ذهب الى استحبابه كما قدمناه وماذكر من كراهة الطول فهو فيما إذا كمل الأركان وصار طولا متفاحشا وهذا القدر لا يعده متفاحشا إلا عسيف وإذا كان التسبيح عشرا لا يعد طولا مفرطا فما بالك بثلاث تسبيحات والسلام غير أنك لو قرأت التوراة والانجيل والزبور والفرقان والكتب السماوية على المنكر ما رجع عن إنكاره والله يعصمنا مما ابتلاه به وأما قوله أقال الله عثرته وأمروا بحضرة الأوراد وأمرها لم يخل عن ايراد الى آخر ما قال فجوابه ما قال سيدي

أحمد زروق في قواعده ونصه أما الجمع للذكر ففي المتفق من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون

ويمجدونك الحديث قال وهو صريح فى ندب الجمع لعين الذكر بالترغيب فى سياقه وماوقع فى آخره من أن فيهم من ليس منهم فيقول تعالى هم القوم لايشقى جليسهم فأخذ منه جواز قصد الاجتماع لعين الذكر بوجه لايسوغ تأويله لحديث ما جلس قوم مسلمون مجلسا يذكرون الله تعالى فيه إلا حفت بهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده ثم قال فلزم جوازه بل ندبه بشرطه نعم وتأويل التسبيح والتحميد والتمجيد بالتذاكر فى التوحيد من أبعد البعيد وتأويله غير مقبول لبعده عن الأفكار حتى لا يخطر إلا بالأخطار وذلك من مقاصد الشرع بعيد جدا فافهم انتهى. وقال فى قاعدة أخرى ولما تكلم سيدى أبو عبدالله بن عباد رحمه الله تعالى على مسئلة الحزب قال انه من روائح الدين التى يتعين التمسك بها الذهاب حقائق الديانات فى هذه الأزمنة وإن كان بدعة فهو من المختلف فيه وغاية القول فيه الكراهة فصح العمل به على قول من يقول به قلت وقد يلحق الذكر به فى بعض الأماكن والأوقات ولعل الشارع انما قصد بترغيبه من بعد الصدر الأول لاحتياجهم له فأما قول ابن مسعود رضى الله عنه لجماعة وجدهم يذكرون الله والله لقد جئتم ببدعة ظلما أو لقد سبقتم أصحاب محمد علما فالجواب عنه انه لم يبلغه حديث الترغيب فيه أو أنه أنكر الهيئة ونحوها وإلا فلا يصح انكاره لهذا الوجه بعد صحة الحديث

الجود والاحسان وعقد الناظم فى هذه الأبيات مايعلم بالوقوف عليه فى هذا المحل من جواهر المعانى مع بعض زيادة عليه مما فى غيره مما ثبت عن الشيخ من طريق التواتر القطعى الذى لاشك فيه كقوله يعشو الى أنواره الخ فانه عقد فيه معنى ماثبت عن سيدنا رضى الله عنه من قوله سائق السعادة يسوق أقواما إلى هذه الحضرة والصارف الالهى يصرف أناسا عنها فان التعبير بأقواما يشير إلى التفخيم بخلافه فى قوله أناسا فانه يشير إلى التحقير كما يدل له سياق الكلام والله المستعان. ثم أشار الناظم رحمه الله تعالى إلى زمن انتقال سيدنا رضى عنه بأهله الى حضرة فاس الادريسية واصطفائه لأهلها الأخيار جيرانا دون غيرهم من البرية وماذاك إلا لما أهلها الله له من الخصوصية وخصها به من مزيد الفضيلة والمزية فقال

﴿ ثم إلى فاس مدينة الفخر * ظعن فى عام ثلاثة عشر ﴾

﴿ وزينت بهجة التجانى * فى العام سادس ربيع الثانى ﴾

فاس هى قاعدة المغرب العظمى المعروفة التى لم تزل ولا تزال إلى آخر الدهر من فضل الله تعالى بكل خير وكرامة موصوفة وبكل عز وسعادة منوطة ومحفوفة ووصفها بقوله مدينة الفخر لما لها من المفاخر التى لا تكاد تحصى والمآثر التى لا يأتى عليها الاستقصا ولو لم يكن إلا أن الله تعالى جعل اختطاطها على يد سليل رسوله وصفوته من خلقه وهو شمس المغرب وإمامه وطالع سعده الذى نصرت بعزته ألويته وأعلامه وسراج أفقه الذى أشرقت بسناه لياليه وأيامه سبط الرسول المصطفى وقدوة أهل القرب والصفا أبو العلا مولانا ادريس بن التاج الأشهر مولانا ادريس الأكبر رضى الله عنه وعن أبائه الكرام وأماتنا على محبتهم ومحبة خير الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام فهى أى هذه المدينة المباركة صادرة عن نيته ومنفعلة عن توجهه السنى وهمته وكفاك ذلك من شرفها وفخرها وجلالة قدرها وقوله ظعن ارتحل والمراد من قصر أبى سمغون وقوله فى عام ثلاثة عشر يريد بعد المائتين والألف وباقى ألفاظ البيتين ظاهر المعنى يقول ثم لما تشعشع أمر هذه الطريقة المحمدية وطار صيتها فى البلاد المغربية والمشرقية وأمر سيدنا رضى الله عنه فى غاية الترقى والكمال بدا له مابدا فى الارتحال والانتقال فانتقل من قصر أبى سمغون المبارك الميمون فى السابع عشر من ربيع الثانى الأنور عام ثلاثة عشر بعد المائتين والألف من هجرة سيد البشر متوجها الى مدينة حضرة فاس ذات السناء الأفخر صحبة تلميذه وخليفته الأخص فدخلها فى السادس من ربيع الثانى فعمت بركته من أهل المغرب القاصى والدانى والطائع والجانى فزينت ببهجته أرجاء البلاد وعم بمن طلعته السعيدة الحاضر والباد وحين وصل رضى الله عنه أتى حضرة السلطان المعظم ذى الفخر الصميم والقدر المفخم وهو أبو الربيع مولانا سليمان بن السلطان مولانا محمد بن السلطان مولانا عبدالله بن السلطان مولانا اسمعيل رحمهم الله تعالى وقدس أسرارهم فرحب به وسهل ونوه بقدره وبجل وأنفذ له الدار المعروفة بالحضرة بدار المرأة فامتنع سيدنا رضى الله عنه من قبولها لأمر حاك فى صدره ففطن السلطان قدس سره لذلك فكلمه بما أزاح عنه وجه الاشكال فى أمره ثم بعد أيام من سكناه بها أخبر الخاصة من أصحابه بأنه انما سكنها باذن من النبى صلى الله عليه وسلم وذكر لهم أنه عليه الصلاة والسلام أمره بشىء يفعله فهو يفعله وذكر لنا بعض الخاصة من أصحابه رضى الله عنه وملازميه أن الذى أمره به صلى الله عليه وسلم يفعله هو تصدقه بمقدار كرائها على المساكين فكان يتصدق بذلك خبزا عند انقضاء كل

شهر من أشهر المدة التى سكن بها إلى أن توفى رضى الله عنه ولا يستبعد مثل هذا من اذنه صلى الله عليه وسلم لأكابر العارفين فيما يأتون وما يذرون من جميع وجوه تصرفاتهم إلا من لا إلمام له بشىء من معرفة صفاتهم فقد ذكر فى العهود المحمدية أن طريق العارفين بالله تعالى أن يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل أمر أرادوا فعله أو تركه فما أذن لهم فعلوه ومالا تركوه وهم فى هذا الاستئذان بحسب مقاماتهم من مشاهدته صلى الله عليه وسلم وأدناهم مقاما من يستأذنه بالقلب بطريق التصور والاستحضار التام فينقدح له فى سره ما يبنى عليه فى ذلك الغرض وذلك المرام وأعلاهم من كان من أهل الاجتماع به يقظة ومشافهة كما هو مقام أهل الكشف فراجع العهود الكبرى وذكر فيها أيضا عن نفسه رحمه الله أنه كان يشاوره صلى الله عليه وسلم فيما لم يجد له من الأعمال دليلا فى الشريعة إلا أنه مستحسن عند بعض العلماء فيجيبه صلى الله عليه وسلم بما يقتضى الاقرار على الفعل أو الترك وذكر من ذلك أنه شاوره على قول بعضهم أن يقال فى سجود السهو سبحان من لا ينام ولا يسهو فقال صلى الله عليه وسلم هو حسن وذكر أيضا رحمه الله تعالى عن الشيخ نور الدين الشونى أنه كان يشاور النبى صلى الله عليه وسلم فى جميع أموره وأن من جملة ما شاوره فيه حفر البئر التى فى زاويتنا بعد أن حفر بها ثلاث آبار فطلعت كلها فاسدة وماؤها منتن فقال له صلى الله عليه وسلم قل لهم يحفروا بباب الحوش ففعلوا فطلعت جيدة وماؤها حلو اه (وفى كتاب عوارف المعارف) أن الشيخ الكامل مولانا عبد القادر الجيلانى قال ما تزوجت حتى قال لى صلى الله عليه وسلم تزوج اه وسياق الكلام مؤذن بأن ذلك فى اليقظة فهو من هذا القبيل إلى غير ذلك (وقد) بلغنى من طريق الثقات الاثبات أن أخص أصحاب سيدنا رضى الله عنه العارف الكبير الموصوف بالقطبانية فى زمانه من غير دفاع ولا نكير أبا الحسن سيدى الحاج على بن سيدى التمانى رضى الله عنه تجاذب أطراف المذاكرة مع بعض الاخوان يوما فى مثل ما نحن فيه فقال له يا فلان إن من الرجال الحاضرين معك فى هذا الزمان من لا يفعل فعلا قل أو جل إلا على إذن منه صلى الله عليه وسلم من طريق المكاشفة والعيان حتى أنه لا يقوم لفراشه الذى ينام فيه إلا إذا أمره صلى الله عليه وسلم بذلك وقد فهم عنه من سمع منه ذلك أنه يعنى نفسه وله من شواهد حاله ما يصدقه فيما أبداه من مقاله وسيأتى لنا ذكر شىء من أوصاف أحواله عند ما يتعرض الناظم لذكره إن شاء الله رضى الله عنه وأرضاه ونفعنا بمحبته ورضاه آمين وما تقدم فى سبك البيتين من ذكر تاريخ خروج سيدنا رضى الله عنه من أبى سمغون لم يعرج عليه فى النظم لكن ذكره فى الجواهر فاعلم ذلك . ثم أشار الناظم رحمه الله إلى زمن صدور الأمر من سيدنا رضى الله عنه لخليفته المعظم سيدى على حرازم رضى الله عنه بجمع كتاب جواهر المعانى وبعض ما يتعلق بفضل هذا الكتاب المبارك فقال

﴿ وبعد ذا بنحو شهرين أمر * تلميذه الرضى عليا الأبر ﴾
﴿ بجمعه جواهر المعانى * عن إذن سيدى بنى عدنان ﴾
﴿ صلى عليه منزل القرآن * والآل والصحب مدى الأزمان ﴾
﴿ عليكم معاشر الأحباب * ما عشتم الدهر بذا الكتاب ﴾
﴿ عن إذن طه جمعه وأمره * وقدر الامام حق قدره ﴾
﴿ ومن يطالعه بانصاف يرى * أن خلال الشيخ ليست فى الورى ﴾

فلا يصح دفع أصل حكمه وان أوثر عليه غيره بأفضلية الغير عليه كالذكر الخفى وما يتعدى نفعه من العبادات كالعلم والجهاد والتكسب على العيال إلى غير ذلك مما كان اعتناء الصحابة به وشغلهم به حتى شغلهم عن الاجتماع للذكر والتفرغ له من غير ضميمة شىء اليه من ذلك ألا تراهم عند امكانه مع ما هم فيه استعملوه كالاسفار والأعياد وإدبار الصلوات ونحو ذلك انتهى كلام زروق رحمه الله تعالى قلت والأحاديث التى أشار اليها حديث أبى هريرة المتقدم فى الذكر وحديث حبيب بن مسلمة الفهرى رضى الله عنه فى الدعاء ونصه لا يجتمع ملأ فيدعو بعضهم ويؤمن بعضهم إلا استجاب الله دعاءهم رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وحديث التلاوة ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يقرؤن القرآن ويتدارسونه إلا حفت بهم الملائكة الحديث رواه أبو داود عن أبى هريرة كما فى الجامع الصغير للحافظ السيوطى وقال ناظم العمليات

والذكر مع قراءة الأحزاب
جماعة شاع مدى الأحقاب

وقال شيخ أشياخنا سيدى عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوى فى نظمه المسمى رشد القافل

والجمع للذكر وللقرآن
جرى به العمل فى البلدان

ونصه الصحيح رد المنكرا
والعذر من خفائه قد ظهرا

يعنى بالنص الصحيح حديث أبى هريرة المتفق عليه المذكور فى أول الكلام ويعنى بالمنكر ابن مسعود رضى الله عنه ويعنى بالعذر

﴿ وليس فى ذلك عندى شك * وخالقى وليس فيه افك ﴾

الأمر اللفظى الدال على الطلب مع استعلاء الطالب عكس الدعاء والمراد بعلى هذا سيدنا على حرازم المتقدم الذكر رضى الله عنه ومدى الأزمان غاية الأزمان والدهر يطلق على الأبد وقيل هو الزمان قل أو كثر (قال) الأزهرى الدهر يطلق على الزمان وعلى الفصل من فصول السنة وأقل من ذلك ويقع على مدة الدنيا كلها اه وهذا المعنى الأخير أنسب بالمقام والافك الكذب من أفك يأفك من باب ضرب إذا كذب يقول وبعد ما استقرت بسيدنا رضى الله عنه فى هذه الحضرة المحروسة الدار واطمأن به المنزل منها والقرار ومضى نحو الشهرين من مقدمه وحلوله واستقرار أمر عن إذن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم تلميذه الأخص الذى هو عيبة علومه وخزانة أسراره سيدنا على حرازم رضى الله عنه بجمع كتاب جواهر المعانى ونظمه لفرائد فوائده وترتيب فصوله وتهذيب مسائله وتأسيس قواعده وذلك بعد أن كان أمر أولا بتمزيق ما جمع منه من المسائل الجليلة السنية لأمر اقتضته فى ذلك الوقت أحواله الجلالية التى هى نتائج هممه العلية ودلائل صدقه مع الله تعالى فى توجهاته الكمالية المرضية فامتثل لأمره المطاع بعد التحير الكثير والالحاح عليه بالمراجعة فى ذلك من خاصة الأصحاب والاتباع فلم يقبل منهم رضى الله عنه لقوة الباعث الحامل له على ذلك فى ذلك الوقت إلا المحو والاتلاف والضياع ولم يبق منه إلا تقاييد بيد البعض من أصحابه فلما من الله تعالى بصدور الاذن فى جمعه انتفع بتلك التقاييد فى كثير من فصوله وأبوابه وكان شروع مؤلفه رضى الله عنه فى جمعه وترتيبه وتأليف مسائله وتبويبه بفاس أوائل شعبان الأبرك من العام قبله وسحاب الخير لها مطر ترصد به إبانه وفصله وفرغ منه أواسط ذى القعدة الحرام من السنة الموالية لذلك العام وذلك قيد حياة سيدنا قدس الله سره ووالى عليه سحائب الرضوان وبعد أن فرغ منه أحضره بين يديه وأجازه فى سائر مافيه وكتب له بخط يده المباركة أوله وآخره بذلك فى مسجد الديوان فجاء بحمد الله محفوفا باليمن والاسعاد منتشر الذكر سنى الفخر عميم النفع فى جميع الاصقاع والبلاد فلهذا يقول الناظم هنا مرشدا إخوانه إليه وحاضا لهم عليه مخاطبا إياهم بما يقتضى التحنن والعطف والرفق فى الخطاب جرياً منه فى ذلك على سنن الحلماء الرحماء من أولى الألباب عليكم يامعاشر الاخوان وجماعة الأحباب مدة حياتكم بالدوام على مطالعة هذا الكتاب فانه كفيل بفضل الملك الوهاب للناظر عليه من طريق المحبة الخالصة بالوصول إلى معرفة رب الأرباب واستجلاء عرائس الحقائق ونفائس اللطائف والدقائق والولوج إلى حصر حضراتها المنيفة من كل باب فمن جد وجد لا محالة فى يومه ما لم يجده أمسه ومن قصر فلا يلومن إلا نفسه ويكفى الأريب من شرف هذا الكتاب العجيب صدور تأليفه عن إذن طه الحبيب صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم مع ما اشتمل عليه من التنويه بضخامة شأن سيدنا رضى الله عنه ونخامة أمره وقدرد إياه جهد استطاعته حق قدره ومن طالعه ونظر فيما تضمنه بعين الانصاف علم يقينا ما فاق به سيدنا رضي الله عنه غيره من سنى النعوت وكمال الأوصاف ولا يتطرق إلى هذا الرجم بالغيب إلا لمن أحرم بركته وخيره من أهل الغفلة والتيه فى مهامه التردد والريب وأقسام الناظم رحمه الله فى هذا المقام بالرب الخالق دليل واضح لما خص به فى أحوال محبته من الصدق الفائق

ان فعله أفضل ومثله مااختلف فى سنيته وكراهيته ولا يكون أحط رتبة من المباح بل قد نصوا أن ما اختلف فى مشروعيته أرفع درجة من المباح وقال عز الدين بن عبد السلام ان كان الخلاف فى المشروعية فالفعل أفضل لأن الشرع يحتاط لفعل المندوبات كما يحتاط لفعل الواجبات انتهى وقال القرافى لأن القائل بالمشروعية مثبت لأمر لم يطلع عليه النافى والمثبت مقدم انتهى كلام الأجهورى وقول هذا المتعسف

* قلت أمامنا بذاك أدرى *

كلمة حق وماذكرناه من أعيان العلماء أدرى من هذا المتعسف بمالك وبأصول مذهبه وبقواعده بل لا يشق لواحد منهم غباراً لكنه لم يسعه التسليم وقد قدمنا قول الحصونى لو قرأت الكتب المنزلة على المنكر لم يترك الانكار وقد قال شيخ أشياخنا محض بابه فى حق هذا المنكر وأشياعه وأنكروا الجمع والاجتماعا للذكر وهو جائز إجماعا جرى على ذلك مذ اعصار شرقا وغربا عمل الأمصار فوقع الاجماع بعد الخلف فيه فجاز اليوم دون خلف

وأما قوله أقال الله عثرته ورفعوا أصواتهم فى النادبالذكر والدعاء عن عناد الى آخره فيرده ما أورده الحافظ السيوطى فى نتيجة الفكر من فتاويه من قوله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون وساق غيره من أحاديث الجهر ثم قال وإذا تأملت

رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته وماذكرته فى سبك هذه الأبيات هو مضمون مااشتمل عليه كتاب الجامع وكذلك كتاب الجواهر إلا النذر منه فما حققناه عن الثقات الأثبات ومما بلغنا فى فضل هذا الكتاب عن سيدنا رضى الله عنه أن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم نسبه إليه فقال فيه كتابى هذا وأنا ألفته وقد ظهر بحمد الله تعالى مصداق هذه المقالة الشريفة فى حصول القبول التام له وتطاير الركبان به وعموم النفع للخاص والعام بعلومه السنية وأسراره المنيفة مع أن مؤلفه رضى الله عنه كان مزجى البضاعة فى العلوم الرسمية لابدله فيما يحتاج إليه فى الصناعة التأليفية فهو لا محالة من كراماته الشاهدة له بالخصوصية وهذا أدخل فى الكرامة مما وقع لبعض العارفين الموصوفين بالأمية من تأليف بعض مهرة العلماء فى مآثرهم وأذواقهم الوهبية ومن بركات هذا الكتاب الشائعة بين الأصحاب والاخوان فى سائر الامصار والبلدان كثرة من دخل فى هذه الطريقة المحمدية بسبب مطالعته والنظر فيه وهذا شىء لايكاد النظر يحصى ماانفق منه ولايستوفيه وكنت كثيرا ما أسمع بعض أصحاب سيدنا رضى الله عنه وهو من العلماء الفضلاء والسراة الأجلة النبلاء يقول قد شوهد لهذا الكتاب فى المكان الذى يكون فيه من الحفظ وسعة الأرزاق وكثرة السعادة وتحسين الأخلاق مالا يجحده ويكابر فيه إلا غبى أو ذوشقاق ومن بركاته الظاهرة وكراماته الباهرة ماذكره مؤلفه رضى الله عنه من أن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أوصى سيدنا رضى الله عنه بعد ما أمره بجمعه بأن قال له تحفظ عليه لينتفع من بعدك من الأولياء به انتهى (وقد ظهر مصداق ذلك) والحمد لله فانتفع به كثير من الأولياء وسلك على ماتضمنه من الطرق عنده من الأصفياء واستنبطوا منه عدة طرائق موصلة كلها لمن سلك عليها من أهل هذه الطريقة الأحمدية إلى حضرة الخلاق ولولم يكن إلا ماوقع لصاحب كتاب ميزاب الرحمة الربانية لكان كافيا فى هذا الذى ذكرناه بالمشاهدة العيانية فليتنبه لما أشرنا اليه فى هذا المقام وليعرف منه ماحام الشيخ حوله فى قوله الثابت عنه تتفرع عن هذه الطريق عدة طرق كلها كفيلة من فضل الله تعالى بنيل المرام ولا يذهب بك الوهم الى ماتخيله فى هذه المقالة بعض من لاعلم عنده وحسب من لم يطرب للاغاريد أن يلزم حده ولا يتجاذب مع ذى وجد صحيح وجده وقد قال بعض أهل الطريق من لم يعرف مصطلحنا لايجوز له الخوض فى طريقتنا (وبالجملة) فقد شوهد من تواتر البركات والخيرات لهذا الكتاب الجليل مالا يفى به قلم التعبير ولا يأتى عليه القيل والله تعالى المستعان وعليه سبحانه قصد السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل ثم أشار الناظم رحمه الله تعالى إلى زمن حلول سيدنا رضى الله عنه بمرتبة القطبانية العظمى ووقت انجاز الاقبال ماوعده به من المقام الأعز الأسمى فقال

﴿ وفى المحرم غدا غوثا رشيد * خليفة عن المهيمن المجيد ﴾
﴿ أعطى ذاك شيخنا بعرفه * حكاه من حققه وعرفه ﴾

المحرم معرف والمراد فاتح العام الموالى لعام حلوله الحضرة الفاسية المحروسة والغوث المراد به هنا القطب الجامع وقد تقدم بعض ماينبىء عن حقيقة القطب لغة وعرفا وإطلاق لفظ الغوث عليه اصطلاح حادث بين الأولياء بخلاف لفظ القطب فقد ثبت وروده فى بعض الآثار (قال ابن حجر) الابدال وردت فى عدة أخبار وأما القطب فورد فى بعض الآثار وأما الغوث فلم يثبت (وقد ألف الشيخ جلال الدين السيوطى رضى الله عنه) تأليفا سماه الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والابدال وذكر أن الحامل له على تأليفه مابلغه عن بعض من لاعلم له من إنكار الابدال

فى الجهر بالذكر بل فيه ما يدل على استحبابه إما صريحا وإما التزاما قال وأما معارضته بحديث خير الذكر الخفى فهو نظير معارضة حديث الجهر بالقرآن بحديث المسر بالقرآن كالمسر بالصدقة وقد جمع النووى رحمه الله بينهما بأن الاخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى به مصلون أو نيام والجهر أفضل فى غير ذلك لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين ولأنه يوقظ قلب القارىء ويجمع همه إلى الفكر ويصرف سمعه إليه ويطرد النوم ويزيد فى النشاط انتهى بنقل الفاسى شارح عدة حصن الحصين ثم قال بعد هذا والمسئلة طويلة الذيل والكلام فيها منتشر شهير ومختار المحققين ترجيح القول بالمنع وعدم الالتفات اليه إلا ببيان وجه الرد عليه انتهى فلينظر المنصف مع ماجعل هذا المنكر مقابله معتمدا وقال الغزالى فى الاحياء بعد ماذكر نحو ماقدمناه عن النووى فهما حضرت نية من هذه النيات فالجهر أفضل وان اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر وبكثرة النيات يزكو العمل الأبرار وتتضاعف أجورهم انتهى وقد أنشد ولى الله سيدى ابراهيم التازى

رويدكم فما سمعى بغافل
لغى لاغ ولا يصغى لعاذل
ومالى ويحكم عن ذا انفصال
ولو انى أفصل بالمناصل
فهجيرا ى ذكر الله جهرا
وسرا بالغدو وبالأصائل

كما هو صريح فى هذا الشعر جواز الذكر جهرا وفى مفتاح الفلاح ما نصه وإن كان الذاكرون جماعة فالأولى فى حقهم أن يرفعوا أصواتهم بالذكر مع توافق الأصوات بطريقة واحدة موزونة وساق من أحاديث الجهر حديث البخارى عن أبى سعيد مولى بن عباس أخبره أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه من ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه ويروى أن الصديق كان يخافت فى صلاته بالليل وكان عمر يجهر فى صلاته فسألهما صلى الله عليه وسلم عن فعلهما فقال أبو بكر من أناجى يسمع كلامى وقال عمر أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان وأرضى الرحمن فأمر أبا بكر أن يرفع صوته قليلا وأمر عمر أن يخفض قليلا فأمر أبا بكر برفع الصوت ولم يأمر عمر بالاسرار بل بخفض الصوت انتهى وقال سيدى عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوى رحمه الله تعالى

والجهر ندبه هو المقول
من غير مانع كعجب يحصل
ومثله التخليط والتنبيه
ونحوه مما يرى النبيه

فلم يبق لهذا المنكر بعد ما تبين من نصوص الأئمة إلا مجرد التحامل على هذا الولى الجليل * والتعصب للباطل بغير دليل * وأظنه وقف على هذا كله لكن أعماه ماهو بصدده عنه إذ لا يكاد يجد ما أورده بطريق التعصب لنفسه إلا مع

والنقباء والنجباء والأوتاد والقطب فجمع ماورد من الأحاديث والآثار بثبوت جميع ذلك فى جمع ليستفاد ولا يعول على إنكار أهل الفساد وذكر فى تأليفه هذا مايدل على ثبوت القطب بخلاف الغوث فلا يذكر فيما يدل لثبوته شيئاً وهذا مارأيت بحسب ماثبت فى الأخبار والآثار الوارد وأما فى الاصطلاح فلفظ الغوث يرادف لفظ القطب وأصرح منه فى تعيين المخصوص بمقام القطبية على الخصوص إذ ربما أطلق القطب على الواحد من الامامين أو على أحد الأوتاد الأربعة باعتبار أنه قطب إقليمه أو نحو ذلك من الاعتبارات فاذا أطلق لفظ الغوث لا يصرف فى العرف إلا للقطب الجامع لاغير فلذلك اقتصر الناظم عليه فيما عبر به هنا والله أعلم ورشيد فعيل من الرشاد وصفه به لانه أى القطب أتقى أهل زمانه وأزكاهم وأكرمهم عند الله مكانة وأرضاهم الخليفة هو القائم عن مستخلفه باعباء ما استخلفه فيه على الوجه الأكمل والمهيمن اسم من أسمائه تعالى قالوا ومعناه الشاهد الذى لا يغيب عنه شىء (قال الخليل) بن أحمد وأبو عبيدة هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيبا على الشىء وقيل فى معناه غير ذلك وقال ابن الانبارى المهيمن القائم على خلقه برزقه وأنشد

ألا ان خير الناس بعد نبيه * مهيمنه التاليه فى العرف والنكر

قال معناه القائم على الناس بعده اه نقله فى مفاتح الغيب وقد تقدم والمجيد كذلك من أسمائه تبارك وتعالى ومعناه المنتهى فى الشرف وكمال الملك واتساعه الى غاية لا يمكن المزيد عليها ولا الوصول الى شىء فيها اه ذكره فى شرح الأسماء والحسنى وإذا عرفت معنى الاسمين الكريمين وعرفت ماتقرر فى العلم من أن الخليفة لابد أن يتعلق بشىء من معنى مستخلفه عرفت الوجه عند الناظم فى تخصيص هذين الاسمين الأعظمين بالذكر هنا وهذه إحدى لطائفه رحمه الله تعالى فى هذا النظم لمن استقرأه حسبما تقدم التنبيه على نظائر ذلك و(عرفة) أراد به هنا موضع وقوف الحجيج أى الجبل المعروف لا اليوم التاسع من ذى الحجة إذ لا يصح حمله عليه هنا لئلا يحصل التناقض بين معنى هذا البيت والذى قبله وبين عرفات ومكة نحو ستة أميال و(عرفه) علمه بحاسة من الحواس الخمس يقول وفى المحرم الحرام فاتح العام الموالى لعام حلول سيدنا رضى الله عنه بحضرة فاس وهو عام أربعة عشر بعد المائتين والألف من هجرة سيد الناس حل رضى الله عنه مقام القطبانية وظهر بحمد الله تعالى مصداق ما بشره به من تقدم ذكره من أهل الكشوفات العيانية والمقامات السنية العرفانية وكان حصول الفتح له رضى الله عنه فى إدراك هذا المقام الأعظم فى جبل عرفة من البلد المحرم حسبما ذكر ذلك وبينه تبيينا من عرفه تحقيقا وعلمه يقينا ولم يتعرض فى كتاب الجواهر لتعيين زمن بلوغ سيدنا رضى الله عنه درجة القطبانية ولا للمكان الذى أدرك فيه ذلك مع تصريحه ببلوغه المقام تحقيقا فى غير ماموضع ومن ذلك قوله فى ذكر كماله رضى الله عنه مانصه ومن كماله رضى الله عنه وعرفانه الأتم معرفته لاسم الله العظيم الأعظم إلى آخر كلامه ومعلوم أن ذلك من خصائص القطب كما ستقف عليه قريبا إن شاء الله تعالى ومن ذلك قوله فى هذا المحل أيضا ومن كماله رضى الله عنه وعلو منصبه الشريف ما أوتيه من مقام الخلافة والتصريف وو وليه من النيابة والتحكيم والأمر النافذ العميم إلى آخر كلامه إلى غير ذلك من عباراته المصرحة ببلوغه هذا المقام الأسمى والدرجة السامية العظمى والذى يظهر والله أعلم أن الناظم تلقى ما عقده فى هذين البيتين من العارف الكبير سيدنا محمد الحبيب ولد الشيخ رضى الله عنه فانه أقام عنده بزاويته مدة وهو عمدته فى كثير من أخبار

ما ذكرناه كما وقفنا عليه غير ما مرة لكن يخشى عليه أن يكون ممن أخبر الله تعالى عنهم بقوله « كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا » والله يعصمنا مما ابتلاه به وانظر حاله أقال الله عثرته مع حال سيدى عبد الوهاب الشعرانى حيث يقول فى العهود المحمدية ينبغى لنا أن نحث المترددين الينا على حضور مجالس الذكر ونحارب من سعى فى إبطال مجلس ذكر ونجادله ونباحثه فان ظهر الحق على يديه أيدناه انتهى وانظر قوله سامحه الله

ومن تأمل ودون الجهر
لم يك جهراً ذكره فى الدهر

مع ما يذكر أن الآية فى الذكر الخفى الذى يخفى عن الحفظة وهو خاص به صلى الله عليه وسلم و بمن له به أسوة حسنة كما فى جواب للسيوطى وصدره خاطب الله تعالى عامة عباده بمثل قوله « أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت » وخاطب الخواص بمثل قوله « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » وخاطب سيد أهل الحضرة محمدا صلى الله عليه وسلم بعد أن عرفه بربه ونفسه وأراه كيف مد الظل بقوله واذكر ربك فى نفسك الآية وبقوله ألم تر إلى ربك كيف مد الظل فمن لا يعرف ربه ولا نفسه ولا أراه كيف مد الظل فكيف يذكر ربه فى نفسه أو كيف يرى مد الظل بل هم المخاطبون بمثل قوله تعالى اذكروا الله ذكراً كثيرا وأما الذكر الخفى فهو ما خفى عن الحفظة لا ما يخفض به الصوت وهو أيضا خاص به صلى الله عليه وسلم و بمن له به أسوة حسنة ثم قال والجمع بين الآيات والأحاديث الواردة فى هذا المعنى أن الذاكرين إذا كانوا جماعة فالأولى فى حقهم رفع الصوت بالذكر وأما إن كان الذاكر وحده فان كان من الخواص فالاخفاء فى حقه أولى

الشيخ وعلومه وأسراره وعلى هذا فيكون هو المشار اليه بقوله حكاه من حققه وعرفه وتحققه لما ذكره عن أن سيدنا رضى الله عنه أعطي القطبية العظمى فى المحرم من العام المذكور بجبل عرفة إما باخبار من الشيخ رضى الله عنه له بذلك فيكون من باب رواية الثقة ما لم يوافقه عليه غيره واما من طريق كشفه الصحيح وحصول التعريف له من الله بذلك والنفس إلى هذا الاحتمال أميل لما يعضده من القرائن والشواهد الحالية والله تعالى أعلم وعلى كل حال فان الناظم رحمه الله تعالى اطلع على ما لم يطلع عليه غيره ومثله فى ديانته وجلالة قدره لا يذكر مثل هذا من غير أن يثبت عنده ثم ان قوله أعطى ذلك شيخنا بعرفة على ما أوجبه سياق الكلام من أن المراد الجبل لا اليوم مشكل بظاهره لأن سيدنا رضى الله عنه كان فى تلك السنة بفاس لم يغب عنها والجواب عن هذا الاشكال أن القطب حسبما ذكره الشعرانى عن شيخه الخواص رضى الله عنهما وذكره فى الجواهر عن سيدنا أيضا له ثلثمائة ذات وستة وستون ذاتا أحدها بمكة المشرفة لا تبرح منها ما دام حيا والذات الترابية حيث أراد الله تعالى من البلاد وعليه فتكون القطبية نزلت على الذات التى لا تبرح من مكة وفرق فى هذه الذوات باعتبار ما يختص به كل منهما وأى ذات اختصت بشىء من الترقيات والتجليات والفتوحات والأسرار وغيرها فى بلد فذلك الاختصاص سار لجميعها فالترابية وغيرها فى ذلك سواء فافهم ذلك وهذا من المعروف المقرر فى كتب الطريق ولا عبرة بمن ينكره ممن لم يذق ذوقهم ولم ينح نحوهم (وحيث) جرى ذكر هذا المقام أعنى مقام القطبانية العظمى وكان سيدنا رضى الله عنه ممن أهله الله للحلول بأقصى زراه بلا شك عندنا والحمد لله فلا بد من الالمام بشىء مما يشير إلى بيان حقيقته علما فنقول والله المستعان وهو سبحانه المستعاذ بجلاله من زلل القلم وفلتات اللسان (ذكر) الشيخ الامام جلال الدين السيوطى رضى الله عنه فى كتابه المتقدم الذكر حديث ابن مسعود رضى الله عنه ان لله عز وجل فى الخلق ثلثمائة قلوبهم على قلب آدم عليه السلام ولله فى الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام ولله فى الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام ولله فى الخلق واحد قلبه على قلب اسرافيل عليه السلام الحديث وقد تقدم فى المطلب السادس من مطالب المقدمة بلفظه وذكر أيضا فى هذا الكتاب بعد إيراد عدة أخبار ما نصه وقال بعض العارفين والقطب هو الواحد المذكور فى حديث ابن مسعود انه على قلب اسرافيل عليه السلام ومكانه من الأولياء كالنقطة فى الدائرة التى هى مركز ها به يقع صلاح العالم انتهى (وقال) الشيخ محيي الدين بعد كلام له فى القطبانية وقد يتوسعون فى هذا الاطلاق فيسمون كل من دار عليه مقام ما قطبا وقد يسمى رجل البلد قطبا وشيخ الجماعة كذلك ثم قال ولكن الأقطاب المصطلح عليهم لا يكون منهم فى الزمان إلا واحد وهو الغوث ثم قال بعد كلام وأكثر الأقطاب لا حكم لهم فى الظاهر وغير الأكثر قد يكون لهم الحكم والتصريف فى الظاهر كالباطن وذكر منهم العمرين رضى الله عنهما وعلى بن أبى طالب والحسين وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنهم أجمعين وذكر الشيخ محيي الدين أيضا رضى الله عنه أن القطب يسمى عند أهل الله تعالى عبد الله وعبد الجامع وان الامامين منه بمنزلة الوزيرين و يسمى الأيسر منهما عبد الملك والأيمن عبد ربه وكان أبو بكر رضى الله عنه عبد الملك وعمر بن الخطاب عبد ربه على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام سمى أبو بكر عبد الله وعمر عبد الملك والامام الذى ورث مقام عمر عبد ربه ولا يزال الأمر كذلك إلى يوم القيامة (ونقل) بعضهم

وإن كان من العوام فالجهر فى حقه أفضل والجهر للمختشى شر الشياطين انتهى وقد شبه الغزالى رحمه الله تعالى ذكر شخص واحد وذكر جماعة مجتمعين بمؤذن واحد وجماعة مؤذنين فكما أن أصوات المؤذنين تقطع جرم الهواء أكثر من صوت شخص واحد فكذلك ذكر جماعة على قلب واحد أكثر تأثيراً فى رفع الحجب من ذكر شخص واحد من حيث الثواب فلكل واحد ثواب ذكر نفسه وثواب ذكر رفقائه وأما قوله انه أكثر تأثيرا فى رفع الحجب فلأن الله تعالى شبه القلوب القاسية بالحجارة فى قوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك الخ ومعلوم أن الحجر لا ينكسر إلا بقوة فقوة ذكر جماعة مجتمعين على قلب واحد أشد من قوة ذكر شخص واحد قاله فى مفتاح الفلاح مع تقديم بعض وتأخير وانظر قوله أقال الله عثرته

والاعتدا فى لا يحب المعتدين* معناه رفع الصوت عند المهتدين كيف ادعى حصر الاعتداء فى الآية الكريمة فى رفع الصوت فكأنه يقول لا معنى للاعتداء فى الآية عند المفسرين إلا رفع الصوت وذلك باطل فان أكثر المفسرين على أن معنى الاعتداء الاعتداء فى الدعاء بسؤال منازل الأنبياء أو تكلف الفصاحة أو بالتشوق وفى الحديث ذم تكلف الفصاحة فى الدعاء وقال السيوطى فى الفتاوى والراجح فى تفسير الاعتداء أنه تجاوز المأمور به واختراع دعوة لا أصل لها فى الشرع وفى الكشاف على قوله لا يحب المعتدين أى

وإلى ذلك أشار بعضهم بقوله *والذكر أفضل سر اللآلى كملوا*

عن التوقيف على مهمات التعريف للشيخ عبد الرءوف المناوى رضى الله عنه ما نصه والامامان وزيران للقطب الغوث أحدهما عن يمينه ونظره إلى الملكوت وهو مرآة ما يتوجه من الركن القطبى إلى العالم الروحانى من الامدادات التى هى مادة الوجود والبقاء والآخر عن يساره ونظره إلى الملك وهو مرآة ما يتوجه منه إلى المحسوسات من المادة الحيوانية وهو أعلى من صاحبه فيخلف القطب إذا مات اه (وقال) الشيخ محيى الدين رضي الله عنه وقد جرت السنة الالهية فى القطب إذا ولى المقام أن يقوم فى مجلس من مجالس القربة والتمكين وينصب له فيه تخت عظيم لو نظر الخلق إلى بهائه لطاشت عقولهم فيقعد عليه ويقف بين يديه الامامان ويمد يده للمبايعة وتؤمر الأرواح الملكية والجن والبشر الروحانى بمبايعته واحداً بعد واحد ولا يبايعه إلا الأرواح المطهرة المقربة ومن جملة المبايعين له النباتات ومن صفاته عند الشيخ محيى الدين رضى الله عنه انه الممنوح بمعانى جميع الأسماء تخلقا وتحققا وهو مرآة الحق ومحل النعوت المقدسة ومحل المظاهر الالهية ومما وصفه به أيضا أن الغالب عليه الخفاء وانه محفوظ من خزائن الغيرة ملتحف بأردية الصون لا تعتريه شبهة ولا يخطر له خاطر يناقض مقامه كثير النكاح راغب فيه يوفى الطبيعة حقها على الحد المشروع له ويوفى الروحانية حقها على الحد الالهى وقال فى وصفه أيضا حاله العبودية والافتقار ويقبح القبيح ويحسن الحسن وقال فى وصفه أيضا إنه لا يرى من الأشياء إلا الوجه الحق فيها يضع الأسباب ويقيمها ويدل عليها ويجرى بحكمها ينزل اليها حتى تحكم فيه وتؤثر فيه (وقال) فى ذلك أيضا إن كان ذا دنيا وثروة تصرف فيها تصرف عبد فى ملك سيد كريم وإن لم يكن له دنيا وكان على ما يفتح الله لم تستشرف له نفس بل يقصد بنفسه عند الحاجة بيت صديق يعرض عليه حاجة طبيعته كالشفيع لها عنده فيتناول لها منه قدر ما تحتاج اليه وينصرف لا يجلس عن حاجته إلا لضرورة فاذا لم يجد لجأ إلى الله فى حاجة طبيعته لأنه مسئول عنها لكونه والياً عليها ثم ينتظر الاجابة من الله فيما سأله فان شاء أعطاه ما سأل عاجلا أو آجلا فمرتبته الالحاح فى السؤال فى الشفاعة فى حق طبيعته بخلاف أصحاب الأحوال فان الأشياء تكون عن هممهم وطرحهم الأسباب عن نفوسهم فهم ربانيون والقطب منزه عن الحال ثابت فى العلم مشهور فيه فان أطلعه الله على ما يكون أخبر به على جهة الافتقار والمنة لله لا على جهة الافتخار لا نطوى له أرض ولا يمشى فى الهواء ولا على ماء ولا يأكل من غير سبب ولا يطرأ عليه شىء من خرق العوائد مما ذكرنا إلا نادراً لأمر يؤيده الحق فيفعله لا يكون ذلك مطلوبا للقطب بجوع اضطراراً لا اختياراً أو يصبر على النكاح كذلك لعدم الطول يعلم من تجلى النكاح ما يحرضه على طلبه والتعشق به فانه لا يتحقق له ولا لغيره من العارفين عبودية أكثر مما يتحقق له فى النكاح فى حق الأقطاب والعارفين مما يطول بنا ذكره مع أن الفرض عندنا فى هذا المقام ما يشير إلى معرفة حقيقة القطبانية (ومن) كلام الشيخ سيدى على الخواص رضى الله عنه فى بعض أجوبته للعارف بالله تعالى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه ما نصه وأما القطبية فجلت أن يقوم مقامها الا أحوط إلا من اتصف بها وقد ذكر الشيخ محيى الدين سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه أن للقطب ستة عشر علما احاطيا الدنيا والآخرة ومن فيهما عالم واحد من هذه العوالم (ومن) الأجوبة المذكورة ان الله تعالى إذا أراد إنزال بلاء أو أمر شديد تلقاه القطب بالقبول والخوف ثم ينظر ما يظهره الله تعالى من ألواح المحو والاثبات وهى ثلثمائة وستون لوحا فان ظهر له المحو والتبديل نفذه بقضاء الله تعالى وامضاه

وأمضاه فى العالم بواسطة أهل التسليك الذين هم خاصته فينفذون ذلك غير عالمين أن الأمر مفاض عليهم من غيرهم و إن ظهر له أن الأمر ثابت لامحو فيه رفعه إلى أقرب عدد ونسبة منه وهما الامامان فيتحملانه ثم يرفعانه إن لم يرتفع إلى أقرب نسبة منهما وهم الأوتاد وهكذا حتى يتناول أهل الدائرة جميعا ثم إلى الافراد وغيرهم من العارفين إلى آحاد المؤمنين ومايحس به بعض الناس مما لايعرف له سببا من ذلك ثم قال فلو لم يحمل القطب وجماعته البلاء عن العالم لتلاشى العالم فى لمحة قال الله تعالى « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين » انتهى ببعض اختصار (وذكر العارف بالله) الشعرانى رضى الله عنه فى كتابه الميزان أن بعض المحققين قال ان القطب لايحيط بمقامة نفسه فضلا عن غيره وذلك لأن صفات القطبية فى العبودية تقابل صفات الربوبية فكما لاتنحصر صفات الربوبية لاتنحصر صفات العبودية ( وقد سئل سيدنا ) مولانا القطب الفردانى أبو العباس سيدنا أحمد بن سيدنا محمد التجانى رضى الله عنه عن حقيقة القطبانية فأجاب رضى الله عنه بقوله القطبانية هى الخلافة العظمى عن الحق تبارك وتعالى مطلقا فى جميع الوجود جملة وتفصيلا حيثما كان الرب إلها كان هو خليفة فى تصريف الحكم وتنفيذه فى كل من عليه ألوهية لله تعالى ثم قيامه بالبرزخية العظمى بين الحق والخلق فلا يصل إلى الخلق شىء كائنا ما كان من الحق إلا بحكم القطب وتوليه نيابته عن الحق فى ذلك وتوصيله كل قسمة إلى محلها ثم قيامه فى الوجود بروحانيته فى كل ذرة من ذرات الوجود جملة وتفصيلا فترى الكون كله أشباحا لاحركة لها وانما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلا وقيامه فيها فى أرواحها وأشباحها ثم تصرفه فى مراتب الأولياء فيذوق مختلفات أذواقهم فلا تكون مرتبة فى الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه فهو المتصرف فى جميعها والممد لأربابها وله الاختصاص بالسر المكتوم الذى لامطمع لأحد فى دركه والسلام ( قال ) رضى الله عنه ومعنى البرزخية العظمى قيامه بين الحق والخلق بالنيابة عن الحقيقة المحمدية واختصاصه أيضا بالتحقيق بأمر الله فى كل مرتبة من مراتب الوجود واعطائه لكل مرتبة حقية أو خلقية حقها بما تستحقه من الأدب وليس هذا لغيره من العارفين ولا لمفاتيح الكنوز فهو فى جميع هذه الأمور خليفة النبى صلى الله عليه وسلم دون جميع الأولياء و بالجملة فهو فى جميع المراتب بالنسبة لجميع العارفين ومن وراءهم بمنزلة إنسان العين من العين به يرحم الوجود و به تفيض الافادة على جميع الوجود و به يبقى الوجود فى بقاء الموجود اه بلفظه من الجامع و بعضه بمعناه ومثله فى الجواهر وفيهما أيضا عن سيدنا رضي الله عنه أن من أوصاف القطب أن يرى عالما كجاهل أبله فطنا آخذاً تاركا زاهداً راغباً سهلا عسيراً هيناً صعباً اه وفيهما أيضاً أن سيدنا رضى الله عنه سأل سيد الوجود صلى الله عليه وسلم عن مفاتيح الكنوز والقطب أيهما أعلى مرتبة فأجابه صلى الله عليه وسلم بأنه أعنى القطب أعلى منهم في مقامات ومراتب أورثه الله التجلى الكامل المحيط بالتجليات كلها وأورثه الاسم الأعظم بجميع احاطته وأورثه الله المدد من النبى صلى الله عليه وسلم بلا واسطة وأورثه مدد جميع الأولياء يكون على يده وتحريك الجمادات وتحريك كل حى والامارة على كل شىء والتعظيم على كل شىء اه المراد منه وفى آخره التصريح بأنه خليفة النبى صلى الله عليه وسلم فى جميع ماذكر ( ومن كلام سيدنا ) رضى الله عنه فيما يتعلق بالقطب وغيره من ذوى المراتب مانصه مراتب الرجال ثلاثة ( الأولى ) مرتبة العارفين وهى شهود الحق ( الثانية ) مرتبة الافراد

الدعاء وغيره أنظر شرح عدة حصن الحصين للفاسى وقال الثعالبى قوله تعالى « إنه لايحب المعتدين » يريد فى الدعاء وإن كان اللفظ عاما والاعتداء فى الدعاء على وجوه منها الجهر الكثير والصياح انتهى أنظر كيف وصف الجهر بالكثرة وعطف عليه الصياح فانه عطف تفسير وفى البغوى عن ابن جريج الاعتداء رفع الصوت بالنداء بالدعاء والصياح انتهى قلت ومن قال بالجهر من العلماء إنما يعنون به والله أعلم مالم يبلغ الحد الذى يسمى صياحا بحيث لاتحصل معه سكينة ولاوقار ومما يشهد لذلك قوله تعالى « ان أنكر الأصوات لصوت الحمير » لأن أوله زفير وآخره شهيق فالذى ينبغى أن يشبه بصوت الحمير من الجهر مابلغ حد الصياح أو قاربه وذلك مذموم عند الكل و إذا جاز الاجتماع للذكر بما قدمناه عن زروق وغيره فمن شروطه الجهر لما فى السر حينئذ من اساءة الأدب بالتخليط وغيره مما لايسوغ فى حديث الناس فضلا عن ذكر الله وكذلك تستحب فيه موازنة أصوات أهله كما قدمنا من كلام صاحب المفتاح وذلك أيضا لايكون إلا بالجهر وستأتى شروطه بمشيئة الله تعالى فى الباب السابع وأما قوله أفال الله عثرته وقال سيدى الورى اربعوا على أنفسكم وقال جل وعلا يخاطب ادعوا ربكم تضرعا وخفية أخف الدعا تورعا

فالحديث الكريم فسره غير واحد من العلماء فقالوا معناه ارفقوا واقصروا عن الصياح وهو دليل لنا لا له إذ لا يؤمر بالرفق فى الصوت إلا

يدل على فضيلة السر وقد قدمنا أنه أفضل لمن خاف الرياء والتصنع وأما من أمن ذلك فالجهر أفضل له كما مر وذلك من اختلاف الأحوال الذى جمعوا به بين ماورد فى استحباب الجهر وما ورد فى استحباب السر وأما قوله أقال الله عثرته

فرب مدح كان فى نبى

منشؤه من النداء الخفى فيعنى به زكرياء عليه السلام فى قوله تعالى «إذ نادى ربه نداء خفيا» وليس فيه ماينهض له حجة على منع الجهر فى الذكر المجتمع له إذ هو واحد والمسئلة مفروضة وواقعة فى ذكر الجماعات وأيضا فيها احتمالات أخر كما للثعالبى قال فأما دعاء زكرياء فانما كان خفيا لوجهين أحدهما أنه كان ليلا والثانى أنه ذكر فى دعائه أحوالا تفتقر إلى الاخفاء كقوله «وإنى خفت الموالى من ورائى» وقال البيضاوى إنما كان خفيا لئلا يلام على طلب الولد فى ابان الكبر أو لئلا يطلع عليه موالية الذين خافهم أولأن الهرم أخفى صوته انتهى وإذا تطرق الاحتمال سقط الاستدلال وعامة من فضل السر على الجهر انما هو لخوف الرياء والتصنع وليت هذا المنكر لم يداخله رياء فى عمل من أعماله إلا أحيان جهره بالذكر فيريح ربحا عظيما وليته سلم من مناقشة ماداخله منه فى إنكاره ومافقده فيه من وجود الاخلاص بحرصه على إخلاص أعماله أولى له من حرصه على إخلاص أعمال من يجهر بالذكر وحرصه على تخليص نيته من شوائب التصنع والانتصارات النفسانية ورياسة العلم الشيطانية أهم الأبد

وهى شهود الحق لا فى المراتب (الثالثة) مرتبة القطب وهى فى غيب الغيب مكتومة لا تذكر ولا يعرفها إلا صاحبها وهو القطب الجامع لأن له المرتبتين السابقتين وهى شهوده للحق فى المراتب للتصرف فى الكون وفى غير المراتب أيضا وله هذه المرتبة المكتومة لا يشاركه فيها غيره اه وعن سيدنا رضى الله عنه أن مما أكرم الله به قطب الأقطاب أن يعلمه علم ماقبل وجود الكون وما وراءه ومالا نهاية له وأن يشهده الذات بعين الذات وأن يعلمه جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من الوجود وهى الأسماء العالية وأن يخصصه بأسرار دائرة الاحاطة وجميع فيوضه وماحتوى عليه وبهذه خص عن رؤس الافراد الذين هم مفاتيح الكنوز ولا يعلمون أنها خاصة به إلا أهل دائرة الاحاطة فانهم يعلمون أنه خاص به وأما مشهده فلا علم لهم به لأنه يدخل الحضرة من باب المخدع وهو محجوب عنهم اه ونسبه سيدنا رضي الله عنه للشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه (وفى جواب سيدنا) رضى الله عنه لمن سأله عن حقيقة الولى التصريح منه رضى الله عنه بأنه لا يحيط بمعرفة أحكام الشريعة وجميع العلوم التى تحتاج إليها الناس إلا القطب الجامع لأنه هو الحامل للشريعة فى كل عصر ولو كان أميا لم تسبق له قراءة اه وهذا أيضا من أوصاف القطب وخصائصه (وفى بعض أجوبة سيدنا رضى الله عنه) التصريح بأن قطب الأقطاب منذ جلوسه على كرسى القطبانية لا تقع بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم حجابية أصلا وحيثما جال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حضرة الغيب ومن حضرة الشهادة إلا وعين قطب الأقطاب متمكنة من النظر إليه لا يحتجب عنه فى كل لحظة من اللحظات اه وفى بعض أجوبته أيضا رضي الله عنه أن من خصائص قطب الأقطاب الأمن من السلب بخلاف من عداه من الأولياء إلا من كان عنده الاسم الأعظم أو ضمنه شيخ كامل اه وفى أجوبة سيدنا رضى الله عنه وكلامه غير هذا مما يشير إلى حقيقة القطبانية وصفات القطب وأحواله وما خص به فى مرتبة خلافته عن الله تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من نعوت كماله وفى هذا الذى نقلناه من ذلك كفاية والله ولى التوفيق والهداية وإذا عرفت أن مقام القطبانية أجل المقامات وأن صاحبه فى كل زمان هو الجامع لما للأولياء والعارفين فى ذلك الزمان من الأحوال والأسرار والكرامات فيجب أن تعرف أن الأقطاب وان اشتركوا فى ادراك هذا المقام والوصول إليه فهم متفاوتون فيه بقدر مااختص به كل واحد منهم فى ترقيه لما حواه وجمعه من الرتب والدرجات واشتمل عليه وأعلى الاقطاب درجة فى هذا المقام الأقعس وأرفعهم مكانة فى هذا المشهد الأقدس هو من بلغ منهم مقام الختمية الأجل الأنفس وهو المقام المسمى بختم المقامات عند الخاصة من الرجال ولم يرتقه إلا أفراد من فحول هذا المجال (قال) شيخنا الختم الأكبر وهو القطب المكتوم الأشهر سيدنا ومولانا أبو العباس التجانى رضى الله عنه عند كلامه على الصفات الجليلة المقدسة جلت وعلت بعد كلام فى ذلك مانصه ولهذا قال الشيخ الكامل مولانا عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه من ألف البهاء من الله تعالى ولم يطالع إلا صفات الجمال لا يثبت لبدوّ العظمة والكبرياء اه ثم قال شيخنا رضي الله عنه معناه لا يثبت لذلك إلا أكابر الرجال لا العارفون فان أكملهم وهو القطب الكامل لا يتجلى له حقيقة الكبرياء إلا بعد بلوغه للرتبة العليا من القطبانية وذلك المقام يسمونه ختم المقامات ولم ترتقه من الأقطاب إلا القليل لبعد مرامه فاذا ارتقاه القطب ووصله فهنالك يتجلى له الحق بالكبرياء الذاتى ولا يزال مرتقيا فيه إلى

الأبد ولو تجلى بذلك الكبرياء بمقدار ذرة منه لجميع العارفين والصديقين لصاروا هباء منثوراً فى أسرع من طرفة العين ولا يقدر عليه إلا القطب الجامع لكن بعد بلوغه لمقام الختم وقبل بلوغه لا قدرة له عليه (قال) مولانا على كرم الله وجهه المعرفة كشف سحاب الجلال وغايتها الدهش فى كبرياء الله تعالى اه أراد الله بغايتها مقام الختم فى القطبانية فهو غاية الغايات اه كلام شيخنا رضى الله عنه ونفعنا بعلومه وأسراره وهذا المقام أعنى مقام الختم فى القطبانية لم يكن إلا بحكم الارث من النبى صلى الله عليه وسلم بعده لمن اختصه الله بذلك من الاقطاب المحمديين المتخلقين بالأخلاق الثلاثمائة التى من تخلق بواحد منها دخل الجنة وهم أكابر هم أقطاب أهل الولاية الباطنة الخاصة إذ الولاية من حيث هى على قسمين ظاهرة وباطنة فالظاهرة لأهل الأمر والتصريف الظاهر وهى معروفة وهذه الولاية تختم على الامام العدل المسمى المنتظر الذى يظهره الله آخر هذه الأمة حسبما هو مشهور من خبره والباطنة لأهل التصريف الباطن وهذه الباطنة تنقسم الى قسمين أيضا عامة وخاصة فالعامة من آدم الى سيدنا عيسى عليه السلام وعليه تختم حين ينزل فى آخر الزمان والخاصة هى من نبينا صلى الله عليه وسلم الى الختم الأكبر الذى يختم عليه مقامها وينتهى اليه مرامها والأقطاب المخصوصون بادراك مقام ختم القطبانية هم أهل الولاية الباطنة الخاصة حسبما سبقت الاشارة اليه ويسمى كل واحد ممن بلغ مقام الختمية بمعنى من المعانى المتقدمة بالختم وبالخاتم كذلك أيضا وهو أى الختم بالمعنى الأول الذى هو من بلغ الرتبة العليا من القطبانية واحد لكن فى زمانه خاصة لأن القطب من حيث هو واحد فى زمانه وعلى هذا فلا إشكال فى قول من قال إن لكل زمن ختما إلا أنه ليس المراد أنه لا يخلو زمان عنه وإلا لزم أن يدرك كل واحد من الاقطاب هذه الدرجة بل المراد أنه يتعدد وجوده من يبلغ هذه الدرجة فى الأقطاب بمعنى أنه يأتى على رأس كل مدة من يصل ذلك المقام كما ورد فى المجدد من أنه يكون على رأس كل مائة سنة فيصح أن يقال لكل زمن مجدد لاعتبار أنه لا يخلو منه زمان فافهم ذلك والختم بالمعنى الثانى الذى هو الامام الذى يبعثه الله فى آخر الزمان حكما عدلا واحد فى الزمان بلا شك عند القائل به وعليه أهل الكشف رضى الله عنهم والختم بالمعنى الثالث وهو الذى تختم عليه الولاية العامة الباطنة فهو واحد كذلك أيضا وهو سيدنا عيسى عليه السلام وأما الختم الأكبر الذى هو ختم الولاية المحمدية فهو واحد أيضا فى الزمان لا يكون منه إلا واحد من عصر النبى صلى الله عليه وسلم اليه يختم الله به الولاية المحمدية أعنى الباطنة وقد تقدم لنا فى الكلام على البيت الثانى من هذه المنظومة أن معنى ختم هذا المقام عليه أنه لا يظهر بكمال الظهور الذى ظهر به فيه أحد قبله ولا بعده وهو أعنى الختم الاكبر على قلب خاتم الأنبياء عليهم السلام (ومن علاماته) أنه يحقق مواجيد الاولياء كلهم ويختص عنهم بوجده كما حقق خاتم الأنبياء مواجيد الاولياء كلهم واختص عنهم بخصوصيته فافهم انتهى نقله الشعرانى رضى الله عنه فى طبقاته عن الاستاذ الكبير سيدى محمد وفا رضى الله عنه (وقد) ذكر هذا الختم غير واحد من الأئمة الكبار رضى الله عنهم وأول من ذكره تصريحا فيما وقفنا عليه علم الاعلام المشهود له من كمل العارفين كالحاتمى والشاذلى رضى الله عنهما بالذوق التام الشيخ الامام المحدث الصوفى أبو عبد الله سيدى محمد بن على الترمذى الحكيم رضى الله عنه فقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى غير ما كتاب من كتبه أنهم أنكروا عليه بسبب تأليفه فى الختم وفى علل الشريعة وشنعوا عليه فى هذين الكتابين وقالوا له فضلت الاولياء على الانبياء وأغلظوا عليه فألقى

طبيب يداوى الناس وهو مريض

وما بلغ مرتبة الانكار حتى يكون أهم فى حقه من غيره من سائر الحقوق وأحرى فرض عينه فليتق الله وليتب وأجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس ولله در سيدى عبد الله بن أحمد دام حيث يقول فى شأن هذا المنكر وأشباهه

وإذا لم يكن لديك نصاب
فليزك المرء ذو الاذواد
إن نكرا نكير من ليس أهلا
فقمين بالعزل ترك الجلاد

وأما قوله سامحه الله

وكان مالك يقول أمجا
نين هم اذليل جهلهم دجا

فقد قاله مالك رحمه الله فى أصحاب الرقص والسماع وهذه الطائفة التجانية المحروسة بعين الله تعالى ليس من شأنها الرقص ولا السماع وان نقل عن بعضهم فلا يقتضى ذلك أن مبنى أمرهم عليه وان فعله ذلك الواحد وكان ممن يحسن الظن به فلعله لغلبة الحال والانكار لا يتجه له لأن المغلوب معذور فى كل الاحوال وأحرى أن يتجه لغيره وإن كان عاميا لا يليق به ذلك فهلا نسبه اليه وترك جانب الشيخ ولا تزر وازرة وزر أخرى وبالجملة فهذه الطائفة التجانية كغيرها من الطوائف فيهم المفضول والفاضل والعالم والجاهل والناقص والكامل والمتمكن والواصل ومن هو دونه بمراحل فحكمه على الطائفة كلها بما نقله أو شاهده من عامى عن الصواب بمعزل ومن التحامل وسوء الظن فى أسوأ منزل ولله در القائل الاديب سيدى عبد الله بن أحمد دام حيث يقول فى ذلك

أما الذين تعاطوا ورده فلقد * أعيا على العد حصراً منهم العدد
وليس يعدم فى الاعراج غص بها * فيبح الفلاعرج فى البعض أو حرد
ان يأت منتسب ينهى اليه بما * يخالف الحق عن الوالد الولد
فاردد عليه بمضمون اللائة فى * قيد عن الشيخ لا يجمع بك العدد
سم وحى فلا تذهب لتلعقه * ان العقول عن أسباب الردى صفد
والله يحسن ما آبه انه ولى الاجابة ولقد استوجب أن يسمى بامام المنصفين فى هذا الزمان فى هذا الشيخ لما أهله الله له من الانصاف الذى هو من شأن الكرام والأشراف ثبتنا الله وإياه بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قوله سم وحى بواو مفتوحة وحاء مكسورة على وزن غنى أى يسرع بالهلاك اشارة إلى قولهم لحوم الأولياء مسمومة وقوله صفد أى وثاق وقيد واحد الاصفاد وهى القيود يعنى أن العقل إنما سمى عقلا لأنه يمنع صاحبه ويقيده عن أسباب الهلاك وفى قوله هذا ثبته الله تعالى إشارة لطيفة إلى أن العقل يمنع من الانكار على الأصفياء أى لا يدعو اليه بل ينهى عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم ما اكتسب المرء مثل عقل يهدى صاحبه إلى هدى أو يرده عن ردى وقد علمت بما ذكرنا فى الباب الثالث أن الشرع يمنع منه من ليس أهلا والله تعالى ولى التوفيق * وهو الهادى إلى سبيل التحقيق

## ﴿ الخاتمة ﴾

وهى مشتملة على خمس تنبيهات * التنبيه الأول

الكتابين فى البحر فابتلعتهما سمكة ثم لفظتهما وانتفع بهما وأما الشيخ محيى الدين رضى الله عنه ذكره فى عدة مواضع من كتابه الفتوحات المكية وألف فيه بالخصوص كتابه الذى سماه عنقاء مغرب فى شمس الأولياء وختم المغرب وقد طالعته فاذا هو كاسمه غريب وله فيه الرمز المعمى واللسان العجيب وكذلك الشعرانى رضى الله عنه فى اليواقيت والجواهر وفى الطبقات وغيرها إلا أنه كثيراً ما يلتبس الكلام فى الختم الأكبر بالكلام فى ختم الولاية الظاهرة وخصوصاً فى كلام صاحب الفتوحات بحيث يشكل ذلك إلا على من يفرق بين المقامين ويميز بين الحقيقتين (وقد ادعى هذا المقام) أعنى مقام الختم الأكبر جماعة من الصادقين فى الأحوال قاله الشعرانى رضى الله عنه (وممن ادعاه وظن أنه له حين رآه) الشيخ محيي الدين رضى الله عنه وادعاه له أيضاً بعد وفاته جماعة لما رأوا له نثراً ونظماً من الكلام الحاتم حول ذلك المقام والتحقيق أنه رجع ذلك فى آخر أمره وأخبره أنه أعلم أنه ليس له ما ظن وإنما هو لغيره وكلامه فى غير ما موضع من الفتوحات صريح فى أنه غيره وذكر فيها أنه اجتمع به يعنى اجتماعا برزخيا وأطلعه على العلامة التى أخفاها الله منه وذكر أنه رآه مبتلى بالانكار عليه لما يتحقق به من العلم فى سره وهذا لا ينافى ما نقل عنه من أنه طالما جال ببصيرته الخ لأنه لا يبعد أن يكون الله تعالى أراه إياه ليتحقق وجوده عياناً أو لغير ذلك مما تقتضيه حكمته تعالى فى ذلك الاجتماع ويستر عنه اسمه وبلده لأمر آخر اقتضته مشيئته وحكمته تبارك وتعالى وممن ادعاها أيضا الأستاذ سيدى على وفا لوالده الأستاذ سيدى محمد وفا رضى الله عنهما حسبما نقله الشعرانى رضى الله عنه لكنه أتى بعده بما هو صريح فى أنه لم يقره وجنح فيه بحسب الظاهر إلى ما ينحو منحى التأويل (وادعاها) أيضا الامام الجليل سيدى محمد بن سليمان الجزولى مؤلف دلائل الخيرات وكذلك الشيخ العارف بالله الصفى القشاشى حسبما حكاه فى الرحلة العياشية وقد تقدم لنا مما فى طى رمز أول الكلام على أبيات هذه المنظومة أن الخاتم الأكبر المحمدى هو شيخنا وسيدنا وأستاذنا وإمامنا الشيخ الكامل والقطب الشامل مولانا أبو العباس التجانى رضى الله عنه فقد ثبت عنه رضى الله عنه من طريق الثقات الاثبات من ملازميه وخاصته أنه أخبر تصريحاً على الوجه الذى لا يحتمل التأويل أن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أخبره يقظة بأنه هو الخاتم المحمدى المعروف عند جميع الأقطاب والصديقين بأن مقامه لا مقام فوقه فى بساط المعرفة بالله وهذا الختم هو المتلقى بجميع ما يفيض من ذوات الأنبياء عليهم السلام من الامداد وهو المفيض لتلك الامداد على جميع الاولياء وإن لم يعلموا به إلى غير ذلك من فضائله العظام ومزاياه التى لا ترام ولم يطلع صاحب الجامع على هذا لأنه لم يفش التحدث به من سيدنا رضى الله عنه إلا بعد وفاته وممن تلقاه من شيخنا رضى الله عنه الشريف المبجل المنيف صاحبه وملازمه مولانا أحمد الودغيرى السجلماسى المعروف بالفلالى وكتبه من املاء سيدنا رضى الله عنه بخطه حسبما وقفنا عليه (وبالجملة) فقد أجمع على إثبات هذا المقام لشيخنا رضى الله عنه جميع من لازمه إلى وفاته رضى الله عنه ولم يختلف منهم اثنان فيه حتى استفاض ذلك على ألسنة الخاص والعام من الأصحاب والاخوان فى سائر البلدان فلا يلتفت لنفى من نفاه كائنا من كان (وقد ذكر العلماء) فى فن الأصول من وجوه الترجيح أن المثبت مقدم على النافى لأن معه زيادة علم (وقد تقدم) أن معنى الختمية فى هذا المقام هو أنه لا يظهر فيه أحد بالكمال الذى ظهر به فيه هذا الختم رضى الله عنه وليس المراد أنه لا ولى بعده لأن ذلك إنما هو معنى الختمية فى مقام النبوة والرسالة فانه

ختم

ختم على نبينا صلى الله عليه وسلم فلا نبى ولا رسول بعده ومعنى الختمية فيه هو أن لا يظهر أحد فى ذلك المقام بعده أصلا (وأما معنى الختمية) فى مقام الولاية الظاهرة والباطنة بقسميها فهو ما ذكرناه من أن معناه أن لا يظهر أحد فى ذلك المقام قبله ولا بعده بالظهور الذى ظهر به فيه من الكمال فافهم ذلك (ومما يدل المحب المنصف) على أن سيدنا رضي الله عنه هو صاحب هذا المقام الاعظم بلا ريب الصلاة هى التى إحدى الاذكار التى قامت عليها وظيفته اللازمة فى طريقه وهي الصلاة المسماة بجوهرة الكمال لأنها ظاهرة الدلالة عند من خصه الله تعالى بذوق أسرارها ومعانيها ولاح له شيء مما فى طى رموز مبانيها على أن لسيدنا رضى الله عنه الحقيقة المحمدية المشرب الخاص الذى لم يحك مثله عن أحد من كمل أهل الاختصاص ومن ثم استعد لما استعد له من تلقى الامدادات الفائضة من ذوات المرسلين واستحق النيابة الكاملة عن سيد الخلائق أجمعين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وصحابته الاكرمين وقد أشار الى هذا أخونا وسيدنا العارف بالله تعالى سيدى عبيدة بن سيدى محمد الصغير فى شرحه للصلاة المذكورة الذى أبدى فيه بعض أسرارها المكنونة وخفاياها المستورة جزاه الله خيراً ونفعنا ببركاته (وقد كنت فاوضت) فى هذا المقام بعض الاصحاب الموفقين فقال لى ما معناه إن فى رجوع الشيخ رضى الله عنه باذن من النبي صلى الله عليه وسلم الى صلاة الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق عن غيرها من صيغ الصلوات وجعلها بخصوصها أحد الاذكار القائم منها ورده اللازم لطريقته مع الامكان إشارة الى أن صاحب هذه الطريق هو الختم المحمدى على التحقيق فوقع كلام هذا الصاحب من قلبى موقع القبول فلما وقفت على كلام السيد المتقدم الذكر فى شرحه على الجوهرة زاد موقعه أعنى كلام ذلك الصاحب من قلبى وتأيدت به إشارته السنية لدى ولاسيما وقد كنت أسمع بعض أصحاب سيدنا وخاصته رضى الله عنه كثيراً ما يقول فى صلاة الفاتح لما أغلق هذه الصلاة فيها سر الطريق اه فافهم فتح الله بصائرنا ونور بأنوار معرفته سرائرنا وأرانا الحق حقا وألهمنا فى متابعته رشداً وصدقا آمين ولمعرفة هذا ومثله مما خص به سيدنا رضى الله عنه فى مقام القطبانية يظهر لك مصداق قول شيخه الشيخ محمود الكردى رضى الله عنه لك أكثر منها يعنى القطبانية (واعلم أن هذه الختمية) بالمعنى السابق لما كان مقامها مختصا بمن يختص بمقام الكتمية الآتي ما يشير اليه فى الأبيات بعد هذه تداخل الكلام فى حقيقتيهما بحيث تلتبس الحقيقتان على الناظر فى ذلك الكلام فيظن أنها حقيقة واحدة وقد عرفت بحمد الله تعالى ما يشير الى حقيقة الختمية مما تقدم وسنذكر لك مما يشير الى حقيقة الكتمية فى الكلام على البيتين المواليين لهذه ما تعرف به الفرق بين الحقيقتين والله الموفق بمنه فنقول قال الناظم رحمه الله تعالى

﴿ وبعد شهر وليال ارتقى * الى مقامه العزيز المنتقى ﴾
﴿ مقامه المكتوم عن كل الورى * سوى النبي ما وراءه ورا ﴾

الارتقاء الاستعلاء والصعود فى سلم ونحوه والمنتقى المختار والمكتوم المخفى المستور ووراءه خلف يقول وبعد أن مضى لسيدنا رضى الله عنه من بلوغه مقام القطبانية العظمى شهر وليال ارتقى فى درجات مقام قطبانيته الاكمل الى أن حل مقامه العزيز المختار له فى الأزل وهو مقام الكتمية الذى أخفى الله تعالى كنه حقيقته عن جميع الخلق ولم يطلع عليه إلا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وصاحبه المختص به بحكم اختيار الملك الحق وهو المقام الأخص الأرفع الذى ليس فوقه

رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة إنكار الكرامة وإنكارها كفر أو قريب منه * التنبيه الثانى المقصود من الرد ثلاثة أمور أحدها إظهار الحق ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة فهو حاصل وإن لم يرجع المنكر وقد قدمنا عن الحصونى لو قرأت التوراة والانجيل والكتب السماوية على المنكر ما رجع عن إنكاره ثانيها أنى خفت أن يفتن مسلم لا بصيرة له بأمر هذا الشيخ فيغتر بما سطره هذا المنكر فى شأنه أو يجعله من لا علم عنده دليلا ليستند إليه عماية وجهالة دون حق ولا حقيقة وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا وثالثها الذب عن الدين بالانتصار لأهله وفى الحديث من نصر أخاه المؤمن بظهر الغيب نصره الله فى الدنيا والآخرة وفيه بجلوا المشايخ فان تبجيلهم من تعظيم جلال الله وقد قالوا من كرم الكريم الدفاع عن الحريم وفى الخبر الخير بالخير والبادى أكرم والشر بالشر والبادى أظلم وما ربك بظلام للعبيد ومن كلامهم من لا كلب له أكلته الكلاب وذل من لا سفيه له ومن طعن فى نسبك كيف لا تطعن فى صدره ومن قرىء عليه صك فيه هجو أبيه والطعن فى نسبه وهو يعلم نفى ذلك عنه أو داعى عليه بجناية فسكت بسكوته يدل على عجزه أو رضاه قال ابن العربى فى أحكامه قد مدح الله الانتصار ومدح العفو

 ولكل محل فان كان الباغى معلنا فى الفجور وقحا فى الجهور مؤذيا للصغير والكبير

فتنة لا تتعدى أو يعترف بالزلة و يسأل العفو فالعفو هنا أفضل وفى مثله نزلت وأن تعفوا أقرب للتقوى انظر ضياء التأويل فى معانى التنزيل وقال الشافعى من استغضب ولم يغضب فهو حمار وأما قوله صلى الله عليه وسلم لا تغضب فمعناه لا تفعل موجبات الغضب أو سلك به صلى الله عليه وسلم سبيل أبى ضمضم حسبما رأى من حاله والا فقد رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا وقد وصف الله تعالى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بالشدة والحمية فقال أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم والغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهى تنشأ عن الغضب فتفقد قوة الغضب أصلا نقص يؤل إلى طرق التفريط وهو مذموم وغلبتها حتى تخرج عن سياسة العقل والدين يؤل إلى طرق الافراط وهو مذموم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التى كلف الله بها عباده وهو غضب ينتظر إشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية و ينطفى حيث يحسن الحلم انظر الاحياء للغزالى والدليل واضح على وجوب الدفع أو جوازه عن العرض والدين لاسيما ممن يقتدى به قوله تعالى فى قصة يوسف لما رمته امرأة العزيز بالتهمة وهو منها برىء حيث قالت «ما جزاء من أراد بأهلك سوأ» الآية فرد عليها ولم يقبل ما ليس له أهلا لعلمه أنه سيقتدى به والمقتدى به ينبغى له الكمال وتجنب

من مقامات العارفين والصديقين مقام إلا ما ثبت للصحابة الكرام الذين ليس فوقهم فى الفضيلة والسبق إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعقد الناظم فى هذين البيتين ما أشار إليه فى الجامع من أن سيدنا رضى الله عنه حل هذا المقام أعنى مقام الكتمية فى صفر العام قبله لثمان عشرة خلت منه وعليه فيكون حلوله فى مقام القطبية فى أول المحرم من هذا العام هذا والذى أحفظه من مذاكرة بعض الخاصة الفضلاء من أصحاب سيدنا رضى الله عنه أنه رضى الله عنه حل هذا المقام أعنى مقام الكتمية عام ثمانية عشرة من المائة المذكورة وهى الثالثة عشر وبعضد هذا الذى نحفظه عن السيد المذكور كون مؤلف جواهر المعانى إنما فرغ من تأليفه أواسط ذى القعدة من العام المذكور فيكون قد تأخر فراغه منه عن وقت بلوغ سيدنا رضى الله عنه هذا المقام على مقتضى التاريخ المذكور بنحو الثمانية أشهر ولم يسافر عن الشيخ رضى الله عنه ولم يفارقه إلى عام خمسة عشر وهو لم يذكره أعنى هذا المقام فى جواهر المعانى ولم يعرج عليه فيه بشىء وهذا مما لا يمكن أن يصدر منه رضى الله عنه لشدة اعتنائه التى لم يسبقه فيها غيره بلاشك فظهر أن ما فى النسخ الموجودة من الجامع تحريف من النساخ لاغير إذ لم يعثر أحد بفاس وما بازائها على نسخة مؤلفة ولا على نسخة مصححة من الأصل ليعرف ذلك وأما ما يشير إلى بيان حقيقة هذا المقام أعنى مقام الكتمية الذى اختص به سيدنا رضى الله عنه دون جميع أهل الرتب السنية ( فاعلم ) أمدنى الله وإياك بنور الايمان والتصديق أن القطب المكتوم على ما يفيده كلام أهل التحقيق قطبان (الأول) هو القطب الذى يظهره الله إماما عدلا بالولاية الظاهرة فى هذه الأمة آخر الزمان وهو غير الامام المنتظر لأن الامام المنتظر غير قطب وهذا هو الذى اطلع الشيخ محيي الدين على اسمه وبلده ونسبه ووقع له التعريف من الله تعالى بجميع أحواله ثم وقع له النهى عن افشاء ذلك فسماه مكتوما من عند نفسه بسبب نهيه عن افشاء أمره (والثانى) هو القطب المكتوم الذى تحدث الأولياء والأقطاب به وطالما تمنى كل واحد منهم مقامه ولا يعثر واحد منهم على ما يحقق التعريف به وغاية ما اطلعوا عليه أنه يكون فى آخر الزمان بالمغرب وكثيرا ما يذكرون لفظة المكتوم مقرونة بلفظة الختم لما قدمناه من تداخل الكلام فى الحقيقتين مع قيام وصفهما بموصوف واحد وانظر إلى ما ترجم به الشيخ محيي الدين كتابه الذى ألفه فى ذلك حيث قال فيما ترجمه به عنقاء مغرب فى ختم الأولياء وشمس المغرب فلفظ ختم الأولياء ظاهر الدلالة على الختم المذكور وعطفه عليه قوله وشمس المغرب فيه إيماء إلى مقام الكتمية لأن الشمس لا تبصر حقيقتها لشدة أشعة أنوارها فكأنه قال فى ختم الأولياء المعلوم الذى هو القطب المكتوم والذى يؤيد أنه أوما بشمس المغرب إلى مقام الكتمية هو ما ذكره فى الفتوحات المكية فى الكلام على حديث لا تزال طائفة من أهل المغرب ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة بعد ذكره لباب التوبة وان غلقه فى ذلك الوقت المعلوم رحمة بالمؤمن وويال على الكافر لأنه لا يرتد من بعد ذلك كما أنه لا ينفع نفسا إيمانها حينئذ ونصه وإنما جعله الله بالمغرب لأنه محل الأسرار والكتم وهو سر لا يلهمه الله إلا أهل الاختصاص انتهى المراد منه هنا فصرح بأن الغرب محل الكتم كما أضاف فى الترجمة الشمس المعطوفة على الختم إلى المغرب فاعرف ذلك (وقد ذكر) سيدنا رضى الله عنه فى مزايا القطب المكتوم التى اختص بها أن الحق يتجلى له فى اللحظة الواحدة مائة ألف تجل يعطيه فى كل تجل ما يعطيه لأهل الجنة مائة ألف مرة أو أو أكثر و يؤدى وظائف كل تجل وحده فى تلك اللحظة ثم فى اللحظة الثانية يتجلى له بما يصير جميع

ماتقدم من التجليات بالنسبة إليه جزء من مائة الف جزء من تجل واحد منها وهكذا في اللحظة التي بعدها إلى مالا نهاية له ومن مزاياه التي اختص بها في هذا المقام انه وقفة ومقابلة في الحقيقة المحمدية لم تكن لأحد من الأكابر رضي الله عنهم أجمعين (ومنها) أن مايفيضه كل قطب في زمانه من الأمداد على جميع العوالم الخلقية انما هو بواسطته لكن لم يروها لأنها محجوبة وهو يستفيض من الحقيقة المحمدية فيما يفيضه على كل قطب مدة حياته وفيما يفيضه على العوالم الخلقية في زمانه بلا واسطة إلى غير ذلك من مزاياه العظام (وأما) وجه تسميته مكتوما فلأن له مرتبة باطنة لا يعلم حقيقته في تلك المرتبة أحد إلا الله تبارك وتعالى وسيد الوجود صلى الله عليه وسلم وذلك لأن له نسبة من الحقيقة المحمدية وهي مرتبته صلى الله عليه وسلم التي لم يطلع عليها أحد ولا يعلمها إلا الله تعالى وصاحبها صلى الله عليه وسلم (قال) سيدنا رضي الله عنه وهذا الحكم لها في الدنيا والآخرة وكذلك حقيقة هذا القطب المكتوم لها هذا الحكم المذكور في الدنيا والآخرة وهذا هو معنى الكتمية وهو الذي أشار اليه الناظم بقوله مقامه المكتوم إلى آخر البيت فلله دره فقد أشار إلى حقيقتها بما يميزها عن غيرها بلاريب وقال سيدنا رضي الله عنه فيما يشير إلى شفوف مرتبة الكتمية نسبة الأقطاب معه يعني القطب المكتوم كنسبة العامة مع الأقطاب لأن مقامه في غيب الغيب لاعلم لهم به لا في الدنيا ولا في الآخرة وقال سيدنا رضي الله عنه ليس مرتبة كاملة من كل وجه وصاحبها محيط بجميع المراتب الا له صلى الله عليه وسلم وللقطب المكتوم فان مرتبته يعني بين مراتب الأولياء جامعة ومحيطة بجميع المراتب اه وهذا أيضا مما يصدق اشارة شيخه الشيخ محمود الكردي رضي الله عنه لما قال له سيدنا رضي الله عنه مطلبي القطبانية العظمى فقال له لك أكثر منها ومن ذلك أنه رضي الله عنه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجمع الله له بين القطبانية والفردانية فضمن له صلى الله عليه وسلم ذلك ذكره في الجامع ورأيته بخط الخليفة المعظم سيدي علي حرازم في بعض تقاييده والمراد والله تعالى أعلم أن يجمع له ما اختص به الأقطاب عن الافراد مع ما اختص به الأفراد عن الأقطاب فانهم يفضلونهم من جهة وهم كذلك أيضا حسبما هو مذكور في جواهر المعاني عن سيدنا رضي الله عنه (ومقام الأفراد) بين الصديقية والنبوة ونظيرهم من الملائكة الأرواح المهيمون في جلال الله قاله الشيخ محي الدين ثم قال وقد جهلهم أكثر الناس من أهل طريقنا كأبي حامد وأمثاله لأن ذوق مقامهم عزيز اه إلى غير ذلك مما زاد به سيدنا رضي الله عنه من الخصوصيات والفضائل على غيره من الأقطاب الواصلين والعارفين الكاملين المكملين رضي الله عنهم أجمعين ثم أراد الناظم أن يذكر زمن وفاة سيدنا رضي الله عنه بحضرة فاس وانه لم ينتقل منهما بأهله بعد أن استوطنها إلا إذا سافر إلى الصحراء بنفسه فقط فأشار إلى ذلك فقال

﴿ وسافر الشيخ إلى الصحارى * بنفسه من بعد ذا مرارا ﴾
﴿ وعمر شيخنا العلي فضلا * ومنصبا حوى بهاء كملا ﴾
﴿ وحين مات شيخنا ذو الشان * مات الامام العارف الرباني ﴾

الصحارى هذا بفتح الراء جمع صحراء وهي البرية تجمع على صحارى بكسر الراء مثقل الياء لأنك تدخل الف الجمع بين الحاء والراء وتكسر الراء كما تكسر ما بعد ألف الجمع في نحو مساجد ودراهم فتنقلب الألف الأولى التي بعد الراء ياء للكسرة التي قبلها وتنقلب ألف التأنيث ياء أيضا لكسرة ماقبلها فتجتمع يا آن فتدغم إحداهما في الأخرى ويجوز التخفيف مع كسر الراء

لا يغتر مغتر بمثل ماسطرناه في شأن هذا الفقيه فانه أحوجنا إلى ذلك بهتك الحريم وتطاوله على بنيان هذا الشيخ العظيم والله أعلم بنيته واستغفر الله تعالى إن كان محقا في رده وإنما دافعت عن شيخ بريء من تهم رمى بها ورددت عليه بحسب ماعلمته من حاله فلا يغتر جاهل بذلك فيجعله ذريعة لاستطالة لسانه على العلماء العاملين المنكرين بحق وهم الذين ظهرت عليهم مخايل الانكار بحق حسبما قدمناه في مقدمة هذا الباب واستكملوا شروط الانكار المسطورة في خاتمة الباب الثالث فانهم رضي الله عنهم إنما يتكلمون عن علم حماية لدين الله وانتصارا لسنة نبيه لا لأنفسهم كما يظنه الجهلة إذ لولا انكار الأئمة الأعلام * على أكابر الأولياء العظام * لادعى التصوف سفهاء العوام وحمقى الطغام * لكنهم رحمهم الله أجملوا في الرد سدا لذرائع الكيد علما منهم أن الماء يدفع عن نفسه فالزبد فيذهب جفاء الآية ثم ذلك لايضر العارفين ولذلك تراهم محمولين في غالب الأحوال ولا ينكرون على أحد بعينه من الرجال كالشيخ سيدي زروق وابن دقيق العيد بل غالب حال العارف انه لايتأثر بالانكار امامن مبطل فهذيان واما من محق صحت نيته في الانكار فهو معذور عنده لقصوره وحسن نيته ذلك مبلغهم من العلم ولكل امرىء مانوى ولذلك قيل لعارف في أعراضه عن منكر أفحش في إنكاره فقال لولا ما أعلم من صدق نيته لاوقعت به أو كلاما هذا معناه وقد قيل لبعض المنكرين على ابن العربي

أن إنكاري إنما كان لله فنخرج بذلك وإن كان مبطلا فالغلبة لي فاني آمن منه على كل تقدير * التنبيه الرابع أعلم ان سبب الخلاف بين الخاصة سعة علم الله تعالى وقلة علم البشر قال تعالى « ويخلق مالا تعلمون » ولذلك أنكر موسى عليه السلام مالا يقتضيه حكم ظاهر شرعه على الخضر عليه السلام مما له وجه حقيقي عنده هو فيه على بصيرة من ربه لقوله « وما فعلته عن أمري » ومن هنا يعلم أن الاعلى في المقام قد لا يحيط بما عند من هو دونه وإن كان عاليا فضلا عن الأسفل وكل ذلك من سعة فضل الله تعالى وإحاطة علمه ألا ترى إلى قول الهدهد وهو طائر مسخر لسليمان عليه السلام « أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين » فاذا كان نبي من الانبياء لا يقدح في علو درجته عند الله احاطة الهدهد بما لم يحط به علما فأحرى أن لا يقدح مثل ذلك في قدر من هو دونه من الأولياء كيف وقد خفي عن الخضر نفسه مقام بعض المحبوبين وما قدح ذلك في علمه كما قدمناه في بحث التفضيل بين الأولياء بل لا يزال الخلاف بين الخلائق حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين قال تعالى ولذلك خلقهم فتبينوا معاشر العقلاء ان جاءكم فاسق بنبأ حتى تعلموا ما تقولون وإياكم أن يقفو أحدكم ما ليس له به علم قبولا وردا فتصبحوا من النادمين * التنبيه الخامس بلغنا أن بعض من أخذ الورد التجاني تركه اغترارا بنحو هذا المنكر وقد

وفتحها فيقال صحاري وصحاري كعذاري وعذاري وعزالى وعزالي والكسر هو الاصل في الباب كله والفتح مسموع فلا يقال وزن مجاري بالفتح فعالل بفتح اللام لفقد هذا البناء في الكلام وإنما هو منقول عن فعالل بالكسر اه ومعنى بنفسه بذاته والمراد هنا الاحتراز من السفر بالأهل ومرارا مرات والعمر تقدم انه مدة الحياة والفضل الفخار والمنصب الرتبة والمكانة وحوى جمع والبهاء الجمال والكهل من الرجال هو من جاوز الثلاثين ووخطه الشيب وقيل من بلغ الأربعين وعن ثعلب في قوله تعالى وكهلا قال ينزل عيسى إلى الأرض كهلا ابن ثلاثين سنة اه وجملة قوله حوى بهاء كهلا رمز إلى مدة عمر سيدنا رضي الله عنه فعدد حروفها الواقع عليها بحسب الجمل هو عدد سني عمره رضي الله عنه وذلك ثمانون سنة لأنه ولد حسبما تقدمت الاشارة اليه في عام خمسين ومائة وألف وتوفي كما هو مذكور في البيت الذي يلي هذا عام ثلاثين ومائتين وألف فتكون مدة عمره رضي الله عنه ماذكر من السنين وباقي ألفاظ الأبيات ظاهر وجملة قوله مات الامام العارف الرباني رمز لتاريخ وفاته رضي الله عنه وهو ماذكرناه يقول وبعد أن استوطن سيدنا رضي الله عنه بأهله الحضرة الفاسية سافر مرارا بنفسه فقط البلاد الصحراوية ولم ينتقل بعد ذلك عنها إلى غيرها من الأمصار لما هيأها الله تعالى له وخصها به من سني الفضل والفخار بمدفنه بزاويته المباركة الشهيرة البركات والاسرار الكثيرة الخيرات الساطعة الأنوار وذلك بعد أن أزمع الانتقال عنها وعزم على الارتحال إلى القطر الشامي بجميع ما معه من الأهل والعيال لما ورد في فضل ذلك القطر من الفضل عن سيد الأنبياء والارسال صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم فبينما هو رضي الله عنه قد أخذ أهبة سفره بشد رحاله وأقتابه ولم يبق له إلا الخروج لمودعة أحبابه وأصحابه وقد نزل بهم من الحيرة والتكمد ما يذهل الوالد عن الولد حتى كادت أن تفتت أكبادهم وتنصدع أفئدتهم وتذوب أجسادهم ما بين مصعد لمترادف زفراته ومسبل لواكف عبراته ومتعثر في أذياله لما عراه من تبلبل باله ومنخرس اللسان ومنذهل العقل كأنه من ذهوله سكران أو وسنان ومن متردد في طرق تلك الأزقة غير مكترث بما لحقه في إقباله وإدباره من المشقة ومن مقعد بفناء داره لم يستطع النهوض من قراره يرتقبون توديعه الذي هو في الحقيقة توديع أرواحهم وتشييعه الذي هو تشييع مادة حياة اشباحهم إذ أشرق عليهم نور غرته وطلع عليهم بهاء محياه الكريم وسنى طلعته فبشرهم بما هو الشفاء مما دهاهم والترياق لما عراهم وأخبرهم بما نفخ به في رميم أحوالهم روح الحياة الهنيئة في حالهم وما آلهم وذلك بأن قال لهم رضي الله عنه وأرضاه ان أولياء الغرب أبوا أن يفقدوا من بين ظهرانيهم نوره وسناه فطلبوا من حضرة سيد الوجود ورغبوا إليه صلى الله عليه وسلم في بقاء وجوده العيني وشخصه المشهود بين الأغوار من قطرهم المبارك والتجود لأنه صلى الله عليه وسلم هو مربيه وكفيله وإليه يستند من أمره كثيره وقليله فأجابهم صلى الله عليه وسلم لمطلبهم وأسعفهم بمرغبهم فأذن له صلى الله عليه وسلم في المقام وعدم الترحال فلم يمكنه إلا الانقياد والامتثال فعند ذلك قرت به في الحضرة الفاسية المباركة الدار وألقى من يده عصا التسيار وزال عن جميع أصحابه الكرام ما كان قد روعهم بين الأنام (وكانت وفاته) رضي الله عنه في العام المذكور والتاريخ المسطور صبيحة يوم الخميس السابع عشر من شوال بعد أن أدى فريضة الصبح على حالة الكمال ثم اضطجع على جنبه الأيمن رضي الله عنه ودعا بماء فشرب منه ثم عاد إلى اضطجاعه على حالته فطلعت روحه الكريمة من

ساعته وصعدت إلى مقرها الأقدس ولحقت بسربها من محضرها الأنفس وحضر جنازته المباركة مالا يكاد يحصى من علماء فاس وصلحائها وفضلائها وأعيانها وأمرائها وصلى عليه اماما علامتها الأوحد ومفتيها الماهر الخريت الأمجد الفقيه النحرير المشهود له بالتحقيق والتحرير أبو عبد الله سيدى محمد بن ابراهيم الدكالى نسبة الى الامام التونسى الشهير وازدحم الناس على حمل نعشه المبارك الميمون وكسروه بأثر دفنه أعواداً صغاراً ادخروها للتبرك بما حمل فيه من السر المصون (وبالجملة) فقد أجمع من حضر موته على أن ذلك اليوم يوم مشهود تساوى به فى الازدحام على تشييع جنازته وحملها وحضور الصلاة عليه المعتقد والمنتقد والمقر والجحود فهنيئا لنلكم الحضرات الشريفة المنورة بما ضمه من أعضائه الطيبة الزاهرة المطهرة ثم هنيئا فهنيئا لا ينحصر تعداده وتكراره لمن ضمنه جواره وان نزحت به فى المشاهد داره وشملته عنايته وأنواره وان شط به مزاره جعلنا الله تعالى بمحض فضله فى جواره الذى لا يضام فى هذه الدار وفى دار المقام بجاه ماله عند ربه سبحانه من أكيد الذمم وعظيم الحرم آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم آمين وهذا الذى عقد الناظم رحمه الله تعالى فى هذه الأبيات من تاريخه مدة العمر والوفاة واضح مشهور عند الثقات مجمع عليه عند الاثبات وما تممنا به سبكها من جميع ماأشرنا اليه هو من مروياتنا عمن تصح الرواية عنه ويعول فى النقل عليه (كرامة ظاهرة ومنقبة باهرة) وقفت على ورقة بخط سيدنا على رضى الله عنه مشتملة على بعض مطالبه من الله تعالى ومن جملة ماطلبه فيها التعمير هذا القدر من السنين فسبحان الله العظيم ماأجل كرامات هذا الشيخ الكريم رضى الله عنه وأرضاه ونفعنا بمحبته ورضاه وانظر السر فى طلبه التعمير هذه المدة فانى لم أقف على شىء من ذلك إلا ماذكره ابن حجر فى الأحاديث الواردة فى الخصال المكفرة للذنوب مما أخرجه البيهقى فى كتاب الزهد عن أنس رضى الله عنه وفيه إذا بلغ العبد المسلم ثمانين سنة قبل الله حسناته وتجاوز عن سيئاته والله أعلم بمراد الشيخ رضى الله عنه ثم أشار الناظم رحمه الله إلى بعض ما يتعلق بعقب الشيخ رضى الله عنه وذريته الطاهرة وذكر شىء من محاسنهم الزاهرة وكراماتهم الباهرة فقال

﴿ وترك الشيخ من الأولاد * من بعده لرحمة العباد ﴾
﴿ نجلين منهلين للورّاد * كلاهما كالكوكب الوقاد ﴾
﴿ كلاهما بسق كل باسق * وفاق بالتحقيق كل فائق ﴾
﴿ تراهما كفرسى رهان * للسبق فى المضمر يجريان ﴾
﴿ كلاهما ضمن طه المعرفه * بربه له فيالها صفه ﴾
﴿ ولهما ضمن خيراً جما * ماخاب من أتاهما وأما ﴾
﴿ وكل من أدرك من ذريته * يعطى مقاما ساميا كبغيته ﴾
﴿ على يد الرسول سيد العرب * جذبا بلاشرط يرى ولاسبب ﴾
﴿ ماالمفتاح الكنوز خردله * فى كورة العالم بالنسبة له ﴾
﴿ ومن ضمان أحمد المختار * لهم غناهم بهذى الدار ﴾
﴿ خادمهم تسبيح البحار * له وما فيها كذا الأشجار ﴾
﴿ ويدخل الجنة من حيث انتقى * لاجل خدمة نبى ذا المنتقى ﴾

ترك عقب وخلف ونجلين تثنية نجل والمراد به هنا الولد والمنهلين تثنية منهل وهو موضع النهل

لو سئل هذا التارك هل ترك الورد سخطة لدينه كما سئل هرقل عن الصحابة ماذا يقولون وما موجب استخفافه بتحذير الشيخ من تركه تهاونا غير الأمن من مكر الله تعالى «ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون» وانما اغتروا بترك سيدى عبد العزيز الدباغ وأشباهه فى تركهم لبعض الأوراد وماعلموا أن المخاطر قد يسلم ولكن ليس غالبا فالمؤمن المعتنى بفك مهجته يرى نفسه فى أفعاله كالماشى فى أرض الشوك يحذر ما يرى ويا ليته تركه لورد أخف منه أو أفضل ليكون له عذر ما ويا ليته آوى إلى من يضمنه من الشيخ كما فعل سيدى أحمد زروق حين فارق الزيتونى وأقل ماوقع لتاركى الأوراد من أمارات الطرد والابعاد التشاغل بالدنيا عن الدين * وانهماك القلب فى اساءة الظنون واسترسال اللسان فى أكل لحوم المسلمين * وكفى بهذه المصيبة عقوبة للمفترين * فانها أعظم من الجذام والبرص والجنون وسلب المال والأهل والبنين لكن عامة الطلبة فى هذا الزمان صاروا كأرذل بنى حسان وعفاريت السودان * لا يبالون إلا بمصيبة الأبدان والمال والولدان * لا بنقيصة الأديان لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار — الآية

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل فعل منكر وبقيت فى خلف يزكى بعضهم * بعضا ليدفع معور عن معور

وارث ان كنت رائيا لأناس
فتنوا ليس فيهم من رشيد
أصبحوا بعد نورهم وهداهم
حسبنا الله فى الضلال البعيد
مثل القوم إذ تولوا سفاها
عن طريق معبد ممهود
مثل ظمآن سار حتى إذا ما
كان من منهل قريب الورود
رجع القهقرى أيؤم الفيافى
حائراً نائياً عن المقصود
أو كصب رجا وصال حبيب
بعد حرص على اللقاء شديد
منعت وصله مقالة واش
تركت حبه مديم الصدود
أو كراء شمس الظهيرة صحوا
قام يسعى لدرك أمر أكيد
بينما هو مبصر قال أعمى
انه الليل مال للتقليد
صاح من يرتدد على عقبيه
معرضا عن وفائه بالعقود
لم يضر غيره فنكث عقود ال
قوم فى الله بالمعاهد مودى
وأصل ذلك كله الجهل بالزمان
وأهله وقد قال سيدى أحمد
زروق رضى الله عنه فى شرح
حزب البحر ومعرفة الزمان
وأهله آكد كل أمر ومفتاح كل
خير وبر فقد غلب الهوى على
النفوس وصارت تابعة للهوى
والعاقل من اعتنى بمعرفة الزمان
وأهله وترك الفضول لاقباله
على شأنه فقد قال صلى الله عليه
وسلم لأبى ثعلبة الخشنى إذا
رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا
واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك
بخويصة نفسك ولما سأله أبو ذر
رضى الله عنه عما فى صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام فقال عليه السلام ان مما فى صحف

والرى والوراد جمع وارد والكوكب النجم وبسق طال وفاق سما وجاوز وفرسا الرهان معروفان وهما الفرسان اللذان يتسابقان لاحتياز الرهان وهو مايتراضى عليه المتسابقان والمضمار محل اجراء الخيل وطه من أسمائه صلى الله عليه وسلم والمعرفة المعرفة بالله تعالى التى ينظر صاحبها إلى الحق ببصر الايمان فيغنيه عن إقامة الدليل والبرهان والجذب المراد به هنا الاجتباء والاصطفاء (قال سيدنا) رضى الله عنه الاجتباء هو جذب الله تعالى للعبد إلى حضرة قدسه بحكم الفضل والجود والعناية بلا تقدم سبب من العبد ومفاتيح الكنوز هم رؤس الافراد الخارجون عن حكم القطب والغنى بالقصر ضد الفقر ومعنى انتقى اختار والمراد من حيث شاء والمنتقى المختار يقول وخلف سيدنا رضى الله عنه بعد انتقاله الى الدار الآخرة والمنازل القدسية الفاخرة ولدين جليلين سيدين كريمين (أحدهما) العارف بالله تعالى سيدى محمد الملقب بالكبير (والثانى) صنوه سيدى محمد الملقب بالحبيب ذو الفضل الشهير والجاه الخطير خلفاه من بعده فى الهداية والارشاد والنفع العميم للعباد كلاهما بما حازاه وسنى المفاخر يضىء فى سماء مجده وسوددة كالكوكب الزاهر قد سما فى ارتقائه لمدارج المعالى كل متسام للرتب العوالى فكانا فى تسابقهما لمقامات العرفان كمثل فرسى رهان كيف وقد ضمن لهما جدهما سيد الوجود كمال المعرفة بالملك المعبود كما ضمن لهما الخير العظيم والمدد الجسيم وكل من أدرك الاحتلام من ذرية هذا الامام يمنح من رب الأنام أسمى مرتبة وأسنى مقام بالاستفاضة من الحضرة المصطفوية من طريق الاجتبائية والاصطفائية من غير علة ولا سبب فى ذلك بل بمحض الوهب من الرب المالك ويفاض على كل واحد منهم من حضرة رب العباد ماتكون فيوضات رؤس الافراد بالنسبة اليه كنسبة الخردلة مما يفاض على سائر العوالم من الامداد ومما ضمنه لهم جدهم سيد الارسال الغنى التام الذى لايخشى معه الفقر بحال ومن كراماتهم ومزاياهم الغزار أن من كان فى خدمتهم يكتب له ثواب تسبيح البحار وما فيها من الحيتان والدواب وكذلك ثواب تسبيح الأشجار ويوم القيامة يدخل الجنة من أى باب شاء « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » وماذكره الناظم رحمه الله تعالى فى هذه الأبيات من أن سيدنا رضى الله عنه خلف نجليه الكريمين رضى الله عنهما وانهما برزا فى ميادين الكمالات تبريزا ظاهرا وحازا مما لوالدهما رضى الله عنه من البركات والأسرار حظا وافرا وأن والدهما رضي الله عنه وعنهما أخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم ضمن لهما المعرفة بالله وضمن لهما خيراً كثيرا بعد أن أوصاه صلى الله عليه وسلم عليهما فكله مما بلغنا من رواية الثقات من فضلاء أصحاب سيدنا رضى الله عنه وحققناه سماعاً منهم كما حققوه كذلك عنه رضى الله عنه وأما ما ذكره أعنى الناظم رحمه الله تعالى من فضائل ذريته فلم يبلغنا فى ذلك شىء فيما نستحضره الآن ولاشك أن الناظم رحمه الله تعالى ماأتى به حتى كان خبره عنده من المروى عن الشيخ رضى الله عنه الثابت الصحيح ففيه الكفاية التى لاتحتاج معها إلى تصحيح وأعهد لمن وقف من الاخوان على شىء ثابت عن الشيخ فى هذا أن يلحقه فى هذا التقييد بهذا المقام هذا وغاية ماذكره الناظم لذرية الشيخ رضى الله عنه بأن الله تعالى ألحقهم به رضى الله عنه فى بعض مراتب الفضل الثابت له وإن لم يعملوا بعمله كرامة له من الله تعالى وهذا مما لانزاع فى جوازه (وقد ذكر المفسرون) فى قوله تعالى «والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم - الآية» أن ذرية

المؤمنين كباراً كانوا أو صغاراً يلحقون بآبائهم فى المراتب من غير أن ينقص من مراتب الآباء شىء وفى هذا الحديث أن الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وإن كانوا دونه لتقريهم عينه والله المستعان ثم أشار الناظم رحمه الله تعالى إلى ما يخص بنى أبيه وخاصة قرابته وذريته فقال

﴿ فى ألف ألف مرأة ورجل * يشفع من بنى أبيه ذا الولى ﴾

ومعنى هذا البيت واضح ولم يبلغنى من كلام الشيخ رضى الله عنه فيه شىء استحضره الآن وهو مما لاغرابة فيه وخصوصا من أمثال سيدنا رضى الله عنه إذ غايته حصول الشفاعة منه لمن ذكر بسبب القرابة ومعلوم أن شفاعة الأخيار ثابتة فى الشرع قال اللقانى فى جوهرته .

وغيره من مرتضى الأخيار * يشفع كما قد جاء فى الأخبار

وفى شرحها كالأنبياء والمرسلين والملائكة والشهداء والأولياء والصالحين ( وفى الخبر ) أكثروا من الاخوان فان لكل واحد منهم شفاعة يوم القيامة وفى الخبر أيضا عنه صلى الله عليه وسلم قال ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بنى تميم قالوا سواك يا رسول الله قال سواى وفى رواية أكثر من ربيعة ومضر ( وقيل ) فى هذا الرجل انه عثمان بن عفان رضى الله عنه وقيل هو أويس القرنى أنظر شروح الحديث وفى الخبر أيضا عنه صلى الله عليه وسلم يقال للرجل يا فلان قم فاشفع فيقوم فيشفع للقبيلة ولأهل البيت والرجل والرجلين على قدر عمله وفى الحديث أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف يوم القيامة صفوف ثم يمر أهل الجنة فيمر الرجل على الرجل فيقول يا فلان أما تذكر يوم استسقيت فاسقيتك شربة فيشفع له ويمر الرجل على الرجل فيقول يا فلان أما تذكر يوم ناولتك طهوراً فيشفع له ويمر الرجل على الرجل فيقول يا فلان أما تذكر يوم بعثتنى لحاجة كذا وكذا فذهبت لك فيشفع له ( وعن ) ابن مسعود رضى الله عنه فى قوله تعالى « ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله » الشفاعة لمن أوجبت له من الناس فيمن صنع إليهم المعروف فى الدنيا فهذه الأخبار كلها مصرحة بثبوت الشفاعة للأخيار فيمن صنع إليهم معروفا ومما صرح فيه من الأخبار بثبوت الشفاعة من الأخيار بسبب القرابة ما فى الخبر من أن الحاج يشفع فى أربعمائة من أهل بيته وأن من قرأ القرآن فاستظهره وأحل حلاله وحرم حرامه يشفعه الله فى عشرة من أهل بيته كلهم وجبت لهم النار إلى غير ذلك وإذا كان الحاج يشفع فى مثل ماذكر من العدد بسبب القرابة فلا يستغرب أن يشفع من آتاه الله مع الحج الدرجات العلى فى المعرفة به والغاية القصوى فى العلم والعمل كرامة لهم من الله تعالى ثم أن الشفاعة من حيث هى وإن كانت ثابتة نقلا فهى أيضا جائزة عقلا لان من الجائز غفران غير الكفر لقوله تعالى « إن الله يغفر الذنوب جميعا » وقوله « إن الله لا يغفر أن يشرك به - الآية » ولو لجميع كافة المسلمين وهو مذهب الاشعرية من أن تخلف الوعيد لا يعد نقصا بل هو من تمام الكرم خلافا للماتريدية وفى قولهم بوجوب تحقيق الوعيد ولو فى واحد من كل نوع وقد نص المحققون على أن مذهبهم هذا مرجوح والراجح ما للاشعرية رضى الله عنهم والله تعالى أعلم وأحكم لما كان جميع ما أخبر به الناظم رحمه الله تعالى فى الابيات قبل هذه الخصائص والمزايا لاولاد سيدنا رضى الله عنه وذريته وقرابته وذويه من باب كرامات الاولياء الجائزة عقلا الثابتة نقلا عند كل سنى فاضل نبيه وكان لسيدنا رضى الله عنه من الكرامات مالا يكاد يحصر أشار رحمه الله تعالى إلى بعض ذلك والشىء بالشىء يذكر فقال .

﴿ وكم لهذا الشيخ من كرامه * عادت على رفعته علامه ﴾

وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلى بين نفسه وشهواته المباحة وساعة يفضى فيها إلى إخوانه الذين يبصرونه بعيوب نفسه ويدلونه على ربه وقال فى النصيحة الكافية ومن أعظم الآفات صحبة الأحداث قال فى شرح المباحث وهو جمع حدث ومرادهم به من لاثبات له وهم ثلاثة الحدث سنا وهو الصغير الذى لم يميز حقائق الأمور وللنفوس ولوع به من حيث الجمال الصورى فلا خير فى صحبته ثم الحدث عقلا وهو الذى لا يثبت على حقيقة تارة تراه فى الحوت اسم نجم وهو البرج المعروف وتارة تراه فى البهموت يتبع كل ناعق و يتنسم كل ناشق وهذا النوع أكثر ما تجده في فقراء البادية ثم الحدث دينا وهو الرجل الامعة الذى يكون مع كل قوم بما هم فيه ثم قال هذا أمر يستدرك بالخلوة والانفراد والله تعالى أعلم انتهى باختصار وحذف وسيأتى بمشيئة الله فى الباب الآتى على أثر هذا ما يشفى الغليل ويبرد لوعة البال عند الكلام على الصحبة ثم ان آخذ الورد اما أن يأخذه لينسب إلى الصلاح ولنيل الكرامات وغير ذلك من الأغراض الفاسدة فهذا إن لم يجد ذلك دخله الوسواس واستمع لما يوحى إليه من زخرف القول غرورا فيتركه لذلك « ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة فان أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون وما علم هذا المسكين أن أخذ الاوراد

﴿ فما على إن ذكرت منها * ما ينبيء الغافل يوما عنها ﴾
﴿ وما به أبجح المريدا * وأردع المنكر والمريدا ﴾
﴿ فلا يطيق حصرها إنسان * يوما وعنه يعجز اللسان ﴾
﴿ وهل يعد حصي البطحاء * أوهل تكت أنجم السماء ﴾

الكرامة أمر خارق للعادة غير مستند لأسباب ولا مقرون بالتحدى يجريه الله تعالى بقدرته على يد بعض أوليائه وخاصته ترقية لهمته أو إظهاراً لرتبته أو تأنيسا له من وحشته أو إعانة له على وقته أو زيادة له فى معرفته أو امتحانا له فى حالته وشرطها أن تظهر على يد موسوم بخير وصلاح أى صاحب الاستقامة الدينية وقد تظهر على يد أبله فلا يشترط فيه ذلك لسقوط التكليف عنه وكونها لا تبلغ إلى حد إيجاد ابن بدون أب وأن لا تكون بمحرم مجمع على تحريمه ومعظم الأئمة على أنه يجوز بلوغها مبلغ المعجزة فى جنسها وعظمها حتى إحياء الموتى وتفارق المعجزة فى أن المعجزة متحدى بها ولا كذلك الكرامة وفى أن دلالة المعجزة على النبوة قطعية وصاحبها يعلم أنه نبي بخلاف الكرامة فان دلالتها على الولاية ظنية ولا يعلم صاحبها أنه ولى وقد يعلم ذلك على ما عليه جماعة من أئمة الطريق وقوله علامة المراد بالعلامة هنا الدليل وأبجح أى أصيره متبجحا أى مفتخراً فهو من بجح بالشيء من باب نفع وتعب إذا فخر وتبجح به كذلك أى فخر وبجحت الشيء أبجحه بالفتح فيهما عظمته وأردع أمنع وأزجر والحصى معروف والبطحاء معروفة وتكت تحصي قال ربيعة الأسدى من قصيدة يرثى بها ابنا له اسمه ذؤاب .

الاخبيش لا يكت عديده * سود الجلود من الحديد غضاب

لا يكت لا يحصى قال أبو على قال لى أبو بكر من كلام العرب لا تكتته أو تكت النجوم أى لا تعدهم اه وانظر نوادر القالى وقول الناظم وهل تكت أنجم السماء ينظر إلى قول العرب هذا فتنبه لذلك وأعرف به سعة اطلاع الناظم وتمكينه من أساليب الفصاحة يقول وكم لسيدنا رضى الله عنه من كرامة ظاهرة جلية حسية ومعنوية دالة على ما خصه الله به من المقامات العلية والرتب السنية وما على أن ذكرت منها البعض مما ثبت لدى وانتهى علمه إلى ليكون تبصرة للجاهل وتذكرة للغافل وتقوية للمعتقد وقمعا للمنتقد وإلا فهى مما لا يمكن أن يستقصى ولا يتأتى عليه العد والاحصا إذا هى مما لا ينحصر أنواعه وأصنافه ولا تدخل تحت حيطة التعبير نعوته وأوصافه وإنما آثر الناظم رحمه الله تعالى التعرض لذكر بعض كرامات سيدنا رضى الله عنه المعنوية والحسية وإن كان الثابت عن سيدنا رضى الله عنه أنه كان يخفيها جداً وينهى عن تدوين ما حفظ مما اتفق له منها فى أول أمره حسبما صرح به فى الجواهر نظراً إلى أن النهى عن ذلك إنما كان فى ذلك الوقت منه رضى الله عنه لأنه لا زال حينئذ فى قيد الحياة وشأن الكمل أمثاله رضى الله عنهم أجمعين إخفاؤها وعدم الاغتباط بها كما هو مشهور مقرر فى كتب الطريق وأما بعد وفاته فلا بأس بالتعرض لذكر شيء منها بنوعيها المعنوى والحسى لأن الذى عليه الجمهور من أهل السنة رضى الله عنهم وجوب اعتقاد جواز وقوعها وقد نصوا على ان إنكارها بدعة ومنكرها مبتدع يخشى عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى لمكابرته ومصادمته لنصوص الكتاب والسنة وخرقه لاجماع الأمة قال ابن حجر رحمه الله الذى عليه أهل السنة والجماعة من الفقهاء والأصوليين والمحدثين خلافا للمعتزلة ومن قلدهم فى بهتانهم وضلالهم ان ظهور الكرامة على يد الأولياء وهم القائمون بحقوق الله وحقوق عباده لجمعهم بين

ذلك يخشى عليه الوعيد الوارد فى قوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم وعد فيهم رجلا بايع رجلا لا يبايعه إلا لدنيا فان وفى فيها ولها وإلا لم يوف له أنظر بهجة النفوس لابن أبى جمرة وإما أن يأخذه لتطهير قلبه وهلك زمام نفسه * متعللا بالشيخ فى ذلك صادقا فى طلب ماهنالك فهذا لا يغتر بمقول وليس على التقليد بمتوكل وما كل من أراد بره بره ولا كل برق لاح استفزه وغايته إذا سمع عن الشيخ منكراً شرعا أن يطلب من الشيخ الجواب عنه ويلتمس التأويل فاذا لم يبين له وجهه ترك ذلك الامر المشكل ولا يترك شيخه ولو وقع شيخه فى المعاصى الشنيعة المرة بعد المرة بحيث يخرج عن عهدة الاصرار المؤذن بالتهاون باطلاع الملك القهار لانه لم يصحبه لانه معصوم كما وقع لبعضهم إذ رأى شيخه أدخل أجنبية بيته وخلا بها فذهب يطلب الماء ليغتسل ويفرق باقى أصحابه ولم يفز إلا هو أنظر الذهب الابريز المطلى وما أضعف دراية من ترك الورد لترك غيره بمجرد التعصب والتقليد من غير دليل والتقليد الوقوف مع ظواهر الامور والجمود معها من غير التفات للمعانى والمبانى وقيل هو أخذ القول من غير استناد لعلامة فى القائل ولا وجه فى المقول وهو مذموم قطعا لاستهزاء صاحبه بدينه أنظر قواعد زروق وقد عده الشيخ السنوسى فى مقدمته من أصول الكفر السبعة



بيعة كما سيأتى فى الباب السابع لا يراد بها إلا امتثال الامر الذى فى حديث البيعة بايعونى الخ ومن أراد بها غير

العلم والعمل وسلامتهم من الهفوات والزلل جائز عقلا ونقلا إذ لو لم تكن الكرامة جائزة الوقوع لم تقع وقد ثبت وقوعها بنص الكتاب والسنة والآثار الخارجة عن حد الحصر والتعداد وآحادها وان لم تتواتر فالمجموع يفيد القطع بلا إشكال كيف ووقوع التواتر قرنا فقرنا وجيلا فجيلا وكتب العلماء شرقا وغربا وعجما وعربا ناطقة بذلك ولا ينكر ذلك إلا غبي معاند اه وقول العلامة ابن حجر وقد ثبت وقوعها بنص الكتاب والسنة يشير به الى نحو ما فى الكتاب الكريم من قصة أهل الكهف ولبثهم فيه ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا كما ذكر الله تبارك وتعالى رقودا لم تبل ثيابهم ولم تتغير أجسادهم بقلبهم الحق تبارك وتعالى ذات اليمين وذات الشمال الى آخر القصة بتمامها والى مثل قصة الخضر مع موسى عليهما السلام وما قص الله تعالى فى ذلك والى نحو ما قصه الله تبارك وتعالى فى شأن مريم عليها السلام من قوله سبحانه كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا يعنى من الفواكه والرطب فى غير ابان حسبما ذكروه فى الآية الكريمة والى نحو ما أمرها الله تبارك وتعالى به من هز الجزع فى قوله « وهزى إليك بجذع النخلة - الآية » قالوا وكان جذعا يابسا تتحكك به المواشى فلما هزته استحال غصنا يانعا وأثمر لحينه والى نحو ما قصه الحق تبارك وتعالى فى شأن آصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام فى احضاره عرش بلقيس قبل ارتداد الطرف ومن ذلك قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا - الآية » والفرقان ذكروا أنه نور يضعه الله فى صدور المؤمنين المتقين يفرقون به بين الحق والباطل والحسن والقبيح ولا يزال يتزايد بتزايد التقوى حتى يبلغ الى الكشف والاطلاع على أسرار الغيوب ومن ذلك ما ذكروه فى تفسير قوله تعالى « لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » من أن البشرى هى الكرامات والفتوح التى يكرم بها الحق عز وجل أهل الاخلاص والتمكين من عباده المؤمنين وأما السنة فمن ذلك ما فى حديث جريج وكلام الطفل ببراءته فى مهده والحديث فى الصحيحين وفيهما أيضا حديث الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار بصخرة فتوسل كل منهم بأرجى ما عمل ففرج الله عنهم ومن ذلك حديث كان فى الأمم قبلكم محدثون فان يكن فى أمتى أحد منهم فعمر بن الخطاب ومن ذلك أيضا قضية سارية إذ قال له سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يخطب بالمدينة على المنبر يا سارية الجبل من ترك الحزم ذل وسمع سارية ذلك وهو بنهاوند ومن ذلك اخبار سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه بما فى بطن زوجه وقوله أراها جارية فكان الأمر كما قال ومن ذلك استحياء الملائكة من عثمان رضى الله عنه وكذلك ما روى عن سيدنا عبد الله بن سلام رضى الله عنه أنه دخل على سيدنا عثمان رضي الله عنه فى اليوم الذى قتل فيه فقال له سيدنا عثمان أترى هذه الطاقة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم تراءى لى منها فقال أحصروك يا عثمان قلت نعم بأبى أنت وأمى فقال صلى الله عليه وسلم إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا فقلت بل أفطر عندكم فقتل قبل غروب الشمس من ذلك اليوم ومن ذلك الفتح لمولانا على رضى الله عنه فى العلوم وغير ذلك واذا كان الأمر على ما وقفت عليه من أن الجمهور من أهل السنة رضى الله عنهم على وجوب اعتقاد جواز وقوع الكرامة خلافا للمعتزلة لما رأيته فيتأكد التعرض لذكرها فى نحو هذا المقام حتى لا تبقى للناظر فى ذلك شبهة تخدش فى وجه اعتقاده فالتنفير عن ذكرها مطلقا قصور ممن يراه بلا شك نعم جعلها غاية الأمر بحيث لا يتوجه بالتعظيم والاعتقاد الجميل إلا لمن ظهرت عليه ليس بشىء لأنه من وصف الجهلة الاغمار من الناس وذلك لأن العارف

على هذا الورد هذا الورد وقع فيه التكاسير بالحسانية كعشار الابل التى بطل حملها ويجعلون ذلك دليلا على أن تركه أولى فيالها من سخافة ما أقبحها وقد قدمنا عن سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى الباب الثالث لا بد أن ينقسم جماعة كل داع الى الله عز وجل كما انقسم من دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى دين الاسلام فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه ولقد أظهروا مصداق ما قال سيدى عبد العزيز الدباغ رضى الله عنه حيث يقول إن المريد اذا أحب الشيخ المحبة الكاملة سكن الشيخ معه فى ذاته ويكون بمنزلة الحبلى التى تحمل بولدها فان حملها تارة يتم صلاحه فتبقى على حالة مستقيمة الى أن تضعه وتارة يسقط ولا يجىء منه شىء وتارة يحصل له رقاد ثم يفيق والافاقة قد تختلف فقد يفيق لعام وقد يفيق لأكثر من ذلك فهكذا حالة المريد اذا حمل بشيخه فتارة تكون محبته خالصة تامة دائمة فلا يزال أمر الشيخ يظهر فى ذاته الى أن يفتح الله عليه وتارة تكون محبته منقطعة بعد أن كانت صادقة وانقطاعها بسبب عروض مانع نسأل الله تعالى السلامة منه فتتبدل نيته فى الشيخ وتنقطع أسرار الشيخ عن ذاته بعد أن كانت ساطعة عليها وتارة تقف محبته فى سيرها ثم تعود لسيرها لمدة قريبة أو متوسطة أو طويلة فتقف أسرار ذات الشيخ عن ذاته فاذا رجعت المحبة رجعت الاسرار فليختبر المريد نفسه من أى قسم هو من هذه الأقسام

الثلاثة ونسأل الله العفو والعافية وهو اللطى قلت وهذه الأقسام موجودة فى المريدين فليتحفظ المريد على هذا الكلام فانه نفيس فى بابه والله تعالى أعلم انتهى وبتمهيد هذا يتجه لنا الكلام على أحكام المشيخة والارادة وما يتعلق بذلك بعون الله ومشيئته والله ولى التوفيق وهو الهادى الى سبيل التحقيق *

﴿الباب السادس فى اتخاذ المشايخ وشروط المريد ومن له فى المشيخة قدر راسخ﴾

﴿مقدمه﴾ اعلم أجزل الله حظى وحظك من حبه ورضاه * وأكرمنى وإياك بكرامة تقواه * ان الله تعالى خلق الانسان محتاجا لصحبة غيره ليستعين به فيما هو بصدده من أمر دينه ودنياه لما كتب عليه من الافتقار فلا يعيش وحده ولا يقوم بأموره بلا معين ثم الفوائد المطلوبة من الصحبة دينية ودنيوية أما الدنيوية فكالانتفاع بالمال والجاه وليس ذلك من غرضنا وأما الدينية فتجتمع فيها أغراض مختلفة إذ منها الاستفادة فى العلم والعمل ومنها الاستفادة فى الجاه تحصنا به عن ايذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة ومنها التبرك بالدعاء ومنها انتظار الشفاعة الى غير ذلك ثم هذه الصحبة المنعقدة على الدين مطلوبة للتعاون على البر والتقوى ولذلك حث الشرع الكريم على طلب التدين فى الأصادق وحذر من صحبة الفاجر والفاسق قال تعالى «واتبع سبيل من أناب إلى» وفى مفهوم ذلك زجر عن الفساق وقال «ولا تطع



والتوفيق والهداية انه سميع قريب انتهى كلامه قال مقيد هذا الكلام

لا يطلبها أدبا مع الله تعالى وهى عند الاكابر من نعوت النفوس الا لنصرة الدين أو جلب مصلحة لا غير ولأنه يجب على العارفين سترها كما يجب على النبى اظهار المعجزة وقد تركها غير واحد من العارفين فلم يظهر عليه شىء منها اما لأن الله تعالى لم يمكنه منها جملة واحدة مع كونه من الخواص عنده لأمر تقتضيه حكمته سبحانه ومشيئته واما لترك ذلك لله تعالى بعد أن أمكنه منه كما وقع للشيخ أبى السعود بن الشبل الملقب عند المحققين بعاقل زمانه وهو تلميذ الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنهما فانه أعطى التصريف منذ كذا وكذا سنة فتركه وقال تركنا الحق يتصرف لنا يريد بذلك أنه امتثل أمر الله تعالى فى قوله فاتخذه وكيلا فقال له قائل ماثم فقال له الصلوات الخمس وانتظار الموت مثل ساعى الطير فهم مشغول وقدم يسعى اه والحق والصواب هو أمر بين أمرين فيعظم من ظهرت عليه لانها تدل على استقامته ولا يستدل بمثل ما انفق للشيخ أبى السعود من التخلى عنها على نقص درجة من ظهرت عليه لان العارفين فى ذلك بحكم ما يتجلى به عليهم من حضرات العرفان ولا تجعل غاية الامر أيضا بحيث لا يتوجه بالتعظيم لمن لم تظهر عليه فان عدم اعتبارها فيمن ظهرت عليه ابتداع أو يجر الى الابتداع وجعلها غاية الامر جهل وغرور بلا نزاع ولما كانت الكرامة من حيث هى على قسمين حسية ومعنوية حسبما تقدم ذكره وكانت المعنوية أشرف وأعلى قدم الناظم رحمه الله تعالى ذكر المعنوية مع التنصيص على أنها أرفع وأعلى فقال

﴿من ذلك اتباعه للسنه * وهى لدى الرجال خير منه﴾
﴿وكان فى ذلك لا يجارى * ولا يضاهى لا ولا يبارى﴾
﴿وكان من صغره مذكورا * عنه وما زال به مشهورا﴾

الاتباع للسنة الاقتفاء لآثارها والانقياد لامرها وقيل ان الاتباع غير الانقياد والطاعة ووجه الفرق بينهما ان المطيع مسلوب الاختيار مع المطاع وفى الصحاح فلان طوع يدك أى منقاد لك والمتبع غير مسلوب الاختيار وعلى الاول يكون فى تعبير الناظم به الايماء الى أن سيدنا رضى الله عنه من كمل العبيد الذين يصير النفل فى حقهم واجبا فيكون اتباعهم واجبا عليهم فى مرتبتهم الخاصة بهم والانسان فى أدائه الواجبات عبد اضطرار وفى أدائه النفل عبد اختيار وعبادة الاضطرار أشرف لما يتطرق فى الثانية من وصمة رؤية النفس المشار الى ذمها فى قوله تعالى « يمنون عليك أن أسلموا - الآية » فافهم والله تعالى أعلم والسنة المراد بها هنا طريقته صلى الله عليه وسلم وهى شريعته التى دلت عليه الدلالة الصحيحة شرعا كتابا وسنة واجماعا وقياسا وليس المراد بالسنة هنا ما يقابل الكتاب والمراد بالرجال هنا الكمل من أهل الله تعالى اذ هم الرجال حقيقة عند العارفين ومن لم يكن متصفا بوصفهم فهو امرأة عندهم وان كان رجلا والمنة الموهبة من الله تعالى لعبده تفضلا وجودا والمراد هنا الكرامة والمجاراة والمضاهاة والمباراة متقاربة والمراد المساواة فتنتفى المجاوزة بالأولى وباقى ألفاظ الأبيات ظاهر يقول من جملة ذلك الذى أردت ايراده والتعرض لذكره فى هذا المقام مما لسيدنا رضى الله عنه من الكرامات العظام والمناقب الجسام التى يفتخر بها المعتقد وينزجر المنتقد شدة اتباعه رضى الله عنه للشرع الطاهر والتقييد بأوامره ونواهيه فى الباطن والظاهر ومتابعته صلى الله عليه وسلم بقدر المستطاع فى جميع أقواله وأفعاله حتى فى العادات والمباحات من حركاته وسكناته وسائر أحواله (وهذه) عند الرجال الواصلين والكمل الاكابر أجل كرامة وموهبة للعبد من مولاه الملك القادر وقد

كان سيدنا رضى الله عنه منها بالمكانة التى لا يجاريه فيها أحد ولا يباريه والمنزلة التى لا يقارب فيها غيره ولا يدانيه نشأ على ذلك وربى فيه منذ كان فلم يزل معروفا به بين الخاص والعام فى سائر الاقطار والبلدان وانظر من كتاب جواهر المعانى فصل من سيرته السنية تظفر بما تقر به عينك فى هذا الباب من كمال متابعته لخير البرية صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم والكرامة بهذا المعنى هى الاستقامة لا يعرفها العامة ولا يعرفها إلا الخواص (وحاصلها) هو أن تحفظ على العبد آداب الشريعة وأن يوفق لفعل مكارم الأخلاق واجتناب سفسافها والمحافظة على أداء الواجبات مطلقا فى أوقاتها والمسارعة إلى الخيرات وإزالة الغل للناس من صدره والحسد وطهارة القلب من كل صفة مذمومة وتحليته بالمراقبة مع الأنفاس ومراعاة حقوق الله تعالى فى حق نفسه وفى الأشياء ومراعاة أنفاسها فى دخولها وخروجها فيتلقاها بالأدب ويخرجها وعليه خلعة الحضور اه واعلم أن الكرامة بهذا المعنى لم ينبه سيدنا رضى الله عنه عن التعرض لذكرها ولم يشر إلى عدم افشائها ونشرها وذلك والله تعالى أعلم لأن العبد مطالب بها من مولاه تبارك وتعالى بخلاف الأخرى فانه مأمور بالبعد منها والتنزه عنها لما فيها من حظ نفسه واتباع هواها فيما تدعوه اليه من الترفع والتميز عن أبناء جنسه كما قيل كن طالب الاستقامة ولا تكن صاحب الكرامة فان نفسك تتحرك فى طلب الكرامة ومولاك يطالبك بالاستقامة ولا تكن بحق مولاك أولى بك عن أن تكون بحظ نفسك وهواك وأيضا ان الكرامة بالاستقامة الحسية وان كانت نتيجة استقامة قد يداخلها المكر والاستدراج والعياذ بالله تعالى وقد لا يبعد أن يجعلها الله تعالى حظ من ظهرت عليه على عمله وجزاء على فعله بخلاف هذه المعنوية لا يدخلها شىء من ذلك لأن العلم يصحبها والحدود الشرعية لا تنصب حبالة للمكر الالهى فانها عين الطريق الواضحة إلى نيل السعادة فاسنى ما أكرم الله به أولياءه العلم خاصة وأما غيره من خوارق العادات فلا يصح كونه كرامة إلا بتعريف من الله تعالى اه أنظر بسط الكلام على هذه المسئلة فى الفتوحات المكية وانظر أيضا قوله ثمة ولا أعنى بهذا العلم إلا العلم بالله والدار الآخرة وما تستحقه الدار الدنيا وما خلقت له ولأى شىء وضعت وذلك حتى يكون الانسان من أمره على بصيرة من حيث كان فلا يجهل من نفسه ولا من حركاته شيئا انتهى وليس هذا العلم الموصوف إلا علم العارفين بالله الذين جمع الله لهم بين علم الدراسة وعلم الوراثة لا غير والله أعلم ثم إن أصل الكرامة المعنوية كما قاله التاج ابن عطاء الله فى لطائف المنن رحمه الله تعالى هو الايمان بالله تعالى والمعرفة بربوبيته لأن كل خير من خيرات الدنيا والآخرة فرع عن الايمان بالله من أحوال ومقامات وأوراد وواردات وكل نور وعلم وفتح ونفوذ إلى غيب وسماع مخاطبة وجريان كرامة وما تضمنته الجنة من حور وقصور وأنهار وثمار وكان به أهلها فيها من رضا عن الله عز وجل ورؤية لله فكل ذلك إنما هو نتائج الايمان ووجود آثاره وامداد أنواره جعلنا الله وإياكم من المؤمنين بربوبيته الايمان الذى رضيه لعباده وبسطنا وإياكم للتسليم له فى مراده انتهى ولا شك ان من جملة ما أنتجه الايمان بالله تعالى وتفرع عنه ما أشار اليه الناظم رحمه الله تعالى فى الأبيات الآتية هنا وهى قوله

﴿ ومنه رؤية النبى الهادى * وهى لديهم غاية المراد ﴾
﴿ وعنه لا يغيب لمح بصر * يقظة فيا له من منظر ﴾
﴿ فى يوم الاثنين أو الجمعه * رائيه يدخل غدا فى الجنه ﴾

صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وقال صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعبد خيرا رزقه صديقا صالحا ان نسى ذكره وان ذكر أعانه وفى الأخبار السالفة أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك أخدانا وكل خدن لا يوافقك على مسرتى فهو لك عدو يقسى قلبك ويبعدك منى وقال عمر رضي الله عنه فيما رواه سعيد بن المسيب فى وصيته عليك باخوان الصدق تعش فى أكنافهم فانهم زينة فى الرخاء وعدة فى البلاء وضع أمر أخيك عن أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك عنه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين ولا أمين إلا من يخشى الله ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر فى أمورك الذين يخشون الله تعالى أنظر الاحياء للغزالى وقال البلالى فى اختصاره للاحياء ما نصه فيصحب تقيا عالما عاملا ورعا شفيقا رفيقا كريما حليما نصوحا أمينا حسن الخلق زاهدا محبا للفقراء وللخير وأهله صادقا فالكذوب والأحمق وسىء الخلق الذى لا يملك نفسه فى غضب ولا شهوة والفاسق والبخيل والحريص وصبيان ونساء فكل منهم لا يؤمن شره ولا يرجى خيره غالبا وأكثر فساد الخلق من صحبة الأغيار اصحب من يزينك ولا يشينك إلى أن قال فادم صحبة الاخيار إن لم تكن منهم فأنت معهم وأدم عبادة ربك تعالى إن لم يفتح لك صار الخير لك عادة فافهم انتهى. وقال زروق فى حال الشيخ

واصحب من إذا ذكرت ذكر الله فالله يغنى به إذا شهد وينوب عنه إذا فقد ذكره ينور القلوب ومشاهدته مفاتيح الغيوب وقال أيضا رضى الله عنه أوصانى خليلى فقال لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله ولا تجلس إلا حيث تأمن غالبا من معصية الله ولا تصحب إلا من تستعين به على طاعة الله ولا تصطف لنفسك إلا من تزداد به يقينا وقليل ماهم وفى الحكم العطائية لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله قال ابن عباد رحمه الله ومعنى الحال المنهضة ههنا أن تكون همته متعلقة بالله تعالى مرتفعة عن المخلوقين لا يلجأ من حوائجه إلا لله ولا يتوكل فى أموره إلا على الله قد سقط الناس من عينه فلا يرى منهم ضراً ولا نفعا وسقطت نفسه من عينه فلا يشاهد لها فعلا ولا يقتضى لها حظا ويكون فى أعماله كلها جاريا على مقتضى الشرع من غير افراط ولا تفريط فهذه صفة العارفين والموحدين فصحبة من هذا حاله وان قلت عباداته ونوافله مأمونة الغائلة محمودة العاقبة جالبة لكل فائدة دينية ودنيوية لأن الطبع يسرق من الطبع والنفس مجبولة على محبة الاقتداء بمن تستحسن أحواله ولا يشترط فى المصحوب اتصافه بتلك الصفات على غاية الكمال والتمام فان ذلك متعذر وانما يشترط فيه أن يتصف منها بما يفوق به صاحبه فقط بحيث يكون أعلى منه حالا وأصوب منه مقالا

﴿ بلا حساب لا ولا عقاب * بل من هو آمن من العذاب ﴾

الرؤية بالهاء هى البصرية وهى المرادة هنا والهادى من أسمائه صلى الله عليه وسلم والضمير فى لديهم للرجال بالمعنى السابق ولمح البصر طرفة العين يبالغ بها فى استغراق جميع أجزاء الزمان والمنظر الوجه وباقى الالفاظ واضح المعنى يقول ومن ذلك الذى قصدت ذكره هنا مما لسيدنا رضى الله عنه من الكرامات المأثورة والمناقب المشهورة رؤيته واجتماعه بسيد الانام عليه الصلاة والسلام فى حال اليقظة والمشافهة لا فى حال المنام وهى لدى الرجال الكاملين أجل مقصد وأسنى مرام * ومن ذلك أيضا بلا شك ولا مين دوام شهوده له صلى الله عليه وسلم بحيث لا تغيب عنه صورته الشريفة طرفة عين ومن ذلك أيضا كرامته الباهرة الشائعة المتواترة وهى ما بشره به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وضمنه له من فضل الملك الوهاب من ان من رآه يوم الاثنين أو يوم الجمعة يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب فهذه ثلاث كرامات أشار اليها الناظم رحمه الله فى هذه الاربعة أبيات فأما الأولى فالغرض منها ما اختص به سيدنا رضى الله عنه من الاجتماع بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة وسؤاله عن كل ما يريد السؤال عنه ومشاورته فى جميع الامور والتربية على يديه والتلقى منه والرجوع اليه فى كل شىء دق أو جل حسبما تقدمت الاشارة إلى بعض ذلك وأما الثانية فهى دوام مشاهدته لذاته صلى الله عليه وسلم الحقيقية بحيث لا يغيب عنه طرفة عين كما ثبت مثل ذلك عن القطب الكبير المرسى وشيخه القطب الشاذلى رضى الله عنهما وهى التى تقدم عن سيدنا رضى الله عنه أنها من خصائص قطب الاقطاب فى كل زمان وهى غير التى قبلها وان كانت تجتمع معها فى رؤية الذات الحقيقية حقيقة فان التى قبلها المقصود من ذكرها هنا السؤال عما يعرض والتلقى للعلوم والاسرار والتربية وغير ذلك على الحالة المذكورة إذ من الجائز أن يحصل دوام المشاهدة العيانية ولا يحصل ما ذكره من الاستقامة الموصوفة فافهم وأما الثالثة فهى ما أخبر به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم سيدنا رضى الله عنه وضمنه له مما تقدم فيمن رآه فى اليومين المذكورين والكل مصرح فى كلام العلماء المحققين بأنه من الكرامات الجائزة فلا ينكره أحد من أهل السنة أصلا وما ذكره بعضهم فى حق الحافظ ابن حجر العسقلانى والحافظ الذهبى وغيرهما من أعلام المحدثين فقد أنكر المحققون من المتأخرين كالشيخ أبى سالم العياشى رضى الله عنه نسبة ذلك إلى أمثالهم وذكر أن الذى ثبت عن ابن حجر وطعنه على بعض العارفين كالاستاذ أبى الحسن بن وفا ووالده ومثل ذلك وقع للحافظ الذهبى مع بعض معاصريه وليس الطعن بلسان العلم والانكار لفعل لو اطلع على الوجه فيه عند فاعله لسلم له بانكار الكرامات كما توهمه من نسب ذلك لامثال هؤلاء الأئمة فليتنبه لذلك وأمارؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة بعين الرأس لذاته الحقيقية فقد نص على جوازها جماعة من الأئمة المعتبرين وحكى وقوعها لكثير من العارفين الكاملين قال الشيخ جلال الدين السيوطى رضى الله عنه فى مؤلفه الذى ترجمه بالاعلال بحكم عيسى عليه السلام إذا نزل يجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم فلا مانع من أن يأخذ عنه ما احتاج اليه من شريعته ما نصه (الثالث) ان جماعة من أئمة الشريعة نصوا على أن من كرامات الولى أنه يرى النبى صلى الله عليه وسلم ويجتمع به فى اليقظة ويأخذ عنه ما قسم له من معارف ومواهب وممن نص على ذلك من الشافعية ومن أئمة المالكية القرطبى وابن أبى جمرة وابن الحاج فى المدخل اهـ المراد منه بلفظه (وحكى أيضا) أعنى

الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى فى كتابه الذى ترجمه بتنوير الحلك فى أمكان رؤية النبى والملك القول بامكان رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة كذلك عن الشيخ أبى بكر بن العربى المالكى رحمه الله تعالى فى كتابه قانون التأويل وذكر فى الجيش الكبير ان اللقانى رحمه الله تعالى حكى اتفاق الحفاظ على جواز رؤيته صلى الله عليه وسلم فى اليقظة والمنام وانهم لم يختلفوا فى ذلك وإنما اختلفوا هل يرى الرائى ذاته الشريفة حقيقة أو مثالا يحكيها فذهب الى الأول جماعات وذهب الى الثانى القرافى والغزالى وذكر هذا الخلاف السيوطى فى تنوير الحلك وقال بعده ما نصه وفصل القاضى أبو بكر بن العربى فقال رؤيته صلى الله عليه وسلم بصفته المعلومة ادراك على الحقيقة ورؤيته على غير صفته المعلومة إدراك للمثال وهذا الذى قاله فى غاية الحسن قال يعنى السيوطى رحمه الله تعالى ولا يمتنع رؤية ذاته الشريفة بجسده وروحه وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء أحياء ردت اليهم أرواحهم بعد ما قبضوا وأذن لهم فى الخروج من قبورهم والتصرف فى الملكوت العلوى والسفلى وقد ألف البيهقى جزءا فى حياة الأنبياء وقد ألفنا فيها جزءا لطيفا اه المراد منه بلفظه ثم قال بعد كلام هنا ما نصه فحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث أن النبى صلى الله عليه وسلم حى بجسده وروحه وانه يتصرف ويسير حيث شاء فى أقطار الأرض وفى الملكوت وهو بهيئته التى كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شىء وانه مغيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة مع كونهم احياء باجسادهم فاذا أراد الله رفع الحجاب عمن أراد كرامته رآه على هيئته التى هو عليها لا مانع من ذلك ولا داعى الى التخصيص برؤية المثال اه منه بلفظه أيضا (وهذا) التحصيل صريح فى أن الذى اعتمده السيوطى رحمه الله تعالى من الخلاف امكان رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة بذاته الشريفة الحقيقية وهو أيضا كاف فى رد جميع ما يخدش فى وجه صحته كما ترى وذكر فى الجيش الكبير ان شيخ مشايخ المالكية أبا الحسن سيدى عليا الأجهورى رحمه الله تعالى نقل هذا التحصيل بلفظه فى نوازله فهو قائل به (وقال الامام الساحلى) فى بغية السالك بعد ما ذكر طبقات الناس فى انطباع صورته الشريفة صلى الله عليه وسلم فى نفوسهم ووراء هذا ما هو أعلى درجة منه وهو أن يراه بعين رأسه عيانا فى عالم الحسن ولا تنكر هذا فقد يكرم الله من يشاء من عباده باقامة صورته الكريمة له حتى يشاهدها وهذا من جائز الكرامات التى يتحف الله بها أولياءه اه نقله فى الجيش (ونقل أثره) كلام صاحب روضة النسرين فى طبقات من انطبعت صورته الكريمة صلى الله عليه وسلم فى نفوسهم ونص ما نقله منه

ومكثر الصلاة فيه يشرق * فى قلبه نور لها يحقق
والناس فى ذاك لهم مراتب * بقدر ما تصفو لهم مشارب
لها بذهن بعضهم تصور * بعد تأمل وفكر يكثر
يراه فى النوم بلا كمال * وذو تصور لدى اعتزال
احيان ذكره يفوق من سلف * وكامل الرؤيا بها قد اتصف
ومن اذا يسد عينا أبصرا * نوما وضده سما من غبرا
فمن بعينى رأسه يراه * فى عالم الحس لما عراه

وقال يعنى صاحب روضة النسرين فى شرحه لهذا البيت والذى يظهر لى أن بعض الأولياء يرى فى اليقظة روحه متشكلة بصورته الشريفة وأهل المقام الأعلى يرون حقيقة ذاته الشريفة كأنه

انتهى . وقال سيدى أحمد زروق رضى الله عنه الذى ينهض حاله ويدل على الله مقاله هو الذى رفع همته عن الخلائق وامتلأ قلبه بمشاهدة الحقائق فاذا نظرت إليه وجدته مشغولا بالله وإذا تكلم فانما يدلك على الله والذى لا ينهض حاله ولا يدل على الله مقاله هو الذى لم ينازل الحقائق ولا رفع همته عن الخلائق بل هو الراضى عن نفسه المرتفع على أبناء جنسه الذى يعتد بعلومه وأعماله ويهمل نفسه فى ادباره واقباله وان كثرت أعماله وعلومه واتسعت أنظاره وفهومه انتهى . وقال فى جنة المريد وبالجملة فالناس ثلاثة رجل لا ينهض حاله ولا يدل على الله مقاله فهذا لا خير فى صحبته وان كثرت علومه وأعماله وتزايدت أحواله ورجل ينهض حاله ويدل على الله مقاله وصحبة هذا خير كلها سواء اتخذته شيخا أو صديقا ورجل تحققت فيه احداهما دون الأخرى فهذا لا بأس بصحبته وإن كان دون الذى قبله فله من الحق نصيب بقدره فان كان من جانب الحال فهو أتم لأن المساعدة فى الأعمال أمكن من المساعدة فى الاقوال انتهى . وقال ابن عباد رحمه الله قال سهل بن عبد الله احذر صحبة ثلاث من أصناف الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين ثم قال بعد كلام والحاصل ان صحبة أولياء الله هى التى يحصل بها الانتفاع للصاحب دون من عداهم من المنسوبين الى العلم والدين لأنهم خصوا من حقائق التوحيد والمعرفة بخصائص لم يشاركهم فيها أحد سواهم وسريان ذلك الى الصاحب من المصحوب هو غاية الأمل

والمطلوب فقد قيل ان من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها كما ان الجالس بدكان العطار لم يجد بداً من شم نفحات طيبة ولو لم يقصد ذلك هذا فى الحضور والمجالسة فما ظنك بالصحبة والمؤانسة انتهى وبعضه بالمعنى * وقال الساحلى فى بغية السالك اعلم أن الله تعالى برأ عالم الانس ليعبدوه قال «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون» وأرسل رسله هداة يهدون الخلق لعبادته ويدلونهم عليه قال تعالى «يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون» وجعل العلماء ورثة الانبياء لتتصل دعوة الخلق الى الله تعالى ثم قال تعالى «ثم أورثنا الكتاب الذى اصطفينا من عبادنا وقال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء ثم بين الله تعالى ماخص به العلماء من رفع الدرجات بقوله تعالى «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» وأوضح تعالى عما ظفر به العلماء من حقائق التوحيد بقوله «شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط» فجعل لورثة الرسل الذين هم هداة الخلق اليه مزية رفيعة على سائر عباده ثم أوجب على عباده رعى تلك المزية والقيام بحقها وقد جاء فى الخبر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى بيده لئن شئتم لأقسمن لكم أن أحب عباد الله الى الله تعالى الذين يحببون الله الى عباده ويحببون عباد الله الى الله ويمشون بالنصيحة واذا تأملت هذه التربية العلية والمزية والرفيعة فانك لا تجدها بكمالها على ماينبغى من شروطها إلا فى مشايخ

يقظة

معه فى حياته صلى الله عليه وسلم اه وقال يعنى صاحب الروضة المذكورة فى محل آخر من شرحه هذا ومن فوائد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم انها تقرب العبد منه صلى الله عليه وسلم حتى يلتقى معه يقظة وبذلك يأمن من السلب وقبل التقاء الولى معه يقظة يكون على خوف من السلب نعوذ بالله منه اه فتحصل من هذا الذى ذكرناه عن هؤلاء الأئمة رضى الله عنهم أن رؤيته صلى الله عليه وسلم بعين الرأس فى عالم الحس ومايتبعها من الأخذ عنه وسؤاله عما يعرض ومشاورته فى الأمور ونحو ذلك كل ذلك ممكن عقلا ثابت نقلا لامانع منه لمن أكرمه الله به من الأولياء وهو من جملة كراماتهم المتفق على جواز وقوعها عند أهل السنة رضوان الله عليهم لثبوت حياته صلى الله عليه وسلم كغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولثبوت الاذن لهم فى الخروج من قبورهم والتصرف فى العوالم العلوية والسفلية بالدلائل القطعية القائمة تصريحا أو ضمنا من النصوص الشرعية قال الجلال السيوطى أول كتابه أنباء الاذكياء لحياة الأنبياء حياة النبى صلى الله عليه وسلم فى قبره وهو وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معلومة عندنا علما قطعيا لما قام عندنا من الأدلة على ذلك وتواترت به الاخبار * وذكر من الاخبار الدالة على ذلك ما أخرجه الامام مسلم فى صحيحه عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بقبر موسى عليه السلام فاذا هو حى فى قبره يصلى قائما ومن ذلك حديث الانبياء أحياء فى قبورهم يصلون وعن ثابت البنانى انه قال لحميد الطويل هل بلغك ان أحداً يصلى فى قبره غير الانبياء قال نعم وفى رواية فقال اللهم ارزقنى هذه الكرامة فروى أنه نقر على قبره فوجده قائما يصلى وذكر القبر فى هذه الاخبار دليل لحياة الجسد إذ لو كان المراد الروح لم يحتج لتخصيصه بالقبر قاله فى تنوير الحلك وذكر فى أنباء الاذكياء أيضا عن البيهقى ان من شواهد هذا الباب لقيه صلى الله عليه وسلم لجماعة من الانبياء فى ليلة الاسراء وانه كلمهم وكلموه وأنه رأى سيدنا موسى قائما يصلى وكذلك سيدنا عيسى وكذلك سيدنا ابراهيم على جميعهم الصلاة والسلام وذكر فى الأنبياء أيضا عن دلائل النبوة أن سعيد بن المسيب قال لقد رأيتنى ليالى الحرة ومافى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرى ومايأتى وقت صلاة إلا سمعت الأذان من القبر الشريف وفى رواية عنه لم أزل أسمع الأذان والاقامة فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الحرة وفى رواية فكنت إذا حانت الصلاة أسمع أذانا يخرج من قبل القبر الشريف وفى رواية الدارمى ولم يبرح سعيد بن المسيب المسجد وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبره صلى الله عليه وسلم (ونقل) فى الأنباء أيضا عن القرطبى رحمه الله تعالى أن موت الانبياء انما هو راجع الى أن يغيبوا عنا بحيث لا ندركهم وان كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال فى الملائكة فانهم موجودون أحياء لا يراهم أحد من نوعنا الا من خصه الله بكرامته من أوليائه اه (وذكر) هنا كلام الشيخ عفيف الدين اليافعى ونصه على نقله الأولياء تردعليهم أحوال يشاهدون فيها ملكوت السموات والارض وينظرون الانبياء أحياء غير أموات كما نظر النبى صلى الله عليه وسلم الى موسى عليه الصلاة والسلام فى قبره وقد تقرر أن ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدى ولا ينكر ذلك إلا جاهل اه (قال السيوطى) بعد حكايته لكلام الشيخ عفيف الدين هذا رحمهما الله تعالى ونصوص العلماء فى حياة الانبياء كثيرة فلنكتف بهذا القدر اه وفى هذا الذى ذكرناه نحن أيضا من ذلك كفاية فيما يتعلق بكلام الناظم هنا والله ولى التوفيق وما تعسف به بعض هنا من استحالة رؤيته صلى الله عليه وسلم

يقظة لما يلزم على ذلك من خروجه من قبره ومشيه فى الأسواق وخلو قبره من جسده المقدس رده العلامة ابن حجر المكى بقوله وهذه الالزامات كلها ليس شئ منها بلازم ودعوى استلزامه لذلك عين الجهل والعناد ثم بين ذلك مما نقله عنه فى الجيش فراجعه فيه إن شئت وهو مستفاد من النصوص السابقة لمن تأملها وما ألزمه الحافظ العسقلانى أيضاً على القول بامكان رؤية ذاته الشريفة فى عالم الحس من أن الرائى يكون صحابياً رده العلامة الهيتمى أيضاً وكذا السيوطى فى تنوير الحلك بأن شرط الصحبة أن يراه وهو فى عالم الملك وهذه رؤية وهو فى عالم الملكوت وهذه الرؤية لا تفيد صحبة قال السيوطى رحمه الله تعالى ويؤيد ذلك أن الأحاديث وردت بأن جميع أمته عرضوا عليه فرآهم ورآوه ولم يفدهم ذلك صحبة لأن الرؤية فى عالم الملكوت اه بمعناه وغالب لفظه قلت وعالم الملك هو عالم الحس والشهادة ومن شأنه دخول المحدودات والمرسومات والمعرفات تحت حيطة الحدود والرسوم والتعريفات لتقييد الحس لكل محدود ومرسوم بحده ورسمه (وعالم الملكوت) هو عالم اللطافة والغيب ومن شأنه خرق العوائد وحقيقة خرق العادة الخروج عن محيطات ما هو معلوم ومعتاد من الحدود والرسوم والتعريفات وسائر الضوابط المنحصرة فى عالم الحس (ومعلوم) أن هذه الرؤية لمن أكرمه الله بها من باب خرق العادة ولذلك دخلت فى حيز باب الكرامة كما لا يخفى فلا يورد عليها الالزام الذى أورده الحافظ رحمه الله تعالى إلا من لم يمعن النظر حتى يفرق بين الكلام فى بساط باب خرق العادة والكلام فى بساط الحسن والشهادة والله تعالى أعلم ولا يذهب بك الوهم إلى أن تنفى الخصوصية الكبرى والمزية العظمى ممن أكرمه الله تعالى بهذه الكرامة التى هى الرؤية له صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة حيث انتفت عنه درجة الصحبة فان درجة الصحبة درجة سامية لا مطمع فى درکها لأحد ممن عدا صحابته صلى الله عليه وسلم لمكان صحبتهم لجسده الطاهر صلى الله عليه وسلم فى مدة وجوده الحقيقى الخارجى ولقوله صلى الله عليه لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً الحديث وهؤلاء الكمل المكرمون برؤية ذاته صلى الله عليه وسلم لهم مزية عظيمة على غيرهم ممن لم يكرم بذلك من ذلك ما صرح به الشيخ محيى الدين رضي الله عنه فى الباب الثالث عشر وثلاثمائة من الفتوحات المكية من أنهم يحشرون معه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة كما يحشر الصحابة الكرام رضى الله عنهم (قال) وأما من يراه فى النوم فليس هو من أصحاب هذا المقام وإن رآه ألف مرة حتى يراه وهو متيقظ كشفنا ويخاطبه ويأخذ عنه ويصح له من الأحاديث ما وقع فيه الطعن من جهة طريقها اه وهذه مزية عظيمة لهؤلاء الكمل على من عداهم إلا أنهم لا يرتقون بها الى درجة الصحابة رضى الله عنهم فهى مثل المزية الحاصلة للذين يروون الأحاديث المتصلة برسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل عصر فانهم يحشرون مع الرسل عليهم السلام لأنهم ورثة الأنبياء فى التبليغ والفقيه إذا لم يكن له نصيب فى رواية الحديث فليس له هذه المزية أنظر الفتوحات فى الباب السابق فقد بسط الكلام فيه فى تحقيق هذه المسألة رحمه الله تعالى ورضى عنه وأما من نقلت عنه هذه الكرامة التى هى رؤية ذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم فى عالم الحس فهم جماعة من الاكابر رضى الله عنهم منهم الشيخ الكامل مولانا عبد القادر الجيلانى رضي الله عنه فقد نقل فى تنوير الحلك عن الشيخ سراج الدين بن الملقن أنه ذكر عنه فى كتاب طبقات الاولياء أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الظهر فقال لى يا بنى ألا تتكلم فقلت يا أبتاه أنا رجل أعجمى فكيف أتكلم على فصحاء بغداد فقال افتح فاك

الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صح اقتداؤه به واتباعه له أحبه الله تعالى قال تعالى « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » ووجه كونه يحبب الله إلى عباده أنه يسلك بالمريد طريق التزكية والتحلية فاذا تزكت النفس انجلت مرارة القلب وانعكست فيها أنوار العظمة ولاح فيها جمال التوحيد فأحب العبد ربه لا محالة انتهى . قلت وذلك لأن النفس مجبولة على حب الجمال ومن عرف الله تعالى حق المعرفة ظهرت له صفات جماله التى لا يشاركه فيها أحد فيعبده حبا له لا طمعا فى جنته ولا خوفا من ناره وإذا تأملت ما قدمناه وأمعنت فيه النظر علمت أن فضل صحبة الأولياء لا يحيط به وصف واصف ولا يرده نزاع مخالف لأنهم ورثة الأنبياء حالا ومآلا وإن لم يدانوا المنزلة ففى الحديث للنظر الى الولى عبادة وفيه ان لله عباداً من نظر فى أحدهم نظرة سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً أنظر النصيحة الكافية وشارحها ابن ذكرى وذكر أبو نعيم فى الحلية أفضل ما تعبد به المتعبدون التحبب الى أولياء الله وأن علامة محبة الله محبة أوليائه وقال سيدى محمد الشاذلى رضى الله عنه عليك بصحبة الفقراء ولو لم يكن إلا أخذهم بيدك يوم القيامة مع ما تحملوه عن أصحابهم فى دار الدنيا من المصائب والهموم والأحزان وما يتلقون به القادم عليهم فى البرزخ من الفرح والاكرام وقال ما دخل مسجدى هذا أحد ثم صلى ركعتين إلا أخذت بيده فى

من عرف اسمه كما قيل فى طيفور ابن عيسى بن يزيد البسطامى كما فى الاجوبة الناصرية وفى فرائد الفوائد أفضل الاعمال جلوسك بين يدى ولى حيا أو ميتا قدر حلب شاة . وقال سيدى عبد الرحمن الثعالبى يسنده الى الطبرانى قال مات غريب عندنا بمكة فأخرجناه الى باب المعلى وجلسنا لاصلاح دفنه فاستوى جالسا فقلنا ألست قدمت قال بلى ولكن رجعت لأحدثكم وأبشركم أنفع ما عندنا محبة الصالحين وموالاتهم ثم رجع ميتا انتهى . وفى الاجوبة الناصرية قال الجزولى رحمه الله تعالى ومن فضائل خدمة الأولياء اكتساب العلوم والآداب والمعرفة برب الأرباب والعصمة من الذنوب والتباعد عن العيوب والوصول الى علام الغيوب والخدمة أيضا إنما هى الصحبة والاعانة والأخوة فاذا تمهد هذا فصحبة الولى فى أمرين : أحدهما أن تصحبه لله عز وجل لا لشىء بأن تقول هذا ولى الله وأنا أوالى لله وسر ذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم مخبرا عن الله تعالى من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وفى طيه من والى وليا لأجل أنه ولي اصطفيته واتخذته وليا والثانى أن تعلم أنه من عبيد الحضرة فتصحبه لتأخذ منه ما يجب للحضرة من الادب ومن صحبه لغير ذلك خسر الدنيا والآخرة فاذا عرفت هذا عرفت انه إنما يصحب لله ليدل على الله وعلى ما يقرب منه

الأولياء

فتحه فتفل فيه سبعا وقال تكلم على الناس وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فصليت الظهر وجلست وحضرنى خلق كثير فارتج علىّ فرأيت عليا يعنى ابن أبى طالب رضى الله عنه قائما بازائى فى المجلس فقال لى يا بنى لم لا تتكلم فقلت يا أبتاه قد ارتج على فقال افتح فاك ففتحته فتفل فيه ستا فقلت لم لم تكملها سبعا فقال تأدبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توارى عنى فقلت غوامض الفكر يغوص فى بحر القلب على درر المعارف فيستخرجها إلى ساحل الصدر فينادى عليه ترجمان اللسان فيشترى بنفائس أثمان حسن الطاعة فى بيوت أذن الله أن ترفع (قال) وقال يعنى السراج بن الملقن فى ترجمة الشيخ خليفة كان كثير الرؤية له صلى عليه وسلم يقظة ومناما فكان يقال إن أكثر أفعاله متلقاة منه صلى الله عليه وسلم ورآه فى ليلة سبع عشرة مرة قال له فى إحداها ياخليفة لا تضجر منى فان كثيرا من الأولياء مات بحسرة رؤيتى ( ونقل ) عن الشيخ عبد الغفار بن نوح المقدسى أنه ذكر فى كتاب الوحيد بعض المشايخ وسماه وقال فيه وكان يخبر أنه يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل ساعة حتى لا تكاد تمر ساعة إلا وهو يخبر ( وممن ثبتت له هذه الكرامة ) أيضا الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه وتلميذه وخليفته الشيخ أبو العباس المرسى وذكروا أنه كان إذا سلم على النبى صلى الله عليه وسلم رد عليه ويجيبه إذا تحدث ( وممن ثبتت له هذه الكرامة ) الاستاذ سيدى على بن وفا رضى الله عنه وكان يحدث عن نفسه أنه رآه صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس سنين يقظة لا مناما وعليه قميص أبيض من القطن ثم رأى القميص عليه وأنه قال له اقرأ فقرأ عليه سورة والضحى وسورة ألم نشرح ثم غاب عنه صلى الله عليه وسلم وأنه لما بلغ إحدى وعشرين سنة أحرم للصلاة فرآه صلى الله عليه وسلم قبالة وجهه فعانقه فقال « وأما بنعمة ربك فحدث » (قال) رضى الله عنه فأوتيت لسانه من ذلك الوقت وذكر السيوطى رحمه الله تعالى عن بعض الاولياء أنه حضر مجلس فقيه فروى ذلك الفقيه حديثا فقال له الولى هذا الحديث باطل قال ومن أين لك قال هذا النبى صلى الله عليه وسلم واقف على رأسك يقول إنى لم أقل هذا الحديث وكشف للفقيه فرآه صلى الله عليه وسلم فقال له ما قلت ذلك فسلم الفقيه للولى اه (ونقل) فى الجيش الكبير عن الشيخ العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه أنه قال فى كتابه لطائف المنن والاخلاق أدركت بحمد الله جماعة ممن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليقظة وعد منهم سيدى عليا الخواص والحافظ السيوطى وغيرهما (قال) يعنى العراقى رضى الله عنه وكان سيدى ابراهيم المتبولى رحمه الله تعالى يقول نحن خمسة فى الدنيا لا شيخ لنا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الجعيدى يعنى نفسه والشيخ أبو مدين والشيخ عبد الرحيم القناوى والشيخ أبو مسعود بن أبى العشائر والشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه وقال الشعرانى يحدث عن نفسه لا أعلم أحدا فى مصر الآن أقرب سندا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منى فان بينى وبينه رجلين سيدى على الخواص وسيدى ابراهيم المتبولى فقط ونقل صاحب الجيش عنه أيضا أنه قال فى كتابه الميزان بعد أن جزم بأن المجتهدين جميعهم كمالك والشافعى رحمهم الله يقولون برؤية ذاته الشريفة فى اليقظة ويسألونه عما يحتاجون السؤال عنه ما نصه وقد اشتهر عن كثير من الاولياء الذين هم دون الأئمة المجتهدين فى المقام أنهم كانوا يجتمعون برسول الله صلى الله عليه وسلم يصدقهم أهل عصرهم على ذلك كالشيخ ابراهيم الدسوقى وسيدى الشيخ جلال الدين السيوطى والزواوى والمرسى وأبى مدين وأبى السعود والشاذلى وعبد الرحيم وجماعات ذكرناهم فى طبقات

الأولياء ( قال ) ورأيت بخط الشيخ جلال الدين السيوطى عند بعض أصحابه وهو الشيخ عبد القادر الشاذلى مراسلة لشخص سأله شفاعة عند السلطان قايتباى ونصها اعلم يا أخى أنى اجتمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقتى هذا خمسا وسبعين مرة يقظة ومشافهة ولولا خوفى من احتجابه صلى الله عليه وسلم عنى بسبب دخولى للولاة لطلعت القلعة وشفعت فيك عند السلطان وانى رجل من خدام حديثه صلى الله عليه وسلم وأحتاج اليه فى تصحيح الأحاديث التى ضعفها المحدثون من طريقهم ولا شك أن نفع ذلك أرجح من نفعك أنت يا أخى اه قال يعنى الشعرانى رضى الله عنه ويؤيد الشيخ جلال الدين فى ذلك ما اشتهر عن سيدي محمد ابن زيد المادح لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يراه يقظة ومشافهة ولما حج كلمه من القبر ولم يزل هذا مقامه حتى طلب منه شخص أن يشفع له عند حاكم البلد فلما دخل عليه أجلسه على بساطة فانقطعت عنه الرؤية فلم يزل يتطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تراءى له من بعيد فقال تطلب رؤيتي مع جلوسك على بساط الظلمة لا سبيل لك إلى ذلك فلم يبلغنا أنه رآه بعد ذلك حتى مات اه ( ونقل ) فى الجيش أيضا عن الشيخ أبى الحسن الأجهورى رحمه الله تعالى أنه ذكر فى نوازله أنه رأى جماعة ممن وقعت لهم رؤيته وسمع ذلك منهم قال منهم شيخنا العارف بالله تعالى شيخ المالكية فى زمانه الشيخ محمد النووى قال وقد ذكر ذلك لجميع الناس ومنهم أيضا شيخنا العارف بالله تعالى الشيخ الحمالى المشهور بحشيش وكان يقع له ذلك كثيراً والقرائن الدالة على صدقهما فى ذلك بينة مفيدة للقطع ومنهم شيخنا نور الدين القلوصى وشيخه العارف بالله تعالى الشيخ أحمد الأحم وقد اجتمعت به مراراً عديدة ودعا لى بالدعوات الصالحة اه ( وذكر السيوطى ) فى تنوير الحلك وغيره أن الشيخ أبا العباس القسطلانى دخل مرة على النبى صلى الله عليه وسلم فقال أخذ الله بيدك يا أحمد ( وذكر ) عن الشيخ أبى السعود بن أبى العشائر أنه قال كنت أزور شيخى أبا العباس وغيره من صلحاء مصر فلما فتح الله على لم يكن لى شيخ إلا النبى صلى الله عليه وسلم وأنه كان يصافحه عقب كل صلاة وتقدم قول الشيخ مولانا عبد القادر لم أتزوج الخ ( وفى هذه النبذة ) التى اقتصرنا عليها هنا من ذكر من اتفقت له هذه الكرامة العظيمة كفاية لمن شرح الله صدره للتصديق والتسليم لهذه العصابة الكريمة ( وأما الكرامة ) الثانية المشار اليها فى هذه الأبيات الأربعة وهى دوام شهود صورته صلى الله عليه وسلم بحيث لا يغيب عنه لمحة فقد تقدم أنها من خصائص قطب الاقطاب فلا مرية أنها كانت من كرامات سيدنا رضى الله عنه ( وأما ) الكرامة الثالثة وهى دخول الجنة لمن رآه رضى الله عنه فى اليومين الاثنين والجمعة فهى من كراماته رضى الله عنه التى طارت بها الركبان وتواترت بها الأخبار فى سائر الأقطار والبلدان باخبار من النبى صلى الله عليه وسلم ولفظه الشريف فيما أخبر به سيدنا رضى الله عنه بعزة ربى يوم الاثنين والجمعة لا أفارقك فيهما من الفجر الى الغروب ومعى سبعة أملاك وكل من يراك فى اليومين يكتبون يعنى الأملاك السبعة اسمه فى رقعة من ذهب ويكتبونه من أهل الجنة وأنا شاهد على ذلك ولتكثر من الصلاة على فى هذين اليومين فكل صلاة تصليها على نسمعك ونرد عليك وكذلك جميع أعمالك تعرض على والسلام انتهى. وقول الناظم رحمه الله تعالى هنا بلا حساب ولا عقاب اخذه بالأولوية من أخباره رضى الله عنه بأن النبى صلى الله عليه وسلم ضمن له أن من رآه يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب يريد سواء فى اليومين أو غيرهما وبهذا تعرف أن ضمان النبى صلى الله عليه وسلم له رضى

لما هو عليه من محامد الصفات العلية والأسماء البهية قال شيخنا سيدى أبو العباس أحمد بن محمد التجانى فى جواهر المعانى ونقلته بالمعنى ونحوه ما قال اللمطى فى الذهب الابريز عن شيخه سيدى عبد العزيز الدباغ قال سمعته رضى الله عنه يقول ان الغرض من الولى الدلالة عن الله تعالى والجمع عليه والتزهيد فيما سواه فاذا جعل القاصد يطلب منه هذا الأمر فانه يربح منه واذا جعل يطلب منه قضاء الحوائج والأوطار ولا يسأله عن ربه ولا كيف يعرفه مقته الولى وأبغضه فهو السالم إن نجا من مصيبة تنزل به وذلك لأمور منها أن محبته للولى ليست لوجه الله وانما هى على حرف والمحبة على حرف خسران مبين لا ينزل عليها نور الحق أبداً ومنها أن الولى يراه فى تعلقه بغير الله تعالى فى عين القطيعة وهو يريد أن ينقذه منها والعبد يريد أن يزيده منها فان الولى يراه ترك التمرة وأخذ الجمرة فالتمرة معرفة الله والعكوف بين يديه والجمرة هى القطيعة عنه والقبض فى غيره والميل الى الدنيا والركون الى زخارفها ومنها أن الولى إذا ساعفه فى قضاء بعض الأوطار وقابله ببعض الكشوفات ربما يظن العبد أن هذا هو الذى ينبغى أن تقع المعرفة عليه وفيه يرغب الناس وليس وراءه مطلب وكل ذلك ضلال وموجب لمقت الولى له قلت ومن مقته له ومكره به أن يظهر على ذاته بعض المخالفات أو يخبره بشىء لا يكون أنه لا يكون ليطرده بذلك عنه والله تعالى أعلم انتهى كلام اللمطى. وقال

كحب التقدم والترؤس ونيل المقامات وخرق العوائد فتجد أحدهم يطمع فى المقامات ويطلب الفتح باسم الله الأعظم والانتفاع برؤية المشايخ وصحبتهم مع كونه لاينفك عن محرم ولا يتحفظ فى شىء من أمر دينه وهذا بمثابة من يطبخ الماء مجرداً ويطمع أنه يجد فى القدر لحما وانما جعل الله الشيخ مربياً لاخالقا ومعينا لاموجداً انتهى والله ولى التوفيق وهو الهادى إلى سبيل التحقيق

﴿فصل﴾ أما حكم اتخاذ المشايخ المربين فقد قال الشعرانى فى العهود المحمدية أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الانسان لنفسه شيخا يرشده إلى زوال الصفات التى تمنعه من دخول حضرة الله تعالى بقلبه لتصح صلاته من باب مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب ولا شك أن علاج الأمراض الباطنة من حب الدنيا والكبر والعجب والرياء والحسد والغل والنفاق ونحوها كله واجب كما يشهد له الأحاديث فى تحريم هذه الأمور والتوعد عليها بالعقاب الى أن قال فعلم أن كل من لم يتخذ له شيخا يرشده إلى الخروج من هذه الصفات فهو عاص لله تعالى ولرسوله لأنه لايهتدى إلى طريق العلاج بنفسه يغير شيخ ولو حفظ ألف كتاب فى العلوم فهو كمن يحفظ كتابا فى الطب ولا يعرف أن ينزل الدواء على الداء فكل من سمعه وهو يدرس فى الكتاب يقول انه طبيب عظيم ومن رآه حين يسئل عن اسم المرض وكيفية إزالته قال انه جاهل

الله عنه دخول الجنة لمن رآه وقع له مطلقا ومقيداً باليومين المذكورين ولا شك أن المقيد باليومين له مزيد مزية على المطلق لتأكيد الوعد فيه بالقسم لأنه وإن كان وعده صلى الله عليه وسلم صدقا بلا ريب مطلقا ففى المؤكد بالقسم اظهار مزيد الاعتناء منه صلى الله عليه وسلم بمن حصلت له الرؤية فى اليومين وذلك يفيد التقييد بعدم الحساب والعقاب فى حق من رآه فى اليومين بالأولوية كما لايخفى على أن صاحب الجامع صرح بعدم الحساب والعقاب والمقيد باليومين مزيد مزية أيضا بكتابة الأملاك لاسم الرائى فى رقعة من ذهب ولم يذكر ذلك فى المطلق وتلك عناية ظاهرة أيضا وبالجملة فرؤيته رضى الله عنه فى كل يوم سبب لدخول الجنة بلاحساب ولا عقاب كرامة من الله تعالى له ورؤيته فى أحد اليومين المذكورين سبب لما ذكر من دخول الجنة بلاحساب ولاعقاب وزيادة ما ذكر من كتابة الملائكة اسمه الخ كرامة من الله تعالى أيضا رضى الله عنه فافهم ذلك ورأيت فى كلام بعض من كان مشاراً اليه بالفتح من الأصحاب مايشير الى أن المختص برائيه فى اليومين هو السعادة التى لاشقاوة بعدها يعنى أنه لايراه فى اليومين إلا من سبق فى علم الله تعالى أن يكون سعيداً فيدخل الكفار فى هذا الخطاب وينسحب عليهم الحكم فى هذا المقام بفضل الملك الوهاب فيقال لايراه فى هذين اليومين إلا من يسبق فى علم الله تعالى أنه يختم له بالسعادة كائنا من كان فاذا رآه الكافر فى أحد اليومين ختم له بالايمان وعليه فتختص الرؤية المطلقة فى كل يوم بمن كان مسلما سواء كان من الأصحاب أم لاحسبما هو مصرح به فى الجواهر (وهذه) المقيدة باليومين بما يشمل كل من رآه ولو كافراً ويؤيد هذا ما أخبرنا به غير واحد من خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه وهو أن يهوديا كان يخيط للشيخ رضى الله عنه ثيابا فجلس بازائه بعض الأصحاب وتحدثوا بهذه الكرامة بينهم فسمعهم اليهودى من غير أن يلقوا اليه بالا فاحتال بأن أكمل ما كان يخيطه فى أحد اليومين الاثنين أو الجمعة ثم طلب ممن كان ينوب عن الشيخ رضى الله عنه فى قضاء المآرب أن يرفع ما أخاطه للشيخ بيده وذكر أنه أراد أن يطلب منه الدعاء فشاور النائب سيدنا رضى الله عنه على ذلك وذكر له ماطلبه فاذن له الشيخ رضى الله عنه فدخل وجلس بين يديه وأمعن النظر فى وجهه ثم قال له ياسيدى ها أنا رأيت وجهك وهذا يوم كذا فدعا له الشيخ وانصرف فآل أمره إلى أن مات مسلما بعد وفاة سيدنا رضى الله عنه تصديقا لضمانه صلى الله عليه وسلم لسيدنا رضى الله عنه المؤكد بالقسم (ومثل هذا) لاينكره إلا جاهل بسعة فضل الله تعالى أو منكر لكرامات الأولياء فلا عبرة بمن أنكر مثله على أكابر العارفين كانكار بعض المترسمين من أهل سجلماسة عن الشيخ الكبير القدوة الشهير سيدى محمد بن ناصر الدرعى رضى الله عنه فيما كان يذكره للفقراء من كلام الثعالبى رضى الله عنه فانه أعنى الامام كان يحكى بسنده إلى الامام الثعالبى رضى الله عنه أنه قال من رأى من رآنى إلى سبعة ضمنت له الجنة بشرط أن يقول كل لمن رأى أشهد أنى رأيتك فيشهد له فكان الشيخ ابن ناصر يذكر ذلك على طريق الترجية ولئلا يفوت المسلمين ذلك الخير ان حققه الله تعالى فقالوا هذا يوقع الناس فى الأمن ووقعوا فيه وكتبوا فى ذلك كراسة فقيض الله لها من نقض باطلها عروة عروة ذكره العلامة المحقق أبو على اليوسى رحمه تعالى وذكر أن الامام ابن ناصر كان بينه وبين الامام الثعالبى فى هذه السلسلة أربعة وسائط فكان فى الطبقة الخامسة من طبقات أهل هذه الكرامة ثم قال الشيخ أبو على اليوسى رضى الله عنه وقد رأيت والحمد لله ابن ناصر وأشهدته على ذلك حققه الله لنا ولاخواننا قال واعلم أن مثل هذا يذكر

على طريق الرجاء كما أشرنا إليه وهو أمر جائز لا يمنعه عقل ولا شرع وذلك أن فضل الله تعالى عظيم لا يحد بقياس وأولياء الله تعالى أبواب يخرج منها هذا الفضل ولهم مكانة عند ربهم الكريم المتفضل فأى شىء يستبعد فى أن يمنح بعضهم الشفاعة فى قرنه أو أكثر وأن من مسه لم يمسه النار أو أن من رآه دخل الجنة أو من رآى من رآه إلى سبعة أو أكثر هذا كله قريب وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن أويس القرنى رضى الله عنه أنه يشفع فى مثل أو عدد ربيعة ومضر اه المراد هنا من كلام الشيخ أبى على اليوسى بلفظه فى محاضراته عقب ما تقدم عنه بمعناه وفيه الغنية لمن ألهمه الله رشده وهداه ومما يتعلق بهذه الكرامة ما أخبرنى به بعض العلماء الأفاضل من أصحاب سيدنا رضى الله عنه أن بعض مشاهير علماء العصر وكان من الشرفاء العلويين الكرام قصد إلى سيدنا رضى الله عنه فى أحد اليومين المذكورين زائرا فدخل عليه فلما جلس بين يديه أمعن فيه النظر وقال ياسيدنا ما اسم هذا اليوم فتهلل وجه سيدنا رضى الله عنه وعلاه الوقار من شدة تعظيمه لآل البيت الأطهار وأجابه بديهة بأن قال له الكلام فى غير آل بيته صلى الله عليه وسلم فانظر ما يجلبه الانصاف والتصديق والمحبة لأهل الله تعالى فان هذا الشريف لما أتى مع ما هو فيه من نخوة العلم والنسب منصفا محباً ملتمسا للبركة حظى شهادة القطب له بصحبة اتصال نسبه برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نصوا على أن من شهد له عارف كبير بصحة هذا النسب فهو مقطوع له به وفى صحة الاتصال بنسبه الشريف صلى الله عليه وسلم ما لا يقدر قدره من الفضل والفخار والجاه الشامخ المنيف (تبشير) رأيت فيما وقفت عليه من كلام صاحب الرماح رضى الله عنه أن للمتعلقين بالشيخ رضى الله عنه من الفضائل الثابتة له بأخبار منه رضى الله عنه أو ممن يعتمد فى مثل ذلك من أصحابه وورثة أسراره دون ما هو مكتوم من ذلك أربعا وثلاثين فضيلة أربع عشرة منها تشمل جميع من تعلق به بوجه من التعلقات كالنظر إليه والمحبة له ولأهل طريقه وقضاء حوائجه ونحو ذلك يعنى من غير أخذ ورد وعشرون تختص بمن أخذورده وتمسك بطريقته ثم سردها وذكر من هذه العشرين المختصة بأهل الورد أن من آحاد أهل هذه الطريقة من اذا رآه الشخص يوم الاثنين أو يوم الجمعة دخل الجنة بلا حساب ولا عقاب وراثة من الشيخ رضى الله عنه اه فينبغى للمصدق الراغب فى الاستكثار من الخير أن ينظر فى وجه كل من لقيه فى اليومين من أهل هذه الطريق بهذه النية قصدا لأن يعثر على أحد من أصحاب هذه الوراثة ونية المؤمن خير من عمله والله الموفق ثم قال الناظم رحمه الله .

﴿ وكل ما يملى فعن خير الورى * مترجم بلفظه بلا مرا ﴾

الاملاء القراءة على الغير والمراد هنا القاء العلوم والفوائد والاسرار للسامع المستفيد والورى الخلق وترجم عنه كلامه ألقاه على حسب ما يفهمه السامع والمراء الجدال والمراد بلا نزاع فى ذلك يقول وكل ما يمليه سيدنا رضى الله عنه وأرضاه وأدامنا بمنه وكرمه فى حوزة حماه من أخباره بهذه الكرامات وغيرها من المواهب والأسرار فهو مترجم فيه عن أخبار نبينا المصطفى المختار صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون مراد الناظم بهذا البيت الاخبار بهذه الكرامة التى هى الاخبار عنه صلى الله عليه وسلم فى كل ما يخبر به وجميع ما يأمر به فى طريق الدلالة على الله ولا شك أنها كرامة ظاهرة ومنقبة سامية فاخرة وهى ثابتة لسيدنا رضى الله عنه وقدس أسراره الطاهرة (ويحتمل أن يكون مراده به التنصيص على أن ما تقدم ذكره من ضمان النبى صلى الله عليه وسلم دخول

الصالح والأئمة المجتهدين لا يحتاج إلى شيخ بل الانسان على نفسه بصيرة انتهى . وقال فى لطائف المنن له قالوا ومن لم يجد شيخا فى بلده يجب عليه السفر فى طلبه ومن لم يستطع السفر وجب عليه مجاهدة نفسه بغير شيخ قال تعالى «فان لم يصبها وابل فطل» ثم قال وكانت صورة مجاهدتى لنفسى من غير شيخ أننى كنت أطالع كتب القوم كرسالة القشيرى وعوارف المعارف والقوت لأبى طالب المكى والاحياء للغزالى ونحوها فأعمل بما ينقدح لى من طريق الفهم ثم بعد مدة أرى خلاف ذلك وأترك الأمر الأول وأعمل بالثانى وهكذا فكنت كالذى يدخل دربا لا يدرى هل ينفذ أو لا فهو يسلك إلى آخره فان رآه نافذا خرج وإلا رجع ولو اجتمع بمن يعرف أمر الدرب قبل دخوله لكان بين له أمره وأراحه من التعب فهذا مثال من لا شيخ له ومن سلك بغير شيخ تاه وقطع عمره ولم يصل إلى مقصوده وذكر من مجاهدته أنه كان يجعل حبلا فى سقف الخلوة فيجعله فى عنقه طول ليله من العشاء إلى الفجر لا يصل إلى الأرض لو اضطجع ومكث على ذلك سنين قال ولم يكن لى بحمد الله علاقة تعوقنى عن المجاهدة والوصول إلى المقصود وذكر عدة أشياء تحملها فى مجاهدته يفضى بناذكرها إلى الاطالة الموجبة للملالة وقال فى موضع آخر منه بعد كلام طويل ولو أن طريق القوم يوصل إليها بالفهم لما احتاج حجة الاسلام الغزالى وعز الدين بن عبد السلام إلى أخذ أدبهما عن شيخ انتهى . وقال السهروردى فى كتاب آداب المريدين

أول ما يجب على المريد الانتباه انفتاح عين قلبه بل عليه أن يصير تحت أمره ونهيه فى خدمته حتى يكمل تخريجه قال ومن لم يصحب مفلحا لا يفلح وقال بعض المشايخ من لم يتأدب بأوامر الشيوخ وتأديبهم لم يتأدب بكتاب ولا سنة قاله فى جنة المريد وفيها أول ما يجب على السالك المريد إنقاذ مهجته من المهالك طلب شيخ يبصره بعيوب نفسه ويخرجه عن دائرة حسه ويميزه بالصدق والاخلاص ولو بالرحلة فى طلبه إلى أقصى البلاد بأعمال العوامل وضرب جنوبها والأكباد إذ من لم يكن له شيخ يقوده إلى طريق الهدى قاده الشيطان لامحالة الى طريق الردى وفيها أيضا وقال الشيخ أبو العباس المرسى كل من لم يكن له أستاذ يوصله بسلسلة الأتباع فيكشف عن قلبه مسدل القناع فهو فى هذا الشأن لقيط لا أدب له دعى لا نسب له وقال فى موضع آخر لا يخفى أن السير والسفر فى عالم الشهادة الذى هو عالم الجسمانية براً وبحراً إذا كان بغير دليل يكون الغالب عليه الهلاك فضلا عن أن يوصل إلى مقصد فكيف فى عالم الغيب الذى ليس من قبيل المحسوسات فيجب على من له عناية بهذا السفر الميمون أن يبذل جهده فى طلب دليل عارف بعلامات الطريق خبير بالمهالك والمخاوف وآفات الدروب والنفائف قطع هذه البوادر المبيدة فقدم الصدق مرارا وكثر مجيئه فيها وذهابه فيها بعد أن وصل إلى كعبة الحقيقة التى إليها

الجنة لمن رآه فى اليومين إنما هو اخبار من النبي صلى الله عليه وسلم لسيدنا رضى الله عنه فهو مترجم فيه وفيما كان من خبره من الكرامات عن لسان النبي صلى الله عليه وسلم فيكون الناظم أشار به إلى ما تقدم من خطابه الشريف صلى الله عليه وسلم لسيدنا رضى الله عنه بقوله بعزة ربى الخ وعلى هذا الاحتمال يكون البيت تتمة الكلام فيما قبله وإن كان لبعض ما بعده تعلق به أيضا وسوقه الكلام فى الكرامة مساق التفصيل يعطى أن هذا الاحتمال الثانى وهو المراد عنده وإن كان الأول متجها أيضا والله تبارك وتعالى أعلم ثم قال رحمه الله

﴿ ومنه أن ربه قد شفعه * فى كل من قد كان فى العصر معه ﴾
﴿ وزيد عشرون من السنينا * لشيخنا مصححا يقينا ﴾

العصر يراد به هنا من زمن الولادة إلى الموت وباقى الألفاظ واضح يقول ومن هذا الذى أردت فى هذا المقام ذكره وقصدت فى هذا المحل نشره من كرامات سيدنا قدس الله سره ما تلقاه عنه الثقات من أصحابه الأخيار واشتهر بين أتباعه فى كل قطر كل الاشتهار من قوله رضى الله عنه شفعنى الله فى أهل عصرى ومرة قالها فقال خليفته سيدى على حرازم رضى الله عنه وزيادة عشرين سنة فأقر الشيخ رضى الله عنه مقاله ذلك واستحسنه فظهر أنه مما ساره به قبل ذلك الزمان ثم استفاض بعد ذلك قيد حياة الشيخ رضى الله عنه وبعد مماته إلى الآن وهذه الكرامة أيضا من جنس الكرامة قبلها وتقدم قول الشيخ أبى على اليوسى رحمه الله وأى شىء يستبعد فى أن يمنح بعضهم الشفاعة فى قرنه أو أكثر الخ وقد نقل الثقات اتفاق هذه الكرامة التي هى الشفاعة فى العصر عن غير واحد من المشايخ الكاملين والعارفين الواصلين وتلقاها المعاصرون لهم من الأئمة الأعلام بالقبول التام ( وممن ) نقلت عنه الأستاذ الشهير العارف الكبير سيدى محمد بن مبارك التستاوتى رضى الله عنه فذكر أن جماعة من أصحابه دخلوا على الشيخ الكبير سيدى محمد الشرقى فقال لهم أيها الفقراء ما الذى قال ابن مبارك فأخبروه بنحو مقالة الشيخ السابقة فقال سيدى محمد الشرقى اشهدوا أنا من أهل زمان ابن مبارك انتهى فكذا يجب التلقى بالقبول لمثل هذا إذا سمع عن أرباب المقامات من الكمل الفحول (وممن) نقلت عنه هذه الكرامة أيضا القطب سيدى محمد بن القطب مولانا عبد الله الشريف المتقدم الذكر وقد ذكر سيدنا رضي الله عنه أن الشيخ أبا عبد الله الخروبى الطرابلسى رضى الله عنه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ضمانه أهل عصره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سبقك بها ولدى محمد يعنى صلى الله عليه وسلم القطب المذكور رحمه الله تعالى ورضى الله عنه ثم قال الناظم رحمه الله تعالى

﴿ ومنه أن خاتم الرسالة * قال له ما لبلال قاله ﴾
﴿ وقيل للشيخ رفيع الذكر * مالابن داود أتى فى الذكر ﴾
﴿ من قوله هذا عطاؤنا إلى * آخرها ومثل ذا لمن يحظلا ﴾

خاتم الرسالة نبينا صلى الله عليه وسلم و بلال هو ابن حمامة الحبشى الصحابى الجليل مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذكر الأول الثناء والصيت والذكر الثانى القرآن العظيم ففى الكلام تجنيس تام والضمير فى من قوله للحق تبارك وتعالى ففى الكلام شجاعة الفصاحة على حد ماقيل فى قوله تعالى «حتى توارات بالحجاب» والعطاء فسروه بالتفضل أى التفضل المحض الوارد من المتفضل على المتفضل عليه لا على سبيل الاستحقاق والوجوب قاله فى مفاتيح الغيب والضمير فى

قوله

قوله إلى آخرها للآية الكريمة والاشارة بذا من قوله ومثل ذا الى قول أكابر العارفين كالشاذلى وابن سبعين والجزولى واضرابهم رضى الله عنهم قيل لى كذا ويحظ لا من حظله إذا منعه يقول ومن هذا الذى أردت الاشارة اليه وقصدت التعريج فى هذا المحل عليه من كرامات سيدنا رضى الله عنه وأرضاه ومناقبه وخصائصه ومزاياه ما تلقاه عنه الثقات من أصحابه السراة الأمثال من قوله رضى الله عنه قال لى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أنفق بلال ولا تخش من ذى العرش إقلال وما تلقوه عنه أيضاً وتواتر الحديث به واشتهر كل الاشتهار بين الاخوان والأصحاب من قوله رضى الله عنه قيل لى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ومثل هذا إذا ثبت وروده عن أهل الاختصاص لا قادح فيه ولا مانع منه باجماع من فحول الأئمة وكل الخواص وهاتان الكرامتان العظيمتان بما آل إليه أمرهما من نوع واحد وقد ظهر مصداقهما للغائب والشاهد حتى أقر به المحب والقالى وتساوى فى الاعتراف به المقر والجاحد وانظر فصل كرمه من كتاب جواهر المعانى تعرف ما خصه الله تعالى به فى هذا الباب وانه لا مساوى له فيه من أبناء جنسه ولا مدانى ومن كلامه فيه قوله فدأبه رضى الله عنه الانفاق فى سبيل الله والاطعام لوجه الله يفرق ماله فى ذلك شذر مذر فى كل وقت من رخاء وشدة فى حالة الحضر والسفر من كل ما يتناوله من المكتسبات من عين وعرض وفواكه وخضر ما بين مواساة ونفقة وصلة رحم وصدقة ويقول المال مال الله وإنما أنا خازن الله ومسخر فيه لقوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ولقوله صلى الله عليه وسلم يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فانه لم يغض ما فى يده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع انتهى وهذا الحديث أخرجه غير واحد عن أبى هريرة رضى الله عنه وراجع إن شئت هذا الفصل بتمامه (لطائف) الأولى من المعلوم أن هذا الخلق الذى هو الانفاق بمال الله على عباد الله والدأب على ذلك غير تطرق خوف عدم ولا مداخلة ريبة ولا تهمة ثقة بالله تعالى وبحكم الاستخلاف المشار إليه فى الآية هو من أخلاق الكمل الراسخين فى مقامات اليقين فهو فى بساط الولاية نتيجة من نتائج السلوك وثمرة من ثمرة الوصول إلى معرفة ملك الملوك ومع ذلك خوطب فيه سيدنا رضى الله عنه من حضرة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ففيه اشارة دقيقة إلى أن تربيته صلى الله عليه وسلم لم تنفصل عن سيدنا رضى الله عنه فى حضرة من الحضرات ولا فى منزل من المنازل ولا فى مقام من المقامات وتلك فى ظهور أثر العناية الربانية غاية الغايات وفى أمره صلى الله عليه وسلم له باللفظ الذى خاطب به بلالا رضى الله عنه الاشارة إلى بيان أصل هذا الخلق ومسنده من الشريعة المطهرة وانه لا يتحقق به إلا من كان على قدم هذا الصحابى الجليل من المستغرقين فى بحر شهود الأحدية كما يشير إليه أثر أحد أحد فجمع له صلى الله عليه وسلم فى التربية بين الشريعة والطريقة وتلك فى بساط التربية نهاية النهايات إذ الشريعة ما جاء به صلى الله عليه وسلم كتابا كان أو سنة أو تقريراً أو إجماعا وجميع ما يؤول إلى ذلك من استنباطات المجتهدين رضى الله عنهم وهى هنا فى الاشارة إلى بيان الأصل والمستند والطريقة هى الأمر اللازم لأرباب الحقائق والأحوال المختص بهم فى مقامات الكمال ومن شأن من قام به هذا الأمر الانسلاخ الكلى عن مقتضيات حظه وهواه والتبرى التام من مشاهدة حوله وقواه والاستغراق الكامل فى شهود وجدانية مولاه بتحقق الغيبة فيه عما سواه وأشعر بها أعنى الطريقة هنا الخطاب بما خوطب به هذا الصحابى الجليل الكامل الاستغراق فى شهود الواحد الأحد فافهم فنقب عنه ما خلا قطر عن مثله وبالله لا تعش بدونه فسلامتك مع غيره عزيزة ثم قال فعدو عرفك عيباً أنفع من أخ مداهن وكانوا رضى

وقد قالوا من لا شيخ له فالشيطان شيخه انتهى . وقال شيخنا أبو العباس سيدى أحمد بن محمد التجانى رضى الله عنه لما سئل هل طلب الشيخ فرض على كل فرد ما نصه ليس فى نصوص الشرع إلا وجوب توفية القيام بحقوق الله تعالى ظاهراً وباطناً على كل فرد من جميع العباد المكلفين ولا عذر لأحد فى ترك ذلك من طريق الشرع ولا عذر لأحد فى غلبة الهوى عليه وعجزه عن مقاومة نفسه فليس فى الشرع إلا وجوب ذلك وتحريم غير ذلك لوجوب العقاب عليه ولا شيخ يجب طلبه إلا شيخ التعليم الذى يعلمه كيفية الأمور الشرعية التى يطلب فعلها من العبد أمراً ونهيا وفعلا وتركا فهذا الشيخ يجب طلبه على كل جاهل لا يسع أحداً تركه وأما ما وراء ذلك من الشيوخ لا يجب طلبه من جهة الشرع لكن يجب طلبه من طريق النظر بمنزلة المريض الذى أعضلته العلة وعجز عن الدواء من كل وجه وانعدمت الصحة فى حقه فنقول ان شاء البقاء على هذا المرض بقى كذلك وإن طاب الخروج إلى كمال الصحة قلنا له يجب عليك طلب الطبيب الماهر الذى له معرفة بالعلة وأصلها والدواء المزيل له وكيفية تناوله كما وكيفا ووقتا وحالا والسلام انتهى . وقال زروق رحمه الله تعالى قال الشيخ أبو عبد الله البلالى رضى الله عنه فى كتاب التوبة من اختصار الاحياء ما نصه ولا بد من صحبة كامل تفنى عن مرادك لمراده أبدا

الله عنهم يحبون من ينبههم على عيوبهم انتهى .قال سيدى زروق رحمه الله فقوله صحبة كامل سواء دخل معه على المشيخة أو على الاخوة إذا تأهل للافادة وملكه قياده بعد حاله المعتبر فى وصفه الدائرة على خمسة العلم بالمطلوب على وجه التحقق بالتجربة والبصيرة النافذة مع اسقاط الهوى والعمل الثابت مع اتباع السنة والهمة العالية بترك الخلق ورفض ارادة الدنيا والحالة الصحيحة بالانحياش إلى الله تعالى بايقاف الآمال فيما قل أو كثر وجل فبالعلم يهدى وبالبصيرة يميز وبالعمل يعين وبالهمة يقوى وبالحال يرفع ويخفض ويفرق ويجمع إنما هى ثلاث عقله لتدبير معاشك وعلمه لتدبير معادك ورؤيته لتأديبك وتهذيب أخلاقك ثم كمالك بكماله فى حاله لأن المرء على دين خليله ومن تحقق بحالة لم يخل حاضروه عنها ثم قال وتحقق ذلك بشكر الكثير والرضى باليسير وعدم التعريج عند العدم وكراهة الاستتباع إلا من ضرورة وعدم التعرض لمنافع العامة والحرص على جبر القلوب بما لم يلحق به ضرر دينى وترك الدناءة على الجملة والتفصيل . وقال فى أصول الطريقة ومن فيه خمسة أشياء لا تصلح مشيخته الجهل بالدين واسقاط حرمات المسلمين ودخول مالا يعنى واتباع الهوى فى كل شىء وسوء الخلق من غير مبالاة ثم قال وان وجد ناقصا عن الشروط الخمسة اعتمد فيما كمل فيه وعومل بالاخوة فى الباقى والسلام. وقال زروق أيضا فاذا رأيت من يدعى المشيخة ملتبسا بخمس فاحذره بغاية جهدك أولها موالاة السلاطين بالكلية ووجه

والله تعالى أعلم

وان كنت مزكوما فليس بلائق * مقالك هذا المسك ليس بفائح

وهذه اللطيفة تتعلق بالكرامة الأولى المشار اليها بقول الناظم ومنه أن خاتم الرسالة إلى آخر البيت (اللطيفة) الثانية فى ذكر الكرامة الثانية إشارة إلى أن سيدنا رضى الله عنه من المتحققين بالقدم السليمانى وهم رجال مخصوصون من هذه الأمة المحمدية قال الشيخ محيى الدين رضى الله عنه فى حديث إنكم تسئلون عن نعيم هذا اليوم ولم يكن سوى تمر وماء انما لم يدخل نفسه صلى الله عليه وسلم فى الجماعة ليعلمنا أن لله عباداً سليمانيين يقول الله لأحدهم «هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب » قال وهم سبعون ألفا من هذه الأمة وقال فى عكاشة رضى الله عنه إنه منهم اه وفى وصف الناظم هنا للشيخ رضى الله عنه بقوله رفيع الذكر رمز لهذه اللطيفة فان كان قصده فذاك وإلا فهو من غريب الاتفاق (اللطيفة الثالثة) قد تقدم لنا أنهم فسروا العطاء بالتفضل وأن المراد محض التفضل الوارد لا على سبيل الاستحقاق والوجوب وفيه بشارة من وجهين (أحدهما) أن الكريم إذا شرع فى التربية على وجه التفضل فالظاهر أنه لا يبطلها بل كان كل يوم يزيد فيها (الثانى) أن ما يكون بسبب الاستحقاق فانه يتقدر بقدر ذلك وفعل العبد متناه فيكون الاستحقاق متناهيا والتفضل نتيجة كرم الله وكرمه غير متناه فلما دل لفظ العطاء على أنه تفضل لا استحقاق أشعر بالدوام والتزايد أبدا (اللطيفة الرابعة) فى لفظ العطاء أيضا إشعار بالاختصاص لأن الاعطاء يوجب التملك وهو سبب الاختصاص ويدل له أن نبى الله سليمان قال هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى فقيل له هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ( وقد تقدم ) عن الشيخ محيى الدين أن عكاشة من أهل هذا الاختصاص وعليه ففى قوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن عبادة رضى الله عنه سبقك بها عكاشة اشارة اليه وقد حام بعض شراح الحديث حول هذا فقال قال صلى الله عليه وسلم ذلك لأنه أوحى إليه أنه يجاب فى عكاشة ولم يوح اليه فى غيره وقيل غير ذلك وعلى كل حال ففيه مع الاشارة إلى الاختصاص تربية وتأديب حسن كما لا يخفى رزقنا الله الأدب مع أهل الرتب بمنه وبيان ما أخذ من التربية وحسن الأدب من هذا الحديث هو أن لا يتمنى المريد ما فضل الله به بعض اخوانه عليه بأن لا يحمله على طلب ذلك إلا حصوله لأخيه بل يسأل الله تعالى أن يهبه من فضله خيرات الدنيا والآخرة على وفق ما يختاره له سبحانه ويرضاه ويرتقب الاجابة فى ذلك على يد شيخه مثلا متوسلا فى ذلك به ومستمدا منه بقلبه ويستمر على ذلك مفوضا مستسلما حتى يفيض الله عليه مثل ما أفاضه على أخيه أو أزيد أو أنقص من غير اختيار منه ولا تعيين لذلك الأمر فى تلك الساعة سواء حصل له من الاستعداد ما حصل لأخيه الذى نال ذلك أم لا أو وقع عليه الاختصاص الالهى الذى وقع على ذلك الأخ أم لا لما فى ذلك من سوء الأدب واستعجال الشىء بدون إبان ولا استعداد بل بمجرد الهوى والمنافسة النفسانية لا غير فوقع التنبيه على هذا الأدب فى الحديث أعنى فى قوله صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة إذ لو أجاب صلى الله عليه وسلم الثانى لأوشك أن يقوم ثالث ولو أجاب لأوشك أن يقوم رابع وخامس وهلم جرا وليس كل واحد صالحا لذلك وقد قيل فى قوله تعالى «ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض» أى من جهة الدنيا أو الدين لأن ذلك يؤدى إلى التحاسد والتباغض اه أنظر شرح شيخ الاسلام زكريا الأنصارى على صحيح الامام البخارى فى باب ما يكره من التمنى وبينا هذا الأدب هنا

ووجه أخذه من الحديث تتميما للفائدة المشار اليها فى هذه اللطيفة (تكميل) المراد بقول الأولياء قيل لى الالهام الصحيح المختص بالأكابر وهو أن يقع ذلك فى نفسه وقوعا لا يمكن تكذيبه ولا يصح رده ولا يصحبه هوى يثلج به الصدر وينشرح به القلب قاله الشيخ زروق وقال بعض المحققين هو معنى يجده الولى فى نفسه من غير تعلق بحس ولا خيال فيخرج اتيان الملك بالأمر الالهى كما تخرج الرؤيا الواقعة أيضا (وذكر الشيخ زروق) قول الامام ابن عرفة الفقيه المالكى الشهير رحمه الله تعالى فى حق الشيخ أبى الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى ما يثقل على شىء مثل ما يثقل على قوله قيل لى قال ولا أقبله منه ولا من المرجانى المقطوع بولايته انتهى (وقال) يعنى الشيخ زروق رضى الله عنه على قول الامام ابن عرفة هذا رحمه الله تعالى أما ثقله فمن جهة عدم اعتياده وكثرة ما يجرى من المدعين بسببه ولأنه لفظ موهم بصورته ثم هذا الثقل ليس بحجة فى نفسه لعدم إبداء الوجه والدليل فيه وأما كونه لا يقبله فلا يضره ذلك وهو على علمه ولا يقدح ذلك فى حق غيره لأن حق الله تعالى فى كل أحد أن لا يتجاوز علمه الى غيره ولا تقف ما ليس لك به علم اه المراد منه وراجع كلامه بتمامه فى شرحه لحزب البحر ان شئت وبالجملة فما يلهمه الاولياء وتخاطب به عوالمهم اللطيفة أصل متين من الأصول المعتمدة عندهم ودليله من السنة قوله صلى الله عليه وسلم انه كان فيمن قبلكم محدثون وان كانوا فى أمتى فعمر منهم أو كما قال صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الناظم رحمه الله ومثل ذا لن يحظلا حسبما تقدمت الاشارة اليه ثم قال رحمه الله تعالى

﴿ وكل ما ينال كل عارف * من الخلال ومن المعارف ﴾
﴿ فشيخنا أمده من النبى * وحزبه بنيله للرتب ﴾
﴿ فخضعت رقاب الأولياء * لقدمى شيخى بلا امتراء ﴾

الخلال جمع خلة بمعنى خصلة والمراد بها هنا الخصال الحميدة والنعوت الكمالية المجيدة والمراد بحزبه صلى الله عليه وسلم الانبياء عليهم الصلاة والسلام والرتب الدرجات والمراد رتبة القطبانية العظمى وجمعه للتعظيم أو باعتبار ما احتوى عليه مقام القطبانية من الدرجات أو المراد ما اختص به فى مقام القطبانية من درجة الاختصاص التى لا مطمع فيها لأحد من كل الخواص وهذا أنسب بالمقام كما يدل عليه سياق الكلام والخضوع معروف والمراد هنا الانحناء والتطأطؤ ورقاب جمع رقبة والمراد الرؤس وقدمى تثنية قدم الرجل والامتراء تقدم وباقى الالفاظ واضح بقول ومن كرامات سيدنا رضى الله عنه وأرضاه وخصائصه التى اختصه بها بسابق العناية مولاه ان كل صفة كمالية جلالية أو جمالية نالها أحد من العارفين المقربين الكرام الاوقد أمدها بسابق التخصيص الازلى هذا الامام من حضرة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وحضرات اخوانه النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ومن حضرته رضي الله عنه وأرضاه أفيضت على جميع العارفين المقربين من أولياء الله فبسبب ذلك خضعت له من جميع الاولياء الاعناق وأذعنوا لقدره فى عوالم الغيب بالاطباق ومن هنا كانت نسبة جميع الاقطاب الى مقامه الخاص كنسبة عامة الاولياء الى القطب الاكبر صاحب الاختصاص وأشار الناظم رحمه الله تعالى بما ضمنه هذه الابيات الى ما رويناه عن غير واحد ممن حضره من أصحاب سيدنا رضى الله عنه الثقات الاثبات وهو أنه رضى الله عنه كان يتحدث على عادته مع خاصة أصحابه فجرى ذكر المقالة الشهيرة عن شيخ الشيوخ وامام أهل التمكين والرسوخ مولانا عبد القادر

فى ذلك المبالغة فى الثناء أو عكسه والحق دعاؤه لهم بالاصلاح والتسديد وما فى معناه وحب الخير لهم بكل وجه لاحتياج المسلمين اليهم من غير موالاة ولا معاداة الا من حيث أمر الله ورسوله الثانى غلبة الهوى عليه بالانتصار لنفسه واتساعه فى التأويل لشهواته ووقائعه بوجوه من العلم تشبه الحق وليست به الثالث التوسع فى الدنيا بمضاهاة أهلها والاقتداء بهم الا أن يكون بفيض الهى الرابع حب الرياسة وعلامته الاستتباع وطلب الناس لنفسه بما أمكن من غير توقف على أمر دينى ولا غرض شرعى يظهر وجهه الخامس اتساع اللسان بالدعوى والقدح فى أقرانه ونظرائه من أهل الطريقة وكل من دخل فيما هم فيه والثناء على نفسه وعلى سلفه مجردا عن غيرهم فيما هم فيه انتهى كلامه ملفقا من عدة مواضع من كتبه مع حذف ثم قال الواجب على من أراد اتخاذ الشيخ أن ينظر فى أمثل أهل وقته ممن له نسبة من هذا الطريق فيقتدى به على سبيل المشيخة بعد تحقق الأصول فيه والناس ثلاثة رجل نفعه الله بنفسه ولم ينتفع به عباده وهو الصالح المخفى الذى لا يؤبه له وهو حال أكثر العباد والزهاد وأهل الطاعة والسداد فهم لا يعرفون واذا عرفوا لا ينفعون إلا من حيث التبرك بهم والله أعلم الثانى رجل نفع الله به عباده ولم ينفعه بنفسه وهم الفقهاء والعلماء الذين

ليست لهم أعمال ثابتة ولا أحوال صحيحة بل قنعوا بالمرسوم واشتغلوا بالمنطوق والمفهوم وكذلك أهل الاحوال الغالبة الذين لا تجرى

وتستجاب دعواتهم وتنفذ فى الوجود همتهم فينتفع بهم من توجه لهم ولا ينتفعون بأنفسهم الثالث رجل نفعه الله بنفسه ونفع به عباده وهم العلماء العاملون العارفون المرشدون الذين أيدوا بالعلم وخصوا بالبصيرة وظفروا بالاخلاق الحميدة وتأديوا بالآداب السديدة فظهر عليهم من العقل والديانة والمروءة ما يوجب الانقياد اليهم والاعتماد فى أمر الدين والدنيا عليهم لكمال علمهم بالتجربة وتحقق ديانتهم بالسنة وكمال مروءتهم بمكارم الأخلاق فهم سرج الهدى ومصابيح الدجا الذين يؤخذ عنهم العلم والحال ويرجع اليهم فى تحقيق الأعمال والافادة بالهمة والارشاد والحال وغيرهم وإن ثبتت خصوصيته وظهرت مزيته لم تؤمن غائلته يتبرك به لمكان مزيته ولا يقتدى به خوفا من تقلبه وعدم كفايته فاعرف ذلك ولا تقتدى إلا بعارف عالم متأدب بآداب الشرع والحقيقة وجدت منه نفحة الرفيق الاعلى بسريان حقيقة إشارته فيك فقد قال الشيخ أبو مدين رضى الله عنه الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم وسرك بالتعظيم الشيخ من هذبك بأخلاقه وأدبك بأطراقه وأنار باطنك باشراقه الشيخ من جمعك فى حضوره وحفظك فى مغيبه وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى الشيخ من دلك على راحتك لا على تعبك وكل شيخ لا تصل اليك أمداده من بعيد لا تنتفع به من قريب ثم قال زروق فخرج عليه

الجيلانى رضى الله عنه قدمي هذه على رقبة كل ولى لله فنهض رضي الله عنه وكان متكئا فاستوى جالسا ومد رجليه الشريفتين وقبض عليهما بيديه وقال الشيخ عبد القادر قال ذلك فى أولياء زمانه وأنا أقول قدماى هاتان على رقبة كل ولى لله تعالى من لدن آدم عليه السلام إلى النفخ فى الصور اه وجعل الناظم رحمه الله تعالى سبب استحقاقه على الأولياء لهذه المقالة السنية نيله رضى الله عنه لما اختص به عنهم من السمو فى المرتبتين الخاصتين به الختمية والكتمية وهو نظر سديد مؤيد بالالهام صادر عن نفوذ بصيرة وذوق تام وبيانه أنه رضى الله عنه حسبما أشار اليه الناظم قال فى بساط التعريف بمقامه الخاص به أن القطب المكتوم هو الواسطة بين الأنبياء والأولياء فكل ولى لله تعالى من لدن آدم عليه السلام إلى النفخ فى الصور لا يستقى فيضا من حضرة نبى إلا بواسطته من حيث لا يشعرون ومدده الخاص به يتلقاه منه صلى الله عليه وسلم ولا اطلاع لأحد على فيضه الخاص به اه ومرة قال رضى الله عنه إن الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يتلقاها ذوات الأنبياء وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتى ومنها يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ فى الصور وخصصت بعلوم بينى وبينه منه إلى بلا واسطة لا يعلمها إلا الله عز وجل اه (وقال) لا يشرب ولى ولا يستقى إلا من بحرنا من نشأة العالم إلى النفخ فى الصور وإلى هذا الاشارة بقوله وكل ما ينال إلي آخر البيتين وهذا أقوى فى السببية مما جعله الشيخ زروق رضى الله عنه سبب استحقاق الشيخ مولانا عبد القادر الجيلانى لمقالته على الأولياء وهو كثرة عبادته وعلمه مع نسبه الشريف لوجود المشارك فى هذا وإن لم يوجد المسامى فى زمانه بخلاف ما جعله الناظم سببا لاستحقاق سيدنا رضى الله عنه المقالة على الأولياء فانه لم يشاركه فيه غيره ممن تقدم من الأولياء أو تأخر على أننا وإن نظرنا ما بنى عليه الشيخ زروق رضى الله عنه وقطعنا النظر عن غيره فان سيدنا رضى الله عنه قد اجتمع له ما ذكر من العبادة والعلم والنسب بلا شك وزاد خصلة رابعة وهو كونه فى آخر الآخر من الأزمان قاله فى الجواب المسكت فراجعه فيه إن شئت وعضد الناظم ما ذكره من السبب بما عقده من قول سيدنا رضى الله عنه فى كلامه الثابت عنه فى التعريف بالقطب المكتوم أيضا وهو قوله رضى الله عنه نسبة الأقطاب معه كنسبة العامة مع الأقطاب لأن مقامه غيب الغيب لا علم لهم إلى آخر كلامه أنظر الجامع وبهذا تعرف ما عقده الناظم رحمه الله تعالى فى هذه الأبيات من كلام سيدنا رضى الله عنه الثابت عنه من طريق القطع بتواتر أخبار الثقات ثم إن قول سيدنا رضى الله عنه فى مقالة الشيخ مولانا عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه إنما قالها باعتبار أهل زمانه هو الذى صرح به شيخ الطريقين وأما الفريقين أبو الفيض سيدى أحمد زروق فى قواعده رضى الله عنه ولم نقف فيما وقف عليه من كلام غيره على ما يخالفه وعليه فهي له رضى الله عنه على أهل زمانه حقيقة لأنه أدرك أعلى الدرجات التى لم يدركها غيره فى مقام القطبانية والامامة الكبرى والخلافة العظمى وما أثبتوه لتلميذه الشيخ أبى السعود بن الشبلى رضى الله عنه من شفوف الرتبة وسمو الدرجات لا ينافى المقالة لأنه يكون من النادر الذى لا تشمله المقالة أو تكون المقالة باعتبار ما آل اليه الشيخ عبد القادر رضى الله عنه عند الموت فانهم نصوا على أنه أدرك ما اختص به تلميذه المذكور عند موته أو يكون ما اختص به أبو السعود من باب المزية وهو أضعف هذه الوجوه لأن المتصف به أبو السعود كان مقاما له لا حالا كما يعلم ذلك بالوقوف عليه فى كلام من تكلم

عليه من المحققين والله أعلم وعلى كل حال فالمقالة تقتضى شفوف رتبة الشيخ عبد القادر وعلو درجته على غيره لأنها نص مقبول فى ذلك لما تقرر عند المحققين من ان مثل هذا مما يقتضى الأفضلية على جنس أو نوع لا يثبت إلا بدليل يستدل به عليه من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أو اجماع أمته وألحقوا بذلك أخبار الولى الثابت العدالة كالشيخ عبد القادر رضى الله عنه وكسيدنا رضى الله عنه وذلك لأن الولى الموصوف بما ذكر لا يذكر ذلك إلا بتعريف إلهى ومن جملة ما يقع به التعريف الالهى للأولياء الالهام الذى يثلج له الصدر وينشرح له القلب وقد علمت أنه معمول به عندهم دون توقف ولا تردد وعلى هذا فلا سبيل الى تكذيب الشيخين أو أحدهما رضى الله عنهما فى المقالة المذكورة ولا بد فى هذا الباب لمن ألهمه الله تعالى رشده من أحد أمرين إما تصديق أو تسليم ومتى خرج عنهما معا خيف عليه الهلاك والبوار بارتكابه فى مهوات الانكار على أولياء الله المقربين الأبرار فيما هو ممكن فى قدرة الفاعل المختار وقد قال الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه من كان يخبر عما يشاهد يجب على السامع التصديق به إن كان مريداً أو التسليم له ان كان حبيبا اه وهذا الكلام قسطاس مستقيم لمن أراد السلامة لنفسه ودينه من الوقوع فى ذلك المرتع الوخيم أعاذنا الله منه بمنه وكرمه آمين (واذا) عرف هذا فيجب أن لا يلتفت الى استثقال من يستثقل مثل هذه المقالة من سيدنا رضى الله عنه كائنا من كان لأنه لم يبق بعد ما ذكرناه وجه لاستثقاله الا التقيد بالمعتاد والمألوف وذلك من أعظم الحجب المانعة من قبول الحق وأقوى أسباب الحرمان ﴿تنبيهان﴾ الأول ربما قال المنكر المولع بالأرجاف المتجنب لطريق الانصاف ان قول سيدنا رضى الله عنه من لدن آدم إلى النفخ فى الصور يتناول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكذا الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وجدد عليهم سحائب الافضال والانعام فيقال له هذا الذى قدرته باعتسافك وجهلك وصورته فى خزانة وهمك من ضعف عقلك بادى البطلان حتى عند من معه أدنى ميز من العامة والصبيان وذلك لأن الولى فى الاصطلاح اليوم المتبادر منه الى الأذهان غير الصحابة رضوان الله عليهم فصار حقيقة عرفية فى غيرهم من صالح الأمم المخصوصين بالمعارف والأسرار مجازا فى الصحابة ولا يعدل إلى المجاز متى أمكنت الحقيقة وان كان الصحابة هم الاولياء الكبراء والسادات العظماء ألا ترى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم أولياء الاولياء لكن لا يقال لهم ذلك فى الاصطلاح بدليل مقابلتهم بهم فى مثل قولهم الانبياء معصومون والاولياء محفوظون ويشهد لكون الولى فى العرف حقيقة فى غير الصحابة ان من قال مثلا رأيت كلا مما لبعض الاولياء انما يتبادر منه الاولياء غير الصحابة والتبادر عند التجرد عن القرينة دليل على الحقيقة (قال) فى نشر البنود على مدا نى السعود المعنى الذى يتبادر إلى الذهن من اللفظ عند عدم القرينة هو المعنى الحقيقى لهم وغيرهم مما لا يتبادر اليه إلا بالقرينة هو المجازى وقال فى جمع الجوامع اللفظ إما حقيقة أو مجاز الى أن قال ثم هو محمول على عرف المخاطب أبداً اه فبان واتضح أن قول سيدنا رضى الله عنه كل ولى الخ عام خصصه العرف بغير الصحابة رضى الله عنهم وجرى الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد عد الاصوليون العرف من المخصصات اه انظر الجيش الكبير ويبين مراد الشيخ رضى الله عنه بالولى فى هذه المقالة جوابه رضى الله عنه لمن سأله عن الولى المفتوح عليه والصحابى الغير المفتوح عليه أيهما أفضل بقوله الحق ان الصحابى أفضل لحديث ان الله فضل أصحابى على سائر العالمين ماعدا

بغيره إلا أن يكون صاحب علم وانصاف فيؤخذ بعلمه ولا ينظر لفعله ولا تسلم النفوس له وإن كان تقيا لعدم الوثوق به. فان قلت قد طلبنا المشايخ فلم نجد ووجدنا فلم نعرف فاعلم أن القاطع عن ذلك إنما هو ثلاثة أمور أحدها النظر فى أحواله بعين الكمال المنافى لوجود البشرية والموافق لها على وجه الكمال حتى لو رأيت منه نقصا ما سقط اعتباره عندك وذلك هو المقتضى لسقوط أهل الاختصاص من عين أكثر العامة الثانى الرجوع لما يجده الناظر فى نفسه من علم وعقل وحال وطبع فكل من لم يوافق مراده ويجرى له على ما يقدر فى نفسه لا يراه شيئا وان رآه فلا ينقاد وإن انقاد له فلا يمكنه الصبر عليه الثالث التطلع للفوائد والكرامات فاذا لم يروا شيئا من ذلك لم يعدوه شيئا وذلك من الجهل واعتماد الوهم وتقيدهم بالعوائد التى دعت العوام الى أنهم لا يعتقدون ولا يريدون إلا من يبدى لهم العذر ويكشف لهم الغيب ويخالف الحكمة بأمور مستبشعة ويخرق الشريعة بأمور منكرة أو يضر بنفسه لأجلهم بالتعرض للملوك وكل ذلك باطل وضلال انتهى. وقال ابن عطاء الله فى لطائف المنن انما يكون الاقتداء بشيخ ذلك الله عليه وأطلعك على ما أودعه من سر الخصوصية لديه وطوى عنك شهود بشريته فى وجود خصوصيته فألقيت اليه القياد فسلك بك سبيل الرشاد فيعرفك رعونات نفسك وكمائنها ودقائقها ويدلك

إساءة نفسك ويعرفك باحسان الله اليك فيفيدك معرفة نفسك الهروب منها وعدم الركون اليها ويفيدك العلم باحسان الله اليك الاقبال عليه والقيام بالشكر اليه والدوام على ممر الساعات بين يديه فليس شيخك من سمعت عنه إنما الشيخ الذى أخذت عنه ليس شيخك من واجهتك عبارته إنما شيخك الذى سرت فيك إشارته وليس شيخك من دعاك إلى الباب إنما شيخك الذى رفع بينك وبينه الحجاب وليس شيخك من واجهك مقاله إنما شيخك الذى نهض بك حاله شيخك هو الذى خرج بك من سجن الهوى ودخل بك على المولى شيخك هو الذى مازال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك نهض بك إلى الله فنهضت اليه وسار بك حتى وصلت اليه ومازال محاذيا لك حتى القاك بين يديه فزج بك فى أنوار الحضرة وقال ها أنت وربك ثم قال فان قلت فأين من هذا وصفه لقد دللتنى على أغرب من عنقاء مغرب فاعلم أنه لا يعوزك وجدان الدالين ولكن يعوزك وجدان الصدق فى طلبهم جد صدقا تجد مرشدا وتجد ذلك فى آيتين من كتاب الله عز وجل قال الله تعالى « أمن يجيب المضطر إذا دعاه » وقال سبحانه « فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم » فلو اضطررت إلى من يوصلك إلى الله تعالى اضطرار الظمآن إلى الماء والخائف للأمن وجدت ذلك أقرب اليك من وجود طلبك ولو اضطررت إلى الله اضطرار

النبيين والمرسلين ولحديث لو أنفق أحدكم مثل أحد الحديث ولما فاز به الصحابة من مشاهدة طلعته صلى الله عليه وسلم التى لم تحصل لغيرهم ولا لغير هم فى موازينهم (وكان) رضى الله عنه يقول أعمال غير الصحابة بالنسبة إلى أعمالهم رضى الله عنهم كسير النملة بالنسبة إلى طيران القطاة اهـ ومعلوم أن كلام من كان مثل الشيخ رضى الله عنه يخصص بعضه بعضا ويقيده والله الموفق ﴿ التنبيه الثانى ﴾ قد يقول المعارض على هذه المقالة هى شطح ممن صدرت منه لأنها كلمة تدل على الرتبة عند الله على طريق الفخر بذلك والأولياء الصادقون لا يفتخرون على أحد فلا يكون الشطح إلا عن رعونة نفس وذلك نقص ظاهر فى صاحبه فيقال له لا يذهب برسنك الجهل كل مذهب فتقع فى الخوض فيما قصر عنه إدراكك من الخوض فيما يتعلق بمقامات أهل الرتب وإن أردت الوقوف على عين التحقيق والتماس نور الايمان والتصديق فارجع وراوأعد فى كلام المحققين فى هذا الباب نظراً فان الصيد كله فى جوف الفرا (وقد) أفصح أهل التحقيق والفحول من أئمة الطريق بأن الشطح الصادر من الأكابر بحكم الوراثة إنما يصدر منهم عن أمر إلهى وحينئذ فلا تبقى فيه شائبة للفخر حسبما صرح بنفيه فى حديث أنا سيد ولد آدم ولا فخر قالوا فى معناه أى ما قصدت الافتخار عليكم بهذا التعريف إنما أخبرتكم به لمصلحة تعود عليكم وتضمن قول سيدنا عيسى عليه السلام « إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا » الآية نفى الفخر أيضا لتصديره فيه بوصف العبودية ومعلوم أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون فما جاء النفى للفخر فى تعريفهم لأنفسهم إلا لتعلم أن من التعريف بالنفس ما ليس بفخر وهو ما يكون عن أمر إلهى للرسل عليهم الصلاة والسلام ولورثتهم بحكم الارث منهم وهم الكمل من الأولياء رضوان الله عليهم وما كان عن غير إذن إلهى فهو ذلة فى حق المحققين وبقية من بقايا رعونات النفس وإن كان صدقا وفى ذلك قيل

الشطح دعوى فى النفوس بطبعها * لبقية فيها لآثار الهوى
هذا إذا شطحت بقول صادق * من غير أمر عند أرباب النهى

وقوله من غير أمر أى الهى حسبما تقدم وعلامة من يشطح عن غير أمر إلهى وإن كان صادقا أن يبتليه الله تعالى بالفقر والذلة والرجوع إلى أصله لا محالة وفى مثله قيل من بسطه الادلال قبضه الادلال وفى مثل من يشطح بصدق من غير أمر إلهى قيل الدعوى قبيحة وإن كانت صحيحة فتحصل أن الشطح الصادر من كمل المقربين ورثة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام لا يكون إلا عن أمر إلهى لذلك الكامل بتعريفه نفسه لاتباعه لمصلحة تعود عليهم فى ذلك وما كان كذلك فلا فخر فيه البتة بل فيه تبشير الاتباع وتثبيتهم وتقوية لايمانهم لأن كمال الانتفاع للتابع من المتبوع يكون بقدر معرفته له والمعرفة قد تحصل بتعريف غير ذلك الكامل به وقد تحصل بتعريفه لنفسه بنفسه قالوا ومن أثنى على نفسه أمكن وأتم ممن أثنى عليه فالتعريف بالنفس عن أمر إلهى صفة المتمكنين فى مقامات الكمال والله يقول الحق وهو يهدى السبيل وقد كان من حق الناظم رحمه الله تعالى أن يعقد هنا المقالة بتمامها بأن يأتى بما ينص به على أن المراد بالأولياء من لدن عصر آدم عليه السلام إلى النفخ فى الصور حسبما صرح الشيخ بذلك ولا يكتفى باطلاق لفظ الولى وقد زدت عقب قوله فخضعت رقاب الأولياء البيت بيتا لمن أراد أن يلحقه هنا وهو

من سابق عليه فى الوجود * ولاحق من أخى شهود

والله المستعان وعليه التكلان ثم ذكر كرامة تعضد ماقبلها أيضاً فقال

﴿ يصعد منبراً من النور غدا * يسمو به الكل سنى وسوددا ﴾
﴿ ثم ينادى عند ذا منادى * ياأهل ذا الحشر وهذا النادى ﴾
﴿ هذا إمامكم وذا ممدكم * فى دار دنياكم بغير علمكم ﴾

الصعود الرقى والمنبر المنصة المعروفة والنور الضياء والسنى بالقصر الضياء والسودد الشرف والحشر الجمع ويوم الحشر يوم القيامة والنادى المجلس والمراد المجمع العظيم الذى هو المحشر وباقى الألفاظ واضح يقول ومن كرامات سيدنا رضى الله عنه الذى أردت ذكرها فى هذا المقام ماتواتر عنه رضى الله عنه بين سائر أتباعه الخاص منهم والعام من قوله رضى الله عنه إذا جمع الله خلقه فى موقف القيامة وضع لى منبر من نور فارقاه بحمد الله تعالى رقى المبرة والكرامة ثم ينادى منادٍ يسمعه كل من حضر هذا إمامكم الذى كان منه مددكم فيما مضى لكم من أيام دنياكم وغيرها بمعناه وغالب لفظه وهو مشهور فيما بأيدى الأصحاب المعتنين بتحصيل الفوائد والفضائل من التقييدات والوجادات بخطوط أصحابه الأفاضل وهذه الكرامة الفائقة مما يتضح بها وجه السبب فى استحقاق سيدنا رضى الله عنه المقالة السابقة وهى أيضا مما لايستغرب به إلا معاند قد أودى به والعياذ بالله داء الضرائر أو جاهل بسعة فضل الملك القادر ( وقد نقل الشيخ زروق ) رضى الله عنه عن الامام العقبانى أن كل كرامة لولى فهى تصديق لنبيه الذى اتبعه فالتكذيب بكرامات الأولياء كالتكذيب بمعجزات الأنبياء اه فلم يبق لمن سلك الله به أقوم سبيل الا الرجوع إلى ماتقدم آنفا عن الشعرانى فى قوله من كان يخبر عما يشاهد فيجب على من سمعه التصديق إن كان مريداً والتسليم إن كان حبيبا والله يعصمنا من الزلل بمنه وكرمه آمين . ثم قال الناظم رحمه الله تعالى

﴿ طائفة من صحبه لو اجتمع * أقطاب أمة النبى المتبع ﴾
﴿ ما وزنوا شعرة من فرد * منها فكيف بالامام الفرد ﴾
﴿ جعلنا من خلق البريه * من هذه الطائفة العليه ﴾
﴿ وعنه فى عدد هذه الفئه * من صحبه أكثر من ستمائه ﴾

الصحب جمع صاحب ويجمع على أصحاب وصحابة والأصل فى هذا الاطلاق أن يراد به من حصل له رؤية ومجالسة ووراء ذلك شروط الأصوليين ويطلق مجازاً على من تمذهب بمذهب من مذاهب الأئمة فيقال أصحاب الشافعى وأصحاب مالك وأبى حنيفة وابن حنبل والمراد هنا الاطلاق المجازى فيشمل الاتباع وإن لم تحصل لهم معاصرة فضلا عن الرؤية والمجاورة والبرية الخليقة والفئة الجماعة أيضا فى الطائفة يقول ومما قصدت الاشارة إليه أيضا فى هذا المقام من كرامات هذا الامام ماشتهر أيضا بين الاتباع مما تلقاه عنه الخاصة من أصحابه الكرام من أن طائفة من أهل طريقته هذه الأحمدية المنخرطين فى سلك سلسلته المحمدية لو اجتمع أقطاب هذه الأمة الشريفة ماوزنوا شعرة مما اختص به الواحد منهم من المقامات الرفيعة والأحوال السامية المنيفة فكيف بقدوتهم وامام سلسلتهم الآخذ بأزمتهم نسأل الله الذى أوجدنا بسابق عنايته من العدم أن يجعلنا من هذه الطائفة السنية بمحض الجود والكرم وثبت عن سيدنا رضى الله عنه فى عدد هذه الطائفة وهذه الفئة انها تزيد على الستمائة وهذا أيضا مما عرف أصله بين الأصحاب وهو موجود بأيديهم فى غير ماتقييد وكتاب وقد أتينا به أيضا بمعناه أخذا بتيسير ذلك عليك انتهى . قال ابن عباد بعد ماحكى هذا الكلام وفى كلامه رحمه الله تعالى تنبيه على أن الشيخ من منح الله تعالى وهدايا ه للعبد المريد إذا صدق فى ارادته وبذل فى مناصحة مولاه جهد استطاعته لا على مايتوهمه من لاعلم عنده انتهى . قال سيدى زروق يعنى بذلك التوهم مايتوهمه من أنه يتوصل إليه بمجرد المعتاد من الطلب أو يدرك القرب منه بحيلة أو سبب لأنه مستور بوجود البشرية ظاهر بها فى عين تحقق الخصوصية حتى لقد قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه معرفة الولى أصعب من معرفة الله لأن الله تعالى ظاهر بجماله وكماله ومتى تعرف مخلوقاً مثلك يا كل كما تأكل ويشرب كما تشرب انتهى . وقال فى جنة المريد الوصول للولى هو تحقق العلم بنسبته لجناب الحق تحققا يقتضى تعظيما واحتراما وخدمة وإكراما انتهى وقال فى عدة المريد الأسباب التى يستعان بها على الاتصال بالأولياء والعثور عليهم ثلاثة أحدها الصدق فى طلبهم بدوام اللجا وحسن النية وخدمة كل منتسب من غير اغترار ولا تقصير فى حق ولا إخلال بأدب الثانى لزوم العمل بما يقدر عليه من غير تقليل ولا تقصير فقد قال محى الدين إن أردت أن تكون من الرجال فلا يدخل عليك الوقت إلا وأنت فى المسجد فأما إن فاتتك تكبيرة الاحرام أو ركعة فلا حديث عليك الثالث صحبة أهل الطريق وموالاتهم دون كل فريق فقد

الشيخ أبى سالم التازى رحمه الله تعالى أن زيارة الأشياخ أحياء وميتين توجب الظفر بالمشايخ وبالجملة فكل شيء يطلب فى سوقه وسوق هذا الطريق العمل الصالح والنصح التام وملازمة الباب بغاية الاستطاعة وبالله التوفيق انتهى وفيها أيضا لا يتوصل إلى الشيخ المربى والاسم الأعظم بسبب ولا استعداد ولا طلب ولكن بمنة الله سبحانه و بساطة العبودية فالتزمها وبالله التوفيق اه وأما شروط المريد فقد قال الشيخ سيدى أحمد زروق رضى الله عنه إذا وجد المريد الشيخ الموصوف بما ذكر وجب عليه فى حقه أمور خمسة أولها أن ينخلع من وجوده لوجوده فيترك عقله لعقله وعلمه لعلمه وديانته لديانته ومروءته لمروءته ولا يأخذ إلا ما يدل عليه علما وعقلا وديانة ومروءة ولا يختار شيئا مما يخالف أمره وان ظهر له الصواب فى خلافه مالم يكن مجمعا على تحريمه فيحتال فى الانصراف عنه بما لا يظهر به مناقضة شيخه إلا أن لا يمكنه فتجب المخالفة بنوع من الاعتذار والتأدب بخلاف ما اختلف فيه فان بصيرة الشيخ مقدمة فيه وخطأ شيخه أولى من صوابه الثانى أن لا يتعرض له برد ولا نقد فيما يصدر عنه من أمر الدين والدنيا كان موافقا أو مخالفا فان من قال لأستاذه لم لا يفلح أبدا أى لا يظفر بمراده منه ولا من غيره لأن من فسد على يد شيخ لا يمكن للخلق

بالحظ الذى قصدناه من خدمة هذا الجانب المعظم ورمناه ثم اننا جعلنا المراد عند الناظم رحمه الله تعالى بالامام الفرد هنا سيدنا رضى الله تعالى عنه جريا على المتبادر فى أل هذه من أنها للعهد الذكرى لتقدم ذكره رضى الله عنه بالوصف المذكور قريبا ويحتمل أن تكون للعهد الذهنى و بينه ما تقرر فى أذهان الاخوان والاتباع من أن سيدنا رضى الله عنه ذكر هذه الطائفة لما تقدم ثم بعد ذلك قال مرة رجل واحد برز من الطائفة يعنى الطائفة المذكورة وقال فيه إنه لا يعرف لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ولم يزد من وصف علاماته بعد تشوف أصحابه اليه فى ذلك التشوف الكثير على أن قال هو فاسى أما وأبا فعلى هذا يكون هذا الواحد المبرز من هذه الطائفة الخاصة الذى هو إمامها الفرد هو المراد عند الناظم والحمل على هذا وان كان الأول هو المتبادر أولى لئلا يفوت الناظم عقده للكلام المتعلق بهذه الطائفة بتمامه وهذا مبنى على ما استفدناه من مذاكرة أصحابه رضى الله عنهم وقد رأيت كثيرا من الأصحاب اليوم يحملون الطائفة من قول الشيخ رضى الله عنه رجل واحد ظهر من الطائفة على أهل طريقه بأسرهم لا خصوص هذه الفئة المذكورة وعليه فيكون هذا الواحد ليس معدودا فيها وحينئذ فيراد بالامام الفرد فى كلام الناظم سيدنا رضى الله عنه خاصة (ثم) ان ما ذكره الناظم من العدد لهذه الطائفة وهو أنه أزيد من ستمائة رأيته فيما وقفت عليه من كلام بعض الخاصة ممن ألف فى الطريق مفصلا وذلك أنه ذكر من الأوجه التى سميت به هذه الطريقة إبراهيمية أن الله تعالى جعل فى ذرية إبراهيم عليه السلام من الأنبياء والرسل أصحاب الشرائع وغيرهم ما يطول عده وجعل فى أهل هذه الطريقة من الأولياء والكمل أهل التربية والارشاد وغيرهم ما يطول عده (قال) وقد ذكر رضى الله عنه وأرضاه أن الكمل أهل التربية والارشاد من أهل طريقه يبلغ عددهم ستمائة من الانس وثلاثمائة من الجن ثم قال أو قريبا من هذا والذهن خوان اه والظاهر أن قوله أو قريبا من هذا راجع لعدد الكمل من الجن (وقال) السيد المذكور عقب هذا ما نصه ثم قال رضى الله عنه يعنى سيدنا جعلنا الله فى حماه كلها منى والى يعنى الطريق التى يربى بها الكمل المذكورون اه وهذا من هذا السيد فيما نقله من كلام سيدنا رضى الله عنه صريح فى أن هذه الطائفة المذكورة هو من كان من أهل التربية الخاصة منها كالأستاذ سيدى الحاج على التماسنى وأمثاله رضى الله عنهم أجمعين وبه تعرف أن التربية ليست ممنوعة فى طريقنا كما يتوهمه بعض الأصحاب وإنما الممنوع التظاهر بدعواها على رسم المتشيخين فى هذه الأزمنة وقبلها حسبما أشار إلى ذم التظاهر بذلك وفتح باب التسليك به الشيخ عبد الوهاب الشعرانى وقال إن ترك العارفين فتح هذا الباب فى هذا الزمان هو الصواب فلا يفتحه الآن إلا من أعمى الله بصيرته من هؤلاء المدعين للمراتب المتنازعين عليها وكيف يتوهم وجود منع التربية فى الطريق مع ما نقل صريحا عن الشيخ رضى الله عنه فى وصف هذه الطائفة المخصوصة ومع ما ذكره فى الجامع عنه رضى الله عنه (ونص) المراد منه سمعته يوما يقول إذا فتح الله على أصحابى فالذى يجلس منهم فى البلد الذى أنا فيه يخاف على نفسه من الهلاك فقال له بعض أصحابه منك أو من الله فأجابه بقوله من الله تعالى من غير اختيار منى ذكر هذا فى يوم الأحد الثانى من شهر الله شعبان عام خمسة ومائتين وألف (ثم) قال فى يوم الاثنين الخوف المذكور هو على من أذن له من أصحابى فى التصرف والتربية

للخلق وأما غيره فلاخوف عليه من جانب اه المراد منه هنا بلفظه وهو صريح فيما ذكرناه (قلت) وكنا نرى أن خروج الخليفة المعظم سيدى على حرازم رضى عنه من فاس وتوجهه إلى الحجاز إلى أن توفى هنالك من أجل هذا الذى ذكرهنا والقرائن الشاهدة لذلك كثيرة منها مابلغنا عنه من أن الشيخ رضى الله عنه أمره إذا وصل إلى مصر بتربية بعض من كان بها إذ ذاك من أصحابه إلى غير ذلك مما يطول جلبه (وقريب) من هذا أيضا خروج مؤلف الجامع العلامة القدوة البركة سيدى محمد بن المشدى رضى الله عنه من فاس إلى الصحراء إلى أن توفى بها كذلك أيضا وهو أنسب بحاله وبمقام الشيخ رضى الله عنه مما يحمله بعض الاصحاب سبباً لخروجه وسفره عن الشيخ رضى عنه وإن ثبت شيء من ذلك الذى يشاع بين الاخوان اليوم فهو من الأسباب الظاهرة التى هي من جملة مايستر الله به على أوليائه مقاماتهم وأحوالهم معه سبحانه والكف عن متابعة من يشيع ذلك من آكد من ينبه عليه الاخوان بعضهم بعضاً لتخلص لهم المحبة فى الخواص من أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذى لا يبعد أن يكونوا من هذه الطائفة المخصوصة بما ذكره الشيخ رضى الله عنه من الفضيلة الباهرة والمكانة الفاخرة إذ لا أقل من أن يحرم بركة الاعتقاد الجميل فيهم من ينصت إلى شيء مما يشير إلى تنقيصهم ومن حرم بركة الاعتقاد الجميل فى مثل هؤلاء حرم الخير الكثير ان سلم له ما معه أعاذنا الله تعالى من بلائه بمنه وسافر عن الشيخ رضى الله عنه ممن كان حريصا على مجاورته والمقام لديه رجال آخرون يغلب على الظن أنهم إنما سافروا عنه رضى الله عنه من أجل ماذكر ولعلنا ننبه على هذا عند التعرض لذكر من تذكره منهم فيما سيأتى للناظر إن شاء الله تعالى وإنما آثرنا ذكر ماهو الحق إن شاء الله تعالى فى مسئلة التربية هنا لما أفضى به منع المانعين لها فى الطريق بناء على ماتوهموه فقط من قيام بعض الناس على أصحابنا فى هذا وقولهم لهم إن طريقكم ليس فيها تربية ولا إمام يقتدى به فيها حتى دخل التشويش على بعض الأصحاب من أجل ذلك وزاده تشويشاً وحيرة كون سيدنا رضى الله عنه ذكر حسبما فى جواهر المعانى وغيره أن الفتح والوصول لا يجرى إلا على يد الأولياء الأحياء الخ فلو اهتدى إلى أن التربية غير موجودة فى طريقنا إلا بوصفها الأكمل الذى هو حصول الاذن من الله ورسوله أو بالاذن الصحيح من الشيخ ولو بالوسائط فى الدلالة والارشاد لما دخل عليه ماذكر من التشويش والحيرة وقد قيدنا فى هذه المسئلة ماتيسر مما يكفى إن شاء الله تعالى ويشفى لمن سألنا عن ذلك (ومحصل) هذه المسئلة أن أهل هذه الطريقة المحمدية يوجد فى أفرادها من يفتح له فى التربية بها أى بتلقين وردها وجميع أذكارها بالشروط المشروطة والكيفيات المضبوطة بحيث لايخرج عما حده الشيخ فى ذلك مما تلقاه عن النبى صلى الله عليه وسلم وذلك لأنها طريق محمدية أعطاها النبى صلى الله عليه وسلم للشيخ منه إليه وضمن لأهلها ماضمنه من الأسرار والخيرات والبركات ولا سبيل إلى الخروج عما أعطاه النبى صلى الله عليه وسلم وترتب ضمانه عليه فافهم ذلك وفى هذا القدر الذى نبهنا عليه من ذلك هنا كفاية والله ولى التوفيق والهداية ﴿ تنبيه ﴾ ماذكر من أن هذه الطائفة المخصوصة من أهل هذه الطريقة المباركة مشتملة على الانس والجن ذكر الجن هنا يستدعى التنبيه على طرف مما هو معتقد أهل السنة فى الجان وأحواله ومايدور على ذلك من الأحكام (فنقول) اختلف فى وجود الجن قديماً وحديثاً وأكثر الفلاسفة على إنكار وجودهم والجمهور من أرباب الملل والمصدقين للانبياء عليهم السلام على إثبات وجودهم وهو معتقد أهل السنة رضوان الله

جبره على يد غيره هكذا قال المشايخ وهو صحيح واضح مجرب الثالث أن يقتصر على شيخه فيما هو به من الاقتداء وغيره بخلاف العلم فان الحكمة ضالة المؤمن والفقير مثل النحلة تأكل من كل نوار ولا تبيت إلا فى جبحها وإلا لم ينتفع بعسلها وكل من مد عينيه إلى المشايخ مع وجود شيخه فلا ينتفع بشيخه ولا بمن مد عينيه له لسقوط الأول من دلوه ودخول الحيرة عليه فى صحبة الثانى بما يراه من اختلاف حاله عليه وإنما السر فى الحرمة فيما الحرمة ارتفعوا وبالخدمة انتفعوا. الرابع أن يعطى مخالطته حقها فيدخل عليه بالحرمة والأدب ويجلس بالخشية والطلب ويخرج كذلك مقدرا أنه لا يفارقه فى حالة من أحواله وان فارقه فالله وكيله كما أنه نائب عنه فيه فيحفظه فى مغيبه كما يحفظه فى حضوره بنوع من المراقبة حتى أنه لو وقع له مخالفة وأراد إخفاءها منه بادر لاظهارها له ولو تحركت نفسه لذلك بأدنى حركة فلا يسامحها لان ذلك من خيانة السر بل يتعين أن يستأذنه فى كل أمر يريد ويأتى به بذلك على وجه العرض والتصريح لا على وجه التعريض والاستشارة فاذا ذكر ماعرض له لم يتعرض لطلب الجواب بوجه فان خالف ذلك وقع فى خيانة السر واسقاط الحرمة وهما أضر شيء للمريد ولا يذكر عنده أحداً من المشايخ الذين صحبهم بموجب المشيخة وإن عرف أنه تحقق أمرهم لأن ذلك إساءة أدب واسقاط حرمة وإنما يذكرهم بوجه يفهم أنه أجنبى عنهم لأن لقلوب المشايخ غيرة وحفظ

قلوب المشايخ مهم جداً فاعرف ذلك لأنه أهم المهمات وقد هلك به قوم من المريدين وان وصلوا أعاذنا الله من البلاء بمنه وكرمه. الخامس

عليهم ثم اختلف المثبتون لوجودهم أيضا على قولين فمنهم من زعم أنها ليست أجساما ولا حالة فى الأجسام وإنما هى جواهر قائمة بأنفسها ثم هى عندهم مختلفة بالماهية كاختلاف ماهية الأعراض بعض استوائها فى الحاجة إلى المحل فبعضها خيرة و بعضها شريرة و بعضها كريمة محبة للخيرات و بعضها دنيئة خسيسة محبة للشرور والآفات قالوا ولا يعلم عدد أنواعهم وأصنافهم إلا الله تعالى (والقول الثانى) فى الجن انهم أجسام واختلف هؤلاء أيضا على قولين فقيل إن الأقسام مختلفة فى ماهيتها والقول الثانى إنها متساوية فى تمام الماهية ثم هؤلاء القائلون بهذا القول الثانى فرقتان الأولى قائلة بأن البنية ليست شرطا فى الحياة وهو قول الامام الأشعرى وجمهور أتباعه وأدلتهم فى هذا الباب ظاهرة قوية والثانية قائلة بأن البنية شرط فى الحياة وهو مذهب المعتزلة ولا دليل لهم عليه إلا الاستقراء وهو إنما يتمشى على مذهبهم من إنكار وجود خرق العادة واستقراؤهم فى ذلك ركيك ومذهبهم فاسد حسبما أوضح المحققون من أهل السنة ذلك (وإذا) ثبت كما عليه الأشعرية أن البنية ليست شرطا للحياة لم يبعد أن يخلق الله تعالى فى الجوهر الفرد علما بأمور كثيرة وقدرة على أشياء شاقة شديدة فبان من مجموع هذا صحة القول بامكان وجود الجن سواء كانت أجسامهم لطيفة أو كثيفة وسواء كانت أجرامهم كبيرة أو صغيرة اه ملخص ما فى هذا المبحث على طريقة المتكلمين (وقد) دل القرآن العظيم والذكر الحكيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه على وجود الجن ويكفى قوله تعالى «قل أوحى» الآية قال الرازى هو أمر منه تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام أن يظهر لاصحابه ما أوحى إليه فى واقعة الجن (وفيه) فوائد إحداها أن يعرفوا أنه بعث إليهم كما بعث الى الانس الثانية أن يعلموا أنهم مع تمردهم لما عرفوا اعجاز القرآن آمنوا الثالثة أن يعلم أنهم يسمعون كلامنا و يفهمون لغاتنا الرابعة أن يعلم أنهم مكلفون كالانس الخامسة أن يظهر أن الموفق منهم يدعو غيره الى الايمان قال الرازى وفى هذه الوجوه مصالح كثيرة إذا عرفها الناس اه (فبان) من كون النبى صلى الله عليه وسلم مبعوثا اليهم وأنهم مكلفون وأن الموفق منهم يدعو غيره الى الله وأن الثواب لهم وعليهم العقاب وأنهم يصح الاقتداء بمن تأهل له منهم (وقد) روى أصبغ عن ابن القاسم رضى الله عنهما أن للجن الثواب والعقاب وتلا أعنى ابن القاسم «وأنا منا المسلمون - الآية» (قال) ابن رشد استدلال ابن القاسم صحيح بلا إشكال بل هو نص جلى فى ذلك ففى الجن مسلمون ويهود ونصارى ومجوس وعبدة أوثان وقالوا فى قوله تعالى كنا طرائق قددا أى مختلفين فى الكفر (والاجماع) على تعذيب الكفار منهم لقوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس الآية (واختلف) فى دخولهم الجنة قال صاحب أحكام الجان وهل يدخل المؤمنون منهم الجنة أكثر العلماء على ذلك والمأثور عن مالك والشافعى رضى الله عنهما لا يدخلون و إنما يدخلون أرياضها بحيث يراهم المؤمنون من الجنة ولا يراهم الجن (واختلف) أيضا على القول بالدخول هل يرون الله أم لا (قال) عز الدين بن عبد السلام لا يرونه إذ الرؤية مخصوصة بالبشر فهذا بعض ما ينبىء على تكليفهم وكون النبى عليه الصلاة والسلام مبعوثا اليهم بذلك وعلى صحة الاقتداء بهم فلو فرضنا جنيا مسلما هل تصح الصلاة خلفه أم لا (قال) صاحب أحكام الجان تصح لأن الرسالة لنا ولهم اه وهو الذى صرح به الرازى فى الوجوه السابقة و إذا صح الاقتداء به فى الصلاة فكذلك يصح جعله قدوة فى الطريق كما يصح اقتداؤه بالانس وأخذه عنه وهو من المعروف المشهور عند أهل الطريق نعم لم ينقل لنا عن أحد من أهل الطريق أنه

أن لا يكتمه شيئا من امره قل أو أجل (١٧٤) حسن أو قبيح كان فى جانب الشيخ أو غيره إن طلب منه ذلك بل يفاتحه به قبل طلب لا سيما إن وقع بالبال وقوع كتمه و إنما يذكر القبيح شرعا لطلب التنصل منه بدعوة صالحة أو همة صادقة أو اشارة نافعة ثم يستغفر الله و يمنع ذلك جملة من غيره واستئذانه فى العوائد والأسباب والمندوبات مهم إلا ما يتكرر فى الأوقات أو يكون مستبشعا أو ضروريا فلا يستأذن إلا لمرض النفس على كتمانه أو خوف ضرره منه ليدل على ما يدفع ذلك ومدار هذا كله على ثلاثة تحقيق وده والوفاء بعهده وقيامه معه بغاية جهده فان فعل ذلك كان الله له وأعانه على ما هو به وفتح له من عنده و إن كان شيخه دون ما يعتقده لأن معاملته فى ذلك مع ربه لا مع شيخه والله ولى الهداية بمنه وفضله انتهى. وقال فى جنة المريد بعد كلام وليجلس بين يديه مطرقا مستوفزا جلسة العبد بين يدى سيده وإذا عرف له عدوا فليهجره فى الله ولا يجالسه و إذا رأى من يحبه أحبه و يتابع و يخدم و يحترم كل من قدمه عليه وإن كان أقل علما ولا يمشى أمامه إلا إذا سارا ليلا أو خاضا سيلا أو واجها خيلا ولا يديم النظر اليه إذ ذاك يورث قلة حياء وأدب ويخرج الاحترام من القلب ولا يكثر مجالسته لا سيما فى أوقات ضروراته وليعتقد أن طريقه أشرف الطرق و إن لم يعتقده تشوفت نفسه الى ما هو أشرف منه وما ثم طريق أشرف منه فانه طريق الملائكة والخلفاء من النبيين والمرسلين وعباد الله الصالحين وهؤلاء الأصناف هم

شيخ جنيا في الطريق إلا ما في بعض طرق المسلسل بالمصافحة وكذلك تلقى بعض العارفين لبعض الأسرار الخاصة من خاصتهم كتلقى سيدى على حرازم تلميذ سيدنا رضى الله عنه للحزب السيفى وغيره للاسرار مشافهة من القاضى أبى محمد شمهورش الصحابى المعروف رضى الله عنه وذلك باذن من سيدنا رضي الله عنه كما هو معروف عند الأصحاب وكأخذ الشيخ أبى العباس سيدى أحمد ابن الشيخ محمد بن ناصر الدرعى رضى الله عنهما فاتحة الكتاب بالقراءة الورشية متصلة ميم البسملة بالحمد لله رب العالمين عن عبد المؤمن الجنى الصحابى رضى الله عنه لما لقيه ببدر حين حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبما وقفنا عليه فى أسانيد بعض العلماء وما وقع لسيدى على حرازم أدخل وأوجه فى التمثيل به فى هذا المقام وهذا بالنسبة لنا معهم وأما مع بعضهم بعضا فمقتضى ما تقدم أنه يشيخ ببعضهم بعضا ولا إشكال والله تعالى أعلم ﴿تتمة﴾ قد ذكر الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى فى الباب الحادى والخمسين من فتوحاته المكية ما يرشد إلى أن الهرب من صحبة الجن وترك مجالستهم أولى بالعاقل وان الايثار لمجالستهم جهل قائلا فان مجالستهم رديئة جداً قل أن تنتج خيراً لأن أصلهم نار والنار كثيرة الحركة ومن كثرت حركته كان الفضول أسرع اليه ثم قال بعد كلام في بيان ماذكره (ونصه) وما جالس الجن أحد فحصل عنده علم بالله جملة واحدة لأنهم أجهل العالم الطبيعى بالله تعالى و يتخيل جليسهم بما يخبرونه به من حوادث الأكوان وما يجرى فى العالم مما يحصل لهم من استراق السمع من الملأ الأعلى فيظن أن ذلك من كرامة الله بهم وهيهات ماظنوا وغاية الرجل الذى تعتنى به أرواح الجن أن يمنحوه من علم خواص النبات والأحجار والأسماء والحروف وهو علم السيمياء فلم يكتسب هذا منهم إلا العلم الذى رمته ألسنة الشرائع وأطال فى ذلك (ثم) قال رضى الله عنه من ادعى صحبتهم وهو صادق فى دعواه فاسألوه عن مسئلة فى العلم الالهى فما تجدوا عنده من ذلك ذوقا أصلا فرجال الله يفرون من صحبة الجن وقد أخبرت بأن صحبتهم تورث التكبر على الناس ومن تكبر على الناس مقته الله تعالى من حيث لا يشعر فنسأل الله العافية اه (ثم) قال الناظم رحمه الله تعالى وقدس سره

﴿ وما بزاويته يصلى * قطعا يكون للقبول أهلا ﴾

الزاوية المراد بها هنا زاويته التى بها مدفنه وهى المعروفة بفاس والمراد بالصلاة هنا الفرض والنفل (يقول) ومن هذا الذى قصدت ذكره هنا من كرامات سيدنا رضى الله عنه التى شاعت عند المعتقد على رغم أنف المنتقد ما تواتر الخبر به عنه رضى الله عنه وأرضاه من أن الصلاة بزاويته المباركة مقبولة قطعا بفضل الله (وهذه) الكرامة أيضا من جملة ما يذكره المشايخ الكبار لمن تعلق بهم من الصادقين الأبرار على طريق الرجاء فى فضل الله تعالى الذى لا يحد بقياس ولا يتعدد بمقدار لئلا يفوت الراغبين فى كرم الله هذا الفضل العظيم ان حققه الله وليس فى هذا ومثله مما يصدر من كمل أهل الله ما يوجب استغناء عن العلم والعمل ولا أمنا من مكر الله فالتكليف باق بحاله والخوف والرجاء بحالهما كذلك وان شذ جاهل فاغتر أو أمن فلا التفات له ولا لاشكاله واذا كان من المشايخ من يبلغ من كرامة الله إياه إلى أن يأخذ عهداً من الله تعالى أن لا يسوق اليه إلا المقبول فى سابق علم الله كما ذكره الشيخ أبو على اليوسى رضى الله عنه عن شيخ سلسلتهم الشيخ أبى القاسم الغازى رضى الله عنه فكيف يبعد أن يكرم شيخنا رضى الله عنه بأن لا يهتدى للصلاة فى زاويته إلا من كانت صلاته مقبولة فى سابق علم الله وهل عدم التسليم لذلك على قصور علمه ونظره إذ يكون للشيخ فيه دليل و برهان قصر فهمه عن إدراكه ولا يعتقد أن الشيخ أولى برعاية الشريعة منه وأشد اهتماما

بينة من ربه ولا يزن أحواله بميزانه فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة فى الظاهر وهى محمودة فى الحقيقة والباطن ولا ينبغى للمريد أن يعتقد فى المشايخ العصمة بل الواجب عليه أن يذرهم وأحوالهم ويحسن الظن بهم و يجب عليه كتمان ما أسر اليه شيخه من الأسرار الالهية إذ لا نوهب إلا للأمناء قال قائلهم

من سار رواه فأبدى السر منكشفا * لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا
وأبعدوه فلا يحظى بقربهم * وأبدلوه مكان الانس ايحاشا

اللهم إلا أن يأمره الشيخ باذاعته لمصلحة تعود اليه أو إلى غيره ولا ينبسط برفع الصوت والاستغراق فى الضحك وكثرة الكلام إلا إذا باسطه مع الوقار بل كلما انبسط له فليزد فى قلبه المهابة والتعظيم قال كلما ازداد بسطة وخضوعا

زدت فيه مهابة وجلالا

و يربط قلبه بالشيخ من طريق الارادة والمحبة فيعلم أنه فى حمايته وولايته وظل رعايته فى جميع الأوقات متمسكا بهذه الطريقة فيحفظ الله تعالى أحواله وأوقاته بواسطته و يكون باطنه متوجها اليه فالأصل اتصال الباطن وقوة الرابطة حتى يكون لو قام أرواح الأولياء بأسرها اعانة على تربيته فأرادوا أن يتصرفوا فيه لما أمكنهم لئلا يصير مذبذبا بين ذلك وان رأى من الشيخ ما يرى أنه غير مشروع عنده فليتهم نفسه وليحمله

وتفكر لظفر به ولكن النفس لا تساعده بل تغطى وجه الصحة وان كان واضحا بينا وتلقنه وجه الفساد وإن كان خفيا ضعيفا لتستوفى حظها فلو صدر منه ذلك الفعل بعينه لأقام على صحته دلائل ولساعدته النفس ومن جنس الاعتراض أن يكون مسلما بالظاهر معترضا بالقلب فتنقطع الرابطة وتقع بينه وبين الشيخ مفارقة معنوية فلا ينفعه التسليم باللسان مع وجود الانكار بالباطن فلا تبقى بين قلبه وبين قلب الشيخ علاقة فيسد طريق الفيض الذى كان يصل إلى قلبه من قلب الشيخ فينقطع عنه المدد ومثل هذا المريد يكون مع الشيخ باللسان وبالقلب مع النفس والشيطان فيعد من جملة المخادعين ومن قبيل المنافقين فاذا حققت هذا وجدت ترك الاعتراض على الشيخ وقاية من الاعتراض على الله تعالى انتهى باختصار وفى شرح الوظيفة الزرقية للعياشى ما نصه انما ينتفع بالقطع بخصوصيتهم يعنى المشايخ وأما من كان على ظن أو شك فيهم فانه لا ينتفع بهم لأن مبنى النفع الصديقية وهى الاصل فى الطريق ومن حرم الأصل حرم الفرع ولذلك قيل إنما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول انتهى وقال فى الطرائف والتلائد وطريق الصوفية مبناها على سيرته صلى الله عليه وسلم وسير الصحابة رضوان الله عليهم حذو القذة بالقذة معاملتهم مع المشايخ معاملة الصحابة رضوان الله عليهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الشعرانى فى لطائف المنن

إلا محض مكابرة وجحود لفضل الله وأيضاً أن من المعلوم المقرر بين الخواص والعوام أن بقاع الأرض تكتسب الشرف بسبب من يحلها من أهل الخير والصلاح ومنها ما يختص بخصائص عظيمة ومزايا جسيمة بسبب من يتعبد لله تعالى بها من أهل القرب والرشد والفلاح (ومن) هنا كان مذهب المحققين من أهل الطريق أن لا تدخل محال تعبدات العارفين الكمل إلا على طهارة كاملة (وذكروا) أن رجلا دخل خلوة الشيخ أبى يزيد البسطامى وهو جنب فاحترق (وقد) ورد أن بقاع الأرض يفتخر بعضها على بعض بمرور الرجل الصالح عليها وصلاته بها ونحو ذلك وفى هذا كله تحقيق ما أشرنا اليه من أن الخصائص والمزايا تسرى إلى البقاع ممن يحل بها و يتعبد لله فيها و إذا تقرر أن شرف الأمكنة ليس لذاتها وانما هو لما يودعه الله فيها بسبب من يحل بها من الأنبياء والأولياء فأى شيء يستبعد فى أن يكرم الله تعالى هذا الشيخ الجليل القدر عنده بأن يجعل زاويته التى هى مصلاه ومحل توجهه إلى الله ومظنة لحضور روحانية سيد الوجود بها الذى هو أشرف خلق الله لأنه كما تقدم كان لا يغيب طرفة عين عن مرآه صلى الله عليه وسلم أهلا لان تتلقى أعمال العاملين بها من القبول من أجل ما أودع فيها من السر الاعظم بسبب ما حصل لها من التخصيص والتكريم من أجل هذا القطب الاكرم ورب حسنة تفوت ألف حسنة مثلا لما حفت به من الاوصاف الجميلة والخيرات الجزيلة كهذه الصلاة التى يصليها المصدق لما أخبر به هذا السيد الجليل من فضل الله تعالى بحضور قلب وسكون وتؤدة مع جماعة من فضلاء أصحاب الشيخ فتسرى بركتهم اليه وتشرق أنوارهم عليه لأن من تحقق بحاله لم يخل حاضروه منها (وقد) ورد من صلى مع مغفور غفر له واذا حفت الصلاة بهذه الاوصاف الجميلة والنعوت الجليلة مع ما سرى اليها من فضيلة البقعة و بركة منشئها وسر الاذن فى الصلاة بها وغير ذلك مما فاقت به غيرها بأضعاف مضاعفة فلا يبعد أن ترتقى فى الفضل إلى درجة القبول بفضل الله تعالى (وقد) أجيب بمثل هذا عن بعض العارفين كان يصلى بمسجد شيخه من المدينة المنورة ولا يأتى الحرم الشريف مع ما فى الصلاة فيه من الفضل العظيم والسر المنيف وذلك لأن شيخه وكان قطب زمانه إذ ذاك أمره بالصلاة فى مسجده وقال له إنا لنرجو من الله أن يحصل لك من الثواب مثل ما يحصل لمن صلى فى الحرم الشريف ومعلوم أن الصلاة فيه بألف صلاة فى غيره فاخبار هذا الشيخ بأن الصلاة فى مسجده يرجى فيه ما يرجى فى الصلاة فى مسجده صلى الله عليه وسلم من قبيل ما أخبر به سيدنا رضى الله عنه من الفضيلة فى الصلاة بزاويته (وقد) أجيب عن الشيخ المذكور بمثل ما أجبنا به بل منه اقتطفنا جل ما قيدناه فى الجواب هنا وفيه أن مثل هذا لا يقتضى مشاركة ولا مساواة للمسجد النبوى الشريف بريد لأنه مزية فقط وكذلك نقول نحن أيضا فى هذه الكرامة أنها لا تقتضى تفضيل الزاوية المباركة على غيرها من المساجد التى ورد النص بتفضيلها وثبت الدليل به لأنها مزية فقط ومعلوم أن المزية لا تقتضى التفضيل والله أعلم (وما) ذكرناه من الخصوصيات للصلاة فى الزاوية المباركة وقلنا إنه يمكن أن يكون هو السبب فى اختصاصها بهذه الفضيلة هو بحسب التقريب للافهام والذريعة إلى التوصل لأفحام الخصم المجادل فى هذا المقام و إلا فنحن نعتقد أن هنالك خصوصية مخزونة وفضيلة سنية مكنونة لم يفش كنه حقيقتها لنا وهى التى قال من أجلها سيدنا رضى الله عنه لو علم الأقطاب ما فى الزاوية من الفضل لضربوا عليها خيامهم اهـ ولم يبد رضى الله عنه كنه ذلك الفضل لأحد فيما بلغنا فلم يبق إلا الرجوع إلى قول الشعرانى المتقدم من كان يخبر عما يشاهد الخ وفى هذا القدر كفاية والله تعالى

المسؤل بجاه أحب الخلق إليه وأكرمهم وأحظاهم لديه سيدنا ومولانا محمد حبيبه من بريته ومصطفاه من خليقته أن يقسم لنا من التمتع بالمثول بهذه الزاوية المباركة والصلاة بها أوفر حظ ونصيب فى عافية شاملة ونعم كاملة انه ولى ذلك والقادر عليه آمين آمين آمين والحمد لله رب العالمين (ثم) قال الناظم رحمه الله تعالى .

﴿ وكم خصائص للاسم الأعظم * لغير شيخنا الرضى لم تعلم ﴾

(الخصائص) الخصوصيات والمراد هنا الفضائل والأسرار التى اختص بها هذا الاسم العظيم المقدار (والاسم) الأعظم عند العارفين المحققين هو الاسم المخزون المكنون الذى إذا دعى الله به أجاب وإذا سئل به أعطى كما ورد قالوا وهو اسم الذات المقدسة جل وعلا الذى ليس للذات غيره (وقوله) لم تعلم معناه لم ينقل مثلها عن أحد غير الشيخ رضى الله عنه (يقول) ومن كرامات هذا الشيخ الجليل التى هى على بلوغه أقصى درجات الكمال أكبر شاهد ودليل كثرة ما ذكره رضى الله عنه للاسم الأعظم من الفضائل والخصائص والأسرار مما لم ينقل مثله عن أحد من الكبار (وقد) نص الشيخ جلال الدين السيوطى رضى الله عنه فى تأليفه الذى سماه الدر المنظم فى الاسم الأعظم وكذا الشعرانى رضى الله عنه فى لطائف المنن والأخلاق وغيرهما من الشيوخ رضي الله عنهم أجمعين أنه قد اختلف فى هذا الاسم اختلافا كثيراً فقيل إنه لا وجود له بمعنى أن أسماء الله تعالى كلها عظيمة لا يجوز تفضيل بعضها على بعض (قال) الشيخ جلال الدين سيدى محمد بن محمد البكرى الصديقى فى كتابه لوامع الأسرار فى الكلام عليه (ما نصه) وذهبت شرذمة إلى أنه لا يجوز تفضيل بعض الأسماء على بعض لأن الموصوف واحد (قال) ومن جملة من اختار ذلك أبو جعفر الطبرى وأبو الحسن الأشعرى وابن حبان والقاضى أبو بكر الباقلانى (قال) ونحوه قول مالك وطائفة لا يجوز تفضيل بعض القرآن على بعض وحمل هؤلاء ما ورد من ذكر الاسم الأعظم على أن المراد به العظيم اه (ومثله) حكاه السيوطى رضى الله عنه فى كتابه المذكور ثم قال وعبارة الطبرى اختلفت الآثار فى تبيين الاسم الأعظم والذى عندى أن الأقوال كلها صحيحة ولم يرد فى خبر منها أنه الاسم الأعظم ولا شىء أعظم منه فكأنه يقول كل اسم من أسمائه تعالى يجوز وصفه بكونه أعظم فيرجع إلى معنى عظيم (ثم) قال السيوطى رحمه الله تعالى وقال ابن حبان الأعظمية الواردة فى الأخبار المراد بها مزيد ثواب الداعى بذلك كما أطلق ذلك فى القرآن والمراد به مزيد ثواب القارىء اه ما ذكره السيوطى رحمه الله تعالى (وقال) الشيخ البكرى عقب حكايته ما تقدم وقوله وحمل هؤلاء الخ ما نصه وهذا لا يتم لهم فانه لا مانع أن تختلف الدوال على الله تعالى بحسب وضعها وهذا بديهى أو فى حكمه (ثم) قال ولما تعددت الصفات الالهية وتفاوتت نظراً إلى صفة الذات وصفات الأفعال وما لها من نسب الكمال ولم يوهم ذلك تعدد الموصوف فضلا عن اقتضائه وثبت تفضيل بعض القرآن على بعض وثبت اطلاق الاعظم فى الأسماء الالهية ولم نجد أدنى مخرج إلى صرف الكلام عن ظاهره تعين الجزم بقول الجمهور وهو إثبات الاسم الأعظم فى حقيقته والمتبادر من إطلاقه اه الغرض منه هنا (وقيل) وهو قول الجمهور حسبما سبق التصريح به فى قول الشيخ البكرى رضى الله عنه انه موجود ثابت وجوده بالأخبار المروية وأن إطلاق الأعظم فى جميعها إنما هو على حقيقته والمتبادر منه وأن أسماء الله تعالى بعضها أعظم من بعض (حكى) الشيخ البكرى إجماع أكثر العلماء عليه ثم اختلف بعد فى تعيينه على أقوال عديدة قال بعضهم نحو الأربعين قولا ذكر جلها السيوطى رحمه الله تعالى

وأقل مراتب الشيخ أن يكون كالبواب للملك فمن كان البواب يكرهه فبعيد أن تقضى له حاجة عند الملك لأنه لا يستطيع الوصول إلى السلطان من غير الباب قال وكان سيدى على المرصفى رحمه الله تعالى يقول من شقاء المريد فى الدنيا وعنوان شقاوته فى الآخرة تهاونه بغضب شيخه عليه وعدم وجود المبادرة إلى صلحه ومن تهاون بذلك لم يفلح أبداً انتهى وقال فى جنة المريد للمريد أوان ارتضاع وأوان انفطام فأوان الارتضاع أوان لزوم الصحبة والشيخ يعلم وقت ذلك فلا ينبغى للمريد مفارقة الشيخ إلا بعد الاذن إذ لا يأذن الشيخ للمريد فى المفارقة إلا بعد علمه بحلول أوان انفطامه وأنه قد استعد للاستقلال بنفسه بانفتاح باب الفهم من الله له إذ يبلوغ المريد رتبة إنزال الحوائج والمهمات بالله والفهم بتعريفاته وتنبيهاته لعبده السائر المحتاج بلوغ أوان انفطامه وعنده يجب على الشيخ قطع المدد عنه من جهته وتركه مع ربه ومع ذلك فما لتلمذ وإن ساوى الشيخ أو جاوزه يتأكد فى حقه احترام الشيخ والتأدب معه للسببية ولا يقعد للارشاد إلا باذنه ما لم يأمره ربه فاذا أمره ربه أنهى ذلك إلى الشيخ فلا يسعه إلا المساعفة ومتى فارق المريد الشيخ قبل أوان انفطامه يناله من الاعلال فى الطريق بالرجوع إلى الدنيا ومتابعة الهوى ما ينال المفطوم



قبل أوانه فى الولادة الطبيعية وكل تصاريف الشيخ محمولة على السداد والصواب

اعتراض ولو عاينه قد خالف ظاهر الشرع اعتباراً بقضية موسى والخضر عليهما السلام انتهى قلت قوله فاذا أمره ربه الخ لعله يعنى به الاذن الذى يشيرون اليه قال ابن عباد رحمه الله تعالى ومعنى الاذن فى حق الولى نور ينبسط على القلب يخلقه الله تعالى فيه وعليه فيمتد ذلك النور على الشىء الذى تريده فيدركه نور أم نور أو ظلمة تحت ذلك النور ينبئك أن تأخذ ان شئت أو تترك أو تختار أو تعطى أو تمنع أو تقوم أو تجلس أو تسافر أو تقيم الى آخر كلامه فانظره وفيه طول منعنا من جلبه وفى فرائد الفوائد لليدالى وكان سيدى محمد ابن وفا يقول مادام المريد تحت حكم أستاذه فترقيته دائمة فان خرج عن حكمه اتكالا على ما حصل منه فهو كالحجر المرفوع الى السماء مادامت تلك القوة الدائمة الرافعة مصاحبة له فهو متعال ومتى فترت انحط وكن تحت أستاذك تغنم قاله الشعرانى قال وقال سيدى محمد بن داود المندلاوى إذا خرج المريد عن حكم شيخه وقدح فيه فلا يجوز لأحد تصديقه لأنه فى حال تهمة ارتداده عن طريق شيخه قال وهذا أمر قل ان يسلم منه مريد طرده شيخه فانه لضعفه يخاف من تجريحه وتنقيصه عند الناس حين يرون أن شيخه طرده وتضيق عليه الدنيا فلا يجد منفساً إلا الحط من شيخه قائلا لو رأينا فيه خيراً ما فارقناه فيزكى نفسه ولذلك يستحكم فيه المقت لاسيما ان اجتمع على من يبغض شيخه فانه يهلك السائلين

فى كتابه المذكور وكذا الشيخ سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى مننه رضى الله عنه (منها) انه مما استأثر الله به ولم يطلع عليه احد من خلقه كما قيل بذلك فى ليلة القدر وساعة الجمعة والصلاة الوسطى (ومنها) انه الله لأنه لا يطلق على غيره سبحانه ولأنه أصل فى الأسماء الحسنى ومن ثم أضيفت اليه اه وسنذكر ما للشيخ رضى الله عنه فيه (ومنها) أنه هو قال السيوطى نقله الفخر الرازى عن بعض أهل الكشف واحتج له بأن من أراد مخاطبة معظم بحضرته لا يخاطبه إلا بضمير الغيبة تأدبا معه (ومنها) أنه بسم الله الرحمن الرحيم لما أخرجه الحاكم فى المستدرك وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما ان عثمان بن عفان رضى الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال هو اسم من أسماء الله تعالى وما بينه وبين الاسم الأكبر إلا كما بين سواد العين وبياضها من القرب (ومنها) أنه الحى القيوم ونقل السيوطى رحمه الله تعالى تقويته عن الفخر الرازى قائلا يعنى الفخر لأنهما يدلان من صفة عظمة الربوبية مالا يدل على ذلك غيرهما كدلالتهما (ومنها) أنه الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والاكرام لحديث أنس رضى الله عنه أنه كان جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل يصلى ثم دعا اللهم انى أسألك بأن لك الحمد لا إله أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والاكرام ياحى ياقيوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله باسمه العظيم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى (ومنها) أنه ياذا الجلال والاكرام لما ورد أنه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك فسل (ونقل) السيوطى رحمه الله تعالى عن الامام الفخر رحمه الله تعالى انه احتج له بأنه يشمل جميع الصفات المعتبرة فى الالوهية لأن فى الجلال إشارة لجميع السلوب وفى الاكرام إشارة لجميع الاضافات (ومنها) أنه اللهم انى أسألك بأنى أشهد انك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد لما ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول ذلك فقال لقد سألت الله بالاسم الذى إذا سئل به أعطى وإذا دعى به أجاب (وفى لفظ) لقد سأل الله باسمه الأعظم (قال) الحافظ ابن حجر وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد فى ذلك اه نقله السيوطى رحمه الله تعالى ومنها أنه رب رب لما اخرجه الحاكم عن أبى الدرداء وابن عباس رضى الله عنهما قال اسم الله الأكبر رب رب (وعن) مولاتنا عائشة رضى الله عنها إذا قال العبد يارب يارب قال الله تعالى لبيك عبدى سل تعط (ومنها) أنه فى هذه الآية من آل عمران قل «اللهم مالك الملك - الى قوله - وترزق من تشاء بغير حساب» (ومنها) أنه دعوة ذى النون «لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين» (ومنها) أنه اللهم نقله السيوطى رحمه الله تعالى عن الزركشى رضى الله عنه ومعناه عند بعضهم أن الميم من علامات الجمع فزيدت هنا لتشعر بأن هذا الاسم اجتمعت فيه أسماء الله كلها قال ابن السيد ولهذا ذهب من ذهب الى أنه اسم الله الاعظم اه إلى غير ذلك مما ذكروه فى تعيينه (وقد) صرح الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه بأن جملة الاقوال فيه لا تفيد الجزم بمعرفته (وقال) جعفر الصادق والجنيد رضى الله عنهما كل اسم من أسماء الله تعالى دعا به العبد ربه مستغرقا بحيث لا يكون فى فكره حينئذ غير الله تعالى فان من تأتى له ذلك استجيب له اه نقله السيوطى رحمه الله تعالى (وحكى) نحوه عن الشيخ أبى يزيد البسطامى رضى الله عنه جواباً لمن سأله عنه والظاهر أن مثل هذا مما يجيب به أمثال الشيخ أبى يزيد رضى الله عنهم إنما هو بحسب أحوال

بالكلية انتهى وأما حقوق المريد الصادق على الشيخ فهى كالزورق خمسة أحدها أن يهتم له بأمر دينه ودنياه

السائلين وإلا فبعيد خفاء الاسم الأكبر الذى هو متعارف بين العارفين بالله تعالى عن أمثالهم فافهم والله تعالى أعلم ( وقد ) ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه مايفيد بالتصريح انه أعنى الاسم الأعظم غير مادلت عليه جملة الأقوال المتقدمة وانه خاص بالخواص ولايدرك إلا من طريق الكشف ( ونص ) كلامه رضى الله عنه فيما من الله تعالى به على معرفتي باسم الأعظم الذى إذا دعى به أجاب ولكن لاأعلمه لكل الناس إلا أن وثقت بدينه وبخوفه من الله تعالى وشفقته على خلقه فانى أخاف أن يدعو به على من لم يستحق الدعاء فيهلك قال ولولا أن غيرى من الفقراء سبقنى إلى كتمانه لذكرته لك معينا فى هذا الكتاب ثم قال ولا بأس بذكر جملة من الأقوال فى تعيينه وإن كانت لاتفيد الجزم بمعرفته وذكر بعض الأقوال المتقدمة ثم قال رضى الله عنه فى آخر كلامه مانصه وبالجملة فلا يطلع عليه أحد إلا من طريق الكشف والحمد لله وحده اه ( وقوله ) ولولا أن غيرى من الفقراء سبقنى إلى كتمانه الخ يشير إلى أنهم متفقون على كتمانه ( وقد نص ) الشيخ سيدى محمد البكرى على ذلك وذكر انهم من شدة غيرتهم عليه يقطعون حروفه إذا كتبوه ويدخلون معها غيرها أو يوقعون حروفه على غير صورتها بأن يجعلوا مكان كل حرف منها غيره من الحروف على طريق لايفهمها من عداهم ممن يقف عليه يفعلون ذلك كله إيثاراً لكتم سره الأعظم مكتفين بنياتهم فى كلماتهم وكتابتهم ( ونص ) أيضا رضى الله عنه أنهم يتعارفون فيما بينهم رموزاً تدل عليه وإشارات قدسية تومىء إليه ( وبهذا ) تعرف أنه غير ماأشارت إليه الأقوال السابقة نعم يصح أن يكون فيما استدلوا له بها من الآثار الثابتة بعض الاشارة إليه أو الدلالة ببعض الاعتبارات عليه والله أعلم ( وقد ) ذكر فيه صاحب الذهب الابريز عن شيخه القطب سيدى عبد العزيز رضي الله عنه مايؤيد ماذكرناه فليراجع كلامه فيه من أراد ذلك ( وأما ) سيدنا رضى الله عنه فله من الكلام الدال على كمال معرفته به وبجميع تراكيبه وكيفياتها وما اختص به كل تركيب منهما من الفضيلة وغير ذلك مما يتعلق به مما يبهر العقول ويعجز عن تفصيله المقول ( وقد ) صرح رضى الله عنه بأنه تلقى جميع ذلك من حضرة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما وكلامه رضى الله عنه صريح فى أنه غير ماأشارت إليه الأقوال السابقة وأنه غير الأسماء الحسنى أيضاً ( قال ) فى جواهر المعانى أثناء ماذكره عن سيدنا الشيخ رضي الله عنه من الكلام فى هذا الاسم الأعظم مانصه وقال رضى الله عنه أن الاسم الأعظم هو الخاص بالذات لاغيره وهو اسم الاحاطة ولا يتحقق بجميع مافيه إلا واحد فى الدهر وهو الفرد الجامع ( ثم ) قال رضى الله عنه هذا هو الاسم الباطن وأما الاسم الأعظم الظاهر فهو اسم المرتبة الجامع لمرتبة الألوهية من أوصاف الاله ومألوهاته وتحته مرتبة أسماء التشتيت ومن هذه الأسماء فيوض الأولياء فمن تحقق بوصف كان فيضه بحسب ذلك الاسم ومن أجل هذا كانت مقاماتهم مختلفة وأحوالهم كذلك وجميع فيوض المرتبة بعض من فيوض اسم الذات الأكبر اه بلفظه رضى الله عنه ( فأفاد ) رضى الله عنه أنهما اسمان أعظمان الاسم الأعظم الظاهر وهو الله جل وعلا إذ هو عين المرتبة التى هى الألوهية كما صرح بذلك المحققون والاسم الأعظم الباطن وهو الاسم المخزون المكنون الذى لعزته كما قاله العارف بالله البكرى أخفاه الله تعالى فى أسمائه الحسنى وضمنه كتبه المنزلة على الوجه الأجل الاسنى ولم يطلع عليه إلا أفذاذ أفراد فى الأزمنة المتطاولة اه ملخصاً وهذا هو الاسم الأعظم المتكلم فيه هنا وهو غير الأسماء الحسنى ( وقول ) البكرى رضى الله عنه أخفاه الله فى

بغاية جهده فلا يدخر عنه مايحتاج اليه من علم أو حال أو همة أو نصيحة أو مال أو جاه أو غير ذلك لأنه باع نفسه منه الثانى أن يرفع كلفته عنه بكل شىء فلا يكلفه بخدمة ولا بحرمة ولا مال ولا غيره إلا لمصلحة ناجزة أو مترقبة أو يضطر لذلك اضطرار الجائع إلى الميتة فيتصرف فيه بحكم الصدقة على الوجه الذى أبيح له بقدره فى وقت الاحتياج لا فى غيره الثالث أن يتفقد أحواله فى كل يوم وليلة برؤيته آخر نهاره وآخر ليلته فقد كان صلى الله عليه وسلم يتفقد أصحابه ويأتى دار أبى بكر رضى الله عنه كل يوم بالغدوة والعشى ويتفقد علياً رضى الله عنه مع فاطمة أكرمهما الله اصلانهما من الليل ويجلس لأصحابه لاختبار ماعندهم لعرض مرائيهم عند الصباح ولطرح المسائل إلى غير ذلك الرابع أن ينظرهم بعين الاخوة فى حقوقه وبعين النبوة فى حق الله تعالى فيطالبهم فى حقوق الله تعالى على المشاحة وبحقوقه على المسامحة الخامس أن يكون تصرفه فيهم بحكم البصيرة والهدى لا بحكم العادة والهوى فلا يزيدهم استكثاراً ولا تعززاً ولا استظهاراً ولا يسامحهم بشىء من ذلك بل ينهاهم ويزجرهم ويعنفهم فى محل التعنيف على قدر احتمالهم ويرفق بهم فى الأمور على حسب أحوالهم ويعطى كلا من المريدين مايليق به فى أمر دينه ودنياه ولا يسامحهم فى شىء من مخالفة الأدب أو بمفارقة

مكارم الأخلاق ووجوه التأويل واستخفاف الأمور فان لقلوب المشايخ تقلباً ربما أضر بالمريدين عند الخروج بثورة فما فوقها فاحذر ذلك

بغاية جهدك وبالله التوفيق وأما من اعتقدت له المشيخة ولم ير نفسه أهلا لذلك ولم يجد محيصا عنها فتتعين عليه خمسة أمور أولها أن يبين لمن تعلق به حال نفسه وانه ليس بشيخ ولا يصلح للمشيخة و يظهر له دلائل ذلك من نفسه بما يسلمه ولا يرده حسب امكانه ويدله على من يصلح لذلك أن علمه ممكنا له فان أبى دخل معه على وجه الاخوة الخاصة التى تقتضى وجود النصح بغاية الوسع واسقاط الحق والكلفة و يعامله بذلك و يدعه وما اعتقد من مشيخة أو غيرها لينتفع باعتقاده و يستريح معه فى اخوته فانه متى نزل الاعتقاد للمساواة لم ينتفع به كما أنه إذا اعتقد الآخر وجود المشيخة تعدى فى التصرف الثانى أن ينزله منزلة نفسه فى الشفقة على دينه ودنياه فلا يتركه لتساهل فى الدين ولا لتضييق على النفس والتوسع عليها ولا لاخلال بمروءة ولا لتضييع فى دنيا ولا اضرار فى الحال بل يكون مرآة له يريه حسنه من سيئه ليحمد الله تعالى على الحسن و يجد فيه و يتأنس به و يستغفره من سيئه و يتبرأ من فعله و يعمل بما يصلح له و يعينه فى ذلك بما أمكنه من مال أو جاه أو حال أو دعاء أو نصيحة أو علم أو عمل أو حركة أو همة أو غير ذلك لأنه قد باع نفسه منه فوجب حقه عليه ولا خير فى صحبة من لا يرى لك مثل الذى ترى له الثالث أن يرفع عنه كلفته بغاية جهده بأن يرفع عنه ما استطاع من الأمور اللازمة له حسب امكانه فلا يكلفه بما يليق به لأنه مشغول له بما هو أولى به ولا بما لا يطيق إلا أن لا يجد عنه مندوحة ولا بما يحار فيه لأنه مشوش له وهو انما قصد تفريغ قلبه من مشغلات الوقت فمن شغله فقد جاز عليه إلا فيما يكون

أسمائه الحسنى مراده أن الأسماء الحسنى متضمنة لحروفه التى يتركب منها ومشتملة عليها فافهم والله تعالى أعلم (وقد) أفاد فى جواهر المعانى فيما ذكره عن سيدنا الشيخ رضى الله عنه مما تلقاه من حضرة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن لهذا الاسم الأعظم صيغا متعددة بتعدد تراكيب حروفه واختلافها فى الترتيب وأن هذه الصيغ تفاوت فى الفضل بمعنى أنه يثاب على ذكر بعضها أكثر مما يثاب على غيره من الصيغ بأضعاف كثيرة وأن أعظم الصيغ فضلا هى الصيغة الخاصة بمقامه صلى الله عليه وسلم (وأخبر) رضى الله عنه أنه تلقى من الحضرة المحمدية صلى الله عليه وسلم صيغا عديدة فى هذا الاسم وأنه تلقى منها أيضا كيفية يستخرج بها ما أحب من تراكيبه (ثم) أخبر رضى الله عنه أنه تلقى من الحضرة المصطفوية أيضا عليه أزكى الصلاة والسلام الصيغة الخ اة بمقامه صلى الله عليه وسلم وكذا الصيغة الخاصة بمقام مولانا على كرم الله وجهه وهذه الصيغة الخاصة بمقام مولانا على رضى الله عنه لا يعثر عليها إلا من سبق عند الله تعالى فى الأزل أنه يصير قطبا (وأخبر) رضى الله عنه أنه تلقى من الحضرة الشريفة أيضا صلوات الله وسلامه عليه خواص هذا الاسم وكيفية الدعاء به وكيفية سلوكه كما تلقى منه أيضا صلى الله عليه وسلم ما أعد الله تعالى لذاكره من الفضل العظيم الذى لا حد له ولا حصر (وذكر) فى جواهر المعانى من تفاصيل ذلك الفضل العظيم الذى أعطيه سيدنا رضى الله عنه خصوصا والذى أعطيه غيره من الذاكرين له عموما على اختلاف مراتبهم وتباين استعداداتهم ما يحير الأذهان و يعجز عن تقريره التبيان فليطالعه من أراده فى جواهر المعانى بمحله ليتعرف منه ما خص الله به خواص أوليائه من كراماته وفضله (ثم) قال فى الجواهر بعد ذكره الفضل العظيم الخاص ما نصه وقال رضى الله عنه ان الفضل المذكور خاص بالصيغة الخاصة به صلى الله عليه وسلم ولا يلقنها ولا يأذن فيها إلا القطب الجامع (قال) رضى الله عنه وأما غيرها من صيغ الاسم ففيها النصف من ثواب الكبير (ثم) قال رضى الله عنه وهذا الفضل لمن أخذ صيغة من صيغ الاسم بسند متصل وأما من عثر عليه فى كتاب أو غيره وذكره من غير إذن فثوابه كل حرف بعشر حسنات لا غير (ثم) قال رضى الله عنه ومن خواصه أن من عرف لفظه دون أسراره كان مأمونا من السلب لا يقدر عليه أحد وان كان لم يفتح عليه بالولاية ولا يقدر على سلبه إلا القطب اه (وذكر) فى الجواهر أيضا عنه رضى الله عنه أن الفضل الخاص خاص بمن عرف أن هذا الاسم هو اسم الذات المقدسة وأنه ليس للذات إلا هذا الاسم وأما من لم يعرف ذلك فليس له ذلك الفضل الخاص وانما له فضل ختمة القرآن فقط يعنى إذا ذكره باذن وأما ان ذكره بغير إذن فكل حرف بعشر حسنات كما تقدم (وقد) أشار سيدنا الشيخ رضى الله عنه إلى مثل ما تقدم عن الشعرانى رضي الله عنه مما يفيد اتفاق العارفين بالله تعالى على كتمه مع بيان الأصل فى ذلك وتحقيق الوجه فيه وذلك فيما ذكره فى الجواهر عنه رضى الله عنه من أن من جملة ما تلقاه من الحضرة الشريفة صلوات الله وسلامه عليه أن هذا الاسم الأعظم مضروب عليه حجاب ولا يطلع الله تعالى عليه إلا من اختصه بالمحبة ولو عرفه الناس لاشتغلوا به وتركوا غيره ومن عرفه وترك القرآن والصلاة على لما يرى فيه من كثرة الفضل فانه يخاف على نفسه اه (وذكر) أيضا أعنى صاحب الجواهر عن الشيخ رضى الله عنه فى محل آخر بعد ذكره لبعض فضل الاسم ما نصه وهذا لا يعرفه النساء بل هو خاص بالرجال لأنها مرتبة عظيمة فلا تعطى إلا لمن سبق أنه محبوب عند الله تعالى جعلنا الله منهم بمحض فضله وكرمه آمين اه

وفى

(وفى) هذا والذى قبله إشارة إلى أن هذا الاسم إنما ينال بمحض المحبوبية من الله تعالى لا غير فافهم والله تعالى أعلم (و بلغنى) أيضا أن بعض أصحاب سيدنا الشيخ رضى الله عنه الذين كانوا بالصحراء وهم جماعة اطلعوا على الاسم الأعظم فى بعض كمنا نيش الشيخ رضى الله عنه وذلك بعد سفره من بلده لفاس فلما قفل رضى الله عنه إلى الصحراء أخبر بذلك فأمر بحضورهم لديه فخاطب كل واحد منهم بما لم يخاطب به الآخر فقال لبعضهم إن ذكرته لأحد تموت كافراً والعياذ بالله تعالى واختلى بآخر منهم وأذن له فيه فى خاصة نفسه بشرط أن لا يذكره لأحد فضلا عن أن يأذن فيه وقال لآخر اتركه عنك لا حاجة لك به وقال لآخر ان أحببته سلم فى الأموال والأولاد وقال لآخر اذكره مرة واحدة بين الليل والنهار وقال لآخر يكفيك من فضله أن من عرف لفظه فقط يكون مأمونا من السلب واذا دخل إلى مسجد من المساجد تقول الملائكة هذا فلان يعرف اسم الله الخاص بالذات العلية فيحصل له ثواب من ذكره بسبب ذكر الملائكة له بذلك اه (وهذه) القضية وحدها تنبىء عما اختص به سيدنا رضى الله عنه من سعة الدائرة فى التربية رضى الله عنه وأرضاه وأدامنا وجميع الأحبة دنيا وأخرى فى حماه آمين (فائدة) رأيت فى بعض الكمنا نيش بخط بعض أصحاب الشيخ رضى الله عنه من داوم على قراءة قوله تعالى «وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد» أربعين ليلة فى كل ليلة أربعين مرة قيض الله تعالى له بفضله من يعلمه الاسم الأعظم يقظة أو مناما اه (تتميم) ما تقدم من أنه ورد فى هذا الاسم الأعظم أنه إذا دعى الله به أجاب واذا سئل به أعطى قيل معناه أن الداعى به يعطى نفس المسئول بخلاف الدعاء بغيره فانه وان كان لا يرد فانه بين إحدى ثلاث كما ورد إما أن تعجل له الاجابة فيعطى نفس المسئول واما أن يدفع عنه من الشر مثلها أى مثل مسئلته واما أن يدخر له من الأجر خير مما سأل

(ثم) قال رحمه الله

﴿وكم فدافد له قد طويت * وكم جمادات له قد تكلمت﴾
﴿وكم يكاشف بها مما يرى * مطابقا لما به قد أخبرا﴾
﴿وكم تصرف لذا الولى * فى العالم العلوي والسفلى﴾
﴿وكم علمنا له من ابراء * حليف أمراض بلا دواء﴾
﴿وكم له من دفع خطب هائل * ونصر مظلوم وردع صائل﴾
﴿وكم إغاثة لذى أسفار * فى الضنك فى البحار والبرارى﴾
﴿وكم من الولاة عن مرتبته * لظلمه عزله بهمته﴾
﴿وكم له من نصر وال لم يكن * من قبل ذاك والياً حتى يمن﴾
﴿وكم إغاثة بغيث وابل * لغوثنا فى عام جدب ما حل﴾
﴿وعد تكثير طعام النزر * من الكرامات لهذا الحبر﴾
﴿دعاؤه كصارم بتار * مدده كصيب مدرار﴾
﴿فان دعا عليك فالخسروان * لك دعا فأنت بالخير قمن﴾

(كم) هنا للخبر وهى التى يخفض ما بعدها كرب وقد يرفع تقول كم رجل كريم قد أتانا (والفدافد) المراد بها المسافات البعيدة (ومعنى) طويت قطعت فى أسرع وقت على طريق خرق العادة (والجمادات) جمع جماد وهو مالا روح له (والتصرف) فى الأصل الحكم وكذا التصريف وفرق بينهما بأن التصرف يختص بالقهر والتصريف بالأمر فمقتضى الأول الاستسلام ومقتضى

عاقبته ولا دنيا ولا يناقشه فيما لا يتعلق به أدب من حقوقه ولا يتم له ذلك إلا بمصافاة لا يكتم معها سرا ولا يعصى معها أمرا فيجب للتابع عليه كتمان سره حتى عن زره وايثاره على غيره قيل لبعضهم من نصحب قال من يعلم منك ما يعلم من الله ويسترك كما سترك الله تعالى ويأمرك كما يأمرك الله وينهاك كما ينهاك الله فهو ينهاك ولا يقطع عنك إحسانه ويأمرك ولا يعاجلك بالعقوبة وان خالفت بل يرشدك ويمهلك ويعدك ولا يهملك فاعرف ذلك وتأمله الخامس أن يسلك به طريق الجادة بأن يقدر فيه شروط التوبة ويأمره بعلم حاله وملازمة التقوى فى حركاته وسكناته وينبهه على مواقعها من نفسه وآكد ما يجب منها عليه ليتمسك به ويأخذه بما تحتمله قواه من الاستقامة التى هى طريق السنة والجماعة فى باب التخلى والتحلى ويعرف أنه على لسان العلم فى ذلك كله لا على لسان التربية وعلى طريق الأخوة لا على وجه المشيخة ليبرأ من عهدة الدعوى وتنتفى عنه العروة ويتوسع صاحبه فى الأدب ويتأدب مع من يلقى بما يرى من غيره وهو فى ذلك كله يعتقد أنه متطبب لا طبيب ومتشيخ لا شيخ ومتعلم لا معلم ومعين لا مفيد وهذه المشيخة من تسمى بها من حيث اصطلاح الوقت والحال فلا تضره انتهى قاله سيدى زروق فى النصح الأنفع والجنة وهذه هى حقوق الاخوة الخاصة

وسيأتى بمشيئة الله تعالى فى خاتمة الباب السابع فيما كتبناه بعد الوصية الاولى مزيد لها والله تعالى ولى التوفيق والهادى إلى سبيل

التربية لاترتفع أبداً لكنها تارة تجرى بالاصطلاح من الخلوات والتربية ونحوها وتارة بحفظ الأصول فقط وتارة بحفظ الحرمة ليس إلا وتارة بعلو الهمة وتارة بمجرد التلقى والالقاء وهذه أمور لاتزول أبد الآبدين غير أن الاصطلاح قد انقرض فى هذه الازمنة وارتفع انتاجه حسبما دلت عليه العلامات وشهد به الاستقراء انتهى وقال فى القواعد قال شيخنا أبو العباس الحضرمى ارتفعت التربية بالاصطلاح فى سنة أربع وعشرين وثمانمائة ولم يبق غير الافادة بالهمة والحال فعليكم باتباع السنة بلا زيادة ولا نقصان انتهى وبين مجارى ذلك فى معاملة الحق والنفس والخلق فانظره فانه أجاد فيه وليس غرضنا الآن متعلقا بتفاصيل ذلك بل الغرض من هذا التنبيه إيراد ماتقل عن زروق فى التربية على وجهه وتوجيه العلماء له بما ستقف عليه إن شاء الله تعالى ليكون المؤمن المنصف الجارى على قاعدة حسن الظن بالله وبأوليائه على بصيرة من أمره فان عامة من رأينا من المنكرين للأولياء والمنكرين عليهم يحتج بمقالة هذا السيد الجليل ولأهل الحق فى ذلك توجيه وإيضاح مسطور فى كتبهم فمن ذلك ما ذكره اللمطى فى الذهب الابريز فيما قيده عن سيدى عبد العزيز الدباغ رضى الله تعالى عنهما قال المقصود من التربية تصفية الذات وتطهيرها من رعوناتها حتى تطيق حمل السر وليس ذلك إلا بازاحة الظلام منها وقطع العلائق فيه

الثانى الامتثال والمراد هنا التمكن والاقتدار بمعنى أن يمكن الله تعالى بعض خواص عباده بانقياد الكون إليه وانفعال الأشياء عن همته (وحليف الأمراض) هو من صارت الأمراض لازمة له لاتفارقه كما لا يفارق الحليف أى المعاهد والمعاقد حليفه (والخطب) الأمر الشديد ينزل (وهائل) من هاله الأمر يهوله إذا أفزعه فهو هائل ولا يقال مهول إلا فى المفعول (والردع) الزجر (وصائل) من صال عليه إذا استطال فهو صائل (واغاثة) من أغاثه يغيثه إذا نصره وأعانه وأغاثهم الله برحمته كشف شدتهم والولاة جمع وال من وليت البلد وعليه فانا وال (ويمن) من من عليه يمن إذا أنعم (والغيث) المطر ووابل من وبلت السماء وبلا من باب وعد ووبولا اشتد مطرها والأصل وبل مطر السماء فحذف للعلم به ولهذا وصف المطر به فقيل مطر وابل (والجدب) بالمهملة المحل وزنا ومعنى (وماحل) من محل البلد يمحل من باب تعب فهو ماحل إذا أجدب ويقال امحل بالألف واسم الفاعل منه ماحل أيضا على تداخل اللغتين وربما قيل فى الشعر ممحل على القياس (والنزر) القليل (والحبر) بالكسر العالم ويجمع على أحبار مثل حمل وأحمال والحبر بالفتح لغة فيه وجمعه حبور كفلس وفلوس واقتصر ثعلب على الفتح وبعضهم أنكر الكسر اه (والصارم) القاطع من صرم السيف احتد (وبتار) فعال من بتره إذا قطعه (ودعا) فى الشر يتعدى بعلى وفى الخير باللام (يقول) لهذا الشيخ من الكرامات التى أجراها له وعلى يده رب العباد أنه كثيراً ما طويت له المسافات البعاد وكثيراً ما كلمته بالنطق الفصيح أصناف الجماد وكثيراً ما كوشف بالمغيبات وأنبأ بظهور ما سيظهر فكان ظهور ذلك المخبر به على وفق ما به أخبر وكثيراً ما انقادت لتصرفه العوالم الكونية وكثيراً ما حصل لأصحاب الأمراض المعضلة الشفاء ببركة همته السنية وكثيراً ما صرف الله تعالى على يده الخطوب الهائلة وكثيراً ما نصر الله تعالى به المظلوم فردت عنه اذاية الأيدى المستطيلة الصائلة وكثيراً ما أغاث الله به من أشفى على البوار فى مضايق الأسفار التى تعرض فى البرارى والبحار وكثيراً من الولاة الجائرين المعتدين عزله عن ولايته بهمته العالية فى الحين وكثيراً ما ارتفع به سافل وعز به خامل وكثيراً ما أغيثت بدعوته البلاد فسقيت بعد المحل الشديد وابل الغيث وصوب العهاد إلى غير ذلك مما عدله من كراماته الباهرة كتكثير الطعام القليل بدعوته أو ملمس يده الطاهرة وكاستجابة دعوته التى هى كالصارم البتار وفيضان مدده الذى هو كالغيث الصيب المدرار (ويحتمل) أن يكون الناظم رحمه الله تعالى عقد فى هذه الأبيات ما هو مذكور فى جواهر المعانى على طريق الاجمال جريا على طريقة مؤلفه رحمه الله تعالى من عدم الاحتفال بتفصيل ما تضمنته الأبيات من أنواع الخوارق وأصناف الكرامات (ونص) ماعقده على هذا الاحتمال مما فى جواهر المعانى بعد كلام فى المعنى وقد شاهدنا من سيدنا مالا يحصى ولا يستقصى من الخوارق العظام والكرامات الجسام فى الغيبة والحضور وفى السفر والاقامة وفى جل الأمور وهى على أصناف مختلفة الأوصاف ما بين تصريفات من دفع خطوب ونصر مظلوم وتكثير طعام وابراء عاهة وبين مكاشفات وإجابة دعوات الخ وانظر كلامه بتمامه فى هذا المحل (ويحتمل) أن يكون قصد الاشارة إلى قضايا معلومة عنده فى ذلك مما تلقاه من ثقات أصحاب سيدنا رضى الله عنه بناء على ما قدمناه من أنه يكون رأى النهى عن تدوين الكرامات الحسية إنما كان حيث كان رضى الله عنه لا زال فى قيد الحياة (وعليه) فأما ما أشار إليه فى البيت الأول من هذه الأبيات من طى الأرض فلم يبلغنا

فيه إلا ماتقدم من كون القطبانية نزلت عليه رضى الله عنه بجبل عرفات من مكة المشرفة وأنه كان فى التاريخ المذكور لذلك بفاس لم يبرح منها وهذا يحتمل ماوجهناه به فيما تقدم من أن القطبانية نزلت على الذات التى بمكة لاتبرح منها فيكون من باب تعدد الصور بالتمثل والتشكل كما يقع ذلك للجان وهو أحد الوجوه التى وجه بها المشايخ تطور الولى ويحتمل أن يكون من باب طى المسافة وزوى الأرض من غير تعدد صور بل بطى الأرض ورفع الحجب الحائلة بحيث يتراءى فى مكانين أو أمكنة متعددة وهو فى مكان واحد قالوا وهذا أحسن ما يحمل عليه حديث رفع بيت المقدس حتى رآه النبى صلى الله عليه وسلم حال وصفه إياه لقريش صبيحة الاسراء وهذا ثانى الوجوه التى وجه بها تطور الولى أيضا وهو صريح فى معنى ماأشار إليه الناظم رحمه الله تعالى ومن هذا أيضا ماقدمناه من دخول سيدنا رضى الله عنه على الرجل المتقدم فى خلوته التى أذن له فى الدخول فيها وهى بيلد الرجل وبين بلده وفاس مراحل متعددة والشيخ رضى الله عنه إذ ذاك بفاس ويحتمل الوجهين السابقين وثانيهما صريح كلام الناظم أيضا (ومن) ذلك دخوله على بعض خاصة أصحابه المشهود لهم ببلوغ مقام المعرفة بالله تعالى وهو فى منزله يطالع كتاباً لبعض الأكابر فصدر منه تعظيم زائد لذلك الكبير كاد أن يفضى به إلى الالتفات المضر بالمريد الصادق فى طريق التربية فزجره رضى الله عنه وأخذ بيده وأقامه وقال له يافلان أنت تجانى أو كذا وذكر له النسبة إلى ذلك الكبير ويقع فى وهمى أن الصاحب المذكور كان بفاس والشيخ رضى الله عنه بالصحراء وعلى كل حال فهى من قبيل ما قبلها (ومما) بلغنا مما اتفق لسيدنا رضى الله عنه من هذا النوع أيضا أن رجلين من خاصة أصحابه رضى الله عنه كلاهما مشهود له بالفتح كانا سافرا والشيخ رضى عنه فى قيد الحياة إلى الحج لبيت الله الحرام فوقع بينهما ذات يوم شىء من المخالفة فأساء أحدهما لصاحبه بما تغير باطنه عليه فانتهيا فى ذلك اليوم أو فى الذى بعده إلى بئر ماء وقد أضر بالناس وبالابل العطش فنزل السيد الذى كانت صدرت منه إساءة لصاحبه إلى البئر من طريق ينزل إليها منها وإذا جمل قد توهم أثر الماء فأسرع إلى البئر وحمله على ظهره وقد أضر به الظمأ فرفع ذلك الصاحب رأسه فلم يشك فى سقوطه عليه فتداركه الله بلطفه بأن أخطر ذكر الشيخ والاستغاثة به بباله وإذا هو بالشيخ رضى الله عنه بينه وبين الجمل فرده عنه وأقبل رضى الله عنه بوجهه على الصاحب المذكور وقال له الله أصحابى يريد رضى الله عنه الله أتؤذى أصحابى ثم غاب عنه الشيخ رضى عنه فعرف أنه إنما أتى عليه فى تلك المصيبة التى خلصه الله منها على يد الشيخ رضى الله عنه من جهة إساءته إلى صاحبه فأتاه من حينه وتحلل منه وترضاه حتى رضى (وهذا) أيضا صريح فى طى الأرض على ماتقدم توجيهه وهو أيضا من اغاثته رضى الله عنه لمن استغاث به فى الشدة والضنك فافهم والله تعالى أعلم. وهذا كاف فى شرح ما أشار إليه الناظم رحمه الله تعالى واقتصرنا عليه لثبوته عندنا الثبوت الصحيح بطريق التواتر لبعضه وبنقل الثقة الضابط عن مثله فى بعضه ونعوذ بالله تعالى أن تجرى على ألسنتنا أو أقلامنا فى هذا المقام ماهو شبيه بالخرافات التى لامستندلها إلا التخيلات والأوهام ولولا أن بعض من يتأكد على الامتثال لاشارته من فضلاء الاخوان أكد على مراراً فى التعرض لمثل هذا مما يرجى عود نفعه على عامة الفقراء ما ذكرت منه شيئا سداً للذريعة فى هذا الباب والله الموفق للصواب (وأما) كلام الجمادات فلم يبلغنا فيه شىء نسطره ولعل الناظم رحمه الله تعالى حفظ فى ذلك شيئا ولاغرابة فيه فى الجملة والله تعالى أعلم

القرون فقد كان الناس فيها متعلقين بالله تعالى وبرسوله باحثين عن الوصول إلى مرضاة الله تعالى ورسوله فلهذا كثر فيهم الخير وسطع فى ذواتهم نور الحق فكانت التربية فيها غير محتاج إليها وتارة بسبب من الشيخ فيه أعنى قطع الظلام من الذوات وذلك فيما بعد القرون الفاضلة حيث فسدت النيات وتعلقت العقول بالدنيا باحثة عن الوصول إلى نيل الشهوات فأمر الشيوخ المريد بالخلوة وبالذكر وبتقليل الأكل فبالخلوة ينقطع عن المبطلين وبالذكر يزول كلام الباطل وبتقليل الأكل يقل البخار الذى فى الدم فتقل الشهوة فيرجع للتعلق بالله تعالى وبرسوله فاذا بلغ المريد إلى هذه الطهارة والصفاء أطاقت ذاته حمل السر فهذا هو غرض الشيوخ من التربية وإدخال الخلوة ثم بقى الأمر على هذا مدة إلى أن اختلط الحق بالباطل والنور بالظلام فصار أهل الباطل يزينون من يأتيهم بادخال الخلوة وتلقين الأسماء على نية فاسدة وغرض مخالف للحق وقد يضيفون إلى ذلك عزائم تفضى بهذا إلى مكر من مكر الله تعالى واستدراجات وكثر هذا الأمر فى الاعصار التى أدركها زروق رضى الله تعالى عنه وأدركها شيوخه وظهر لهم من النصيحة لله تعالى ورسوله أن يشيروا على الناس بالرجوع عن هذه التربية التى كثر فيها المبطلون وأن يقفوا بالناس فى ساحة الأمن التى لاخوف فيها ولاحزن وهى اتباع السنة والكتاب اللذين لا يضل من اهتدى بهما فكلامهم رضى الله

وحاشاهم من ذلك فان نور النبي صلى الله عليه وسلم باق وخيره شامل وبركاته عامة الى يوم القيامة انتهى باختصار وقال الشيخ سيدى محمد بن الشيخ سيدى المختار الكنتى فى جنة المريد والعجب كل العجب من انكار القراء من أهل العصر لكرامات الأولياء وادعائهم انقطاع التربية من سنة نيف وثمانمائة معتمدين بزعمهم على ماحكى عن زروق رحمه الله تعالى من قوله انقطعت التربية الخ ولاشبهة لهم فى ذلك لأنه إنما حكى انقطاعها من المغرب وهو أمر جائز فى زمن مخصوص بقطر مخصوص اذ لا قائل بوجود المربى فى كل قطر ولا بلزومه بقطر واحد فى كل زمن بل الذى أجمع عليه محققو السلف والخلف وجود قائم باعباء التربية من غير تعيين لعدد بخصوصه أو قطر فانقطاعها من المغرب وفقد القائم باعبائها لايقدح فى اجماع العلماء على وجوده فى الجملة لصحة قيام مرب فى التكرور مثلا أوفى مصر أو الحرمين أوالشام أو العراق منفردا أو متعددا بوضع أراد الله تعالى انتفاع أهله على يديه باظهاره وكشف الحجاب دون خصوصيته لاهل بلدته أوبوضع قضى الله تعالى بحرمان ساكنيه وطردهم عن حضرته بعدم نفعهم على يديه لسدل حجاب البشرية دون خصوصيته فيقول معاصروه « ماهذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون سيما » القراء المتسبون لفضيلة رسم العلوم الدين سنين

(وأما) مكاشفته رضى الله عنه بمعنى اخباره بالأمر قبل وقوعه فيقع على وفق ما أخبر به فلا يكاد ينحصر ماحدث به الثقات عنه رضى الله عنه (وقد) ذكر فى الجامع أنه رضى الله عنه كان كثيرا مايستره بقوله قلبي يحدثنى بكذا أو وقع فى خاطرى كذا فيخرج كما قال (وذكر) فيه أيضا مايفيد أنه رضى الله عنه كان يخبر بقدوم الغائب قبل أن يقدم فيكون ذلك وفق ماأخبر به (وذكر) من ذلك أنه أخبره مرة وهو معه فى بلاد الصحراء بقدوم الأمير الظالم اذ ذاك فكان ذلك وأنه رضى الله عنه كان أخبره مرة أخرى بخراب قرية قبل وقوعه فوقع وأنه رضى الله عنه أخبره مرة أخرى أيضا بقدوم بعض أصحابه فكان كما قال اه (ومن) معنى ماذكره صاحب الجامع رحمه الله تعالى من أنه رضى الله عنه كان يستر هذا النوع من الكشف بقوله قلبي يحدثنى الخ ما بلغنا عنه رضى الله عنه من أنه كان كثيرا مايتمثل بقول بعض أهل الأحوال من مشاهير رجال الصحراء (ونصه) وهو من الكلام الملحون ثوبى شين ورمتى ماتملا العين قلبي زين يحب الخير البعيد اه (وقوله) رمتى يريد جثتى (ومن) هذا الباب اخباره عن استيلاء أعداء الدين على بلد الجزائر وعملها (وقد) كان رضى الله عنه على ماتلقيناه من فضلاء أصحابه رضى الله عنهم كثيرا مايشير اليه بما يفيد تحقق وقوعه تارة تصريحا وتارة تلويحا (وذكر) رضى الله عنه حكامها يوما وقال فيهم إنهم كفار لنبذهم الأحكام الشرعية وتقديمهم القوانين الفرنجية عليها واكتفائهم بذلك ثم دعا عليهم بان يسد الله أبواب الرحمة فى وجوههم كما سدت فى وجوه أهل البلد الفلانية وذكر بلادا استولى عليها أعداء الدين والعياذ بالله تعالى ودعاؤه عليهم بهذا فى بساط الشريعة وجهة الغيرة الايمانية وفى بساط الحقيقة مجاراة ما كوشف به فى سره من نفوذ الأقدار الربانية (ولا) يقال على مثل هذا مما يصدر من أمثال هذا الشيخ الكبير رضى الله عنه لودعائهم بالهداية مثلا لكان أولى لانهم رضى الله عنهم غرقى فى بحار المشاهدة وجميع حركاتهم وسكناتهم فى جميع أفعالهم وأقوالهم جارية على حكم مايتجلى الحق به على قلوبهم وأيضا قد روى فى بعض الأخبار اذا أراد الله بقوم سوأ يوحى الى قلوب أوليائه لاتسألونى فى أمر القوم فانى عليهم غضبان فيجيبونه بطلب النجاة لأنفسهم اللهم سلم سلم (ومن) تلويحات سيدنا الشيخ رضى الله عنه الى الاستيلاء المذكور ماحدثنا به فضلاء أصحابه انهم كانوا معه ذات يوم فاجتازبهم ولده سيدى محمد الكبير قدس الله سره فنظروا الى الشيخ رضى الله عنه وقد أتبعه بصره كالمتفكر فيه حتى غاب عنه ثم قال الهوارى ماجتاز ولده وأشار الى قضية الهوارى الولى الصالح مع أهل وهران وانتصار الله تعالى له بما انتصر له به مما هو معلوم من قضيته وفى ذلك إيماء الى قضية ولده المذكور مع أهل تلك البلد المذكورة وفيه إشارة الى أن الواقع بها هو من انتصار الله تعالى لاهل خصوصيته فكان الامر كذلك (وقد) قال بعض الكبار اذا أراد الله صلاح زمان وأهله كان انتصاره لاولياء ذلك الزمان فيما يصدر لهم من العامة ظاهرا فى الأموال والابدان واذا أراد الله فساد زمان وأهله كان انتصاره لهم باطنا فى الاديان ليمتد ضلال أهل العصيان اه من ابتهاج القلوب مختصرا ولسنا بصدد بسط القضايا التى هى من قبيل ماأشرنا اليه لاستدعاء ذلك التطويل والخروج عن الغرض فافهم (ومن) أخباره بالغيب من طريق كشفه رضى الله عنه اخباره بأمور لم تقع إلا بعد وفاته اما بالتصريح أو بالتلويح فاخبر بالفتن التى وقعت بالقرب من وفاته فى الغرب فكان الأمر وفق ماأخبر به وأخبر بالمسغبة العظيمة أعاذنا الله منها التى كانت بعد وفاته بنحو تسع

سنين وذلك على ما أخبرنى به بعض خاصة أصحابه رضى الله عنه بطريق التلويح قال المخبر كنت معه رضى الله عنه بباب داره ذات يوم فأمر باخراج القمح للرحى على العادة والوقت وقت خصب ورخاء قال فالتفت إلى وقال لى يافلان ادع العبيد ليصحبوا هذا القمح إلى الرحى قال فقلت له ياسيدى الرحى قريبة ولا حاجة بنا إلى العبيد قال أدع العبيد ومرهم أن يصحبوه لئلا ينهب فى الطريق (وحدثنى) المخبر أيضا أنه فعل مثل ذلك فى تلك الأيام مرة أخرى فى الخبز وقد أخرجوه من داره ليحمل إلى الفرن قال فلم نفقه ذلك حتى وقع الغلاء الكبير عام أربعين ومائتين وألف فصار الناس يحتاجون إلى مثل ما أمر به الشيخ رضى الله عنه (ومن) هذا المعنى أيضا ما حدثنى به الخاص المذكور وهو أن الخليفة المعظم سيدى على حرازم رضى الله عنه كان حين أراد التوجه لبيت الله الحرام يذكر لبعض الخاصة ممن يساره بالأمور أن النبى صلى الله عليه وسلم زوجه ببنت بتونس وكان يصفها وربما ذكر اسمها واسم أبيها ثم لما سافر ووصل تونس حرسها الله كان ما أخبر به قال المحدث فلم نلبث أن جاءنا الخبر بأنه طلقها قال فكان يقع فى باطنى شىء من جهة تطليقه إياها وهو أخبر أن النبى صلى الله عليه وسلم زوجه بها قال وكان الشيطان لعنه الله كثيراً ما يكدر عليه وقته بالوسوسة فى ذلك وخصوصا حين يطيب وقته قال لى فجلست يوما مع الشيخ رضى الله عنه ولم يحضر معنا ثالث فطاب لى الوقت بمحادثة الشيخ رضى الله عنه ولان القلب وخشعت الجوارح فلم أشعر حتى ألقى ذلك الخاطر ببالى واشتغل به فكرى وكدر على صفوى فرفع رضى الله عنه بصره إلى وأدنى رأسه منى وقال لى كانت لا تصلى ولم يزد رضى الله عنه على ذلك شيئا قال فعلمت أن ذلك موجب لطلاقه إياها وأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقره معها على ذلك اه (قلت) ثم بعد ما حدثنى هذا السيد رحمه الله تعالى بهذه الكرامة بمدة وقع بيدى ورقات بخط سيدى على حرازم رضى الله عنه فاذا هى مشتملة على مطالب عديدة لنفسه ولخاصته وأقاربه وإذا من جملتها الدعاء لتلك الزوجة بأن تحبب اليها الصلاة وهذا موافق لما أجاب به الشيخ رضى الله عنه من طريق الكشف وهذا باب واسع جدا لا يمكن استيفاء نزر النزر منه وانظر فى جواهر المعانى ماذكره مؤلفه رحمه الله تعالى فيه من نفوذ بصيرته وصدق فراسته فى أصحابه وجلسائه ومعرفته جميع ما اشتملت عليه ضمائرهم على اختلاف طبقاتهم وأحوالهم وأنه رضى الله عنه كان كثيراً ما يجالسه الانسان فيتكلم له على ما شغل باطنه من الهوى والأمور الدنيوية ويعين النوع الذى شغله منها بطريق الاشارة العامة والاجماع ونوع من ضرب الأمثال من غير تعيين يعرف به صاحب ذلك وذلك مثل أن يقول مابال أقوام يفعلون كذا أو يقولون كذا أو أن يذكر ذلك الفعل من غير أن يعين صاحبه ويقول حق من يفعل كذا وكذا اتباعا للسنة فى جميع ذلك ومن هذا المعنى ما كان عليه أمره فى الاشارة على من استشاره فانه لا يشير عليه إلا بما فيه نجاح حاله وفلاح مآله وكان من المعلوم عند أصحابه رضى الله عنه فى الاستشارة أن المعتبر عندهم الذى عليه المعول هو ما نطق به فى الكلام الأول فان التقطه المستشير عثر على حكمة الاشارة وانقلب بغنيمة وتجارة وإن لم يقبل منه وراجعه فى الكلام جاراه فى كلامه حتى ينصرف من غير أن يعثر على المرام ولا أن يحصل على ثمرة الكلام إلى آخر ماذكره فى الجواهر فى هذا المحل فراجعه إن شئت (وقد) حدث بعض أصحابه رضى الله عنه أنه أتى ذات مرة بصوف من البادية إلى فاس ليتجر فيها فلما وصل إلى فاس وجد سوقها كاسدة فاهتم لذلك ثم أنه أتى الشيخ رضى الله عنه قاصدا

والمقتضى فانكار مثل هؤلاء لوجود المربين وحكمهم بانقطاع التربية مجازفة على الشارع ومصادمة لصريح النص فان يكونوا منكرين لأصل الولاية ووجود الأولياء رأسا فلا كلام معهم لكفرهم بتكذيب ما يفيف على مائتي آية من كتاب الله عز وجل ما بين صريح واقتضاء وأكثر من ثلاثمائة حديث وإن كان إنكارهم لها من جهة دعوى الانقطاع من كل الوجوه فهى دعوى أيضا يكذبها أنه لا يخلو إما أن يدعوا انقطاع الدين من أصله أو لا يدعوه فان ادعوا انقطاعه كلفوا بالحجة ولا حجة لهم من كتاب ولا من سنة ولا من إجماع بل يحجهم ويكذبهم غير ما حديث فمنها قوله صلى الله عليه وسلم أمتى كالغيث لا يدرى أولهم خير أم آخرهم ومنها حديث لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم وخذلهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك وإن ادعوا انقطاع مذاهب التصوف دون غيرها من علوم الرسوم فشواهد الكتاب والسنة صادحة عليهم بالتثريب والتفنيد والتكذيب إذ حاصل علم الحقيقة باطن علم الحق والرسول صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل حق حقيقة وقد مثل شارحو الحديث ذلك بالقشر واللب فالشريعة قشر والحقيقة لبه فلب لا قشر له مبتذل فاسد وقشر لا لب له تحته باطل

 كاسدو إلى ذلك تشير آية « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » فأخبر عز وجل بقصر التعبد

استشارته فى ذلك فوجد أصحابه قد أحاطوا به رضى الله عنهم فسلم على الشيخ رضى الله عنه وجلس فلم يلبث أن سأل الشيخ بعض أصحابه عن سعر الزيت فقال كذا ثم سأل عن السمن ثم عن اللحم وغير ذلك حتى انتهى الى الصوف فقيل له ان سوقها كاسدة فقال رضى الله عنه الصوف من الأمور المهمة التى لا يستغنى عنها الناس فلا بد أن يرتفع سوقها فمن كانت له صوف ينبغى له أن لا يضجر منها بسبب ما عرض من رخصها بل يجعلها فى محل يحفظها فلا يمضى عليه نحو كذا وذكر رضى الله عنه عدة من الأيام إلا وقد ارتفع سومها فأخذ الرجل جوابه عن مسئلته من ذلك من غير أن يشعر بذلك أحد من الحاضرين فقام من حينه واكترى لها محلا وجعلها فيه مطمئناً طيب النفس فلما كان فى آخر المدة التى عينها الشيخ رضي الله عنه اذا هو بأناس يطلبونها فاشتروها منه وربح فيها ربحا معتبراً ببركة إشارة الشيخ رضى الله عنه (وأما) تصرفه رضى الله عنه فما لا يحتاج الى تفصيل وما هو إلا من حديث البحر وكان الناظم أشار بالبيت الى ماذكره فى جواهر المعانى من قوله ومن كماله رضى الله عنه وعلو منصبه الشريف ما أوتيه من مقام الخلافة وخطة التصريف ووليه من النيابة والتحكيم والأمر النافذ العميم الى آخر كلامه (وقد) تقدم الكلام فى مبايعة جميع المخلوقات للقطب الأرواح وغيرها كما تقدم أيضا عن الشيخ مولانا عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه من قوله إن للقطب ستة عشر عالما احاطيا الدنيا والآخرة ومن فيهما عالم واحد من هذه العوالم كما تقدم عن سيدنا رضى الله عنه أن القطبية هى الخلافة العظمى عن الحق تبارك وتعالى مطلقاً فى جميع الوجود جملة وتفصيلا حيثما كان الرب إلها كان هو خليفة فى تصريف الحكم وتنفيذه فى كل من عليه ألوهية لله تعالى إلى آخر كلامه المبين معنى قول الناظم فى العالم العلوى الخ (وذكر) فى الجامع صاحبه رحمه الله تعالى ما نصه ومنها أى من مناقبه رضى الله عنه اننا كنا يوما نذكر بين يديه ما يشاهد الأولياء من الخوارق فقال لنا رضى الله عنه ما وقع لى هذا إلا مرة كنت سكرت من أول النهار الى بعد العصر فشاهدت عوالم لا مثال لها فى هذا العالم ولا مما يصوره الفكر وكأنى ملك عليها أتصرف فيها اهـ (ومثل) هذا كان يصدر عنه فى أول أمره كما ذكره صاحب الجامع فى غير هذا المحل وكذا صاحب الجواهر وفيه على كل حال شاهد لكلام الناظم رحمه الله تعالى (وأما) حصول البرء والشفاء من الله تعالى لمن توجه اليه واستشفى من أدوائه المعضلة بتقديم همته فهو مما لا يأتى الحصر على تفصيلاته فى حياته وبعد مماته وذلك بمجرد التهمم بذلك بين يديه قيد حياته أو نحو ذلك كالاستغاثة به والقصد الى ضريحه الأنور بعد وفاته وقد كان بعض علماء فاس يعتريه ألم نحو المسمى عند الأطباء بما ليخوليا فكان من عادته إذا أحس ببدأ ذلك الالم أعاذنا الله منه يأمر بحمل فراشه الى زاوية الشيخ رضى الله عنه ويقصد مجاورته بنية الاستشفاء فكان يحصل له مراده ببركة الشيخ رضى الله عنه ولذلك حض على ملازمة حمى الشيخ رضى الله عنه فى قوله فى أبيات أنشأها فى مدح سيدنا رضى الله عنه يقول فيها

ان التجانى تاج لا نظير له * الله صرفه فينا وولاه
له ضريح سمت به بليدتنا * فلم تزل دورها بعين مرآه
من عين ماض أتى فجاء كل فتى * من بحره يستقى اذا طاب سقياه

﴿ومنها﴾

على إمحاض العبودية بالاخلاص إلى انتهائه وأخرج مسلم رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم ومعلوم ضرورة أن اصلاح القلوب انما يكون بعلوم الرياضات والمعاملات التى هى شعبة من علم الحقيقة فالمدعى لانقطاعه مدع لذهاب فائدة الشريعة وانتفاء محصولها الذى هو الاستقامة إذ الشريعة إقامة لرسم الاسلام والحقيقة استقامة فى حقيقة الاسلام فالشريعة بمنزلة شخص الاسلام والحقيقة بمنزلة الروح منها انتهى المراد منه*

التنبيه الثانى اعلم أن للأشياخ فى التربية طريقتين مدار إحداهما على الشكر والفرح بالمنعم من غير مشقة ولا كلفة والأخرى مدارها على الرياضة والتعب والمشقة والسهر والجوع قال فى الذهب الابريز فى مناقب سيدى عبد العزيز وطريقة الشكر هى الأصلية وهى التى كانت عليها قلوب الأنبياء والأصفياء من الصحابة وغيرهم وهى عبادته تعالى عن اخلاص العبودية والبراءة من جميع الحظوظ مع الاعتراف بالعجز والتقصير وعدم توفية الربوبية حقها وسكون ذلك فى القلب على ممر الساعات والازمان فلما علم تبارك وتعالى منهم الصدق فى ذلك آتاهم بما يقتضيه كرمه من الفتح فى معرفته ونيل أسرار الايمان به عز وجل فلما سمع أهل الرياضة ما حصل لهؤلاء من الفتح جعلوا ذلك هو مطلوبهم فجعلوا يطلبونه بالصيام والقيام والسهر ودوام الخلوة حتى حصلوا على ما حصلوا فالهجرة فى الطريقة الأولى إلى

فاسرد مناقبه فانها درر * والزم حماه تنل معين سقياه

وعلى قوله سمت به بليدتنا يعنى البليدة الحومة المعروفة بفاس التى بها زاوية سيدنا رضى الله عنه يأتى ما بلغنا متواتراً عن أصحاب سيدنا رضى الله عنه من أن بعض أرباب الأحوال كان يشير الى تشرف هذه الحومة بمزية مدفن الشيخ رضي الله عنه بها فكان يقول تحصنت فاس وخصوصا الدرداس يعنى الحومة المذكورة لأنها يقال لها الدرداس أيضا وعلى قوله فلم تزل دورها الخ ما بلغنا من قول سيدنا رضى الله عنه فى قضية معروفة جيرانى ماتجوزهم فى الدنيا ولا فى الآخرة يعنى بغيثهم و يشفع لهم و يأخذ بأيدى العاثر منهم فى الدنيا والآخرة (وأما) ماذكره عن الشيخ رضى الله عنه من دفع الخطوب الهائلة ونصر المظلوم ودفع الأيدى الجائرة الصائلة فمن الشائع المعلوم الذى يضيق القول عن حصرما اتفق منه للخصوص والعموم (وقد) حدثنى بعض الشرفاء الأفاضل الأخيار ممن أخذ عن سيدنا الشيخ رضى الله عنه أنه كان قاطنا ببلاد البربر بأهله فلما كانت السنة التى جمع فيها الفتان الشهير بامهاوش جميع قبائل البربر وتحزبوا على أن يتبعوه الى أن يدخل فاسا و يفسد ملكها و يعيث فى أرضها فوافقوه على ذلك وساروا بما لا يحصى كثرة من الخيل والرجالة قاصدين الى فاس (قال) المحدث فسرت معهم مختفيا وقصدى الاجتياز الى فاس فلما نزلوا بأقرب الجبال من فاس تركتهم ومضيت الى فاس وكان من أهم الأمور عندى بفاس الانخراط فى سلك سلسلة أهل الله تعالى فاتفق أن ذكر لى الشيخ رضى الله عنه وطريقه و بعض فضائلها فسألت عنه ثم قصدت اليه فى الحين فأذن لى فى الدخول عليه بباب داره فألفيته مشتغلا بالذكر وهو قائم يذهب ويجىء فأشير على بالجلوس حتى يفرغ فجلست حتى إذا فرغ قمت اليه وسلمت عليه فسألنى من أين أقبلت وعن نسبى وأحوالى ومقصدى فأخبرته ثم طلبت منه تلقين ورده فلقننى ثم استشرته فى الانتقال من بلاد البربر الى بعض المدن فقال لى نساؤهم يصلين مستفهما منى عن ذلك فقلت يا سيدى بعضهن يصلى فأشار على بعدم الانتقال فى ذلك الوقت وحين أردت توديعه سألنى عن الفتان المذكور ومن معه وماذا يريد فأخبرته بما هو عليه هو ومن معه من القوة والشدة و بما يريدون فالتفت رضى الله عنه إلى ناحيتهم ومد كفه وقال فيها أف ثم توادعت معه ودعا لى بخير فتوجهت من حينى وخرجت وفى صبيحة الغد وصلت الى المحل الذى تركت به امهاوش ومن معه فسألت عنهم فقيل انهزموا بالامس وقت كذا وساروا لا يلوى أحد منهم على أحد ولم يدر أحد ماسبب ذلك قال فلم أشك فى أنهم هزموا فى الساعة التى نفخ فيها الشيخ رضى الله عنه نحونا حيتهم وأن الله تعالى ألقى فى قلوبهم الرعب ببركة همة الشيخ رضى الله عنه (وأما) إغاثته رضى الله عنه لمن استغاث به من المسافرين فى البر والبحر فهو شىء لا يأتى عليه الحصر ومن ذلك ماتقدم قريبا فى شأن الرجل الذى أغاثه وهو فى البئر وخلصه من سقوط الجمل عليه ومنها غير ذلك (وقد) حدثنى من أثق به من أهل العلم وشرف النسب أن بعض فقهاء تلمسان أعادها الله دار إسلام ممن استوطن حضرة فاس وكان من جملة المدرسين بالقرويين أنه حدثه فقال له إنى كنت فى حال شبيبتى ارتحلت من بلدنا تلمسان الى فاس بقصد قراءة العلم فكان من جملة من قرأت عليه من العلماء بها فلان وذكر له صاحب سيدنا رضى الله عنه سيدى محمد بن المشرى رحمه الله تعالى قال وحين أزمعت السفر من فاس والرجوع الى بلدى أتيت مشايخى بقصد توديعهم وطلب صالح الادعية منهم

الى الفتح ونيل المراتب والسير فى الأولى سير القلوب وفى الثانية سير الابدان والفتح فى الأولى هجومى لم يحصل من العبد تشوف له بخلاف الفتح فى الثانية والطريقتان معاً على صواب لكن طريقة الشكر أصوب وأخلص وهما متفقتان على الرياضة لكنها فى الأولى رياضة القلوب بتعلقها بالحق سبحانه و إلزامها العكوف على بابه واللجأ اليه فى الحركات والسكنات والدوام على ذلك و إن كان الظاهر غير متلبس بكبير عبادة ولذلك كان صاحبها يصوم و يفطر و يقوم و ينام و يقارب النساء و يأتى بسائر وظائف الشرع التى تضاد رياضة الأبدان انتهى قلت وقد كان شيخنا أبو العباس سيدى أحمد بن محمد التجانى رضى الله عنه يقول الشكر باب الله وهو أقرب الأبواب اليه ولذا قعد الشيطان عليه قال تعالى حكاية عنه «لأقعدن لهم صراطك المستقيم» ومن لم يدخل من باب الشكر فى هذا الزمان لم يدخل لأن النفوس قد غلظت فلا تنزجر بمحاسبة ولا مناقشة ولا تتأثر برياضة فاذا استغرقها الفرح بالمنعم غابت عن ذلك كله وطوت مسافتها انتهى * التنبيه الثالث قال الساحلى فى بغية السالك فان لم تجد شيخا كاملا فالعمل فى خلاص نفسك يكون بالاعتصام بالكتاب والسنة وهدى السلف الصالح والاجتهاد بالمجاهدة على حصول الاخلاص والتزام الصمت والانفراد عن الناس واستخارة الله تعالى فى جميع الأمور واتهام النفس فى جميع إشارتها ومعاملتها بالمخالفة فيما يجهل أصله ومشاورة ذوى العقول المائلين الى الاعتدال

والوصية لى بما ينفعنى الله تعالى به على العادة فى ذلك ومن جملة من أتيته من المشايخ بذلك القصد السيد المذكور آنفا فكان من وصيته لى إلى أن قال لى إذا كنت فى شدة وضيق فاستغث بهذا الرجل يعنى الشيخ رضى الله عنه وأكد على فى ذلك قال فسافرت إلى بلدى ثم سافرت من بلدى بعد ذلك قاصداً حج بيت الله الحرام فركبت البحر فكان من قدر الله تعالى ان تكسرت بنا السفينة التى كنا بها قال فبقيت أنا ونحو من السبعة يحملنا بعض ألواح السفينة حتى ارتفعت لنا جزيرة بوسط البحر فتحاملنا اليها وجلسنا ننتظر الموت لا يكلم أحدمنا أحداً فبينا أنا أفكر إذ ألقى الله تعالى ببالى مدينة فاس والفقهاء الذين كنت أقرأ عليهم فوقعت الوصية ببالى فاستغثت بالشيخ رضى الله عنه وأنا فى تلك الحال فأخذنى شبه سنة وإذا بالشيخ رضى الله عنه وقف أمامى وقال لى قل ياعليما بالألطاف نجنا مما نخاف قال فانتبهت وأنا أقولها فلم نلبث إلا قليلا وإذا بسفينة ظهرت لنا فظهرت أشخاصنا لرئيسها فقصدا الجزيرة وحملنا وسار بنا حتى أنزلنا حيث الأمن من البر قال فأرخت ذلك اليوم ولما رجعت الى فاس سألت عن الشيخ رضى الله عنه فقيل لى مات فسألت عن تاريخ وفاته رضى الله عنه فألفيت اليوم الذى وقع لنا فيه ماوقع وشاهدت فيه تلك الكرامة العظيمة هو اليوم السابع من يوم وفاته رضى الله عنه (وأما) عزله الولاة الجائرين بتوجه همته العالية فى ذلك فقد تواتر منه قضايا متعددة (منها) ان بعض ولاة فاس وكان من المتمردين العتاه كان حين سمع بما يؤثر عن الشيخ رضى الله عنه من المناقب ومايتحدث به عنه من بلوغه أسنى المراتب كأنه استغرب أن يكون مثل ذلك فى هذا الزمان فحمله ذلك على أن أتى الشيخ رضى الله عنه مظهراً أنه أتاه متبركا زائراً وهو إنما أتى مختبراً فلما رجع لمحله وجلس مع من يعظمه ويشايعه تناول دار الشيخ رضى الله عنه بشىء من الذم من حيث أنه لم يربها مايؤذن بالرفاهية لتباعد الشيخ رضى الله عنه عما يشير الى ذلك الى الغاية فبلغ ذلك الشيخ رضى الله عنه فقال أمادارنا فهى دار الخير وأما داره فها أنا أزاها قفراء خالية فعزل ذلك الولى عن قريب وسلب ونكب وخلت داره وانمحقت آثاره ولم يبق له ذكر والعياذ بالله تعالى (ومن) ذلك أيضا أن واليا آخر اتفق أن رفعت اليه شكاية ببعض مما ليك الشيخ رضى الله عنه فقبض عليه ولما كلم فيه تجاهل وقال إنى لا أعرف سيدى فلانا يعنى الشيخ رضى الله عنه فلما سمعها رضى الله عنه قال اليوم يعرفنى فاتفق أن أتاه الخبر فى ذلك اليوم أن بعض قبائل البربر أتوا ليغزوا قبيلته وقصدهم نهب داره التى هى بالبادية بوسط قبيلته فخرج من الغد فوجد الغزو على وجهه فلما التقى الجمعان أصيب برصاصة خرجت معها روحه فسقط عن فرسه ميتا وانهزم من معه ونهبت داره وبقيت جثته بلا دفن نحو الأربعة أيام حتى أمن على أقاربه أعداؤهم فحملوه على شرحال وكان بعض أقاربه فيمن حملها وله محبة فى جانب الشيخ رضى الله عنه يخاطب تلك الجثة ويقول هل عرفته أم لم تعرفه يكررها وقريبه هذا هو أحد من حدثنى بهذه الكرامة وحديثه أوعب بما سمعته فيها لحضوره الامر من أوله إلى آخره وولى مكان هذا الوالى رجل كان واليا للسلطان فى أول أمره ببعض البلاد ثم عزل وصارت حالته من الكسوف إلى أحط المراتب فصار بعد الولاية بوابا لبعض أقارب السلطان فاتفق له قرب موت الوالى المذكور أن اجتاز به بعض الخاصة من أصحاب سيدنا الشيخ رضى الله عنه فقام اليه وتعلق به وقال له ياسيدى أما تنظر ماصار اليه حالى أما تستعطف لى هذا الشيخ لعل الله تعالى أن يجبر كسرى فأمره ذلك الخاص أن يوافقه إلى دار سيدنا الشيخ رضى الله عنه

فوافقه حتى وصل إلى الشيخ رضى الله عنه فدخل معه واستعطف له قلبه فأقبل عليه ودعا له فبعد ذلك بأيام يسيرة ورد على السلطان خبر موت الوالى المتقدم فأوقعه الله تعالى ببلده فدعا به من حينه وولاه مكانه وحسنت سيرته ولم تزل حالته مرضية إلى أن توفى رحمة الله تعالى عليه والخاص المذكور هو الذى حدثنى بهذه الكرامة مراراً وتولية هذا الثانى ببركة دعوى سيدنا رضى الله عنه شاهدة لما أشار إليه الناظم فى قوله وكم له من نصر وال لم يكن إلى آخر البيت السابق والله تعالى أعلم وأما ما تضمنته الأبيات الأربعة الباقية فكله من الشائع المعلوم الذى لا تحتاج قضاياه إلى تفصيل لشهرتها بين الخصوص والعموم وفى هذا القدر مما قصدنا ذكره فى هذا المحل كفاية ولعلنا نتعرض لغير هذا من الكرامات فى غير هذا الموضع إن شاء الله تعالى والله المستعان وعليه التكلان ثم قال رحمه الله تعالى ورضى عنه

﴿ ولم يواجهه بمكروه أحد * من الخلائق على طول الأبد ﴾

﴿ وكان محفوظا من الأعداء * جميعها من غير ما مراء ﴾

(الأبد) الدهر ويقال الدهر الطويل الذى ليس بمحدود والمراد هنا إلى آخر العمر (والمراء) الجدال يقال ماريته إذا جادلته ويقال أيضا ماريته طعنت فى قوله تزييفا للقول وتصغيرا للقائل ولا يكون المراء إلا اعتراضا بخلاف الجدال (يقول) ومن كرامات هذا الشيخ الجليل على مولاه أنه لم يواجهه طول عمره بمكروه أحد من خلق الله ومن كراماته أيضا التى لا مراء فيها ولا جدال أنه كان محفوظا من أن تصل إليه أيدى أعدائه بسوء من فضل الرب المتعال (وأشار) بالبيت الأول إلى ما بلغنا عن سيدنا الشيخ رضى الله عنه من أنه كان يقول فى معرض ذكر ما من الله تعالى به عليه بسابق فضله من فضل الله تعالى على لم يواجهنى أحد بما أكرهه من قوله (وأشار) بالبيت الثانى إلى ما بلغنا عنه أيضا رضى الله عنه من أنه كان يقول سمعت من الحضرة انه لا تصل إلى يد أحد بسوء اه (ومثل) هذا من قول الكل سمعت من الحضرة أو قيل لى شائع معروف ووجهه ظاهر عند كل من هو بالانصاف والتصديق موصوف ولا عبرة بمن عداه من كل جاهل أو معاند متحامل وقد تقدم كلام الشيخ زروق رضى الله عنه فى هذا فراجعه إن شئت (ومن) جمله ما اتفق لسيدنا الشيخ رضى الله عنه مما هو مصداق هذا الذى ذكر ما حدثنا به غير واحد من فضلاء أصحابه رضى الله عنه من أهل فاس وغيرهم ان بعض حكام فاس ومن شايعه فى فعله ألزموا الشيخ رضى الله عنه فى كلمة قالها ما ليس بلازم وكتبوا شهادتهم بمقتضى إلزامهم ولم يقصروا فى التشنيع والتهويل وبعثوا برسم الشهادة إلى حضرة السلطان مولانا سليمان قدس الله ضريحه وكان إذ ذاك برباط الفتح فاشتد ذلك على أصحابه رضى الله عنه فلما رأى ذلك منهم سكن روعهم بأن قال لهم فى شأن ذلك الرسم بعد ما يقرؤه يعنى السلطان يطرحه ولا يتكلم فيه فكان الأمر كما ذكر رضى الله عنه (واعلم) ان هذه الكرامات الحسية عند القوم اما ان تظهر للولى فى نفسه والمراد بها تعريفه بقدرة الله تعالى وفرديته وأحديته ولهذا قد يجدها أهل البدايات فى بدايتهم دون أهل النهايات فى نهايتهم لاستغنائهم عنها بما هم عليه من الرسوخ فى مقامات اليقين وإما أن تظهر فيه لغيره فالمراد بها تعريف من شاهدها بصحة طريق من ظهرت عليه (ومن) هذا القبيل غالب ما يؤثر عن سيدنا الشيخ رضى الله عنه منها وإلا فالمقرر من حاله رضى الله عنه وهو عدم الاحتفال بها والاكتراث بذكرها كما هو مشهور معروف ومن هنا لم يحتفل أحد بتدوينها من أصحابه رضى الله عنه ومن تصدى لشىء من

انتهى والله ولى التوفيق وهو الهادى إلى سبيل التحقيق

## ﴿ الباب السابع فى حقيقة الورد التجانى وما يشتمل عليه من الشروط والمعانى ﴾

﴿ مقدمة ﴾ وهى دائرة على سبعة أقطاب كالازهار صات لهذا الباب ﴿ القطب الأول ﴾ قال فى جنة المريد الخلافة إرث النبوة لا تنقطع مادام حبل الاسلام ممتداً والقائم بها موجوداً بنسبة التوارث خلفا عن سلف وهى نصب قائم باعباء الرسالة وآداب النبوة بشروطها وآدابها ومن ثم قصر اسم الخلافة على الخلفاء الأربعة رضى الله تعالى عنهم فلما انقضت مدتهم تعدد الوارث بتعدد الموروث فورث الولاة الحرب والفقهاء الأقضية والأحكام والمتصوفة الكرامة والحال والسمت والمقام والعلوم اللدنية والفتح والالهام فانقسمت بحسب الواقع إلى ظاهرة وباطنة فالظاهرة للفقهاء والامراء والباطنة للعلماء العاملين والاولياء فللامراء بيعة وشروط مسطورة فى كتب الفقه وللاولياء عهود وربوط فعهود الاولياء وربوطهم مبنية على البيعة النبوية وهى ما أخرجه البخارى عن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئاً إلى آخر الحديث ثم البيعة من البيع بدليل قوله بايعونى ولم يقل عاهدونى ومن ثم احتيج إلى تقدير المبيع والثمن فأما المبيع فهو ترك ما للنفس من اختيار وتفويض الأمر لصاحب البيعة بحكم الايثار فيما بايعه به بحسب ما أمر الله تعالى به

وهو ضرب من الرق بملك السيد رقبة العبد فلم يبق للعبد اختيار ولا تصرف لأن من ملك الرقبة فقد ملك جميع المنافع فأشبه العبد فى انقياده دون استرقاق الرقبة وبقى المال لمالكه لا لصاحب البيعة ليس كما هو مال العبد لسيده لأنه لم يشبه العبودية إلا فيما ذكرناه لاغير وأما الثمن فهو الجنة بشرط التوفية فيها لقوله ﷺ فى بيعة العقبة إذ سأله الصحابة عما لهم فقال الجنة فقالوا رضينا لا ننقض البيع وكل بيعة بعد هذه البيعة انما هى تجديد وتأكيد وبيعة النبى صلى الله عليه وسلم بيعة لله تعالى لقوله تعالى «إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله» وبيعتهم لله تعالى وفاء وتأكيد لبيعة ألست بربكم وفائدتها فى الظاهرة جمع كلمة المسلمين لأنه إذا دار الأمر على واحد كان أجمع وأعظم للفائدة وأنكأ للعدو وأكثر اقامة لأحكام الله تعالى وحدوده ولهذا قال عليه السلام ان الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن وأمر بحفظ البيعة وان كان المبايع أسود ذا زبيبتين وأما فى الباطنة ففائدتها التمكن من الاجتماع المحصل لثلاثة أمور هى عمدة هذه الطريقة التعاون على البر والتقوى واشادة منازل الدين برسم الاجتماع على سائس خلفا من رسولهم الداعى الى الله تعالى باذنه مع استشعار قوله صلى الله عليه وسلم ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب فعم فى الشاهد والغائب فكان من شهد مجلسه ذلك شاهدا مطالبا بالتبليغ ومن كان عن ذلك المجلس غائبا مطالبا بقبول المبلغ اليه والاذعان ثم هذا المبلغ الغائب شاهد بالنسبة لمن لم يحصل له لقى الصحابى الشاهد بعد

ذلك نهاه وزجره وأمره بتمزيق ما جمع منه أو تحريقه ولما كان من جملة الكرامات الحسية الدالة على على ما للمشايخ من كمال الخصوصية ظهور صورة الفتح على أيديهم فى اتباعهم أشار الناظم إلى ذلك فذكر بعض من ظهر عليه ممن كان من أصحاب الشيخ رضى الله عنه يعرف بالولاية ويشار بذلك اليه فقال

﴿ وكم مريد نال فوق منيته * من الولاية لاجل صحبته ﴾
﴿ كحب طه المصطفى ابن العربى * من نال من مولاه أعلى الرتب ﴾
﴿ وكخديمه الرضى على * حرازم ذى المنصب العلى ﴾
﴿ وكالفقيه العالم ابن المشرى * صاحب شيخنا رفيع الذكر ﴾
﴿ والتونسى سيدى محمود * صفى شيخنا كثير الجود ﴾
﴿ والعلوى الوارث الربانى * سيدنا الحافظ ذى العرفان ﴾
﴿ وكالشريف ذى المزايا الغالى * والسيد المفضل المفضال ﴾
﴿ وغوث عصرنا التماسنى * قطب الورى سيدنا على ﴾
﴿ والغير ممن أدرك الولايه * من صحبه وفاز بالعنايه ﴾

معانى مفردات الأبيات التسعة واضحة وسببها أيضا ظاهر (وذكر) فيها رحمه الله تعالى ثمانية رجال من أصحاب سيدنا الشيخ رضى الله عنه كلهم من أهل الولاية الكبرى والخصوصية العظمى (فأما) ابن العربى بفتح الراء فالمراد به العارف بالله تعالى خزانة الأسرار ومظهر الأنوار الواسطة المعظم أبو عبدالله سيدى محمد بن العربى الدمراوى التازى رضى الله عنه وقد تقدم لنا عند قول الناظم رحمه الله تعالى كذاك سافر إلى ابن العربى الخ البيتين أن الشيخ رضى الله عنه كان له مزيد اعتناء به وأنه كان يزوره فى حياته وبعد مماته لأن النبى صلى الله عليه وسلم أوصاه به وتوفى بشهيرات قبل أن يرتحل سيدنا رضى الله عنه إلى فاس وذلك سنة أربع ومائتين وألف وقبره بعين ماض مشهور يقصد للزيارة والتبرك وله مناقب عديدة ويكفى أن النبى صلى الله عليه وسلم صرح له بأنه يحبه ولذلك وصفه الناظم بذلك فى قوله كحب طه المصطفى صلى الله عليه وسلم وأنه كان يتوسط بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين الشيخ رضى الله عنه وذلك باذن منه صلى الله عليه وسلم للشيخ رضى الله عنه (وأما) سيدى على حرازم فالمراد به خليفة الشيخ رضى الله عنه فى حياته حسبما صرح بذلك رضى الله عنه عن اذن الحضرة المحمدية صلوات الله وسلامه عليه وهو العارف بالله تعالى أبو الحسن سيدى على حرازم بن العربى برادة الفاسى رضى الله عنه (وقد) تقدم لقيه بالشيخ بوجدة وما خاطبه به أول ملاقاته معه مما يدل على كمال خصوصيته وعناية الله به وهو مؤلف جواهر المعانى مع كونه لا يد له فى العلوم الرسمية (وله) مناقب كثيرة (منها) أن الشيخ رضى الله عنه أخبر بأن النبى صلى الله عليه وسلم يحبه محبة خاصة تفوق محبة الأولاد (ومنها) أنه رضى الله عنه قال فيه كل ما قاله فأنا قلته (ومنها) وهى من أعظمها أن الشيخ رضى الله عنه قال لا يصل إلى أحد منى بشىء إلا على يد سيدى الحاج على حرازم (ورأيت) بعض أهل البصائر بل كافة الأصحاب المعتبرين فى أذواق أسرار الطريق يعتقدون أن ذلك فى حياته وبعد مماته وكان بعض أهل الفتح من أصحاب الشيخ رضى الله عنه ربما أشار إلى نفسه بهذه الخصوصية ويذكر ما يفهم منه أنه أقيم مقام سيدى الحاج على فى ذلك بعد مماته ويمكن التوفيق بأن المداد الجارى من حضرة الشيخ رضى الله عنه عموما وخصوصا لا يتلقى إلا بواسطة سيدى على حرازم غيبا وأن السيد المذكور ناب منابه فى عالم الشهادة والحس

بعد وفاته وعليه فلا مانع من أن يخلف هذا السيد غيره أيضا فافهم والله أعلم وبهذا يحصل الاعتقاد الكامل فيهما معا وينتفع بملاحظة وساطة الأول غيبا والثانى أو غيره ممن عسى أن يقام ذلك المقام مشهداً وفضل الله واسع والله أعلم والاخبار المتعلقة بهذا السيد الجليل لايمكن استيفاؤها هنا (ومما) حدثنى به بعض العلماء الأفاضل أن امرأة من أرباب الصرف كانت بمكناسة الزيتون وكانت ولايتها وتصرفها بين الخاص والعام مما لايرتاب فيه فاتفق أن قدم سيدى على حرازم رضى الله عنه مكناسة فسأل عنها وعن المحل الذى تكون فيه فرافقه بعض الخاصة إلى محلها فلما قربوا منها قامت من محلها وجعلت تستغيث بالشرع منه وتسميه بولد لآل فلانة يعنى سيدتى فلانة وكان الحاضرون معه لايعرفون اسم أمه فسألوه أهى التى تعنى فقال نعم ثم انصرف عنها وخلى سبيلها رحمه الله تعالى ورضى عنه ونفعنا ببركاته آمين (وأما) الفقيه العالم سيدى محمد بن المشرى فهو صاحب سيدنا وخازن أسراره وقد تقدم بعض التعريف به وشهرته كافية وهو الذى ألف نصرة الشرفاء فى الرد على أهل الجفاء وغيره حسبما تقدمت الاشارة اليه وكان قوى الحال فى المحبة ومما يؤثر عنه فى ذلك أنه مرّ وهو راكب على فرس أنثى بضريح بعض أهل التصرف بالصحراء وهو من أجداده رحمه الله تعالى فساخت بعض قوائم فرسه فالتفت إلى ذلك الضريح وقال له والله حتى تسرح فرسى أوأشكوك إلى الشيخ يتصرف فيك فسرحت الفرس كان لم يكن بها شىء وهذا من غريب أوصاف المحبة توفى رضى الله عنه بالصحراء سنة أربع وعشرين ومائتين وألف (وأما) العارف بالله تعالى سيدى محمود التونسى فهو من خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه ومن المشهورين بالولاية والفتح الأكبر (وسمعت) بعض الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله يقول إنه أحد من ورث بعض أسرار الشيخ رضى الله عنه وانه نزل به عند وفاة الشيخ ضى الله عنه حال عظيم أثر فى ذاته حرارة خارقة للعادة كانوا يرون أن ذلك من أثر ما تحمله من الأسرار وبقى على تلك الحالة إلى أن لحق بالشيخ رضى الله عنه بنحو شهر وثمانية عشر يوما (وكان) ممن شهد له الشيخ رضى الله عنه بالأمانة وذلك فى قضية قال فيها رضى الله عنه كل من تصرف لى فى شىء من المال ظهرت عليه خيانة أو ريبة إلا سيدى محمود وكان ذلك من الشيخ رضى الله عنه فى معرض تحذير المريد من خيانة شيخه ومعلوم أنه من أعظم ذنوب المريدين مع أشياخهم عند أهل الطريق (وحدثنى) الثقة أن سيدى محمود رضى الله عنه وهو بفاس فى جمع ماله الذى بالصحراء فكان يأتيه فى كل مرة بمال له بال مما يجمعه من أثمان صوف وسمن وأكباش وتمر وغير ذلك وهذا القدر من المال تستغرب السلامة من الوقوع فى شىء منه فى هذا الزمان ومع ذلك شهد له الشيخ رضى الله عنه بما شهد من الأمانة ومناقبه كثيرة وكانت وفاته حسبما رأيته بخط الفقيه العالم سيدى التهامى بن محمد السقاطى الفاسى نصف ليلة الثلاثاء الخامس من ذى الحجة متمم سنة ثلاثين ومائتين وألف اهـ وهو موافق لما قدمت أنى كنت أسمعه من الخاص المتقدم الذكر من أنه لم يعش بعد سيدنا رضى الله عنه الا نحو شهر وثمانية عشر يوما ودفن بمقبرة باب الفتوح أحد أبواب فاس وهى معروفة وقبره معروف يتبرك به ودفن بأزائه ضجيعا له الشريف الأجل البركة المبجل مقدم سيدنا الشيخ رضى الله عنه سيدى عبد الواحد أبو غالب بايصاء منه على ذلك ويذكر الأصحاب أنهما كانا تواعدا ذلك وتعاهدا عليه ودفن اليهما السيد الجليل الناسك ولى الله تعالى سيدى الحاج عبد الوهاب بن التاودى عرف بابن الأحمر الفاسى رحمهم

فى ذلك إلى أقسام منهم من يأخذ البيعة على الرسم المتعارف من المصافحة وتقبيل اليد والتزام العهود وتقرير الشروط وهم القادرية والشاذلية ومنهم من تعقد له البيعة بلفظ الولاية وتمليك النفس والمال مع التأكيد بمؤكدات تعينها مشايخ الطريقة ثم البيعة واجبة لله ولرسوله ولمن ولاه الله تعالى ذلك بمقتضى لسان العلم ثم المقصود الأهم بالاصالة بيعة رب العزة جل جلاله وبيعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى حكم النيابة عنها بشهادة «إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله» ثم كذلك كل بيعة لاحقة هى واسطة للبيعة التى قبلها إلى البيعة الالهية وانما احتيج إلى الواسطة لكثافة الحجاب بالبشريات المانعة من ترك العهد والبيعة المأخوذة على الأرواح يوم ألست بربكم فلطف بنا جل وعز بالتذكير ببيعة النبى صلى الله عليه وسلم ثم احتيج إلى تجديد البيعة النبوية كلما تجدد عصر ووفاة قائم بتأديبها بنحو ما أرشد اليه الشارع وخلفاؤه القائمون بعده فعلى المبايع بالكسر أن يشهد المبايع بالفتح نائبا عن نبيه الكريم وهو نائب عن ربه الرؤف الرحيم وعلى المبايع بالفتح تقوى الله تعالى فيما كلفه وتوفية كل ذى حق حقه مع بذل المجهود فى أداء النصيحة لمن استخلفه الله تعالى عليه كما هو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وسيرة خلفائه ثم ان معاملة كل أحد للخليفة والنائب هى معاملة للمستخلف والمنيب كما أن المعاملة معه صلى الله عليه وسلم هى نفس المعاملة مع رب العزة بشهادة قوله تعالى «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى

زور إذلو أحببتم المتوسط اليه لأحببتم الواسطة ولو اتبعتم ماجئت به اليكم لصدق حبكم لله فأحبكم الله وغفر ذنوبكم ثم لاخفاء أن من خرج عن بيعة مقدم الخليفة أو الشيخ فهو خارج عن بيعته إذ لافرق بين الخروج عنه فى حضوره وغيبته ثم لاحجر على المشايخ فى التقديم والنيابة فمن قدموه وجب على اتباعهم احترامه واتباعه وهم فى ذلك مقتدون بالصحابة رضوان الله تعالى عليهم بل كانوا قلبا على طاعة أبى بكر وتعظيمه ثم كذلك فى عمر ثم فى عثمان رضي الله تعالى عنهم وقد كان المشايخ رضي الله تعالى عنهم يقدمون على من بعد عنهم فى أطراف البلاد من أتباعهم من يختارونه لارشادهم وحفظ أحوالهم وضبط قوانين آدابهم ومعاملاتهم لتعزر مراجعتهم للشيخ فى غالب الأوقات فيتأدبون مع المقدم بآداب الشيخ ويطيعونه طاعته ويحترمونه احترامه ثم النفع بصحبة الرسول صلى الله عليه وسلم مقصور على شهود وساطته إلى الله عز وجل وكون اتباعه وسيلة إلى معرفته عز وجل ومحبته والقرب منه ثم كذلك فى الخلفاء من بعده إلى هلم جرا فمن لم يحصل له هذا الشهود فلا نصيب له فى الانتفاع وأما شروط البيعة على مصطلح القوم فطريقنا انعقادها فى عموم الطلبة بمجرد أخذ الأوراد مع التغلغل فى مطلق التعلق والانتساب وأرفع من ذلك من يأخذها بالتلقين مع المصافحة والاصل فى ذلك ماروى الامام أحمد فى مسنده والطبرانى والنسائى

الله تعالى ورضى عنهم أجمعين (وأما) قوله العلوى فالمراد به الشيخ الامام العالم العلامة الهمام أحد ورثة أسرار الشيخ رضى الله عنه بلا ريب سيدى محمد الحافظ العلوى الشنجيطى قدس الله تراه ويأتى فى نسبه ماتقدم فى نسب الناظم رحمه الله تعالى فهو من قرابته وهذا السيد هو الذى انتشرت على يده هذه الطريقة الأحمدية بالمغرب الأقصى وله مآثر لايمكن فيها الحصر والاستقصاء (وقد) تجاذبت أطراف الحديث فى أخباره مع الناظم رحمه الله ذات يوم فطلبت منه أن يضع له ترجمة يجمع فيها مايحفظه من أخباره فأعظم ذلك بماظهر على وجهه أثره وقال لى أمثلى يترجم للشيخ محمد الحافظ وجعل يكررها مرارا فقلت له إنى لم أرد الاحاطة بما يتعلق بمقامه وأحواله وإنما أردت شيئا يسيرا من خبره فى الجملة أتعلق به فقال لى إن كان ذلك فاكتب عنى ماأمليه عليك فذكر لى ماحاصله وملخصه أن الشيخ الحافظ هذا رضى الله عنه لما حصل من العلوم الرسمية ماحصل وصار إماما يرجع اليه فيها عزم على الحج لبيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام وجعل من أهم مقاصده التى يطلبها فى رحلته تلك ملاقاة شيخ كامل من أهل الله تعالى فاتفق ان رافقه فى الركب الذى توجه فيه رجل من أهل سجلماسة لأنه توجه فى الركب السجلماسى فلما حصلت بينهما الالفة أفضى كل منهما لصاحبه بسره وكان مطلب الرجل السجلماسى كمطلب الشيخ الحافظ فتعاهدا على أن يخبر من عثر على المراد فى ذلك صاحبه فلما وصلا مكة جعل الشيخ الحافظ رحمه الله تعالى لايألو جهدا فى طلب ذلك من الله تعالى فى جميع أماكن الاجابة فبينا هو ذات يوم فى الطواف إذ لقيه رجل فأسر اليه شيخك هو فلان وذكر له اسم الشيخ رضى الله عنه ولم يكن طرق سمعه قبل فأتى صاحبه وأخبره ثم جعل يسألان عن الاسم الذى ذكرلهما حتى انتهيا إلى أهل الغرب فقال لهم بعض الناس انظروا أهل فاس فاتيا جماعة من سوقة أهل فاس فسألاهم فقال لهم بعضهم هناك عندنا بفاس رجل ففيه يعمن كذا وكذا ووصفه بالحكمة وعلم الكيماء وكأنه يريد بذلك تنقيصه وتابعه على ذلك جماعة إلا واحداً منهم قال لهما انظرا تلك الجماعة فانهم مظنة لتحقيق خبره أكثر منافاتيا تلك الجماعة فألفتا عليهم سيما الخير فسألاهم فأثنوا خيراً وعظموا الجانب وذكروا العلم والولاية ونحو ذلك وقالوا لهما إن ههنا رجلا هو أخص الخاصة من أصحابه يعنون سيدى على حرازم رضى الله عنه فتتبعوا لهما محله فأتياه فأخبرهما خبره فأخذ بمجامع قلب الشيخ الحافظ فعزم على التوجه لفاس بعد قضاء حجه وزيارته فدعا لذلك رفيقه فلم يستطع مفارقة الركب السجلماسى حيث لم يقسم له من الله تعالى شىء عند الشيخ رضى الله عنه

حكم نسجت بيد حكمت * ثم انتسجت بالمنتسج

ثم بعد قضاء حجه وزيارته توجه إلى فاس فأقام عند الشيخ رضى الله عنه فى زاويته المعروفة به مدة وحين أزمع السفر إلى بلده أجاز له الشيخ رضى الله عنه فى طريقه بالاجازة المطلقة ولم يقيد له بشىء إلا فى التقديم فقط فلا يزيد فيه على عشرة (وهذا) القيد خاص بهذا السند الحافظى كما خص السند العالى بالتقييد بأربعة فى مرتبتين فقط على ماتلقيناه عن بعض الخاصة ممن هو أحد أربعة المرتبة الثانية وأهل مكة أدرى بشعابها وعند مودعته للشيخ رضى الله عنه قال له أوصنى فكانت وصية الشيخ رضى الله عنه له أن قال له لاتظهر بنفسك حتى يكون الله تعالى هو الذى يظهرك فتوجه لبلده واقام بها مدة يدرس العلم للطلبة ولايدعو أحداً إلى طريق ولا غير ذلك عملا على وصية الشيخ رضى الله عنه فاتفق أن رجلا ممن كان يشار اليه بالصلاح وملاقاة

الخضر عليه السلام أتاه ذات يوم بعد أن صلى العصر بتلامذته وجلس إليهم يذاكرهم فلما دنا الرجل من المجلس قيل له هذا فلان فقال سبحان الله ثم قام إليه ورحب به وأجلسه إلى جنبه فامتنع الرجل أن يجلس إلا بين يديه ثم قال له أتدرى لماذا أتيتك قال لا قال أتيتك باذن لتعطينى الأمانة التى أتيت بها من التل فقال له ياسيدى وأى شىء أتيت به من التل انما أتيت ببعض الكتب فان كان لك غرض فى بعضها جئتك به وهو لك فقال له الرجل دعنى ياسيدى من هذا وانما أتيتك لتعطينى ورد الشيخ التجانى رضى الله عنه الذى أتيت بالاذن فيه فعند ذلك أنعم له وأذن له فى الورد فقام جميع من حضر ذلك المجلس ورغب إليه فى تلقينه إياه وسار كل واحد منهم إلى أهله وعشيرته فقص عليهم خبر السيد المذكور فلم يبت بيت فى تلك الليلة من البيوت القريبة من منزل الشيخ الحافظ إلا وبات فيه ذكر الشيخ رضى الله عنه ومن الغد أتاه الناس أفواجا للأخذ عنه ثم تواصل ذلك وتراسل فانتشرت الطريق على يده أى انتشار وتخرج على يده مالا يكاد يحصى من الرجال فى هاتيك الأقطار ولو لم يكن إلا العلم الأشهر الذى تضرب بولايته فى ذلك الصقع الامثال الولى الصالح الناسك الفاضل سيدى مولود قال لكان كافيا فى هذا المجال ولو لم يتخرج على يد سيدى مولود المذكور من سراة الاخيار إلا الجهبذ الكبير الحبر الشهير سيدى بانم المعروف بولد حم ختار لكان أيضا كافيا فى هذا المضمار والشيخ بانم هذا كان فى أول أمره أخذ الورد الكنتى وتقيد بالطريقة الكنتية ثم بدا له الانتقال الى الطريقة التيجانية فتخلى عن الأولى وأخذها فذكر أنه بعد ما أخذها رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام والشيخ رضى الله عنه هو الشيخ سيدى المختار الكنتى جالسان بين يديه صلى الله عليه وسلم قال فجعل الشيخ سيدى المختار يعاتبنى على ترك ورده وانتقالى إلى ورد الشيخ وطريقته وأنا أنظر الى الشيخ عساه أن يجيبه عنى فاذا هو رضى الله عنه مطرق رأسه غاض بصره بين يديه صلى الله عليه وسلم متأدب غاية الادب لا يلتفت ولا يطرف فلما أكثر على العتب الشيخ سيدى المختار التفت إليه النبى صلى الله عليه وسلم وقال له « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » فانقطع وسكت عنى حينئذ اه وهذا الشيخ الرائى رضى الله عنه من مشاهير أهل العلم والصلاح وحدثنا بهذه الرؤيا عنه أمثاله العدول الثقات وفيها اعتبار ما بين مقامى الشيخين بين حاليهما بين يدى سيد الكونين صلى الله عليه وسلم (وممن) تخرج على يد الشيخ بانم المذكور الشيخ سيدى محمد بن الصغير مؤلف الجيش وناهيك به رحمه الله تعالى ورضى عنه (ممن) تخرج على يد سيدى محمد بن الصغير أخوه العالم الكبير العارف بالله تعالى سيدى عبيدة مؤلف كتاب ميزاب الرحمة الربانية وغيره وهو الذى أذن لنا وأجاز بهذا السند وكتب لنا بخط يده رحمه الله تعالى ورضى عنه وممن تخرج على يد الشيخ الحافظ رضى الله عنه أيضا ابن عمه وحموه العلامة القدوة سيدى محمد بن سيدى عبد الله بن الفغ الفقى سيدى أحمد وهو المدعو بالخليفة وعنه أخذ الناظم حسبما تقدم (وممن) تخرج على يد الشيخ الحافظ أيضا زوجه فاطمة أخت الخليفة المذكور وقد كانت من الصالحات وتؤثر عنها كرامات كثيرة لا يسعنا الآن تقييد شىء منها (وأما) الشريف الأجل العارف بالله تعالى سيدى محمد الغالى ابن سيدى محمد أبى طالب الحسنى رضى الله عنه فهو أحد أركان طريقتنا وممن انتشرت على أيديهم بالمغرب والمشرق وعنها انتقلت إلى السوادين (وقد) كان سيدنا الشيخ رضى الله عنه أجاز له فى الطريق وأمره أن يقدم أربعة وكل واحد من أولئك الأربعة يأمره بتقديم أربعة ليس إلا وهذا كان له قيد حياة الشيخ رضى الله عنه وبعد وفاته

صلى الله عليه وسلم فقال هل فيكم غريب يعنى من أهل الكتاب قلنا لا يارسول الله فأمر بغلق الباب وقال ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله فرفعنا أيدينا ساعة ثم قال الحمد لله اللهم انك بعثتنى بهذه الكلمة وأمرتنى بها ووعدتنى عليها الجنة وانك لا تخلف الميعاد ثم قال أبشروا فان الله قد غفر لكم انتهى باختصار واقتصار على المراد و بتمهيد هذا يتجه لنا الكلام على بقية الأقطاب إذ هى كالفصول تندرج تحته وهو كالباب ﴿القطب الثانى فى حقيقة الأوراد﴾ أما حقيقتها فهى كما قال فى الكوكب الوقاد عقود وعهود أخذها الله تعالى على عباده بواسطة المشايخ فمن بجل المشايخ وحافظ على العقود و وفى بالعهود كان له خير الدارين ومن تهاون بالمشايخ وفرط فى العقود والعهود كان ذلك سببا لزيغه وخرق سفينته قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون . رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » قال وهذه الآيات الثلاث هى أصول الاوراد من لدن زمان النبى صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا انتهى ﴿القطب الثالث فى أخذ الاوراد وأحكامها﴾ أما أصل أخذها فالبيعة الاسلامية كما فى حديث عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه قال تعالى « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله » وقال عليه الصلاة والسلام

أيضا قبل أن ينتقل إلى الحرمين الشريفين وأما بعد حلوله بالحرمين الشريفين فالذى يظهر من عمله الاطلاق ولا شك أنه حصل له الاذن فيه إما من بعض من لقيه فى البلاد المشرقية من المقدمين وإما من غيرهم بطريق الاستفاضة من روحانيات الأنبياء عليهم السلام وورثتهم كما هو معلوم وليس من نسب مثل هذه المزية لهذا الفاضل بمؤنب ولا ملوم (وقد) كان له فى الجد والاجتهاد فى طاعة رب العباد أحوال خارقة للعادة من ذلك ما اتفق له ذات يوم وهو أنه كان جالسا قرب باب بيته من داره بمكناسة الزيتون يذكر أوراده مستقبلا مستغرقا فى حضوره إذ سقطت بنية له من أعلى حلقة الدار فلم يلتفت لذلك ولا تغيرت جلسته ولا شىء من حالته التى كان عليها بل بقى على ما كان عليه حتى كمل أوراده وكان يرتل العبادة صلاة كانت أو غيرها ترتيلا لم نسمع بمثله عن أحد فأخبرنى الثقة أنه كان يسبح فى السجدة الواحدة خلفه نحواً من سبع وعشرين مرة وأخبرنى آخر أنه صلى العشاء أربع ركعات وذكر بعدها الورد اللازم لا غير فى نحو ساعتين من كثرة ترتيله واستغراقه فى الحضور رضى الله عنه وكان يرى النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك الشيخ رضى الله عنه بعد وفاته فيسألهما عما اشكل عليه كحال اليقظة (وأخبر) الثقات عنه أنه أخبر عن نفسه رضى الله عنه بأنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال له أنت ابن الحبيب وأخذت طريقة الحبيب (وحدثنى) بعض الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه أنه حدثه أنه رأى سيدنا الشيخ رضى الله عنه بعد وفاته وقال له ياسيدى سرت عنا أو تركتنا أو كلاما من هذا فأجابه رضى الله عنه بقوله لم أغب عنكم ولم أتركم وإنما هى نقلة من دار ترابية إلى دار نورانية (وحدثنى) بعض الخاصة من ملازميه أنه كان اتخذ خلوة يختلى فيها فى وقت مخصوص لذكر مخصوص فكان يأمره ان أخذه الحال أن يقف بباب الخلوة إلى وقت فراغه من الذكر قال فكنت إذا فرغ من الذكر دعانى فأدخل عليه فأجده كأنه كان فى حمام شديد الحر حتى إنى كلمته فى ذلك مرة فتبسم وقال لى ضع أصبعك ها هنا وأشار إلى ظاهر كفه قال فوضعت أصبعى فكأنى وضعتها على جمرة فرفعتها بسرعة وقد أثر ذلك فيها كما تؤثر الجمرة تحقيقا (ومثل) هذا لا غرابة فيه من الصادقين فيما يذكرونه بالاذن الخاص ومنهم من كان يحترق لسانه إذا ذكر اسم الجلالة ومنهم من كان يجد غير ذلك من الأثر حسبما ذكره الشيخ محيى الدين رضى الله عنه (ويذكر) عن بعض صلحاء سجلماسة القرباء العهد أنه كان يكثر من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فكان يجد لفمه وشفتيه حلاوة محسوسة وهذا لا ينكره إلا ضعيف الاعتقاد فى أسرار الولاية وآثار الأذكار والله أعلم (وأما) السيد المفضل فالظاهر أنه أراد به السيد المفضل السقاط الفاسى وكان من أفراد أصحاب الشيخ رضى الله عنه فامتحن فى قضية معروفة فظهرت منه مخالفة للشيخ رضى الله عنه فأخبر رضى الله عنه أنه رفع عنه الاذن ولما سافر إلى المشرق وآل أمره فى سفره بعد حجه إلى أن استوطن بأقتنى فلم يشعر الاخوان ذات يوم إلا وقد أخبر سيدنا الشيخ رضى الله عنه أنه جدد له الاذن وأجازله فى الطريق بالاجازة العامة والاذن المطلق وقوله وغوث عصرنا الخ أراد به العارف الكبير قطب أوانه وحامل راية التربية والترقية بهذه الطريقة الأحمدية فى زمانه أبو الحسن سيدنا الحاج على بن الحاج عيسى التماسنى نسبة إلى تماسين من أرض الجريد وشهرته كافية كان رضى الله عنه من خاصة الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه وممن شهد له الشيخ رضى الله عنه بالفتح الأكبر فى حياته حتى أنه كان إذا قدم عليه زائراً بفاس يقدمه للامامة بالزاوية مع كثرة من بها إذ ذاك من أكابر العلماء والفضلاء



هذا وجوب الأوراد ووجوب المحافظة عليها بالنص انتهى. وقال ابنه الشيخ سيدى محمد فى بعض رسائله إقامة الورد فى وقته عند إمكانه لازم لكل صادق فاذا عارضه عارض أو واجب لزم انفاذه وتعين تداركه لمثله لئلا يعتاد البطالة ولأن الليل والنهار خلفة والأوقات كلها لله ولا وجه للاختصاص الا من حيث خصوص الشارع انتهى ونحوه لزروق فى القواعد وقال فى عدة الحصن الحصين ومن كان له ورد معروف فليتداركه إذا أمكنه ليعتاد الملازمة عليه انتهى. وقال فى الكوكب الوقاد حكم أوراد السلف حكم الفرائض لأنها فرائض بالالتزام والعهود والنذر فتجب اعادتها كالفريضة انتهى وقال ابنه الشيخ سيدى محمد رحمه الله فى الطرائف والتلائد أوجبوا على المريد تدارك ما فاته من أوراده ووظائفه وعدم مسامحة نفسه فى فوات ملزوم مامع أن ما يأخذون من الأوراد المسلسلة الاسناد يأخذونه على جهة النذر والالتزام ولا قائل بعدم قضاء الالتزامات النذرية شريعة وحقيقة أما الفقيه المنصف فيقول هذا نذر يتعين قضاؤه وأما الصوفى فيقول الصوفى ابن وقته فليس له تأخير العبادة عن وقتها ووقت الفائتة ذكرها قال تعالى «وأقم الصلاة لذكرى» ولهم فى ذلك أصل راسخ وفرع شامخ هذا حديث عائشة رضى الله عنها كما لمسلم أن أبا سلمة سألها عن السجدتين اللتين يصليهما بعد العصر فقالت كان يصليهما قبل العصر فشغل

عنهما ونسيهما فصلاها بعد العصر ثم أثبتهما وكان إذا صلى صلاة أثبتها يعنى داوم عليها انتهى المراد منه باختصار فانظر تمامه إن شئت. قلت ما تقدم من وجوب القضاء إنما هو فى الأوراد المأخوذة من الأشياخ على وجه الالتزام وأما ما اتخذه الانسان ورداً لنفسه فحكمه ما أشار إليه سيدى عبد الله بن الحاج ابراهيم رضى الله تعالى عنه فى رشد الغافل وفعله لغير راء للقضا

إن فات دون قصد ذاك مرتضى

قال فى شرحه يعنى أن الذكر الذى اتخذه الانسان ورداً له أوقات معروفة وفاته فى وقته المعروف لعذر أو لغير عذر يرتضى فيطلب له فعله دون قصد أى نية القضاء لئلا تألف النفس البطالة ولئلا يكون عملها بالأمس أكثر من عملها اليوم هذا إذا كان لا يرى القول بقضاء النوافل أما إن راعى القول بقضاء النوافل فانه يطلب منه فعله ولو بنية القضاء وقضاء النوافل فيه ثلاثة أقوال فى مذهب مالك قول بالقضاء مطلقا وقول بعدم القضاء وقول بقضاء الفجر وحدها وهو الذى مشى عليه خليل رحمه الله تعالى

*القطب الرابع فيمن تؤخذ عنه الأوراد قال فى الكوكب الوقاد ولا ينبغى أن تؤخذ إلا عن كامل فى نفسه مكمل لغيره كالمشايخ المربين لأنهم يربون الناس بأنوار العلم والحكمة كما يربى الوالد ولده بأنواع الأطعمة والأشربة حتى انعقد اجماع السلف على أن حق الشيخ المربى أعظم من حق الوالد لأن الوالد تسبب فى الحياة الفانية والشيخ قد تسبب للمريد فى الحياة الباقية وهى حياة القلب والسر انتهى *القطب الخامس فيما تختص به الأوراد الموظفة فى الأجوبة الناصرية ذكر الله تعالى على

(وقد) اتفق له يوماً فى الصلاة شىء مما يخل بها فذكر ذلك للشيخ رضى الله عنه وكأن ذاكر ذلك يستفهمه هل يؤثر ذلك خللا فى صحتها فأعرض الشيخ عن جوابه على وفق ما أراد وقال ذلك رجل مفتوح عليه والصلاة خلف المفتوح عليه مقبولة وناهيك بهذا شهادة من الشيخ رضى الله عنه لهذا السيد وتنويهاً بقدره (وحدثنى) الشريف الأجل المقدم البركة المبجل خديم سيدنا رضى الله عنه سيدى الطيب بن محمد السفيانى أنه فى المدة التى ولاه سيدنا رضى الله عنه النيابة فى الانفاق على داره وقضاء حوائجه سأله الشيخ رضى الله عنه ذات يوم عن بعض امائه وكانت مريضة فقال له هل اشتريت لها الدواء قال فقلت له ياسيدى قد اشترينا لها عدة من الأدوية فلم يظهر لها أثر ولعل الأوفق لها هو الكتابة يعنى الرقية قال فقال لى رضي الله عنه ومن يكتب لها ثم قال رضى الله عنه ما رأيت من هو أهل لذلك إلا سيدى الحاج على التماسنى لو كان حاضراً قال فقلت له وأنا أريد أن يأذن لى فى ذلك ياسيدى كل من أذنت له فهو سيد الحاج على قال فلم يقبل منى ذلك وجعل رضى الله عنه يقول وأين مثل سيدى الحاج على يافلان وكررها منكراً على ما قلته حتى وددت أنى ماذكرت له ذلك وكفاه هذا من شهادة الشيخ رضى الله عنه بالخير والبركة (ومن) المتواتر عن هذا السيد صاحب الترجمة رضى الله عنه أنه كان بعد استيطان الشيخ رضى عنه مدينة فاس يأتى إلى زيارته بطريق الخطوة حتى زجره رضى الله عنه عن ذلك ونهاه عنه وقال له إن كنت تريد مواصلتى لله فلا تأتى إلا كهيئة عامة الناس بنعلين وعكازة مع رفقة تذوق جميع ما يذوقونه فى الطريق من العطش والاعياء والخوف وغير ذلك (وحدثنى) بعض الخاصة من أصحاب سيدنا الشيخ رضى الله عنه أن سيدنا الشيخ رضى الله عنه صلى العصر ذات يوم بباب داره وصلى معه جماعة نحو الثمانية من أصحابه وحين التفت من صلاته وأقبل بوجهه على من صلى معه لم يشعروا أن سقط بينهم عرجون تمر فنظر اليه الحاضرون ولم يعرفوا من أين سقط عليهم وتحيرت عقولهم فلما رأى الشيخ رضى الله عنه ذلك من حالهم قال لهم هذا فعل ذلك الرجل ووصفه بالبهلول أو نحو ذلك ثم سماه لهم وذكر انه اجتمع بالشيخ رضى الله عنه بعد ذلك فذكر له ذلك وقال له ما حملك عليه فقال ياسيدى اعذرنى فانى كنت فى ذلك الوقت فى حائط لى والخدام يجنون التمر فرأيت ذلك العرجون فاعجبنى فتمنيت أن يصل الى دارك على حالته فحملنى ذلك على أن رميت به وقلت له سر حتى تنزل بين يدى سيدى فزجره الشيخ رضى الله عنه ونهاه عن مثل ذلك وبعد وفاة الشيخ رضى الله عنه ظهرت عليه آثار الفتح الكبير وتصدى للتربية فى الطريق وظهر عليه فيضان وجدانى لا يوجد مثله إلا فى كمل المشايخ فصار الناس يأتونه من سائر الآفاق للاخذ عليه والتبرك به فأخبرنى ثقة أنه كان أتاه فى زاويته زائراً فاتفق أن اجتمع عنده فى مدة إقامته لديه نحو مائتى رجل كلهم يطلبون التقديم أى الاذن منه رضى الله عنه فى إعطاء الورد وكلهم من الآفاق البعيدة (وما) وصفته به من التربية وصفه به غير واحد من أهل البصائر (وذكر) لى بعض الأفاضل من أصحابنا أنه كان حين حج اجتمع ببعض المقدمين من قبل الشيخ رضى الله عنه فأذن له فى إعطاء الورد قال لى فلما رجعت اجتزت بسيدى الحاج على يعنى صاحب الترجمة فطلبت منه الاذن فى بعض الأذكار فقال لى وهل عندك إذن فى تلقين الأوراد لمن طلبها منك قال فلم أهتد لما هو الصواب فقلت له عندى قد أذن لى فى ذلك المقدم سيدى فلان قال فقال لى هو مرب يستفهمنى وكررها فلم أدر ما أجيبه به ولم يتفطن هذا الانسان إلى أنه يشير له

الى أنه هو من أهل التربية حتى فارقه وأخباره كثيرة وكراماته أوضح من شمس الظهيرة وفى هذا القدر كفاية مما تبركنا به فى هذا التقييد من أخبار هؤلاء السادات الذين تعرض الناظم لذكرهم هنا على طريق التمثيل وان كانوا بالنسبة لمن لم يذكره أقل القليل (ثم) ذكر الناظم رحمه الله تعالى جماعة ممن اشتهروا بالعلم والصلاح ممن أخذوا عن سيدنا رضى الله عنه على طريق التمثيل بهم أيضا كما تقدم وان كانوا لا يأتى عليهم الحصر فقال

﴿ وكم إمام عالم علامه * نقادة دراكة فهامه ﴾
﴿ من ورد شيخنا الامام قدورد * حتى تضلع وفاز بالمدد ﴾
﴿ كترجمان العلم والقرآن * السالك العلامة الودانى ﴾
﴿ والعمرى السيد الحفيان * ذى العلم والصلاح والعرفان ﴾
﴿ والعلوى حبر شنجيط العلم * الطالب العلامة البحر الخضم ﴾
﴿ والتونسى العالم الرياحي * جامع بين العلم والصلاح ﴾
﴿ وغيرهم من علماء السنه * أهل الفضائل وأهل المنه ﴾

(هذا) الذى أشار اليه فى هذه الأبيات هو من قبيل الكرامات أيضا لما فيه من ظهور صورته الفتح على يد الشيخ رضى عنه فيمن ذكر من هؤلاء الاعلام الذين مثل الناظم بهم فى هذا المقام وألفاظ الأبيات وسبكها مما لا يحتاج الى التطويل به وقد اشتملت على أربعة من أعيان الصدور وصدور الأعيان وماهم فى هذه الطريقة السنية الا من أشيد الأركان (فأولهم) هو العلامة الأوحد الامام المبرز الفاضل الأمجد سيدى محمد المدعو السالك ابن الامام ولم يحضرنا الآن من تفاصيل أخباره ما نثبته فى هذا الديوان وكفاه تحلية الناظم إياه بترجمان العلم والقرآن (والودانى) نسبة الى ودان بلدة بصحراء شنجيط معروفة ولم تزل كونها دار علم ومقر خير وصلاح الى الآن موصوفة وثانيهم هو العلامة الاستاذ المقرى المشارك الفاضل أبو عبد الله سيدى محمد بالفتح المدعو الحفيان آل الشيخ الكبير والقطب الشهير سيدى محمد الشرقى العمرى رحمه الله تعالى ورضى عنه رحل من بلده فى طلب العلم الى مراكش فاخذ القراآت وأحكامها عن ابن عمه الولى الصالح الزاهد الورع الاستاذ المبرز سيدى محمد بن عبد السلام الشرقى دفين روضة القطب الأكبر سيدى محمد بن سليمان الجزولى رضى الله عنه وسمع بها شيئا من الحديث ثم رحل الى فاس فاقام بها مدة وقرأ بها على غير واحد من مشايخها وفى هذه المدة لقى الشيخ رضى الله عنه وأخذ عنه ورده وصحبه وانتفع بصحبته نفعا ظاهرا (وحدثنى) قدس الله سره عن سبب اجتماعه بالشيخ وأخذ عنه فقال كان لى رفيق من الطلبة من أولاد أبى السباع وكان من أنجب طلبة الوقت وأشدهم عناية باخذ العلم والقيام بالديانة وكان قد أخذ عن الشيخ رضى الله عنه ورده وانخرط فى سلك أهل طريقته فكنت اذا وجدته يذكر أوراده وهو على غاية ما يكون من الخشوع والحضور وغض الطرف والاستغراق فى الذكر أهزأ به كالمداعب له وأقول له أى شىء تصنع وما هذا الشغل الذى أنت فيه فكان يصبر لى ويستمر على عمله فاذا قضى غرضه من ذلك أقبل على وذكرنى وتلطف معى فى الوعظ والتنفير عن الاستهزاء باهل نسبة الله تعالى وربما ذكر لى الشيخ رضى الله عنه بما يرغبنى فى الأخذ عنه فلما كان ذات ليلة وقد فعلت معه مثل ذلك وبالغت فيه التفت الى بعد ما قضى ذكره وكلمنى فى ذلك وذكرنى بجد وبعض تعنيف على وجه النصيحة لى فلم أشعر أن قلت له إن أردت أن أدخل معك فى هذا

إذن فهو غار مغرور قال والذى تشترك الناس فى منفعته التهليل والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لأن أوراد الأولياء تكون لبعض الناس منفعة ولبعضهم مضرة انتهى. وفيها أيضا أن المسبعات العشر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تغنى عن جميع الأوراد انتهى * القطب السادس فى فضيلة الأوراد فى الجملة ففى الخبر من كان على ورد من صلاة أو صوم أو غيرها فمنعه منه مرض أو هرم أو سفر كتب له الأجر تاما أخرجه الطبرانى فى الكبير من حديث أبى ذر والحاكم وصححه ابن حبان وفى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحب العمل الى الله تعالى مادام عليه صاحبه وفى رواية ما كان ديمة وان قل أخرجه البخارى ومسلم ومعنى المحبة من الله تعالى الارادة بالثواب أى أكثر الأعمال ثوابا أدومها وفى بهجة النفوس لابن أبى جمرة الشأن فى العبادة الدوام والصبر عليها قال تعالى « ولربك فاصبر » معناه اصبر على عبادة ربك ولذلك كان عليه السلام اذا عمل عملا أثبته ودام عليه وفى الأجوبة الناصرية فى العمل الذى دام عليه صاحبه اذا عمل فى اليوم حسنة واحدة يكتب له بها عشر حسنات وان عملها فى اليوم الثانى يكتب له بها عشرون حسنة وان عملها فى اليوم الثالث يكتب له بها أربعون ثم كذلك الى آخر عمله

الأمر فأرنى كرامة يطمئن بها قلبي لما تقوله فقال لى وهل أنت فاعل إن رأيت كرامة فقلت نعم إن شاء الله وقد كان مضى من الليل القدر الذى ينام فيه الناس وتسد أبواب السكك بحيث لا يفتح الموكلون بغلقها الا لمن عرفوا أنه من أهل الحومة مثلا بعد مشقة تلحقه معهم فى ذلك كما هو معلوم قال فتوافقت مع الرفيق المذكور على أننا ان قصدنا دار الشيخ رضى الله عنه فى ذلك الوقت ولم يتعذر لنا فتح الأبواب التى بين المدرسة التى نحن نازلون بها و بين داره وهى كثيرة ولا يتعذر علينا أيضا اتى الشيخ فى ذلك الوقت فان ذلك يكفينى كرامة ولا أرجع حتى آخذ عنه رضي الله عنه فنهض الرفيق بشدة عزم وقال لى قم بنا ففتحنا المدرسة وخرجنا قاصدين دار الشيخ رضى الله عنه فكلما أقبلنا على باب درب أو سوق وجدناه مفتوحا وكذلك حوانيت أهل الأسواق مفتوحة والمصابيح موقدة بها وأنا لا أشك أن ذلك ليس من عادة أهل البلد وأن ذلك خرق عادة فأخذنى من ذلك رعب عظيم ولم نزل كذلك حتى أقبلنا على باب دار الشيخ رضى الله عنه فاذا الضوء يظهر لنا بيابها فلما انتهينا الى الباب استأذن الرفيق فاذا الشيخ رضى الله عنه جالس كالمتهيء للقينا المنتظر لنا فأدينا الواجب من التسليم عليه وجلسنا بين يديه فرحب بنا وأقبل بكليته علينا ثم طلبت منه التلقين فمن الله تعالى على بمساعدته لى على أحسن ما ينبغى فى الحين ثم رجعنا والأبواب على حالها وكذلك الحوانيت فلما دخلنا المدرسة سمعنا بعض المؤذنين بالقرويين ممن عادته أن لا يؤذن إلا بعد مضى ثلث الليل (قال) صاحب الترجمة قدس الله ثراه وهذا أول خارق اتفق لى مع الشيخ رضى الله عنه ثم شاهدت بعد ذلك مالا يكاد ينحصر ﴿قلت﴾ وقد حدثنى من ذلك بشيء كثير وقد أثبت بعضه فى هذا التقييد ولا يمكننى استيفاء ترجمته تفصيلا الآن والله المستعان (وأما ثالثهم) فهو إمام جيله والعالم المشار إليه بين أهل جلدته وقبيله أبو عبد الله سيدى محمد الطالب المدعو الطالب جد الشنجيطى العلوى من قبيلة الناظم رحمه الله وقد ذكره هو والسيد السالك المتقدم ذكره فى كتاب الجيش الكبير ووصفهما بالامامة والجلالة والقدر الخطير ويكفى هذا السيد الجليل القدر تحلية الناظم له بالحبر والبحر رضى الله عنهم أجمعين ونفعنا بمحبتهم آمين (وأما رابعهم فهو شيخ الاسلام وقدوة الأنام حامل لواء العلم والعرفان المخصوص حيا وميتا برحمة الصريح واغاثة اللهفان ناصر هذه الطريقة الأحمدية وحامى ذمارها ومطلع شموسها وأقمارها الشيخ أبو اسحق سيدنا ابراهيم الرياحى التونسى رضى الله عنه وأرضاه ونفعنا بمحبته ورضاه وشهرته بالتبريز فى ميادين العلم والعمل والولاية الكبرى فى سائر الآفاق كافية عن التعرض لتفصيل مجمل ذلك فى هذه الأوراق وحسب مثلى عند ذكر مآثره الاطراق هيبة لجلال ذلك المقام وأن يكون قصارى أمره فى ذلك العى والافحام اللهم إنى أسألك يا مولاى يا رب يا ذا الجلال والاكرام بجاه مالهذا السيد عندك من أكيد الذمة ومالشيخه لديك من عظيم الحرمة أن تجعلنى وإخوانى وأحبابى فى حمى حمايتهم وأن لا تخرجنى دنيا وأخرى عن ظلال عنايتهم آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين (وقول) الناظم رحمه الله تعالى وغيرهم من علماء السنة الخ أشار به إلى ماقدمناه من أنه انما قصد بمن ذكره من هؤلاء السادات التمثيل لاغير ولا تقصير يلزمه فى ذلك ولا لوم ولا ضير (ومن) هذا الغير الذى أشار اليه رحمه الله تعالى العالم العلامة الامام الفاضل المبرز الهمام أبو محمد سيدى عبد السلام ابن الشيخ الكبير العلم الشهير أبى عبد الله سيدنا المعطى بن صالح الشرقى مؤلف ذخيرة المحتاج رضى الله عنه فانه ورد على الشيخ رضى الله عنه لما حل بفاس لم

رضى الله تعالى عنه مداومة الأوراد من أخلاق المؤمنين وطريق العارفين وهى مزيد الايمان وعلامة الايقان وقال الشيخ سيدى المختار الكنتى رحمه الله تعالى ملازم الخير ملازم الخدمة وليس من لازم الباب فى كل يوم وقتا كمن لازم يوما كاملا ثم انقطع فدوموا على السير الى الله تعالى بذكره لاسيما الورد المأثور المسند فان له بركة وخاصية لا تكون لغيره من الأذكار المرتجلة التى اتخذها المريد لنفسه ورد أعسى بعد المشى الركوب مع الجماعة وبعده الجد فى السير وبعده سرعة المطار وبعد الطيران السيران فالباب مفتوح والجود ممنوح وقال أيضا لا تزهد فى الأوراد فان على قدر الأوراد تكون الواردات والواردات هى الهواتف الربانية التى تأتى أرباب القلوب بالعلوم والفتوحات والأسرار والغيوب انتهى. وفى الحكم العطائية لا يستحقر الورد إلا جهول الوارد يوجد فى الدار الآخرة والورد ينطوى بانطواء هذه الدار وأولى ما يعتنى به مالا يخلف وجوده ثم الورد هو طالبه منك والوارد أنت تطلبه منه فأين ماهو طالبه منك مما هو مطلبك منه. قال ابن عباد الورد عبارة عما يقع بكسب العبد من عبادة ظاهرة أو باطنة والوارد ما من الحق سبحانه للعبد من لطف وكرامة انتهى بحذف * القطب السابع فى اشتقاقها قال فى الكوكب الوقاد

الورد مشتق من الورود لأن عباد الله تعالى يردون الى حضرة القدس ومحل الأنس وسكنى جنات الفردوس وبغية النفس بأورادهم التى

يشخصه من بلده إلا ذلك وذلك بعد أن كان يراسله حين كان بالصحراء فلقيه بجامع بالديوان من محروسة فاس وأخذ عنه ورده (وحدث) عنه بعض من حضر لقيه وأخذه عن الشيخ رضى الله عنه وهو من أعيان أهل فاس ورؤسائهم ومن خدام الشيخ المعطى ومحبيه أنه رأى سيدى عبد السلام حين قام من بين يدى الشيخ رضى الله عنه قد أخذته الرحضاء وهو مصفر الوجه يكرر قوله الحمد لله هذا هو الشيخ الذى كنت أترقبه فى الغيب منذ زمان (توفى) هذا السيد بفاس وصلى عليه الشيخ رضى الله عنه ودفن بزاوية أبيه المعروفة بحومة النواعريين وقبره بها مشهور يتبرك به رحمه الله تعالى (ومنهم) شيخ الشيوخ العالم العلامة أبو زيد سيدى عبد الرحمن بن أحمد الشنجيطى المذكور فى طالعة هذا التقييد كان إماما جليلا فى سائر العلوم وكان يدرس بفاس العليا وكان جميع نجباء وقته يأتون من فاس الادريسية على أرجلهم لحضور مجلسه وتخرج منهم على يده جماعة حسبما هو مصرح به فى بعض الفهارس لبعضهم (كان) هذا السيد قدس الله سره قبل أن يأخذ عن الشيخ رضى الله عنه مبجلا له معترفا له بالخصوصية الكبرى مسلما ان علمه من علوم العارفين الكبار أهل الكشف الصحيح (حدثنى) سيدى محمد الحفيان المتقدم ذكره قدس الله سره عن رفيقه السيد السباعى المذكور أنه كان قبل أخذه عن الشيخ رضى الله عنه يقرأ على هذا الشيخ صاحب الترجمة بالمسجد الأعظم بفاس العليا فلم يلبثوا ذات يوم أن دخل الشيخ رضى الله عنه عليهم ومعه بعض أصحابه فقام رضى الله عنه إلى سارية يصلى تحية المسجد والشيخ سيدى عبد الرحمن ينظر إليه وربما شغل بالنظر إليه عن بعض ما يقرره لهم فلما رأى الشيخ رضى الله عنه سلم من صلاته قطع القراءة وقال لتلامذته قوموا بنا نتبرك بهذا الشيخ فقاموا مسرعين له وهم يعتقدون أنه لا أحد يبلغ درجته فى العمل والعلم فجلس بين يدى الشيخ رضى الله عنه بأدب ووقار وطلب منه الدعاء له ولتلامذته فأسعفه بذلك ثم سأله عن بعض ما كان أهمه من المسائل فأجابه سيدنا الشيخ رضى الله عنه بما تبين له به الحق والصواب ثم أمره أن يرجع إلى محل درسه ويكمل نصابه ولما انصرف الشيخ رضى الله عنه وقضى الفقيه درسه قال له السيد السباعى ياسيدى والله ما اتخذناك شيخا وقصرنا النظر عليك إلا لتيقننا أنه لا أحد أعلم منك فى مغربنا ثم أنك قمت إلى هذا الرجل الصحراوى المعصب رأسه بخيط وبر الابل فسألته عن تلك المسائل ثم أذعنت لجوابه فقال له اسكت يا بنى فوالله الذى لا إله إلا هو ما أعلم على وجه الأرض أعلم منه وهذه المقالة كانت سبب تعلق قلب السيد السباعى بجانب الشيخ رضى الله عنه حتى أخذ عنه رضى الله عنه وقد قدمنا تاريخ وفاته فى طالعة الكتاب (وحدثنى) بعض الأصحاب من المتبرزين فى العلم والفضل ان سبب مرض هذا السيد الذى توفى منه أن بعض أهل فاس كانت عنده دعوة فدعاه من جملة من دعاه من العلماء الاماثل فباتوا عنده فلما كانوا فى أثناء الليل أخذوا يتذاكرون أخبار صلحاء الوقت فتناول بعضهم جانب الشيخ رضى الله عنه بشىء من الانكار وساعده بعض الحاضرين على ذلك وهذا السيد سيدى عبد الرحمن مستحضر للجواب عن ذلك فلم يرد عليهم بشىء فأخذته سنة فى تلك الحال فرأى الشيخ رضى الله عنه وكأنه أنقض عليه من الهواء فقال له مالك لم تتكلم وما تصنع ههنا ثم أخذه بقوة وصعد به فى الهواء فانتبه مرعوبا وأحس بألم فى ذانه من حينه فكان ذلك سبب مرضه الذى توفى منه ولما احتضر كان يحدث بذلك تنبيها للغير وتنويها بشأن الشيخ رضى الله عنه وفى هذا القدر الذى ذكرناه على قوله وغيرهم من علماء

السنة الخ كفاية والله المستعان ثم قال رحمه الله تعالى مجملا لبعض مافصله فى الأبيات قبل هذه ومتمما للكلام فى الكرامات

﴿ لاشك أن شيخنا التجانى * ممد كل عارف صمدانى ﴾
﴿ يعطى ويمنع ويسلب فمن * كمثله من الورى فى ذا الزمن ﴾
﴿ ومع ما ترى من الخوارق * على يدى هذا الامام الفائق ﴾
﴿ يخفى الخوارق خفاء غايه * ويبغض المدعى الولايه ﴾
﴿ وكان ينهى الناس من دعواها * مخافة السقوط فى بلواها ﴾

(الامداد) هنا افاضة المدد على الغير (والمعرفة) تقدم مايشير الى حقيقتها عند أهل الطريق (والصمدانية) درجة فى المعرفة معروفة عندهم والموصوف بها من العارفين هو الصمدانى أى الذى يصمد إليه فى طريق الارادة ويرجع الى علمه وهممه فى التسليك والافادة وباقى ألفاظ الأبيات واضح (يقول) انما ذكرت من ذكرته ممن اشتهر من تلامذة شيخنا رضى الله عنه بالولاية والصلاح والعلم والعمل والرشد والفلاح قصدا للتمثيل فيما رمته وانتحيت منحاه من بيان ثبوت هذه الكرامة التى هى ظهور صورة الفتح فى الغيرة على يد سيدنا رضى الله عنه وأرضاه والا فلا شك عندنا أنه رضى الله عنه ممد العارفين وغوث الأولياء والصالحين لما أوليه من خطة الخلافة والتصريف وما أوتيه من خصوصية الكمال فى مقام الكتم الشامخ المنيف فلا جرم ان الله تعالى ملكه زمام المنح والأسرار العرفانية وجعل بيده الاعطاء والمنع بحكم المشيئة الربانية وهذا مع ما أجراه الله تعالى على يد هذا الشيخ الكامل الهمام مما ذكر ومالم يذكر من الخوارق العظام فقد كان يخفى ما اتفق له منها غاية ولا يقبل من غيره التظاهر بقول أو فعل يشير إلى الولاية وكان رضى الله عنه ينهى عن دعوى الفقر والاختصاص ولا يقر على ذلك أحدا لامن العوام ولامن الخواص وذلك مخافة التردى فى مهواة بلواها التى لا يمكن منها الخلاص نسأل الله تعالى العصمة الكاملة والعافية الدائمة والنعمة الشاملة بمحض كرمه وجوده آمين (وكان) الناظم رحمه الله تعالى لاحظ فيما عقده فى البيت الأول والذى بعده من هذه الأبيات قوله فى الجواهر بعد وصفه لسيدنا رضى الله عنه بالخلافة الكبرى والنيابة العظمى مانصه فهو رضى الله عنه يجلب بر به ويدفع ويضع بهمته ويرفع ويرقى باذن الله وينزل ويولى بامر الله سبحانه ويعزل اه وأما الابيات الثلاثة فظاهر أنه عقد فيها ماوصفه به فى الجواهر من تبرئه رضى الله عنه من الدعوى أتم براءة وتنصله منها غاية التنصل وأنه لم يكن يقبل من أحد مايشير اليها وإذا حكى شيئا مما اتفق له من الكرامات أو مايشير اليها نسبة الى مجهول فيقول وقع لبعض الناس أو نحو ذلك وربما اتفق الاجتماع بمن حضر ذلك فيخبر بأنه شاهد ذلك منه وحضره وانه كان يشدد النكير فى دعوى الفقر ويقول الى الآن ما حصلت لنا التوبة والايمان الكامل وأنه رضى الله عنه كان كثيرا مايستعيذ بالله من الدعوى ويقول ان عقوبتها الموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى انظر الجواهر (وقول) الناظم مخافة السقوط الخ محتمل لان يكون أشار به الى هذا الوعيد الشديد بل ربما تعين حمله عليه بقرينة تعبيره بالسقوط الذى هو التردى من أعلى الى أسفل والعياذ بالله تعالى وهنا انتهى ماقصد الناظم رحمه الله تعالى ذكره من التعريف بسنده قدس الله سره ويليه ماقصد ذكره من سند ورده الشريف وبعد مااختص به آخذه من الفضل المفخم المنيف مع استطراد بعض ما أكرم به من يحب هذا الامام الأعظم والملاذ الأعز

فى الحديث مامن دعاء الا بينه وبين السماء حجاب فاذا صلى على النبى صلى الله عليه وسلم انخرق الحجاب واستجيب الدعاء ونعنى بمقامات الدين مقام الاسلام ومقام الايمان ومقام الاحسان وفى كل واحد من هذه المقامات ثلاثة منازل ففى مقام الاسلام منزل التوبة ثم منزل الاستقامة ثم منزل التقوى وفى مقام الايمان منزل الاخلاص ثم منزل الصدق ثم منزل الطمأنينة وفى مقام الاحسان منزل المراقبة ثم منزل المشاهدة ثم منزل المعرفة ولكل مقام بداية وتمكين ونهاية ولا مطمع فى النهايات إلا بصحيح البدايات فلا معرفة لمن لا مشاهدة له ولا مشاهدة لمن لا مراقبة له ولا مراقبة لمن لا طمأنينة له ولا طمأنينة لمن لا صدق له ولا صدق لمن لا إخلاص له ولا إخلاص لمن لا تقوى له ولا تقوى لمن لا استقامة له ولا استقامة لمن لا توبة له ونهاية كل مقام نتيجة بدايته وتمكينه وأما ذكر التهليل فانه وان كان خاصا بمنزل التقوى فهو الذى يحرك الى التوحيد الذوقى ويعنون بالذوقى ماينيل ذوق مبادى أسرار التوحيد ليخرج من معرة التقليد وليرقى عن شغب النظر والاستدلال الى اليقين الذى لا يسع معه تردد ولا تلجلج لأن أقسام التوحيد ثلاثة تقليدى وهو مابقى من الشرك الأعظم ونظرى وهو مايحصل من اليقين عن النظر فى المخلوقات والمصنوعات والمحدثات فيستدل بها على الخالق والصانع والقديم وذوقى المخلوقات وهو ماذكرناه ومراتبه سبعة الأولى تفيد حسن الاهتداء بالباطن لنيل مذاق يفيده

تفيد تحصيل بداية توحيد الأفعال وتختص بمنزل الاخلاص المرتبة الثالثة تفيد تحصيل نهاية توحيد الأفعال وتختص بمنزل الصدق الرابعة تفيد تحصيل بداية توحيد الصفات وتختص بمنزل الطمأنينة الخامسة تفيد تحصيل نهاية توحيد الصفات وتختص بمنزل المراقبة السادسة تفيد تحصيل بداية توحيد الذات وتختص بمنزل المشاهدة السابعة تفيد تحصيل نهاية توحيد الذات وتختص بمنزل المعرفة ونعنى بتوحيد الأفعال العثور على ما تقتضيه أفعاله تعالى من سر التوحيد وبتوحيد الصفات العثور على ما تقتضيه صفاته تعالى من سر التوحيد وبتوحيد الذات العثور على ما تقضيه ذاته المقدسة من سر التوحيد ذكر هذا كله أبو عبد الله الساحلى رحمه الله تعالى فى كتابه بغية السالك * المبحث الثانى فى أصول هذه الأذكار الثلاثة اعلم رحمك الله تعالى أن هذه الأذكار الثلاثة ثابتة فى الكتاب والسنة أما ذكر الاستغفار فدليله من القرآن قوله « استغفروا ربكم إنه كان غفارا » ونحوه ومن السنة ما أخرجه أبو داود والنسائى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله تعالى له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وأخرج مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم

الأكر رضى الله عنه وأرضاه ومتعنا وسائر الاخوان بمحبته ورضاه وإلى ما قصد ذكره من ذلك أشار رحمه الله تعالى فقال

## ﴿ سند الورد وبعض فضائله ﴾

أى هذا مبحث سند الورد ومبحث بعض فضائله أو باب أو فصل إلخ (والسند) فى الطريق وكذا فى الحديث هو مأخوذ فى الأصل من السند أى المرتفع من سفح الجبل ومن قولهم فلان سند أى معتمد وهو فى اصطلاح أهل الطريق رفع الاذن فى ذكر أو ليس خرقة أو نحو ذلك إلى من أظهره الله على يده أو إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأما فى اصطلاح أهل الحديث فهو ما وصل به المتن المروى المرفوع إلى قائله (والورد) الوظيفة من قراءة ونحو ذلك يجمع على أوراد كحمل وأحمال اه قاله فى المصباح وقال ابن عباد الورد عبارة عما يقع بكسب العبد من عبادة ظاهرة أو باطنة اه والمراد هنا الورد المتقدم الذكر من الاستغفار والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والكلمة المشرفة الذى رتبه سيد الوجود صلى الله عليه وسلم لسيدنا رضى الله عنه وأمره بتلقينه لكافة الخلق يقظة ومشافهة حسبما تقدم وسيأتى لنا ذكر أركانه القائم منها مفصلا مبينا عند تعرض الناظم لذلك إن شاء الله (والفضائل) جمع فضيلة وهى الخصلة الشريفة فى المتصف بها وأراد الناظم بهذه الترجمة الشروع فيما قصده بهذا النظم وهو ذكر هذا الورد الشريف وما يتعلق به وبدأ من ذلك ببيان سنده ثم بيان بعض فضائله (أما) السند فبدأ به وقدمه على غيره من فصول هذا المبحث لأنه أهمها بلا اشكال وذلك لما نص عليه أئمة الطريق رضى الله عنهم من أن الذكر وإن كان حسنا على اختلاف أنواعه لا يتخذ منه ورد أو وظيفة إلا باذن شيخ ومن اتخذ ورداً بغير إذن فهو غار مغرور اه . ولما ذكره غير واحد من الأئمة من أن الاعتناء بالسند من خصائص هذه الأمة ولأنه نسب الانسان فى الدين ومن أقبح الجهل أن يجهل الانسان نسبه ولأنه أصل هذا الشأن وسائر ما عداه متفرع عنه ومن لا سند له فى الطريق فهو دعى فيها على التحقيق (قال) ابن المبارك لولا السند لقال من شاء ماشاء ولا زال الأفاضل قديما وحديثا يتغالون أشد التغالى فى طلب علوه أى قربه من النبى صلى الله عليه وسلم (قال) ابن معين علو السند قربة إلى الله ورسوله ولا يقال إن هذا فى رواية الحديث خاصة لأنا نقول هو فى باب التربية وأخذ الأسرار المخصوصة بالخاصة كذلك أيضا أو آكد ولهذا كان يتبجح من حصل له علو السند فى الطريق برؤية النبى صلى الله عليه وسلم يقظة كما تقدم لنا ذكره (مما) اتفق للشيخ عبد الوهاب الشعرانى وذكره من جملة المتن التى امتن الله بها عليه وهو قوله أدركت بحمد الله جماعة ممن رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة واجتمع به وعد منهم شيخه الخواص والسيوطى وغيرهما وكما تقدم لنا عن الشيخ ابراهيم المتبولى من أنه كان يقول نحن فى الدنيا خمسة لا شيخ لنا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدهم ومن التبجح بقرب السند وعلوه على الوجه المذكور قول الشعرانى أيضا رضى الله عنه لا أعلم أحداً فى مصر الآن أقرب سنداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منى فان بينى وبينه رجلين سيدى على الخواص وسيدى ابراهيم المتبولى فقط اه يريد أنه أخذ عن الخواص وهو عن المتبولى رضى الله عنهم ولعل هذا كان قبل أن يحصل الاجتماع بالنبى صلى الله عليه وسلم يقظة لشيخه الخواص وقد صرح فى كلام آخر له بأن شيخه الخواص لم يمت حتى صار يجتمع به النبى صلى الله عليه وسلم يقظة إلى غير هذا مما هو مذكور من كلامهم فى معرض التبجح بعلو السند على الوجه المذكور ولا

أعلى من سند طريقنا على وجه الأرض فى هذه الأزمنة والحمد لله تعالى فان أطول أهلها اليوم سنداً من بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم أربع وسائط أو خمس ومنهم أفذاذ ليس بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم الآن إلا واسطتان لأن بينهم وبين سيدنا الشيخ رضى الله عنه واسطة واحدة وقد حصل لنا ذلك من بعض الطرق والحمد لله حمداً كثيراً لا نحصي ثناء عليه كما هو أثنى على نفسه سبحانه فظهر من هذا أن السند آكد ما يعتنى به فى هذا الشأن فلذلك قدمه الناظم رحمه الله تعالى عما عداه ( وأما ) تقديمه لذكر فضائل الورد على ذكر ما عداها فلأن معرفة فضائل الأعمال مما يحث على الاجتهاد فيها بغاية الدءوب ودوام الاقبال قال بعض العارفين من لم يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه فى جميع الأحوال إذ لا يحمل النفوس على الاعمال وملازمة قرع الباب الا معرفة مالها من الثواب ( والاشارة ) الى هذا المعنى موجودة فى عدة أحاديث (قال) صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا الا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه ولو يعلمون ما فى التهجير لاستبقوا اليه ولو يعلمون ما فى العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا الى غير ذلك ( قال ) ثم لا يقدح فى اخلاص العبد أن يريد بعمله حظوظ نفسه من النعيم الموعود به فى الجنة ولا يغير صحة نيته لان الله تعالى مدح ذلك ورغب فيه فى كتابه الحكيم وسنة نبيه الكريم اه من بعض التقاييد بخط بعض العلماء ونسبه لتحفة العباد وماذكره ظاهر ( فان قلت ) العبادة من حيث هى لها مراتب ثلاث أعلاها أن تكون لتعظيم الله ومحبته وأوسطها امتثال الأمر وأدناها أن تكون لقصد الأجر والثواب وانما كانت هذه أدناها لما فيها من حظ النفس وذلك يلام صاحبه عند المحققين لانه عامل على مقتضى حظ نفسه ولم يقم بحق أوصاف ربه وما وجهت به من تقديم ذكر الفضائل ما آله الى هذه المرتبة الملوم صاحبها وما آل أمره الى مثل هذا لا يحسن أن يتقدم غيره (قلنا) الأمر على ماذكرته من التقسيم إلا أن العمل للثواب لا تكون مرتبته أدنى على العموم فى حق كل فرد من أفراد العالمين وإنما تكون أدنى فى حق العامة فقط وهم الذين لا يصح منهم اخلاص الامع التجرد التام عن ملاحظة الثواب وباعتبارهم جاء التقسيم المذكور فى المراتب (وأما) الخاصة الذين لا يقدح فى اخلاصهم ملاحظة الثواب بالعمل فانهم لا يدخلون فى المرتبة الثالثة بل هم من أهل المرتبة الأولى بلا شك لأنهم يعملون على التعظيم والمحبة وشهود المنة مصدقين فى حال تعظيمهم ومحبتهم بما وعدوا به من الأجر العظيم ولا محالة أن تصديقهم بذلك لا يقدح فى تعظيمهم ومحبتهم بل هو مما يتقوى به ذلك كما يتقوى به شهود المنة أيضا ولا يخفى ان هذا هو حال الكمال لانه حال أهل الصحو التام من أقوياء الرجال ( وقد ) قال بعض أهل التحقيق والتحرير وكلامه هو الحكم العدل فيما أشرنا اليه فى هذا التقرير ما نصه واعلم أن العمل للثواب محمود جداً حيث قصد به مجاراة الحق فى تنزله يعنى لعبده من حضرة الاطلاق الى حضرة التقييد مع أن أفعاله تبارك وتعالى لا تعلل وعطاياه سبحانه ليست لغرض فلا أدب التنزل لما رغب فيه فلا تكون العبادة حينئذ للثواب بل صارت ملاحظة الثواب عبادة ثانية مع ان وصفك الفقر والاحتياج الى ما كان من سيدك والمذموم الالتفات لغرض نفسى اه ( فبان ) لك أن ماسلكه الناظم رحمه الله فى تقديمه لذكر فضل هذه الطريقة الشريفة من المقاصد العالية المنيفة واندفع ما يتوهم ببادىء الرأى من أن العمل على ما يذكره من الفضل داخل فى حيز المرتبة الثالثة الناقصة فكلامه رحمه الله فى ذلك تبعا للشيخ رضى الله عنه فى ذكره ذلك جار على حال أهل الكمال التى

وأخرج أبو داود عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر ولو عاد فى اليوم سبعين مرة وأما ذكر الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فدليله من القرآن قوله تعالى « إن الله وملائكته يصلون على النبى - الآية » ومن السنة ما خرجه النسائى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلاة واحدة صلى الله تعالى عليه عشر مرات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات إلى غير ذلك وأما ذكر التهليل فدليله من القرآن قوله تعالى « فاعلم أنه لا إله الا الله » ومن السنة ما خرجه مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه عن طلحة بن عبيد الله رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله الا الله وخرج الترمذى والنسائى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال عبد لا إله إلا الله مخلصا من قلبه إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضى الى العرش ما اجتنبت الكبائر الى غير ذلك * المبحث الثالث فى ألفاظ هذا الورد وأوقاته وتفسير الفاتح لما أغلق اعلم أن المقصود من هذا المبحث ضبط الورد التجانى لأهله لا نشره لكل أحد فلا يطالعه من ليس من أهله ومن أخذه من غير مأذون له فى اعطائه فقد خاطر بنفسه وأحرى من أخذه من كتاب وقد تقدم كلام الأجوبة الناصرية فى الأوراد الموظفة وانها لا تؤخذ الا عن شيخ

 فراجعه فى مقدمة هذا الباب أما الفاظه فمائة من استغفر الله ومائة من الصلاة على النبى صلى الله عليه

المائة بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا هو أصل الورد الذى رتبه للشيخ سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وهو لازم للطريقة لا معدل لأحد عنه ثم زيدت وظيفة وهى أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم ثلاثين مرة وخمسون من لفظ الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بلفظ الفاتح لما أغلق عند بعض التلاميذ إلا لعذر كضيق وقت بأى صيغة ثم سبحان ربك رب العزة عما يصفون إلى العالمين مرة ثم مائة من لا إله إلا الله يختم موفية المائة بمحمد رسول الله عليه سلام الله ثم اثنتا عشرة من جوهرة الكمال للمتوضىء وتنوب عنها عشرون من صلاة الفاتح لما أغلق لغير المتوضىء ومن أتى بالجوهرة وهو متيمم أو العكس فان أمكنه التدارك أتى بما عليه والا استغفر الله ورأيت بخط محمد ابن عبد الله بن وديعة الله العلوى أنه يزيد « إن الله وملائكته يصلون على ـ النبى » الآية صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وهو من جملة أصحاب شيخنا سيدى محمد الحافظ رضى الله تعالى عنه ويأتى باثنتى عشرة مائة من التهليل يختم كل مائة بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر من يوم الجمعة إن كان وحده وان كان معه اخوة أتوا بعدد غير محدود وعن بعض التلاميذ يذكرون قدر ساعة وهذا من الأوراد اللازمة للطريقة أيضا وليس الختم بالرسالة لازما للواحد فى ذكر الجمعة ولا شىء فى تركه وأما الجماعة فيذكرونه عند ختم الهيللة فى الوظيفة وأما ذكر الجمعة

هى مطمح نظر كل من دخل فى هذا العهد المحمدى الشريف فان كل من تقلد هذا العهد إن لم يتصف بتلك الحالة الموصوفة فهو بصدد الاتصاف بها من فضل الله تعالى والخطاب فى هذا الباب وارد من سيدنا رضى الله عنه وممن تابعه على ذكر ذلك كالناظم رحمه الله بحسب ذلك فافهم والله تعالى أعلم ( وهنا ) وجه آخر لتقديم الناظم مبحث الفضائل على غيرها وهو ما تقرر عند أئمة هذا الشأن وذكره سيدنا رضى الله عنه من أن من لم يعرف الفضل الخاص لا يحصل له وانما يحصل له العام فقط فيحسن تقديم ذكر الفضل من هذه الحيثية أيضا ( دقيقة ) ذكر فى نصرة الشرفاء قاعدة لأهل السر وهى أن من سمع بخصوصية أو فضيلة وبجها قلبه ولم يقبلها فذلك دليل على أنه ليس من أهلها ومن سمع ذلك وفرح به قلبه وانشرح للتصديق به صدره فذلك دليل على أنه من أهله اهـ بمعناه ويستأنس لهذه القاعدة بقوله تعالى « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ـ الآية » وفى هذا القدر الغنية إن شاء الله والكفاية قال الناظم رحمه الله تعالى

﴿ أخذ هذا الورد شيخنا الامام * عن الرسول المصطفى خير الأنام ﴾

﴿ يقظة وكل ما سيذكر * من المآثر فعنه ينشر ﴾

( الأخذ ) هنا معناه التلقى والتقيد بالعهد ( واليقظة ) ضد المنام ( والمآثر ) المراد بها الفضائل والخصائص ( والنشر ) الاشاعة والمراد هنا الرواية أى فعنه يروى ومنه يتلقى صلى الله عليه وسلم وآثر التعبير بالمضارع قصداً منه إلى التنبيه على أن هذا الفضل يدوم ذكره ونشره الى آخر الدهر بدوام هذه الطريق بوعد من النبى صلى الله عليه وسلم صادق لا خلف له حسبما هو مبسوط فى محله ( يقول ) وأما إن سألت عن سند سيدنا رضى الله عنه فى هذا الورد المحمدى الاسمى فقد أخذه رضى الله عنه عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة فليس له فيه سند ولا قدوة الا هذا السند الأقوى والقدوة العظمى وكل ما سيذكر لك من فضائل هذا الورد وأهله فى هذا النظم فهو مما تلقاه سيدنا رضى الله عنه منه صلى الله عليه وسلم فى حال اليقظة كذلك أيضا لا حال المنام وقد صرح الشيخ رضى الله عنه بهذا الذى عقده الناظم رحمه الله تعالى هنا غير مامرة فيما نقل عنه من كلامه فى هذا المقام وأفصح بأن عمدته فى هذا الورد هو سيد الأنام وذلك بعد أن أخذ عن عدة مشايخ وتقيد بكثير من طرقهم المشهورة شرقا وغربا فى بلاد الاسلام فلم يقض الله له على أيديهم بوصول المرام وأبت العناية الربانية أن يكون لأحد عليه منة إلا لسيد الوجود عليه الصلاة والسلام ( ومن جملة ) عباراته رضى الله عنه فى ذلك قوله قد أخذنا عن مشايخ عدة فلم يقض الله بتحصيل المقصود وانما سندنا وأستاذنا فى هذا الطريق هو سيد الوجود صلى الله عليه وسلم قد قضى الله بفتحنا ووصولنا على يديه ليس لغيره من الشيوخ فينا تصرف ( وقال ) رضى الله عنه فى بعض رسائله التى أجاب بها بعض من كاتبه فى ذلك وسأله عنه سندنا فى الورد المعلوم النبى صلى الله عليه وسلم ( وأما ) المسبعات العشر فأخذناها مشافهة عن شيخنا الشيخ محمود الكردى المصرى رضى الله عنه وهو أخذها عن الخضر مشافهة ( وأما ) أحزاب الشاذلى ووظيفة الشيخ زروق ودلائل الخيرات والدوراالأعلى فكلها أخذناها بالاجازة عن شيخنا سيدى محمد بن عبد الكريم السمان قاطن المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ولا يلتفت إلى من ينكر الأخذ عن النبى صلى الله عليه وسلم مشافهة لأن انكاره انما هو لجهله بما تقدم من ثبوت جواز ذلك على وجه الكرامة الجائزة فى حق أهل الله

تعالى باتفاق أهل السنة على ذلك فان كان ممن ينفى الكرامة كالمعتزلة ومن فى معناهم فلا كلام معه وليترك هو وعماه وليستعذ بالله من بلواه وإن كان ممن يصدق بالكرامة إلا أنه استثقل ذلك لعدم مطابقته لهواه من غير دليل اعتمده فى ذلك واقتفاه فهو ممن سجل عليه بالحرمان ومن جملة من استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر الرحمن إذ لا أقل فى حق الموفق من التسليم لما لم يبلغه علمه ولم يصل إليه إدراك عقله ونهاه وإن كان إنما يستثقل قول الشيخ رضى الله عنه وأرضاه ليس لغيره صلى الله عليه وسلم فينا تصرف ومثله ما نحا منحاه مما يشير إلى الاستغناء عن المشايخ الذين كان أخذ عنهم قبل ذلك فذلك لقصوره فى علوم الطريق وعدم عثوره على شىء من أنفاس أهل الأذواق والتحقيق (وقد) تقدم آنفا قول سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله عنه نحن فى الدنيا خمسة لا شيخ لنا إلا النبى صلى الله عليه وسلم ثم عدهم وهو صريح أو كالصريح فى أنه لا يتصرف فيه وفيمن عدهم من تلك الجماعة إلا النبى صلى الله عليه وسلم (وأصرح) منه ما نقله الشعرانى رضى الله عنه عن الشيخ أبى السعود بن أبى العشائر رضى الله عنه من قوله كنت أزور شيخى أبا العباس وغيره من صلحاء مصر فلما فتح الله على لم يكن لى شيخ إلا النبى صلى الله عليه وسلم وذكر أنه كان يصافحه صلى الله عليه وسلم عقب كل صلاة اه وقول هذا السيد صريح فى الاستغناء عن شيخه وغيره لأنه ترك حتى زيارة شيخه لما فتح الله عليه (ونقل) عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه التصريح بنفى الانتساب لشيخه لما فتح الله عليه بالاجتماع به صلى الله عليه وسلم وهو فى كتب من ألف فيه شهير (ونقل) عن الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه أيضا مثل ذلك وكذا العارف بالله تعالى الشيخ أبو الشتاء الشهير بالخمار فانه سئل عن شيخه فقال قال عبد الله الغزوانى إلى غير ذلك وهل الاستثقال لما نقل عن سيدنا رضى الله عنه من مثل هذا مع عدم الاشتغال بشىء مما ذكر إلا محض عناد واتباع لهوى ان وقع ممن اطلع على كتب الطريق أو قصور ممن صدر منه عن الاطلاع على مسالك التحقيق اللهم أرنا الحق حقا وألهمنا بفضلك فى اتباعه إيمانا وصدقا آمين (ثم) أخذ الناظم فى ذكر ما قصد ذكره من فضائل هذا الورد وخصائصه فقال

﴿ آخذه سكناه عليون فى * جوار سيد الورى المشرف ﴾
﴿ ويغفر الله له الكبائرا * من ذنبه ويغفر الصغائرا ﴾
﴿ والتبعات من خزائن المجيد * أداؤها لاحسنات ذا المريد ﴾
﴿ لذاك كان آمنا فى الحشر * من هوله ومن عذاب القبر ﴾
﴿ وزوجه ونجله والحفده * فيما قد مضى كذاك من قد ولده ﴾
﴿ إن لم يكن منهم للشيخ صدر * بغض وإلا ما لهم وما غبر ﴾

(الأخذ) هنا يراد به ما تقدم أيضا من التلقى والتقييد بالعهد والمراد عن الشيخ رضى الله عنه مشافهة أو عمن وصله الاذن الصحيح منه رضى الله عنه فى ذلك ولو بالواسطة وإن تعددت (والسكنى) المستقر (وعليون) الجنة الثامنة وهى فوق الفردوس ينزلها الأنبياء وأكابر الأولياء من هذه الأمة ومن اهتدى من الأمم السابقة من غير نبوة لا من عداهم اه انظر الجواهر (والكبائر) جمع كبيرة وهى الذنب العظيم واختلف فى تعيينها فى كتب الفقه ومثلوا لها بالسرقة والشرب ونحو ذلك (والصغائر) جمع صغيرة وهى صغار الذنوب وتكفر باجتناب الكبائر (والتبعات) جمع تبعة والمراد الحقوق الخلقية المتعلقة بالمال والعرض (والنجل) الولد

الشيخ التجانى للشيخ محمد الحافظ وفيه التخفيف فى الوظيفة والحضرة ويشترط فى ذكر الجمعة والوظيفة الاجتماع إلا لعذر وفائدة ذلك تعاضد أنوار قلوب الذاكرين وإظهار لآية الاسلام عند دروسها وإعانة لضعفاء المسلمين على الذكر مع ما ورد فى الحديث من نزول الرحمة والسكينة وذكر الله لهم فيمن عنده كما قدمنا فى مبحث الاجتماع للذكر وتستفتح الجماعة لها بالفاتحة والواحد مخير وتختمان بدعاء وصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والزيادة عمدا سوء أدب والنقص عمدا مبطل وكفارتهما سهوا مائة من الاستغفار والأولى فى ذكر الجماعة التحليق وإذا تفاوتوا فللمسبوق أن يبتدىء معهم من حيث وجدهم ويقضى ما فاته بعد التمام وله أن يبتدىء ذكره سرا حتى يبلغ محلهم ويدخل معهم وليس للسابق أن يمكث حتى يبلغه صاحبه وإذا كان بعضهم فى العشرين وبعضهم فى الجوهرة فان كلا من الطائفتين تقوم وتحلق وحدها وليس فى ذلك التحرك المنهى عنه ومن بدل لفظ الاستغفار بلفظ آخر من ألفاظه أعاده بما عينه له الشيخ وأما الصلاة فقد تقدم انها تجزىء بكل صيغة وبصلاة الفاتح لما أغلق أفضل وأما أوقات هذا الورد فذكر الجمعة بعد صلاة العصر إلى الغروب وأما الوظيفة فان تيسرت فى الصباح وفى المساء فذلك أفضل والا كفت فى واحد منهما

وأما المئون الثلاثة فتقال فى الصباح والمساء والمراد بالمساء من دخول وقت العصر إلى ثلث الليل الأول والصباح من طلوع الفجر إلى حل

النفل هذا مالزروق وغيره والقضاء من وراء هذين الوقتين ورأيت لبعض تلامذة شيخنا وهو محمد بن عبد الله المذكور أن المراد بالصباح فى وردنا من طلوع الفجر إلى صلاة العصر والمراد بالمساء من صلاة العصر إلى طلوع الفجر والأول هو الذى عليه عامة أهل الأوراد وفائدة توسيع وقته إيقاعه على سماح فى النفس إذ قد لا يتيسر أمر ما إن كان له وقت واحد مع أن ذلك أحفظ لاقامته وإلا فقد تتوالى الأشغال فيؤدى إلى تركه لو ضيق وقته (نكتة) فى لزوم طرفى النهار ابتداء صحيفة أعماله بالذكر وختمها بالذكر قال الساحلى والحكمة فى ذلك أن الانسان إذا هب من نومه كأنه مقبل من عالم الغيب إلى عالم الشهادة والنفس ميالة إلى مقتضيات عالم الشهادة فاذا استقبلها بالذكر فى أول أمرها أثر فيها معناه ميلا إلى جنبة الخير فكان لها من مقتضى الذكر حامل يحملها على الخير أثناء تصرفاته فى سائر نومه وكان لها من ذلك وازع يزعها عن الشر وان لم يكن ذلك متصلا فقد يكون غالبا وان لم يكن غالبا فقد يكون متفقدا بحسب حال الذاكر فاذا تم النهار وأقبل الليل لم يخل من تفريط وتضييع وغفلة بطول النهار ربما محت من النفس ما ارتسم فيها من ذكر الغداة أو بعضه فكان لها من ذكر العشية تثبيت لما امتحى وزيادة فى مادة ما بقى مع ما فى ذلك من تقديم وسيلة بين يدى خروجه من عالم الحس وورود على عالم الغيب بالنوم الذى يمكن أن يتوفاه الله سبحانه فيه وفى العهود المحمدية والسر فى اشتغال العبد بالله تعالى فى هذين الوقتين كون ذلك

وأفرده هو والذى قبله باعتبار الجنس (والحفده) جمع حفيد وهو ابن الابن وكذا ابن البنت (والبغض) ضد الحب (وغير) سلف ومضى (وقوله) وزوجه مبتدأ خبره فيما مضى أى وزوجه ونجله الخ داخلون فيما مضى من الفضل أى فيما ذكر قبل من الفضل (وقوله) وإلا مالهم الخ أى وان صدر منهم بغض فمالهم وما غير أى ماسلف ذكره من الفضل (يقول) إن من جملة ماذكره سيدنا رضى الله عنه من فضل هذا الورد العظيم عن نبينا المصطفى الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم أن كل من أخذه عن الشيخ أو عمن عنده الاذن الصحيح فى التلقين يكون مقامه ومستقره من فضل الله تعالى فى أعلى عليين بجوار سيد المرسلين وإمام المتقين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ويغفر الله له تعالى بفضله من ذنوبه الكبائر والصغائر وتؤدى عنه التبعات من خزائن الرب المجيد القادر ولذلك كان آمنا من أن يروعه هول المحشر أو يؤلمه ضنك القبر وأزواجه وأولاده المنفصلون عنه دنية وكذا أبواه داخلون معه فى هذا الخير الجزيل بفضل الله بشرط أن لا يصدر بغض من الجميع فى هذا الشيخ الجليل وجانبه الأعز المنيع ولم يذكر الناظم رحمه الله والدى الأزواج وقد تلقينا عمن أدركنا من أصحاب سيدنا رضى الله عنه أنه كان يذكرهم أيضا فيمن يعمه الفضل المذكور وذيلنا كلام الناظم هنا ببيت يتضمن ذلك لمن أراد أن يلحقه به بعد قوله وزوجه ونجله إلى آخر البيت وهو أعنى البيت المذيل به

ووالد الأزواج أيضا ذكره * عن شيخنا قوم ثقات بروه

واعتمدت فى نظم هذا البيت سماعى من ثقات أصحابه رضى الله عنهم وهو أيضا فيما ألحقه مؤلف جواهر المعانى بهامش نسخته التى كتب له سيدنا عليها حسبما رأيناه بخطه فيها وعليه علامة الأصل فأدخلناه فى النسخة التى كتبناها من نسخته المذكورة وهى الآن وقف على زاوية سيدنا رضى الله عنه التى بمكناسة وقد كتب منها والحمد لله عدة نسخ وتفرقت فى سائر الآفاق ونسخة الأصل المذكورة الآن بزاوية عين ماضى عمرها الله بذكره آمين وذكر المؤلف رحمه الله تعالى أنه بعد ما كتب ما فى الأصل من املاء الشيخ رضى الله عنه عليه اطلع على ما رسمه من الالحاق المذكور بخط يده فليراجع ففيه التصريح بوالدى الأزواج فى جملة من طلب لهم الشيخ رضى الله عنه الفصل المذكور من النبى صلى الله عليه وسلم وضمنه له (قال) فى جواهر المعانى بعد إيراده لهذا الفضل ما نصه قلت وهذه الكرامة العظيمة المقدار وهى دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب لمن أخذ ورده ودخول والديه وأزواجه وأولاده لم تقع لأحد من الأولياء فيما بلغنا وان وقع لهم أن من رأى من رآهم يدخل الجنة كالشيخ مولانا عبد القادر الجيلانى وسيدى عبد الرحمن الثعالبى ومولانا النهامى رضى الله عنهم لم ينقل عن واحد منهم أنه ذكر عدم الحساب والعقاب كما وقع لشيخنا رضى الله عنه فهى خصوصية ومزية له ولأصحابه رضى الله عنه اه (وحاصل) ماذكره فى هذه الأبيات من الفضائل خمس الأولى الاستقرار مع الشيخ رضى الله عنه بجوار النبى صلى الله عليه وسلم فى أعلى عليين بلا حساب ولا عقاب لمن أخذ هذا الورد ولوالديه وأزواجه وأولاده دنية ووالدى أزواجه كذلك ولو لم يكن لواحد من هؤلاء المذكورين تعلق بالشيخ أصلا وانما ذلك بسبب الأخذ للورد الثانية مغفرة الذنوب الكبائر والصغائر ما تقدم منها وما تأخر للأخذ ولمن ذكره معه بسببه الثالثة أداء تبعات الأخذ للورد أعنى ما عليه من الحقوق الخلقية من خزائن فضل الله تعالى لا من حسناته وكذلك من ذكر معه تؤدى عنهم تباعتهم من خزائن فضل الله لا من حسناتهم بسببه الرابعة تأمينه من هول الموقف وكذا من ذكر

معه بسببه الخامسة تأمينه من عذاب القبر ومن ذكر معه كذلك أيضا بسببه وهذا كله بشرط أن لا يصدر من أحد من المذكورين بغض للشيخ رضى الله عنه ولا إذاية لجانبه لأنه رضي الله عنه استثنى المبغض فى طلبه حين طلب ضمان ماذكر من النبي صلى الله عليه وسلم (ويشارك) المذكورين فى هذه الفضائل من تعلق بالشيخ رضى الله عنه بوجه من التعلقات كمن أحسن اليه بشيء أو أطعمه طعامه أو كانت له عليه مشيخة فى قراءة أو علم أو قضى له حاجة ونحو ذلك (وأما) من رآه فقط فغايته يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب ولم يضمن له الاستقرار فى عليين وراجع جواهر المعانى فقط بسط فيه مؤلفه الكلام فى ذلك بما كفى وشفى (ثم) أشار الناظم رحمه الله إلى بعض ما ينال المحب للشيخ رضى الله عنه من الفضل من غير أخذ للورد بل بالمحبة فقط وإلى ماتؤل اليه عاقبة مبغضه والعياذ بالله تعالى فقال

﴿ ولن يموت من يحب شيخنا * إلا إذا نال ولاية المنى ﴾
﴿ من لم يتب من بغضه مات على * كفر أعاذنا الاله ذو العلا ﴾

(الولاية) معروفة (والمنى) جمع منية وأضاف اليها الولاية لأنها غاية مايتمناه العبد المؤمن وباقى الألفاظ واضح (يقول) ان من فضائل التعلق بسيدنا رضى الله عنه أن من أكرمه الله تعالى بمحبته ووداده لا يموت حتى يكون من أولياء الله تعالى وخاصته من عباده ومن كان على الأخرى والعياذ بالله مما ابتلى به فقد سجل عليه بالكفر ويا بؤس منقلبه ولا غرابة فى الأول فان من أحب قوما حشر معهم والمرء مع من أحب كما أنه لا بعد فى الثانى كذلك (من عادى لى وليا من أوليائى فقد بارزته بالمحاربة) ومن حاربه الحق تبارك وتعالى فقد هوت به الضلالة فى مكان سحيق (ثم) عاد الناظم رحمه الله إلى تتميم الكلام فى فضائل الورد بعد أن ذكر ماهو كالتتمة للكلام قبله فقال

﴿ وصحبه لا تدرك الأقطاب * رتبهم من طيبه قد طابوا ﴾
﴿ وكل من عمل لله عمل * فرضا ونفلا وقبوله حصل ﴾
﴿ يعطيهمو عليه معطى الفضل * وهم ركود وقت ذاك الفعل ﴾
﴿ أكثر من مائة ألف ضعف * ما أعطى العامل دون خلف ﴾
﴿ لدى الممات والسؤال يحضر * نبينا لهم وذا مفتخر ﴾
﴿ يسوءه ما ساءهم ولهموا * لطف عن الأنام قد خصهمو ﴾
﴿ يجيزهم على الصراط دون مين * رب الورى أسرع من طرفة عين ﴾
﴿ من حوض خير الناس يشربون * وتحت ظل العرش واقفون ﴾
﴿ ولو رأت أكابر الأقطاب ما * أعد خالق الورى تكرما ﴾
﴿ لهؤلاء لبكوا عليه * واستنقصوا ما ركنوا اليه ﴾
﴿ سبعون ألف ملك تذكر مع * ذاكرنا من غير شك قد وقع ﴾
﴿ وأجر ذاك كله لمن ذكر * وذا لأجل قطبنا الندب الأبر ﴾
﴿ يجالسون سيد الأبرار * نبينا فى الليل والنهار ﴾
﴿ ونسبة المذكور الذى انكتم * كنسبة النقطة للبحر الخضم ﴾
﴿ جعلنا الاله من ذى الناس * بجاه شيخنا أبى العباس ﴾

على الحق تعالى فى صلاة العصر مأخوذ من الضم كعصر الثوب من الماء فاذا فارق أهل الله تعالى ذلك التجلى حصل لهم زيادة شوق إلى الله تعالى حين أرخى بينه وبينهم الحجب بعد فراغ التجلى كما كان الأمر قبل التجلى فلما كان من الناس من ينسى الله تعالى بعد التجلى غار أهل الله تعالى من غفلة الناس عن ربهم فلذلك خص القوم تبعا للشارع صلى الله عليه وسلم هذين الوقتين بمجالس الذكر والخير لكون ذلك يذكر الناس بالله تعالى قال وسمعت سيدى عليا الخواص يقول يفرق الله تعالى الأرزاق المحسوسة التى هى قوت الأجسام بعد طلوع الفجر إلى ارتفاع الشمس كرمح ويفرق الأرزاق المعنوية التى هى قوت الأرواح من بعد صلاة العصر إلى الغروب انتهى قلت لعله يعنى والله تعالى اعلم بالتجلى فى الثلث الآخر من الليل ماورد فى الصحيحين ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى آخر الحديث ولعله خص العصر دون غيرها بتجلى القلوب لمزيد اختصاصها على غيرها إذ قال فى العهود المحمدية إنها هي الصلاة الوسطى باجماع أهل الكشف فانظره وأما صلاة الفاتح لما أغلق فلفظها اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادى إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق

قدره ومقداره العظيم وسيأتى فضلها فى المبحث الخامس وأما معناها فقد قال الشيخ رضى الله عنه لما سئل عن معنى الفاتح لما أغلق أن معناه

الفاتح لما أغلق من صور الاكوان فانها كانت مغلقة فى حجاب البطون وصورة العدم ففتحت مغاليقها بسبب وجوده صلى الله عليه وسلم وخرجت من صورة العدم الى صورة الوجود ومن حجابية البطون الى نفسها فى عالم الظهور اذ لولاه وماخلق الله موجوداً ولا أخرجه من العدم الى الوجود فهذا أحد معانيه الثانى فتح مغاليق أبواب الرحمة الالهية و بسببه انفتحت على الخلق ولولا أن الله خلق سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم مارحم مخلوقا فالرحمة من الله تعالى لخلقه بسبب نبيه صلى الله عليه وسلم الثالث من معانيه هى القلوب أغلقت على الشرك مملوءة به ولم يجد الايمان لها مدخلا ففتحت بدعوته صلى الله عليه وسلم حتى دخلها الايمان وطهرها من الشرك وامتلأت من الايمان والحكمة انتهى قال فى مطلع المسرات المعنى أنه فتح الله تعالى به على عباده أنواع الخيرات وأبواب السعادات الدنيوية والأخروية أو بين الله تعالى لامته ما أوحى اليه بتفسيره وتيسيره و ايضاحه وفك اشكاله أو فتح بحكمه ما أغلق أى التبس وانبهم أو فتح الله تعالى به باب الخلق فهو أول صادر عن الله ولولاه لم يخلق شىء أو فتح النبوة فانه أول الانبياء أو النور فأول ماخلق الله نوره أو فتح به باب الرحمة على أمته أو باب الشفاعة أو باب الجنة فلا تفتح لاحد قبله وقوله ناصر الحق بالحق معناه أنه نصر الحق الذى هو الدين الحق الثابت عند الله تعالى بالحق أى بالامر الحق الذى هو الجد الذى لا يشوبه هزل ولا هوى ولا مداهنة ولا استكانة ولا انحراف

(الصحب) تقدم أن المراد بهم من تقيد بعهد الشيخ رضى الله عنه من غير اشتراط لقى ولا معاصرة على حد ما قيل فى أصحاب الأئمة أرباب المذاهب (والرتب) جمع رتبة والمراد الدرجة التى تنال بالعمل الصالح فى الدار الآخرة (ورقود) جميع راقد من رقد يرقد رقداً أو رقوداً ورقاد إذا نام فى ليل أو نهار و بعضهم يخصه بالليل والأول أصح بشهادة مطابقته للآية الكريمة وتحسبهم أيقاظا وهم رقود (والضعف) المثل وقد تقدم (وخلف) هنا بمعنى إخلاف أى دون إخلاف للوعد بذلك من النبى صلى الله عليه وسلم لأن وعد الكرام لا يتخلف وأراد بقوله لدى الممات عند الاحتضار وأراد بالسؤال سؤال القبر (والمفتخر) ما يفتخر به (وساء) ضد سر (واللطف) تقدم معناه فى تفسير الاسم اللطيف (والصراط) والحوض والعرش معلوم جميعها من السنة (واستنقصوا) رأوه ناقصا بالنسبة لغيره وباقى الألفاظ واضح (يقول) ومن فضائل أصحاب سيدنا رضى الله عنه وما آثر أهل طريقه التى اختصهم بها مولاهم ومزاياهم التى تفضل بها عليهم بجوده وكرمه وأولاهم ما أخبر به سيدنا رضى الله عنه تبشيراً لهم وترجية وتأكيداً لنور إيمانهم وتقوية من أن مراتبهم يوم القيامة عند ربهم الملك القادر الفاعل بالاختيار أكبر من مقامات من عداهم من الأولياء المقربين الأبرار وذلك ما لحقهم بفضل الله تعالى وسابق عنايته من بركة أستاذهم الذى طابوا من طيبه وشرفوا بولايته (ومن) ذلك الذى اختصوا به أيضا أن كل من عمل لله عملا وتقبل منه نفلا كان أو فرضا يعطيهم الله على ذلك العمل وهم رقود أكثر من مائة ألف ضعف مما يعطيه لصاحبه بمحض الفضل والجود والكرم الذى لا يدخل تحت محيطات الأقيسة والحدود (ومن) ذلك الذى أكرم به أيضا من عميم النوال حضور النبى صلى الله عليه وسلم لهم عند الممات والسؤال (ومن) ذلك الذى نالوه أيضا من الاختصاص بين الأنام أن إذايتهم إذاية لجنابه الأكرم عليه الصلاة والسلام (ومن) ذلك الذى أتحفهم به أيضا مولاهم المتفضل المنان أن لهم لطفا من الله يخصهم به فى السر والاعلان (ومن ذلك) جوازهم على الصراط أسرع من لحظ العين وورودهم الحوض على النبى صلى الله عليه وسلم ورود الكرامة دون مين (ومن ذلك) أيضا استظلالهم فى الحشر بظل عرش الرحمن وفوزهم بما يغبطهم به هناك الأكابر من أهل العرفان (ومن ذلك) أيضا ما خصوا به من أجل هذا الامام من ذكر سبعين ألف ملك مع كل ذاكر منهم مهما ذكر فى كل منزل ومقام (ومن ذلك) أيضا وهو غاية كل مقصد ومرام مجالستهم لحبيب الله وصفوته من الأنام عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى السلام ومع هذا كله فنسبة هذا الذى ذكرنا لم يذكر من الفضائل والأسرار كنسبة نقطة للبحر الهائل الزخار نسأل الله ربنا المولى الكريم الرءوف الرحيم بجاه هذا الشيخ العظيم ونبيه المصطفى الكريم أن يجعلنا من جملة من شملته هذه الدائرة الفضلية وعمته هذه النفحة الوهبية آمين آمين آمين والحمد لله رب العالمين (وهذه) اثنا عشر فضيلة اشتملت عليها هذه الأبيات الخمسة عشر من هذه الارجوزة الجليلة (منها) ما هو مذكور فى كتاب الجواهر (ومنها) ما فى الجامع وغيره من المؤلفات والمجاميع المشتملة على كلام سيدنا رضى الله عنه الثابت عنه المشهور المتواتر وسنبين جميع ذلك الآن ان شاء الله تعالى أتم بيان والله المستعان وعليه التكلان (فأما) الفضيلة الاولى فهى فى الجامع وعدها مؤلفه رحمه الله من مناقب سيدنا رضى الله عنه فقال ومن مناقبه أن أصحابه الداخلين فى طريقته لهم مراتب يوم القيامة أكبر من مراتب الاولياء اه (وتعبير) الناظم بالاقطاب تبع فيه

مافى بعض الوجادات لمن لازم سيدنا رضى الله عنه من خاصة الأصحاب على أن مافى الجامع يتناوله بعمومه لأن لفظ الأولياء عند الاطلاق يصدق عليه بمفهومه (وقول) الناظم هنا من طيبه قد طابوا كالتعليل لهذه الفضيلة السنية ومعناه انهم أعنى أصحابه الداخلين فى طريقته رضى الله عنه إنما نالوا هذه الخصوصية على أكابر الأولياء من أجل مقامه الارفع الذى لامطمع فيه لغيره من كمل العارفين الأتقياء (وكان) الناظم رمز به الى مانبت عن بعض الخاصة من الأصحاب المشار اليهم بالفتح بين الاخوان والأحباب من انه تلقى عن بعض أهل الاختصاص ممن كان يرى النبى صلى الله عليه وسلم وكان اذذاك بالمدينة المنورة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام أن مما أكرم الله به سيدنا رضى الله عنه وتفضل به عليه من الخصوصية التى يعز مثلها ووجودها لغيره الحاق أصحابه بدرجته ورتبته فى جميع مقاماته التى لايزال مترقيا فيها الى أبد الآباد فلا يرتقى من مقام من المقامات حتى يحصل المقام الذى قبله بمزية الالحاق لاتباعه رضى الله عنه ولايزال كذلك من فضل الله تعالى كلما ترقى من مقام الى مافوقه خلفه فيه أصحابه وأتباعه دائما أبدا ومزية الالحاق التى أشرنا اليها هى المستأنس لها عندهم بقوله تعالى « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم - الآية » قالوا فكما ان الله تعالى يلحق بالمؤمنين ذريتهم المؤمنين فى الفضل وان لم يساووهم فى الأعمال الصالحة فكذلك يلحق من شاء من الاتباع لمتبوعهم فى الفضل وان لم يدركوا درجته فى العمل ويشير إلى هذا الالحاق ماأخرجه الامام مسلم فى صحيحه من رواية ثابت البنانى عن أنس رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله متى الساعة قال وما أعددت لها قال حب الله ورسوله قال فانك مع من أحببت قال أنس فما فرحنا بعد الاسلام فرحا أشد من قول النبى صلى الله عليه وسلم فانك مع من أحببت قال أنس فانا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وان لم أعمل بأعمالهم فتأمل قوله وان لم أعمل بأعمالهم تتضح لك هذه الاشارة (ثم) انه لايلزم من هذا أن تكون منزلة الملحق وجزاؤه مثل منزلة الملحق به من كل وجه فافهم والله تعالى أعلم (قلت) وهذه من أعظم الكرامات لسيدنا رضى الله عنه وان كان يعزب فهمها عن كثير من الناس كغيرها من جل كراماته رضى الله عنه وكرامات طريقه المباركة السنية والسر فى ذلك أن هذه الطريقة لما كانت أذواق من يسلك عليها غريبة لأنها تفاض عليهم بحسب مقام شيخهم وأستاذهم لا بحسب مراتبهم ومامهم عليه فى استعدادهم كانت كراماتها فى غاية مايكون من الدقة حتى يكون إدراكها كرامة أخرى فى حق من أدركها لأنها لاتدرك الا بالصفاء التام والفتح والالهام وبهذا تكون كرامة دائمة لسيدنا رضى الله عنه بدوام من يفتح له فى إدراكها من أصحابه واتباعه وراثة محمدية وخصوصية أحمدية * والله تعالى أعلم وأحكم (وأما) الفضيلة الثانية فهى مما ثبت عن سيدنا رضى الله عنه على السنة الثقات من أصحابه ومن المتواتر المشهور أيضا بين اتباعه وأحبابه وسببها ماحدثنى به بعض الفضلاء من أصحابه وملازميه رضى الله عنه أن رجلا أجنبيا عن فقرائه بات معه ليلة من الليالى التى كان يبيت فيها بالزاوية المباركة مع الفقراء الكرام فلما أصبحوا ذهب ذلك الأجنبى وجعل يتحدث مع العوام على عادة المتهورين القاصرى الافهام ويقول كنت أظن أن هذا الشيخ وأصحابه يبيتون فى حال اجتهاد من أنواع العبادة فاذا هم يبيتون كما يبيت غيرهم من الناس لا يزيدون على المحادثة بينهم فيما يتحدث فيه كل الناس فتناقل خبر ذلك الانسان فبلغ الشيخ رضى الله عنه

وجل فانه من أسمائه تعالى فيكون المراد ان نصره صلى الله عليه وسلم للدين كان بمعونة الله وتأييده لا بنفسه ولا بشىء من عوالمه وفيها احتمالات أخر وقوله والهادى الى صراطك المستقيم معناه واضح فانه الهادى لعباد الله تعالى بدعائهم اليه وتعريفهم طريق نجاتهم قال تعالى « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » بل هو باب الله تعالى وصراطه المستقيم قال

وأنت باب الله أى امرىء
أتاه من غيرك لا يدخل

قال فى مطالع المسرات والهداية على أنواع منها خلق الاهتداء ويوصف بها الله تعالى خاصة ومنها البيان والدلالة بلطف وهو أصل معنى الهداية وهذه يوصف بها الله سبحانه والنبى صلى الله عليه وسلم ومنها الدعاء ومنه « ولكل قوم هاد » ولا تستعمل الهداية إلا فى الخير وأما قوله تعالى « فاهدوهم الى صراط الجحيم » فوارد على طريق التهكم وهدايته صلى الله عليه وسلم لما فيه صلاح المعاش والمعاد ظاهرة انتهى وغير ماذكرناه من ألفاظها ظاهر لايحتاج إلى تفسير وبالله التوفيق

( تنبيه ) فان قال قائل لم تذكرون هذا العدد الكثير من لفظ لاإله إلا الله من غير مقارنة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالجواب أن هذا وقوف مع ماحده الأشياخ الذين هم أدرى بسر ذلك ولا اعتراض للشرع عليه بل فى الكتاب العزيز فى غير ما آية لا إله إلا الله من غير مقارنة للشهادة الأخرى كقوله تعالى « اذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون » وقوله تعالى « فاعلم أنه لا إله

وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير بدون لفظة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو هـذا كثير وذلك لأن الأذكار الشرعية لما تضمنته من الحكم البارعة تتنوع بتنوع الأحوال القلبية وبالجملة فانما يعاب من قال ذكر الرسول حجاب عن الله تعالى ولذلك تركه وهذا من أسوأ الأدب وحاشا أشياخنا من مثل هذا بل ذكر الرسول عندهم أعظم كاشف للحجاب فلذا كان أكثر حظهم ومبنى أمرهم على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما حكى عن الشاذلى رضى الله تعالى عنه ويرحم الله الشيخ أبا عبدالله سيدى محمد السنوسى حيث يقول فى شرحه لنظم الجزائرى رضى الله تعالى عنهما فما من لحظة ولا حالة يريد العبد المؤمن أن يذكر مولانا جل وعلا ويتقرب إليه بقربة بها رضاه إلا يذكر فيها هذا السيد صلوات الله وسلامه عليه إذ هو دليله فى ذلك الذكر وفى تلك القربة فقد حجر سبحانه خيرات الدنيا والآخرة أن تخرج من باب إلا من باب هذا النبي الشريف صلوات الله وسلامه عليه فقد بان بهذا أنه كما احتاج المؤمن إلى ذكر الله جل وعلا على الدوام احتاج إلى ذكر دليله من خلقه وأفضلهم عنده كذلك على الدوام إذ ذكره بالصلاة والسلام والتسليم عليه ذكر لله تعالى قطعا بامتثال أمره وشكر أشرف نعمه والتقرب اليه بذلك

فقال رضى الله عنه مبشراً ومثبتا لأصحابه الذين طرق أسماعهم ذلك كل من عمل عملا لله تعالى فرضاً أو نفلا وتقبل منه يعطينا الله على ذلك العمل أزيد مما يعطيه لعامله بأكثر من مائة ألف ضعف ونحن رقود اه (وداخل) نفسه رضى الله عنه فى عموم الكلام مع أصحابه إشارة إلى ماتقدم من مزية الالحاق فانهم (وفى ذلك) إيماء إلى أنهم إنما نالوا تلك المزية من أجله رضى الله عنه ويؤيده مافى الجامع من التصريح بذلك فى مثل هذا وذلك أن مؤلفه أخبر أن سيدنا رضى الله عنه قال يعطى الله لأصحابنا ثواب كذا قال فقلت له ثواب الأعمال أو ثواب المرتبة فقال لى رضي الله عنه ثواب الأعمال والمرتبة قلت له وهذا الفضل العظيم حصل لهم بسبب الفاتح لما أغلق أو بغير ذلك قال فسكت هنيهة ثم قال من أجلنا لله الحمد والمنة (قال) ثم سألته رضى الله عنه عن الفرق بين ثواب العمل والمرتبة (فأجاب) بقول امام الطريقة الجنيد رضى الله عنه من أقبل على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان مافاته فى تلك اللحظة أكثر مما فاته فى ألف سنة قال قلت له مامعنى كلامه قال أهل التجلى يعطي الله للواحد فى كل نفس كذا وكذا من التجليات فى كل تجل قدر مايعطيه لجميع الخلق وفى النفس الثانى كذلك وفى النفس الثالث كذلك وهكذا مادام عمر الدنيا والآخرة ونسبة كل تجل لما بعده كنقطة فى بحر ويقوم بوظائفها وآدابها كلها فهذا هو ثواب المرتبة (قال) ثم قال رضى الله عنه ويعطى ثواب المرتبة لأصحابنا وإن كانوا أصحاب حجاب قال المؤلف أعنى مؤلف الجامع رحمه الله وهذه خصوصية عظيمة جعلنا الله من أهلها دنيا وأخرى آمين (وإذا) عرفت هذا فقد اتضح لك أوجه فى هذه الفضيلة بحمد الله تعالى وقد كان يتبادر لى فى حال المذاكرة مع الأصحاب فى هذه الفضيلة قبل أن أرى ماذكره فى الجامع هنا أن الوجه الذى من أجله اختص بها أهل هذه الطريقة هو ذكرهم لصلاة الفاتح لما أغلق وهو وإن كان يظهر فيه ذلك لما فيه من تضعيف صلوات المصلين على النبي صلى الله عليه وسلم وذكرهم وتسبيحهم فهذا الذى ذكره فى الجامع عن سيدنا رضى الله عنه أوضح وأبلغ وأصرح كيف وقد أعطى فيه القوس باريها وأسكن الدار بانيها نفعنا الله بعلوم سيدنا وأسراره وعمر ظواهرنا وبواطننا بمشرقات أنواره آمين (وأما) الفضيلة الثالثة فهى من المشهور المتواتر بين أصحابه رضى الله عنه ومن بعدهم من الاتباع وحدثنى بها بعض العلماء الأجلاء من خاصة أصحابه رضى الله عنه ومشاهير أعيانهم نفعنا الله ببركاتهم قال لى قدس الله سره حضرت مع والدى وكان ممن أخذ الطريقة فى أول ظهورها عن سيدنا الشيخ جعلنا الله فى حماه وكان قد طال عهده رضى الله عنه برؤيته يعنى والده المذكور فسأله الشيخ من أنت فقال له إن المشايخ يعرفون تلامذتهم بظهر الغيب ويحضرون معهم عند الموت فى كلام ينحو منحى هذا فقال سيدنا رضى الله عنه مجيباً له عند ذلك هو صلى الله عليه وسلم كفانى الحضور مع أصحابى عند الموت وعند سؤال الملكين فى القبر ففرح الحاضرون بهذه البشارة العظيمة وعدوها من بركات السيد المحدث بها ومن مآثره الجسيمة لأنه هو الذى أتى بوالده المذكور ليجدد العهد بالأخذ عن الشيخ رضى الله عنه لما كان حصل له من الفتور حسبما يظهر ذلك من خطابه للشيخ رضى الله عنه بما تقدم فجدد العهد وزال ماكان اعتراه من الفتور وظهرت هذه الكرامة العظيمة والبشارة العميمة بسبب صدق نيته وأثر همة ولده السيد المحدث بالقصة رحمهما الله تعالى (وقد) ظهر والحمد لله مصداق هذه البشارة العظمى بين الأصحاب فى سائر البلاد حتى شهد بها غير ماهرة من حضرها من أهل الانتقاد فكثيراً ما أخبر

بأعظم وسائله كما أن ذكر الله يستلزم ذكره عليه الصلاة والسلام إذ هو دليل ذلك الذكر ومنه عرف ولا

بذلك المحتضرون من الرجال والنساء والعبيد والاماء من أهل هذه الطريقة المباركة فى ذلك الموطن العظيم وكثير ماظهرت آثار ذلك فى الشواهد الحالية على من لم يفصح بالاخبار به جعلنا الله من المتعلقين بأذياله والثابتين على حبه وحب من يحبه بجاه سيدنا ومولانا محمد خاتم أنبيائه ورسله صلى الله عليه وسلم وعلى آله آمين آمين آمين والحمد لله رب العالمين

﴿ وأما ﴾ الفضيلة الرابعة وهى حضور النبى صلى الله عليه وسلم لأهل هذه الطريقة عند سؤال الملكين فنص كلام الشيخ رضى الله عنه فيها ماتقدم ولا محالة أن هذا الحضور حضور مخصوص فهو غير الحضور العام المشار إليه فى حديث سؤال القبر بقوله فيه ماعلمك بهذا الرجل على ماذكره العلماء فيه لأن فى هذا الحضور كما يدل له سياق الكلام مزيد تأنيس وكرامة لهم مع كفايتهم ذلك بحصول شفاعته صلى الله عليه وسلم لهم وما آل ذلك إلى ماهو مذكور فى الجواهر وكذا فى الجامع من ضمان النبى صلى الله عليه وسلم للشيخ رضى الله عنه تأمينهم من كل مخوف ومكروه من الموت الى الاستقرار فى عليين ﴿ تنبيه ﴾ قال ابن أبى جمرة رحمه الله لما تكلم على فتنة القبر ماحاصله قوله عليه الصلاة والسلام يقال ماعلمك بهذا الرجل المراد به ذات النبى صلى الله عليه وسلم ورؤيته بالعين فى هذا دليل على عظم قدرة الله تعالى فان الناس يموتون فى الزمن الفرد فى أقطار الأرض على اختلافها وبعدها وكلهم يراه قريبا منه ثم قال وفيه رد على من يقول إن رؤيته صلى الله عليه وسلم فى الزمن الفرد فى أقطار مختلفة على صور مختلفة لا تمكن لأن القدرة صالحة لما نحن بسبيله ﴿ وأما ﴾ الفضيلة الخامسة وهى أنه يسوءه صلى الله عليه وسلم مايسوء أهل هذه الطريقة فهى من التواتر عن سيدنا رضى الله عنه أيضا وذلك أنه وقع بين رجلين من أصحابه رضى الله عنه مناقضة توجب مجافاة فأمر رضى الله عنه أن يصلح بينهما وقال إن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بذلك وقال قال لى صلى الله عليه وسلم قل لأصحابك لا يؤذى بعضهم بعضا فانه يؤذينى مايؤذيهم ووجه هذا ظاهر بين لأن طريقة الشيخ رضى الله عنه طريقة المحبوبية والمحبوبية درجة من يلتحق صاحبها بالاولاد والذرية عند من وقعت عليه منهم من نبى أو ولى كامل كما يشير إليه حديث سلمان منا أهل البيت وكما وقع لسلطان العاشقين الشيخ أبى حفص عمر بن الفارض رضى الله عنه حيث ألحقه صلى الله عليه وسلم ببنيه وذريته وهو من بنى سعد قبيلة سيدتنا حليمة السعدية شرف الله قدرها وقد قال صلى الله عليه وسلم فى مولاتنا فاطمة الزهراء بنته رضى الله عنها فاطمة بضعة منى الحديث ولا مانع أن يلتحق بها فى ذلك من وقع عليه سهم المحبوبية الخاصة منه صلى الله عليه وسلم مزية له وخصوصية وكرامة من الله تعالى ويؤيد ماذكرناه من ثبوت المحبوبية منه صلى الله عليه وسلم لاهل هذه الطريقة من أجل شيخهم وأستاذهم رضى الله عنه بسابق الفضل الالهى والاختصاص الربانى ماثبت عن سيدنا رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له أنت حبيبى وكل من أحبك حبيبى ذكره فى الجواهر وكذا فى الجامع أيضا وفيما وقفت عليه من كلام صاحب الرماح أن من خصائص أصحاب سيدنا رضى الله عنه الداخلين فى طريقة محبة النبى صلى الله عليه وسلم لهم محبة خاصة غير التى تشملهم وتشمل من ذكر معهم من المتعلقين به رضى الله عنه ( وفيه ) أيضا أن بعد الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه الوارثين لأسراره وأنواره حدثه وهو معه بالمدينة المنورة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له أنت ابن الحبيب وأخذت طريقة الحبيب الى غير ذلك مما يتأيد به ماذكرناه

اعتداد به إلا من جهة الاقتداء به انتهى باختصار وتلفيق * المبحث الرابع فى شروط هذا الورد وما يسقط به من الأعذار وحكم من فرط فيه حتى خرج وقته وإثم من تركه تهاونا وما يلحق بذلك أما شروطه فطهارة الحدث والخبث وترك الكلام الكثير وعدم الاجتماع مع ورد واستقبال القبلة والمحافظة على الصلوات فى أوقاتها فى الجماعات إلا لضرورة فى هذا كله وأن لا ينقص الركوع عما يقال فيه سبحان ربى العظيم ثلاثا والسجود عما يقال فيه سبحان ربى الأعلى ثلاثا والأربعة الاول شروط صحة وغيرها شروط كمال والحائض لا يمنعها الحيض من الورد وعليها ماقدرت عليه من شروطه وصاحبه لا يزور المشايخ بنية التعلق بهم ويعظم الأولياء كلا ويعظم أهل الورد كلا وتكنفيه أوراد شيخه فى أغراضه الدينية والدنيوية ولا يلقى لمن عنده ورد حتى يتركه وينسلخ عنه فعند ذلك يلقنه من له الاذن الخاص من الشيخ ولا خوف عليه من صاحبه أيا كان من الأولياء الاحياء والأموات وهو آمن من كل ضرر يلحقه فى الدنيا والآخرة لا من شيخه ولا من غيره وله أن يزور باعتقاد أنه يصل المزور لله لا غير لأن الاولياء أبواب الله تعالى ويطلب عند مواصلته لهم رضا الله ورضا شيخه عليه وله أن يزور القبور ليتذكر بها الآخرة

وبالجملة فالمنهى عنه من الزيارة زيارة بهم ومن تأهل للتقديم فله أن يقدم من كان أهلا للتقديم فى إعطاء الورد لمن طلبه وله أن يقدم عشرة تحته لا أزيد ان احتاج لهم لبعد المسافة أو عذر آخر ومن أذن له المقدم كمن أذن له الشيخ ومن أخذه عن مقدم فكمن أخذه عن الشيخ وله من الفضل والمزية ما لمن أخذه عن الشيخ سواء بسواء وللمقدم ما للشيخ من الحرمة وأما ما يسقطه من الاعذار فالمرض والسفر أما المرض فصاحبه مخير بين الاتيان بالورد وعدمه وأما السفر فلا يسقط به إلا الوظيفة فيما كتب لنا به أخونا المكرم بانم ابن حم ختار الحاجى خلافا لبعض من لقيناه من تلامذة الشيخ سيدى محمد الحافظ فى عدم سقوطها بالسفر والله تعالى أعلم وأما من فرط فيه فان كان لمرض فلا قضاء عليه ويكتب له أجره والا فعليه القضاء والورد والوظيفة فى ذلك سواء إلا أن الأمر فى الوظيفة أخف لما قدمناه عن وثيقة الاجازة وأما من تركه فان كان كسلا من غير رفض للورد والطريقة فان ذلك لا يخرجه عن دائرة أهل الورد وإن كان رفضا للورد فان جاء تائبا نادما أعطيه وإلا فلا هذا ما كتب لنا به شيخنا محمد الحافظ رضى الله تعالى عنه هذا حكم المضيع غير المتهاون وأما من تركه تركا كليا أو متهاونا به فانه تحل به عقوبة ويأتيه الهلاك وتصب عليه مصائب الدنيا والآخرة ولا يقدر له أحد على شىء هكذا ذكره الشيخ الأكبر رضى الله تعالى عنه وقال ان النبى

(وأما) الفضيلة السادسة وهى أن لأهل هذه الطريقة لطفين اللطف العام واللطف الخاص بهم فهى مما هو متواتر بين الأصحاب والأتباع وقد حدثنى بها بعض العلماء من أصحابه رضى الله عنه قال لى رحمه الله تعالى سمعته رضى الله عنه يقول اللطف لطفان اللطف الممتزج بالمشيئة الالهية وهو الذى أشارت إليه الآية الكريمة إن ربى لطيف لما يشاء وهو المشار إليه فى قول صاحب الحكم من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره ولطف خاص يختص الله تعالى به أهل الخصوصية من عباده وهو لازم بفضل الله تعالى لأصحابى لا ينفك عنهم فى سائر تقلباتهم ولا ينفك اللطف العام عن المشيئة الربانية وكان بعض الفضلاء من أصحاب سيدنا رضى الله عنه الملازمين له يقول لنا عند المذاكرة فى هذه الفضيلة قد شوهد جريان الألطاف الخاصة فى أمور والدى سبق فى علم الله أن سيكون من أهل هذه الطريقة بحيث تحس بذلك أمه وهو فى بطنها وكذلك فى ابان رضاعه وغيره من أطوار طفوليته ولا بعد فى هذا الذى ذكره هذا السيد رحمه الله فان المشايخ الكمل لا يزالون يربون تلامذتهم فى سائر أطوارهم قبل الأخذ عنهم بلا شك كما هو مصرح به عن غير واحد منهم رضى الله عنهم أجمعين (وأما) الفضيلة السابعة وهى جواز أهل هذه الطريقة على الصراط أسرع من طرفة العين على كواهل الملائكة فهى مما هو داخل فى ضمان النبى صلى الله عليه وسلم للشيخ رضى الله عنه حسبما فى الجواهر والجامع (وأما) الفضيلة الثانية وهى ورودهم الحوض الخ فهى كالتى قبلها أيضا مضمونة لهم مذكورة فى الكتابين معا (وأما) الفضيلة التاسعة وهى وقوفهم تحت ظل العرش فى المحشر فهى كذلك فى الكتابين أيضا ورأيت فيما وقفت عليه من كلام صاحب الرماح نفعنا الله ببركاته ما نصه وقال سيدنا رضي الله عنه إن أصحابى لا يحضرون الموقف ولا يرون صواعقه ولا زلازله بل يكونون مع الآمنين عند باب الجنة حتى يدخلوا مع المصطفى صلى الله عليه وسلم فى الزمرة الأولى مع أصحابه ويكون مستقرهم فى جواره صلى الله عليه وسلم اه بلفظه فلهم مع وقوفهم تحت ظل العرش زيادة هذه الكرامة أيضا (وأما) الفضيلة العاشرة وهى غبطة أكابر الأقطاب لهم لما يرون من مكانتهم وما لهم من الفضل عند الله تعالى فهى من المتواتر المشهور على السنة الاتباع رواية عن ثقات أصحابه رضى الله عنهم (وأما) الفضيلة الحادية عشر وهى ذكر سبعين ألف ملك مع الذاكر من أهل هذه الطريقة مهما ذكر ذكراً كيفما كان على الاطلاق فهى فى الجواهر وهى مما خص به سيدنا رضى الله عنه عن سيد الأولياء ثم التحق به فيه أتباعه من فضل الله تعالى حسبما هو مذكور فى الجواهر أثناء الكلام فى فضل اسم الله العظيم الأعظم فليراجعه هنالك من أراد ذلك (وأما) الفضيلة الثانية عشر وهى مجالسة سيد البشر صلى الله عليه وسلم فهى فى الجواهر أيضا من جملة فضائل جوهرة الكمال وذلك من الشائع الذائع بين الأصحاب وغيرهم وهنا من الأسرار مالا تستقل بحمله الاسفار ولا تتسع له العقول والأفكار فلسان حال الشيخ ينشد فى مثلها تعزية منه رضى الله عنه فيها لمن لبس من أهلها وإغراء لأهلها بادراكها ونيلها:

وفى السر أسرار دقاق لطيفة * تباح دمانا جهرة لو بها بحنا

وبقى من فضائل أهل هذه الطريقة الشريفة وخصائصهم السامية المنيفة مالم يذكره الناظم رحمه الله تعالى فى هذا المحل من هذه القصيدة ولعله استغنى عنه بما سيذكره قريبا من فضائل الياقوتة الفريدة وجل ذلك مستوفى فى الكتابين الجواهر والجامع فليراجعهما من أراد أن يقف

من

من ذلك على ما تقربه الأعين وتقرط به المسامع وقد كنت أردت أن أذكر من ذلك غير ماهو فى الكتابين مذكور ومعلوم فأحجم القلم عنه خشية أن يكون عند الشيخ رضى الله عنه من الأمر المكتوم إذ قد أفصح رضى الله عنه حسبما تقدم بأن نسبة ماذكر مما لم يذكر من هذه الفضائل كنسبة النقطة من البحر الزاخر الخضم ثم فى هذا القدر الغنية والكفاية لمن ألهمه الله التصديق والهداية (ولما) كانت هذه الفضائل كلها مشروطا فى نيلها عدم الأمن من مكر الله تعالى والاصرار على المخالفة اتكالا على ماسمع من فضلها أشار الناظم إلى ماذكره الشيخ رضى الله عنه فى التحذير من ذلك فقال (تحذير) أى هذا تحذير وتخويف وإنذار لمن سمع ماذكر من الفضل ثم ركن بسببه إلى أمن المكر وأخلد إلى التمادى على العصيان والمخالفة بطريق الاصرار والانهماك والاغترار ثم قال رحمه الله

﴿ ومن رأى ذا الفضل ثم اتكلا * عليه فاعلا لما قد حظلا ﴾
﴿ يسب غوث العالم التجانى * شيخ الشيوخ العارف الربانى ﴾
﴿ فعند ذاك لايموت إلا * إذا بحلية الشقا تحلى ﴾
﴿ أنظره فى جواهر المعانى * فى فيض قطب العالم التيجانى ﴾
﴿ ومن لمكر الله ربنا أمن * فذاك بالخسران والطرد قمن ﴾
﴿ وجاء ذا الوعيد فى القرآن * أعاذنا الله من الخسران ﴾
﴿ فالأنبياء على على رتبتهم * لم يأمنوا بذاك مكر ربهم ﴾

(رأى) بمعنى علم (وحظل) هنا بمعنى منع فى حكم الشرع (ويسب) من سبه يسبه إذا شتمه ووقع فيه بلسانه (والشقا) ضد السعادة (وقمن) حقيق وباقى الألفاظ واضح (يقول) ان من سمع بهذه الفضائل السنية الفخار ثم اتكل على ذلك وانهمك فى ارتكاب المخالفة والتمادى على الاصرار فان الله تعالى يلبس قلبه والعياذ بالله بغض هذا الامام الأعظم حتى يقع فى جانبه بالسب والشتم فعند ذلك يسجل عليه بالشقاء والخذلان فيبوء بالهلاك والخسران والارتكام فى مهواة الكفران والعياذ بالله تعالى وذلك لامنه مكر المولى الجبار ذى البطش الشديد وقد جاء فى القرآن العظيم ماجاء فى ذلك من الوعيد والأنبياء عليهم السلام مع مالهم عند الله تعالى من الجاه الخطير لم يأمنوا مكر ربهم القدير (وعقد) الناظم رحمه الله تعالى فى هذه الأبيات مافى جواهر المعانى وغيره من قول سيدنا رضى الله عنه على وجه التحذير لأصحابه والارشاد لهم (أقول) لكم ان سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ضمن لنا أن من سبنا ودام على ذلك ولم يتب لايموت إلا كافراً (وأقول) للاخوان ان من أخذ وردنا وسمع مافيه من دخول الجنة بلا حساب ولاعقاب وانه لاتضره معصية فطرح نفسه فى معاصى الله واتخذ ذلك حبالة إلى الامان من عقوبة الله فى معاصيه ألبس الله قلبه بغضنا حتى يسبنا فاذا سبنا أماته الله كافرا فاحذروا من معاصى الله ومن عقوبته ومن قضي الله عليه منكم بذنب والعبد غير معصوم فلا يقربنه الا وهو باكى القلب خائف من عقوبته والسلام اه وفى معنى قوله رضى الله عنه باكى القلب الخ قول القائل

الله يعلم ما أتم هممت به * إلا ونقصه خوفى من النار
وان نفسى ما همت بمعصية * إلا وقلبى عليها عاتب زارى

وقول الناظم فالأنبياء على على رتبهم البيت أتى به تأكيداً لماقبله فكأنه يقول واذا كان الأنبياء

ولذلك تراهم يحافظون على المندوب حتى كأنه واجب ويتركون المكروه حتى كأنه حرام ومن ثم ضل من لايعرف مبنى طريقهم فى أخذهم بالأحوط والكمال فيرون أن ذلك تشديد فى الدين وحرج ومن هنا سقط بعض المعترضين على شيخنا فى اشتراط ماقدمناه من الشروط وجهلوا ماقدمنا من أن مبنى الطريق على الكمال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ومن جهل شيئا عاداه فاذا تمهد هذا فانرجع الى توجيه بعض ماذكره الشيخ من الشروط فى ورده أما الطهارة ففى الحديث انه صلى الله عليه وسلم تيمم لرد السلام وفيه أنه توضأ له واعتذر إلى المسلم عليه وقال إنى كرهت أن أذكر الله تعالى على غير طهارة رواه أبو داود ذكره الفاسى فى شرحه لعدة الحصن الحصين ثم قال ونقل النووى فى حليته وينبغى أن يكون الموضع الذى يذكر الله فيه خالياً نظيفا فانه أعظم فى احترام الذكر والمذكور ولهذا مدح الذكر فى المساجد والمواضع الشريفة قال وجاء عن الامام الجليل أبى ميسرة رضى الله تعالى عنه لايذكر الله تعالى إلا فى مكان طيب انتهى وقال فى عدة الحصن الحصين وينبغى أن يكون المكان الذى يذكر الله فيه نظيفا خالياً والذاكر على أكمل الصفات الطيبة قال شارحه المذكور أى ظاهراً وباطنا بقدر الامكان وقال

السيد الساحلى رحمه الله تعالى ومن آدابهم استصحاب الطهارة حتى يكون جميع مايتلبسون به من أعمال الخير صادراً على أكمل الهيئات

عليهم الصلاة والسلام على ما اختصوا به من كمال العصمة وعلو الرتب بين الأنام لحقهم الخوف من الرب الكبير المتعال ولم يأمنوا مكره لكمال معرفتهم فى حال من الأحوال فما بالك بمن عداهم وأشار بهذا إلى نحو ما حكاه الله تعالى فى القرآن عن الكليم عليه السلام وفى قوله جل وعلا « فأوجس فى نفسه خيفة موسى » وذلك بعد أن قال له تبارك وتعالى فى وقت الرسالة « سنجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون » حيث لحقه الخوف مع كمال عصمته بعد ما سمع فى وقت الرسالة ما سمع وما ذلك إلا لعدم أمنه مكر الله تعالى فى حال من الأحوال ومثل هذا ما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم يوم بدر فانه صلى الله عليه وسلم كان وعده ربه عز وجل النصر على قريش والظفر بهم وأراه مصارعهم ومع ذلك لما رآها تصوب من كثيب الرمل آتية لبدر قال اللهم هذه قريش جاءت بفخرها وخيلائها تحادك وتكذب رسولك اللهم نصرك الذى وعدتنى ثم لما سوى الصفوف للقتال انعزل ناحية وحده فى العريش يستغيث بالله وأبو بكر قائم على رأسه يحرسه ويقول دع مناشدتك ربك فان الله منجز لك ما وعدك به وهو صلى الله عليه وسلم لا يقلع عن المناشدة والاستغاثة إلى غير هذا مما أشارت إليه الآى القرآنية الكريمة فى حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مما يدل على عظيم خوفهم من الله تعالى الذى لم يكن يزايلهم فى حال من الاحوال وذلك لأن خوفهم على قدر معرفتهم (وقد) ورد فى حق الصحابة رضى الله عنهم مما يدل على عدم أمنهم من مكر الله تعالى مع كمال فضيلتهم وثبوت خصوصيتهم التى لم يسبقهم فيها أحد من العالمين ما عدا الأنبياء والمرسلين وكذلك فى حق كبار التابعين مع قوة إيمانهم وشدة متابعتهم وكثرة مجاهدتهم التى اختصوا بها عمن عداهم ممن بعدهم وبالجملة فقد قال العلماء التحقيق هو أن الوعد لا يمنع الدهشة وخوف الصدمة كما سيقع للأنبياء عليهم الصلاة والسلام يوم القيامة والعشرة المبشرون بالجنة كانوا يخافون سوء العاقبة لاحتمالات وانظر نسيم الرياض ولو تتبعنا ما ورد فى ذلك لأفضى بنا إلى التطويل وخرج بنا عن المقصود وانظر صحيح الامام البخارى فى باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله الخ من كتاب الايمان مع ما ذكره شراحه فى هذا المحل أيضا ففيه كفاية والله ولى التوفيق وقد كان سيدنا رضى الله عنه كثيراً ما يحذر أصحابه منه ويتلو فى كل مرة قوله تعالى « فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون » وخصوصا إذا ذكر ماله ولأصحابه من الخصوصيات على وجه التبشير لهم والتحدث بالنعم فانه ما ذكر شيئا من ذلك إلا وقيده بقوله هذا إن سلمنا من مكر الله تعالى هذا دأبه كان مدة حياته رضى الله عنه وكان كثيراً ما يقول متبرئاً من كل ما يوجب أمانا من مكر الله تعالى له ولأصحابه ما عندنا إلا فضل الله تعالى وشفاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم لما أنهى الناظم الكلام فى التعريف بالشيخ رضى الله عنه وبيان سند هذا الورد الشريف وما لآخذه من الفضل وكان الورد انما يؤخذ على الشيخ رضى الله عنه أو عمن وصله الاذن فى اعطائه منه من طريق الصحة مع مراعاة الأهلية المشروطة فى ذلك اتبع الناظم ما تقدم ببيان صفة المقدم المأذون له فى الاعطاء فقال

﴿ صفة المقدم ﴾

أى هذا مبحث صفة المقدم أو فصل ذكر صفة المقدم أو نحو ذلك قال

﴿ يعطيه من قدمه الشيخ ولا * يقدم الغير سوى من حصلا ﴾



الذى يعود على الباطن بصفاء وتنوير انتهى ملخصا وأما استقبال القبلة فوجهه أن الذاكر يناجى ربه فينبغى أن يكون منتصبا إلى بيت الله وحرمه ففى الحديث خير المجالس ما استقبل به القبلة وفى لفظ آخر أكرم المجالس ما استقبل به القبلة مع ما فى التوجه إلى القبلة من السر الذى يعود بصرف الباطن إلى الله تعالى وجمع الفكر فى مناجاته وهو سر التوجه إلى القبلة فى الصلاة وأما ترك الكلام فوجهه أن الذاكر إذا توجه لاداء ورده كأنه قادم على الله تعالى يخاطبه ويناجيه ويحاضره فقبيح قطع ذلك بعارض أو الاشتغال عنه بشاغل ومع ذلك فكأن المتوجه لورده ربط نفسه للوفاء بذلك العدد بعهد الوجهة مع الله تعالى فلا يقطعه إلا لعارض واجب أو كالواجب وإذا أردت أن تنظر وجه الحكمة فى ذلك فتأمله من قصد الشريعة فى الانضباط والارتباط فى الصلاة بالتقييد لما بين احرامها واسلامها أنظر بغية السالك وأما المحافظة على الجماعة فانها متكفلة بالعصمة من جميع المهلكات ولله سبحانه بالمداوم عليها عناية عظيمة فكم يجبر له من كسرة وكم يستر له من عورة وكم يعفى له عن زلة وهى سنة مؤكدة عند أكثر العلماء وقال بوجوبها أحمد وأبو ثور وعطاء وداود وفى الخبر صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين درجة وفى لفظ بسبع وعشرين درجة وفيه لو يعلم المتخلف عن الصلاة فى الجماعة ما للماشى إليها لأتاها ولو حبوا على يديه

ورجليه رواه الامام أحمد والطبرانى مرفوعا وأما ماذكر فى الركوع والسجود فقد تقدم توجيهه فى الباب الخامس

﴿ ذاك له من شيخه ويجرى * ذا فى المقدم ممر الدهر ﴾

﴿ وليس يخلو الدهر من مقدم * ملقن أوراد هذا العلم ﴾

الضمير فى يعطيه للورد ومعنى (يعطيه) هنا يلقنه ويأذن فيه ومعنى (قدمه) هنا أمره أن يلقن الناس بأن قال له قد أذنت لك وأجزت لك أن تلقن الناس هذا الورد والشيخ الأول المراد به سيدنا رضى الله عنه والثانى يحتمل أن يراد به سيدنا أيضا ويكون المراد من حصل له الاذن فى ذلك وان بواسطة ولو تعددت إلى آخر الدهر ويحتمل أن يراد به المقدم الذى أذن له فانه يطلق عليه شيخ أيضا باعتبار تقديمه على غيره ممن يأخذ عنه وقوله (ويجرى ذا فى المقدم الخ) أى يستمر العمل فى المقدم للاعطاء على هذا بأن لا يلقن أحد هذا الورد إلا من حصل له الاذن الصحيح فى ذلك (والدهر) الزمان (وملقن) اسم فاعل لقنه الشىء فتلقنه إذا أخذه من فيه مشافهة يقول وإنما يعطى هذا الورد المحمدى الشريف ويلقن هذا السر الأحمدى المنيف من حصل له الاذن الصحيح باللفظ الصريح من سيدنا الشيخ رضى الله عنه أو ممن حصل له ذلك منه ولو بواسطة أو وسائط تجددت إلى آخر الدهر وإن تكاثرت وتعددت لأن الدهر لا يخلو مادامت الدنيا عمن يلقن أوراد هذا الامام لضمان النبى صلى الله عليه وسلم له بقاء طريقه ببقاء الليالى والأيام ثم ان الاذن فى التقديم أى فى تلقين الورد تشترط فيه الأهلية على السنن المعروف والنهج المألوف فليس الاذن عندنا فى تلقين الورد جريا على نهج الاذن فى ذكره فقط كما يفهمه من لا علم عنده فان الاذن فى ذكر الورد لا يشترط فيه عندنا الا عرض الشروط المشروطة فيه على مريد الدخول فى الطريق ويقررها له حتى يتعقلها فاذا قبلها أذن له فى الورد أيا كان من المسلمين ذكرا أو أنثى كبيرا أو صغيرا حرا أو عبدا طائعا أو عاصيا من غير توقف فى شىء ولا نظر إلى شىء إلا إلى ماذكر من قبوله الشروط فقط وأما الاذن فى تلقينه فتشترط فيه مراعاة الأهلية فلا يؤذن ذلك إلا لمن ظهر عليه من الشواهد الحالية ما يفيد غلبة الظن فى تأهيله لذلك وقد صرح سيدنا رضى الله عنه بهذا فيما وقفنا عليه من الاجازات بخط يده المباركة وهو من المتفق عليه من جميع أئمة الطريق قديما وحديثا واستأنسوا رضى الله عنهم فيما استندوا اليه فيه بنحو قوله تعالى «يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى» الآية ونحو قوله تعالى «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» الآية ونحو قوله تعالى «قل هذه سبيلى ادعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى» وغير ذلك فاتباع الحق وترك اتباع الهوى والدعاء إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وعلى بصيرة هو معنى الأهلية المشروطة عند أهل الطريق والناظم رحمه الله تعالى إنما ترجم هذا الفصل بقوله (صفة المقدم) قصدا منه إلى التنبيه على أن الأهلية فى التقديم لا بد من مراعاتها لكنه لضيق النظم اكتفى باشتراطه وصول الاذن الصحيح من الاذن للمأذون له يعنى فى التلقين لأن الاذن فيه لزوم الأهلية وفرع عنها فلا يوجد إلا حيث توجد الأهلية ولا ينشأ إلا عنها ولا ينبنى إلا عليها فهو بلا هى فى حيز المستحيل الوجود بالنسبة للمتعارف عند أهل الطريق المتفق عليه فيما بينهم فى القديم والحديث ومعنى الأهلية عندنا تقريبا معرفة ما لا بد منه مما يتعلق بالورد كأركانه التى لا يقوم إلا منها ومعرفة وقته الاختيارى والضرورى ومعرفة شروطه التى لا يصح إلا معها وكذا الكمالية منها أيضا ولا أقل من معرفة شروط الصحة ثم معرفة ما يبطله وما يدخله من النقص والخلل وما ينجبر به ذلك ثم ما يلزم مريد الدخول فى الطريق عند إرادة الدخول وبعده ثم معرفة الأذكار

وكذلك ما ذكر فى النهى عن تلقين الورد لمن عنده ورد والنهى عن الزيارة فليراجع هناك وقد قال الحاتمى رحمه الله تعالى كما لا يصلح عالم بين الهين ولا تقع امرأة بين زوجين كذلك لا يفلح مريد بين شيخين وقد ذكر شيخنا من ذلك فى جواهر المعانى ما يشنف الاسماع ويحصل به الامتاع ومن كلامه رضى الله تعالى عنه فيه بعد كلام طويل ومن أكبر الشروط الجامعة بين الشيخ ومريده أن لا يشارك فى محبته غيره ولا فى تعظيمه ولا فى استمداده منه ولا فى الانقطاع اليه بقلبه وليتأمل ذلك فى شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم فان من ساوى رتبة نبيه مع رتبة غيره من النبيين والمرسلين فى المحبة والتعظيم والاستمداد والانقطاع اليه بالقلب والتشريع فهو عنوان على أنه يموت كافرا إلا أن تداركه عناية ربانية بسابق محبة الهية فاذا عرفت هذا فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيه صلى الله عليه وسلم فى المحبة والتعظيم والاستمداد والانقطاع اليه بالقلب فلا يعادل به غيره فى هذه الأمور ولا يشارك معه غيره ومن أكبر القواطع أن ينسب ما عنده من الفتح والأسرار لغير شيخه لأن تلك الأنوار الالهية الواردة على العبد بالأسرار والأحوال والمعارف والعلوم والترقى فى المقامات كل نور منها يحن إلى مركزه وهو الحضرة الالهية التى منها برز وفيها نشأ فلكل شيخ من أهل الله حضرة لا يشترك فيها مع غيره فاذا ورد منها نور بأمر من الأمور التى ذكرناها ونسب إلى غير تلك الحضرة من الحضرات الالهية

إلى أبيه قال تعالى «ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله» فمن نسب نوراً الى غير محله من الحضرة الالهية فقد أساء الادب فى حضرة الحق وكذب على الله والحضرة لا تحتمل الكذب فلذا يطرد ويسلب والعياذ بالله انتهى * المبحث الخامس فى سند هذا الورد وفضله وما أعد الله تعالى لاهله أخبر الشيخ رضوان الله تعالى عليه وخيراته ورحماته المتزايدة لديه قال أخذنا عن مشايخ عدة فلم يقض الله منهم بتحصيل المقصود وانما سندنا وأستاذنا فى هذا الطريق عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم قد قضى الله بفتحنا ووصولنا على يديه ليس لغيره من الشيوخ فينا تصرف وقال أيضا سندنا فى الورد المعلوم النبى صلى الله عليه وسلم وأما المسبعات العشر فاخذناها مشافهة عن شيخنا الشيخ محمود الكردى المصرى رضى الله عنه وهو أخذها عن الخضر مشافهة وأما أحزاب الشاذلى ووظيفة الشيخ زروق ودلائل الخيرات والدور الاعلى فكلها أخذنا الاجازة فيها على شيخنا سيدى محمد بن عبد الكريم السمان قاطن المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وأما فضله فقد قال رضى الله عنه وأرضاه أخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة لا منامًا ما قال لى أنت من الآمنين وكل من رآك من الآمنين ان مات على الايمان الى أن قال وسألته صلى الله عليه وسلم لكل من أخذ عنى وردا أن تغفر لهم جميع ذنوبهم ما تقدم

اللازمة بلزوم الورد الأصلى ومالها من الأوقات وما يقضى منها كالورد ومالا يقضى إذا فات وقته فبمعرفة هذه الأمور يصح رجوع اخوانه اليه فيما يشكل عليهم أو يعرض لهم فى أمر طريقهم ثم بعد هذا معرفة ما يراد من الدخول فى طرق المشايخ وفى أى شىء ولأى شىء يصحبون وان النفع فى صحبتهم مقصور على شهود أمرين الأول أن يعلم أن الشيخ المراد صحبته والدخول فى طريقه ولى لله تعالى فيصحبه ويدخل فى طريقه لتجذبه موالاته لموالاة الله تعالى والأمر الثانى أن يعلم أنه من عبيد الحضرة الالهية وانه عارف من طريق التعريف الالهى مكاشفة ومنازلة بالحضرة من الآداب فيصحبه ليدله على ذلك ومن صحب المشايخ ودخل فى طرقهم بغير هذين الأمرين فقد خسر الدنيا والآخرة قاله سيدنا رضى الله عنه فهذا أقل ما يراعى فيمن يريد التقديم من العلم والمعرفة لما هو بصدده زيادة على معرفة أحكام الطهارة استبراء ووضوءا وغسلا وتيمما وكذا معرفة ما لا تصح الصلاة الا به ومن نقص عن هذا القدر فى العلم لا يصلح للتقديم لأنه لم يحصل على حقيقة ما هو بصدد أن ينقله لغيره كمية وكيفية ووقتا وغير ذلك مما يتعلق بالورد لأنه لم يعرف المراد والمقصود من هذا الأمر الذى يريد أن يدخل غيره اليه ويدله عليه وربما دله على غير المراد وسلك به فى مقصده غير طريق السداد بل ربما أوقعه فى مهواة الطرد والبعاد وقد شوهد فى بعض من ينتحل طريق الارشاد والدلالة على الله تعالى من غير معرفة بل ولا حق ولا حقيقة ما هو مباين صورة ومعنى غاية المباينة لمناهج الشريعة والطريقة وذلك أنه يقول لمن يريد استمالته اليه وإلى حزبه أن من أخذ عنا وانحاز إلى جانبنا يدرك الكلمة الرئاسية فى الأمور المخزنية كفلان وفلان ويذكر له بعض من اتفق له شىء من ذلك فيتعاون عليه هو وشيطانه وهواه فيضله عن طريق الهدى وهو يظن أنه انخرط فى سلك أهل الله وهذه والعياذ بالله من أعظم الفتن الموعود بها فى آخر الزمن ولهذ حذروا من صحبة المتصوفة الجاهلين وإذا عرفت القدر الذى هو أقل ما يراعى فى حصول الأهلية للتقديم من جهة العلم فينبغى أن تعرف أنه لابد فى حصول ذلك من أن يكون من يريد ذلك بعد تحصيله للقدر المذكور من العلم ذا ديانة وعقل وحلم وأمانة ورفع همة عن الخلق ثقة بالملك الحق ومن نقص فى شىء من هذه المذكورات وكان محصلا للقدر المذكور من العلم والمعرفة بحسب ذلك فاصل أركان الأهلية وأساسها هو تحصيل القدر المذكور من العلم بما تقدم وباقى الاركان تدور على مركز مكارم الاخلاق وحسن المعاشرة بقدر الاستطاعة وميزان ذلك كله هو رفع الهمة عن التشوف لما فى أيدى إخوانه من العرض الفانى وعن تكليفهم بما فيه حظ له كيفما كان وانما كان هذا الأخير ميزانا لما عداه من أركان الاهلية ليزن به الموفق حال نفسه فكلما وجد فيها رائحة من الطمع فى رفق يأتيه من قبل إخوانه الذين يلقنهم عرف انه ليس بأهل لذلك ولا مراداً فيكون اشتغاله بالاقبال على إصلاح أمر نفسه أهم الاشياء اليه فلا يقبل التقدم على أحد وأحرى أن لا يتعرض له بطلب أو استجلاب شىء فان فعل فقد أخسر الميزان والعياذ بالله تعالى من أسباب الخسران وقد جمع سيدنا رضى الله عنه فى بعض وصاياه معظم هذه الاركان فقال رضى الله عنه وأوصى من كان مقدما على إعطاء الورد أن يعفو الاخوان عن الزلل وان يبسط رداء عفوه على كل خلل وان يجتنب ما يوجب فى قلوبهم ضغينة أو شينا أو حقداً وان يسعى فى اصلاح ذات بينهم وفى ازالة كل ما يوجب بغضا فى قلوب بعضهم لبعض وان اشتعلت نار بينهم سارع فى اطفائها وليكن سعيه فى ذلك طلبا لمرضاة الله تعالى لا لحظ زائد على ذلك

وأن ينهى من يراه يسعى بالنميمة بينهم وأن يزجره برفق وكلام لين وعليه أن يعاملهم بالرفق والتيسير والبعد عن التنفير والتعسير فى كل ما يأمرهم به وينهاهم عنه من حقوق الله وحقوق الاخوان ويراعى فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا وعليه أن يتباعد عن تغريم دنياهم وأن لا يلتفت الى ما فى أيديهم معتقداً أن الله تعالى هو المعطى والمانع والخافض والرافع وليجعل همته فى تحرير دنياهم من التشتيت والتبذير وأن لا يطلبهم باعطاء شىء لامن القليل ولامن الكثير إلا ما سمحت به نفوسهم من غير طلب فان عقول الناس حول هذا المطاف تدور وعلى هذا المقدار تجرى بهم جميع الأمور اه وهذه الوصية من سيدنا رضى الله عنه كافية فى الاشارة إلى الأهلية المشروطة فى هذا الباب كما انها كفيلة بجميع معظم ما يطلب من المقدم التمسك به من مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب وذلك لأن العفو على الزلل والصفح عن الخلل هو أعظم ما ترسخ به المودة فى القلوب ويستنزل به أرواح الرضا من خزائن الغيوب ومن لطيف آدابهم السنية الجارية على مناهج السنة المحمدية أن المقدم إذا رأى من بعض اخوانه مكروها أو علم من حاله اعوجاجا أو أحس منه بدعوى أو رأى أنه داخله عجب أن لا يصرح له بالمكروه بل يتكلم على رؤوس الأصحاب كأنه غير قاصد لمعين ويشير الى ذلك المكروه على وجه الاستطراد فى الكلام ويكشف عن وجه المذمة فيه كشفا بينا لكن على وجه الاجمال حتى لا يتفطن أحد لمقصوده بحال ولا شك أن الفائدة تحصل بذلك للجماعة ولذلك المعنى عنده خصوصاً وهذا أقرب الى المداراة وأكثر أثرا التأليف القلوب وفيه غاية التلطيف فى الأخذ بالعفو والستر وبالجملة فوجوه الاخذ بالعفو كثيرة وكلها محمودة مرغب فيها لكن أحسنها ما ضم اليه الارشاد الى الاصلح والأحسن من غير شعور من المعنى بذلك بالعفو ولا بالارشاد ولا بغير ذلك وروا فى الاكثار من العفو حديثاً عن سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كم أعفو عن الخادم قال كل يوم سبعين مرة اه وأما اجتناب المقدم ما يوجب فى قلوب اخوانه ضغينة أو شيئاً أو حقداً فهو أيضا من وجوه أهليته فيستحق التقدم على غيره بحسب زيادته فى ذلك عليه ويكون الاجتناب لما ذكر بالتحلى بالأخلاق الحميدة وهى أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم من التواضع والحلم والصبر والايثار والكرم ونحوها وهى مبسوطة مشروحة معانيها فى شروح الحديث وجماع ذلك كله فى انصافهم من نفسه وترك الانتصاف منهم وذلك بأن يرى لهم عليه من الحقوق مالا يقدر على القيام بعشر العشر منه ولا يرى لنفسه عليهم حقا فى شىء مما قل أو كثر كحال الوالد الشفيق مع أولاده الصغار فيعطف عليهم ويقضى حوائجهم فى حال الصحة والمرض ولا يترك شيئا من حقهم اعتماداً على ما يعلمه ظاهراً من صحة إرادتهم وكمال صدقهم قال بعضهم لا تضيع حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه من المودة (ومن الحكايات) فى تعطف الأكابر على غيرهم وقيامهم بحقهم وعدم رؤيتهم لأنفسهم حقا عليهم ما ذكر أن الجديدى قال قدمت من الحج فابتدأت بالجنيد فأتيته وسلمت عليه وقلت حتى لا يتعنى ثم أتيت منزلى فلما صليت الغداة التفت فاذا الجنيد رضى الله عنه خلفى فقلت ياسيدى إنما ابتدأت بالسلام عليك لكى لا تتعنا الى ههنا فقال لى يا أبا محمد هذا حقك وذلك فضلك اه فانظر كيف رأى الامام الجنيد رضى الله عنه لصاحبه الحق عليه ولم ير لنفسه على صاحبه حقا فجعل ابتداءه بالتسليم عليه من فضله والكلام فى هذا الباب طويل والحكايات فيه كثيرة وفى هذا القدر كفاية لما قصدنا

وكل هذا وقع يقظة لامنامافقال ومن أخذ عنى هذا الورد أو عن من أذنته يدخل الجنة هو ووالده وأزواجه وذريته المنفصلة عنه لا الحفدة بلا على كل وأن يكونوا آمنين من عذاب الله من الموت إلى دخول الجنة وأن يدخلوا الجنة بلا حساب ولا عقاب فى أول الزمرة الأولى وأن يكونوا معى فى عليين فى جوار النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى صلى الله عليه وسلم ضمنت لك هذا كله ضمانة لا تنقطع حتى تجاورنى أنت وهم فى عليين قال وسألته أن يموتوا كلهم على الاسلام وأن يؤمننى الله عزوجل وجميعهم من جميع محاسبته ومناقشته وسؤاله عن القليل والكثير يوم القيامة وأن يظلنى الله وجميعهم فى ظل العرش يوم القيامة وأن يجيزنى وإياهم على الصراط أسرع من طرفة عين وأن يسقينى وإياهم من حوضه صلى الله عليه وسلم وذكر معهم من له أدنى انتساب اليه ممن يعرفه أو أحسن اليه ووالديه ووالديهم وذريته المنفصلة عنه وأزواجه ووالديهم وأزواجهم وذرياتهم المنفصلة عنهم لا الحفدة الى موت سيدنا عيسى عليه السلام وأدخل من له عليه مشيخة أو أبوة أو بنوة من أول أب وأم فى الاسلام الى أن يموت عيسى عليه السلام قال فأجابنى صلى الله عليه وسلم بقوله الشريف كل ما فى هذا الكتاب ضمنته لك ضمانة لا تتخلف عنك وعنهم أبداً الى أن تكون أنت وجميع من ذكرت فى جوارى أعلى عليين وضمنت لك جميع ما طلبته ضمانة لا يخلف عليك الوعد فيها والسلام ثم قال رضى الله عنه

رآني أو لم يرني ثم قال رضي الله عنه محذراً لأصحابه ومرشداً لهم أقول لكم ان النبي صلى الله عليه وسلم ضمن لنا أن من سبنا وداوم على ذلك ولم يتب لا يموت الا كافراً وأقول للاخوان ان من أخذ وردنا وسمع بما فيه من دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب وأنه لا تضره معصية وسمع ذلك وطرح نفسه في معاصي الله لأجل ما سمع واتخذ ذلك حبالة للامان من عقوبة الله في معاصيه ألبس الله قلبه بغضنا حتى يسبنا فاذا سبنا أماته الله كافراً فاحذروا من معاصي الله ومن عقوبته ومن قضى الله عليه منكم بذنب والعبد غير معصوم فلا يقربنه إلا وهو باكي القلب خائف من عقوبة الله تعالى والسلام * وأما فضل صلاة الفاتح لما أغلق فقد أخبر رضي الله عنه أنه سأل سيد الوجود صلى الله عليه وسلم عنها فأخبره بأن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء صغير أو كبير ستة آلاف مرة قال وسألته صلى الله عليه وسلم أولا انها بستمائة الف صلاة هل في جميع تلك الصلوات أجر من صلى بصلاة مفردة فقال صلى الله عليه وسلم ما معناه يحصل في كل مرة منها أجر من صلى بستمائة الف صلاة مفردة قال وسألته صلى الله عليه وسلم هل يقوم منها طائر واحد على الحد المذكور في الحديث لكل صلاة وهو الطائر الذي له سبعون ألف جناح الخ أم يقوم منها في كل مرة ستمائة ألف طائر في تلك الصفة وثواب تسبيحهم للمصلي على النبي صلى الله

ايراده هنا على وجه التمثيل وأما قول سيدنا رضي الله عنه وأن يسعى في اصلاح ذات بينهم الخ فهو أيضاً من آكد آداب المقدم مع اخوانه فيراعى فيه ما يدل على ذلك وهو مما أفصح به القرآن العظيم ورغبت فيه السنة الطاهرة قال تعالى «انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم» وفي الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بخير من كثير من الصلاة والصدقة قالوا وما هو قال صلاح ذات البين وأما قوله رضي الله عنه وعليه أن يعاملهم بالرفق والتيسير الخ فهو أيضا من وظيف المقدم مع اخوانه فيطلبوا منه النزول إلى حالهم من الرفق بهم وبسطهم قال بعضهم إذا رأيت الفقير ألقه بالرفق ولا تلقه بالعلم فان الرفق يؤنسه والعلم يوحشه فاذا فعل الداعي إلى الله تعالى المرشد إلى طريق معرفته مع الفقير بهذا الخلق الذي هو الرفق فانه يتدرج بذلك الى الانتفاع بالعلم فيعامل حينئذ بصريح العلم ويطلب منه أيضا النزول الى اخوانه عن حقه فيما يجب له من التبجيل والتعظيم فيستعمل التواضع معهم فلا يثبت لنفسه قدراً ولا مزية عليهم ومما حكي في هذا الباب أن الأستاذ أبا علي الدقاق رضي الله عنه دخل على جماعة من الفقراء بمصر وهم جلوس بالمسجد فقام إلى اسطوانة فقالوا يفرغ الشيخ من صلاته ونقوم نسلم عليه فلما فرغ جاء اليهم مبادراً وسلم عليهم فقال كنا أولى بهذا منك ياسيدي فقال رضي الله عنه ما عذب الله قلبي بهذا قط يعني ما تقيدت بان احترم واقصد قط وهذا كله مما لم يخرج فيها إلى حد المداهنة بأن يتجاوز فيه حد المداراة والا صار فتنة على التابع والمتبوع ولا بد من اقامة ميزان الاعتدال فيما ذكر من التأويل والانبساط للاخوان لأنه إنما وضع للحاجة والشيء إذا وضع للحاجة يتقدر بقدرها من غير افراط ولا تفريط هذا والناس في هذا الميدان باعتبار ما يتجلى لقلوبهم من آثار الجلال والجمال فلا كلام مع واحد من الفريقين فيما اقتضاه حاله في ذلك ويحمل كل على ما اعتيد منه وغلب عليه (وروى) عن بعضهم قال كنا نتذاكر الشعر عند محمد بن سيرين وكان يقوله ويمزح عنده ويمازحنا فيما نحن عليه فكنا نخرج من عنده ونحن نضحك وكنا نخرج من عند الحسن ونحن نكاد نبكي وبالجملة فلا يقف على حد الاعتدال في هذا الانبساط إلا من قهر نفسه وكان عالما بأخلاقها وطبائعها سائسا لها بوفور العلم حتى يقف على حد الاعتدال فيه قالوا ولا يصلح النزول والانبساط بالمداعبة للاخوان لمن لم يرتق في باطنه عن حالهم في الصفاء ورسوخ القدم في الاقبال على الله تعالى بأن صارت العزيمة غالب أوقاته لئلا تجره ممازجة طبعه لطبعهم إلى الاخلاد الى الرخصة وعدم التشوف لطلب الحق وبسط القول في هذا وتحقيقه يطول بنا وقد أشرنا الى محل الحاجة لمن يفهم ذلك والله الموفق وعلى هذا القانون يجري الحكم أيضاً فيما تقدم انه يطلب من المقدم من النزول عما يجب له من التبجيل بالتواضع فلا يخرج في ذلك النزول أيضا عن حد التواضع المحمود بأن يتجاوزه الى حد الصفة المذمومة والكشف عن حقيقة التواضع انه رعاية الاعتدال بين الكبر والضعة فالكبر رفع الانسان نفسه فوق قدره والضعة وضع الانسان نفسه مكانا يزري به وكل منهما مذموم والتواضع مرتبة بين مرتبتين وحقيقته أن يرضى الانسان بمنزلة دون ما يستحقه قالوا ولو أمن المرء جموح النفس لأوقفها عن حد ما تستحقه من غير زيادة ولا نقصان ولكن لما كانت مجبولة على الجموح احتاجت الى التداوي بايقافها دون ما تستحقه لئلا يتطرق إليها الكبر فالتواضع والضعة مشتبهان بالصورة متباينان بالحقيقة ولذلك يلتبسان كما يتلبس الكبر المذموم بالعزلة

المحمودة لاتحادهما بالصورة وتباينهما بالحقيقة أيضاً قال الكبر جهل الانسان بنفسه وإنزالها فوق منزلتها والعزلة معرفة الانسان بحقيقة نفسه وبما خلقت له وإكرامها أن يضعها لحظ دنيوى خسيس سريع الزوال وهى من سمات المؤمنين الموقنين قال الله تعالى «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين» وذكروا عن الحسن البصرى رضى الله عنه أن العزلة كانت وصفه فقال له بعض الناس يوما ما أعظمك فى نفسك فقال لست بعظيم ولكنى عزيز ولما كانت العزلة محمودة وبينها وبين الكبر المذموم شاكلة قال الله تعالى «ويستكبرون فى الأرض بغير الحق» قالوا فيها إشارة إلى إثبات العزة بالحق والوقوف على حد التواضع من غير انحراف إلى الضعة اه ثم ما يوجد من كلام الأئمة فى التواضع مما يلحقه بحد الضعة وهو كثير قصدوا به رضى الله عنهم المبالغة فى تنفير المريد والأخذ بحجزه عن الوقوع فى الكبر لا غير والحق إن شاء الله تعالى ما تقرر من الميزان فى ذلك والله أعلم

وأما قول سيدنا رضى الله عنه وعليه أن يتباعد عن تغريم دنياهم فقد تقدم آنفاً أن ميزان طريق الارشاد والدعوة إلى الله هو الاستغناء عما فى أيدى المدعوين وهذا أعظم الأركان عندهم فالواجب التنزه عن الطمع فيما فى أيديهم بحيث يعد التشوف إلى ذلك أن ابتلى به فى باطنه بلية عظيمة وعقوبة معجلة من الله تعالى فيلجأ إلى الله ويتضرع إليه فى رفعها عنه ويجتهد فى صرف ذلك عنه بمجاهدة نفسه وتذكيرها بما أشار إليه سيدنا رضى الله عنه بقوله معتقداً أن الله هو المعطى والمانع الخ فان غلبته نفسه وخرج إلى حد السؤال لذلك منهم فليعلم أنه قد أخسر الميزان وطغى فيه غاية الطغيان وهو الناجى ان سلم له رأس ماله ولم يعاقب بالحرمان لانه خرج إلى التلبس بالدعاوى الكاذبة ومعلوم ما هو الجزاء على ذلك والعياذ بالله تعالى وكان سيدنا رضى الله عنه أومأ فى قوله فان عقول الناس حول هذا المطاف يدور إلى آخر ما قاله قتادة فى قوله تعالى « ولا يسألكم أموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا - الآية» أعلمنا الله تعالى فى هذه الآية أن فى خروج المال إخراج الأضغان وهذا تأديب من الله الكريم جل وعلا والأدب أدب الله تعالى وقول سيدنا رضى الله عنه إلا ما سمحت به نفوسهم من غير طلب يحقق ما أشرنا إليه من أن المذموم هو التشوف والطمع فاذا انتهى الحال إلى السؤال أعنى سؤال المقدم من اخوانه فقد أفضى إلى بلاء عظيم وفتنة كبيرة فى الدين نسأل الله العافية من كل بلية بمنه وكرمه فقام من هذا ميزان قويم وقسطاس مستقيم فيما يجريه الله تعالى من الارفاق للاخوان على أيدى بعضهم لبعض فكل ما أتى من الأخ لأخيه على وجه الهدية والمواصلة لله من غير طمع ولا استشراف نفس فضلا عن السؤال فهو لا بأس به شريعة وطريقة وذلك لأن الهدية مباحة فى الجملة بل هى محسوبة فى الفقه من وجوه الحلال فان عرض عارض فى المعطى أو فى وجه الاعطاء فالآخذ أعرف بما يأتى وما يذر وهذا بالنسبة لمطلق الاخوان وبحسب أحوال العامة منهم وأما أهل التمكين فأحوال فى الأخذ مختلفة تبعاً لما اقتضته الواردات والتحفظ عن الآفات وهى فى كل من الأخذ والترك كما قاله الأستاذ السرى السقطى رضى الله عنه للامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه احذر آفة الرد كما تحذر آفة الأخذ والحاصل أن كل من عرف بصحة العلم والعمل ومتانة الديانة فأمره موكول إلى دينه ولا سبيل للانتقاد عليه قاله العلامة اليوسى رضى الله عنه ومثل الحكم فيما سمحت به نفوس الاخوان لاخوانهم كالمقدم ومن فى معناه من غير طلب الحكم فيما إذا اضطر المقدم ونحوه فله الأخذ من مال إخوانه ولو بالتعرض لذلك ويتصرف فيه بحكم الصدقة على الوجه الذى أبيح له من أجله بقدره فى وقت الاحتياج لا غير ثم ان هذا أيضاً فى غير المشايخ الكاملين وأما هم رضى الله

طائر على تلك الصفة قال وسألته عن حديث ان الصلاة عليه مرة تعدل ثواب أربعمائة غزوة كل غزوة تعدل أربعمائة حجة هل هو صحيح أم لا فقال صلى الله عليه وسلم بل صحيح فسألته عن عدد هذه الغزوات هل يقوم من صلاة الفاتح لما أغلق أربعمائة غزوة أم يقوم أربعمائة غزوة لكل صلاة من السبعمائة ألف صلاة وكل صلاة على انفرادها أربعمائة غزوة فقال صلى الله عليه وسلم ما معناه إن صلاة الفاتح لما أغلق بسبعمائة ألف صلاة وكل صلاة من السبعمائة ألف صلاة بأربعمائة غزوة وذكر فيها غير ذلك من الفضل ثم قال وخاصية الفاتح لما أغلق أمر إلهى لا مدخل للعقول فيه فلا يلتفت إلى تكذيب مكذب ولا قدح قادح فان الله سبحانه فضلا خارجاً عن دائرة القياس ويكفيك قوله تعالى ويخلق مالا تعلمون فما توجه متوجه إلى الله تعالى بعمل يبلغها وإن كان ما كان ولا توجه متوجه إلى الله تعالى بأحب إليه منها ولا أعظم عند الله حظوة إلا مرتبة واحدة وهى من توجه إلى الله باسمه العظيم الأعظم لا غير وتليه فى الرتبة صلاة الفاتح لما أغلق ولا يحصل هذا الخير إلا لمن صدق بما سمع وسلم لفضل الله وانه لا يأخذه الحد والقياس انتهى ثم قال واعلم أن كل ما تذكره من الأذكار والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والأدعية لو توجهت بجميعها مائة ألف عام كل يوم تذكرها مائة ألف مرة وجمع ثواب ذلك ما بلغ مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق انتهى قال وأخبرنى صلى الله عليه وسلم

أنها لم تكن من تأليف البكرى ولكنه توجه إلى الله مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيها ثواب جميع الصلوات وسر جميع الصلوات وطال طلبه مدة ثم أجاب الله دعوته فأتاه الملك بهذه الصلاة مكتوبة فى صحيفة من نور وقد أجاب رضى الله عنه بعض من سأله عن صلاة الفاتح لما أغلق أنها خالية عن السلام بأنها وردت من الغيب على هذه الكيفية وما ورد من الغيب كما له ثابت خارج عن القواعد المعلومة ليست من تأليف مؤلف ووراء هذا كيفيات وردت عنه صلى الله عليه وسلم فى الصلاة الخالية من السلام وهى كيفيات نبوية متعبد بها فلا التفات لما يقوله الفقهاء انتهى (فائدة) قال الهاروشي رحمه الله تعالى فى الدر الثمين على كنوز الأسرار سألت شيخنا العياشي رحمه الله تعالى عن الثواب المذكور فى بعض فضائل الأعمال المروى عن غير الرسول صلى الله عليه وسلم كقولهم من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة الفلانية فله كذا وكذا أو هى بمثابة فدية أو الصلاة الفلانية تعدل عشرة آلاف أو غير ذلك فأجاب بأن ذلك مما يلهمه الله تعالى لأوليائه يرونه مكتوبا بقلم القدرة على حجر أو ورق أو شجر أو يسمعون الهاتف بذلك أو يتلقونه عن النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم أو اليقظة قلت أو تخاطب به عوالمهم اللطيفة وهو أصل متين من الأصول المعتمدة عندهم رضى الله تعالى عنهم دليله من السنة قوله صلى الله عليه وسلم فى الصحيح أنه كان فيمن كان قبلكم محدثون

عنهم فهم بحكم ما يرد عليهم من الله تعالى فى ذلك فقد يظهر لهم قبول الرفق من المريد لصلاح يتراءى لهم فى ذلك من الله تعالى لذلك المريد فيكون أخذهم لماله والارتفاق بخدمته مثلا لمصلحة تعود عليه منهم مأمونة الغائلة من جانبهم وقد يظهر للواحد منهم أن يقبل من بعض المريد خروجه عن جميع ماله وذلك إذا علم أن خروجه عنه يكسبه حالا لا يطلع معها إلى مال ولا غيره وذلك فى ذلك مقتفيا لأثر النبي صلى الله عليه وسلم فى قبوله من الصديق الأكبر رضى الله عنه جميع ماله وقد يظهر له قبول البعض منه دون البعض وقد يظهر له عدم القبول فى الكل معاملة منه لكل بما فيه صلاحه لأنهم أساة النفوس وأطباء القلوب رضى الله عنهم وهذا إنما ذكرناه تتميما لتقرير هذه المسئلة حتى لا يرد علينا ما اتفق لكمل المشايخ رضى الله عنهم والا فالمدار فيما نحن بصدده على ما ذكره سيدنا رضى الله عنه فى وصيته السابقة آنفا فوقوفنا عنده لازم ألهمنا الله رشدنا ووفقنا لما فيه رضاه بمنه وكرمه آمين (وقول الناظم) وليس يخلو من مقدم إلى آخره أراد به الناظم رحمه الله دفع ما قد يتوهم من انقطاع التربية بهذه الطريقة بوفاة الشيخ رضى الله عنه أو بتطاول العهد والرد على من يقول إن الشيخ الميت لا تنفع صحبته لانقطاع مدده بموته كما قيل بذلك ويريد أن ينسحب الحكم بذلك على شيخنا أيضا رضى الله عنه وقد تقدم أن هذه الطريقة المحمدية لا يزال مددها جاريا مدى الدهور والاعصار على أيدى من يصله الاذن الصحيح فيها فى سائر البلاد والأقطار بضمان من نبينا المصطفى المختار وسابق عناية من ربنا الفاعل المختار «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم» وقد تقدم أيضا أن من المقدمين من يكون فى مرتبة التربية والترقية بحصول الاذن له فى ذلك من الله تعالى له فى سره من طريق الالهام المعروف عند أهل هذا الشأن أو من حضرة رسوله صلى الله عليه وسلم أو على يد بعض أهل الفتح الأكبر من الاخوان الكرام إلا أن أهل هذه الطريق لا يتظاهرون بالتصدى للتربية والانتصاب للمشيخة أدبا مع الله تعالى ومع رسوله صلى الله عليه وسلم ومع سيدنا الشيخ رضي الله عنه ولذلك جرى اصطلاحهم فى غالب البلاد على تسمية المرشد مقدما فقط وفى بعض البلاد الجنوبية وصحارى المغرب الأقصى تلقيب من تأهل للتربية منهم بالشيخ ومن دونه بالمقدم جريا على إصلاح الأقدمين من أهل الطريق المشهورة بالمغرب ولا مشاحة فى الاصطلاح بعد معرفة موقع الاشارات منه فافهم والله تعالى أعلم

ثم قال رحمه الله تعالى

﴿ ما يلزم من أراد أخذ الورد وما يلزمه بعد أخذه ﴾

هذه ترجمة أيضا فيأتى فيها من التقرير مثل ما تقدم فى نظائرها وعبر باللزوم خلاف ما فعله غيره من التعبير بالشروط لأنه وضع نظمه هذا فيما يتعلق بالورد والورد حقيقته هو الذكر القائم على الأركان الثلاثة الآتى ذكرها وشروطه هى الآتى ذكرها أيضا فى ترجمتها المخصوصة بها وهذه الأمور التى ذكر فى هذه الترجمة هى اللازمة لمريد الدخول فى هذه الطريق حين الارادة واللازمة له بعد الدخول فيها بمعنى أنه يلزم بها فان التزمها تأتى له الدخول وان لم يلزمها لم يتأت له الدخول وهذا فى الأولى اللازمة حين الدخول والأخرى يلزم بها كذلك فان التزمها كان آتيا بما عليه وان لم يلتزمها بأن أخل بشىء منها فقد أخلف الوعد ولم يوف بالعقد وفى ذلك ما يلزمه منه تجديد التقيد بالعهد لابد من ذلك لأنه يؤذن بانفصام عقدته التى كان عقدها من أصلها وفيه ما يلزمه منه التوبة والاستغفار فقط كما سيبين ذلك فى النظم ومن عبر عن هذه بالشروط راعى أنها شروط

الطريق فلذلك عد منها ذكر الورد دواما إذ الشرط ماخرج عن الماهية والمثال فيما اعتبره الناظم مع ما اعتبره غير واحد لأن الدخول فى الطريق هو ذكر الورد دواما بشروطه ولوازمه وأخذ الورد بعد التزام لوازمه التى منها ذكره دواما وأما بشروطه المشروطة فيه هو معنى الدخول فى الطريق وعلى هذا فلا اشكال والله تعالى أعلم و بدأ من اللوازم بأهمها الذى لا يتأتى الدخول فى الطريق بدونه ويستمر لزومه بعد الدخول أيضا فان أخل به وجب التجديد للتقيد بالعهد لانفصام العقدة بالاحلال به فقال

﴿ يعطى لكل مسلم تحملا * عدم زور الاولياء مسجلا ﴾
﴿ سواء الاموات والأحياء * وتخرج الصحب والأنبياء ﴾
﴿ لا بأس أن يزور بعض الفقرا * بعضا وذاك حسن إذا جرى ﴾
﴿ وكل من أخذ عن شيخ وزار * سواه لم ينفع به ولا المزار ﴾
﴿ ونحن مالنا بزورهم غرض * لما نهانا عنه خير من فرض ﴾
﴿ ومع ذلك لنا منه عوض * صحيح الاسناد بلاشك عرض ﴾
﴿ فمن تلى جوهرة الكمال * فى عدد ناويها ذا التالى ﴾
﴿ لحضرة النبي ذى المعالى * زيارة السيد الارسال ﴾
﴿ كانت له تعدل زوار الرسل * والأنبيا وكل قطب وولى ﴾
﴿ لأنه كأنه قد زارا * نبينا فياله فخارا ﴾
﴿ فافعل فداً لك أبى وأمي * ماقلته تظفر بخير جمى ﴾
﴿ وليس ذا منا تكبراً على * ساداتنا ذوى المزايا والعلا ﴾
﴿ كلا جنابهم لدينا محترم * لما وهم أهل المعالى والكرم ﴾

(يعطى) يلقن والمراد بالمسلم هنا ما يشمل الذكر والانثى والصغير والكبير والحر والعبد والطائع والعاصى ومعنى (تحملا) التزم (والزور) الزيارة والمراد بها هنا قصد الولى للاستمداد منه (ومسجلا) مطلقا وقوله (سواء الأموات والأحياء) تفسير للاطلاق وقوله (وتخرج الخ) استثناء من الحكم السابق (وخير من فرض) النبي صلى الله عليه وسلم (والعوض) البدل (وعرض) منع يعنى من صحة الاسناد وحال دون ذلك والضمير فى ناويها للجوهرة (ولحضرة النبي) يتعلق بناويها (والظفر) الفوز (والجم) الكثير (والتكبر) من الكبر والكبر ظن الانسان أنه أكبر من غيره والتكبر اظهاره ذلك فهو أثره (والمزايا) الخصال من الفضل والسودد التى يفوق الانسان بها غيره (والعلا) يصح ضبطه بالضم جمع علياء و بالفتح ممدوداً الشرف وباقى الالفاظ واضح يقول انما يعطى و يلقن هذا الورد المحمدى الشريف لمن رغب فى فضله الباهر وسره المنيف إذا تحمل والتزم أن لا يزور واحداً من الاولياء الاحياء أو الأموات بأسرهم ماعدا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المخصوصين بفضيلة السبق التى لا مطمع فيها لغيرهم وأحرى الأنبياء الكرام عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام وكذا زيارة إخوانهم فى الطريق بل أمرها عندنا حسن مندوب إليه على التحقيق وقد قيل إن من أخذ عن شيخ وزار من عداه لم ينتفع بالأول ولا بالثانى فيما قصده ونواه هذا ونحن على كل حال مالنا فى زيارتهم من نفع لقصر وجهتنا بالاذن الخاص على سيد الأنبياء والارسال مع ما عوضنا من ذلك من فضيلة جوهرة الكمال فان من قرأها فى عدد مبلغه اثنتا عشرة مرة بشروطها

(تنبيه وايقاظ) لا ينكر على هذا السيد الكريم ماذكره من أخذ هذا الورد عن النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لما قدمناه من ثبوت جوازه لأنه من جملة الكرامات الثابتة للاولياء عقلا ونقلا وحينئذ فلا عبرة باستثقال بعض الناس لذلك لعدم مطابقته لهواه لا بدليل اعتمده واقتفاه لأنه إما أن ينكر جواز اللقيام فلا كلام معه أو يصدق بها و ينفيها عن الشيخ من غير دليل أيضا بل بمجرد الهوى والعناد فلا كلام معه أيضا لعدم تصديقه للأولياء لأن الشيخ رضى الله عنه تقدم من شواهد حاله مايدل على ولايته وان لم يكن هذا المستثقل كذلك قلنا له إذا ثبتت الرؤية يقظة فما المانع من الأخذ لاسيما وقد تواطأت أخبار الأولياء بذلك قال الفاسى رحمه الله فى حاشيته على الحزب الكبير أن واضعه رضى الله عنه كان يقول مارتبت منه كلمة إلا باذن من ربى وأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى على وجه التلقى يقظة لا نوما كما هو معلوم فى حق أهل الله وشواهده من الكتاب والسنة كثيرة وشهيرة وناهيك بآية الوحى إلى أم موسى كما أخبر الله تعالى وبموافقة الفاروق له فى غير ماقضية وبقضية تلقى الآذان نوما وقال الشعرانى كان سيدى على الخواص رحمه الله يقول أخذت طريقي هذه عن سيدى ابراهيم المتبولى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيضاً وأخبرنى الشيخ أبو الفضل الأحمدى أن سيدى عليا لم يمت حتى صار يأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا واسطة قال وكان

فى أموره كلها كما يشاور التلميذ شيخه قال وصورة أخذ الأولياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرواحهم تجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة من حيث أرواحهم لا من حيث أجسامهم فليس اجتماعهم به صلى الله عليه وسلم كاجتماع الصحابة به رضوان الله عليهم فافهم انتهى كلامه بتقديم وتأخير وقد قدمنا فى الباب الرابع ما يشفى الغليل فليراجع وليطالع الذهب الابريز فى مناقب سيدى عبد العزيز قلت وإذا كان المهام الاولياء معمولا به لم يعارض كتابا ولا سنة كما نص عليه العلماء فكيف بما يلقوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مأخوذ من نصوص الكتاب والسنة فضلا عن أن يعارضها والعجب كل العجب ممن يصدق بما تلقوه عنه فى المنام ويجعله ورداً كيا حى ياقيوم لا إله إلا أنت كل يوم أربعين مرة لحياة القلب حتى عد صاحب شهية السماع تركها فى يوم من سوء الادب ونحو ذلك مما هو كثير ولا يصدق ولا يعمل بما تلقوه يقظة ومعلوم أن النائم لا يضبط بخلاف اليقظان اللهم إلا أن يكون ممن يكذب برؤية اليقظة فقد خرج إلى إنكار الكرامة والعياذ بالله وأما من لا ينكر ذلك وإنما يعتب على الشيخ رضى الله عنه فى إظهاره ونشره لما أخذه على تلك الكيفية فما يقول فى إظهار الشاذلى رضى الله عنه أحزابه التى صرح بأنه ما وضع منها حرفا إلا باذن من الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم

الخ المعلومة تأويا زيارة سيد الرجال حصل له مثل ما يحصل لمن زاره صلى الله عليه وسلم فى روضته الشريفة وزار جميع الأنبياء والمرسلين والاقطاب والاولياء وسائر أهل الكمال فاعمل على هذا السر الباهر فدتك أبى وأمي أيها الاخ الصادق تظفر بالفضل العظيم والخير العميم الفائق وليس منع الزيارة فى طريقتنا هذه المحمدية تكبراً على ساداتنا الاولياء الكرام أهل المراتب العلية والمقامات الفاخرة السنية كلا ومعاذ الله أن يصدر ذلك منا فى جانبهم الاعز الرفيع بل هو عندنا محترم غاية الاحترام عزيز منيع والله حسيب من يشنع علينا هجرانهم وقلاهم ويشيع أننا نستهزىء بهم أو بمن والاهم هذا ما تيسر هنا فى سبك هذه الابيات الثلاثة عشر والقصد إنما هو الاقتفاء لانفاس هذا السيد الجليل والتبرك بما له من الاثر وقد عقد فيها مسئلة منع المريد من زيارة غير أستاذه وامامه كما عليه جل جهابذة هذا الشأن وجمهور أعلامه إلا أنه رتب الكلام فيها على حسب ما سمح به النظم وأبرزه فى قوالب الرد على المنتقد المولع بالتشنيع على أهل الله تعالى والاخذ عليه بالكظم وترتيب الكلام فيها باعتبار ما ينفع المريد الصادق الذى أهله الله تعالى للانخراط فى هذا السلك النورانى الفائق أن يقال إن مما اختصت به هذه الطريقة المحمدية المنوطة بأنوار العناية الربانية والاسرار الرحمانية الوهبية ان جعل الله تعالى فتح أستاذها وامامها الاعظم على يد القدوة العظمى أستاذ الكل وامام الكل وعين مادة مدد الكل صلى الله عليه وسلم وذلك بعد أن أنفد الوسع رضى الله عنه فى السلوك على طرائق المشايخ الكاملين ولم يأل جهداً فى التعلق بالاولياء المقربين الواصلين فلم يأنس من جانب من تلك الجوانب لما ارتقيه ناراً ولم يشم من تلك الآفاق برقا للوصول إلى ما رامه ولا استنشق من شميم تلك الأندية رندا ولا عرارا وما ذاك إلا لما أرادته به الغيرة الآلهية واختارته له سوابق المشيئة الربانية من غرفة من منبع الامداد الاختصاصية وتضلعه من منهل الأسرار الاصطفائية بطريق المشاهدة العيانية والمشافهة الكفاحية .

إذا اصطفاك لأمر هيأتك له * يد العناية حتى تبلغ الاربا

ولما كان فتحه ووصوله إلى حضرة المشاهدة والعرفان على يده صلى الله عليه وسلم من غير أن يتحمل فى ذلك منه لمخلوق كائنا من كان وصرح له بذلك صلى الله عليه وسلم تصريحا لا يقبل بحال وجها من وجوه التأويل لم يكن له رضى الله عنه فى شىء مما يختص به أو بأتباعه إلا على جاهه العظيم عند الله تعالى الاعتماد والتعويل فلم تبق له رضى الله عنه دلالة إلا عليه ولا استمداد إلا منه صلى الله عليه وسلم ولا إشارة إلا إليه فجعل المركز الذى عليه مدار دلالته وتربيته الوقوف ببابه صلى الله عليه وسلم والاكتفاء بالاستمداد من فيوضات حضرته اغتناما لبركة ما تفضل به صلى الله عليه وسلم فى ذلك من الاذن الخاص واقتصاراً على ما يتعين الاقتصار عليه مما لا ينال الا بمحض الاختصاص ويرحم الله تعالى إمام دار هجرته صلى الله عليه وسلم إمامنا وإمام الأئمة الأعلام فى قوله للخليفة العباسى وأين تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام ومن المتفق عليه الشائع المعلوم أن من استغنى بالاتصال حيث أمكن عن الانفصال غير مرتب ولا ملوم باجماع العقلاء بل لا شك أن من قيض الله له من يسلك به على هذا السبيل الا قوم حتى أوقفه بهذا الباب الأعظم وأناخ به بهذا الجناب الأفخم ثم تطلع له بالالتفات إلى غيره من الأبواب روما للدخول منه إلى حضرة معرفة رب الأرباب فقد أساء الأدب وتعرض لحلول الغضب وربما

خشى عليه سلب كل شىء حتى نور الايمان وأعظم به والعياذ بالله تعالى من وبال وخسران فاذا عرفت موقع الاشارة من هذا الكلام ظهر لك الوجه الأجلى والسبب الأقوى فى نهى سيدنا رضى الله عنه لأصحابه عن الالتفات إلى غيره من الأولياء الكرام والمشايخ العظام وان الالتفات عنه رضى الله عنه إنما هو الفتات عن جنابه الأعظم عليه الصلاة والسلام وإذا كان من المقرر عند أهل الطريق أن الالتفات عن المشايخ مطلقا من أكبر القواطع عنهم على التحقيق فما بالك بالالتفات عن حضرته صلى الله عليه وسلم التى هى مجمع الأنوار ومنبع الأسرار بل هى المركز الذى عليه مدار جميع المقامات والأحوال والكعبة التى بها مطاف أرواح المحبين والمحبوبين فى سائر حضرات الكمال ثم إذا ظهر لك أن الوجه والسبب فى اشتراطنا على المريد من أهل طريقنا ترك الالتفات إلى الغير هو ما اختصت به هذه الطريقة المحمدية عن غيرها من سابقية الفضل والخير بما حازته من النسبة الخاصة بها لسيد الوجود صلى الله عليه وسلم على ماتقدم إيضاحه فى المقدمة من أنها محمدية بالوجه الأخص لا بالأعم فلتتبع ذلك بما يفيد توجيه منع الزيارة والنهى عن الالتفات عند القوم حتى يعلم أن مانع ذلك مطلقا لا عتب عليه فى بساط التربية الخاصة ولا لوم فنقول ومن الله تعالى نرجو التسديد فى المقول الزيارة فى اللغة القصد إلى المزور فى محله وهى فى الاصلاح قصد المزور إكراما له وتأنيسا ومنها زيارة الاخوان بعضهم بعضا وقد تقدم بعض ما يتعلق بها فى المقدمة وسيأتى بعض ذلك قريبا أيضا إن شاء الله تعالى ومنها زيارة القبور مطلقا وهى مرغب فيها لما فيها من صلاح القلب بشرط الاشتغال بالاعتبار والتأمل والتفكر فى أحوال الآخرة والسلامة من الوقوع فى شىء مما يخالف الشريعة الطاهرة والكلام فيها مبسوط فى كتب الفقه وليس القول فيها ولا فيما قبلها من غرضنا فى هذا المحل وإنما كلامنا هنا فى زيارة الأولياء أعنى الأكابر الذين يعتقد فيهم ويتعلق بهم وحقيقتها قصد الولى للانتفاع به والاستمداد منه وهذه هى التى منع منها المريد فى بساط التربية الكاملة لتحقق المضرة له بها فيما هو بصدده وذلك لأنهم نصوا على أن المريد مهما مال عن قدوته بظاهره أو باطنه ولو لحظة فان ذلك وبال عليه ونقصان وأن صحبته لا تصفو له ولا يستعد باطنه لسراية حال القدوة اه انظر بغية الطالب للشاذلى رضى الله عنه ومن كلام الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله عنه ماسامح شيخ مريده فى الاجتماع بغيره إلا حصل له تردد فى أى الشيخين أعلى من الآخر حتى يتلمذ له وإذا حصل له ذلك رفضه قلب الاثنين فلم ينتفع بأحد منهما لأن شرط الانتفاع جزم التلميذ بأنه لا يخرج من دائرة شيخه حتى يحصل له الكمال اه وفيما قيده فى الذهب الابريز من املاء شيخه القطب سيدى عبدالعزيز رضى الله عنه على قول الشريشى رحمه الله تعالى فى رائيته ولا تقدمن قبل اعتقادك الى آخر البيتين مانصه أى ولا تقدمن على شيخ بقصد الدخول فى محبته حتى تعتقد أنه من أهل التربية وأنه لا أحد أولى بها منه فى زمانه قال وإنما وجب عليه ذلك لأن الشيخ الذى يرى من مريده الالتفات إلى شيخ غيره يقطع عنه المادة والمريد الذى يدخل فى صحبة شيخه وهو يرى أن فى الوجود شيخا مثل شيخه أو أكمل يبقى متشوفا لذلك الأكمل فى اعتقاده فيراه شيخه متشوفا إلى غيره فيقطع عنه المادة فلا يكون بالأول ولا بالثانى قال وقد رأينا مثل هذا فى زماننا كثيرا والله يكون لنا وليا ونصيرا وقد رأيت تصريح هذا القطب الكبير بقطع المادة عن المريد بسبب التفاته وتشوقه إلى غير شيخه وأعظم بقطع المادة مضرة ووبالا على

فى لطائف المنن والأخلاق التى ذكر أنه أخذها عن سيدى على الخواص عن ابرهيم المتبولى رضى الله عنهم عن النبى صلى الله عليه وسلم وأيضا نشر الشيخ رضى الله عنه لهذا الورد إنما هو بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخالفة أمره صلى الله عليه وسلم عصيان سواء فى حياته أو بعد مماته كما ذكر العلماء من أمثلة الكلام الواجب الذى تبطل به الصلاة عند بعضهم إجابة من ناداه صلى الله عليه وسلم وهو فى الصلاة ثم قالوا سواء فى حياته أو بعد مماته كما يقع لمثل سيدى أبى العباس رضى الله عنه انظر شروح المختصر وإذا علمت ذلك فاعلم أن الشيخ رضى الله عنه لم يظهر هذا الورد باختيار منه ولا رغبة فى إقبال الخلق إليه حاشاه بل كان فارا منهم غاية جهده لكن لما أراد الله انتفاع خلقه وهدايتهم على يديه سخره لهم وسخرهم له بيسر ولله الحمد والمنة قال

اصطفاك لأمر هيأتك له
يد العناية حتى تبلغ الاربا

ومن ظن بالشيخ استدعاء الرياسة ونحوها فقد أساء الأدب والظن فوحل فى ورطة سوء الظن الذى ليس فوقه شىء من الشر كما فى الخبر نسأل الله تعالى العصمة فى الحركات والسكنات والخطرات آمين (تتميم) كان الشاذلى رحمه الله تعالى كثيرا مايقول قيل لى كذا قال الشيخ سيدى زروق

فى شرح حزب البحر هو بمعنى الالهام بأن يقع فى نفسه وقوعا لايمكن تكذيبه ولا يصح رده ولا يصحبه هوى يثلج به الصدر

وينشرح به القلب الى أن قال فان قلت نقل عن الشيخ الفقيه الصالح أبي عبد الله محمد بن عرفة رضي الله عنه أنه قال ما يثقل على شيء مثل ما يثقل على قوله قيل لي قال لا ولا أقبله منه ولا من المرجاني المقطوع بولايته قلنا أما نقله فمن جهة عدم اعتياده وكثرة ما يجري من المدعين بسببه ولأنه لفظ موهم بصورته ثم هذا الثقل ليس بحجة في نفسه لعدم ابداء الوجه والدليل فيه وأما كونه لا يقبله فلا يضر ذلك وهو على علمه لا يضره تقييده به كما لا يضره اعتراضه بما علمه ولا يقدح ذلك في حق غيره لأن حق الله في كل أحد أن لا يتجاوز علمه الى غيره ولا تقف ما ليس لك به علم ثم أجاب عن آخر كلامه فانظره ومحل غرضنا منه ما كتبناه من جواب استثقاله والله الموفق للصواب وكذلك لا ينكر على الشيخ رضي الله عنه ما ذكره من الضمان والتبشير أيضا فقد قال الملالي رحمه الله تعالى رأيت مكتوبا بخط الشيخ السنوسي ما نصه قلت ومما يدل على ان الصادر من بعض الأولياء من التبشير بالجنة ليس مخالفا للسنة لصدور ذلك من متبوعهم الذي إنما شرفوا بالاقتداء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد بشر جماعة من الصحابة بدخول الجنة وكان ذلك من معجزاته وقد ثبت من قبل جمهور أهل السنة ان كل ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي واذا جاز أن يطلع الولي على عاقبة أمره عند جماعة من المحققين جاز أن يطلع على عاقبة أمر غيره بأحرى وقول أئمتنا رضي الله عنهم أن ترك الحكم بالجنة أو النار في حق من لم

---

المريد ومثل هذا ما في شرح الرائية للفاسي رحمه الله تعالى فانه قال فيه على قوله فان رقيب الالتفات الخ أي ان مراقبتك لغير شيخك والتفاتك الى ذلك الغير يقطع عنك السراية المحبوبة أي المدد الساري اليك من شيخك حيث كنت مجموعا بكليتك عليه قبل مراقبتك الالتفات الى الغير قال الشيخ زروق ولا تلتفت عنه ولو رأيت من هو أعلى منه فتحرم البركة من الأول والثاني قال ولذا كان المشايخ يمنعون أصحابهم من صحبة غيرهم بل ومن زيارتهم وهذا مما ينكره المتوسمون الجاهلون بأحوال أهل الله اه المراد منه وفيه التصريح بانقطاع المدد من الشيخ عن مريده بسبب التفاته إلى غيره وهذه القصيدة أعني الرائية التي منها هذا البيت قال فيها صاحب أتم العينين هي حجة عند أهل الطريق ولم يزل المشايخ رضي الله عنهم يحضون عليها ويوصون تلامذتهم بالعمل بها وتسمى بسرائر الأنوار وأنوار السرائر قاله المسناوي اه بنقل صاحب الجيش رحمه الله تعالى ومن تأمل هذا البيت رآه في غاية الحسن والبلاغة لتشبيهه فيه المدد الساري من الشيخ الى المريد بالمحبوب والمريد بالمحب والالتفات بالرقيب الذي يكدر على المحب صفو مشروبه ويسعى دائما فيما يعوقه عن الاتصال بمرغوبه والظفر بمحبوبه وفي افراغه الكلام على هذه المسئلة في قالب هذا التشبيه العجيب واتيانه على هذا الاسلوب الغريب اشارة لطيفة الى أن هذا الشرط في الطريق من آكد ما يهتم به السالك الأريب فاذا عرفت من كلام هؤلاء السادات الذين هم لا محالة من أفراد أئمة هذا الشأن واعلامه ما يحصل من المضرة للمريد بسبب التفاته عن قدوته وامامه عرفت الوجه في منع المشايخ الكاملين لأصحابهم من زيارة غيرهم من العارفين الواصلين وعرفت خطأ المنكر عليهم في ذلك ما وقع فيه والعياذ بالله من نسبة اكابر الرجال إلى المنافسة والحسد مع اعتقاده أنه على الحق وهم على الضلال وهل هذا الا محض سوء ظن بمنصبهم الرفيع ووقيعة في جانبهم المنيع (وقد ذكر الشعراني) رضي الله عنه في طبقاته عن بعض رجالها أنه كان يقول من وقع في أولياء الله تعالى ابتلاه الله بانعقاد لسانه عن النطق بالشهادتين اه اللهم إنا نسألك العافية من كل بلية بفضلك وكرمك يا ربنا ولو أن المنكر تثبت وعلم ان أهل الله تعالى منزهون عن رذيلة اتباع الهوى وان منعهم لتلامذتهم من صحبة غيرهم وزيارته لمصلحة محققة عندهم لهم في ذلك لسلم من سوء الظن بهم والوقيعة في أعراضهم وكان سيدي علي الخواص رضي الله عنه يقول اذا رأيتم أحدا من المشايخ تغير على من زار من أتباعه أحدا من أقرانه فاحملوه على انه ما تغير عليه إلا لمصلحته كان اطلع من طريق كشفه على ان فتحه لا يكون إلا على يديه فاظهر له التكدر ليلازمه مصلحة له لا لعلة أخرى من حظوظ النفوس اه ثم إن مما استأنس به المشايخ المانعون لأصحابهم من زيارة غيرهم في أخذهم العهد على المريد بذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من أهله وولده والناس أجمعين ومن المعلوم عند كل من له أدنى ذوق في علوم الرجال أن المحبة الصادقة لا تقبل الشركة بحال وفي البحر المورود أخذ عليه العهود أن لا نأخذ على فقير بالسمع والطاعة لما نأمره به من الخير الا ان كنا نعلم يقينا أنه لا يقدم علينا في المحبة أحدا من الخلق مطلقا حتى أهله وولده وراثة نبوية لا استقلالا واعلم أنه لولا علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لمحبة الناصح مدخلا في حصول الهداية والانقياد بسرعة دون بطء ما قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه الحديث ومن المعلوم أن جميع الدعاة الى الله تعالى في هذه الأمة انما هم نواب له صلى الله عليه وسلم وذلك ليحصل للمريد كمال الانقياد ويعتقد

فى شيخه أنه أشفق عليه من نفسه كما كان النبى صلى الله عليه وسلم قال تعالى «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» اه الغرض منه هنا بلفظه وفى قوله ورائة نبوية لا استقلالا نفى لما ينسبه الجاهلون إلى المشايخ الذين يأخذون العهد على المريدين بهذا الشرط من المنافسة واتباع الهوى فى ذلك وغير خاف أن المحبة الكاملة التى هذا وصفها لا تخلص للحب فى محبوبه حتى يستغرق فيها استغراقا يستحيل معه خطور غير محبوبه فى باله فضلا عن الالتفات والتشوف له وهذا أمر ضرورى فى المحبة الكاملة ولا شك أن المريد إذا استغرق فى محبة شيخه الاستغراق الموصوف لا يقدر أن يلتفت إلى غيره وكيف يلتفت إلى من لا يخطر بباله ولا يتصور فى وهمه وخياله فمن لازم الاتصاف بهذه المحبة التجرد عن كل علاقة والتجرد عن العلائق كلها من آكد الشروط فى طريق أهل الله تعالى قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى فى الرسالة ومالم يتجرد المريد عن كل علاقة فلا يجوز لشيخه أن يلقنه شيئا من الاذكار اه (وفى البحر المورود) نقلا عن بعض أركان الطريق الجندية مانصه السابع ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستمداد على وصف التسليم والمحبة والتحكيم فيكون اعتقاده أن هذا المظهر هو الذى عينه الحق سبحانه للافاضة عليه وأنه لا يحصل له الفيض إلا بواسطته دون غيره ولو كانت الدنيا مملوءة بالمشايخ ومتى ما يكون فى باطن المريد تطلع إلى غير شيخه لم يفتح باطنه إلى الحضرة الواحدية فالانسان فى الجهة وله بدن وروح والله تعالى منزه عن الجهة فحكمه اقتضت الاستفاضة ممن فى الجهة عن الفياض الحق الذى ليس فى الجهة وذلك أنه سبحانه وتعالى عين للبدن الانسانى المركب من الكثرات الكثيرة جهة واحدة يكون من تلك الجهة توجهه إلى الله وتلك الجهة هى نورانية رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عالم الأرواح فكما لا يقبل الصلاة إلا بالتوجه إلى الكعبة كذلك لا يحصل التوجه إلى الله تعالى إلا باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والتسليم وربط القلب بنبوته وأنه هو الواسطة بينه وبين الله دون غيره من الأنبياء وأنهم وإن كانوا أنبياء الله تعالى وكلهم على الحق ولكن لا يحصل من الله فيض إلا من ارتباط القلب بمحمد صلى الله عليه وسلم فيتوجه البدن إلى الجهة الواحدة وتوجه الروح إلى الجهة الواحدة حصل للانسان استعداد للافاضة عليه من الحضرة الواحدة ومن هنا يعرف أن المناسبة بين المفيض والمستفيض فيما يتعلق بالاستفاضة شرط وقد ورد فى بعض الأحاديث على ما أثبت المشايخ فى كتبهم أن الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته فلابد للمريد أن يتوجه إلى شيخه بربط قلبه معه ويتحقق أن الفيض لا يجىء إلا بواسطته وإن كان الأولياء كلهم هادين مهتدين يعتقد كلهم ويدعو لهم لكن استمداده الخاص واستفاضته تكون من روحانية شيخه وحده ويعلم أن استمداده من شيخه استمداده من النبى صلى الله عليه وسلم فان شيخه متعلق مستمد من شيخه وشيخه من شيخه أيضا وهكذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مستمد بالحقيقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من الحق جل وعلا «سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا» فربط القلب بالشيخ أصل كبير فى الاستفاضة بل هو أصل الأصول ولهذا قال المشايخ رضى الله عنهم برعاية هذا الشرط اه ولنذكر شيئا من عباراتهم وأقوالهم الدالة على تأكيدهم على رعاية هذا الشرط فمن ذلك ماذكره الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى طبقاته وكذا فى البحر المورود عن الأستاذ الكبير سيدى على بن وفا رضى الله عنه أنه كان يقول إعلم أن قلوب الرجال أمثال الجبال فكما أن الجبال لا يزيلها عن أماكنها إلا الشرك بالله تعالى كما قال عز وجل

يخبر عنه بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم باعتبار النظر إلى عمله من الطاعة أو المعصية إذ ذاك لا يحصل به قطع لاحتمال أمور لا تخفى وأما الجزم بذلك فى طريق الكرامة للأولياء بما أطلعهم الله تعالى عليه من غرائب ملكه وملكوته فليس بمراد لهم وإنما أطلقوا ولم يستثنوا هذا القسم نظرا منهم إلى الغالب وندور من يصل من الأولياء إلى هذه الكرامة بل لندور من يتصف بأصل الولاية فضلا عن الاطلاع على هذه الكرامة قال وإن حفظ إجماع العلماء بمنع هذا القسم على العموم فى غير الأنبياء وأنه لا فرق فى ذلك بين الولى وغيره فيجب حينئذ أن يتأول مايصدر من هذا الحكم ممن عرف بالولاية بأنه صدر منه وهو مغلوب مقهور بالحال مضطر إلى الإخبار بذلك ولا تكليف على مضطر انتهى أنظر آخر كلامه نقله اليدالى فى فرائد الفوائد ثم قال وبالجملة فللأولياء مكاشفات بالغيب لا ينكرها إلا من ينكر كراماتهم وقد قال أبو العباس المرسى رضى الله عنه لولا ضعفة العقول لأخبرت بما يكون غدا من رحمة الله تعالى وقال ابن حجر اخبار الأولياء بالمغيبات لا ينافى قوله تعالى «قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله» وقوله تعالى «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول» لأن علم الأولياء والأنبياء إنما هو باعلام من الله لهم وعلمنا بذلك إنما هو باعلامهم لنا وهذا غير علم الله تعالى الذى تفرد به وهو صفة من صفاته القديمة الأزلية الدائمة المنزهة عن التغيير وسمات الحوادث والنقص والمشاركة والانقسام بل هو علم واحد علم

به جميع المعلومات جزئياتها وكلياتها ماكان منها وما يكون ليس بضروري ولا كسبي ولا حادث فاذا تقرر هذا فعلم الله المذكور هو الذي يمدح به ويتصف به في الأزل وفيما لا يزال وأخبر في الآيتين المذكورتين بأنه لا مشاركة له فيه فلا يعلم الغيب إلا هو وما سواه ان علموا جزئيات منه فهو باعلامه واطلاعه لهم وحينئذ لا يطلق أنهم يعلمون الغيب إذ لا يقدرون على الاستقلال بعلمه وأيضا هم ما علموا إنما علموا وأيضا ما علموا غيبا مطلقا لأن من علم بشيء منه يشاركه فيه الملائكة ونظراؤه ممن اطلع عليه ثم اعلام الله تعالى الأنبياء والأولياء ببعض الغيوب ممكن لا يستلزم محالا بوجه فانكار وقوعه عناد ومن البداهة أنه لا يؤدي إلى مشاركتهم له تعالى فيما تفرد به من العلم الذي يمدح به قال النووي في قوله تعالى «قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله» أي لا يعلم الغيب استقلالا وعلم إحاطة بكل المعلومات إلا الله وأما المعجزات والكرامات فبإعلام الله لهم علمت وكذا ما علم باجراء العادة انتهى كلام ابن حجر انقله اليدالي في فرائد الفوائد وقال بن عطاء الله في لطائف المنن اطلاع العبد على غيب من غيوب الله بنور منه بدليل انقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله لا يستغرب وهو معنى قوله كنت بصره الذي يبصر به فمن كان الحق بصره فاطلاعه على الغيب غير مستغرب قال بعض العارفين قوله إلا من ارتضى من رسول لا ينافي قول المرسي في تفسيرها إلا رسول أو صديق أو ولي ولا زيادة فيه على النص فان السلطان الكبار

«وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا» فكذلك الولي لا يزيل همته عن قلب من آوى اليه إلا شرك موضع خالص المحبة من قلبه لغير وليه وربه فلا يلتفت ٧ للولي قلب مريده سوى الشرك لا تقصيرة في الخدمة ولا غير ذلك اه ومن كلام الأستاذ ابن وفا رضي الله عنه المريد الصادق عرش لاستواء رحمانية أستاذه كتب على نفسه أن لا يدخل بيتا فيه سواه ولا يظهر لعين رأت غيره في مرآة اه ومن كلامه أيضا رضي الله عنه مرتبة السيادة لا تقبل الشركة ولا تحملها فهي تدفعها عن نفسها لغيرة من أصابته تركته كالرميم اه ومن كلامه رضي الله عنه لما كان الحق سبحانه وتعالى لا يغفر أن يشرك به فكذا مظاهره لا يغفرون أن يشرك بهم لأنه حقيقتهم الظاهرة المتمثلة بهم فهوهم وهو قوامهم وأمورهم كلها أموره فاذا رأيت أحدا منهم يكره ممن يتعين عليه حبه وتعظيمه أن يحب سواه كحبه ويعظمه كتعظيمه فاعلم أن ذلك شأن الله الذي لا يغفر أن يشرك به ظهر به في مظهره فافهم واعرف والزم اه ومن كلامه أيضا رضي الله عنه الأستاذ مظهر سر الربوبية لمريده فعلى المريد أن يقف عند أمر أستاذه وأن لا يلتفت عن أستاذه يمينا ولا شمالا وأطال في ذلك فراجعه بتمامه في ترجمته من الطبقات إن شئت ومن كلام الشيخ الكبير سيدي ابراهيم الدسوقي رضي الله عنه رأس مال المريد المحبة والتسليم إلى أن قال فاذا كان المريد كل يوم في زيادة محبة وتسليم سلم من القطع فان عوارض الطريق وعقبات الالتفات والارادات هي التي تقطع عن الأمداد وتحجب عن الوصول اه وفي العهود المحمدية أن بعض المريدين شاور شيخه في زيارة شخص من مشايخ عصره وسماها فقال الشيخ يا محمد لا ينبغي لمريد أن يأخذ عن شيخ إلا إذا علم أنه يكفيه عن جميع الناس فان كنت لا أكفيك تقيدت على من شئت وقال في جنة المريد بعد ما ذكر وظائف الشيخ ثم لا يترك أصحابه يزورن شيخا آخر ولا يصلح ذلك بالمريدين إذ المضرة لهم بذلك محققة الوقوع إذ لكل شيخ طريقة تخصه لا يتعداها ولا يخلطها بغيرها فيسمع المريد تلك الطريقة ويرى منها ما هو خلاف طريقته فيختلف عليه الأمر ويقف في سلوكه وقلما يجيء منه شيء وعلى الشيخ سد هذا الباب على المريدين ولا يمنعه تخيل من لا علم عنده ولا صدق أن ذلك من جهة الاستبداد بالرئاسة والحسد فمقام الشيخ رفيع منزه عن ذلك ثم قال والقطب الذي عليه مدار هذا الباب هو حسن التعلق بالشيخ وحسن الاقتداء به وصدق التحكيم وكمال الاستسلام له من غير منازعة ولا اعتراض وقد قالوا لا عقوبة لعقوق المشايخ إلا سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى اه (وقال) في الذهب الابريز حاكيا عن نفسه رحمه الله تعالى ما نصه وكنت أتكلم معه يعني شيخه القطب سيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه ونحن في جزاء ابن عامر بمحروسة فاس أمنها الله فقال لي إن سيدي منصورا في رأس الدرب أتحب أن تتلاقى معه وتعرفه فقلت ياسيدي نعم وحبا وكرامة وكيف لا أحب أن التقي مع القطب فقال رضي الله عنه أما أنا فلو قدرنا أن أباك وأمك ولدا ممن يملك في شكلك وصفتك وعلمك وجميع ما عليه ذاتك باطنا وظاهرا عدد مائة ما نظرت إلى واحد منهم أنت حظي وقسمتي وهم عندي كسائر الناس فاستيقظت من غفلتي وعلمت أني ما جئت بشيء فان المحبة لا تقبل الشركة اه وفيه من الحكايات الحائمة حول هذا المرمى غير هذه فليراجعه من أراد الوقوف على ذلك إن شاء وسمعت بعض أصحابنا يقول وقد جرى ذكر هذه الحكاية أن هذه الحكاية تدل على أن المؤلف رحمه الله تعالى كان محبوبا حيث لم يطرد بسبب جوابه هذا الشيخ عن هذا الامتحان العظيم الذي امتحنه به والله أعلم وهذه العبارات السنية من هؤلاء السادات

الكبار أهل المراتب العلية كلها دلائل قطعية وبراهين جلية على أن رعاية هذا الشرط عنهم رضى الله عنهم من أهم المهمات وآكدها فى طريق التربية ومن هنا يعلم ان المشايخ الذين يسدون على المريدين هذا الباب قد سلكوا فى نصحهم وارشادهم لهم جادة الصواب وكيف لا وهم فى جميع حركاتهم وسكناتهم على هدى من ربهم وبينة ونور عاملون فى كل ذلك على ما يتلقونه عن الحضرة القدسية من طريق الالهامات الصحيحة التى تثلج لها الصدور ومنهم من يتلقى ذلك في اليقظة أو المنام عن استاذ الاساتيذ وسيد السادات بأسرهم عليه الصلاة والسلام من الأول ماذكره فى ممتع الاسماع عن الشيخ الكبير العارف الشهير سيدى محمد بن سليمان الجزولى صاحب دلائل الخيرات رضي الله عنه من قوله قيل لى قل لاصحابك لا تذنبوا بالاسرار فقلت وماذنب الاسرار فقيل لى الالتفات فقلت الالتفات عمن فقيل لى الالتفات عنك اه ومن الثانى ماثبت عن سيدنا رضى الله عنه من أمره صلى الله عليه وسلم له يقظة أن ينهى أصحابه عن زيارة غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغير الصحابة الكرام رضى الله عنهم أجمعين (وماحكى) عن القطب الجزولى رضى الله عنه فى قوله لا تذنبوا بالاسرار تصريح بان المريدين يؤاخذون بأمور تحدث فى سرهم وانما تسمى ذنوبا فى حقهم فان الاسرار فى كلامه جمع سر والمراد به هنا باطن الانسان ومن تلك الذنوب فى حق المريدين المتقيدين بعهود الشيوخ الكاملين الالتفات والتشوف والتطلع بالقلب والسر ومنها انقباض قلب المريد من ظهور بشرية الشيخ والعياذ بالله تعالى ومنها غير ذلك مما لسنا بصدد بسط القول فيه فى هذا المحل وأعظم الذنوب الالتفات لغير شيخه لما فيه من صورة المكر الخفى بالمريد فانه لا يظن أنه يبلغ به ذلك فيسترسل فيه ولهذا اعتنى المشايخ بالتحذير منه والتنبيه عليه وخصوصا لمن تفرسوا فيه النجابة وانه من المرادين بحمل سرهم فانهم لا يسامحونه فى ذلك أصلا (ومن) أعجب الامور فى هذا الباب ماذكره الشيخ الامام المتفنن ابو زيد سيدى عبد الرحمن ابن شيخ الاسلام سيدى عبد القادر الفاسى رضى الله عنهما فى كتابه ابتهاج القلوب عن الشيخ الشهير العارف بالله سيدى محمد بن عبد الله الشهير بابن معن الأندلسى رضى الله عنه أنه منع بعض مريديه من مجالسة أخيه العارف بالله سيدى عبد الرحمن وذلك حين ظهرت على أخيه المذكور آثار الفتح وأنه أعنى الشيخ أبا المحاسن قال لذلك المريد يافلان رد روحك لجهة واحدة خوفا عليه من الشتات وجمعا له عن الالتفات وراجع ابتهاج القلوب ان شئت وهذا مع كون أخيه العارف بالله معه فى دائرة واحدة تجمعهما طريقة واحدة وسلسلة واحدة بحيث لا يكون الالتفات عن أحدهما التفاتا عن الآخر ولهذا قلت فى هذه الحكاية انها من أعجب الأمور فى هذا الباب فافهم فتحصل من مجموع ماذكرناه عن هؤلاء الأعلام ان تشوف المريد لغير شيخه والتفاته اليه مضر به إضرارا يفضى به الى انقطاعه عما هو البغية والمرام فما بالك بما اذا انضم لذلك اعمال الحركة الظاهرة بالسعى ونقل الاقدام وبه يعرف ان لا لوم على أحد من أهل الكمال فى نهيه أصحابه عن زيارة من عداه من الرجال ويعرف أيضا أن المنكر عليهم فى ذلك قد عرض نفسه بسوء ظنه بهم ونسبته اياهم الى الضلال لعقوبة الله مولاهم الحق الشديد المحال اللهم سلم سلم بفضلك وكرمك ياربنا ﴿ تنبيه ﴾ كثير مايسمع بعض المنتسبين الى العلم أو الى طريق أهل الله تعالى ممن لا اطلاع لهم على هذا الشرط نهى سيدنا رضى الله عنه لاصحابه عن هذه الزيارة فيقول ان ذلك فى حق من لم يقف عندما حد الشرع فيها وقد علمت مما سلف من توجيه المنع عندهم أن

لانطوائه فى جاه النبوة وقيامه بصدق المتابعة فما رأى ذلك بنفسه وانما رآه بنور متبوعه ولم يكلفنا الله الايمان بالغيب الا وقد فتح لنا باب غيبه والى هذا أشار الغزالى فى أماليه على الاحياء ثم قال ويحتمل أن يكون المراد بالرسول فى الآية ملك الوحى الذى بواسطته تنكشف الغيوب فيرسله للاعلام بمشافهة أو القاء فى روع أو ضرب مثل فى يقظة أو منام ليطلع من أراد وفائدة الاخبار الامتنان على من رزقه الله ذلك وإعلامه بأنه لم يصل اليه بحوله وقوته فلا يظهر على غيبه أحدا من عباده الا على يدى رسول من ملائكته أرسله لمن فرغ قلبه لانصباب أنهار العلوم الغيبية فى أوديته حتى يصل لأسرار الغيب المكنونة فى خزائن الالوهية انتهى وأيضا الآية تشير إلى نفى اطلاع العبد على غيب الله الا من أطلعه الله انتهى قال اليدالى أيضا وفى أسد العينين فى مناقب الاخوين مانصه استدل بالآية مبطل الكرامات ورد بأن ظاهرها انه عالم كل غيب ولا يطلع على غيب المختص به وهو ومايتعلق بذاته وصفاته ومفهومه امكان اطلاعه غير الرسول على الباقى فغيبه اما مستغرق أى عالم كل غيب فلا ينافى اطلاع غير الرسول على بعضه واما مطلق فينزل على الكامل وهو المطرد وانكار ذلك انكار الحشر فانا شاهدناه من مشايخنا ومن المنجمين ونحوهم فمنكرها كالطاعن فى القرآن انتهى قال اليدالى ايضا قال السنوسى فى شرح الوسطى والجواب أن الغيب

هنا ليس عاما بل مطلقا أو معينا وهو وقت القيامة بقرينة السياق ولا يبعد أن يطلع عليه بعض الرسل من الملائكة أو من البشر فيصح الاستثناء و إن جعل منقطعا فلا خفاء بل لا امتناع حينئذ من جعل الغيب للعموم ليكون اسم الجنس المضاف بمنزلة المعرف بالألف واللام أو يكون الكلام لسلب العموم أى لا يطلع على غيبه أحد وهو لا ينافى اطلاع البعض على البعض وبالجملة فالاستدلال مبنى على أن الكلام لعموم السلب وهو ليس بلازم انتهى وقال الغزالى فى الكلام حذف ما يدل عليه الشرع والمشاهدة الضرورية وهو إلا من ارتضى من رسول أى ومن اتبعه باستقامة انتهى وفى نشر البنود قال القرافى الذى اختص الله به علم الغيب بلا سبب أما به كالمنام فقد يحصل لغيره تعالى كقصة الصديق رضي الله عنه فى حمل بنت خارجة حين أخبر بأنه أنثى انتهى ولقد أجاد الشيخ رضى الله عنه فى الجواب عن ذلك حين سئل رضى الله عنه عن قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو فقال فى الجواب نفي الله العلم بالغيب عن الخلق بهذه الآية فلا يعلمها أحد سواه لكن العلم المنفى ما كان للخلق اليه سبيل وطرق العلم الى الخلق من أحد ثلاثة أمور إما بحاسة من الحواس و إما بطريق السمع وتبليغ الخبر و إما بطريق الفكر وهو النظر فى أمور معلومة يتوصل بالنظر فيها الى العلم بأمور مجهولة فهذه الطرق هى المنفية عن الخلق و بقيت الطريق الرابع وهو ما يقذفه الله فى قلب العبد بغير حاسة ولا واسطة ولا فكر و يسمى هذا بالعلم اللدنى فان هذا العلم غير منفى

الكلام فيما إذا أديت على الوجه المحمود شرعا وأما إذا أدى الأمر فيها الى فعل منهى عنه فهى بحسبه مكروهة أو محرمة بلا نزاع كما إذا وقع من الزائر مثلا سجود على الأرض بين يدى قبور الصالحين كما يفعله كثير من الجهال وهذا مما لا يقول بجوازه مسلم لأن السجود لا يكون إلا لرب العالمين فليحذر المؤمن كل الحذر من فعل الجاهلين وأما تقبيله قبر الولى فيجرى فيه الحكم عند المالكية على الأصل عندهم من الكراهة فى غير ما ورد به الشرع كتقبيل الحجر الأسود لكن نقلوا عن التوضيح أن بعضهم استنبط من تقبيل الحجر تقبيل المصحف والمنبر النبوى والقبر الشريف وقبور الصالحين وأجزاء الحديث وممن قال بذلك ابن أبى الصيف اليمنى من الشافعية ذكره الشيخ جسوس رحمه الله تعالى وملخص هذا الذى أوردناه هنا فى هذه المسئلة أن زيارة الأولياء بمعنى قصدهم للانتفاع بهم والاستمداد منهم ممنوعة فى طريقتنا هذه المحمدية أما أولا فلما اختصت به من نسبتها بالوجه الأخص اليه صلى الله عليه وسلم حسبما تقدم بيانه فيكون الالتفات عن أستاذها رضي الله عنه التفاتا عن حضرة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم والملتفت عن حضرته صلى الله عليه وسلم لا يجد بابا يدخل منه و إذا كان كما ذكره الشيخ جسوس رحمه الله تعالى من الأدب عن بعض العارفين فى حق من زار وليا من أولياء الله تعالى أى قصده للاستمداد منه أن يستحضر فى استمداده منه استمداده من حضرته صلى الله عليه وسلم فيكون فى الحقيقة زائرا له صلى الله عليه وسلم ومستمدا من حضرته الشريفة زادها الله عزا وشرفا فكيف يصح لمن أخذ عليه العهد بالاستمداد من حضرته صلى الله عليه وسلم أن يلتفت الى غيرها و إن فعل فما وجه العذر عنده فى ذلك وما المخلص له مما أوقع نفسه فيه من سوء الأدب المفضى الى درك الشقاء والمهالك أعاذنا الله من بلائه بمنه وأما ثانيا فلأن الانتفاع بالشيخ مشروط فى حق المريد بربط القلب به بكمال المحبة والتسليم على الحد الذى تقدم ذكره فى نصوص الكمل من الشيوخ أهل التمكين والرسوخ فربط القلب بالمحبة الكاملة هو الذى يطوى به العبد بين حقيقة المريد وحقيقة شيخه وتقطع المسافات ولا تتم للمريد المحبة الكاملة فى شيخه إلا بقطع عقبات الارادات والالتفاتات على الحد الذى أفاده ما تقدم للأئمة فى ذلك من جلى العبارات وسنى الاشارات و إنما أطلت النفس فى هذه المسئلة أداء للنصيحة الواجبة لاخواننا المتقيدين بهذا العهد المحمدى المنخرطين فى هذا السلك الأحمدى حتى يظهر توجيه المنع من الزيارة بالمعنى السابق لكل واحد منهم فيكون على بينة من أمره وعلى بصيرة فيما يدعو اليه إن كان مستتبعا لغيره فيقبل على شأنه غاية الاقبال ويرفض عنه ما أولع به بعض من لا حقيقة عنده فى هذا المجال من الخرافات الباطلة والتأويلات البعيدة التي لا طائل تحتها إلا التشدق بشقاشق المقال ثم إن من تمام النصيحة للاخوان فى الله تعالى أن يعلموا أن الممنوع عندنا هو قصد الولى للانتفاع به والاستمداد منه لا غير وليحذروا أن يفضى بهم الحال الي الاستهانة والاستهزاء بالأولياء والصالحين أهل الفضل والخير فان وبال ذلك عظيم والعياذ بالله ومرتعه وخيم وقد قال سيدنا رضى الله عنه ونفعنا ببركاته فى رسالة التحدث بالنعم المشهورة بين أتباعه بعد أن عدد فيها بعض ما أنعم الله به عليه من الخصوصيات و بعض فضائل أصحابه ما نصه ومع هذا كله فلسنا نستهزىء بحرمة ساداتنا الأولياء رضى الله عنهم ولا نتهاون بتعظيمهم فعظموا حرمة الأولياء الأحياء والأموات فان من عظم حرمتهم عظم الله حرمته ومن أهانهم أذله الله وغضب عليه فلا تستهينوا

بحرمة الأولياء اه كلامه رضى الله عنه وكفى بقوله فان من عظم حرمتهم الخ تأكيداً على تعظيمهم واحترامهم وتحذيراً من الاستهزاء بهم وعدم مراعاة حقوق مقامهم وقوله رضى الله عنه فى حق من أهان العباد المكرمين أذله الله وغضب عليه يحتمل أنه اخبار ويحتمل أنه انشاء فعلى كل فهو صريح فى أن اهانتهم والاستخفاف بأقدارهم من أسباب الطرد فى طريقه رضى الله عنه وقد شوهد مصداقه فى بعض من ابتلى بذلك عياذاً بالله تعالى فقد أخبرنا بعض العلماء الفضلاء من أصحابه رضى الله عنه عن بعض الطلبة أنه ورد عليه من بلده إلى فاس فأخذ عنه ولقنه بعض الأسرار فرجع الى بلده وهو على مسيرة نحو السبعة الأيام من فاس فاختلى للذكر الذى لقنه اياه فاستحلى ما فتح به عليه فى خلوته فزاد على المدة التى حد له الشيخ رضى الله عنه من الأيام فحل به أمر كاد أن يكون سبب حتفه فى خلوته فلم يشعر أن وجد الشيخ رضى الله عنه معه فى الخلوة فمد يده اليه وأقامه من صرعته وقال له ما حملك على مجاوزة الحد أو كلاما من هذا المعنى ثم خرج وقد ظهر عليه أثر الفتح فكان من قدر الله أن اشتغل باذاية بعض الصالحين الأحياء من أهل بلده وكان والد هذا الصالح من مشاهير العارفين بالله ومن المستغرقين فى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتفق أن قدم هذا الطالب على الشيخ رضى الله عنه زائراً فلما دخل عليه بباب داره من فاس أشار اليه بيده رضى الله عنه بمجرد وقوع بصره عليه أن اذهب ثم قال له بلسانه رح عنى فانك تؤذى ولد الحبيب وطرده فبقى يتردد الى بابه فلم يقبله بعد والعياذ بالله تعالى وأراد رضى الله عنه بقوله ولد الحبيب أن والد الصالح المذكور كان حبيبا للنبى صلى الله عليه وسلم ويدل لقول الشيخ رضى الله عنه ما قدمناه عنه من أنه كان مستغرقا فى محبة الرسول عليه الصلاة والسلام مشهوراً بذلك بين الخاص والعام وتعظيم حرمة الأولياء يكون باعتقاد خصوصياتهم وعلو منازلهم عند الله تعالى والتصديق بما منحهم الله وخصهم به من الفتوحات والانوار والبركات والأسرار والجزم بأن فضائلهم وخصائصهم لا تحد بمقياس ولا تقدر بمقدار لأنهم عبيده المصطفون الأخيار وأرفع من هذا وأعلى وأعز وأغلى أن ينظم الى هذا الاعتقاد الاستحضار لأن جميع ذلك مفاض عليهم من حضرة سيد الوجود ومصطفى الحق من العباد فبذلك يصير التعظيم الموصوف خدمة لجانب سيد كل شريف ومشروف صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم واستثنى من المنع من الالتفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكذا الصحابة الكرام لأن الالتفات اليهم لا يعد التفاتا عنه صلى الله عليه وسلم واستثنى أيضا من ذلك زيارة من كان من أهل هذه الطريقة الشريفة والسلسلة السامية المنيفة لأن الأنوار المفاضة عليه هى المفاضة على الشيخ من الحضرة المحمدية صلوات الله وسلامه عليها بعينها لأن أصحابها المستفيضين منه مظاهر أنواره بلا شك فللمريد من أهل هذه الطريق أن يقصد قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بقصد الانتفاع بهم وكذلك قبور الصحابة الكرام رضى الله عنهم أجمعين وكذلك من كان من أهل هذه السلسلة الفاخرة حيا كان أو ميتا وأما الغير فلا وما فى جواهر المعانى من أن المريد له أن يزور الاولياء الأموات بشرط أن يقصد بذلك مواصلتهم لله ويطلب عندهم رضا الله ورسوله ورضا شيخه عنه لا غير صحيح لأن المنع محطه قصد الانتفاع بالمزور وهو فى هذه الصورة منتف بلا شك لأن القصد هو المواصلة لله تعالى لكن هذا إنما يصح ممن تحقق بمنزل الاخلاص وبلغ فى تصفية النفس وتزكيتها إلى أن صار بحيث لا يلتبس عليه شىء من دسائها وخداعها وأما من كان مرتهنا فى أسر شهوته محبوسا فى سجن هواه وغفلته فانه لا يعرف المواصلة لله وان ادعت

سبحانه وتعالى «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول الآية» قال المرسى أو صديق أوولى يشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم ان من العلم كهيئة المخزون لا يعلمه إلا العلماء بالله فاذا نطقوا به لا ينكره عليهم الا أهل الغرة بالله وبعبارة أخرى قال المراد بالعلم الذى نفاه الله عن خلقه فى الخمسة وغيرها من المغيبات هو العلم المكتسب الذى يتوصل اليه الخلق بأحد أمور ثلاثة كما تقدم إما من أخبار سمعية أو أدلة فكرية أو بمعاينة حسية فهذه الطرق هى التى حجب الله عن صاحبها أن يعلم الغيب وأما من وهبه الله العلم اللدنى فانه يعلم بعض الغيب كهذه المذكورات أو غيرها كما فى قصة الخضر وموسى عليهما السلام لأنه فعل ما حكاه الله عنه عن علم ولم يعلمه كليم الله قال تعالى «وعلمناه من لدنا علما» هذا دليل على أن من علمه الله العلم اللدنى انه يعلم بعض الغيوب التى أخفاها الله على كثير من خلقه انتهى انظر جواهر المعانى وبالجملة فشواهد الشرع كثيرة جداً تعجز المتأول وتبهت المعاند وفى هذا القدر كفاية لمن أراد الله توفيقه للايمان بالكرامات والمعجزات وبالله سبحانه التوفيق *المبحث السادس فى الذكر وفضائله فى الجملة وتنوعه باعتبار الذاكرين إلى ذكر أجور وذكر حضور وآدابه وشروطه ذكر الجماعة وآدابه وفضل الحضرة اعلم سقانا الله وإياك من كأس الصفا ولا عدل بى وبك عن مناهج أهل الوفا أن الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب وسواء فى ذلك ذكر الله أو صفة من صفاته أو حكم من أحكامه أو

فعل من أفعاله أو استدلال على شيء من ذلك أو ذكر رسله أو أنبيائه أو أوليائه أو من انتسب إليه أو تقرب إليه بوجه من الوجوه أو سبب من الاسباب أو فعل من الأفعال بنحو قراءة او فكر أو شعر أو نحوها فالمتكلم ذاكر والمتفقه ذاكر والمفتي ذاكر والمدرس ذاكر والواعظ ذاكر والمتفكر في عظمة الله وآياته في أرضه وسمائه ذاكر والممتثل ما أمر الله به والمنتهي عما نهى عنه ذاكر وقد يكون باللسان وقد يكون بالجنان وبأعضاء الانسان والجامع لذلك كله ذاكر كامل فذكر اللسان هو ذكر الحروف بلا حضور وهو الذكر الظاهر وله فضل عظيم فمنه ماهو ثناء على الله تعالى كالباقيات الصالحات ومنه ماهو ذكر فيه دعاء أو مناجاة وهو أشد تأثيرا في قلب المبتدي من الذي لا يتضمن المناجاة لأن المناجي يشعر قلبه بقرب من يناجيه وهو مما يؤثر في قلبه ويلبسه الخشية ومنه ماهو ذكر فيه رعاية أو طلب دنيوي أو أخروي والرعاية مثل قوله لله معي الله ناظر إلي الله يراني فان فيه رعاية لمصلحة القلوب فانه ذكر يستعمل في تقوية الحضور مع الله تعالى وحفظ الأدب معه والتحرز من الغفلة والاعتصام بالله من الشيطان الرجيم وحضور القلب مع العبادات قاله في مفتاح الفلاح انتهى وقال الساحلي رحمه الله اعلم أن الذكر أعظم الوسائل إلى المعرفة بالله تعالى ولذا كانت أعمال البر كلها دون الجهاد والجهاد وسائر الأعمال دون الذكر خرج أبو داود والترمذي وابن أبي شيبة عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

نفسه ذلك فهو من مكرها وخداعها لا غير وقد كان سيدنا رضي الله عنه يقول العامة لا تعرف العمل لله اه فالخير كله مجموع لنا معشر الضعفاء واهل الحجاب في اتهام أنفسنا وعدم الاغترار بشيء مما تدعو إليه وتشرئب إلى فعله والحرص عليه ولهذا آل الأمر من سيدنا رضي الله عنه في آخر عمره إلى سد هذا الباب وحسم هذه المادة من أصلها وعلى ذلك استمر العمل بعده من جمهور أصحابه المعتبرين على أن الخطب في هذا سهل عند من أنصف فان فضل المواصلة لله لا لعلة زائدة يحصل بالاعتقاد والتعظيم القلبي بل ربما كان ذلك أفضل لسلامته مما يتوقع في القصد إلى الأولياء بأعمال الحركة الظاهرة من التصنع والرياء والعجب ونحو ذلك فالاقتصار على التعظيم القلبي في حق المريد أولى له من ارتكاب ما يتوقع بارتكابه الاخلال بهذا الأصل الذي قال فيه الشيوخ أنه أصل الأصول حسبما تقدم وخصوصا في طريقنا هذه فان سيدنا رضي الله عنه جعل مدار التربية فيها عليه وقد تقدم توجيه ذلك وفي هذا القدر الذي أتينا به هنا كفاية لمن سلك سبيل الانصاف وتجنب طريق الاعتساف وسيأتي لنا قريبا إن شاء الله تعالى مزيد كلام في هذا الباب والله الموفق للصواب ثم قال رحمه الله تعالى

﴿ وترك غيره من الأوراد * وعدم الترك إلى المعاد ﴾

الضمير في غيره لورد سيدنا رضي الله عنه والمراد بالأوراد هنا أوراد المشايخ اللازمة لمن دخل طريقهم وفي قوله ( وعدم الترك ) حذف الصلة أي وعدم الترك له يعني هذا الورد الشريف وأراد (بالمعاد ) الممات يقول ويعطى هذا الورد ويلقن أيضا لمن رغب فيه من العباد إذا تحمل والتزم وترك غيره من الأوراد بأن ينسلخ عنها إن كان وجده الحال متقيدا بها ويلتزم عدم أخذها بعد عن مشايخها وأربابها وكذلك يعطى ويلقن أيضا لمن رغب فيه من الانام إذا تحمل والتزم أن لا يتركه إلى أن ينزل به محتوم الحمام وعقد في الشطر الأول ما صرح به في جواهر المعاني من أن هذا الورد العظيم لا يلقن لمن كان له ورد من أوراد المشايخ رضي الله عنهم إلا إذا تركه وانسلخ عنه والتزم عدم العودة إليه وأخذ عليه العهد بذلك من له الاذن الخاص من الشيخ رضي الله عنه وإن لم ينسلخ عنه فلا يلقنه إياه ولا شيء عليه لأن أوراد المشايخ كلها على هدى وبينة من الله وكلها مسلكة وموصلة إلى الله تعالى فان خالف المقدم لاعطاء الورد ولقنه قبل أن يلتزم عدم التشريك له مع ورد آخر سابقا كان أو لاحقا فان الورد يرتفع عنه هو في نفسه فلا ينفعه ولا من لقنه إياه فليحكم هذا الشرط وليعمل عليه اه راجع جواهر المعاني وعقد في الشطر الثاني ماهو مصرح به في كثير من الاجازات وهو مستفاد من كلام صاحب الجواهر أيضا من أنه لا يلقن إلا لمن التزم المداومة عليه إلى الممات فان فاته لعذر فليتداركه على ممر الدهر وما أشار إليه في الشطر الأول قد تقدم ما يشهد له في النصوص التي جلبناها في الأبيات قبله وقال الشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه في الباب الحادي والثمانين والمائة في معرفة مقام احترام المشايخ من فتوحاته المكية واعلم أنه كما لم يكن وجود العالم بين إلهين ولا المكلف بين رسولين مختلفي الشريعة ولا امرأة بين زوجين كذلك لا يكون المريد بين شيخين إذا كان مريد تربية فان كان صحبته بلا تربية فلا يبال بصحبة الشيوخ كلهم لأنه ليس تحت حكمهم وهذه تسمى صحبة البركة غير أنه لا يجيء منها رجل في طريق أهل الله والحرمة أصل في الفلاح اه بنقل الشعراني رضي الله عنه وقال ابن حجر من يريد التبرك يجوز له الأخذ عن مشايخ متعددين

متعددين ومن يريد السلوك والتربية يحرم عليه الخروج عن شيخه اه المراد من كلامه بنقل صاحب الجيش الكبير وكأنه مأخوذ من قول الشيخ محيي الدين السابق آنفا قلت وليس فى طريقنا الا صحبة السلوك والتربية لما تقدم لنا فى المقدمة من أن أهل هذه الطريقة كلهم مرادون لحمل سر الشيخ رضى الله عنه واذا كان المحب للشيخ رضى الله عنه دون أخذ ذكر عنه لا يموت إلا وليا عنه فما بالك بأخذ الورد عنه والله ذو الفضل العظيم وبالجملة فمن المقرر عند أئمة الطريق وأركانها أن من شرط أخذ العهد على المريد انسلاخه عن جميع العلائق قال الاستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه حسبما سبق قريبا وما لم يتجرد المريد عن كل علاقة فلا يجوز لشيخه أن يلقنه شيئا من الأذكار اه وقد علمت مما قدمناه عن الأئمة أن من أعظم العوائق علامة التعلق بغير الشيخ بل والالتفات إليه بالسر فقط وقد اتفق لبعض الفقهاء من أهل مكناسة الزيتون أن صدر منه التفات بعد التقيد بعهد سيدنا رضى الله عنه فأحس بانكساف أحواله الظاهرة والباطنة فقصد الشيخ رضى الله عنه بفاس فطلب منه تجديد الاذن فى ورده فلم يجبه رضى الله عنه لذلك حتى أقام مدة بفاس يلازم فى كل يوم منها باب داره رضى الله عنه واستعطف خاطره بمديح أنشاه هنالك وكانت له قدرة على ذلك فلم يجبه لمراده ثم لما طال به الأمر طلب من بعض من كان يتوسط له فى الكلام مع الشيخ رضى الله عنه أن ينهى إليه رضى الله عنه أن هذا الرجل له بنات صغار بمكناسة وليس لهن من ينوب عنه فان أنت سيدى أقبلت عليه وجددت له الاذن رجع إليهن وإلا فيتركهن للضياع وهذا قبره بباب دارك فلما بلغ ذلك سيدنا رضى الله عنه دعا به فلما أدخل عليه جعل يتحدث على عادته رضى الله عنه فقال بعض المشايخ أتاه رجل يأخذ عنه فقال له حتى تخرج عن جميع ما تملك ففعل فقال له حتى تفارق زوجتك ففارقها فلما انسلخ عن المال والزوجة وكل شىء يملكه قال له لا شىء لك عندنا اذهب وانظر حاجتك عند غيرنا فساح فى طلب من يأخذ عنه فلم يتيسر له أحد يأخذ بيده حتى قص أمره على بعض من لقيه فى سياحته فقال له ارجع إلى ذلك الشيخ الأول الذى أمرك أن تخرج عن جميع متعلقاتك ولا تظن أن أحداً ينفعك غيره فعند ذلك رجع إليه فقال له قطعناك عن سائر العلاقات فانقطعت وبقيت فيك علاقة التعلق بالغير فتركناك حتى انقطعت عنها ثم أقبل عليه ولقنه فأكد سيدنا رضى الله عنه بذكر هذه الحكاية ما فعله من التربية مع هذا الفقيه حتى لا يبقى عنده خاطر شبهة فى الأمر وجدد له الاذن رضى الله عنه وهذه كانت عادته رضى الله عنه مع من صدر منه إخلال بهذا الشرط إذ أتاه طالبا لتجديد الاذن لا يجدد له حتى يأنس منه الصدق التام فى الجزم بعدم العود إلى ذلك ومن الناس من طلب ذلك فلم يجبه إليه بعد أبدا ولا تظن أن للمشايخ فى ذلك هوى نفسانيا أو حظا شهوانيا فتخسر صفقتك فى حسن الظن بهم رضى الله عنهم ثم قال رحمه الله تعالى

﴿ ومن لبعض ما تقدم نبذ * يخسر فى الدارين إن كان أخذ ﴾
﴿ وذا الوعيد قاله خير الورى * لشيخنا يقظة بلامرا ﴾
﴿ ومن يتب من فعله ويندم * ثم يجدد الطريق يسلم ﴾

ماتقدم هو ترك الزيارة أى قصد الأولياء للانتفاع بهم والاستمداد منهم وترك ما عداه من الأوراد الموجب أخذها الدخول فى طرق المشايخ والمداومة على الورد إلى الممات بأن لا يتركه تركا

سبيل الله تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع وذلك أن المقصود الأعظم من أعمال البر كلها تصفية النفس وتطهيرها بإتلافها عن مألوفاتها وإخراجها عن هواها فما كان منها أقرب لهذا المعنى وأعون عليه فهو أفضل مع أن عالل النفس منها ما يظهر بلا تأمل ومنها ما هو أخفى من دبيب النمل ولا شك أن الجهاد الحقيقى مؤذن بإتلاف النفس من مألوفاتها وإخراجها من عالم الحس لكن لا يعرى ذلك من العلل الخفية المعربة بالابقاء على النفس والنفس تتحمل المشاق العظام مع الابقاء عليها وبهذه العبرة قصر الجهاد عن الالتحاق بفضيلة الذكر لأن الذكر إذا استعمل على طريقه المعروف مبنيا على قواعد الشرع محفوظا من خطرات الزيغ فانه لا يدع من عالل النفس شاذة ولا فاذة ولا أثرا إلا أتى على ذلك بالذهاب حتى يبلغ النفس غاية طهارتها فتصير لها صفة ذاتية ولا يبقى عندها التفات لغير ذكر الله تعالى كل ذلك عن علم وذوق ولذلك سمى الذكر المؤذن بخلاص النفس جهاداً أكبر وسمى الضرب بالسيوف والطعن بالرماح جهاداً أصغر وغير الذكر قد يبقى معه من عالل النفس ما هو حجاب عن الله تعالى وان كان خفيا وقد تقنع النفس بذلك الخفى وتتحمل لأجله المشاق وتقتحم المضايق من الطاعات راضية بذلك لأن إخراجها عن

جميع هواها هو البلاء العظيم انتهى. وأما فضائله فى الجملة فأكثر من أن تحصى ولو لم يرد فيه إلا قوله تعالى « فاذكرونى أذكركم » وقوله فيما

يرويه عنه رسوله أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى ان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتانى ماشيا اتيته هرولة لكان فى ذلك الشفاء والغنية وهذا الحديث متفق على صحته قالوا ومن خصائصه أنه غير موقت بوقت فينبغى للعبد أن يستكثر منه فى كل حالاته ويستغرق فيه جميع أوقاته ولا يغفل عنه وليس له أن يتركه لوجود غفلته فيه فان تركه له وغفلته عنه أشد من غفلته فيه قاله فى جنة المريد وقال ابن عطاء الله رضى الله عنه فى حكمه لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك فى وجود ذكره فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز انتهى وفسر سيدى زروق الغفلة بعدم الانتباه لمعانى الذكر ومقاصده واليقظة بالانتباه لمعانى الذكر باستحضار مقاصده لا على سبيل الدوام ولا على وجه الاستغراق والغيبة فان كان على سبيل الدوام فهو الحضور والحضور استشعار معانى الذكر ومقتضياته مدة وجوده أو دائما بوجه من التأثير وعنه ينشأ ذكر الله عند أمره ونهيه والغيبة عما سوى المذكور انتصاب القلب له من حيث

كليا على جهة الطرح بالمرة له لتهاون أو استهزاء أو نحو ذلك وان لم يأخذ غيره وألفاظ الأبيات كلها واضحة يقول وإذا وقع من المريد الآخذ لهذا الورد نبذ لبعض ما تقدم وأحرى إذا نبذ الجميع بعد التقيد بالعهد فانه يخسر فى الدارين وتحل به العقوبة فيهما بلاشك ولامين وذلك بنص من سيد الوجود عليه الصلاة والسلام لشيخنا رضى الله عنه مشافهة فى حال اليقظة لا حال المنام إلا أن تدركه عناية إلهية بسبق مشيئة ربانية فيتوب من فعله ويستأنف التقيد بالعهد على يد من عنده الاذن الصحيح من أرباب هذا الشأن وأهله ولفظه صلى الله عليه وسلم فى هذا الوعيد المشار إليه مذكور فى جواهر المعانى لمن أراد أن يقف عليه وقد سبق آنفا ما يستفاد منه توجيه ذلك ويظهر به السبب فيما هنالك اللهم انا نسألك الثبات فى الأمر ونعوذ بك من لباس حلة الأمان من المكر بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين آمين ولما أنهى الكلام فيما يجب منه تجديد الاذن فى الورد لكون من نبذه كلا أو بعضا استهزاء وتهاونا ينسلخ عن عهدة أهل الطريق أردفه بما تجب منه التوبة فقط كلما وقع فيه المريد ولا يوجب انقطاعا عن الشيخ رضى الله عنه ولا سدا لأبواب المزيد فقال .

﴿ كذاك فعل ما به الهادى أمر * وترك ما عنه نهانا وزجر ﴾
﴿ تحذيره كان من القلبية * للناس أكثر من الجلية ﴾
﴿ لكونها من فعلهم خفية * مع زجره عن كل ما معصية ﴾
﴿ وشدد التحذير فى الذى انتقل * عن النبى كونه يحبط العمل ﴾
﴿ وكان يغرى بفروض العين * لكونها هى أساس الدين ﴾
﴿ مع كونه يغرى بكل أمر * أتى عن النبى أو فى الذكر ﴾
﴿ وبالمكفرات للذنوب * وبالمطهرات للقلوب ﴾
﴿ ومن عليه كتب المجيد * فليس لازما له التجديد ﴾

الاشارة بذا من قوله ( كذاك ) إلى ما تضمنته الترجمة أى ما يلزم من أراد الورد الخ (والهادى) من أسمائه صلى الله عليه وسلم والمناسبة فى الاتيان به هنا دون غيره من أسمائه صلى الله عليه ظاهرة والضمير فى تحذيره راجع للشيخ رضى الله عنه بقرينة المقام ويدل عليه أيضا الأصل المعقود من كلام صاحب جواهر المعانى وهو فى فصل الدلالة منه والقلبية صفة لمحذوف تقديره المعاصى كما يدل عليه السياق وكذا قوله ( الجلية ) أيضا وانتقل المراد به هنا روى أو ثبت أو صح اعتبارا بمراتب الأخبار الواردة فى ذلك صحة أو حسنا أو ضعفا وانتقل يعم جميعها ولذلك عبر به والله أعلم وفروض العين الواجبات العينية كالصلاة والصوم والزكاة وسائر المفروضات العينية والذكر القرآن العظيم والمكفرات للذنوب المراد بها الخصال التى ورد الخبر بأنها تكفر الذنوب وهى معلومة وكتب معناه هنا قدر وهو فعل ماض فاعله المجيد وهو اسم من أسمائه تبارك وتعالى ومفعول كتب محذوف للعلم به تقديره ذنبا أى مخالفة للشرع والتجديد المراد به هنا تجديد الاذن فى الورد من الآذن لا تجديد التوبة فان التمادى على الاصرار يفضى بصاحبه إلى البوار يقول رحمه الله تعالى وكما يلزم الآخذ للورد جميع ما تقدم فكذلك يلزمه أيضا الاخذ بما أتانا الرسول الهادى الأكرم والترك لما نهانا عنه صلى الله عليه وسلم «وما آتاكم الرسول فخذوه» الآية والمراد ترك المخالفة فعلا وتركا للأوامر الشرعية بالمحافظة فى السر والعلانية على الوقوف عند حدودها المرعية لكثرة تحذير الشيخ رضى الله عنه

فى بساط الدلالة والتربية من وخامة مرتع المعصية الظاهرة منها والخفية وتحذيره رضى الله عنه كان من الباطنة أكثر من تحذيره من الظاهرة الجلية فقد كان رضى الله عنه يكثر التحذير من المعاصي بأسرها ويبالغ فى القلبية منها أكثر من غيرها وكذلك كان رضى الله عنه يشدد الزجر والتنفير ويبالغ فى التخويف والتحذير من فعل ماورد عن سيد الارسال صلى الله عليه وسلم أن فعله يحبط الأعمال وكذلك أيضا كان رضى الله عنه يرغب أتم ترغيب فى كل وقت وحين فى المحافظة على المفروضات العينية التى هى أساس الدين مع كونه رضى الله عنه يرغب دائما على سبيل الاطلاق والتعميم فى كل أمر أتى به الذكر الحكيم أو ورد فى سنة نبينا المصطفى الكريم عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى التسليم وكذلك كان يرغب أيضا مع ذلك كله فى الاتيان بالخصال التي وردت عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنها تكفر الذنوب وتطهر القلوب من الران وسائر أدران العيوب هذا ومن قدر عليه ذنب فى الأزل فليس عليه بعد الوقوع والنزول إلا المبادرة للتوبة والاقبال على صالح العمل وليس عليه تجديد التلقين للورد ولا إعادة التقيد بالعهد والأصل فيما عقده الناظم رحمه الله تعالى فى البيت الأول من هذه الأبيات ماهو مذكور فى غير مارسالة من رسائل سيدنا رضى الله عنه وخصوصا فى الرسالة الأولى من الرسائل المشتمل عليها جواهر المعانى فان لفظ الشيخ رضى الله عنه فيها صريح فى اشتراط المحافظة على الأوامر الشرعية فى الورد ونصه فيها وشرط الورد المحافظة على الصلاة والأوامر الشرعية الخ يريد رضى الله عنه بقدر الاستطاعة كما شرحه رضى الله عنه فى الرسالة التى تلى هذه بقوله صدرها وبعد فأوصيكم بما أوصاكم الله به وأمركم به من حفظ الحدود ومراعاة أمر الله على حسب جهدكم واستطاعتكم فان هذا زمان انهدمت فيه قواعد الأمر الالهى جملة وتفصيلا وانهمك الناس فيما يضرهم دنيا وأخرى بحيث لارجوع ولا يقظة لما يصرف القلوب إلى الله والوقوف عند حدوده أمراً ونهياً ولاطاقة لأحد بتوفية أمر الله فى هذا الوقت إلا لمن لبس حلة المعرفة أو قاربها ولكن حيث كان الأمر كما ذكر ولم يجد العبد مصرفا عما أقامه الله فيه فالأبقع خير من الأسود كله فاتركوا مخالفة الله مااستطعتم وقوموا بأمره على حسب الطاقة اه إلا أن الناظم عبر عن الشرط هنا باللازم وقد تقدم بيان الوجه فى صنيعه رحمه الله تعالى والأصل فيما عقده فى قوله تحذيره الخ ماهو مذكور فى فصول سيرة سيدنا رضى الله عنه ودلالته على الله تعالى من جواهر المعانى والأصل فيما عقده فى قوله وشدد النكير فى الذى انتقل الخ مذكور فى بعض أجوبة الشيخ رضى الله عنه عن بعض الآى القرآنية من الكتاب المذكور والأصل فيما عقده فى قوله وكان يفرى بفروض العين الخ مذكور فى الشافية وفى غيرها من الرسائل وكذا فيما عقده فى قوله وبالمكفرات للذنوب الخ مذكور فى جل رسائله كالشافية وغيرها وأما قوله ومن عليه كتب المجيد الخ فالأصل فيه مانبت متواتراً عن الشيخ رضى الله عنه من أنه كان لا يأمر بالتجديد من الوقوع فى شىء من المخالفة كائنة ما كانت أى تجديد الاذن وانما كان يأمر من بلغه عنه شىء من ذلك أوشكا اليه شيئا صدر منه بالتوبة بشروطها وترك الاصرار وعدم الأمن من مكر الله تعالى لاغير وجميع مااشتملت عليه الأبيات السبعة بعد البيت الأول هو من تفصيلات مادل عليه ومتعلقاته وإنما خصت المعاصى القلبية بالذكر فى بساط السلوك عندنا والتربية لأن كلها أو جلها من الأسباب القاطعة للمريد عما هو بصدده من الوصول إلى حضرة الرب المجيد وقد كان سيدنا الشيخ رضى الله عنه يبالغ فى التنفير عن العجب والكبر ويقول إن صاحبهما فمن غفل عنه ذكر غيره ومن انتبه به أنس به المرة بعد المرة ومن حضر معه خضع له ومن نسى ماسواه فنى به ومن فنى به غاب عن كل شىء سواه وقال أيضا فان كان مع الحضور فهو الكمال وان كان دونه فمن جملة الأعمال فقد قال رجل يارسول الله كثرت على شعائر الاسلام فدلنى على عمل أدرك به مافاتنى وأوجز فقال عليه السلام لايزال لسانك رطبا بذكر الله فلم يدله إلا على ذكر اللسان وان كان ذكر القلب أتم وأكمل فالاشتغال بمقدور العبد مقدم على مايدخل تحت اختياره ثم فى ذلك فائدتان عاجلة وآجلة أما العاجلة فبتزيين جارحة بذكر الله وأما الآجلة فالتأثير بوجود المثابرة وفى تركه آفتان اخلاء الوقت من العبادة والتعرض لوجود الفضول بدلا من ذلك وقال الفاسى رحمه الله تعالى فى شرح عدة الحصن الحصين الذكر بغير حضور قليل الفائدة بالنسبة إلى ذكر الحضور وعلى هذا تحمل عبارة من قال لاخير فى ذكر مع قلب غافل ساه قال وعلى ذلك حملها الشيخ أبو زيد الثعالبى وغيره وكذا حديث لايقبل الدعاء من قلب لاه انتهى وقال فى جنة المريد وبالجملة فالذكر باللسان عبادة وشغل حاسة اللسان به طاعة وان كانت ناقصة فاذا جاهد السالك نفسه وجشمها الحضور مع الذكر لتدبر معانيه تصوب الذكر من اللسان إلى داخل الجنان فذكر القلب بذكر اللسان فكان أكمل من الذكر قبله ثم إذا أعمر الذكر حاسة القلب

يتصوب منها إلى السر فتكحله أنوار الذكر وتطفح أنواره فتنتشر فى سائر عوالم الجسد اشعاراً وابشارا انتهى وقال فى مفتاح الفلاح بعد ماذكر نحو ماقدمناه آنفا فهذه ثمرة لباب الذكر وإنما مبدؤها ذكر اللسان ثم ذكر القلب تكلفا ثم ذكره طبعا ثم استيلاء المذكور وانمحاء الذاكر وهو سر قوله صلى الله عليه وسلم بفضل الذكر الخفى على الذكر الذى تسمعه الحفظة بسبعين ضعفا وعلامة وقوع الذكر إلى السر غيبة الذاكر عن الذكر فى المذكور انتهى . وأما تنوع الذكر باعتبار الذاكرين فقد قال الساحلى رحمه الله تعالى الذكر باعتبار الذاكرين على قسمين ذكر أجور وهو ذكر العامة وذكر حضور وهو ذكر الخاصة أما ذكر الأجور فهو أن يذكر الانسان الله تعالى بما شاء من الأذكار ولا يقصد به إلا نيل ماوعد الله سبحانه به الذاكرين من الأجر وأعد لهم من الثواب من غير التفات إلى ماوراء ذلك فهذا راتع فى رياض الجنة وأجره ثابت على قدر نيته وأما ذكر الحضور فهو التزام أذكار معلومة بحسب أحوال مخصوصة على سبيل الاستشفاء من علل النفس والخلاص من أمراض متعلقاتها ليجردها عن الأخلاق الذميمة ويحليها بالأخلاق الحميدة وهو على ثلاثة أقسام ذكر اللسان فى مقام الاسلام ونعنى بذكر اللسان قيامه بحركة لفظه مع

والعياذ بالله تعالى ممقوت وأنهما من أعظم الذنوب القاطعة عن الله تعالى ويستشهد لذلك بقصة سيدنا آدم عليه السلام حين أمر اللعين بالسجود له فأبى واستكبر فطرد عن رحمة الله وكتبت عليه اللعنة إلى يوم الدين انظر جواهر المعانى وإنما خصت أيضا محبطات الأعمال لما عليه كثير من الناس فى شأنها من الاهمال والاغفال مع كونها من أكبر الدواهى المعضلات التى يجب التحرز منها فى عموم الأحوال وسائر الأوقات وهى متعددة وعدوا منها قذف المحصنات لحديث مسلم من قذف محصنة مؤمنة أحبط الله له عمل مائة سنة وعدوا منها أيضا ترك صلاة العصر حتى تغرب الشمس من غير عذر من نسيان أو نوم لحديث من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله وفى رواية كأنما أوتر ماله وأهله وولده وهى فى صحيح البخارى وعدوا منها ظلم الأجير بعدم اعطائه أجرته لحديث من ظلم أجيراً أجرته أحبط الله عمله وحرم عليه ريح الجنة وريحها يوجد من خمسمائة عام وهو من أحاديث خطبة الوداع وعدوا منها سب الصحابة الأكرمين رضى الله عنهم لما فى الحديث من سب أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل منه صرف ولا عدل اه إلى غير ذلك ونسأل الله تعالى الحفظ من سائر المهلكات بجاه أحب الخلق اليه نبينا المعصوم صلى الله عليه وسلم وخصت المفروضات العينية بالذكر أيضا لكونها أساس الديانات التى لا تبنى إلا عليها قوائمها ولا يستند إلا عليها دعائمها ولكون كثير ممن ينتسب لطريق أهل الخير ممن لا يعثر على من يأخذ بيده يعتنى بغيرها من الفضائل والرغائب أكثر مما يعتنى بها وتزين له نفسه وهواه ذلك ويتخيل أنه على الجادة نسأل الله العافية والسلامة من كل آفة وبلية وخصت مكفرات الذنوب من الشيخ رضى الله عنه بمزيد الترغيب فيها والتأكيد فى الحض عليها لشدة الاحتياج اليها فى الوقت وكثرة مناسبتها لأحكامه وأحوال أهله حسبما يشير اليه سياق كلامه رضى الله عنه فى الترغيب فيها والحض على العمل بها فى رسائله ونصائحه كقوله فى الشافية بعد اخباره بهيجان بحر الذنوب فى هذا الزمان وعظم أمواجه وتراكم ظلماته وعجز الناس عن الخروج عن الذنوب إلا صديق أو من قارب مقامه مانصه فحيث كان الأمر هكذا فليشتغل العاقل بعد تصحيح صلاة فرضه بمكفرات الذنوب إلى آخر كلامه فيها رضى الله عنه وكذلك فى غيرها من الرسائل فانه يشير إلى ماذكرناه من شدة احتياج الناس اليها عموما وخصوصا المريدين الصادقين لمناسبة العمل عليها لحكم الزمان وأحوال أهله كما لا يخفى وحاصل ما أشار اليه كلام الناظم فى هذه الأبيات الاخبار بأن من اللازم للداخل فى هذه الطريقة الأحمدية الشريفة المحافظة على الأوامر الشرعية والمحافظة عليها تكون بامتثال جميع ما أمر به الشرع ولو على جهة الندب وبتأكد الأمر فى الواجبات العينية لتحتم الأمر بها ولكونها هى أساس المعاملات الدينية وتكون أيضا باجتناب جميع مانهى عنه الشرع ولو على جهة الكراهة ويتأكد الأمر فى المحرمات منها جسدية كانت أو قلبية ثم يتأكد الأمر فى القلبية من أجل كونها خفية قد لا يعبأ بها والأخرى جلية مع كون القلبية أيضا مفسدة للقلب وإذا فسد فسد الجسد كله كما فى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ان فى الجسد مضغة الحديث وهذا هو حقيقة التقوى ولا شك أن التقوى فى السر والعلانية أصل منهاج الوصول إلى الحضرة العرفانية ومراتب التقوى ثلاثة أولاها تقوى الشرك وعليها قوله تعالى «وألزمهم كلمة التقوى» أى الشهادتين كما فسر به ثانيتها ترك مايؤثر من فعل وترك حتى الصغائر عند قوم وعلى هذه المرتبة قوله تعالى «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا - الآية» ثالثتها تنزه سره عما يشغله عن الحق

وعليه قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته» والواجب منها فى هذا البساط بذل الوسع فى الامتثال والاجتناب وعليه قوله تعالى «فاتقوا الله ما استطعتم» قال المفسرون إنها مخصصة للتى قبلها أو ناسخة لها والله أعلم ثم إن المحافظة على الأوامر الشرعية لا تتأتى إلا بالمبادرة الى التوبة من كل مخالفة تصدر من المريد و بترك الاصرار على الذنوب بأن يحدث لكل ذنب صدر منه توبة فان أصر فليحدث لاصراره توبة ولو تكرر الفعل منه مراراً إذ ليس لنا داء لا دواء له وفى الحديث ما أصر من استغفر ولو عاد فى اليوم سبعين مرة وقد قيل للحسن الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب الى متى قال ما أرى هذا إلا من أخلاق المؤمنين وقال حجة الاسلام رحمه الله تعالى وكما اتخذت العود الى الذنب حرفة فاتخذ العود الى التوبة حرفة فانك تكفر بالتوبة ذنبك الماضى ولعلك أن تموت وأنت تائب اه الغرض منه هنا فتحصل أن هذا اللازم هو الامتثال والاجتناب فى السر والعلانية والمراد بذل الوسع والطاقة فى ذلك على ما عليه قوله تعالى «فاتقوا الله ما استطعتم» وهذا القدر من المحافظة على الامتثال والاجتناب لا يتأتى إلا بالمحافظة على التوبة من كل ذنب يحدث من العبد ولو جرى عليه القدر النافذ بالعود اليه فى اليوم أو الليلة مراراً فلا يؤمر المريد إلا بتجديد التوبة من الذنب أو من الاصرار عليه إن صدر منه لأنه ذنب تجب منه التوبة لا غير ولا يؤمر بتجديد التقيد بالعهد لأنه لا تنفسخ عقدة عهده بارتكاب الذنب كما قد يتوهم وهذه طريقة الكمل من العارفين فقد رأيت فى النزهة للشيخ أبى العباس التستاوتى رحمه الله تعالى أن بعض إخوانه عهد اليه مرة عند إرادته الوفادة على شيخه الشيخ ابن ناصر رضى الله عنه أن يبلغه سلامه وأن يذكر له عنه أنه يقع فى الذنب الفلانى قال وهو مما يقتل فاعله ثم يتوب ثم يعود وقد تعذر عليه أمر التوبة منه يعنى بحيث لا يعود اليه أصلا قال فأجابنى الشيخ بأن قال لى قل له ليس عليه إلا أن يجدد التوبة منه كلما جرى عليه القدر به والحبل متصل بينى و بينه اه بمعناه مع طول عهد به وحدثنى بعض الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه أن بعض الخاصة رضى الله عنه وقع فى كبيرة ثم أتى سيدنا رضى الله عنه خائفا مذعوراً فذكر ذلك له رضى الله عنه فقال له ليس عليك إلا أن تتوب الى الله تعالى وأنت منى وأنا منك اه والتوبة الندم أى توجع القلب وتحزنه على ما صدر منه إعظاما لمخالفة الله تعالى وحذراً من عقوبته وسخطه مع العزم على أن لا يعود عزما قويا جازما لكن لا ينتهى فيه الى أن يعطى الله عهداً أن لا يعصيه أبداً فقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراوى فى طبقاته أن رجلا قال لبعض الشيوخ أرأيت إن أعطيت الله تعالى عهداً أو ميثاقا أن لا أعصيه أبداً فقال له فمن حينئذ أعظم منك جرما وأنت تتألى على الله تعالى أن لا ينفذ فيك أمره اه و يجب الاستحلال من حقوق العباد ورد ما أمكن من مظالمهم لا بد من ذلك مع الامكان والمسألة شهيرة مقررة فى كتب الفقهاء ﴿ فائدة ﴾ ذكر الشيخ أبو الفيض سيدى زروق رضى الله عنه عن بعض العلماء أن من استغفر لمظلومه دبر كل صلاة خمسا وفى حقه قال وأظنه فى العرض والله تعالى أعلم اه قلت وقد صرح الشيخ الشعراوى رضى الله عنه فى الأنوار القدسية بما إذا كان الحق ماليا أيضا ونصه ﴿ تنبيه ﴾ ينبغى لمن يعلم من نفسه أن عليه للناس حقوقا فى المال والعرض وتعذر رضاهم أن يقرأ مع حضور قلب سورة الاخلاص اثنتى عشرة مرة والمعوذتين كل ليلة و يهدى ثوابهن فى صحائف أرباب الحقوق يقول

على حقائقه بما نال الروح من الخلاص عن الأوهام الجسمانية والطهارة من الالتفاتات الطبيعية حتى لا يغيب عن معنى الذكر لمحة و إن كان اللسان متحركا فابقاء عليه رعيا لحق بدايته انتهى وقال ايضا ولا مطمع للذاكر فى ادراك حقائق الذكر إلا بأعمال الفكر فيما تحت ألفاظ الذكر من المعانى ليدفع خطرات نفسه عن باطنه راجعا الى مقتضى ذكره حتى يغلب معنى الذكر على قلبه وقد آن له أن يدخل فى دائرة أهل المحاضرات فى المنزل الذى يتلو منزله فليحافظ على وصلتها التى من جملتها الاخلاص و بعد أن كان القلب تابعا للسان رجع اللسان تابعا للقلب انتهى. وفى جنة المريد والطريق الى حضور القلب فى الذكر هى تدبر ما يذكر فان كان فى مقام البداية وتوارد الخواطر والهواجس على باطنه فالحيلة فيه مع التدبر رفع الصوت بالذكر شغلا لحاستى اللسان والسمع مع إغماض البصر وإعمال الفكرة فى عظمة المذكور بحيث لا تبقى للهواجس والخواطر روزنة تخلص منها الى القلب حتى يعم أنوار الذكر تخاويف القلب وتنتشر أشعته فى نواحى الصدر فتسد مسالك الوسواس ومنافذ الهواجس فيسر حينئذ أو يجهر إذ قد استولى الذكر على عوالمه فلو سكت اللسان لم يسكت القلب إذ قد تجوهر نور الذكر واليقين فى باطن القلب فلو ذهب رسم الذكر من اللسان والقلب لم يزل نوره بباطن السر لتجوهره فيه وهذا هو المقصود الأقصى وهو مبادىء المشاهدة والغيبة والأنس

انتهى وقال الساحلى رضى الله عنه حقيقة الذكر من الشرع قيام معنى التوحيد بالنفس حتى يصير صفة لها لا تغفل عنه وهذه الحقيقة هى المطلوبة من جميع العباد انتهى. وقال ذو النون المصرى رضى الله عنه من ذكر الله على الحقيقة نسى فى جنبه كل شىء وانس به عن كل شىء وحفظ الله عليه كل شىء وكان له عوضا من كل شىء وقال فى جنة المريد ثم الذكر بالنسبة الى النفوس ثلاثة اضرب من حيث ان النفوس ثلاثة فى الجملة النفس الأمارة بالسوء وهى نفس العامة تكون مظلمة فاذا وقع فيها الذكر كان الذكر مثل السراج الموقد فى البيت المظلم فاذا استولى عليها صارت لوامة لانها قد أبصرت البيت الذى هو القلب مشحونا نجاسة وكلابا وخنازير وفهوداً وحمرا وكل شىء مذموم فى الوجود ثم يجتهد الذاكر فى اخراج ذلك من داخل البيت بأنوار الذكر فاذا ظهر سلطان الذكر على الكل واستولى على الساحة بعد تخليته مما فيه فاذا استقرت أنوار الذكر فى القلب واكسبت النفس تنويراً ما مالت النفس الى الاطمئنان الى الذكر وصلح البيت لنزول الملك به وتجلى الحق به فاطمأنت فكانت مطمئنة تنادى من حضرة القريب نداء الحبيب للحبيب « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » إلى أن قال وهذه المعالم والمراقى لا يعرف حقائقها إلا السالكون وجدانا والعلماء تصديقا وايمانا فاياك والتكذيب بآيات الله فتكون من الصم البكم فى الظلمات انتهى. وأما آدابه فقد قال فى جنة المريد اعلم أن المراد من الذكر تحقيق الأنس بالله تعالى والوحشة من الخلق وآدابه التوبة بترك العبد ما لا يعنيه قولا وفعلا وارادة بعد النوم ليصدر الذكر من قلب مقبل على المذكور متخل عن الاغيار ثم الغسل والوضوء ليتنور

---

بعد القراءة اللهم صل وسلم على نبيك وحبيبك سيدنا محمد وعلى آله وأثبنى على ما قرأته واجعله فى صحائف من له على تبعة من عبادك فى مال أو عرض اه ونقل عن الزواوى رحمه الله تعالى ما هو قريب من هذا وقد علمت أن هذا كله مع تعذر الامكان أى إمكان الاستحلال ورد المظالم وفضل الله واسع ومع خروجه عن صحبة قرناء السوء الذين كان الفهم على المعاصى والمخالفات واضرارهم بالتائب مشاهد عافانا الله من شر كل شرير منه ﴿ فائدة ﴾ ذكر الشيخ زروق رضى الله عنه أن من كان له قرناء سوء خرج عنهم وأراد أن لا يرجع اليهم فليشخصهم وليصل عليهم صلاة الجنازة أخذا من تكبيره صلى الله عليه وسلم أربعا على قوم لم يغزوا معه اه ومع الاستغفار باللسان من الذنب حين التوبة فقد عدوه من شروطها أيضا وكثيراً ما ورد إطلاقه عليها كما فى الحديث السابق ما أصر من استغفر الحديث رواه الترمذى من حديث أبى بكر رضى الله عنه وروى الامام احمد من حديث ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون قال القسطلانى رحمه الله أى يعلمون أن من تاب تاب الله عليه ثم لا يستغفرون قال قاله مجاهد وغيره اه ولا يترك الاستغفار لعدم مواطأة القلب للسان فيه لأن اللسان إذا ألف ذكراً أوشك أن يألفه القلب فيواطئه وبالجملة فالمضر بالمريد هو الاصرار لأن من الذنوب ما يقطع الاصرار عليها المدد من حضرة الشيوخ حسبما نصوا على ذلك عياذاً بالله تعالى ﴿ تنبيه ﴾ حد بعضهم زمن الاصرار بأن لا يدخل عليه وقت صلاة أخرى وهو لم يتب وقيل فى حده غير ذلك وورد أن الملائكة أعنى الكرام الكاتبين ينتظرون العاصى ساعة قال الشيخ محيى الدين بن عربى فى الفتوحات المكية وما عرفنا مقدار هذه الساعة هل هى الفلكية أو غيرها اه ونقل عن السمرقندى أن الملك ينتظر ست ساعات أو سبع ساعات فان استغفر الله فيها لم يكتب عليه شيئا والا كتب عليه سيئة واحدة اه وانظر هذه السوائع فى كلام السمرقندى أيضا هل المراد الفلكية أو غيرها والأقرب انها الفلكية لأن الذى يظهر أنه بيان لقدر الساعة التى ينتظر فيها الملك وإلا كان مناقضا للحديث ان لم يثبت رواية والله تعالى أعلم ﴿ مسئلة ﴾ اختلف فى قبول التوبة هل هو قطعى أو ظنى والمشهور الأول واختلف أيضا على المشهور هل يعود ذنبه اذا عاد للذنب أم لا والصحيح الثانى فتجب التوبة بشروطها من عوده للذنب وكذا من عزمه على العود قولا واحداً واختلف أيضا هل تصح من ذنب دون ذنب أم لا والصحيح الاول ولو كان صغيراً مع الاصرار على غيره ولو كثيراً ﴿ مسئلة ﴾ أخرى اختلف هل تجب التوبة بتذكر الذنب مطلقا أو لا تجب بل تندب الا مع الفرح به والرضا بوقوعه والظاهر ترجيح الثانى لقول الشيخ زروق فى النصيحة وذكر الذنب لا يوجب التوبة منه بل ندبها على الصحيح ان لم يكن فرحا بذكره فتجب التوبة من فرحه به ورضاه بوقوعه اه ﴿ فائدة ﴾ من عسرت عليه التوبة فليكثر من قراءة « إذا جاء نصر الله والفتح » ومن عسر عليه قياد نفسه فليكثر من قوله حسبنا الله ونعم الوكيل ذكره الشيخ زروق رحمه الله تعالى ورضى عنه ﴿ تكميل ﴾ قد ذكر الناظم رحمه الله تعالى مكفرات الذنوب وقد ذكرنا حض الشيخ رضى الله عنه عليها وترغيبه فيها وسوقه الكلام فى ذلك مساق المبالغة فى النصيحة والارشاد التام وهى أعنى الخصال المكفرة للذنوب كثيرة وردت بها أحاديث شهيرة وقد ذكر سيدنا رضى الله عنه عدة منها

فى

الظاهر بنور الطهارة الحسية وليدخل إلى حضرة المذكور وقد تطهر حسا ومعنى ثم السكوت والسكون ليحصل الصدق باشتغال القلب بالفكرة فى ذكر الله حتى لا يبقى له خاطر مع غير الله فيواطىء القلب اللسان فى تأدية الذكر ثم الاستمداد

فى نصائحه ورسائله وأفرد أحاديثها بالتأليف غير واحد من الحفاظ والفقهاء كالحافظ ابن حجر والامام الحطاب شارح مختصر الشيخ خليل وغيرهما كالحافظ المنذرى والجلال السيوطى رضى الله عنهم وجزاهم خيرا آمين (واعلم) أن هذه المكفرات متفاوتة فى الفضل وعظم الفائدة فمنها ماورد النص فيه بأنه يكفر الكبائر والصغائر ومنها ماورد أنه ماتقدم وماتأخر ومنها ماورد أنه يكفر ماتقدم فقط ومنها ماورد أنه يكفر ذنوب العبد على الاطلاق ولم يذكر كبيرة ولا صغيرة ولا ماتقدم ولا ماتأخر وعلى هذا فيتأكد العمل بما صرح فيه بغفران الكبائر والصغائر ثم بما صرح فيه بما تقدم وما تأخر وكذا بما جىء فيه بالاطلاق ثم بما صرح فيه بما تقدم فقط فمما صرح فيه بتكفير الصغائر والكبائر صلاة التسبيح لقوله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس رضى الله عنه حين علمه إياها ياعماه ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك ألا أفعل بك عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره قديمه وحديثه خطأه وعمده صغيره وكبيره سره وعلانيته الحديث خرجه جماعة منهم أبو داود وابن حبان والحاكم فى المستدرك أنظر الحصن وشرحه وزاد بعض من ألف فيها والترمذى وابن ماجه والنسائى ونقل عن ابن الصلاح أنه قال فى حديث صلاة التسبيح أنه حسن معتمد معمول به لاسيما فى العبادة والفضائل والمنكر لها غير مصيب وقد رغب فيها سيدنا الشيخ رضى الله عنه فى رسائله غاية الترغيب وكنت حين تلقيتها بالاذن عن بعض خاصة أصحابه وخزائن أسراره رضى الله عنه قال لى بعد أن بالغ فى الحض عليها لو وجدت لألزمت كل واحد من الأصحاب أن يصليها فى كل يوم فعلمت أنها من مهمات الأمور المعمول بها فى طريقنا قال بعض من ألف فى هذه الخصال المكفرة للذنوب وقد استمر على فعلها يعنى صلاة التسبيح عمل القديم والحديث من الصالحين كعبد الله ابن المبارك فانه كان يواظب عليها وهلم جرا ثم قال قال السبطى فمن سمع ماورد فيها ثم تغافل عنها فهو متهاون فى الدين غير مكترث بأعمال الصالحين لا ينبغى أن يعد من أهل الخير فى شىء ومما عد من هذا الباب الحج لبيت الله الحرام فقد نصوا على أنه مكفر للصغائر اتفاقا وللكبائر على الصحيح حتى التبعات عند بعضهم ان ماورد بالاطلاق أو بما تقدم وما تأخر حيث لم ينص فيها عن ادخال الكبائر ولا اخراجها مختلف فيه بين العلماء فقيل يحمل على التعميم للكبائر والصغائر وقيل لا يحمل إلا على الصغائر وأما الكبائر فلا تكفر إلا بالتوبة أو بفضل الله ورحمته حملا لمطلق الأخبار على ماقيدها وهو قوله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة ما اجتنبت الكبائر واحتج القائل بالتعميم بآية إن الحسنات يذهبن السيآت وغيرها من الآيات والأحاديث الظاهرة فى ذلك ولأن الله غفر لأهل عرفات وضمن لهم التبعات وهو حديث صحيح ولحديث الترمذى وغيره من قال أستغفر الله الذى لا إله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه غفر له وان كان فر من الزحف الى غير ذلك مما احتج به لهذا القول وعلى القول بالتخصيص بالصغائر اذا لم يصادف العمل صغيرة ولا كبيرة كتبت به حسنات ورفعت درجات قاله النووى ثم قال وان صادف كبيرة أو كبائر ولم يصادف صغائر رجونا أن يخفف عنه من الكبائر اه ولعلنا نبسط القول فى هذه المكفرات فى غير هذا ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق ثم قال رحمه الله تعالى

بقلبه عند شروعه فى الذكر من همة شيخه إذ فى استحضاره صورة شيخه فى قلبه عند ابتداء ذكره استمداد منه إذ قلب شيخه يحاذى قلب شيخ الشيخ إلى الحضرة النبوية وقلب النبى صلى الله عليه وسلم دائم التوجه إلى الحضرة الالهية فالذاكر إذا صور شيخه واستمد منه فاضت الامدادات من الحضرة الالهية الى قلب سيد المرسلين ومن قلب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين إلى قلوب المشايخ على الترتيب حتى تنتهى إلى قلب شيخه ومن قلب شيخه إلى قلبه فيقوى على استعمال الآلة إذ هو فى البداية على مثال الطفل ليس له قوة على استعمال الآلة بالوجه الذى يؤثر ويقع محصل الغرض وإن كان بيده سيف الله قال صلى الله عليه وسلم الذكر سيف الله ولكن لا يعمل السيف إلا بيد ضارب بقوة مستفادة من حضرة نبى السيف فاذا استمد من شيخه جاءه المراد قال تعالى وان تنصروا الله ينصركم فى الدين فعليكم النصر ثم يرى أن استمداده من شيخه هو استمداده من نبيه صلى الله عليه وسلم لأنه نائبه فهذه هى الآداب المتقدمة على الذكر وينبغى استصحابه حال الذكر آدابا منها الجلوس فى مكان طاهر متربعا أو متوركا كالمصلى طيب الرائحة إذ لا تخلو مجالس الذكر عن الملائكة ومؤمنى الجن ثم لبس اللباس الطيب حلية ورائحة

ثم اختيار بيت مظلم ان أمكن لتنسد طرق الحواس الظاهرة إذ بانسدادها تنفتح حواس القلب مع تخيل خيال شيخه بين عينيه ثم الاخلاص بتصفية الذكر من كل شوب إذ بذوق ذلك يصل الذاكر الى درجة الصديقية فيظهر جميع مايخطر بقلبه من حسن وقبيح لشيخه

ومن ثم قالوا ليس من شأن الشيخ الاطلاع على باطن المريد بل من شأن المريد أن يظهر جميع مايخطر بقلبه لشيخه والا كان خائنا انتهى. وقال فى مفتاح الفلاح بعد ماذكر ماقدمناه من الآداب المتقدمة والمقارنة مانصه وآدابه اللاحقة أن يحضر قلبه إذا سكت متلقيا لوارد الذكر وهي الغيبة الحاضرة عقب الذكر وتسمى النومة أيضا فكما أن الله أجرى العادة بارسال الرياح نشرا بين يدى رحمته المطرية أجرى العادة بارسال رياح الذكر بين يدى رحمته العلية فلعله يرد عليه مايعمر قلبه فى لحظة مالا تعمره المجاهدة والرياضة فى نحو ثلاثين سنة ثم قال وهذه الآداب لمن يحتاج إلى ذكر اللسان أما الذكر بالقلب فلا يحتاج إليها انتهى. وقال السيد الساحلى رضى الله عنه ومن آدابه أن يجلس على هيئة تقتضى الخضوع والانكسار والمذلة فيجلس كجلوس المحتبي وليجعل رأسه على ركبتيه إلى أن قال ومن المطلوب دفع الشواغل عن فكر الذاكر مهما أمكن فاتخاذ السبحة أسلم له وأحفظ لجمع البال ومن المستحب فيها أن تكون وتراً فاذا كانت مائة زيدت فيها واحدة وأن تكون مما لا يسمع له صوت زائد فى الارشاد ومن المستحب فيها أن تكون من عود ونحوه مما لا رفاهية فيه ثم قال الساحلى وقد جاء أن أبا هريرة كانت له سبحة من ألف عقدة لا ينام حتى يتمها وكانت للجنيد سبحة فقيل له أنت مع شرفك تحتاج إلى سبحة يشير إلى عمارة باطنه بالذكر فقال شيء وصلت به إلى الله سبحانه لا أفارقه واتخاذ السبحة من الأمر المعروف المألوف درج عليه السلف الصالح ولا ينكره إلا أهل البطالة انتهى. وقد قال السيوطى رحمه الله فى رسالته المسماة بالمنحة فى اتخاذ السبحة انها سنة وان لم يباشرها بنفسه صلى الله عليه وسلم والواقع

﴿ كذا الصلاة بشروطها التى * قد قررت فى كتب أهل السنة ﴾
﴿ إياك إياك ونقر الديك لا * تفعل لكونه الصلاة مبطلا ﴾
﴿ وصل مع جماعة سنيه * إياك إياك مع البدعيه ﴾
﴿ فلا تصل قال خلف منكر * إنكاره أعظم به من منكر ﴾

الصلاة اختلف فى اشتقاقها فقيل من الصلة لأنها صلة بين العبد وربه وقيل من قولهم صليت العود بالنار بالتشديد إذا لينته وقومته لأنها تلين القلب وتقومه كما يلين العود ويقوم بعرضه على النار واقتصر فى عوارف المعارف عليه وبين وجهه وهوان العبد فيه اعوجاج لوجود نفسه الأمارة بالسوء فاذا قام إلى الصلاة وأقامها على الوجه المشروع واجهه من وهج السطوة الالهية والعظمة الربانية مايزول به اعوجاجه بل يتحقق به معراجه اه بمعناه وبعض لفظه والشروط جمع شرط ويقال أيضا شريطة وهى بمعناه وتجمع على شرائط وقد شرط عليه كذا يشرطه ويشرطه بكسر الراء وضمها لغتان والشرط مايلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته وتنقسم شروط الصلاة من حيث الجملة الى ثلاثة أقسام شرط وجوب فقط شرط صحة فقط شرطهما معا وأراد الناظم هنا شروط الصحة بل ما يشمل جميع الأركان الفعلية والقولية بل مايشمل جميع مايحصل به تحسين هيئتها على الوجه الأكمل فى الشرع وأهل السنة المراد بهم هنا علماء الشريعة المطهرة ونقر الديك كناية عن الاسراع المفرط فى الصلاة المفضي إلى ترك الطمأنينة الواجبة فى الصلاة جميعها والجماعة السنية المراد بها السالمة العقائد من الزيغ والضلال ويقابلها البدعية والمراد بها أهل الأهواء كالقدرية وغيرهم من الفرق الفاسدة العقائد والمنكر المراد به والله أعلم منكر الولاية أو منكر الكرامات فهو تخصيص من التعميم فى هذه البدع قبله يقول وكذا يلزم الآخذ لهذا الورد الشريف المتقيد بهذا العهد المحمدى المنيف المحافظة بغاية جهده على إقامة أركان الصلاة المكتوبة بتكميل هيئتها الشرعية المعروفة واستيفاء شروطها التى هى فى كتب الفقهاء محدودة وموصوفة ومن تكميل هيئتها وإقامة أركانها إتمام الطمأنينة فى الركوع والسجود واتمام الاعتدال كذلك فى القيام بين يدى الملك المعبود فلا ينقرها نقر الديكة للحب فان ذلك مبطل لها ومبعد لفاعله عن حضرة القرب ومن تكميل هيئتها أيضا أداؤها فى الجماعة مع الامكان لكن بشرط كون الامام مستوفيا من أوصاف الامامة لجميع الأركان غير متسم ببدعة أو ضلال أو فسوق أو عصيان كان يكون ممن ينكر الولاية أو الكرامة لأن ذلك فسق وأى فسق يتوجه لصاحبه الذم والملامة لخروجه به عن مناهج أهل الاستقامة وقد قال جمع من أهل السنة والجماعة أعدل المذاهب أن لا يتقدم فاسق للامامة والشفاعة وخصت المحافظة على إقامة الصلاة بالذكر هنا مع دخولها فى اشتراط المحافظة على الأوامر الشرعية لمزيد الاعتناء بها لكونها أهم مايحافظ عليه من أمور الدين وقد قال صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين فمن ترك الصلاة فقد كفر ومن وصية لمولانا عمر الفاروق رضى الله عنه فان أهم أموركم عندى الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها فهو لما سواها أحفظ ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع اه وقد نص المحققون على أن سائر العبادات وسائل إلى تحقيق سر الصلاة اه فالمحافظة عليها آكد وأهم

لأنه رأى عند بعض الصحابيات قوى تعدبه الذكر فأقرها عليه انتهى ذكره الشهاب فى نسيم الرياض وفى إرشاد السالك يفتتح الورد بالاستعاذة والبسملة كنسا لخواطر الشيطان واستنجاحا باسم الرحمن ثم يختم  بالحمد والشكر اعترافا بنعمة الهداية

والواقع من الناس خلافه جبر الله حالنا جميعا وقديما قال مولانا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه فى الاسلام وما أكمل لله صلاة قيل وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله فيها اه ذكره فى العوارف ونقل بعضهم عن القاضى أبى بكر بن العربى أنه قال ولقد رأيت من لا يحافظ عليها الا قال أحصيها فأما من يحفظها فلا أعد منهم خمسة اه وقد كان شيخنا رضى الله عنه يشترط المحافظة عليها على المريد عند الأخذ عنه قبل كل شىء وكذلك جميع نوابه رضى الله عنهم أجمعين ومن طالع اجازاتهم على كثرتها علم ذلك علم يقين لا يمتار فيه وطالع رسائل الشيخ رضى الله عنه ونصائحه تقف من ذلك على ما يقضى بتقديم ذكر هذا اللازم على كل لازم من لوازم الطريق ويكفى ما فى النصيحة الشافية من قوله فيها بعد أن صرح رضى الله عنه بأن آكد ما يحافظ عليه من أمر الله تعالى الصلوات الخمس وأن الواجب لها تكميل شروطها وتنقيل هيئتها فى الركوع والسجود على الحد الذى حده صلى الله عليه وسلم فى خبر المسىء فى صلاته الذى قال له صلى الله عليه وسلم ارجع فصل فانك لم تصل الحديث الثابت فى الصحيح ما نصه فالحذر الحذر من وقوع الخلل فى الصلاة فان الصلاة فى الايمان وأعمال الايمان بمنزلة الروح فى الجسد إذا وجدت الروح وجدت حياة الجسد وإن فقدت الروح منه فقدت الحياة اه إلى غير ذلك من كلامه رضى الله عنه الدائر على أن الصلاة أعنى المحافظة عليها على الوجه الأكمل شرعا هى الشرط الآكد والأهم فى طريقه فهو أجدر أن يقدم فى الذكر على كل شرط وقد أدركنا من أدركناه من خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين كانوا يلقنون أوراده إذا أتاهم من يأخذ عنهم اشترطوا عليه هذا الشرط قبل كل شىء وأمروا غيره من التلاميذ أهل الصدق فى الارادة أن يعلمه الطهارة قبل كل شىء بأن يرشدوه إلى آداب قضاء الحاجة و يعلموه كيفية الاستبراء والاستنجاء على ما ينبغى شرعا ثم كيفية الوضوء كذلك بعد أن يعرفوه الفروض والسنن والمندوبات فى ذلك ثم كيفية الغسل من الجنابة كذلك ومفروضاته ومسنوناته ثم كيفية الصلاة أيضا على الوجه الأكمل من اتمام أركانها وتحسين هيئتها على الحد المحدود فى ذلك ولا يزالون رضى الله عنهم يتعاهدون المريدين بالمذاكرة فى ذلك والحض عليه بغاية الجهد كما لا يزالون يمدحون المعتنى بذلك و يثنون عليه و يحسنون فعله ليقع التنافس فى الخير و يبرؤا من عهدة النصيحة الواجبة فى ذلك فجزاهم الله خيراً وقدس أسرارهم وأبقى فى الأتباع بركاتهم وأنوارهم آمين وبالجملة فمن تتبع كلام شيخنا رضى الله عنه فى هذا الشرط وتأمل أحواله المنقولة عنه فى العمل به وكذلك أحوال الخاصة من أصحابه الثابتين على قدمه علم علم يقين أن معظم مدار التربية فى طريقه رضى الله عنه على هذا الشرط ورحم الله الشيخ الامام العارف بالله تعالى أبا عبد الله سيدى محمد بن الصغير التشيتى مؤلف الجيش الكبير فقد ذكر عنه أخوه المحقق المتفنن المدقق سيدى عبيدة فى كتابه ميزاب الرحمة الربانية أنه كان إذا سأله عن مدار التربية فى هذه الطريق على ماذا يقول له هو فى الصلاة ولم يعرف ذلك حتى فتح الله عليه فى موضع مؤلفه المذكور فكشف له الحجاب عما كان منبهما عنه من ذلك السر المستور فوضع الطريقة الثانية فى هذا اللازم الأهم وعرفنا لما اتخذت السلاليم فى هذا

وإظهار المنة الوقاية و يكون ذلك وتراً ثلاثا أو خمسة أو سبعا ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم إذ هو الواسطة العظمى انتهى . وأما شروط الذكر التى تتعين عند الجمع فهى كما قال سيدى زروق فى قواعده ثلاثة الأول خلو الوقت عن واجب أو مندوب متأكد يلزم من عمله الاخلال به كأن يسهر فينام عن الصلاة أو يتشاغل فيها أو يفرط فى ورده أو يضر بأهله إلى غير ذلك الثانى خلوه عن محرم أو مكروه يقترن به كاستماع النساء أو حضورهن أو حضور من يتقى من الاحداث أو قصد طعام لا قربة فيه أو داخلته شبهة ولو قلت أو فراش محرم كحرير ونحوه أو ذكر مساوى الناس أو الاشتغال بالأراجيف إلى غير ذلك الثالث التزام آداب الذكر من كونه شرعيا أو ما فى معناه بحيث يكون بما صح واتضح وذكره على وجه السكينة وان مع قيام مرة وقعود أخرى لا مع رقص وصياح ونحوه فانه من فعل المجانين انتهى وآدابه أن يكونوا صنفا واحداً تجمعهم طريق واحد بإيراد متوسط بين المخافتة والجهر الكثير متراسلة أصواتهم حاضرة قلوبهم مطرقة رؤسهم مغمضة أعينهم متوسطا بين الاستعجال والتمطيط والهز والترتيل وليقدم كل واحد منهم بين يدى الاجتماع قصداً نافعا فيقصد معاملة الله عز وجل بالانتظام مع صالحى اخوانه كى يرحم بهم و يرى أنهم القوم لا يشقى جليسهم وليعلم أنه بين يدى الله يناجيه بذكره فليكرم المحاضرة وليتأدب فى المناجاة وليعط الذكر حقه من الأدب والسكون ولير صغير اخوانه كبيراً

فيتبرك بهم ولا يرى نفسه على أحد منهم فضلا وليحتفظ من حركة مشوبة بهوى نفس وليختموا بالحمد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليدع لهم أمامهم انظر بغية السالك

والرقص فيه دون هجم الحال

ليس على طريقة الرجال

ومن يكن يقوى على السكون

فانه أسلم للظنون

ولا يجوز عنده التكلم

ولا التلهى لا ولا التبسم

وذيلها سيدى عبدالله بن الحاج

ابراهيم رحمه الله تعالى بعد

ماجلبها فى نص رشد الغافل فقال

ولا التلفت ولا التوسم

فى حاضر ولا صراخ يفهم

ولا التنحنح ولا التحرك

بكثرة ان كان تركا يملك

وتركه فى مسجد الأمصار

مشوشا من عمل الأخيار

الى ان قال

والأدب التحليق فى المجالس

فى الذكر والعلم لكل جالس

وقال فى شرحه المراد بعدم الجواز

فى كل هذه الأمور انما هو اساءة

الأدب وهى من أعظم العوائق

عندهم وقوله مشوشا يفهم منهم

ان فى المساجد حين الذكر من

يشوش الذاكرون عليهم من

مصلين أو قراء أو متعلمين وان

كانت خالية منهم فلا بأس انتهى

وأما فضل الحضرة فيكفى فيه

ماجاء فى الحديث الطويل ان

لله ملائكة سياحين فى الأرض

فضلا عن كتاب الناس يلتمسون

حلق الذكر الى أن ذكر فى الحديث

أشهدكم أنى قد غفرت لهم فيقولون

فيهم فلان إنما جاء لحاجة فيقول

هم القوم لا يشقى جليسهم ويكفى

ماجاء فى مجلس الذكر مطلقا

من الفضل أن المجلس الصالح يكفر ألفى مجلس من مجالس السوء وقد صنف أخونا المكرم به

سيدى محمد بن سيدى عبدالله بن الفخر سيدى أحمد بن محمد بن القاضى فى فضلها كتابا سماه تنبيه أهل الصفاء والنصرة والتنويه بفضل

---

السفر الأعظم وفى كلام أئمة الطريق ونحوها ما يشير الى أن إقامة هذا الشرط فى طريق السلوك والتربية من أعظم أصولها قال التاج بن عطاء الله فى حكمه رضى الله تعالى عنه ليكن همك إقامة الصلاة لا وجود الصلاة فما كل مصل مقيم الصلاة طهارة للقلوب واستفتاح أبواب الغيوب الصلاة محل المناجاة ومعدن المصافاة تتسع فيها ميادين الأسرار وتشرق فيها شوارق الأنوار اه وقال الشيخ محيى الدين رضى الله عنه إنه ليس فى العبادات ما يلحق العبد بمقامات المقربين من ملك ورسول ونبى وولى ومؤمن الا الصلاة قال « تعالى واسجد واقترب » فان الله تعالى فى هذه الحالة يباهى به المقربين من ملائكته ويقول لهم يا ملائكتى أنا قربتكم ابتداء وجعلتكم من خواص ملائكتى وهذا عبدى جعلت بينه وبين مقام القربة حجبا كثيرة وموانع عظيمة من أغراض نفسية وشهوات حسية وتدبير أهل ومال وولد وخدم وصحب وأهوال عظام فقطع كل ذلك وجاهد حتى سجد واقترب وكان من المقربين فانظروا ماخصصتم به يا ملائكتى من شرف المقام حيث لم أبتلكم بهذه الموانع ولا كلفتكم مشاقها فاعرفوا قدر هذا العبد وراعوا له حق ماقاساه فى طريقه من أجلى اه الغرض منه وللاستاذ السهروردى فى عوارفه كلام نفيس فى المعنى خلل به الكلام فى أبواب الصلاة من كتابه المذكور فليراجعه من أراده ولعلنا ننقل بعضه فى غير هذا ان شاء الله تعالى وقول الناظم رحمه الله تعالى وصل مع جماعة سنية الى آخر البيت أراد بالجماعة الامام لأن الجماعة لما كانت فى هذا المقام لا تسمى جماعة الا بوجود امام كان الامام كأنه هو الجماعة كلها فصح اطلاق اسم الجماعة عليه من هذه الحيثية وانظر الأصل الذى عقده رحمه الله فى هذا البيت فانا لم نقف عليه فى شىء من كلام الشيخ رضى الله عنه الثابت رواية ولا سمعناه من أحد ممن نعتد به من أصحابه ولعل الناظم وقف على ذلك أو سمعه ممن يعتد بالسماع منه اذ لا يظن به الاقدام على تقول مثل هذا فى الطريق ووجهه إن صح عن الشيخ رضى الله عنه أنه مبنى على القول بمنع امامة الفاسق بالاعتقاد والمسألة معروفة وهى وان كانت خلافية فمعلوم أن أهل الطريق رضى الله عنهم يأخذون بالاحتياط فى الدين بغاية الجهد فيجتنبون المكروه حتى كأنه حرام ويؤكدون العمل بالمندوب حتى كأنه واجب فلا بدع اذا أن يأمر الشيخ رضى الله عنه بترك الصلاة خلف الفاسق بالاعتقاد أخذا بالاحتياط فى العمل على القول بذلك والله تعالى أعلم وأما قوله رحمه الله فى البيت قبل إياك اياك ونقر الديك فالأصل فيه ما فى الشافية مع ما نقل متواترا عن الشيخ رضى الله عنه من تشديد النهى عن تخفيف الركوع والسجود وعدم الاتيان بالطمأنينة على الوجه الأكمل فيهما وكذا بالاعتدال مع الاطمئنان فى الرفع منهما قال قال رضى الله عنه وحقيقة الطمأنينة فى الشرع أن الراكع والساجد اذا بلغ حد الركوع والسجود يتراخى فيهما قدر ما يسبح الله تعالى ثلاث تسبيحات وفى الحديث وذلك أدنى الركوع والسجود وفى عوارف المعارف أن هذا القدر هو أدنى الكمال والكمال أن يمكث قدر ما يسبح الله تعالى عشرا اه بمعناه وليس هذا من التحديد المصادم لمذهب امامنا مالك رحمه الله تعالى بل تمثيل للقدر الذى تحصل منه الطمأنينة بحقيقتها الشرعية وقد أشار فى تحقيق المبانى الى نحو هذا واستدل بالحديث المشار اليه سابقا فانظره ان شئت وراجع ما أجاب

الحضرة فلينظروا الله تعالى يجزيه عنا أحسن جزاء * المبحث السابع في مقاصد هذه الاذكار الثلاثة وثمراتها * اعلم رحمك الله تعالى أن المقصد هو ما تحصل به القاعدة التي عليها بناء الذكر وتختلف المقاصد باختلاف (٢٣٩) الاذكار وقد علمت ان الذكر يدور على اللسان

به في الجيش عن مقال المشنعين علينا في هذه المسئلة لما ابتلوا به من الاعتساف والانحراف عن محجة الانصاف فقد شفى فيه وكفى رحمه الله تعالى ورضى عنه ونفعنا ببركاته آمين ﴿تنبيه﴾ قد كان سيدنا رضى الله عنه اذا حض على ايقاع الصلاة في الجماعة يرغب فيها غاية الترغيب ويؤكد الأمر فيها أشد التاكيد لكن لابد أن يقيد كلامه بقوله اذا كان الامام يستكمل الركوع والسجود والا فلا تحل الصلاة خلفه وهذا لفظه بعينه في الشافية وذلك لان الاخلال بالطمأنينة مبطل لصلاة الامام فيسري البطلان لصلاة المأموم ولو قدرنا أنه يأتي هو بالطمأنينة لان صلاته مرتبطة بصلاته كما هو معروف في كتب الفروع وقول سيدنا رضى الله عنه والا فلا تحل الصلاة الخ انما عدل عن نفي الصحة الى نفي الحلية لان نفي الصحة في المسئلة من البين الذي لا يكاد يتوهم بخلاف الحلية فان كثيرا من الناس ربما قال أصلي خلفه لأحضر الجماعة ثم أعيد وحدي مثلا والاقدام على ذلك بعد العلم به ولا سيما مع المداومة على ذلك تلاعب في الدين والاقدام على التلاعب في الدين لا يحل لانه من اتخاذ الدين هزوا ولعبا فافهم ذلك وتنبه له ولا يحملنك على التساهل في هذا ما في الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم يصلون لكم فان أصابوا فلكم ولهم وان أخطؤا فلكم وعليهم الحديث المروي في الصحيح وذلك بان تتوهم أن الخطأ المذكور هو عدم الاتيان بالطمأنينة أو ارتكاب ما تبطل به الصلاة بل المراد بالخطا الذي يكون على الامام دون المأموم هو أن تخرج الصلاة كلها بلا حضور مثلا أو يكون الامام ملاحظا للعطاء على الامامة غير مخلص عمله لله تعالى أو غير ذلك مما حمل عليه شراح الحديث الخطأ المضر بالامام دون المأموم وفي ذلك ان يدعو لنفسه ولا يدعو للمأمومين فافهم والله تعالى أعلم وأحكم واعلم ارشدني الله واياك الى سلوك مناهج التحقيق وهدانا جميعا بفضله وكرمه لأقوم طريق أن الناظم جدد الله عليه سحائب رحماته واعاد علينا من عميم بركاته قد أتى في هذا المحل بابيات خمسة (١) عقد فيها مسألتين أجنبيتين مما ترجم له المسئلة الاولى مسئلة تورع سيدنا الشيخ رضى الله عنه عن سكر القالب ولا شك عندنا ان تركه لذلك رضى الله عنه انما هو لما كان عليه من التحقيق بمقام الورع وما سمع منه رضى الله عنه فيه من الذم خارج مخرج الزجر والتغليظ لمن كان يراوده على التساهل فيه بعد الخروج عنه لله تعالى وغير خاف ان هذه حال من رسخت قدمه في مقام الورع واذا كان لا ينكر على الشيوخ الكاملين والعلماء العاملين تورعهم عن المباح البين الذي لا شبهة تطرق اليه بحال فكيف ينكر على سيدنا رضى الله عنه تورعه عما كثر فيه في ذلك الوقت بين عامة الناس وخاصتهم القيل والقال وقد ذكر في العوارف عن الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه انه ترك أكل البطيخ لانه لم تبلغه الكيفية التي عليها كان أكله صلى الله عليه وسلم له واما السكر فقد وقع فيه بين علماء ذلك الوقت نزاع كبير الى ان الف كل بما ظهر له وكاد الخلاف بينهم فيه ان يكون كالخلاف في الجبن الرومي قبل هذه الأزمنة وبسبب ذلك تورع عنه الشيخ رضى الله عنه هذا الذي عندنا في هذه المسئلة وأما المسألة الثانية فهي ان الشيخ رضى الله عنه كان في مرض موته يتكلم مع أصحابه ويذكرهم على عادته عظمة أمر الله تعالى وأمر رسوله فجرى ذكر الرقيق فقال رضى الله عنه من يملك أمة من غير أن يتسرى بها أو يزوجها من غيره أو يبيعها على هذين الشرطين فليطرح سبحتي من يده اه ولا شك

ليؤثر في النفس اتصافا بما يقتضيه المعنى فاذا لا بد للسالك من احضار قصد بين يدي الذكر يبني عليه الفكر تدبره لمعنى الذكر وبحسب تلمح الفكر لمعنى القصد تكون قوة التاثير في النفس ولا شك أن المقاصد هي ارواح الاعمال ولا يستقيم عمل لا روح له فمقصد الاستغفار هو ان تتعوذ قاصدا التلاوة ثم تقرأ « ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما » موردا هذا الخطاب الكريم القدسي العظيم على طرد نفسك مجيبا بلبيك ربي وسعديك والخير كله في يديك عبدك المسرف الخطاء بين يديك معترفا بالتقصير راغبا في القبول قائلا بلسان الافتقار وعزيمة الانكسار معتصما بعونك يا غفار معاهدا لك على لزوم طاعتك وترك مخالفتك كل ذلك بامدادك فلا حول ولا قوة الا بك ثم يدخل الى الاستغفار * ومقصد الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم هو أن يتعوذ لمصلي قاصداً التلاوة ثم ليقرأ « ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » موردا هذا الخطاب على نفسه مجيبا له بلبيك ربي وسعديك عبدك الفقير بين يديك متعرضا لقبولك متوسلا بذكر رسولك ممتثلا لامرك طامعا في خيرك مؤديا لواجب حق نبيك وحبيبك وصفيك ثم يدخل الى لفظ الصلاة ومقصد التهليل هو ان يتعوذ قاصدا التلاوة ثم ليقرأ « قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » موردا هذا الخطاب على نفسه مجيبا له بلبيك ربي وسعديك أشهد أنك أنت الله الواحد الأحد وأذكرك كما أمرت (١) لم تأت هذه الأبيات في الأصل فلعل الشارح حذفها لما ذكره فليتأمل وليراجع

في التنزيل مردداً ذكر التهليل فاقول لا إله إلا الله والمراد بالثمرة اتصاف النفس بمقتضى ذلك الذكر اتصافا راسخا ثابتا ولذلك أدلة يستدل بها عليه من حال السالك أكبرها وأقواها قيام الظاهر بوظائف أوصاف الباطن التي تضمنها الذكر تحلية وتزكية فثمرة مقصد الاستغفار في منزل التوبة هي الخوف بما حركه الاستغفار من أسباب الوعيد قال الله تعالى «ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد» والخوف داعية الاهتبال بطريق الخلاص ففي الحديث من خاف البيات أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا أن سلعة الله غالية الا إن سلعة الله هي الجنة والخوف تألم النفس وتوجعها بسبب توقع مكروه في الاستقبال ويراد به في منزل التوبة الخوف من العقوبة بسبب سالف المخالفة والخوف على قسمين خوف العامة من العقوبة وأصله التصديق بالوعيد وذكر الجناية ومراقبة العاقبة وعلى هذا يدور الاستغفار في منزل التوبة وهو سوط الله الذي يقوم به الشاردين عن بابه وخوف الخاصة من المكر في جريان البسط وقد يسمى خشية وأما خاصة الخاصة فخالهم عارية عن صدمة الخوف انما يتجوز به لفظا فيما يغشاهم من هيبة الجلال فاذا تحكم معنى الاستغفار من النفس وانطبع فيها مقتضاه بناء على ما تضمنه المقصد من سر معناه فان الخوف يخامر النفس فلا ينفك عنها ومن لازم الخوف الهروب من موجب الخوف فقد قالوا ليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينيه انما الخائف الذي يترك ما يعذب عليه وثمرة مقصد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم انطباع صورته الكريمة في النفس انطباعا ثابتا متأصلا متصلا وذلك ان المداومة على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم باخلاص القصد وتحصيل الشروط والآداب وتدبر المعنى حتى يتمكن حبه من الباطن تمكنا صادقا خالصا تصل بين نفس

عندنا أن هذا خروج منه رضي الله عنه مخرج الزجر والتغليظ لما بلغه تساهل الناس في ذلك مع مافيه من تضييع الحق الشرعي ومصادمة الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار والمسئلة داخلة في اللازم المتقدم في قول الناظم رحمه الله تعالى

﴿ كذلك فعل ما به الهادي أمر * وترك ما عنه نهانا وزجر ﴾

كما لا يخفى الا أن بعض من حضر المقالة فهم منها غير المقصود كما فهم مثل ذلك من ذم الشيخ رضي الله عنه للسكر فصار يشترط ذلك في الطريق ويدخله في جملة ما ينقطع به المريد عن الشيخ ولعل ذلك هو الذي اعتمده الناظم رحمه الله هنا ولو تفطن لما ذكرته لما تعرض لهذين المسألتين في هذا المجال ولكل مقام مقال ﴿ لطيفة ﴾ سمعت بعض خاصة أصحاب سيدنا رضي الله عنه وفضائلهم يقول في مسئلة الامة هذه أن سيدنا رضي الله عنه ذكر ذلك في مرض موته حسبما سبق قريبا فهو نعي نعى به نفسه لأصحابه رضي الله عنه أخذا من الوارد عنه صلى الله عليه وسلم من أنه كان آخر ما أوصى به الصلاة وما ملكت أيمانكم وللوارث قسط مما لموروثه ولله در هذا السيد فيما فهمه في هذه المسئلة ولا محالة أنه عثر على السر فيها بلا ريب عند من أنصف وعقل وما يعقلها الا العالمون ثم قال الناظم رحمه الله تعالى

﴿ ومن يجالس مبغض الشيخ هلك * وضل في مهامه وفي حلك ﴾
﴿ وشدد النهى لنا الرسول * في ذاك فلتعمل بما يقول ﴾
﴿ اختر لنفسك الذي أطاعا * ان الطباع تسرق الطباعا ﴾
﴿ والشيخ قال هو سم يسري * يحل من فعله في خسر ﴾
﴿ وهو عند الصادقين قد وضح * نعم وقد جرب ذلك فصح ﴾
﴿ فالهرب الهرب عما قلت لك * نصيحة ولو يكون ولدك ﴾

المجالسة اتخاذ الغير جليسا والمبغض المنتقد والحلك الظلام والسم مثلث السين والخسر الخسران والمراد به هنا القطيعة والعياذ بالله تعالى يقول ومن اللوازم أيضا الأخذ هذا الورد الشريف المتقيد بهذا العهد المنيف أن لا يجالس أحداً من المنتقدين ولا يركن اليه في أمر من أمور الدنيا ولا من أمور الدين وقد شدد النهي لنا في ذلك سيد المرسلين فيما تلقاه عنه أستاذنا المعظم الأمين فلنعمل بما يلقيه اليك هذا الامام عن حضرة سيد الوجود عليه الصلاة والسلام وقديما قيل اختر لصحبتك من أطاع فان الطباع تسرق الطباع وثبت عن سيدنا رضي الله عنه فيما روى عنه من صحيح الأقوال أن الجلوس مع المنتقدين سم يسري لجليسهم والعياذ بالله تعالى من هذا الداء العضال وقد شوهد ذلك في كثير ممن ابتلي بذلك فالهرب الهرب ممن قام به ذلك الوصف ولو كان من أخص قرابتك وعيالك وعقد الناظم رحمه الله تعالى في هذه الأبيات ما في الجامع ونصه ومن الشروط المؤكدة مجانبة المنتقدين على الشيخ رضي الله عنه فان سيدنا رضي الله عنه كان يحذر كثيرا من مخالطة المبغضين ومحبتهم وأكل طعامهم والجلوس معهم ويقول إن بغضهم يسري في قلب من جالسهم كالسم وقد شاهدناه في بعض الأصحاب الى آخر كلامه أعاذنا الله من بلائه بمنه ورضاه وقد تلقينا مثل ما في الجامع عن بعض الخاصة مشافهة وفيه التصريح بان ذلك يقطع المادة من الشيخ على المريد وهو الذي عبر عنه الناظم بالهلاك والضلال

الذاكر ونفس النبي صلى الله عليه وسلم وتؤلف بينهما فى محل القرب والصفاء تأليفا بحسب تمكن حبه من النفس فالمرء مع أن أحب والحب يوجب الاتباع للمحبوب والاتباع يؤذن بالوصال قال الله تعالى (٢٤١) «ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين» والارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فاذا تمكن حب النبي صلى الله عليه وسلم لم تغب صورته الكريمة عن البصيرة لمحة وهى الرؤية الحقيقية إذ البصرية إنما هى لتأدية حقيقة المبصر إلى عين البصيرة فيحصل للبصيرة الاطلاع على حقيقة ما أدته إليها دون وهم ولا خيال ثم الناس فى انطباع الصورة الكريمة على طبقات بحسب أذواقهم ومشاربهم وأشواقهم ومذاهبهم صدقا وحضورا فمنهم من لا تثبت فى نفسه إلا بعد تأمل وتثبت واعمال فكر وهو أضعف القوم لبقاء بعض البقايا فى نفسه وهذا قليل الرؤية له صلى الله عليه وسلم فى المنام وإن رآه رآه على غير كمال رؤية ومنهم من تثبت الصورة الكريمة فى نفسه أحيان ذكره والصلاة عليه لا سيما فى الخلوات عند ما يتمحض الفكر فى معنى الذكر والصلاة عليه فاذا فتر غابت عنه وهو أخص من الأول ولكن مع بغية فيه ورؤيته إياه فى النوم على الصورة الكاملة ودوامها بحسب استصحاب حضوره فى فكره ومنهم من إذا سد عينيه بالنوم وغاب عن الحس قليلا رآه فى أغلب أوقاته ومنهم من إذا سد عينيه يقظة أو مناما رآه بعين بصيرته على كل حال وهم أهل النهايات الذين اطمأنت قلوبهم بذكر الله وصلة الحبيب ورقت نفوسهم إلى فراديس التقريب وظفروا بمجاورة الذين أنعم الله عليهم من النبيين

والضلال والخسران وفى الحلية لأبى نعيم عن بعضهم أنه قال فى قوله تعالى «ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار» ان النار فى الآية نار القطيعة اه بمعناه وهذا على طريق أهل الاشارات والله أعلم وقد تقدم لنا فى المقدمة الكلام فى آداب الصحبة وأن الصحبة يتوقع فيها الفساد كما يتوقع فيها الصلاح وقد قيل ما فسد من فسد إلا بصحبة من فسد وقيل اصحب من شئت فأنت على دينه ورحم الله الاليبرى حيث يقول فى المعنى

من حاد عن نهج الهدى * فأضل قصد سبيله
فتوق خلته فدين المرء دين خليله

وقال بعضهم خير المجالس من تهديك كلماته وترشدك ارشاداته وتنهضك حالاته وذلك أستاذك أو أخوك من أستاذك اه وقيل لا تجالس من لا تجانس وفى ذلك قيل

من لم تجانسه فاحذر أن تجالسه * فالشمع آفته من صحبة القطن

وفى الحكم لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله وبالجملة فالكلام فى التحرز فى الصحبة كثير وتوقع الصلاح والفساد فيها شهير والله يعصمنا من الزلل ويوفقنا بمنه لصالح القول والعمل آمين ثم قال رحمه الله تعالى

﴿ والحذر الحذر أن تؤذى من * كان أخاك فى الطريقة احذرن ﴾
﴿ لأنها عن شيخنا التجانى * إذاية للمصطفى العدنان ﴾
﴿ وسيد الوجود فى ذا شددا * مصرحا بنهينا مؤكدا ﴾
﴿ وقال ان من يكون يفعله * صار هباء فى هواء عمله ﴾
﴿ وذا لحب سيد الوجود * حبيب حبه الكثير الجود ﴾
﴿ أعوذ بالمصور العلى * مما غدا إذاية النبي ﴾

هذا الذى تضمنته هذه الأبيات من لوازم الطريق أيضا وقد تقدم شرح ذلك فى ذكر فضائل أهل هذه الطريقة عند قول الناظم يسوءه ما ساءهم وبين وجه ذلك هنالك بما يكفى فراجعه هنالك والله الموفق ثم أتى الناظم رحمه الله تعالى بما هو كالتحصيل لما تضمنته هذه الأبيات والأبيات قبلها التى أولها ومن يجالس مبغض الشيخ الخ فقال

﴿ حاصله باغض وحابب فيه * ودع مقال الناعق السفيه ﴾
﴿ وزره واستمد منه واتبع * جميع ما صححت عنه وسمع ﴾
﴿ لأنه حب وقفو للنبى * وصحبه يا فوز من به حبى ﴾
﴿ ولتنسبن اليه رغم منكره * فى وجه من أحبه ومن كره ﴾

(باغض) من المباغضة والمراد قابل مبغضه بالبغض (وحابب فيه) أى قابل محبه بالمحبة ولا تقصر فى حقه بكل ما تستجلب به مودته (والناعق السفيه) المنكر للطريق المنتقد على أهلها محبتهم لبعضهم بعضا وتألفهم (وزره) أمر من الزيارة والمراد بها هنا القصد للانتفاع بقرينة عطفه عليه قوله واستمد منه وقوله (حب) معناه حبيب وتقدم الكلام فيه وقول النبى صلى الله عليه وسلم أنت حبيبى وكل من أحبك حبيبى وقوله (قفو للنبى وصحبه) أى تابع للنبى وصحبه فى الأقوال والأفعال ومعلوم شدة متابعة سيدنا رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم وعضه على سنته بالنواجذ وأمره

القلب بعبادة الله تعالى والميل الى طاعته بقوة عزم وشدة رغبة وذلك ان المطلوب من التهليل هو تحريك الباطن الى المعرفة بالله تعالى بما تضمنه مقصده من دواعى الارادة واقتضاه من أسباب القرب وهو باب تلج منه النفوس الى بحبوحة مختلفات ثمرات التوحيد فتطالع الاسرار الربانية وتشرف على الالطاف القدسية انظر كتاب الساحلى وهذا كله منقول منه ثم لكل ثمرة نتيجة يطول بنا جلبها فلينظرها من شاء فى بغية السالك فهو كتاب جليل فى باب السلوك وقطع المقامات والمنازل وهذا المبحث وان كان الانسب ايراده بعد المبحث الثانى ففى ايراده بعد المبحث السادس مناسبة لاتخفى والله تعالى ولى التوفيق وهو الادى الى سبيل التحقيق

﴿ خاتمة ﴾ هذه الخاتمة تشتمل على فصلين يبنيان على اتباع الاثر عند فقد العين

﴿الفصل الاول﴾ فى ذكر بعض رسائل الشيخ التجانى ووصاياه الدائرة ارجاؤها على قطب الدلالة على الله ليعترف من وقف عليها من عامة المسلمين بدلالة مقاله ممن منعهم عدم لقيه من مشاهدة مايقضيها من حاله لأن كل اناء يرشح بما فيه وما فى المرء يظهر على فيه

بذلك وأيضا ان تربيته رضى الله عنه كانت على يده صلى الله عليه وسلم حسبما تقدم شرح ذلك فلذلك قال الناظم رحمه الله يافوز من به حبى وقوله (وانتسبن إليه) أى انسب اليه جميع ماتقدم من المآثر والمناقب والمفاخر على رغم المنتقد وبمحضر من المبغض والمعتقد يقول وحاصل ماذكرته لك فى الأبيات قبله أيها المريد الصادق والمحب الوامق أن تبغض مبغض الشيخ رضى الله عنه كل البغض بقلبك وتخص محبه بامحاض ودك وخالص حبك ولا تعبأ فى ذلك بقيل ولا قال من كل ناعق أو منتقد سفيه بطال وأدم زيارته والاستمداد منه والاتباع له فى جميع ماصححته من أقواله لأنه حبيب النبى صلى الله عليه وسلم ومن شأن الحبيب كمال المتابعة لمحبوبه فى جميع أفعاله وانسب اليه جميع مائبت لديك من المناقب والمآثر والمفاخر من غير أن تكترث فى ذلك بأحد فسواء عليك الصديق المصدق والمنكر المكابر هذا ومن تأمل ماتضمنته هذه الأبيات علم أنها نتيجة سورة الحال ونفثة مصدور حملته الغيرة الايمانية على أن قال ماقال والا فلا بد فيما أشار اليه من المباغضة والمواددة من اقامة ميزان العدل وسلوك سنن الرشد والحلم والسداد وغير ذلك من شيم الفضل مع الملاحظة لنحو قوله تعالى «ان الله يأمر بالعدل والاحسان ـ الآية» وقوله جل وعلا «خذ العفو وأمر بالعرف ـ الآية» وقوله «لايحب الله الجهر بالسوء من القول ـ الآية» وقوله عز وجل «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا» الآية وقوله سبحانه وتعالى «ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة» الآية وبالجملة فان العامل على ماأشار اليه الناظم رحمه الله تعالى يحتاج الى ميزان قويم وقسطاس مستقيم والتعرض الآن لبعض مافى ذلك من الأثقال لايسعه الوقت والحال وقصدنا بهذا الذى ذكرناه التنبيه على التشبث فى الأمر والأخذ بما لا تأنيب فيه ولا وزر ومن كان ذا حال فليسلم له حاله ولا كلام لنا معه ولا مع أمثاله لاستغنائه عن كل أحد بتأييد مولاه حيث نهض فيما نهض اليه لله وبالله ومن تتبع كلام سيدنا رضى الله عنه فى رسائله وأجوبته عثر على شرح ماأشرنا اليه وحصل على الميزان الأقوم الذى يكون سيره وعمله عليه والله ولى التوفيق وهو الهادى الى سواء الطريق ثم قال

﴿ واتخذ السبحة للاعانه * وعمل الامام ذى الديانه ﴾

(السبحة) معروفة وسماها بعضهم المذاكرة وبعضهم حبل الوصول وبعضهم رابطة القلوب وقوله (للاعانة) أى لكونها تعين على ضبط العدد الموظف الذى يقصد الذاكر الانتهاء اليه والمراد بالامام فى قوله (وعمل الامام) الجنيد رضى الله عنه لما نقله السيوطى عن ابن خلكان من أنه رئى فى يده يعنى امام الطريقة الجنيد بن محمد رحمه الله تعالى سبحة فقيل له أنت مع شرفك تأخذ السبحة قال طريق وصلت به الى ربى لاأفارقه اه وقوله (ذى الديانة) وصف للامام وصفه به لشدة تدينه ومتابعته للسنة ووقوفه مع الكتاب والسنة وتحرير طريقه على الشريعة تحرير الجوهر يقول ومما يلتحق باللوازم المتقدمة اتخاذ المريد المتمسك بهذا الورد لضبط عدده سبحة يستعين بها على ذلك وتذكره ماهو بصدده وذلك لتواطىء السلف والخلف عليها فيما مضى وحضر من الأزمان وخصوصا أمام الطريقة أبا القاسم الجنيد بن محمد سيد هذه الطائفة وإمام أهل هذا الشأن وخص الامام الجنيد بالذكر فى مثل هذا المقام لمزية تقديم طريقه على غيرها عند المشايخ الكمل والعلماء الاعلام قالوا وهى أقدم الطرق كلها لتحريرها

﴿الفصل الثانى﴾ فى ذكر بعض أحزابه وأدعيته التى هى على صفة حاله ونكتة مقاله وميراث علومه وأعماله ونختار منها سبعة بين أدعية وأحزاب وسبعا من الوصايا على عدد أبواب

على الكتاب والسنة تحرير الذهب ومن هنا كان كل من سلكها نجا وكان رضى الله عنه يقول علمنا هذا مؤيد بالكتاب والسنة اه وفى بعض الروايات عنه رضى الله عنه مشيد بدل مؤيد وقد تقدم لنا فى المقدمة شرح ذلك وغرض الناظم رحمه الله تعالى فيما أشار اليه فى هذا البيت الاخبار بأن اتخاذ السبحة عليه عمل سيدنا الشيخ رضى الله عنه وكذا سائر أتباعه وأهل طريقه وهو من عمل أئمة السلف وعليه عمل امام الطائفة الجنيد رضى الله عنه وفائدته ظاهرة وهى الاعانة على ضبط عدد الورد وعلى نهوض الهمة للذكر لأنها مذكرة لذلك ومنبهة عليه فقوله وعمل الامام الخ البيت أتى به كالدليل لأن اتخاذ السبحة من عمل أهل الدين والسنة ولبيان أن اتخاذها له أصل وقد ألف الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى ورضى عنه فى أصل اتخاذها جزءا سماه المنحة فى السبحة تتبع فيه ما ورد فيها من الأحاديث والآثار منها حديث الطبرانى عن صفية أم المؤمنين رضى الله عنها دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يدى أربعة آلاف نوى أسبح بهن الحديث ومنها حديث الحاكم عن سعد بن أبى وقاص أنه دخل مع النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة بين يديها نوى أو حصى تسبح بهن الحديث ومنها مافى معجم الصحابة للبغوى وتاريخ ابن عساكر عن أبى صفية مولى النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يوضع له نطع و يجاء بزنبيل فيه حصى فيسبح به إلى نصف النهار ثم يرفع فاذا صلى الأولى أتى به فيسبح حتى يمسى وذكر عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يسبح بالحصى أو النوى وعن فاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب أنها كانت تسبح بخيط معقود فى يدها وعن أبى الدرداء أنه كان له نوى من العجوة فى كيس فاذا صلى الغداة أخرجهن واحدة واحدة يسبح بهن وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان له كيس فيه حصى أو نوى يسبح به وذكر عن مولانا على كرم الله وجهه أنه قال نعم الذكر السبحة وذكر عن زادان أنه قال أخذت من أم يعفور تسابيح فلما أتيت عليا قال أردد على أم يعفور تسابيحها الى غير ذلك مما يعرف بمراجعة المؤلف المذكور وقال فيه وقد رأيت فى ذلك يعنى اتخاذ السبحة حديثا مسلسلا ولم يذكره وذكر الشيخ أبو الفضل العقبانى فى جواب له مسلسل للقاضى عياض بسنده الى أبى عمران بن علوان عن الجنيد بسنده الى الحسن البصرى كل واحد يقول رأيت فلانا وفى يده سبحة فسألته عما سألته عنه الى الحسن البصرى فقال للسائل يا بنى هذا شىء استعملناه فى البداية ما كنا لنتركه فى النهاية إنى أحب أن أذكر الله بقلبى ولسانى ويدى اه انظر الدرر المكنونة فى نوازل مازونة وممن روى هذا المسلسل أيضا خاتمة العلماء المحققين الشيخ أبو العباس الهلالى رحمه الله تعالى فقد رأيت فى فهرسته روايته له عن شيخه العجيمى بسنده الى أبى الحسن المالكى عن الجنيد عن السرى عن معروف الكرخى عن محمد المكى يقول كل واحد سألت أستاذى فلانا وفى يده سبحة الخ قال محمد المكى رأيت أستاذى الحسن البصرى وفى يده سبحة فقلت يا أستاذى مع عظم شأنك وحسن عبادتك وأنت مع السبحة فقال هذا شىء كنا استعملناه فى البدايات الى آخر ما تقدم فى سلسلة القاضى عياض قال الهلالى رحمه الله تعالى و بهذا الأثر يستدل على أن السبحة كانت على عهد الصحابة رضى الله عنهم لأن الحسن البصرى كما عند ابن خلكان توفى فى خلافة سيدنا عمر لسنتين بقيتا منها فتكون بدايته والصحابة متوافرون اه يريد وقد صرح أنه اتخذها فى بدايته قال السيوطى بعد نقله لما تقدم عنه فلو لم يكن

قال رضى الله عنه وأرضاه بعد حمد الله جل جلاله وعز كبرياؤه وتقدس مجده وكرمه يصل الكتاب إلى كافة من كان بفاس و بالمغرب من الاخوان والفقراء السلام عليكم رحمة الله و بركاته يتراكم بدوام ملك الله من العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجانى و بعد فنسأل الله جلت قدرته وتعالت عظمته أن ينظر فى جميعكم بعين المحبة والرضا والعناية وافاضة الفضل والاصطفاء والاجتباء حتى لا يدع لكم خيرا من خيرات الدنيا والدين والآخرة الا آتاكم منه أكبر حظ ونصيب ولا يترك شرا من شرور الدين والدنيا والآخرة إلا أبعدكم منه ووقاكم منه حتى لا يترك لكم ذنبا كبيرا ولا صغيرا إلا أغرقه فى بحر عفوه وكرمه وحتى لا يترك لكم مطالبة بالذنوب الا صفح عنها وعفا وحتى لا يترك لكم حاجة ولا مطلبا فى غير معصية الله إلا أسرع لكم باعطائها وأمدكم فيه بالمعونة والتأييد فى امضائه ان وافق سابق الحكم فان لم يطابق سابق الحكم فنسأل الله تعالى أن يعوض لكم فى جميع ذلك ما هو خير منه وأعلى منه وحتى لا يترك لكم شرا من الشرور الواردة على أيدى الخلق إلا جعل بينكم و بينها جندا من سطوته وسلطانه ان لم تكن محتمة فى سابق الحكم فان كانت محتمة فى سابق الحكم فنسأل الله أن يمدكم فيها بكمال اللطف والمعونة والتسهيل والتيسير وحتى تنفصل عنكم وأنتم منها فى عافية وأوصيكم و إياى بتقوى الله العظيم وارتقاب المؤاخذة منه فى الذنوب فان لكل ذنب مصيبتين لا يخلو العبد منهما

والمصيبتان واحدة فى الدنيا وواحدة فى الآخرة فمصيبة الآخرة واقعة قطعا إلا أن تقابل بالعفو منه سبحانه وتعالى ومصيبة الدنيا واقعة بكل من اقترف ذنبا إلا أن يدفعها وارد إلهى بصدقة لمسكين أو صلة رحم بمال أو تنفيس عن مديان بقضاء الدين عنه أو بعفوه عنه إن كان له والا فهى واقعة فالحذر الحذر من مخالفة أمر الله وإن وقعت مخالفة والعبد غير معصوم فالمبادرة بالتوبة والرجوع إلى الله وان لم يكن ذلك عاجلا فليعلم العبد أنه ساقط من عين الله متعرض لغضبه إلا أن يمن الله عليه بعفوه ويستديم فى العبد فى قلبه انه مستوجب لهذا من الله فيستديم بذلك انكسار قلبه وانحطاط رتبته فى نفسه دون تعزز فمادام العبد على هذا فهو فى سبيل خير وإياكم والعياذ بالله من لباس حلة الأمن من مكر الله فى مقارفة الذنوب باعتقاد أنه آمن من مؤاخذة الله له فى ذلك الوقت فان وقف هذا الموقف بين يدى الحق تعالى وداوم عليه فهو دليل على أن يموت كافراً والعياذ بالله تعالى وما سمعتم من الخاصية التى فى الورد فهى واقعة لامحالة وإياكم والتفريط فى الورد ولو مرة من الدهر وشرط الورد المحافظة على الصلوات فى الجماعات والامور الشرعية واتركوا المقاطعة مع جميع الخلق وآكد ذلك بينكم وبين الاخوان وزوروا فى الله وواصلوا فى الله وأطعموا فى الله ما استطعتم فى غير تعسير ولا كد وعليكم بالمحافظة فى أمر الله فيما وقع من البلايا والمحن فان الدنيا دار فناء وبلاياها كأمواج البحر فلا مطمع لأحد من بنى آدم فى الخروج عن هذا مادام فى الدنيا إنما والصبر بحسب أحوال كل على قدر طاقته ووسعه واعملوا فى أنفسكم سلوة إذا نزلت البلايا والمحن بأحدكم فليعلم أن لهذا خلقت الدنيا

فى اتخاذ السبحة إلا موافقة هؤلاء السادات والدخول فى سلكهم لصارت بهذا الاعتبار من أهم الأمور وآكدها اه الغرض ولا شك أنها آلة مباركة شريفة كيف وهى سبب موصل إلى دوام ذكر الله تعالى وقد شوهد فيها ولها بركات عظيمة منها مافى المنحة عن أبى مسلم الخولانى رضى الله عنه أنه كان له تسبيحة فقام ليلة والسبحة فى يده قال فاستدارت السبحة والتفت على ذراعه وهى تقول سبحانك يامنبت النبات ويادائم الثبات قال هلمى ياأم سلمة فانظرى إلى أعجب الأعاجيب قال فجاءت أم سلمة والسبحة تدور وتسبح فلما جلست سكتت قال السيوطى رحمه الله تعالى ذكره أبو القاسم عبد الله بن الحسن الطبرى فى كتاب الكرامات وفى المنحة أيضا أن سبحة الشيخ أبى الوفاء التى أعطاها للشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه كانت إذا وضعها على الأرض تدور وحدها حبة حبة وفيها أيضا مانصه أخبرنى من أثق بقوله أنه كان مع قافلة فى درب بيت المقدس فقام عليهم سرية عرب فجردوا أهل القافلة كلهم وجردونى معهم فلما أخذوا عمامتى سقطت سبحة من رأسى فلما رأوها قالوا هذا صاحب سبحة فردوا على ما كان أخذ لى وانصرفت سالما منهم قال فانظر ياأخى إلى هذه الآلة المباركة الزاهرة وما جمع فيها من خير الدنيا والآخرة اه ولهذا تجد الصادقين من أهل الطريق يتحفظون بها عن القاذورات وكل ما فيه امتهان لها ويتبركون بها فيضعونها على الآلام بقصد الاستشفاء بها وقد رأيت الناظم رحمه الله تعالى يعظمها أشد التعظيم ويصونها عن الأقذار ووضعها بمحل يكون مظنة للامتهان حتى أنه كان إذا أصاب بيده بصاقا أو نخامة يغسلها لأجل أن يأخذ بها السبحة وربما كلم فى ذلك فيجيب بما حاصله ما تقدم من عمل الصادقين من أهل الطريق ثم بعد ذلك رأيت كلاما للشيخ أبى الفضل العقبانى رحمه الله تعالى صرح فيه بذلك ونصه وقد بلغنى أن هؤلاء الذاكرين بهذه السبحة يتحفظون بها عن القذر وعن كل ما يظن به أذى تكريما وتشريفا لها وأن فعلهم لسداد لأن ماأعد لذكر الله تعالى من تكبير وتسبيح وتحميد وتمجيد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم جدير بأن يصان عن الأخباث والأدران وأن يتبرك بلمسه ويستشفى به ويرفع غاية قال ومن ثم وضعها سحنون رضى الله عنه فى عنقه إلى آخر كلامه فليراجعه من أراد ذلك فى النوازل المازونية وقد ذكر فيه قبل هذا الكلام عن مدارك القاضى عياض أن بعضهم قال دخلت على سحنون وفى عنقه تسبيح يسبح به قال وأنت تعلم من سحنون علما وورعا وهل يقدم على هذا إلا بدليل اه قلت فيؤخذ من هذا أن جعل السبحة فى العنق لا بأس به بل هو حسن لما فيه من رفع هذه الآلة المباركة حسبما صرح به العقبانى من فعل الامام سحنون رضى الله عنه وعلى هذا فيطلب حسبما نص عليه بعض من شرح المباحث الأصلية من فعل ذلك إخفاؤها وجعلها تحت الثياب تجافيا عن المباهاة والتظاهر بدعوى الفقر وأسباب الشهوة وهذه طريقة المحققين من أهل الطريق وأما جعلها فى العنق فوق الثياب ظاهراً فهو جار على طريقة أهل الزى والشهرة كالقلندرية ومن يشاكلهم من طوائف الصوفية وقد تقدم ببعض مايشير إلى هذا المعنى فى المقدمة وهذه الطريقة الأخيرة ليس عليها عمل أهل طريقتنا فلا ينبغى أن يقر على ذلك من فعله لأذرع المريد

ولهذا بنيت وما نزلها الآدمي إلا لهذا الأمر وكل الناس راكضون في هذا الميدان فليعلم أنه كأحدهم مساو لهم واعلموا أن الذنوب في هذا الزمان لا قدرة لأحد على الانفصال عنها فانها تنصب على الناس كالمطر الغزير لكن أكثروا من مكفرات الذنوب وآكد ذلك صلاة الفاتح لما أغلق فانها لا تترك من الذنوب شاذة ولا فاذة وكصلاة التسبيح ومما هو في هذا المعنى يلازمه الانسان كل يوم ثلاث مرات اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي وكذلك وظيفة اليوم والليلة لا إله إلا الله والله أكبر لا إله إلا الله وحده لا إله إلا الله لا شريك له لا إله إلا الله له الملك وله الحمد لا إله إلا الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وكذلك الدعاء السيفي لمن يقدر على حفظه وكذلك هذا الاستغفار اللهم اني أستغفرك لما تبت اليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك لما وعدتك به من نفسي ثم أخلفتك فيه وأستغفرك لما أردت به وجهك فخالطني فيه ما ليس لك وأستغفرك للنعم التي أنعمت علي بها فتقويت بها على معاصيك وأستغفر الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم لكل ذنب أذنبته ولكل معصية ارتكبتها ولكل ذنب أتيت به أحاط علم الله به وكذلك دعاء يا من أظهر الجميل الخ ثم قال رضي الله عنه بشارة ابشروا ان من كان في محبتنا إلى ان مات عليها يبعث من الآمنين على أي حالة كان ما لم يلبس حلة الأمان من مكر الله وكذلك كل من أخذ وردنا يبعث من الآمنين ويدخل الجنة بغير

إنما هو في متابعة أستاذه متابعة الظل شاخصه وليسلم لأهل الطرق ما أخذوه عن أساتيذهم وبالجملة فطريقنا أن لا نجعل السبحة في العنق إلا بقصد رفعها وصونها تكريما وتشريفا لها وعليه يحمل عمل أصحابنا الذين بالصحراء ومن يتابعهم على ذلك وماعدا ذلك فليس من طريقنا في شيء والله الموفق وحاصل ما أشارت إليه هذه الأنقال التي شرحنا بها قول الناظم وعمل الامام ذي الديانة أن اتخاذ السبحة من شعار أهل الدين وطريق الأئمة المهتدين وعمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين قال في المنحة ولم ينقل عن أحد من السلف ولا من الخلف المنع من عد الذكر بالسبحة بل كان أكثرهم يعدونه بها ولا يرون ذلك مكروها اه وأما ما نقل عن بعضهم من أن عد الذكر بالأنامل أفضل للحديث الوارد في ذلك عن ابن عمر رضي الله عنه فهو مقيد بما إذا أمن من الغلط في العدد وقد قيل إن أكثر الذكر المعدود الذي جاءت به السنة الشريفة لا ينحصر بالأنامل غالبا ولو أمكن حصره لكان الاشتغال بذلك يذهب الخشوع والسبحة يؤمن معها ذهاب الخشوع فهي معينة على الحضور أيضا ويرحم الله القائل فيها ونسبه في المنحة لعماد الدين المنوي رحمه الله

ومنظومة الشمل يلهو بها الـ * ـبيب فتجمع من همته
إذ ذكر الله جل اسمه * عليها تفرق من هيبته

ثم قال الناظم رحمه الله تعالى

﴿ فصل ﴾ ضمن هذا الفصل مسئلة تتعلق بما ترجم له من اللوازم وذلك قوله وترك غيره من الأوراد وعدم الترك الخ فقال رحمه الله تعالى

﴿ ومن يكن لما سواه طرحا * لأجل وردنا فذا قد أفلحا ﴾
﴿ يافوزه دخل في ضمان * خير الورى نبينا العدنان ﴾
﴿ والعكس ان تاب وجدد فقد * نجا من الردى وفاز بالرشد ﴾
﴿ لكنه ان لم يتب مما فعل * خسر ثم ليس ينجيه عمل ﴾
﴿ وليس شيخه له بنافع * لكنه يتيه في البلاقع ﴾
﴿ أعاذنا الله من البلاء * والكفر والخسران والشقاء ﴾

ما من قوله (لما سواه) واقعة على ورد منكراً وسواه صفته أي ومن يكن لورد من نعته وصفته سواه والضمير في سواه للورد المترجم له وهو وردنا الشريف أدامنا الله عليه في عافية تامة بمنه فقوله (لأجل وردنا) اظهار في محل الاضمار وقوله (والعكس) أراد به من طرح وردنا وأخذ غيره والمراد بقوله (وجدد) تجديد التقيد بالعهد والاذن ممن عنده الاذن في ذلك والمراد بالشيخ في قوله (وليس شيخه له بنافع) الشيخ الذي أخذ ورده بعد ما أخذ هذا عياذاً بالله تعالى يريد الناظم ولاغير ذلك الشيخ أيا كان ولذلك قال (لكنه يتيه في البلاقع) كني بالتيه في المهامه والقفار عن كونه لا يجد من يأخذ بيده ولا يقدر له أحد بشيء لكونه أعرض عن هذا الباب الأعظم وهو بابه صلى الله عليه وسلم حسبما تقدم بسطه قريبا يقول ومن كان عنده ورد من أوراد مشايخ الطريق فتركه لاجل أخذ وردنا هذا والانخراط في سلك هذا الحزب وهذا الفريق فانه لا خوف عليه من ذلك الشيخ الذي ترك ورده ولا ملام

حساب ولا عقاب هو ووالداه وأزواجه وذريته المنفصلة عنه لا الحفدة بشرط الاعتقاد وعدم نكث المحبة وعدم الأمن من مكر الله كما قدمنا ويكون في جوار النبي صلى الله عليه وسلم في أعلى عليين ويكون من الآمنين من موته إلى دخول الجنة والسلام

عليكم ورحمة الله وبركاته * انتهت هذه الوصية ومن تأملها بعين الانصاف علم أنها نفحة من عارف قد اشتملت على بدائع النصيحة فانه رضى الله عنه افتتحها بجملة من الدعاء جامعة  للمطالب الدينية والدنيوية اعظاما للمسئلة مشتملة على أكمل آداب الدعاء من الاكتفاء بعلمه تعالى والتفويض له فى الأمر مع الثناء عليه بوصف الجلال الذى يشعر بعظمة الربوبية واستشعار عظمة الربوبية يستدعى التحقق بذلة العبودية وكمال التوجه انما يكون بذلك وقد قال سيدى احمد زروق فى شرح حزب البحر كل توجه لا يشعر صاحبه بعظمة الربوبية وذل العبودية فيه فهو تلاعب ثم اتبع ذلك بوصية الله تعالى للاولين والآخرين ثم بأخذ الحذر من مخالفة أمر الله تعالى ثم بالمبادرة بالتوبة بعد الوقوع ارشادا منه الى الرجوع الى كرم الله تعالى لأنه كما توعد بعدله وعد بفضله وليس أحدهما بأولى من الآخر فى محله لأن الفرار منه جناية والبدار اليه هداية قال صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر ولو عاد فى اليوم سبعين مرة ثم اتبع ذلك باستشعار الخوف دائما لأن من قارف ذنبا كان على يقين من فعل موجب غضب الجبار الذى لا طاقة لأحد به على شك من عفو ربه وان تاب لوجوب نفوذ الوعيد فى بعض العصاة ولعله كتب فى الأزل من جملة المؤاخذين ولا يأمن أن يكون ممن اطلع الله تعالى عليه حين تلبسه بالمعصية فقال لا أغفرله أبدا واستشعار الخوف يوجب الحزن والحزن يبعث على الانكماش فى الأعمال والنهوض الى الطاعات على كل حال وفى الخبر ان الله يحب كل قلب حزين وقد كان صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان والخوف سوط الله به يقوم الشاردين من عباده وهو النار المحرقة للشهوات وفضيلته بقدر ما يحرق أى

فانه قد أفلح به فعله ودخل فى ضمان خير الأنام لانحياشه الى بابه الأعظم عليه الصلاة والسلام وهذا بخلاف من أخذ هذا الورد الشريف ثم عدل عنه الى غيره بنبذه إياه واعراضه عن هذا الجناب الأعز المنيف فهذا ان لم يتب من زلته ولم ينهض من عثرته فقد تردى فى مهواة المهالك والخسران وليس ينفعه شيخه الذى انتقل الى طريقه ولا غيره أيا كان ونعوذ بجلال الله تعالى الملك الديان من كل ما يوقع فى الهلاك ويجر إلى أسباب الخسران وعقد رحمه الله تعالى فى هذه الأبيات ما فى جواهر المعانى ونصه واعلم أن هذا الورد الشريف لا يلقن لمن كان له ورد من أوراد المشايخ رضى الله عنهم الا اذا تركه وانسلخ منه على أن لا يعود اليه أبدا وعاهد الله على ذلك فعند ذلك يلقنه من له الاذن الخاص من الشيخ رضى الله عنه والا فلا يتركه وورده لأن أوراد المشايخ كلها على هدى وبينة من الله وهذا ليس تكبرا منا على المشايخ حاشا ومعاذ الله بل هو شرط فى طريقتنا لا غير فمن أراد الدخول فيها فلا بد له من هذا الشرط ولا خوف عليه من صاحبه ولا من غيره أيا كان فى الدنيا والآخرة وهو آمن من كل ضرر يلحقه فى الدارين بوعد صادق لا خلف له ومن أراد البقاء على ورده الذى بيده فيمكث عليه فقد قلنا أوراد المشايخ كلها على هدى من الله اه الغرض منه هنا ببعض اختصار وقول الناظم أعوذ بالله من البلاء والكفر الخ لعله لما ذكر الكفر الى ما ذكره سيدنا الشيخ رضى الله عنه على قول القطب سيدى عبد العزيز الدباغ رضى الله عنه فيما حكاه عنه فى الابريز لا ينال العبد معرفة الله حتى يعرف النبى صلى الله عليه وسلم ولا يعرف النبى صلى الله عليه وسلم حتى يعرف شيخه ولا يعرف شيخه حتى يموت الناس فى نظره فيصلى عليهم صلاة الجنازة وينتزع من قلبه التشوف اليهم ونص ما ذكره سيدنا رضى الله عنه عن كلام هذا القطب أن لكل شيخ شروطا وحدودا وموارد وله أيضا ثلاثة دوائر بعيدة وقريبة ومتوسطة اذا دخل المريد فى دائرته القريبة يقول له ان خالفتنى بعد اليوم تموت كافرا اللهم إنا نسألك العافية والالتحاف بأردية الستر والألطاف الخفية بجاه صفيك المحبوب صلى الله عليه وسلم وعلى آله آمين ولما انتهى الكلام فى لوازم الورد انتقل الى بيان وقته فقال ﴿ وقتا الورد ﴾ أى هذا مبحث وقت الورد وضمن رحمه الله تعالى فى هذه الترجمة وقتى الورد مختاريهما وضروريهما وما يتعلق بذلك فقال

﴿ مختار ورد الصبح جاء مصححا * من بعد ما صلاته الى الضحى ﴾
﴿ أما الضرورى فمن ذاك الى * مغربنا وهو لمن قد شغلا ﴾
﴿ مختار ورد العصر بعد العصر * الى العشا وغيره للفجر ﴾

المختار والضرورى كلاهما وقت أداء والقضاء من ورائهما وأداء الوردين فى وقتيهما المختار أولى وأفضل الا لمن كان له شغل فى ذلك الوقت فيشتغل الى الضرورى فان فات فيهما فالقضاء وما من قوله من (بعد ما الخ) زائدة والمراد من بعد صلاته والضمير للصبح والمراد بالضحى الضحى الاعلى والاشارة بذا من قوله (أما الضرورى فمن ذاك الخ) الى الضحى الأعلى والمغرب العشاء الأولى وقوله (وهو لمن قد شغلا) أشار به الى بيان معنى الضرورى وورد العصر أى ورد المساء وقوله (بعد العصر) أى صلاة العصر فالعصر الأولى أراد بها الوقت والثانية أراد بها الصلاة والعشاء العشاء الأخيرة وغيره الضمير لمختار ورد العصر والغير الضرورى وقوله (للفجر)

الشهوة بقدر ما يكف عن المعاصى و يحث على الطاعات و به تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وفى الخبر رأس الحكمة مخافة الله ثم اتبع ذلك بالتحذير من الأمن من مكر الله الذى هو ضد الخوف وهو أصل الغرور وداعية المهلكات ثم أرشد فى وصيته الى الأمر بالمواصلة فى الله والنهى عن المقاطعة لأن المواصلة تستدعي الألفة والألفة ثمرة حسن الخلق والمقاطعة تستدعى التفرق وهو ثمرة سوء الخلق قال تعالى «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا» ثم أكد ذلك فى الاخوان لأن لكل أخ على أخيه حقوقا يجب الوفاء بها فى المال والنفس واللسان بالسكوت والنطق وفى القلب بالعفو والدعاء و بالاخلاص والوفاء والتخفيف وترك التكليف قال الشيخ أبو عبد الله البلالى فى اختصار الأحياء آدابه يعنى الأخ إيثاره بما أمكن من ماله و بما فضل منه و بالجاه والنفس فى حوائجه ومهماته وكل أموره يبادرها قبل سؤاله مع حكم وستر وإحسان وصيانة عن كل ما يسوء وتبليغ ما يسر واستماع لحديثه بلا معارضة فيه ويثنى عليه بمحاسنه ويذب عنه وعن عرضه ويشكره على الخير وينصحه سراً بلا تصريح بلطف ويعفو عن زلته وهفوته ويدعوله فى كل وقت مرجو حيا وميتا ويحسن الوفاء مع أهله وأقاربه بعد موته ولا يكلفه شيئا ويفرح بمساره ويحزن بمكارهه ويضمر ما يظهره ليكمل وده سراً وعلنا ويبدؤه بالسلام ويوسع له المجلس ويؤثره به ويشيعه عند انصرافه فيعامله بما يحب أن يعامل به وروى ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحبهما الى الله أرفقهما بصاحبه قال والاخوان ثلاثة أخ للآخرة وأخ للدنيا وأخ لتأنس به فالأول كالغذاء لا يستغنى عنه والثانى كالدواء يحتاج اليه فى وقت دون وقت والثالث كالداء قد يبتلى به فتجب مداراته انتهى ثم ندب الى الزيارة فى الله لحديث مازار رجل رجلا فى الله وشوقا اليه ورغبة فى لقائه

أى لطلوع الفجر وأشار بهذا الذى ضمنه هذه الأبيات الى ما فى الجواهر وغيره من أن الورد فى طريقنا وردان ورد الصبح وورد المساء ولكل واحد من الوردين وقت مختار ووقت ضرورى فالمختار لورد الصبح وهو لمن لم يكن له شغل ولا عذر من بعد صلاة الصبح الى الضحى الأعلى والوقت الضرورى له أى لورد الصبح من الضحى الأعلى الى غروب الشمس وهو أى الضرورى لمن كان له شغل فما بعد صلاة الصبح الى الغروب كله أداء لورد الصبح والقضاء من وراء ذلك وأما مختار ورد المساء فمن بعد صلاة العصر الى العشاء الأخيرة وهو أيضا لمن لم يشغل عنه والضرورى له من العشاء أى من مغيب الشفق الى طلوع الفجر بعد صلاة العصر الى انشقاق الفجر كله أداء لورد المساء والقضاء من وراء ذلك هذا ملخص ما أشار اليه الناظم رحمه الله وهو المنقول عن الشيخ وعليه عمل جميع أصحابه قولا واحداً وما وقع لصاحب الجيش الكبير من عدم التقييد بالصلاة فى الوقتين فهو ذهول رحمه الله تعالى عن الأمر الخاص بطريقتنا الخاصة فلا يلتفت اليه وإن كان عليه أهل طرق أخرى لاعتبارهم فى ذلك الوقت مجرداً ومن تأمل ما عليه طريق شيخنا رضى الله عنه علم أنه الكمال لأنه الجارى على ما أشارت به الأخبار الواردة بالترغيب فى الذكر فى الوقتين والله يجازيه عنا خير جزاء ثم لما بين الناظم رحمه الله تعالى وقت الورد مختاره وضروريه عقبه بذكر ما يجوز من تقديم ذكره على الوقت وما لا يجوز فقال

﴿ ولا تقدمن فى النهار * ذا الورد للعذر على المختار ﴾
﴿ وجائز تقديمه للعذر * من بعد ما تقرا ورد الفجر ﴾
﴿ فى الليل ثم ليس من إشكال * لفضل ذكر الله فى الليالى ﴾
﴿ وورد صبح ان تقدمه على * مختاره بعد العشاء نقلا ﴾
﴿ بقدر ما يتلى من القرآن * خمسة أحزاب بلا توان ﴾

النهار المراد به هنا ما بعد ذكر ورد الصبح الى أن تصلى العصر او الاشارة بذا من قوله (ذا الورد) راجعة لورد المساء وقوله (للعذر) أتى به لافادة أن تقديم الورد أى ورد المساء فى النهار أحروى بالمنع وقوله (على المختار) يعطى بظاهره أن هنالك قولا آخر مرويا عن الشيخ رضي الله عنه مقابلا لهذا وليس كذلك فلم يبلغنا عنه رضى الله عنه شىء من ذلك فالظاهر أنه أراد ما اختاره الشيخ رضى الله عنه فى طريقه من بين طرق المشايخ رضى الله عنهم أجمعين ووجه اختياره له هو ما سيذكره فى البيتين بعد هذا والله أعلم وانظر ما وقع فى الرماح هنا فان ثبت له أصل فهو قول مقابل للقول المختار ولعل الناظم رحمه الله اطلع على شىء فلذلك قال على المختار والذى نحفظه وهو المتواتر بين أصحاب الشيخ رضى الله عنه هو ما اقتصرنا عليه ووجهه بين والله تعالى أعلم وقوله (وجائز) أى وصحيح والضمير فى تقديمه لورد المساء وقوله (للعذر) أى المتوقع حصوله فى وقته المختار بأن يغلب على الظن أنه يكون فى مساء اليوم الذى بعد اليوم الذى هو فيه مشغولا وقوله (ورد الفجر) أى ورد الصبح يريد ورد صباح اليوم الذى هو فيه أى فيقدمهما معا على الترتيب وقوله (فى الليل) أى فى التقديم المذكور يكون فى الليل لا فى النهار لكن ورد الصباح ولو بلا عذر وفى ورد المساء للعذر المتوقع فى وقته المختار وقوله (ثم ليس من إشكال) أراد أنه لا يشكل حينئذ منع تقديم ورد المساء فى النهار مع جواز تقديمه فى الليل لمكان الفعل أى تضعيف الأعمال

إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة والله حسيب من تقول عليه مفتريات ذكر منها أنه منع الزيارة مطلقا وقد قدمنا توجيه ذلك فى الباب الخامس ثم بين أن الدار دار محنة ليوطن المريد نفسه على المحن فيها ليهون عليه مايلقاه وليجد السلو به عند فقدان مايهواه وقد قال الجنيد رضى الله عنه لست أستبشع مايرد على من الكون لأنى قد أصلت أصلا وهو ان الدار دارهم وغم وبلاء وفتنة وأن العالم كله شر ومن حكمه أن يتلقانى بكل ماأكره فان تلقانى ببعض ماأحب فهو فضل والا فلأصل الأول وقد قال بعضهم ملتمس السلامة فى دار المتالف والمعاطب كالمتمرغ فى مزاحف الحيات ومداب العقارب وقد ذكر الشيخ رضى الله عنه ذلك فى بعض وصاياه بأبسط من هذا وأرشد الى وجه المخرج من ذلك فقال مانصه والذى أوصيك به ويكون عليه سيرك وعملك هو أن تعلق قلبك بالله تعالى مااستطعت ووطن قلبك على الثبوت لمجارى الأقدار الالهية ولا تعود نفسك الجزع من أمر الله فانك مهلك للعبد دنيا وأخرى وان اشتد بك الكرب وضاق بك الأمر فالجأ الى الله تعالى وقف موقفك بباب لطفه وسله من كمال لطفه تفريج ماضاق وزوال مااشتد كربه وأكثر الضراعة والابتهال الى الله تعالى منفرد القلب وناده باسمه اللطيف مااستطعت يسرع اليك الفرج فى أقرب وقت واياك من تكرر الفزع الى الله تعالى فى كل كرب فانك بذلك يصير لك الجزع من الله عادة ولا تنتفع بحياتك بل يكون الأمر مرة ومرة مرة تثبت لأمر الله ولا تجزع ولا تطلب التكليف التفريج ومرة تسأله التفريج انتهى باختصار . ومن كلامه رضى الله عنه فى وصية أخرى والعاجز من عجز حتى عن التضرع والابتهال

---

فى الليل على النهار كما هو معلوم وقوله ( وردصبيح ) أى ورد الصباح وقوله (على مختاره) أى على وقته المختار وقوله نقلا مبنى للمفعول والنائب عن الفاعل محذوف للعلم به أى نقل جوازه وصحته على الشيخ رضى الله عنه فنقل هو جواب الشرط والحزب من القرآن معروف وقوله (بلا توان) أى من غير تأخير زائد على ماذكر كما قد يتوهم وملخص ماأشار اليه فى هذه الأبيات ماثبت متواترا عن الشيخ رضى الله عنه من أن ورد المساء لايقدم نهارا يعنى لمن أراد أن يقدمه على وقته المختار بعد ورد الصباح وسواء قبل دخول وقت العصر أو بعد دخوله وقبل صلاة العصر كما تقدم وهذا إذا كان له عذر يتوقع حصوله وأحرى إذا لم يكن له عذر نعم من أراد أن يقدمه ليلا فله ذلك لكن بقيد توقع العذر فى وقته المختار وذلك بعد أن يقدم ورد الصباح لمكان الترتيب وإنما رخص الشيخ رضى الله عنه فى التقديم فى الليل دون النهار لما اختص به الليل من تضعيف الأعمال فيه باضعاف كثيرة وقد ذكر فى الجواهر عن سيدنا الشيخ رضى الله عنه فى كلامه على فضل صلاة الفاتح لما أغلق أن أعمال الليل تضاعف على أعمال النهار بخمسمائة ضعف وعلى هذا فلا اشكال فى تخصيص التقديم المذكور بالليل دون النهار وأما ورد الصباح فيصح تقديمه لمن أراده ولو بلا عذر ليلا والمراد بالليل هنا مابعد صلاة العشاء بقدر مايقرأ القارىء خمسة أحزاب من القرآن وينام الناس بهذا قدر سيدنا رضى الله عنه وقت التضعيف المذكور فليس المراد جوف الليل ولا السحر أى ثلث الليل الأخير كما قد يتبادر ﴿ تنبيه ﴾ ماذكره فى الجواهر عن الشيخ رضى الله عنه من التضعيف يشهد له فى الجملة مافى الرقاق من صحيح الامام البخارى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما كتب الله عشر حسنات الى سبعمائة ضعف من أضعاف كثيرة وهو يرد على من أخذ بظاهر الحديث الآخر بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف حيث زعم أن التضعيف لايتجاوز هذه الغاية وانظر الارشاد وغيره من الشروح فى باب حسن المرء فى الكلام على حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ثم قال الناظم رحمه الله تعالى

﴿فصل﴾ وجه كون هذا الفصل من الترجمة ظاهر لايحتاج الى بيان قال رحمه الله

﴿ تخيير ذات الحيض والمريض قد * ثبت فى الذكر فليس ينتقد ﴾

﴿ وقصة الديك على الندب دليل * وحجة الذكر من كان عليل ﴾

المراد بذلك الحيض مايعم ذات النفاس أيضا لأنها كهى فى حكم قراءة القرآن على المعتمد فى مذهبنا والمريض المراد به من ضعفت قواه ووقع انحراف ما فى مزاجه لاذو المرض الخفيف وقوله ( ثبت ) يعنى عن الشيخ رضى الله عنه وقوله ( فى الذكر ) يتعلق بتخيير والمراد فى أداء الورد وتركه لا فى القضاء وان حمل عليه عند بعض الأصحاب وينتقد ينكر والديك ذكر الدجاج وقصته معروفة وسنذكرها ان شاء الله تعالى وملخص ماأشار اليه رحمه الله تعالى ماثبت عن سيدنا الشيخ رضى الله عنه من أن المريض والحائض مخيران فى ذكر الورد أى أدائه فان أتيا به فى حال المرض وحال الحيض فذلك والا فلا شىء عليهما ولا يقضيانه بعد هذا هو الثابت عنه رضى الله عنه ووجهه أى وجه تركه فى حق المريض ان الله تعالى بفضله يقيم من ينوب عنه فيه فيكتب له عمله كما ورد بذلك الخبر وأما فى الحائض ماهو معلوم من اسقاط

ومن ضيع نفسه من الله فلا جابر له ولتكن لكم ببابه إلمامات على مرور الساعات وكرور الأوقات فان من اعتاد ذلك غشيه من نفحات رحمته تعالى مايكون ماحقا لمصائبه ومسهلا لاعباء مائقل عليه من ملماته فانه سبحانه غنى كريم يستحى بكرمه من ان يسلم العبد للمصائب وهو يتعود الوقوف ببابه انتهى ثم أرشد رضى الله عنه بحكم الشفقة على العباد الى استعمال مكفرات الذنوب وسرد جملة منها وكذلك فى الجل من وصاياه وستقف على ذلك فيما سنورده بعد منها ثم ختم ببشارة تحدثا بنعم الله تعالى وضمنها تحذيرا من الأمن من مكر الله تعالى والله تعالى يجزيه عنا وعن نفسه وعن الاسلام خيرا * الوصية الثانية وهى مما كتب به الى فقراء فاس صانهم الله من كل بأس ونصها بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم بعد حمد الله جل ثناؤه وتقدست صفاته وأسماؤه يصل الكتاب إلى كافة أحبابنا فقراء فاس ومن بازائها حفظ الله جميعكم من جميع المحن ومن معضلات الفتن آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يعمكم ويعم أحوالكم من محبكم أحمد بن محمد التجانى وبعد فانى أوصيكم ونفسى بما أوصاكم الله به وأمركم به من حفظ الحدود ومراعاة الأمر الالهى على حسب جهدكم واستطاعتكم فان هذا زمان تهدمت فيه قواعد الامر الالهى جملة وتفصيلا وانهمك الناس فيما يضرهم دنيا وأخرى بحيث لارجوع ولا يقظة لما يصرف القلوب الى الله والوقوف عند حدود الله أمرا ونهيا ولاطاقة لأحد بتوفية أمر الله من كل وجه فى هذا الوقت الا لمن لبس حلة المعرفة بالله تعالى أوقاربها لكن حيث كان الأمر كما ذكر ولم يجد العبد مصرفا عما أقامه الله فيه فالأبقع خير من الأسود كله فاتركوا مخالفة أمر الله ما استطعتم وقوموا بامره على حسب الطاقة واجعلوا

---

التكليف عنها فى الصلاة مدة الحيض وعدم مطالبتها بالقضاء فيها ووجه الاتيان به فى حق المريض ان ذكر الله مرغب فيه على كل الاحيان مادام الانسان ممكنا من فسحة الامكان وأما فى الحائض فبالقياس على قراءة القرآن فافهم وقد علمت ان الثابت عن الشيخ رضى الله عنه انما هو التخيير فقط وليس فيه مايشير الى أرجحية فى الفعل فى حق المريض من قصة الديك والظاهر أن ذلك لايتم له والله أعلم لأن قصة الديك التى أشار اليها هى أن رجلا تخلف عن حضور الوظيفة مع الاخوان على عهد الشيخ رضى الله عنه ليلة من الليالى فلما حضر من الغد قال له الشيخ رضى الله عنه مابالك تخلفت البارحة عن الوظيفة فقال ياسيدى كان برأسي وجع وكان من عادة الشيخ رضى الله عنه أن يؤدب أصحابه بذكر الحكايات المناسبة لاحوالهم مبالغة منه رضى الله عنه فى الارشاد على طريق السياسة واللين فقال رضى الله عنه حين اعتذر الرجل بما اعتذر به كان لبعضهم ديك يوقظه صراخه بالليل فكتفه ذات ليلة فلم يصرخ فلما أصبح دعا بالديك وبصق فى وجهه وقال له بئس الديك أنت كتفناك ليلة فلم تذكر ربك اه القصة وهى قضية عين وعلى أنها عامة فالتخيير انما هو حق المريض الذى حصل له العجز لضعفه عن استيفاء الورد الا بالمشقة وليست قضية الرجل الذى حكى الشيخ رضى الله عنه من أجله الحكاية المذكورة مما يذكر فى بساط الكلام على المريض الذى هذا وصفه فلذلك استظهرنا آنفا ان ماذكره الناظم رحمه الله تعالى لايتم له اما أولا فلمباينة حال الرجل الذى حكيت من أجله الحكاية لحال المريض المخير حسبما عرفته وأما ثانيا فلان الذكر وان كان أولى فى الأحوال كلها وعلى الاحيان جميعها فقد يكون استيفاء الورد بشروطه من ضبط عدده وغيره مما يضر بالمريض فلا يكون الذكر فى حقه أولى الا بحسب طاقته فلا تظهر أرجحية الذكر للورد فى حقه فافهم ويبين لك هذا الوجه انهم كانوا اذا ارادوا الذكر فى حال المرض يبدلون من صلاة الفاتح لما اغلق غيرها من الصلوات المختصرة نحو اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم وبه كانوا يأمرون غيرهم ممن أراد الذكر على الحالة الموصوفة من المرض والله المستعان ثم قال رحمه الله تعالى

﴿ فصل ﴾ وجه ادخال هذا فى الترجمة أيضا بين

﴿ ولزم القضاء للوردين من * يفوته وقتها من الزمن ﴾

قوله (القضاء) يعنى أبدا فى غير من خير والمريض من الحائض وقوله (للوردين) ورد الصباح وورد المساء وقوله (وقتها) أى المختار والضرورى اذ القضاء من ورائها وأشار بهذا الى مانبه عن الشيخ رضى الله عنه وهو فى جواهر المعانى وغيره من أن من فاته ورده يلزمه قضاؤه على ممر الدهر ووجهه ان الورد صار واجبا بالالتزام كالنذر فالقضاء على بابه وليس منه التدارك لما فات من العبادة المتطوع بها ليعتاد الملازمة عليها وهذا انما يجرى عندنا فى الاوراد الزائدة على الورد الأصلى مما ليس بلازم للدخول فى الطريق فافهم والله تعالى اعلم وفى خبر عن مولاتنا عائشة تشديد الوعيد فى حق من ترك عبادة لله ملالة ذكره فى الاحياء فراجعه ان شئت ثم قال رحمه الله

لأنفسكم عدة من مكفرات الذنوب فى كل يوم وهى أمور كثيرة كتبنا لكم منها فى الوصية الأولى نبذة كافية ومنها الحزب السيفى لمن اتخذه ورداً صباحا ومساء وأقل ذلك  مرة مرة وأكثره لاحد له ومن ذلك المسبعات العشر لمن اتخذها ورداً صباحا ومساء ومن ذلك صلاة الفاتح لما أغلق أقلها مائة فى الصباح والمساء ولا يلحقها فى هذا الميدان عمل من أى عامل ولا ينتهى إلى غايتها أمل من أى آمل وأدوا الصلوات المفروضة فى الجماعات بالمحافظة فانها متكفلة بالعصمة من جميع المهلكات إلا فى نبذ قليلة توجب العقوبات وأن لله سبحانه وتعالى بالمداوم عليها عناية عظيمة فكم يجبر له من كسرة وكم يستر له من عورة وكم يعفو له عن زلة وكم يأخذ بيده فى كل كبوة وعليكم بالمحافظة على ذكر الله والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم ليلا ونهاراً على حسب الاستطاعة وعلى قدر مايعطيه الوقت والطاعة من غير افراط ولا تفريط واقصدوا بذلك التعظيم والاجلال لله سبحانه ولرسوله صلى الله عليه وسلم والتحلى فى ذلك بالوقوف فى باب الله طلبا لمرضاته لا لطلب حظ فان للعامل بذلك عناية عظيمة يجد بركتها فى العاجل والآجل ويجد حلاوة لذتها فيما هو آمل وهى فى الخواص والأسرار كالمحافظة على الصلوات فى الجماعات سواء بسواء وعليكم بالمحافظة على الصدقة فى كل يوم وليلة إن استطعتم ولو فلس نحاس أو لقمة واحدة بعد المحافظة على أداء المفروضات المالية فان عناية الله تعالى بالعامل بذلك قريب من محافظة المفروضات فى الجماعة وليكن من جملة أورادكم التى تحافظون عليها بعد الورد الذى هو لازم الطريقة الحزب السيفى وصلاة الفاتح لما أغلق فانهما بما يغنيان عن جميع الأوراد ويبلغان بفضل الله غاية المراد ولا يفى بقدرهما عمل وعليكم بصلة الأرحام من كل مايطيب القلب ويوجب المحبة

﴿ شروطه وما يلحق بها ﴾

لما ذكر لوازم الداخل فى الطريق المتعلق بهذا الورد المحمدى المنتظم فى سلك هذا الفريق وأتبعه بذكر وقت الورد ومايتعلق به أتبعه بذكر شروط الصحة للورد ومايلحق بها فقال

﴿ شروط ذا الورد طهارة الحدث * بماء أو تيمم مع الخبث ﴾
﴿ من جسد أو ثوب أو مكان * وستر عورة عن الاعيان ﴾
﴿ وعدم النطق لغير عذر * وليكن النطق له بالنذر ﴾
﴿ ونية لدى شروعك وتى * هى التى تدعى شروط الصحة ﴾

ألفاظ الأبيات كلها ظاهرة وتقدم تفسير بعضها وأشار به إلى أن شروط الصحة للورد خمسة (الأول) طهارة الحدث إما بالماء أو بالتيمم بموجبه على الحد الشرعى فى ذلك (والثانى) طهارة الخبث من الجسد والثوب والمكان على الحد المشروع فى ذلك للصلاة (والثالث) ستر العورة على الحد المحدود فيه فى الصلاة شرعا أيضا فى حق الرجل والمرأة (والرابع) ترك الكلام من ابتداء ذكر الورد إلى انتهائه إلا لعذر فلا يضره الكلام القليل كالكلمة والكلمتين هكذا ذكر الناظم رحمه الله تعالى وهو الذى عند صاحب الجيش الكبير وهو الذى كان عليه كافة من أدركناه من أصحاب سيدنا الشيخ رضى الله عنه فيترك الكلام إلا لعذر فيشير برأسه أو يده أو نحو ذلك فقط وينبغى أن يكون العمل عليه إلا حيث لم تفد الاشارة فيعمل على الآخر فيأتى بالقليل كالكلمة والكلمتين ويستثنى من هذا ما إذا خاطبه والده أو والدته فانه يجيبهما من غير توقف لما فى السكوت عنهما من العقوق وقد علم مافيه والبرور من لوازم الطريق وقد كان سيدنا رضى الله عنه يقول من لم ير والديه لا يتيسر له سلوك هذه الطريق وقد رأيت المعتبرين من المقدمين إذا أتاهم أحد يطلب منهم تلقين الورد يسألونه هل لك والد ووالدة فيشترطون عليه البرور بهما إذا كانا أو أحدهما وكانوا إذا اشترطوا ترك الكلام فى ذكر الورد يستثنون منه الوالدين وكذا الزوجة إذا خاطبها زوجها أو ناداها فقد كانوا يستثنونه من هذا الشرط أيضا ولا يبطلون الورد باجابة الوالدين وكذا الزوج (والخامس) من شروط صحة الورد النية وهى القصد إلى ذكر ما التزمه من الورد فيقصد ورد الصباح أو ورد المساء ولا يكفيه القصد إلى مطلق الذكر ولا بد مع قصده للورد من قصده مع الفعل كونه مطلوبا للرب وبه تحصل عبودية القلب وقد قيل النية عبودية القلب والعمل عبودية الجوارح وقد علم كما فى الارشادات وغيره أن الطاعات فى أصل صحتها وتضاعفها مرتبطة بالنيات وبها ترتفع إلى خالق البريات قال السبكى فى طبقاته وإنما يصير الفعل عبادة بالنية قال والنية فيها أمران أحدهما قصد الناوى والثانى كون الفعل واقعا على وجه الامتثال وذلك ناشىء عن القصد وهذا الناشىء ركن بلا شك وهو مع الفعل كالروح مع البدن اه المراد منه فتحصل أن فى النية أمرين أحدهما القصد إلى الفعل وهو قائم بذات الناوى وثانيهما أى الأمرين كون الفعل واقعا على وجه الامتثال وهذا الثانى ناشىء من الأول ولا بد منه اتفاقا والخلاف معلوم فى جعل النية شرطا أو ركنا فمن اعتبر الأمر الأول قال هى شرط ومن اعتبر الثانى قال هى ركن فافهم والله تعالى أعلم ثم لما ذكر شروط الصحة بين الوجه الذى من أجله أفردها عن اللوازم وخصها باسم الشرط

ولو بتفقد الحال والقاء السلام وتجنبوا معاداة ذوى الأرحام وعقوق الوالدين وكل مايوجب الضغينة فى قلوب الاخوان وتجنبوا البحث عن عورات المسلمين فان من تتبع ذلك فضح الله عورته وهتك عورة بنيه من بعده وأكثروا العفو على الزال والصفح عن الخلل لكل مؤمن وآكد ذلك لمن آخاكم فى الطريقة فان من عفا عن زلة عفا الله له عن زلات كثيرة ومن وقع فيكم بزلة ثم جاءكم معتذراً فاقبلوا عذره وسامحوه لكى يقبل الله أعذاركم ويسامحكم فى زلاتكم فان شر الاخوان عند الله من لا يقبل عذرا ولا يقبل عثرة وتأملوا قوله سبحانه وتعالى «سارعوا إلى مغفرة من ربكم . إلى قوله والله يحب المحسنين» وعليكم بالغفلة عن شر الناس وعدم المبالاة بما يجرى منهم من الشرور وعليكم بالصفح والتجاوز عنهم فان مناقشة الناس عما يبدو منهم وعدم العفو عنهم يوجب للعبد عند الله البوار فى الدنيا والآخره وكلما دنت بمقابلة شر بمثله تزايدت الشرور وتنكسر بالعبد قوائمه فى جميع الأمور فلا مقابلة للشر إلا بالغفلة والعفو والمسامحة وعليكم بعدم الاعتراض على الناس فيما أقامهم الله فيه مما ليس بمحمود شرعا ولا طبعا فان أمورهم تجرى على المشيئة الالهية فهم مقبوضون فى قبضة الله لا محيد لهم عن حكمه وجميع أمورهم تصدر عن قضائه وقدره إلا ما أوجب الشرع القيام به عليهم أمراً وزجرا بحسب العوارض والنائبات فى بعض الأزمان لا فى كل الأزمان وقفوا عند قوله صلى الله عليه وسلم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر حتى

بما يترتب عليها فقال رحمه الله تعالى

﴿ وتارك لبعض ذا الذى مضى * عليه فى الوقت و بعده القضا ﴾

أراد رحمه الله تعالى أن من ترك بعض ماتقدم من الشروط يعنى شروط الصحة الخمسة المتقدمة فعليه القضاء أبداً وأحرى إذا تركها كلها وإنما لم تقس الأوراد على الصلاة هنا لعظم خطر الصلاة فان الصلاة لتأكيد أمرها وتحتمه فى الشرع كانت تؤدى فى الوقت بما أمكن ولو مع العجز عن بعض شروطها بخلاف الورد فانه لسعة الأمر فيه كان يأتى به متى ماقدر على استيفاء الشروط إلا فى حق من كان فرضه التيمم فانه يتيمم له ويفعله ولا يؤخره عن وقته فافهم ويحتمل أن يكون أراد بالبيت الاشارة إلى ما يفعله من ترك الشروط أو بعضها عمداً فيكون من تتمة الكلام فى البيت قبله أعنى فى قوله ( وتى هى التى تدعى شروط الصحة ) وهذا الاحتمال أجود والاحتمال السابق أفيد والله تعالى أعلم ثم قال رحمه الله تعالى مشيراً إلى شروط الكمال

﴿ ومن شروطه على من قدرا * عليه لاسواه أن يستحضرا ﴾
﴿ صورة شيخه وينوى المددا * وانه بين يديه قاعـدا ﴾

ألفاظ البيتين واضحة المعنى وأشار بهما إلى مافى الجواهر من أن شروط الورد لمن قدر عليه استحضار صورة القدوة يعنى سيدنا الشيخ رضى الله عنه وأنه جالس بين يديه يستمد منه اه والمطلوب أن يكون ذلك دواما من ابتداء ذكر الورد إلى انتهائه فان لم يقدر فليكن فى ابتدائه عند إرادة الشروع ثم يلاحظه ذلك مرة مرة بقدر قوة استعداده وضعفه والاستحضار المذكور يكون لصورة ذات الشيخ رضى الله عنه أعنى لخلقته الظاهرة التى كان عليها إن كان ممن يعرفها ولو بالنقل وإلا فيستحضر صورة كمالية مكسوة بالهيبة والوقار ويستعمل عند ذلك ماقدر عليه من الأدب والاجلال والاكبار وبالله التوفيق ولما كانت رتبة صاحب هذا الاستحضار قاصرة بالنسبة لمن ترقى عليها إلى استحضار صورة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أشار إلى ذلك فقال

﴿ لكن من الذى ذكرت أنفع * ومنـه أكمل ومنه أرفع ﴾
﴿ وأعظم استحضار صورة النبى * أفضل أبناء نساء العرب ﴾
﴿ ناويا اقتباسـه الأنوارا * وأنه بين يديه صـارا ﴾
﴿ عليـك بالهيبـة والوقار * إذ ذاك والتعظيم والاكبار ﴾

قوله (أنفع) أى أعظم منفعة فى الاستمداد إذ هو صلى الله عليه وسلم لمن أكرمه الله تعالى بالتوجه اليه والاستفاضة من حقيقة مادة الامداد الذى يستمد منه الكل واليه يرجع الكل صلى الله عليه وسلم (وقوله ) أكمل وما عطف عليه يريد أن درجة صاحب هـذا الاستحضار أكمل وأرفع وأعظم من صاحب الاستحضار السابق وقوله فى وصفه صلى الله عليه وسلم أفضل أبناء نساء العرب يعنى وغيرهن من باب أولى لأن العرب أفضل بنى آدم كما فى حديث ان الله خلق الخلق فاختار منهم بنى آدم واختار من بنى آدم العرب الحديث وباقى ألفاظ الأبيات وتراكيبها ظاهر وأشار بما تضمنته الأبيات إلى مافى الجواهر من أن الأفضل والأكمل فى حق ذاكر الورد استحضار صورة النبى صـلى الله عليه وسلم وأنه بين يديه يستمد من أسراره

إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخويصة نفسك وقوله صلى الله عليه وسلم من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه وعليكم بمناصحة اخوانكم فى الطريقة برفق ولين وسياسة من غير ضغينة ولا حقد وليجعل كل واحد منكم وقتا يذكر الله

الوظيفة المعلومة لمن استطاع صباحا ومساء وإلا فمرة واحدة فى الصباح أو المساء فانها تكفى وخففوا من وردها ان ثقل عنكم واجعلوها خمسين من صلاة الفاتح لما أغلق الخ والاستغفار ان شئتم اذكروا أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم ثلاثين مرة تكفى عن الاستغفار مائة مرة فى الوظيفة والهيللة مائة مرة والجوهرة إحدى عشرة كما ذكرنا لكم وأوصى من كان مقدما على اعطاء الورد أن يعفو للاخوان عن الزلل وأن يبسط رداء عفوه عن كل خلل وأن يجتنب ما يوجب فى قلوبهم ضغينة أو شينا أو حقدا وأن يسعى فى اصلاح ذات بينهم وفى كل ما يوجب بغضا فى قلوبهم بعضهم على بعض وان اشتعلت نيران بينهم سارع فى إطفائها وليكن سعيه فى ذلك ابتغاء مرضاة الله تعالى لا لحظ زائد على ذلك وأن ينهى من رآه يسعى فى النميمة بينهم وأن يزجرهم برفق وكلام لين وعليه أن يعاملهم بالرفق والتيسير والبعد عن التنفير والتعسير فى كل ما يأمرهم به وينهاهم عنه من حقوق الله وحقوق الاخوان ويراعى فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا وعليه أن يتباعد عن تغريم دنياهم وأن لا يلتفت إلى ما فى أيديهم معتقداً أن الله تعالى هو المعطى والمانع والخافض والرافع وليجعل همته فى تحريز دنياهم فيما بأيديهم من التشتيت والتبذير وأن لا يطالبهم الورد باعطاء شىء لا من القليل ولا من الكثير إلا ما سمحت نفوسهم ببذله من غير طلب فان عقول الناس حول هذا المطاف تدور وعلى هذا المقدار

و يقتبس من أنواره و يستعمل فى ذلك ما يقدر عليه من التعظيم التام وما ينبغى من التأدب فى الظاهر والباطن بين يدى سيد الأنام صلى الله عليه وسلم ومن هذا الشرط استخرج صاحب الميزاب الطريقة الأولى من الطرق الثلاثة التى جعل عليها مدار التربية فى كتابه المذكور ثم قال رحمه الله تعالى

﴿ ومع ذا استحضار معنى الذكر * فى القلب من كان لذاك يدرى ﴾
﴿ ومن يكن لم يدره فليستمع * لفظ لسانه لكيلا ينتفع ﴾
﴿ ومن يكن يرتل الأورادا * ينل بما ذكرته المرادا ﴾
﴿ ولتحذرن اللحن فى الأوراد * لكى تنال غاية المراد ﴾

استحضار هنا مصدر مضاف لمفعوله وهو معنى الذكر ومن فى قوله من كان لذاك يدرى هو فاعله ولا من قوله (لكيلا ينتفع) زائدة أى لكى ينتفع وباقى ألفاظ الأبيات وتراكيبها ظاهر وأشار بهذا إلى ما فى الجواهر وغيره من أنه يشترط فى حق ذاكر الورد استحضار ما قدر عليه من معانى الذكر إن كانت له قدرة على فهم معانيه وإلا فليسمع نفسه ألفاظ الذكر وينتصب بغاية جهده لما يتلفظ به ليحصل له النفع بذلك ومن تمام هذا الشرط ترتيل الذكر وعدم الهز فيه وكذلك تجنب اللحن بغاية جهده ليحصل من فائدة الذكر على غاية بغيه ومنتهى قصده

﴿ فان قيل ﴾ من لم يقدر على الجمع بين استحضار صورة القدوة مثلا والاستحضار لمعانى الذكر هل يشتغل بالاستحضار الاول ويلغى الآخر أو العكس قلنا ليستحضر عند الشروع أنه جالس بين يدى القدوة و يستمد منه ثم بعد الشروع يستعمل ما يقدر عليه من استحضار معانى الذكر دواما إن كانت له قدرة على فهم المعانى وإلا استعمل ما يقدر عليه من الانتصات لألفاظ الذكر مع الملاحظة لاستحضار القدوة مرة مرة ان قدر وإلا فيكفيه الاستحضار عند الشروع وبالمداومة على هذا وسريان أنوار ألفاظ الذكر ومعانيه فى ذاته يصير يقوى على الملاحظة لاستحضار صورة القدوة مرة مرة ثم على الجمع بين الاستحضارين معا ثم يترقى من استحضار صورة القدوة إلى استحضار صورة النبى صلى الله عليه وسلم ثم إلى ما هو أعلى من ذلك من دوام مشاهدة الصورة الشريفة صلى الله عليه وسلم بعين قلبه ثم إلى ما هو أقوى من ذلك ورأيت للشيخ محيى الدين رضى الله عنه ما يؤخذ منه أن الذاكر لا يكلف بين الجمع بين الاستحضارين وذلك أنه قال رضى الله عنه فى الباب التاسع والستين من الفتوحات على قوله تعالى « الذين هم عن صلاتهم ساهون » ما نصه اعلم أن الحق تعالى لم يعلق الوعيد إلا بمن سها عنها لا فيها وذلك أن العبد فى صلاته بين مناج ومشاهد فقد يسهو عن مناجاته باستغراقه فى مشاهدته وقد يسهو عن مشاهدته باستغراقه فيما يناجيه به ربه من أحكام وقصص وحكايات ووعد ووعيد حال الخاطر فى الكلام لدلالة الكلام عليها وهو مأمور بالتدبر فى التلاوة اه وقد عرفت أنه يؤخذ منه ما ذكرناه وليس فيه مصادمة لما أشرنا إليه من الترقى إلى درجة الجمع بين الاستحضارين لأنه عام وما أشرنا إليه خاص بدرجة الخاصة من أهل الصفاء فاعلم ذلك ﴿ تنبيه ﴾ يؤخذ من جعل الشيخ رضى الله عنه الانتصات لألفاظ الذكر شرطا أن المطلوب فى الذكر اسماع المرء نفسه لا حركة اللسان فقط وعليه النووى فى الاذكار حسبما نقله عنه غير واحد وبالله التوفيق ثم لما كانت الوظيفة المعروفة فى طريقنا تشترك مع الورد فى الشروط المتقدمة كلها ويختص

الورد عنها بغيرها أشار الى المشاركة المذكورة فقال

﴿ وهـذه الشروط للوظيفه * وهى التى فى وردنا معروفه ﴾

الوظيفة مايقدرمن عمل وغيره ووظفت عليه العمل توظيفا قدرته وهى فى وردنا أى طريقتنا معروفة وسيأتى قريبا ذكرأركانها القائمة منها ومايتعلق بها ومراد الناظم هنا الاخبار بأن الشروط المتقدمة للورد هى شروط أيضا للوظيفة ثم يختص كل واحد منهما من الشروط بما لا يشاركه فيه الآخر فما اختص به الورد عنها ما أشار اليه بقوله

﴿ واستقبل القبـلة إلا لضرر * مثل مسافر على ظهر السفر ﴾

﴿ وتركك الجهر عليه عمل * أصحاب شيخنا وذاك الأمثل ﴾

﴿ كذا جلوسك إذا استطعتا * تفعـله وعنـه ما شـغلتا ﴾

﴿ قلت وعندى حسن من يأتى * به كمثـل هيئة الصـلاة ﴾

قوله (إلا لضرر) أى ضرورة يعنى مشقة وقوله (مثل مسافر) هو على حذف مضاف أى مثل مشقة مسافر وقوله (على ظهر السـفر) أى راكب على دابة فى السفر وباقى الألفـاظ والتراكيب فى الأبيات واضح بين وأشار رحمه الله تعالى فى هذه الأبيات الى شروط الكمال وهى ثلاثة (الأول) استقبال القبلة بجميع بدنه كالصلاة من حين الشروع فى الذكر الى أن يختم ويستثنى من هذا المسافر إذا كان راكبا على دابته فانه يذكره حيثما توجهت به دابته كالحكم فى النفل فتشترط طهارة السرج والبرذعة مثلا وإن كان ذلك لايشترط فى الفرض لأنه جبرى والنفل اختيارى وتشترط الدابة أيضا حسما مر بخلاف السفينة فيدور معها الى القبلة لكن إن أمكن ذلك وإلا فهى كالدابة أيضا وانظر هل يشترط كون السفر سفر قصر قياسا على النفل أولا والظاهر أنه لايشترط ذلك إذ لو اشترط لنقل ولم ينقل لنا فيه شىء والله تعالى أعلم ثم إن فى تعبير الناظم بقوله إلا لضرر تجوزا لأنه يتبادر منه أن المراد هنا من أقسام القبلة المعروفة عند الفقهاء قبلة الضرورة وهى قبلة من منع من الاستقبال لشدة الخوف وليس هذا هو المراد هنا بل المراد هو أن استقبال القبلة فى الورد شرط كمال ويترخص فى تركه إذا كان لايحصل إلا بتكلف ما ومشقة ما ولو فى النفس فالصواب أن المراد هنا القسم المسمى عند الفقهاء قبلة الترخص وحينئذ يكون دخول من منع من الاستقبال لشدة خوف أحروبا فافهم هذا والذى أدركنا عليه عمل الصادقين وأهل الجـد والاجتهاد من المريدين المحققين هو تأكيد أمر الاستقبال حتى كأنه شرط صحة عندهم ولا يخفى أن عملهم فى ذلك هو الأليق والأنسب بل هو المطلوب فى بساط التربية والسلوك وقد قال بعضهم ما فتح الله على ولى إلا وهو مستقبل القبلة وذكر أن رجلا علم ولدين القرآن على السواء فكان أحدهما يقرأ وهو مستقبل القبلة فحفظ القرآن قبل صاحبه بسنة وفى الخبر لكل شىء زينة وزينة المجالس استقبال القبلة وفيه أن لكل شىء شرفا وأن شرف المجالس ما استقبل به القبلة وفيه أن لكل شىء سيدا وأن سيد المجالس قبالة القبلة واعلم أن ما تقدم من الترغيب فى استقبال القبلة هو فى حق من كان فى غير مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فقد نص العلماء على أن استقبال القبر الشريف فى الذكر والدعاء لمن كان فى مسجده صلى الله عليه وسلم أفضل له من استقبال القبـلة ونذكر

تجرى بهم جميع الأمور وسلموا للعامة وولاة الأمر ما أقامهم الله فيه من غير تعرض كمنافرة أو تبغيض أو تنكير فان الله هو الذى أقام خلقه فيما أراد ولا قدرة لأحد أن يخرج الخلق عما أقامهم الله فيه واتركوا التعرض للرياسة وأسبابها فانها كعبة تطوف بها جميع الشرور وهى مقر الهلاك فى الدنيا والآخرة ومن ابتلى منكم بمصيبة أو نزلت به من الشرنائبة فليصبر بانتظار الفرج من الله فان كل شدة لابد لها من غاية وكل كرب لابد له من فرج وإن ضاق به الحال فعليه بالتضرع والابتهال حتى يبلغ بالفرج من الله غاية الآمال ولا تجزعوا من المصائب والبليات فان الله سبحانه وتعالى ما أنزل العباد فى دار الدنيا إلا لتصاريف الأحكام الالهيـة والأقدار الربانية مما تضيق به النفوس من أجل البلاء والبؤس ولم يجد العبد مصرفا عن هذا ولا إمكان للعبد من التمكن من دوام الراحة من كل بلاء فى الدنيا بل على العاقل أن يعلم أن أحوال الدنيا متعاقبـة بين ساعات انقباض وانبساط وخيرات وشرور وأفراح وأحزان لايخرج من سكن الدنيا عن هذا المقدار فان نزلت مصيبة أو ضاقت نائبة فليعلم أن لها وقتاً تنتهى إليـه ثم يعقبها الفرح والسرور فان من عقل هذا عن الله تعالى فى تصاريف دنياه تلقى كل مصيبة بالصبر والرضا بالقضاء الشكر التام على النعماء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته * انتهت هذه الوصية وهى فى غاية النصح والأمر بالتشمير الى القيام بتوفية الحقوق جهد المستطاع وتدارك مافات باستعمال مكفرات الذنوب ولا علينا أن نبين بعض ذلك

بزيادة إيضاح ليعلم مكانها من كمال النصيحة أما المسبعات العشر فى الاحياء أن الخضر عليه السلام أهداها الى إبراهيم التيمى وأوصاه أن يقولها غدوة وعشيا وقال له سيخبرك النبى صلى الله عليه وسلم بثوابها فذكر إبراهيم أنه نام ذات يوم ورأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه

فسأله عنها فقال له والذى بعثنى بالحق انه ليغفر لقائلها جميع الكبائر التى عملها ويرفع الله عنه غضبه ومقته ويؤمر صاحب الشمال أن لا يكتب عليه خطيئة من السيئات إلى  سنة والذى بعثنى بالحق نبيا ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله سعيداً ولا يتركه إلا من خلقه الله شقيا انتهى وفيه أيضا أن وقتها قبل طلوع الشمس وقبل انبساطها وقبل الغروب وهى الفاتحة والمعوذتان والاخلاص والكافرون وآية الكرسى كل واحد سبع مرات والبسملة قبل كل سورة فى كل مرة ثم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم سبعا ثم اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى وعلى اله وصحبه وسلم سبعا ثم اللهم اغفر لى ولوالدى ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات سبعا ثم اللهم افعل بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا وبهم يا مولانا ما نحن له أهل إنك غفور حليم جواد كريم رؤف رحيم سبعا وأما الذكر فقد قدمنا فضائله فى المبحث السادس من هذا الباب فليراجع وقد قال أبو على الدقاق الذكر منشور الولاية فمن وفق له فقد أعطى المنشور أى البساط أى جلس على بساط الولاية ولا بد لمريد السلوك من الاكثار منه وقد تقدمت آدابه وقوله واقصدوا بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم التعظيم الخ ارشاد منه رضى الله عنه إلى أعلى المراتب فيما يقصده المصلى بصلاته عليه صلى الله عليه وسلم وذلك أن الصلاة لها مراتب فى القصد أعلاها أن تكون لتعظيم الله ومحبته والاقتداء به وتعظيمه صلى الله عليه وسلم ومحبته وأوسطها أن تكون لامتثال أمره تعالى وأدناها أن تكون لقصد الأجر والثواب وإنما كانت هذه دونها لما فيها من حظ النفس

لنا فى قول امام الأئمة مالك رضى الله عنه للخليفة العباسى وأين تصرف وجهك عنه وهو قبلتك وقبلة أبيك آدم صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى آل كل (الشرط الثانى) من شروط الكمال الاسرار فى ذلك الورد من أوله إلى آخره لما كان عليه عمل اصحاب الشيخ رضى الله عنه وإنما قال الناظم وذاك الأمثل لأن من آكد آداب المريد عند أهل الطريق أن يكتم المريد ورده فلا يخبر بحقيقته من لم يكن أخا له فى طريقه ويرون ذلك من كتمان السر الذى هو مركز لحصول النتيجة وقد رأيت السلف من الاصحاب يتواصون بذلك فيما بينهم وبالجملة فهو من أهم الأمور فى الطريق فافهم ذلك والله يتولى هدانا جميعا بمنه آمين (الشرط الثالث) من شروط الكمال الجلوس فلا يذكره مضطجعا مثلا إلا إذا لم يستطع الجلوس ولا قائما إلا إذا شغل عن الجلوس كأن يكن مسافراً جاداً فى السير راجلا فيذكره حيثما توجه بشرط أن لا يطأ نجاسة وأن لا يلابس نجساً مع الامكان هكذا ذكر الناظم رحمه الله تعالى وهو من آداب المريدين السالكين لكن المحفوظ عندنا من عمل أصحاب الشيخ رضى الله عنه يدل على أن الأمر فى ذكره مضطجعا أو قائما أخف مطلقا وخصوصا للاستراحة فى الاضطجاع من النوم ونحوه فى القيام ولا شك أن ما استحسنه الناظم رحمه الله تعالى من الاتيان به فى مثل جلسة الصلاة أمر حسن ولا سيما فى بساط التربية والسلوك الخاص ولا مفهوم لجلسة الصلاة بل كذلك التربع والاقعاء بمعنى الجلوس على العقبين حسبما نصوا عليه فى كلامهم فى بيان كيفية الجلوس فى الخلوة أعنى الأربعينية ونحوها وقوله عندى يعنى بما استفاده من العلم لا بمجرد التخمين والحدس من غير استناد إلى أقوال علماء الطريق وسيرهم فاعرف ذلك والله المستعان ثم قال الناظم رحمه الله

﴿ واقرأ قبيل الذكر ما رويته * عن شيخنا وذاك قد صححته ﴾

أراد بهذا الذى رواه عن الشيخ رضى الله عنه من طريق الصحة مقاصد الورد المعروفة عند أهل الطريق وهى أن يقرأ على قلبه قبل الشروع فى كل ذكر من الأذكار التى هى أركان الورد التى بنى منها آية من القرآن العظيم متضمنة للأمر بذلك الذكر ليستشعر هيبة الأمر بمعرفته بمن صدر منه وذكر له على ما ستبين لك كيفية العمل فيه شرح هذا البيت إن شاء الله تعالى فتعبير الناظم بقوله (واقرأ) رمز منه إلى المقاصد لأنها قراءة آيات قرآنية متضمنة للأمر بالمقصود (وقبيل الذكر) صغر قبل اشارة إلى أن كل مقصد يقرأ متصلا بالذكر المقصود من غير فاصل بينهما والذكر أل فيه للعهد أى ذكر الورد المتكلم فيه وبيان ما من قوله ما رويته هو ما ذكرناه من مقاصد الورد ولا خفاء أن عبارته رضى الله عنه فى هذا البيت غير موفية بقصده إلا من طريق الرمز والتلميح بحيث لا يعثر على مراده فى كلامه إلا من كان عارفا بمنحى مرامه ولو قال

وافتتح الذكر بما قد عهدا * من المقاصد تكن مسددا

لوفى بالمراد ولا يضره عدم التصريح بالرواية عن الشيخ رضى الله عنه إذ من المعلوم أنه لا يذكر فى هذا النظم وخصوصا فيما يتعلق بالشروط ونحوها إلا ما ثبتت به الرواية عنه رضى الله عنه وقد عرفت مما تقدم ما هو عليه الأمر عندنا فى هذه المقاصد وما أجاب به الشيخ رضى الله عنه

وذلك يلام صاحبه عند المحققين لأنه عامل على حظ نفسه ولم يقم بحق أوصاف مولاه ولا أوصاف نبيه من احسانه وعظيم قدره والحزب السيفي سيأتي بمشيئة الله في الأحزاب وقوله وتجنبوا المعاداة أي بترك ما يثيرها من مخالفة الناس

من سأله عن ذلك من قوله له قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم واشرع في وردك فالعمل عليه من الآداب الكماليات حسبما يقتضيه كلام الناظم أيضا حيث ساقه سياق الملحق بالشروط الكمالية ومن كان له مرشد من شيخ أو أخ من شيخه قد أسلم قياده اليه فهو يحكم ما يأمره به مرشدهم ودالهم على طريق الوصول الى حضرة معرفة الله تعالى وكيفية العمل على المقاصد في وردنا أن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يتلو قوله تعالى «وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم» وليستعمل حال قراءتها ما يقدر عليه من الحضور والتدبر ليستشعر قلبه عظمة المولى الآمر وحقارة العبد المأمور حيث تفضل سيده عليه فجعله محل لحظاته وأمره بما فيه طهارة قلبه من أدران مخالفته لسيده ومولاه ولا يخفى ما ينتجه هذا الاستشعار من الحياء من المولى الملك المقتدر الحليم الغفار * ثم بعد الفراغ من تلاوة الآية على ما يمكن من الصفة المذكورة يقول لبيك اللهم ربي وسعديك والخير كله في يديك وها أنا ذا عبدك الضعيف الذليل الحقير قائم لك بين يديك أقول مستعينا بحولك وقوتك امتثالا لأمرك وتعظيما وإجلالا لك استغفر الله الخ ثم بعد الختم للاستغفار على ما سنبينه قريبا يتعوذ كما مر ويتلو قوله تعالى «إن الله وملائكته - الآية» على نحو ما سبق ثم يقول لبيك اللهم ربي وسعديك الى قوله وها أنا ذا عبدك الضعيف الذليل الحقير قائم لك بين يديك أقول مستعينا بحولك وقوتك امتثالا لأمرك وتعظيما واجلالا لك ولرسولك صلى الله عليه وسلم اللهم صل على سيدنا محمد الخ وبعد الختم تتعوذ ثالث مرة وتتلو قوله تعالى «فاذكروني أذكركم - الآية» ثم يقول مثل ما سبق الى قوله وها أنا ذا عبدك الضعيف الذليل الحقير قائم لك بين يديك أقول مستعينا بحولك وقوتك مخلصا لك من قلبي بما الهمتني اليه بسابق فضلك ومنك ذاكرا لك امتثالا لأمرك تعظيما وإجلالا لك لا إله إلا الله الى أن يختم فهذه مقاصد الورد وربما وقع بين الأصحاب مخالفة وفي الآي المتلوة وبعض الالفاظ المقررة والكل صحيح والخطب فيه سهل والمدار على ما تقدم من استشعار الهيبة والحضور في الذكر والله الموفق ثم قال الناظم رحمه الله تعالى

﴿ أركانه ﴾

أي هذا مبحث بيان أركان هذ الورد الشريف والمراد بالأركان الاذكار التي قام منها وهي الاستغفار المزيل للادران والصلاة على سيد معد وعدنان والتوحيد والتهليل لمولانا العظيم الملك والسلطان قال رحمه الله تعالى

﴿ أركانه أستغفر الله مائه * وصل مثلها على خير الفئه ﴾
﴿ وكون ذي الصلاة بالفريدة * مفضل برتب عديدة ﴾
﴿ وغيرها يكفيهم والعجب * ممن رأى الفضل وعنه يرغب ﴾
﴿ وهللن مائة ولتختم * بنسبة الارسال للمعظم ﴾

الضمير في أركانه للورد اللازم لكل من دخل الطريقة بحيث لا يصح الدخول فيها ونسبته الى أهلها بدونه والفئة الجماعة وأراد به هنا جماعة الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين اذهم فئة وحزبهم صلى الله عليه وسلم والفريدة هي صلاة الفاتح لما أغلق سماها

وممارساتهم وكثرة المازحة فانها مما يورث الضغينة والحقد وفيه اشارة الى تقليل العداوة بغاية الجهد قال الشاعر

وليس كثيرا ألف خل وصاحب
وان عدوا واحدا لكثير

ويكفي المؤمن من الأعداء ما أمر الله باتخاذه عدوا من الشياطين والنفس قال تعالى والله أعلم باعدائكم وقوله وأكثروا العفو الخ ارشاد منه الى وصية الله لنبيه الجامعة لمكارم الأخلاق في قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عنها فقال لا أدري حتى أسأل العالم ثم رجع فقال يا محمد ان ربك يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك قال الثعالبي في جواهره قال الجمهور معنى خذ العفو اقبل من الناس في أخلاقهم وأقوالهم ومعاشرتهم ما أتى عفوا دون تكلف الى أن قال ففي الآية كل خلق حسن لأن في أخذ العفو صلة القاطعين والصفح عن الظالمين وإعطاء المانعين وفي الأمر بالمعروف تقوى الله وطاعته وصلة الرحم وصون الجوارح عن المحرمات وفي الأعراض الصبر والحلم وتنزيه النفس عن مخاطبة السفيه وغير ذلك من الأفعال المرضية انتهى وأرشد في الأمر بالمعروف الى العمل بما في الترمذي

عن أبي ثعلبة الخشني الذي ذكره وذلك لفساد الزمان وأهله وبهذا الحديث فسر قوله تعالى عليكم أنفسكم وفي جواهر الثعالبي هذا يعني ما في حديث أبي ثعلبة هو التأويل الذي لا نظر لأحد معه لأنه مستوف للصلاح صادر عن النبي صلى الله عليه وسلم وجملة ما عليه أهل العلم في

ذلك ان الأمر بالمعروف متعين متى رجى القبول أو رجى رد المظالم ولو بعنف مالم يخف الآمر ضرراً يلحقه فى خاصته أو فتنة يدخلها على المسلمين إما بشق عصا وإما بضرر يلحق طائفة من الناس فاذا خيف هذا فعليكم أنفسكم محكم واجب أن يوقف

عنده انتهى وأمره بالرفق واللين ارشاد الى الترغيب فيهما لأن الطباع ميالة الى العنف والحدة وان كان المحمود وسطا بين اللين والعنف كما فى سائر الأخلاق لكن الرفق يفيد فى أكثر الأحوال وأغلب الأمور والحاجة الى العنف قد تقع ولكن على الندور والرفق ثمرة لا يثمرها الاحسن الخلق وفى الحديث ان الله رفيق يحب الرفق ويعطى عليه مالا يعطى على العنف وقال بعضهم ما تكلم الناس بكلمة صعبة الا والى جنبها ألين منها تجزى مجزاها انظر الاحياء وقوله من غير ضغينة ولا حقد تأكيد للأمر بالرفق والملاطفة اذ عنهما ينشأ الحب وينشأ عن العنف البغضة والحقد ويحتمل أن يريد بذلك أن لا تكون السياسة مصحوبة بضغينة وحقد من المناصح لأن المؤمن ليس بحقود كما فى الحديث ومعنى الحقد كما فى الاحياء أن يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وأن يدوم ذلك ويبقى ويثمر الحسد والشماتة والهجران والاستصغار والوقوع فيما لا يحل من الكلام ومنع الحق وغير ذلك وكل ذلك حرام وأقل درجاته ان يحترز من هذا كله ولكن يستثقله بالباطن ولا ينتهى قلبه عن بغضه حتى يمتنع من البشاشة له والرفق العناية به والقيام بحاجاته ومجاراته او المعاونة على المنفعة له وبترك ولدعاء والثناء عليه وهذا كله

سيدنا رضى الله عنه الياقوتة الفريدة والضمير فى قوله وغيرها للفريدة أى وغيرها من صيغ الصلوات عليه صلى الله عليه وسلم ويرغب هنا من رغب عن الشىء بمعنى تركه وزهد فيه والتهليل قوله لا إله إلا الله والمعظم المراد به صلى الله عليه وسلم فالكلام على تقدير موصوف أى للرسول المعظم على سائر الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وعليهم أجمعين وأراد رحمه الله تعالى بما أشار اليه فى هذه الأبيات بيان حقيقة هذا الورد الشريف فبين رحمه الله تعالى أنه مبنى من ثلاثة أركان أولها الاستغفار مائة مرة وصيغته اللازمة فيه هى هذه أستغفر الله فقط ومعناه اقلنى يا الله اه قال الفضيل بن عياض عن نقل بعضهم والمراد طلب المغفرة من الله تعالى لما علم ومالم يعلم من الذنوب كبيرها وصغيرها جليها وخفيها ولا شك ان الاقتصار فى مثل هذا المقام على هذه الصيغة أنسب بحال العبد الفار من سوء كسبه ولوازم ذاته الترابية وصفاته البهيمية إلى الله تعالى متعلقا به جل وعلا فى الظاهر والباطن ومعولا عليه فى اقالة عثرته وغفران خطيئته دون غيره سبحانه أيا كان وذلك لاختصارها حتى لا يتشعب فكره من مدلولات ألفاظها فيشغله ذلك عن الاستغراق اللائق بحاله فيما ذكر من التعلق بالله تعالى ولاشتمالها على الاسم الله الذى هو جامع للذات والصفات والافعال فينمحى من قلبه باستغراقه فى تعلقه كل ماسوى الله تعالى من الذوات والصفات والأفعال وقد قدمنا أن حظ العبد من هذا الاسم الأعظم المتعلق به فى الظاهر والباطن والغنى به عن كل ماسواه فافهم من الاشارة مايغنيك عن تردد الفكر فيما انطوى تحت العبارة والله ولى التوفيق والتفهيم وهو سبحانه الفتاح العليم الثانى من الأركان التى ابتنى منها هذا الورد الشريف الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم مائة مرة أيضا بأى صيغة من صيغ الصلوات لكن كونها بالياقوتة الفريدة وهى صلاة الفاتح لما أغلق أفضل بما لا يكاد ينحصر من الرتب العديدة وسيأتى بيان مايشير الى بعض فضلها الباهر قريبا ان شاء الله تعالى ولهذا تعجب الناظم رحمه الله تعالى ممن يرغب عنها الى غيرها بعد علمه بذلك الفضل العظيم ولهذا أيضا صار المتأهلون لتلقين هذا الورد الشريف لا يعرجون على ذكر غيرها من الصلوات لمن لقنوه بل يلقنوه صلاة الفاتح فقط مقتصرين له عليها حتى ان كثيراً من الناس يعتقدون أن غيرها لا يجزىء عنها وليس ذلك مما يفعله من المقدمين افتياتا على الشيخ رضى الله عنه وانما هو من كمال الايمان والتصديق بفضلها العظيم الذى من أجله صار غيرها من حيز مالا يخطر ببالهم حال التلقين وان كان الأحسن تبيين الأمر على ماهو عليه على حسب مافى جواهر المعانى من الترتيب ومن بركات الشيخ رضى الله عنه الظاهرة وآثار أسرار همته الباهرة لا تجد أحداً من الآخذين للورد تسخو نفسه بأن يعوض عنه غيرها فى كل حال ولو فى حال المرض وتزاحم الاشغال وكثيراً ما نذكر لبعض المرضى والمسافرين مافى بعض الاجازات الموجودة بأيدينا الآن بخط الخليفة المعظم سيدى أبى الحسن على حرازم فلا يقنعه ذلك ونعلم من حاله أنه لا يتركها بحال وذلك لا محالة من سريان سر الاذن من الآذن للمأذون له وقد قدمنا عن بعض الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه كان يقول فيها هذه الصلاة فيها سر الطريق اه وبالتحقيق أنه لا يعدل عنها الى غيرها الا فى حق من لم يحفظها أو لعارض شغل ونحوه مما يلجىء الى التخفيف ونص مافى الاجازة السابق ذكرها وصلاة الفاتح لمن يحفظها

ينقص من درجات الدين وان كان لا يعرض للعقاب انتهى وحينئذ فهو أمر للناصح ومن بأن لا يعمل بمقتضى مايصدر له منهم من الاذاية بل يزيد فى الاحسان اليهم مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان وذلك مقام الصديقين وهو من

فضائل أعمال المقربين وسيأتى للشيخ فى الوصية السادسة طرف من هذا القبيل والله يجزيه أحسن الجزاء ثم أمر باتخاذ وقت لذكر الله تعالى كما فى حديث أبى ذر وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات وعد منها ساعة يناجى فيها ربه وقد قدمناه فى خاتمة الباب الخامس فلينظر منها أن الخلوة نفسها عبادة كما فى الحديث أنظر بهجة النفوس لابن أبى جمرة فان زيد عليها شىء من الطاعات كالذكر فنور على نور وهى أحد الأركان الأربعة التى هى أساس سلوك المريدين بل يلزم عنها الثلاثة الباقية الصمت إذ لا يتأتى من أكثر الناس إلا بالخلوة والركنان الباقيان الجوع والسهر قال سهل بن عبد الله اجتمع الخير كله فى هذه الأربع خصال وبها صارت الابدال أبدالا قال بعضهم

يامن يريد منازل الابدال
من غير قصد منه للاعمال
لا تطمعن فيها فاست من أهلها
ان لم تزاحمهم على الأحوال
بيت الولاية قسمت أركانه
ساداتنا فيه من الابدال
مابين صمت واعتزال دائم
والجوع والسهر النزيه العال

ثم أمر رضى الله عنه بطاعة المقدم وهى واجبة كما قدمناه فى مقدمة هذا الباب ثم أوصاه بالعفو الى آخره إرشاداً منه رضى الله عنه إلى قوله صلى الله عليه وسلم لينوا لمن تعلمون ولمن تعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم علمكم ولأن المقدم نائب الشيخ فعليه أن يسوسهم بما كان الشيخ يسوسهم به من الحياطة بغاية الجهد والتعفف عن أخذ أوساخهم كما قدمناه مستوفى فى الباب السادس ثم حض رضى الله عنه على ترك التعرض للرياسة وأسبابها لأن أمرها أخطر الأمور فقد قيل آخر مايخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة فعلى المريد المعتنى بنفسه أن يتهمها بها على الدوام وأن لا يحدثها بالخلو عن شىء منها حتى يلتحق

ومن لم يحفظ فليقل اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله ومن كان له شغل وأراد التخفيف فى الورد فليجعل مكان صلاة الفاتح لما أغلق اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وإلا فصلاة الفاتح لما أغلق لا معدل عنها اه بلفظه من خط السيد المذكور مباشرة وفى جواهر المعانى أن ذلك باجتهاد الملقن يعنى أنه يلقن كل واحد مايناسب استعداده من صيغ الصلوات فراجع لفظه فيه ومنه أخذ صاحب ميزاب الرحمة الربانية ما اعتمده فى ذلك فى كتابه المذكور شكر الله سعيه فى ذلك وجزاه خيراً على ماأفاده هنالك وان كان قد يقال ان صلاة الفاتح مناسبة لحال المريد فى سائر المقامات والمنازل وقد قدمنا الالمام بما يفيد ذلك وربما ألم به صاحب الميزاب نفسه وذلك فى الطريقة الثالثة والله أعلم وبالجملة فلا يعدل عن هذه الصلاة إلى غيرها من المنتسبين إلى طريقتنا هذه بعد العلم بما فيها إلا من كان ناقص العقل غير مكترث بالدين والفضل والله يلهمنا رشدنا جميعا بمنه وكرمه آمين الركن الثالث من هذه الأركان التى ابتنى عليها هذا الورد العظيم الشأن لا إله إلا الله مائة مرة يقول فى الموفية للمائة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وهو معنى قوله وليختم بنسبة الارسال للعظم صلى الله عليه وسلم ولا بد من الختم بهذا وان زاد « إن الله وملائكته يصلون على النبى — الآية » وختم بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فهو أحسن وأحسن وعليه عمل جل من نعرفه من الأصحاب وقد نص أهل التحقيق على أنه ينبغى للمؤمن فى كل ذكر من أذكار الله تعالى أن لا يغفل فيه عن ذكر النبى صلى الله عليه وسلم إما بأن يصلى عليه أثره أو يقر برسالته مع الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم أو يأتى بنحو ذلك مما يؤذن بتعظيمه والتمسك بأذياله إذ هو صلى الله عليه وسلم الباب الأعظم والدليل الأكرم فمن غفل عنه فقد أخطأ الطريق المستقيم والنهج الواضح القويم ولابد من التحفظ والتحرز عما يجرى على ألسنة العامة من اللحن فى هذه الكلمة المشرفة بغاية الجهد فيظهر مدلا بقدر مايتحقق فيها معنى النفى من غير أن يخرج فى ذلك عن القدر المضبوط فى ذلك عند المقرئين وكذلك يظهر أيضا همزة القطع من إله وكذلك أيضا همزة إلا وتشديد لام الألف منها وتفخيم اسم الجلالة الأعظم والله الموفق سبحانه ولما كانت هذه الأركان الثلاثة هى الورد الأصلى فى طريقنا بمعنى أنه الأصل فى الدخول فى الطريق فلا يمكن الدخول فيها بدونه وغيره من الاذكار اللازمة وغيرها تابعة له أتى الناظم بما يفيد ذلك فقال

﴿ فهذه الثلاثة الأركان * لا بد أن يقرأها الانسان ﴾

أفاد أن هذه الثلاثة الأركان لابد أن يلتزم قراءتها كل من تقيد بهذا العهد أيا كان فسواء فى ذلك الكبير والصغير والعالم والجاهل والذكر والأنثى والحر والعبد ولذلك عبر رحمه الله تعالى بالانسان فهذه الأركان الثلاثة هى المسماة بالورد عندنا فاذا أطلق لفظ الورد لا ينصرف إلا اليها وهى المؤقتة بالوقت الذى تقدم الكلام فى تقسيمه وضبطه قريبا وهى المشروط فيها ماتقدم من الشروط بل هى الموضوع فيها هذا النظم ولا بد فى قراءتها من ترتيبها على نحو ترتيب الناظم لسردها وكان من حقه رحمه الله تعالى أن لا يهمل ذكر مايفيد ذلك ولا يكتفى بالترتيب الذكرى فيقدم الاستغفار بالصيغة السابق بيانها ثم الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بصلاة الفاتح



من رؤس الصديقين حب الرياسة فعلى المريد المعتنى بنفسه أن يتهمها بها على الدوام وأن لا يحدثها بالخلو عن شىء منها حتى يلتحق

لمن حل بالشام من الأصحاب *

ووصية لمن وقف عليها من الأحباب

* ونصها بعد البسملة والثناء على الله تعالى والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وصية لجميع الاخوان من العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجانى الحسنى عامله الله وإياكم بفضله فى الدارين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فاعلموا رحمكم الله أن الناس ماخلقوا فى هذه الدنيا إلا لعبادة الله وتوفية أوامره واجتناب نواهيه وأن توفية أمر الله والقيام بحقوقه من آكد الواجبات وأعظم التوجيهات إلى الله تعالى قضى بذلك حكم المرتبة الالهية والشرائع النبوية قال تعالى « وماخلقت الجن الانس إلا ليعبدون ـ الآية » وقال سبحانه « ألم أعهد إليكم يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان ـ الآية » وقال سبحانه « وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدن » وقال سبحانه « وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون » وقال سبحانه فى حق رسوله « وان تطيعوه تهتدوا » وقال تعالى « تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله ـ الى آخر الآيتين » إلى غير ذلك من الآيات الواردة فى الحث على هذا المطلب ثم آكد ماتحافظ عليه من أمر الله الصلوات الخمس بجميع أحكامها ومقتضياتها ولوازمها وهى مضبوطة فى كتب العلماء فالواجب لها المحافظة على شروطها وهى معلومة واستكمال فرائضها وهى مشهورة وتثقيل هيئتها فى الركوع والسجود على الحد الذى ذكره

سبب

صلى الله عليه وسلم فى الخبر الصحيح بقوله ثم تركع حتى تطمئن راكعا ثم ترفع حتى تستوى قائماً ثم تسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ترفع

لما أغلق على ماهو الآكد والأفضل والأكمل إلا فى حق من لم يحفظ أو من كان له شغل وأراد التخفيف فى بعض الأحيان وإلا فلا معدل عنها حسبما تقدم التنصيص عليه فى لفظ الاجازة السابق ثم الكلمة المشرفة فان عكس فى الترتيب بأن نكس مثلا فسيذكر الناظم ماعليه فى ذلك بعد هذه الأبيات والوجه فى هذا الترتيب هو مناسبة حال السالك وذلك لأن تقديم الاستغفار تطهير الباطن من أدران المعاصى وسائر المخالفات ليتهيأ للتحلية بما ينتجه له غير الاستغفار وهو الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والهيللة الشريفة وفى تقديم الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم استنارة الباطن وكنس بقايا الادران ومحو ظلمها ليتهيأ لحمل مايرد عليه من أسرار الحقائق التوحيدية وأنوار المعارف المفاضة عليه من الحضرة الفردية الصمدية وبالجملة فتقديم الاستغفار ثم اردافه بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لأحكام غسل الباطن وتنويره ليتهيأ للتحلى بحلل الأنوار القدسية المفاضة عليه حال الذكر للكلمة المعظمة السنية هذا وقد عرفت مما تقدم فى الكلام على الشروط أن حصول النتيجة فى الاذكار بفهم معانيها منوط إلا فى حق من ليست له قدرة على إدراك المعنى فيكتفى بالانتصات لما يتلفظ به والاقتباس مما يلوح من نور المبنى فلينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله وقد تقدم ما يكفى فى معنى أستغفر الله أعنى الركن الأول من هذه الأركان الثلاثة وأما معنى صلاة الفاتح لما أغلق فيكفى مما ينبغى أن يستحضره الذاكر من معانيها أن اللهم بمعنى ياالله الذى له الأسماء الحسنى وذلك لما قيل ان أصل اللهم ياألله وأن الميم المفتوحة المشددة زيدت لتشعر بأن هذا الاسم الأعظم اجتمعت فيه أسماء الله كلها فالاسم الأعظم الله هو المستغرق لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى والميم مشعرة ومعينة على كمال استحضار ذلك الاستغراق لأنها هى المستغرقة لجميع الأسماء فافهم ومعنى الصلاة المطلوبة من الله تعالى زيادة تكرمة منه سبحانه وتعالى لحبيبه صلى الله عليه وسلم إذ أصل التكرمة حاصل بلاريب والمطلوب زيادة ذلك ويلاحظ الذاكر هنا عجزه الذاتى على أن يصلى عليه صلى الله عليه وسلم مع كونه فى غاية الشرف والرفعة التى لامطمع فيها لغيره من جميع المخلوقات والعبد العاجز فى غاية مايكون من الانحطاط والضعة والعيب والنقص وأنه من أجل ذلك أمر أولا بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ثم أمر ثانيا على وجه التعليم له كيفية ماأمر به أن يطلب من الله تعالى أن يتولى الصلاة بنفسه جل وعلا حتى تكون مناسبة لعظيم قدر حبيبه ومصطفاه من خلقه إذ لا يعلم قدره حقيقة غيره سبحانه وتعالى كما ورد عنه عليه الصلاة والسلام لا يعرفنى حقيقة غير ربى ويلاحظ عند تلفظه بالسيادة فى قوله على سيدنا أنه صلى الله عليه وسلم سيد المخلوقات كلها وجميع العوالم بأسرها حسبما حكى عليه الاجماع واستثنى من الخلاف فى التفضيل بين الملك والبشر فيدخل الذاكر فى قول سيدنا جميع المخلوقات من الأنبياء والرسل والملائكة ويلاحظ فى الاسم الشريف محمد صلى الله عليه وسلم حمد أهل السموات وأهل الارضين له حمداً كثيراً مضاعفا بتضعيف ماخصه به مولاه جل وعلا من المحامد الكثيرة ومعنى الفاتح لما أغلق أنه صلى الله عليه وسلم هو السبب فى وجود جميع الكائنات وابرازها من العدم إلى الوجود فهو الذى فتح به ماكان منغلقا من الوجود على كل موجود إذ لولاه صلى الله عليه وسلم ماوجد موجود ولا أخرج من بطون العدم إلى ظهور الوجود وكما أنه صلى الله عليه وسلم

سبب فى وجود الكائنات هو أيضاً سبب فى إفاضة الرحمة عليها فلولا وجوده صلى الله عليه وسلم مارحم موجود فهذا الذى فتح الاغلاق وجوده إيجاداً وإمداداً ومعنى الخاتم لما سبق أنه صلى الله عليه وسلم خاتم النبوة والرسالة فاليه انتهت كمالاتها وعليه اختتمت بلاشك ويكفى هذا القدر مما لاحظه الذاكر فى معنى الاسمين المحمدين الشريفين ولعلنا نتعرض للزيادة على هذا فى غير هذا إن شاء الله تعالى ومعنى ناصر الحق بالحق أنه صلى الله عليه وسلم هو القائم بنصر الله تعالى بالله غير مكترث بسواه وهو الناصر لدين الله تعالى الملك العدل بالحق والجد لا بالباطل والهزل ومعنى والهادى إلى صراطك المستقيم أنه صلى الله عليه وسلم الهادى إلى طريق الفلاح والمرشد إلى سبيل النجاح والآل فى مقام الدعاء جميع أمته لكن لابد من لحظ آله صلى الله عليه وسلم بمزيد تعظيم وتشريف وتكريم كما لايخفى على ذى العقل السليم إذ المقام مقام تعلق به صلى الله عليه وسلم وتشيث بأذياله فلابد فيه بعد التعميم بجميع أمته من التخصيص لآله رزقنا الله محبتهم وأعظم فى قلوبنا حرمتهم بمنه وكرمه آمين وقوله حق قدره ومقداره العظيم معناه أن المصلى طلب من الله تعالى أن يصلى على حبيبه الأعظم وصفيه الأكرم الصلاة التى يستحقها ما خصه به من عظم القدر والمقدار ولديه إذ لايعرف ذلك ولا يعلمه حقيقة أحد ممن توجه الأمر إليه بالصلاة والسلام عليه فهو كما فى بعض الروايات عدد كذا وكما فى قولنا سبحان الله ملء كذا وزنة كذا وقد علمت قول أهل التحقيق فى مثل ذلك أن اللائق بالفضل والكرم الذاتى هو أن يضاعف لذاكر تلك الأذكار الثواب على وفق ذلك وبه تعرف أن فضل هذه الصلاة لايتقدر بمقدار إذ لايحيط علما بقدر هذا النبى المصطفى المختار إلا المولى الكريم الذى يخلق ما يشاء ويختار فهى من الأذكار الجامعة بل من غررها اللامعة وقد قال ابن عطاء رضى الله عنه فى تاج العروس من قصر عمره فانه يذكر بالأذكار الجامعة مثل سبحان الله وبحمده عدد خلقه الخ ونحو ذلك إذ قد صح أن له أعظم من ثواب من أفرد وإن كان قد اختلف هل يكتب له الثواب المذكور وهو أولى بالكرم أو إنما يكتب له دون تضعيف وهو الأظهر فى الاعتبار ثم قال وقد يقال إن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص فالذى يمنعه العجز والضرر ليس كالذى يمنعه الشغل والعمل والذى يمنعه ذلك ليس كالمؤثر للراحة على نعت الغفلة المجردة اه وانظر قوله وهو أظهر فى الاعتبار مع ماقالوه فى حديث سبحان الله عدد خلقه من أنه لامحالة يدل على أن للتسبيح بهذا اللفظ مزية زائدة وإلا لم تكن له فائدة وقال بعضهم مؤيداً للقول الأول الذى قيل فيه إنه الأولى بالكرم مانصه ومما يشهد لاثباته بقدر ذلك العدد من طلق ثلاثا فانه تلزمه الاعداد الثلاث اه وعلى قوله وقد يقال إن ذلك يختلف باختلاف الأحوال الخ تقول الرجاء قوى أن نعامل نحن وجميع اخواننا بذلك من أجل قدوتنا وأستاذنا ثقة بما كان يقوله رضى الله عنه إذا بشر بشىء من الفضل وهذا لهم من أجلى اه وقد أسلفنا بيان الوجه فى مثله فراجعه إن شئت والله المستعان وإذا عرفت معنى حق قدره ومقداره العظيم عرفت ماقاله سيدنا رضى الله عنه فى الجواب عن قول من قال لماذا أخر هذا الفضل إلى آخر الازمان ولم يبين لاهل الصدر الاول مع كونهم أفضل وهو ان الله تعالى علم ضعف أهل هذا الزمان فتفضل عليهم بهذا الاجر الجزيل فى مقابلة هذا العمل القليل لا يسئل عما يفعل

وذلك مبطل لها بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم فى الخبر الصحيح للرجل الذى رآه يفعل ذلك ارجع فصل فانك لم تصل وهو يصلى كذلك ثلاث مرات على تلك الهيئة التى هى الاسراع فى الركوع والسجود ثم فى الرابعة علمه الكيفية السابقة وقد قال صلى الله عليه وسلم صلوا كما رأيتمونى أصلى فانه صلى الله عليه وسلم كان يتم الركوع والسجود بالطمأنية وحقيقة الطمأنينة فى الشرع عدم الاضطراب والسكون ومعناها أن الراكع والساجد إذا بلغ حد الركوع والسجود يتراخى فيهما قدر مايسبح الله ثلاث تسبيحات وهو راكع أو ساجد والمطلوب فى الشرع أن يأتى الانسان لصلاته مثل اتيانه لنومه إذا غلبه النوم فان آتى النوم لا يأتيه مستعجلا ولا متخففا بل يلقى عنه جميع الأشغال ثم ينام منحطا للنوم مطمئناً فكذلك حالة الصلاة يأتيها متشاغلا بها قد ألقى كليته إليها تاركا لما يشغله عنها ثم يفعلها بشروطها المذكورة وأما من صلاها مستعجلا لايطمئن فى حال ركوعه وسجوده على الحد الذى ذكرناه فانها غير مقبولة وهى التى ورد فى الخبر أنها تلف كما يلف الثوب الخلق ثم يضرب بها وجه صاحبها وإليها يشير قوله صلى الله عليه وسلم أول ما ينظر الله فيه من أعمال العبد الصلاة فان قبلت نظر فى سائر

عمله وإن لم تقبل لم ينظر الله فى شىء من عمله ثم الواجب لها تكميل الطهارة مع الحدث والخبث وليتعلم العبد كيفية الطهارة من الحدث بتكميل غسل أعضاء الوضوء والغسل فان أكثر العامة اليوم متلاعبون بغسل أعضاء الطهارة لايستمكنونها فصلاتهم باطلة يعرف

ذلك من باشرهم فى هيئة الوضوء فان من فسدت طهارته فسدت صلاته وأن من لم يستكمل الطمأنينة فى الركوع والسجود أو لم يستكمل استواء القيام بعد الركوع  أو لم يستكمل استواء الجلوس بين السجدتين بطلت صلاته

فالحذر الحذر من وقوع الخلل فى صحة الصلاة فان الصلاة فى الايمان بمنزلة الروح فى الجسد إذا وجدت الروح وجدت حياة الجسد وان فقدت الروح منه فقدت الحياة ثم بعد الصلاة المحافظة على صوم رمضان بتكميل شروط صيامه وكف النفس عن اقتحام المحرمات فى ليله ونهاره فان حرمته من الشرع لا يجهلها إلا جاهل وليكف عن الافطار بالأكل الحرام فيه فانه مضر بالدين وأوصيكم بالزكاة وحفظ نظامها وتكميل شروطها بتمامها على الحد المحدود لها فى كتب العلماء وأوصيكم بالمحافظة على الصلوات الخمس فى الجماعات إن كان الامام يستكمل ركوعها وسجودها كما سبق وإلا فلا تحل الصلاة خلفه وأوصيكم بالمحافظة على حفظ الفاتحة وتكميل تلاوتها فى الصلاة بالترتيل وأن تكون على الوجه الذى أنزلت به فان الفاتحة فى الصلاة فى الاعتبار بمنزلة الياقوت الغالى القيمة مع دراهم الفضة فان مائة صلاة مثلا من الفرائض بجميع ما تشتمل عليه إذا أديت على هيئتها ماعدا الفاتحة لا تعادل كلها فاتحة واحدة تقرأ فى فرض فحافظوا عليها وأوصيكم أن بحر الذنوب قد طما وعظمت أمواجه وتراكمت ظلماته حتى عجز الخلق عن الخروج عنه إلا صديق واصل أو من قارب مقامه ومن عدى هؤلاء فقد تمكن العجز فيهم عن الخروج عن الذنوب فحيث كان الأمر هكذا فلينشغل العاقل بعد تصحيح صلاة فرضه بمكفرات الذنوب وهى كثيرة فان من اشتغل بها مع كثرة ذنوبه خفت عنه مؤنة عنهم

سبحانه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم اه بمعناه ﴿تنبيه﴾ فى قوله حق قدره ومقداره العظيم اشعار بما تقدم أنه يلاحظ المصلى عليه صلى الله عليه وسلم من أنه إنما طلب الصلاة من الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم لعلمه بعجزه عن استيفاء ما يجب له صلى الله عليه وسلم فى ذلك إذ لا يعلمه حقيقة غير ربه جل وعلا حسبما يفيده تعليمه لنا صلى الله عليه وسلم كيف نصلى عليه وهذا أحد أوجه التربية المندرجة فى هذه الصلاة فهى لمن تأملها بعين بصيرة ذكر للرب الجليل الأكرم وصلاة على حبيبه الأعظم ومدح لجنابه الأعز الأفخم وتربية وارشاد للطريق الواضح الاقوم فقر عينا بما منحك فيها مولاك واسأله مع الانفاس واللحظات أن يتولى عنك بفضله وكرمه أداء الشكر على ما أولاك اللهم لك الحمد يا مولانا لا نحصى ثناء عليك ولا يوافى نعمك ويكافى مزيدك إلا ما كان منك إليك وأما معنى الركن الثالث وهى الكلمة المشرفة فلابد أن نختم بما تيسر من الكلام فيه القول فى معانى هذه الأركان رجاء أن يختم الله لنا بها ويبهج بأنوارها وجوهنا فى عرصات القيامة وحظائر الجنان مع جميع الأحباب والعشائر والاخوان انه المتفضل المنان الواسع الجود والاحسان فنقول وعلى الله قصد السبيل وهو المستعان قد علمت مما تقدم أن من شروط الكمالية الغوالى التى تتعلق بها أهل الهمم العوالى التدبير لمعنى الذكر بقدر الامكان إذ بذلك تجتنى الثمرة المقصودة فى هذا الميدان ويتأكد الأمر فى هذه الكلمة الشريفة بخصوصها أكثر أما فى حق الخاصة وهم السالكون الصادقون المصدقون فلان ثمرتها المقصودة منها فى هذا البساط هو التحلى والتخلى وأما فى حق العامة فلما نص عليه العلماء من أن من لم يفهم معناها لا ينتفع بها فى الانقاذ من الخلود فى النار اه وذلك أعنى فهم معناها متوقف على فهم معنى ألفاظ الذكر ورسوخه فى الذهن وجعله نصب عين الفكر ولابد فى ذلك من التعليم وأخذه عن أهليه من طريق المذاكرة والتفهيم والاستعانة فى ذلك بهمة الشيخ الملقى إليه قياد التسليم مع اللجا فى ذلك والاضطرار فيه إلى فضل المولى الكريم البر الرؤف الرحيم فأما تفسير معنى هذه الكلمة فلنا فيه مسلكان ( المسلك الأول ) هو الذى عليه أهل السنة من محققى المتكلمين رضى الله عنهم وحاصل معناها عندنا على هذا المسلك هو إثبات الألوهية واستحقاق العبودية لمولانا عز وجل ونفى ذلك عمن سواه تبارك وتعالى فاذا قال العبد لا إله إلا الله فقد نفى الألوهية واستحقاق العبودية عن غير الله تعالى وأثبتها له وحده جل وعلا فكأنه قال لا مستحق للعبودية له موجوداً وفى الوجود إلا الله الفرد الذى هو خالق العالم تبارك وتعالى ويلاحظ الذاكر بعد رسوخ هذا المعنى فى ذهنه أن الاله الحق المستحق لأن يعبد دون غيره لا يكون إلا مستغنيا عن كل ما سواه مفتقراً إليه كل ما عداه ومن كان كذلك لا يكون إلا متصفا بالكمال متنزها عن النقص والاشكال حسبما يعطيه النظر الصحيح ومن هنا تندرج جميع العقائد السنية فى الكلمة المشرفة على ما هو مبسوط فى محله من كتب أصول الدين فالمراد من هذا التفسير ابطال الشرك الجلى لا غير ويتمكن الذاكر من ملاحظة ذلك التفسير الأول الذى هو نفى الألوهية واستحقاق العبودية عن غير الله تعالى وإثبات ذلك له وحده جل وعلا وان قدر مع ذلك على ملاحظة الكمالات المفصلة المندرجة فى الكلمة المشرفة فهو الكمال ( المسلك الثانى ) مسلك العارفين رضى الله

الذنوب وهو خير من الذى يقتحم الذنوب ولا يأتى بمكفراتها قال تعالى «إن الحسنات يذهبن السيئات» وقال صلى الله عليه وسلم إذا أتيت سيئة فاتبعها بالحسنة تمحها أو كما قال صلى الله عليه وسلم ما معناه هذا بمنزلة من يسرع له بجديد الجراح فى جسده فيسرع لها فى الدواء فكلما وقع عليه جراح أسرع بدوائه وهو خير من الذى تنصب عليه الجراح فلا يتداوى وكل معصية لا بد لها من عقوبتين عقوبة دنيوية وأخرى أخروية أما العقوبة الدنيوية فلا ترفع عنه إلا بأحد أمرين الأول إخراج صدقة لله تعالى يعدها من مال حلال أو كالحلال شرعا فيها يرتفع عنه بلاء المعصية والثانى من الأمرين الرجوع الى باب الله تعالى بالضراعة والابتهال والذل والانكسار والتصريح فى الدعاء بطلب العفو منه تعالى برفع مصيبة ذلك الذنب عنه فانه بسبب ذلك إذا أحسنه يرتفع عنه وأما عقوبة الآخرة فلا ترتفع عنه ولا بد له منها إلا أن يعفو عنه سبحانه إما بسبب أو بلا سبب وأسباب العفو كثيرة ومن أرادها فليطالعها فى كتب الحديث وأما مكفرات الذنوب فأعظمها وأكبرها خطراً وأبلغها وطراً فى محو الذنوب والسيئات الصلاة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا وسيلة ولا قربة فى محو الذنوب أعظم منها إلا المحبة الحالية فان صاحبها لا يكتب عليه ذنب والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب الاستطاعة فانها الذخيرة العظمى والحصن المانع الأحمى من ثابر عليها بقدر الاستطاعة فانها كفيلة بمحو الذنوب والآثام مقبولة الشفاعة لصاحبها بين يدى خالق الأنام واستعمالها له شروط منها الطهارة الكاملة كالصلاة وإلا فالطهارة من الحدث دون الحدث والطهارة البدنية والمكانية والثوبية وأن يقصد بها صاحبها وجه الله تعالى والتعظيم والاجلال لله ورسوله

---

الله عنهم ومما ذكروه رضى الله عنهم فى تفسير هذه الكلمة ما ذكره فى منهاج الخلاص ونصه قال فى مفتاح الفلاح ذكر العارفون فى تفسير لا إله إلا الله وجوهاً أحدها قال ابن عباس رضى الله عنهما لا إله إلا الله معناها لا نافع ولا ضار ولا معز ولا مذل ولا معطى ولا مانع إلا الله ثانيها لا إله يرجى ثوابه ويخاف عقابه ويؤمن جوره ويؤكل رزقه وينزل أمره ويسئل عفوه ولا يحرم فضله إلا الله قال وأيضاً لا إله إلا الله إشارة الى المعرفة والتوحيد بلسان الحمد والتحميد للملك الحميد إذا قال العبد لا إله إلا الله فمعناه الآلاء والنعماء والتعالى والبقاء والعظمة والسناء والعز والثناء والسخط والرضاء إلا الله الذى هو رب العالمين وخالق الأولين والآخرين وديان يوم الدين اه والحاصل أن المتكلم يعتقد فى الكلمة الطيبة أنها سيقت لاثبات الألوهية واستحقاق العبودية لله تعالى ولنفى ذلك عن كل ما سواه سبحانه ويعتقد الكمالات المفصلة المندرجة فيها بحسب ما أداه اليه النظر والاستدلال وأما العارف فهو مع اعتقاده ما مر فيها ومع اعتقاده تلك الكمالات المفصلة أيضا يزيد على ذلك بأن يستنشق ذلك فى الكلمة الطيبة عند ما يذكرها ويجعل ذلك معناها الأصلى لا أنه يعتقده من خارج بما يؤدى اليه الاستدلال كالمتكلم ثم يوسع الدائرة أعنى العارف لما خص به من سعة النظر وانشراح الصدر ومزيد الحضور واليقظة فاذا قال لا إله إلا الله فهو يقول لا مستحق للعبادة ولا خالق ولا رازق ولا نافع ولا ضار ولا مثبت ولا معاقب ولا معين ولا هادى إلا الله تعالى وبذلك يحصل له التوحيد المطلق ويذهب عنه الشرك الخفى والجلى لأنه يثبت بها أن المستحق للعبادة هو الله تعالى لا غير وأنه لا نافع ولا ضار ولا رازق ولا معين ولا ناصر غير الله تعالى لأنه يتحقق أن ما يبرز من نفع أو ضر فى الأكوان كالعطاء والنصرة والاعانة من الناس والرى من الماء والشبع من الطعام والتوقى باللباس وسائر أنواع المنافع الموجودة فى الظاهر من الأكوان وكل ما يقابل ذلك من المضار والآلام جميع ذلك من الله تعالى وإنما تلك الأشياء الموجود منها ذلك ظروف وأسباب عادية يبرز الله تعالى ما شاء من ذلك عندها لا بها الى آخر ما قرروه فى هذا البساط وحرروه فى هذا المناط إذ قد لاح لك مما أومأنا اليه فى المسلكين من تفسير الكلمة الطيبة عند أهل الحق من علماء السنة والعارفين ما يشير إلى معناها فلا يصعب عليك ملاحظته حال الذكر بحول الله تعالى ثم إن عسر عليك الجمع بين ملاحظة معنى المسلكين معا فاقتصر على أيهما رسخ فى ذهنك إذ كل منهما بالمداومة على العمل عليه يوصل الى الآخر بلا شك وإنما أومأت لك فى المسلكين الى طريق كل من الفريقين لتحرص بعد العلم بأن الجميع على هدى من ربهم على أن تحصل الكمالات التوحيدية عندك حصول تصديق وعلم وفق ما هو حال المتكلمين ثم تحصل عندك حصول ذوق وحال كما هو حال العارفين وهذا الثانى ثمرة الأول لقول أهل الطريق العلم مقدمة نتيجتها الحال والحال مقدمة نتيجتها العمل والكلام فى هذا المقام واسع الذيل وغرضنا الايماء الى معنى هذه الكلمة الطيبة ويكفى المريد أن يتعلق من ذلك بهذا القدر ليستحضر منه ما قدر عليه حال الذكر ومن كان ذا ملكة وقابلية فقد فتحنا له الباب وهو بملكته إن وفقه الله تعالى يرفع عن وجوه مخبآته الجلباب ويصل أسانيد الأخبار ولا يكون له مع غير الغاية قرار والله يسلك بنا مسالك من سبقت له من ربه الغاية ويعرف الحق حق صراحة لا كناية ويأخذ

دون غيرها من سائر النيات فان لها أحوالا فى النيات واخلاص العمل فيها من شوائب الرياء والسمعة فانها إذا صحت على منهجها كانت فائدتها فى التعظيم أكثر من جميع وجوه البر إلا النزر القليل منها فانه ثبت الخبر فيها أن المرة الواحدة منها تعدل أربعمائة غزوة فى سبيل الله كل غزوة تعدل أربعمائة حجة مقبولة وكذا الطائر الذى فى الصلاة الواحدة منها يخلقه الله تعالى يسبح الله بجميع ألسنته وثوابه للمصلى وكذا فى الحديث ان الله يخلق من الصلاة الواحدة ملكا يستغفر الله للمصلى الى يوم القيامة وفيها أيضا عشر حسنات ومغفرة عشر سيئات ورفع عشر درجات وصلى عليه ربه تعالى عشر صلوات وصلت عليه ملائكة سبع سموات كل واحد عشر صلوات وهذا أمر لا يقدر قدره بكل صلاة حوراء وقصر فى الجنة من صلاة العبد ويكفى هذا فيها ومن مكفرات الذنوب صلاة التسبيح وهى مشهورة فى كتب الحديث فلا نطيل بذكرها فانها كفيلة بتكفير جميع الذنوب من بداية تكليف العبد الى مماته ومن مكفرات الذنوب الدوام على قراءة آخر سورة الحشر فان صاحبها يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن مكفرات الذنوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ثمانين مرة ليلة الجمعة ويومها بعد العصر فان الثمانين التى فى الليل تكفر ذنوب أربعمائة سنة والتى فى النهار بعد العصر تكفر ذنوب ثمانين سنة ومن مكفرات الذنوب سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ملء ما علم وعدد ما علم وزنة ما علم فان المرة الواحدة منهما تكفر جميع الذنوب وتؤمن العبد من عذاب الله ومن مكفرات الذنوب الجبر المثابرة على المسبعات العشر بكرة وعشيا فان من قرأها دائما لم يكتب عليه ذنب ومن مكفرات الذنوب مداومة الحزب السيفى مرة فى

---

بأيدينا جميعا أخذ الحنان والعطف ويلحقنا فى الأحوال كلها أردية الستر والعفو واللطف بمنه وكرمه آمين ثم قال الناظم رحمه الله تعالى

﴿ ولتقرأن آخر اليقطين * من بعد كل مائة فى الحين ﴾

آخر سورة اليقطين هو قوله سبحانه وتعالى « سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » وأشار بهذا الى ما عليه عمل بعض الأصحاب وهو ختم كل مائة من المئين الثلاثة بالآية الكريمة وهذا على طريق الندب والكمال وليس بلازم وان كان عليه أهل الصحراء الشرقية فليس عليه فاس وما والاها وغاية الأمر فيه انه عندنا بمنزلة المقاصد فكما ان المقاصد فيها ما تقدم من الاستشعار فكذلك هذا فيه استشعار إقرار بفضل الله تعالى وانعامه عليه حيث ارتضاه لهذا العمل ووفقه اليه وأعانه على الاتيان به ولا يخفى ما فيه وخصوصا فى هذه الطريق التى هى طريق شكر كما علم ذلك ثم قال رحمه الله

﴿ وابن على اليقين ان شككت * واستغفرن مائة ان كملت ﴾
﴿ بنية الجبر لذلك الخلل * وبجبر الحضور من كل عمل ﴾
﴿ فى الكون من جوهرة الكمال * ثلاث مرات لكل تال ﴾
﴿ ومن ينكس فيه سهوا جبرا * كمن يزد سهوا والا خسرا ﴾

المراد بالشك هنا الشك الحاصل فى بعض الأعداد كان يشك فى عدد استغفار مثلا هل كمل المائة أو بقى له واحدة أو اثنتان أو نحو ذلك وقوله (ان كملت) أى فرغت من ذكر الأركان الثلاثة وقوله ( بنية الجبر ) يتعلق باستغفرن والمراد بالخلل الشك المذكور والحضور معروف والمراد ما يجبره ان أخل به وقوله ( من كل عمل ) العمل هنا يشبه الذكر وغيره كالصلاة فريضة أو نافلة وقوله ( فى الكون ) نعت لعمل أى من كل عمل واقع فى الكون والكون الوجود وثلاث مرات هو فاعل يجبر ومفعوله الحضور والمراد بالتالى التابع والمراد لكل تابع لطريق الشيخ رضي الله عنه فلا يدخل هنا غيره لأن البساط بساط اختصاص وهو مختص بالخواص فافهم وأشار فى هذه الأبيات الى أربع مسائل ( الأولى ) مسألة من شك فى بعض الأعداد هل استوفاه أم لا فاخبر رحمه الله تعالى ان عليه أن يبنى على اليقين ثم يستغفر الله تعالى يعنى بصيغة الورد مائة مرة بنية الجبر لذلك وذلك بعد أن يكمل الورد يعنى المئين الثلاث برمتها ( المسئلة الثانية ) مسئلة من ترك الحضور فى الورد أو غيره من أعمال الطاعات فرضا كانت أو نفلا فأخبر رحمه الله تعالى ان عليه أن يذكر بعده أى بأثره جوهرة الكمال ثلاث مرات بنية الجبر لما أدخل به من استعمال الحضور الذى هو روح الاعمال كلها يعنى ويكون ذكر الجوهرة بالحضور أى يستعمل فيه ما يقدر عليه من الحضور هكذا بلغنا عن الشيخ رضى الله عنه وهذا الأمر الذى هو جبر الحضور بالجوهرة خاص بأهل هذه الطريق اذ لا يوجد الاذن فى الجوهرة من غير أهلها وهو معنى قوله لكل تال حسبما سبق (المسئلة الثانية) من ينكس فى الأركان سهوا بأن يقدم الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم مثلا فأخبر انه يجبر ذلك يعنى بأن يلغى ما أتى به من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم مثلا ثم يأتى بالاستغفار ثم بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ثم يكمل ويستغفر الله مائة مرة بعد أن يكمل بصيغة الورد بقية

الصباح ومرة فى المساء فان من داومه لم يكتب عليه ذنب ومن مكفرات الذنوب دعاء يأمن أظهر الجميل وستر القبيح الخ فان الخبر ثبت به أنه يمحو جميع الذنوب ويعطى صاحبه جميع ثواب الخلائق فى كل مرة منه  ويكفى هذا وأوصيكم بالمحافظة ثم المحافظة

الجبر لذلك كما مر فى المسئلة الأولى فان كان نكس عمداً لا سهوا فقد أبطل عليه الورد (المسئلة الرابعة) مسئلة من يزيد فى الورد شيئا بأن يزيد فى بعض الأركان أو كلها على المائة فاخبر أن عليه أن يجبر الخلل الواقع بالزيادة ان كانت سهواً بأن يأتى بمائة من الاستغفار كما تقدم بنية الجبر لذلك فان كانت الزيادة عمدا فقد بطل عليه الورد فقوله كمن يزد سهواً مشبه فى الحكم بمن ينكس سهواً يعنى فان كل واحد منهما يجبر خلله بما ذكر وقوله والا خسرا راجع اليهما معافألف خسرا ألف تثنية لأنها لاطلاق القافية فافهم ولعدم فهم بعض النساخ المسائل المشار اليها فى هذه الأبيات تصرف فيها فحرفها عن قصد الناظم والله أعلم ثم لما أكمل الكلام فيما قصده مما يتعلق بالورد وكانت الوظيفة من لوازم الورد اتبع ذلك بالكلام فيما يتعلق بها فقال

﴿ وقت الوظيفة ﴾

أى هذا مبحث وقت الوظيفة وتقدم معنى الوظيفة وسيأتى قريبا بيان حقيقتها عندنا قال رحمه الله تعالى

﴿ ومرة يلزم فعلها المريد * من بين ليل ونهار لامزيد ﴾
﴿ ومن يخص ليله بغيرما * ليومه فذاك الحسن انتمى ﴾

ألفاظ البيتين واضحة وقوله (ومن يخص ليله بغيرما * ليومه) الخ أرادومن يخص قراءتها بالليل دون النهار فهو حسن ولا تخلو عبارته فى هذا البيت عن قلق كما ترى وأشار بهذا الى أن الوظيفة المعلومة مؤقتة أيضا كالورد ووقتها أن تذكر مرتين مرة فى النهار ومرة فى الليل فان خص بها أحد الوقتين أجزأه ذلك عن الاتيان بها فى الوقتين معا ثم إن خص الليل بقراءتها حيث اقتصر على مرة واحدة فهو حسن لاستمرار عمل الشيخ رضى الله عنه عليه آخر عمره ولازال العمل على ذلك بفاس وما بازائها الى الآن ثم قال رحمه الله تعالى

﴿ ولازم قضاؤها مثل الذى * سبق فى الورد وغير ذا انبذى ﴾

أشار بهذا الى أن الوظيفة لازم قضاؤها على من فاتته ولو مرة من الدهر أبداً مثل الذى سبق فى الورد وأن مايوجد فى بعض نسخ الجواهر و بعض الأجازات من عدم لزوم قضائها ينبذ و يطرح لعدم استقرار عمل الشيخ رضى الله عنه وعمل أصحابه عليه هذا معنى كلامه ولاشك أن أمر الوظيفة كان فى أول الأمر خفيفا ثم أكد على عهد الشيخ رضى الله عنه فمن أجل ذلك أصلح مؤلف جواهر المعانى هذا المحل من النسخة التى كانت لازالت بيده وزاد فيها ما هو صريح فى لزوم القضاء فى الوظيفة كالورد وهذا الذى اعتمده الناظم رحمه الله تعالى ومع هذا لم يزل بعض من أدركناه من خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه يصرح بأن أمرها أخف من الورد وأن التأكيد لأمرها إنما هو للترغيب فى تحصيل فضلها العظيم الذى لا يكاد يحصر والله أعلم ثم قال

﴿ وما تقدم لنا فى الجبر * فى ذى الوظيفة كذاك يجرى ﴾

أشار بهذا الى ان الخلل فى هذه الوظيفة ينجبر بما ينجبر به الخلل فى الورد وهذا إنما يظهر فى المنفرد وأما من ذكر مع الجماعة فان إمامه يحمل عنه كما فى الصلاة والله أعلم ثم قال رحمه الله

على البعد عن أمور كل من وقع فى واحدة منها أماته الله كافرا من غير شك الأولى كثرة اذاية المسلمين والثانية الكثرة من الزنا من غير توبة والثالثة ادعاء الولاية بالكذب والرابعة الانتصاب للمشيخة من غير اذن والخامسة تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكاية قوله والسادسة الانهماك فى الغيبة والنميمة بلا توبة فهذه الأمور مقطوع لصاحبها أنه يموت كافرا ولو عمل ماعمل ان لم يتب و بقى مصرا على ذلك حتى مات العياذ بالله وأوصيكم بطهارة القلب من الغل والحقد على المسلمين فان من تخلق به لا يفلح وأوصيكم بالبعد عن سوء الظن بالله و بعباد الله فقد قال صلى الله عليه وسلم خصلتان ليس فوقهما شىء من الخير حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شىء من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله وأوصيكم بالبعد عن أكل الطعام أو المال حراما شرعا فان المداوم على ذلك يحبط الله عمله لا محالة فقد قال صلى الله وسلم ليجيئن أقوام يوم القيامة معهم من الحسنات أمثال جبال تهامة حتى إذا جىء بها صارت هباء منثوراً قالوا يارسول الله صف لنا هؤلاء فوالله إنا لنخشى أن نكون منهم قال أما إنهم كانوا يصومون و يصلون و يأخذون وهنا من الليل ولكن إذا لاح لهم لائح من الحرام وثبوا عليه فأدحض الله أعمالهم وقذفهم فى النار الحديث ثم إن الحرام و إن عم الأرض كلها فله أحوال فى التحليل على حسب الضرورة والأعذار وسيذكر فى آخر هذه الوصية إن شاء الله توجيه مايتناول فى ذلك وأوصيكم بالبعد عما درج عليه الناس وأكبوا عليه

وعم جميع آفاق البلاد إلا النادر القليل من الخلق وهو المعاملة بالغش فى جميع أحوال البياعات والمعاملات ومن الانهماك فى تناول المعاملة الفاسدة فى البيع والشراء مما حرمه الشرع صريحا أو ضمنا وهى مفسرة فى كتب الفقه فلا نطيل بذكرها وأوصيكم بالمحافظة على أوقات تتوجهون فيها الى الله تعالى بالتوجه الصحيح إما بذكر أو تلاوة قرآن فى الصلاة أو خارجها وإما بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فمن استكمل عشرة آلاف موزعة على الاوقات المذكورة كان من الفائزين برضاء الله فى الآخرة وأعظم من ذلك فى النفع من زاد على العشرة الآلاف فما دونها الى ألف فان عجز فخمسمائة فى كل وقت وان عجز فخمسمائة فى الصباح وخمسمائة فى العشى وان عجز فلا أقل من ثلاثمائة صباحا ومثلها مساء فمن داوم على الاوقات كما ذكرنا فاز برضاء الله فى الدار الآخرة وفى الدنيا تسهل عليه مطالب دينه ودنياه وتتيسر عليه طيب أمور معاشه ويجد بركة بسببها فى رفع البلايا عنه والعصمة من شر الأعداء والحساد الحاصل يجد لها بركة فى جميع المطالب الدينية والدنيوية والأخروية وبالدوام عليها تغشاه بركة فى نفسه وولده وولد أولاده ومتى وقع منه ما يوجب هدم الدين أو محقاً لحسناته أو طرداً له عن باب ربه أو ما يوجب له الوقوع فى المهالك الشديدة صارت هى شافعة له بين يدى الله تعالى وخرج له من غناية الله تعالى بسببها ما يمنع من جميع ذلك ويغفر له فانها أعظم الوسائل الى الله تعالى وأعظم المعارج الى مرتقى درجات رضا الله فى الدار الآخرة لان الله تعالى لشدة عنايته بحبيبه صلى الله عليه وسلم تكفل لتاليها أن يصلى عليه بكل واحدة عشراً ومن صلى عليه ربه فى أوقاته تباعدت عنه النقم والبلايا فى الدنيا والآخرة فانها للعامة المنهمكين فى شهواتهم أولى من تلاوة القرآن العظيم فان القرآن درجته عالية فاحكم

﴿ ومن يفته بعضها ويأتى * يفعل كما يفعل فى الصلاة ﴾

أراد بهذا أن المسبوق يذكر الوظيفة بحسب أعداد الذكر من حيث أدرك فاذا كمل الجماعة قضى ما عليه أى ما سبق به من الاعداد حتى ينتهى الى حيث ابتدأ معهم أى حيث أدركهم ففعل المسبوق هنا كله قضاء لا بناء فيه لأنها أقوال كلها وهذا معنى قوله يفعل كما يفعل فى الصلاة ورأينا بعض الاخوان اذا سبقوا يفتتحون الوظيفة من أولها ثم يستمرون على ذكر ما فاتهم مسرعين فيه الى أن يلحقوا بمن سبقهم ولم ندر من أين لهم ذلك وعلى فرض وجود المستند فيه فلا يخفى ما فيه من التشويش والشغل المتكلف المنافى للحضور والله المستعان ثم قال رحمه الله تعالى

﴿ بقية شروطها الزائدة على ما تقدم ﴾

أى هذا مبحث ذكر شروط الوظيفة الزائدة على ما اشتركت فيه مع الورد فقال رحمه الله

﴿ من ذلك الجلوس والجمع لمن * كان له أخ صحيح فى الوطن ﴾
﴿ وشرطه التحليق والجهر كذا * عدم تخليط فراع المأخذا ﴾

أشار بهذا إلى أن من شروط الوظيفة الجلوس إلا لعذر كالمسافر الجاد فى السير راجلا أو راكبا الا أنه يترجل عند ذكر جوهرة الكمال كما سيأتى قريبا ومن شروطها أيضا الجمع لقراءتها مع الاخوان إن كان ثم اخوان ليس لهم عذر يمنعهم من الاجتماع من مرض ونحوه ثم ان هذا الجمع للوظيفة له شروط التحليق وليس المراد عقد دائرة كالحلقة بل المراد التراص وسد الفرج سواء كان جلوسهم على هيئة الدائرة أو على أن يقابل كل صف الصف الذى قبالته من الجهات الأربع كما عليه عمل فاس وغيرها من الحواضر ومن آداب المريد فى هذا التحقيق أن لا يقصد بجلوسه أعلى المجلس ولا أسفله لما فى ذلك من رؤية النفس حسبما هو ظاهر فى قصد الأعلى ولا إشكال وأما قصد الأسفل فقد يكون من دسائس النفس حيث تظهر أنها اختارت الأدنى وهو أعلى فى الحقيقة من حيثية أخرى كما لا يخفى لأنها تثبت بلسان حالها لنفسها مزية بقصدها الأسفل وبالجملة فحب العلو ظاهر فى القصدين معا الا أنه فى الأول جلى وفى الثانى خفى ولهذا تلا سيدنا رضى الله عنه بعد نهيه عن القصدين معا قوله تعالى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا ـ الآية » فقيل له رضى الله عنه أهذا علو قال رضى الله عنه وأى علو وقد تقدم لنا مزيد بسط فى هذا الأدب فى المقدمة فليراجعه هنا لك من أراده ومن شروط الجمع للوظيفة أيضا الجهر فلا معنى للاجتماع وذكر كل واحد على حدته سراً مثلا وفائدة ذلك وجدواه شهيرة عند أهل الطريق حتى كادت أن تكون من الأمر الضرورى عندهم وهذا فى حق الرجال فقط وأما النساء فلا يجهرون بالذكر فى وظيفة ولا فى غيرها فقد ذكر العلماء فى الجهر المطلوب فى حق المرأة أن تسمع نفسها خاصة وكذلك الحكم فى تلبيتها فى الحج ووجهوه بأن صوتها عورة وربما كان فتنة ولذلك لا تؤذن اتفاقا حكاه فى شرح الحصن وقال بعده ما نصه وعلى هذا فلا يكون ذكرها الاسرا فى الأحزاب المرتبة والوظائف وغير ذلك اه راجع شرح الحصن ومن شروط ذلك أيضا عدم التخليط فى الذكر لما فى ذلك من سوء الأدب المنافى لما هو المطلوب فى المقام والكلام فى هذه الشروط مبسوط فى كتب الطريق وقوله فراع المأخذا أراد به

فأحكم هذه الشروط مراعيا فى أحكامك لها ما آخذها وهى الأحاديث الواردة بالترغيب فى الجهر بالذكر جماعة فانك بمراعاتها تعرف أنه لابد من جميع الشروط المذكورة وذلك لأن أحاديث الترغيب فى الجمع للذكر يؤخذ منها أنه لابد من الجهر وإلا فلافائدة فى الجمع ويؤخذ من الجمع والذكر جهراً أنه لابد من ذكرهم بلسان واحد وصيغة واحدة وإلا بأن كانوا يجتمعون ويجهرون بالذكر والفرض ان كل واحد يذكر وحده فذلك يؤدى إلى التخليط القادح وتشويش البعض على البعض وذلك مناف لنعت العبادة وأعمال الطاعات فافهم ﴿ تنبيه ﴾ اعلم أنى كثيراً ما كنت أرى الناظم رحمه الله تعالى يعيب على من يكمل البيت من النظم بلفظ أو لفظين لافائدة تحتهما إلا التوصل إلى القافية و بعد ذلك فهاهة فلذلك تجدنى أتتبع شرح مثل ذلك من كلامه نحو قوله هنا فراع المأخذا فانه قصد به الاشارة إلى ماشرحناه به لا أنه كمل به البيت فقط فتأمل ذلك ثم قال رحمه الله تعالى

﴿ وتركه لغير عذر شرعى * أو كل الأوقات له ذو منع ﴾

أراد بهذا أن ترك الجمع للوظيفة لغير عذر شرعى يعرض فى الوقت وكذلك تركها كل الأوقات للعذر الشرعى ممنوع عندنا فى الطريق بمعنى أن فاعل ذلك ترك ماهو لازم له لزوما مؤكداً فى الطريق فيعد متهاونا بها ولايخفى وخامة مرتع التهاون والعياذ بالله تعالى ثم ان قوله ( أو كل الأوقات له ) أى للعذر الشرعى فيه وقفة لأنه كما يعذر بحصول العذر الشرعى فى بعض الأوقات يعذر فى كلها إذا استمر عارض العذر الشرعى لايستطاع معه الفعل ووجه المخرج من هذه الوقفة هو أن الناظم رحمه الله تعالى عقد فى هذا البيت نص جواهر المعانى وما فى الجواهر خرج مخرج الترغيب وتأكيده فى الخير فبنى الكلام فيه على الغالب مع قطع النظر عن النادر حتى كأنه لاوجود له كما هو الشأن فى مثل ذلك وبيانه أنه قلما يكون عذر يعرض سائر الأوقات إذ الغالب أن الأعذار لاتعم الأوقات كلها فان وجد فهو نادر والنادر لايعتبر فى مثل هذا المقام والله أعلم وأحكم ثم قال رحمه الله تعالى

﴿ ونشرنا للثوب ليس يجب * على الذى يذكرها بل يندب ﴾
﴿ وشيخنا فعل ذا بمحضره * فدع مقالة جهول منكره ﴾

قوله ( للثوب ) أى للفراش المحقق الطهارة وإن كانت البقعة طاهرة حكما وقوله ( ليس يجب ) أى ليس يلزم عندنا بحيث لايسوغ لنا أن نقرأ جوهرة الكمال إلا إذا نشرناه وإن كان المحل طاهراً حكما بل الحكم فيه الاستحباب كما صرح والضمير فى يذكرها للوظيفة ويريد عند قراءة جوهرة الكمال لا كل الوظيفة وقوله ( بل يندب ) أى ينبغى للذاكر لجوهرة الكمال نشره مبالغة فى تحقيق الطهارة رعيا للأدب المطلوب فى هذا المقام بالخصوص للخاصية الشهيرة فى هذه الصلاة الشريفة على ما سيبين وباقى ألفاظ البيتين واضح وأشار بهذا إلى أن ما استمر عليه عمل أصحاب سيدنا الشيخ رضى الله عنه من نشر ثوب محقق الطهارة عند قراءة جوهرة الكمال فى الوظيفة من عهد الشيخ رضى الله عنه إلى الآن ليس بلازم فى الطريق بحيث لايسوغ ذكرها إلا معه وإن كان المحل طاهراً حكما لكنه مما ينبغى و يستحب لمكان الخاصية التى اختصت بها هذه الصلاة الشريفة عن غيرها من الأذكار وهى حضور النبى صلى الله عليه

فأحكم هذه الشروط مراعيا فى أحكامك لها ما آخذها وهى الأحاديث الواردة بالترغيب فى الجهر بالذكر جماعة فانك بمراعاتها تعرف أنه لابد من جميع الشروط المذكورة وذلك لأن أحاديث الترغيب فى الجمع للذكر يؤخذ منها أنه لابد من الجهر وإلا فلافائدة فى الجمع ويؤخذ من الجمع والذكر جهراً أنه لابد من ذكرهم بلسان واحد وصيغة واحدة وإلا بأن كانوا يجتمعون ويجهرون بالذكر والفرض ان كل واحد يذكر وحده فذلك يؤدى إلى التخليط القادح وتشويش البعض على البعض وذلك مناف لنعت العبادة وأعمال الطاعات فافهم ﴿ تنبيه ﴾ اعلم أنى كثيراً ما كنت أرى الناظم رحمه الله تعالى يعيب على من يكمل البيت من النظم بلفظ أو لفظين لافائدة تحتهما إلا التوصل إلى القافية و بعد ذلك فهاهة فلذلك تجدنى أتتبع شرح مثل ذلك من كلامه نحو قوله هنا فراع المأخذا فانه قصد به الاشارة إلى ماشرحناه به لا أنه كمل به البيت فقط فتأمل ذلك ثم قال رحمه الله تعالى

﴿ وتركه لغير عذر شرعى * أو كل الأوقات له ذو منع ﴾

أراد بهذا أن ترك الجمع للوظيفة لغير عذر شرعى يعرض فى الوقت وكذلك تركها كل الأوقات للعذر الشرعى ممنوع عندنا فى الطريق بمعنى أن فاعل ذلك ترك ماهو لازم له لزوما مؤكداً فى الطريق فيعد متهاونا بها ولايخفى وخامة مرتع التهاون والعياذ بالله تعالى ثم ان قوله ( أو كل الأوقات له ) أى للعذر الشرعى فيه وقفة لأنه كما يعذر بحصول العذر الشرعى فى بعض الأوقات يعذر فى كلها إذا استمر عارض العذر الشرعى لايستطاع معه الفعل ووجه المخرج من هذه الوقفة هو أن الناظم رحمه الله تعالى عقد فى هذا البيت نص جواهر المعانى وما فى الجواهر خرج مخرج الترغيب وتأكيده فى الخير فبنى الكلام فيه على الغالب مع قطع النظر عن النادر حتى كأنه لاوجود له كما هو الشأن فى مثل ذلك وبيانه أنه قلما يكون عذر يعرض سائر الأوقات إذ الغالب أن الأعذار لاتعم الأوقات كلها فان وجد فهو نادر والنادر لايعتبر فى مثل هذا المقام والله أعلم وأحكم ثم قال رحمه الله تعالى

﴿ ونشرنا للثوب ليس يجب * على الذى يذكرها بل يندب ﴾
﴿ وشيخنا فعل ذا بمحضره * فدع مقالة جهول منكره ﴾

قوله ( للثوب ) أى للفراش المحقق الطهارة وإن كانت البقعة طاهرة حكما وقوله ( ليس يجب ) أى ليس يلزم عندنا بحيث لايسوغ لنا أن نقرأ جوهرة الكمال إلا إذا نشرناه وإن كان المحل طاهراً حكما بل الحكم فيه الاستحباب كما صرح والضمير فى يذكرها للوظيفة ويريد عند قراءة جوهرة الكمال لا كل الوظيفة وقوله ( بل يندب ) أى ينبغى للذاكر لجوهرة الكمال نشره مبالغة فى تحقيق الطهارة رعيا للأدب المطلوب فى هذا المقام بالخصوص للخاصية الشهيرة فى هذه الصلاة الشريفة على ما سيبين وباقى ألفاظ البيتين واضح وأشار بهذا إلى أن ما استمر عليه عمل أصحاب سيدنا الشيخ رضى الله عنه من نشر ثوب محقق الطهارة عند قراءة جوهرة الكمال فى الوظيفة من عهد الشيخ رضى الله عنه إلى الآن ليس بلازم فى الطريق بحيث لايسوغ ذكرها إلا معه وإن كان المحل طاهراً حكما لكنه مما ينبغى و يستحب لمكان الخاصية التى اختصت بها هذه الصلاة الشريفة عن غيرها من الأذكار وهى حضور النبى صلى الله عليه



بل تودوا إليهم بما تقدرون عليه من حسن القول وبما تقدرون عليه من حسن الخلق قال الله تعالى «لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم» وقال تعالى «و إذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل» إلى قوله «وقولوا للناس حسنا» وقال صلى الله

ورتبته قصوى سامية ولا ينال فضله فى التلاوة إلا من توقف عن تخطى حدود الله يقول الله سبحانه « تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » فلا يتأتى لقارئ القرآن أن يتلوه وهو ظالم لأن الله تعالى جعل القرآن محل القرب والتدانى فلا ينال فضله عند الله إلا من وقف عند الحدود قال الله سبحانه « ومن الناس من يشترى لهو الحديث » إلى قوله « فبشره بعذاب أليم » وقال تعالى « و يل لكل أفاك أثيم » إلى قوله « ولهم عذاب عظيم » فانت تسمع شدة الوعيد فيمن يقرأ القرآن ولم يعمل به و بعد الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمارة الأوقات بذكر الله فانه إن داوم على الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف أو أكثر يكفيه معها لا إله إلا الله مائة مرة فى كل وقت وان عمل فى كل وقت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله مل ء ما علم وعدد ما علم وزنة ما علم عشر مرات فذلك أفضل عند الله ممن يستغرق الليل والنهار فى ذكر الله لا يفتر فحافظوا على هذا ما استطعتم فان المداوم على هذا تناله من الله عناية عظيمة فى الدنيا والآخرة وأوصيكم وأؤكد عليكم فى بذل الصدقة فى كل يوم أقلها ربع رغيف إلى ما وراء ذلك من وجه يرتضيه الشرع على ما سيكتب لكم فى آخر الوصية فى التصرفات والمعاملات العادية فان المداوم على الصدقة فى كل يوم يحفظه الله تعالى من البلايا والمحن ولتكن النية فى الصدقة لله تعالى لا لغيره وأوصيكم وأؤكد عليكم بالتباعد عن المجاهرة للناس بسوء القول

عليه وسلم فى آخر الحديث وخالق الناس بخلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم رأس العقل بعد الايمان بالله التودد إلى الناس الحديث ﴿تتمة﴾ اعلم ان إجماع هذه الامة قد انعقد على أنه لا يحل مال امرىء مسلم إلا عن طيب نفس وكل ما أخذ عن غير طيب نفس فحرام إلا ما يؤخذ بصورة شرعية قهراً كأخذ الزكاة من مانعها وكأخذ حقوق المظلومين من مانعها وما يتبع ذلك من الحقوق اللازمة شرعا وهى كثيرة مفصلة فى كتب الفروع فلا نطيل بذكرها فان أخذ ذلك من صاحبها عن غير طيب نفس حلال لتعلق الحق الشرعى به لقوله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله وأما غير هذا فان أخذ به مال المسلم عن غير طيب نفس فحرام باجماع يشهد له قوله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ان الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا اللهم هل بلغت فقالوا اللهم نعم وقضيته فى كتب الحديث فلا نطيل بذكرها وقال تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ـ الآية» فالرجوع فى الحكم إلى هذه النصوص القطعية والوقوف عند حدودها فرض لازم على كل مسلم فاذا عرف هذا مما مضت عليه عادة الاعراب والظلمة من اقتحامهم أخذ مال المسلمين بغير صورة شرعية فكل ما بأيديهم حرام لا يحل لمسلم معاملتهم بوجه من وجوه العوض ولا قبول عطياتهم وهداياهم كل ذلك حرام فهذا حده فى الاصل ثم إن كان البلد غلب عليها جميع ذلك ولا يوجد غيره رضى بأيديهم بوجه من وجوه المخالطة فكل ذلك حرام ومن تعلل ممن ينتسب إلى الفقه أو إلى الاسلام فأخذ ذلك مستحلا له معتذراً بعدم وجود

وسلم والخلفاء الأربعة على ما سيوصف قريبا إن شاء الله تعالى لا غير والأصل فيه عندنا خصوصا على ما حدثنى به السيد الجليل الحاج الأبر الفاضل الناسك سيدى عبد الوهاب بن التاودى أحد خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه وخزانة أسراره وورثة أنواره قدس الله سره وأعاد علينا من بركاته وهو أنهم كانوا يقرؤن الوظيفة فى أول الأمر قبل إنشاء الزاوية بفاس بباب دار الشيخ رضى الله عنه وهو حاضر معهم رضى الله عنه وكانت البقعة طاهرة حكما بصلى رضى الله عنه بها مع جماعة من أصحابه لكن حيث كان المحل محل توارد الناس عليه للزيارة وممر الداخل للدار والخارج منها أمر رضى الله عنه بنشر ثوب يعم البقعة كلها أعنى وسط الحلقة ويكون محقق الطهارة غير مكتفى فيه بالطهارة الحكمية بحيث لا ينشر إلا عند قراءة الأصحاب لجوهرة الكمال ثم يطوى ويصان إلى مثل ذلك الوقت ثم بعد نشء الزاوية استمر الاخوان على ذلك العمل بمرأى ومسمع من الشيخ رضى الله عنه لاستحسانهم له لما فيه من الأدب الخاص مع هذا الحضور الخاص ولأنه مشعر به ومعين على الحضور والتأدب الواجب فيه ثم تتابع الناس فى سائر أقطار الارض على هذا العمل إلا النادر منهم ممن لم يتبين وجه ومن أجل هذا تعسف بعض من ينتسب للعلم للبحث فيه وأفرغ ذلك فى قوالب من الالفاظ بشيعه تنادى عليه عند كل مؤمن منصف بالفضيحة الفظيعة وتسمه بكل ذميمة شنيعة لان كل مؤمن منصف بمجرد ما يسمع ذلك المقال يعلم تحقيقا أنه مقال من قطع الحسد منه الاحشاء والاوصال والحسود لا يسود أبدا ولا يموت من كثرة النم الداخل عليه إلا كمداً والعياذ بالله تعالى منه ومن كل داء عضال يعود على من ابتلى به بوخامة الحال وسوء المآل هذا وقد عرف ما قاله العلماء حسبما فى عدة الحصن الحصين وشرحه من أنه ينبغى أن يكون المكان الذى يذكر الله فيه نظيفا خاليا قالوا فانه أعظم فى احترام الذكر والمذكور ولهذا مدح الذكر فى المساجد والمواضع الشريفة ولا معنى للنظافة إلا المبالغة فى التطهير وتحصيل القدر الزائد على الطهارة الحكمية كما لا يخفى قال فى شرح الحصن وجاء عن الامام الجليل أبى ميسرة رضى الله عنه قال لا يذكر الله تعالى إلا فى مكان طيب اه ونقل عن صاحب تهذيب الأذكار ينبغى تطييب المجلس بالرائحة الزكية لاجل الملائكة والجن وقطع العلائق المشوشة الخ يشير إلى معنى قولهم خاليا إذ الذى ينبغى أن يراد هنا من معانى الخلوة عندهم البعد عما يشوش البال ويشتت الفكر والله أعلم فأنت ترى ما قاله العلماء رضى الله عنهم فى آداب الذكر على الاطلاق فكيف ينكر على من أكد هذه الآداب أو بعضها فى ذكر مشتمل على ذكر الله تعالى وأسمائه الحسنى وصفاته العلى وذكر الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم ومدحه والثناء عليه ببعض أوصافه الكمالية ونعوته الجمالية والجلالية وخصوصا مع وجود الخاصية العظمى فيه كما مر وسيأتى أيضا وهل لنشر الثوب المذكور معنى إلا المبالغة فى النظافة التى نص العلماء على أنها مستحبة وأنها أعظم فى احترام الذكر والمذكور وهل المتعسف بالبحث فى ذلك بعد ما تقرر عن العلماء فيه من الاستحباب إلا من أكبر الجهلة الاغمار وممن سجل عليه بالشقاء لمحاربته مولاه جل وعلا بمعاداة أوليائه الأبرار ﴿تنبيه﴾ قد وقع لصاحب الجيش الكبير فى كتابه هذا وكذا فى سربته أن الشيخ رضى الله عنه لم ينشر الثوب فى قيد حياته وأنه مما استحسن فعله أصحابه رضى الله عنه بعد وفاته وذلك لأنه لم يحفظ ما تقدم مما ثبت عن الشيخ

غيره فلا عذر له فى الشرع و يسجل عليه فى الشرع بأنه مقتحم ما حرم الله ظلما ولا يحل سكناه فى تلك البلد ولا بقاؤه بينهم والهجرة عليه من ذلك المكان واجبة بتواتر نصوص الشرع وما كان مختلطا عندهم  بوجوه التجارة فى ذلك الحرام واتلاف

رضى الله عنه ولم يغنه الأمر على ما هو عليه فى ذلك لبعد ما بين بلده وبلد الشيخ رضى الله عنه ولذلك احتاج الناظم إلى التنصيص على ذلك بعينه فى قوله وشيخنا فعل ذا بمحضره فافهم والله تعالى أعلم ثم قال رحمه الله تعالى :

﴿ فضلها ﴾

أى هذا مبحث فضل الوظيفة جملة أى وفضل الجوهرة التى هى معظم أركانها قال رحمه الله

﴿ تكفيرها ما بين وقتيها اشتهر * عن شيخنا غيث البرا غوث البشر ﴾

( قوله غيث البرا ) أراد غيث البرايا فرخمه للوزن وأشار بهذا البيت إلى ما اشتهر وتواتر عن شيخنا رضى الله عنه من أن الوظيفة تكفر عن صاحبها جميع ما ارتكبه يومه بل صرح رضى الله عنه بانه تحصل له شفاعة خاصة من النبى صلى الله عليه وسلم فى جميع ما ارتكبه عامة يومه مما استحق به العقوبات العظيمة فى الظاهر والباطن وأكد ذلك رضى الله عنه بأنه وعد به من الحضرة المصطفوية عليه أزكى الصلاة والتسليم ويؤيده ما ذكره الشيخ جلال الدين السيوطى رضى الله عنه عن الامام احمد بن حنبل فى كتاب الزهد عن ثابت البنانى قال إن أهل ذكر الله تعالى ليجلسون إلى ذكر الله وإن عليهم من الآثام أمثال الجبال وانهم ليقومون من ذكر الله وما عليهم شىء اه ثم قال رحمه الله :

﴿ ومن تلا جوهرة الكمال * سبعا يكون سيد الارسال ﴾

﴿ والخلفاء الراشدين الأربعة * ما دام ذاكرا لها بعد معه ﴾

﴿ وذاك بالأرواح والذوات * وليس للمنكر من نجاة ﴾

( تلا ) قرأ وجوهرة الكمال فى مدح سيد الارسال صلى الله عليه وسلم هى الصلاة المعروفة من أركان الوظيفة على ما سيتضح قريباً إن شاء الله تعالى والمراد بالذوات الصور التى تظهر فيها الأرواح فى الدنيا كما هو معلوم من تطور الاولياء أو فى البرزخ كما هو الامر هنا والله تعالى أعلم وأراد رحمه الله تعالى الاخبار بما ثبت عن الشيخ رضى الله عنه حسبما هو فى جواهر المعانى وغيره من أن هذه الصلاة الشريفة المسماة بجوهرة الكمال التى هى أحد أركان الوظيفة اذا قرأها الواحد من أهل هذه الطريقة المباركة منفرداً أو فى جماعة كما هو الشأن فى الوظيفة سبع مرات يحضره النبى صلى الله عليه وسلم ويستمر حضوره معه هو والخلفاء الأربعة رضى الله عنهم ما دام يذكرها إلى أن يفرغ منها وهى كما عرفته تقرأ اثنتى عشرة مرة فى الوظيفة فيكون حضوره صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه الاربعة رضى الله عنهم من السابعة إلى ختم الوظيفة بلاشك وقد حدثنى بعض العلماء الأفاضل رحمه الله تعالى أنه ذكر لشيخنا رضى الله عنه استمرار حضوره صلى الله عليه وسلم من السابعة إلى أن يفرغ وكأنه اعنى هذا العالم يتثبت فى حقيقة هذا الامر فقال لى رضى الله عنه مؤكداً قوله بالقسم والله لو انك دمت على ذكرها طول عمرك من غير فترة ما فارقك صلى الله عليه وسلم فى جميع مدة عمرك اه وقوله بالارواح الخ فى بعض الروايات عن الشيخ رضى الله عنه التصريح بان الحضور المذكور هو بالارواح فقط ووقع فى بعضها بالارواح والذوات وهى التى اعتمدها الناظم رحمه الله تعالى وعلى هذا فلو كشف الحجاب عن الذاكرين أو بعضهم لشاهدوه صلى الله عليه وسلم على صورته التى قبضه

عينه واشتراء بدله عينا أخرى أو بوجوه الحراثة والصناعة أو ضم مال بصورة شرعية إليه فالأصل المعول عليه أن ذلك كله حرام بجميع ما اختلط فيه فمن قدر على ذلك تمسك بهذا الأصل وجرى عليه ثم ان تنزل الأمر إلى عموم ذلك فى الأرض واختلاط ذلك بصورة حلال وصورة حرام بايدى كاسبيه كما هو صورة الوقت فعلى المؤمن العاقل فى إقامة طلب فرض الحلال أن يجتنب ما علمت صورته صورة الغصب والمحرم وما جهل من ذلك وكان الأصل الاختلاط بصورة حلال وصورة حرام كما ذكرنا أولا وعم الفساد فى الأرض كما هو صورة الوقت رجع إلى أصل الحلال الثالث وهو أن الحلال ما جهل أصله فان صورة الحلال كانت فى عهده صلى الله عليه وسلم ما عرف أصله وأصل أصله ثم لما انقضت مدة الخلافة ورجعت ملكا عضوضا رجع الحلال ما عرف أصله فقط ثم لما زاد الفساد وطما بحره صار الحلال ما جهل أصله وهى المرتبة الثالثة فى الحلال وعلى هذا الحد وهذا المنوال يجرى الحكم فى معاملة هذه الطوائف بوجوه العوض وقبول عطياتهم فلا يجتنب منها إلا ما عرف صورة الحرام فيه مثل الشىء المغصوب والمأخوذ فى ثمن الخمر والمأخوذ فى صورة ربا النسيئة يقاس ما لم يذكر منها على ما ذكر وأما ما جهلت صورته فان علم من صاحبه انه لم يكن عنده إلا الحرام لم يخالطه بصورة أخرى كالحراثة والتجارة وإبدال عين بعين أخرى فكل ما بيده حرام لا تحل معاملته وقبول عطياته وما اختلط بهذه الصورة من تجارة وحراثة وصناعة وإبدال عين بعين أخرى

وإضافة حلال له لم يحرم ما بيديه إلا ما له عين قائمة فى التحريم وما جهل أصله فحلال وقولنا فى هذا المحل حلال فانما هو حلال عرضى لا أصلى لعدم وجود غيره بكثرة الفساد وعمومه فى الأرض واحتياج العبد إلى القوت فيكون حلالا بما أعطاه حكم الوقت والضرورة فقد قال سبحانه وتعالى «وما جعل عليكم فى الدين من حرج» ولذا قال القطب الكامل والوارث الواصل والقدوة الشامل سهل بن عبد الله رضى الله عنه لو كانت الدنيا عبطة من دم لكان قوت المؤمن منها حلالا لان الله تعالى فرض العبادة على العبد وأباح له أن يأكل مما فى الارض حلالا طيبا كما هو نص الآية فاذا تتبع فى الارض وجوه الحلال وعمت البلية فى الارض كان اقتحامه للحلال الأعلى فالأعلى إما أن يكون مما عرف أصله وأصل أصله كمعاملة الحربيين باخذ الاجرة منهم على الخدمة والاشتراء مما بأيديهم فان كل ما فى أيديهم حلال لا معارضة فيه فمن وجد السبيل إلى هذا وأمكنه فلا يحل له معاملة المسلمين بوجه من الوجوه ولا يعامل إلا الكفار الحربيين لتمحض الحلال بأيديهم ولو أخذوا مال المسلمين فكله حلال ومعاملتهم حلال فى غير الخيانة والاخذ بالأيمان الكاذبة والغدر فان ذلك حرام ثم ان لم يجد هذا فيتنزل إلى ما عرف أصله كمن وجد كنزاً من المال بصورة الجاهلية فى أرض غير مملوكة وكذا المعدن على هذه الصورة والصيد وغيره ودون هذا من المراتب ما جهل أصله وعرف اختلاطه بأيدى كاسبيه وله مراتب مفصلة فى كتب الفروع وآخر مراتب الحلال إذا عمت البلية فى الارض ولم يجد المؤمن منها لقوته إلا الصورة المحرمة ﴿ أو

الله عليها يعنى بذاته الحقيقية وكذا الخلفاء الأربعة رضى الله عنهم وهذا كله مما لا يمتاز فيه إلا جاهل أو حسود متحامل اما فى النبى صلى الله عليه وسلم فلما تقدم لنا مما حصله الشيخ جلال الدين السيوطى رضى الله عنه من مجموع الأحاديث والنقول التى جلبناها فى هذا الكتاب وهو انه صلى الله عليه وسلم حى بجسده وروحه وانه يتصرف ويسير حيث شاء فى أقطار الأرض وفى الملكوت وهو بهيئته التى كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شىء إلا أنه غيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء باجسامهم فاذا أراد الله تعالى رفع الحجاب عمن أراد الله كرامته برؤيته رآه على هيئته التى هو عليها لا مانع من ذلك ولا داعى إلى التخصيص برؤية المثال اه ما حصله الشيخ جلال الدين السيوطى رضى الله عنه وهو كاف شاف لمن أنصف وأما فى حق الخلفاء الأربعة رضى الله عنهم فلما صرح به المحققون من صحة سؤال الحاجات منه صلى الله عليه وسلم قالوا إنه حى يعلم سؤال من سأله وكذلك الشهداء والأولياء وفى جواب لسيدى على الخواص حسبما فى الدرر التصريح بأن الأولياء لهم الاطلاق والسراح فى البرزخ فليسوا كغيرهم ولا محالة ان الصحابة الكرام رضى الله عنهم هم سادات الأولياء وأئمتهم وخصوصاً الخلفاء المفضلين بالنص الصريح رضى الله عن جميعهم ونفعنا بمحبتهم آمين ولا يشكل عليك هذا الذى نقلناه فى هذه المسئلة بكون الحضور المذكور يكون فى ساعة واحدة فى الأقطار المتباعدة فتحتاج إلى تكييف ذلك فان هذا من باب خرق العوائد فلا يحتمل التكييف قال فى المواهب اللدنية ولقد أحسن من سئل كيف يرد النبى صلى الله عليه وسلم على من يسلم عليه فى مشارق الأرض ومغاربها فى آن واحد فانشأ يقول :

كالشمس فى وسط السماء ونورها * يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

ثم قال يعنى صاحب المواهب ولا ريب ان حاله صلى الله عليه وسلم فى البرزخ أفضل وأكمل من حال الملائكة وهذا سيدنا عزرائيل عليه السلام يقبض مائة ألف روح فى وقت واحد لا يشغله قبض عن قبض وهو مع ذلك مشغول بعبادة ربه مقبل على التسبيح والتقديس فنبينا صلى الله عليه وسلم أولى اه وغاية الأمر أن هذا الذى أشارت إليه هذه الأبيات هو من كرامات الأولياء الثابتة نقلا الجائزة عقلا على ما عليه أهل السنة رضى الله عنهم حسبما تقدم وأيضاً هو اخبار بما هو جائز فى قدرة الله تعالى من عدل رضى وعلى هذا فانكاره انكار لكرامات الأولياء وقد نقل الشيخ زروق عن العقبانى رحمهما الله تعالى ان التكذيب بكرامات الأولياء كالتكذيب بمعجزات الأنبياء لأن كل كرامة لولى فهى تصديق لنبيه الذى اتبعه وهو أيضا أعنى الانكار لهذه الكرامات جهل بقدرة القادر جل وعلا وتعجيز لها وكفى بهذين الامرين الخطيرين خسارة وتعرضا للشقاء والعياذ بالله تعالى وإليه أشار قول الناظم رحمه الله تعالى وليس للمنكر من نجاة فليحذر ذلك المؤمن المشفق على دينه ونفسه وفى البحر المورود أخذ علينا العهود أن لا نكذب الصالحين إذا أخبرونا بشىء تحيله عقولنا إلا إذا عارض نصا شرعيا وذلك أن غاية الواحد منهم أن يخبرنا عن القدرة الالهية أنها فعلت ممكنا لا غير والله على كل شىء قدير ثم قال الناظم رحمه الله :

﴿ فمن يكن عجز عن تطهير ما * يلبسه أو حكمه التيمما ﴾

﴿ أو

وألجأه الحال إلى ذلك حل له أخذ قوته فقط كاقتيات الجائع من الميتة ولحم الخنزير فقط والسلام انتهت هذه الوصية وهى كأختيها فى الدلالة

على الله والشفقة على خلقه وليس فيها مايحتاج إلى مزيد بيان إلا ماحام الشيخ رضى الله عنه حوله من فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا علينا أن نأتى ببعض ماتيسر من ذلك تتميما للفائدة واغتناما  لتلك العائدة والكلام على ذلك من خمسة وجوه الوجه الأول فى فضلها وهو أكثر من أن يحصى وأعظم من أن يستقصى وقد جمع ابن زكرى وصاحب مطالع المسرات من ذلك مايشنف الاسماع ويحصل به الامتاع من ذلك مانقلاه من كتاب حدائق الأنوار فى الصلاة على النبي المختار ونصه الحديقة الخامسة فى الثمرات التى يجتنيها العبد بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والفوائد التى يكتسبها ويقتنيها الأولى امتثال أمر الله بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم الثانية موافقته سبحانه وتعالى فى الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم الثالثة موافقة الملائكة فى الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم الرابعة حصول عشر صلوات من الله تعالى على المصلى عليه صلى الله عليه وسلم واحدة الخامسة أنه يرفع له عشر درجات السادسة يكتب له عشر حسنات السابعة تمحى عنه عشر سيآت الثامنة ترجى له إجابة دعوته التاسعة أنها سبب لشفاعته صلى الله عليه وسلم العاشرة أنها سبب لغفران الذنوب وستر العيوب الحادية عشر أنها سبب لكفاية العبد ماأهمه الثانية عشر أنها سبب لقرب العبد منه صلى الله عليه وسلم الثالثة عشر أنها تقوم مقام الصدقة الرابعة عشر أنها سبب لقضاء الحوائج الخامسة عشر أنها سبب لصلاة الله وملائكته على المصلى السادسة عشر أنها سبب زكاة المصلى والطهارة له السابعة عشر أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته الثامنة عشر أنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة التاسعة عشر أنها سبب لرده صلى الله عليه وسلم على المصلى عليه الموفية عشرين أنها سبب لتذكر مانسيه المصلى عليه صلى الله عليه وسلم

﴿ أوكان قد عجز عن تطهير * بدنه الكثير واليسير ﴾
﴿ أو عن طهارة مكان وسعه * مع النبي والخلفاء الأربعه ﴾
﴿ فحكم هذا جعله منها بدل * عشرين من فريدة كما انتقل ﴾

أشار بهذا الذى تضمنته الأبيات الأربعة إلى ماتواتر عن سيدنا الشيخ رضى الله عنه وأن من عجز عن الطهارة الكاملة شرعا فى الثوب والمكان والبدن أو كان فرضه التيمم فانه يعوض عن جوهرة الكمال فى الوظيفة عشرين من صلاة الفاتح لما أغلق وقوله (أو عن طهارة مكان وسعه إلى آخر البيت) أراد به تحرير البقعة التى يطلب تطهيرها فى حق ذاكر هذه الصلاة الشريفة أعنى جوهرة الكمال وماصرح به رحمه الله من ذكر النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة فى هذا التحديد لانحفظه عن الشيخ رضى الله عنه والمحفوظ عندنا من الرواية الثابتة عن الثقات الاثبات عنه رضى الله عنه فى هذا التحديد أن يسع المكان الذى تطلب طهارته ستة من الناس اه وهو كما ترى غير صريح فيما ذكره ولعله تبع فيه فهم غيره ممن لم يحقق القضية والصواب عندى أن لو تجنب رحمه الله تعالى هذه العبارة إذ الحضور الموصوف هو من باب خرق العوائد فلا يتقيد بالقيود الحسية والحق ما قدمناه من التعبير فى تحديد البقعة التى يطلب تطهيرها هنا بأنها مكان يسع ستة من الناس والمراد أن الذاكر إذا كان فى مكان متسع مثلا وأراد قراءة الجوهرة فيه فانه ينظر فان كان محل جلوسه طاهراً وما اتصل به كذلك طاهراً بقدر مايسع ستة نفر على فرض جلوسهم معه فانه يذكرها ولا عليه فيما زاد على ذلك ان لم يكن طاهرا وان نقص محل الطهارة عن ذلك كأن يكون الطاهر من البقعة بقدر ما يسع المصلى لسجوده مثلا فانه يصلى به ويذكر الوظيفة ويبدل مكان جوهرة الكمال عشرين من صلاة الفاتح لما أغلق لان جوهرة الكمال مشروط فى قراءتها طهارة المكان المقدر بما ذكر وغير خاف أنه شرط أدبى فى بساط خاص فافهم فالتقدير فيما يسع ستة من الناس لذات البقعة التى تطلب طهارتها لا لأجل من يحضر بها والقصد من هذا القدر فى البقعة التباعد عن محل النجاسة أعنى تباعد أنفاس الذاكر عن النجاسة ألا ترى أن من كان فى بيت صغير كالبيت المطلوب فى الخلوة بحيث لايسع إلا واحداً لسجوده فقط والفرض أنه طاهر له أن يذكر الجوهرة بل هو مطالب بقراءتها فى الوظيفة بلا شك والحضور من النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة حاصل له قطعا ولا يبحث عن الكيفية فى ذلك لانه من باب خرق العادة ولو كان التطهير المشروط لاجل جلوس من يحضر لما صح ذلك الحضور فى بيت الخلوة مثلا الذى لايسع إلا رجلا واحدا فتأمل ذلك منصفا والله يتولى هدانا جميعا بمنه ثم قال رضى الله عنه

﴿ ولتذكرن هذى الصلاة راجلا * لاراكبا إذا تكون راحلا ﴾
﴿ واشترطوا طهارة الارض كما * تفهمه من الذى تقدما ﴾
﴿ هذا الذى لسيدى على * قطب زماننا التماسنى ﴾

الاشارة بهذه الصلاة إلى جوهرة الكمال والراحل المسافر وقوله (كما تفهمه من الذى تقدما) يعنى فى قوله فمن يكن عجز عن تطهير ما إلى آخر الابيات قبل هذه وسيدنا على التماسنى رضى الله

عنه تقدم بعض ما يتعلق باخباره فى ترجمته وأشار بهذا إلى أن المسافر له أن يقرأ الوظيفة كالورد على ظهر دابته فاذا وصل إلى جوهرة الكمال ترجل وذكرها راجلا بشرط أن تكون الأرض التى يطؤها طاهرة حسبما يعرف ذلك من تأكيد الشيخ رضى الله عنه أمر الطهارة فيها حتى أنه تسقط قراءتها عمن لم يمكنه تكميل التطهير أو الطهارة المائية بأن كان فرضه التيمم على ما مر وقوله (هذا الذى لسيدى على الخ) يعنى الأمر بالترجل عند قراءة جوهرة الكمال قلت وهذا الذى تلقيناه عن جماعة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه فان الذى نحفظه من مذاكرتهم رضى الله عنهم أن هذه الصلاة أى جوهرة الكمال لا تذكر على ظهر دابة ولا على سفينة أيضا وسمعت بعض الأصحاب يقول لا يكتفى من المسافر بالترجل المذكور بل يترجل ويذكرها فاذا وصل السابعة جلس حتى يختم الوظيفة وهذا عندى حسن إلا لضرورة خوف ونحوه كفوات رفقة والله تعالى أعلم قال رحمه الله تعالى

﴿ أركانها ﴾

أى هذا مبحث أركان الوظيفة بمعنى أذكارها التى ابتنيت منها على الترتيب قال رحمه الله

﴿ أركانها استغفار رب العزه * مائة مرة بأى صيغه ﴾
﴿ أو زدها التعظيم قبل نفى * سواه والقيوم بعد الحى ﴾
﴿ وان ترد فاتل ثلاثين ولا * يزيد من لذا الأخير قد تلا ﴾
﴿ وصل بالفاتح خمسين ومن * لمثلها يزد ففعله حسن ﴾
﴿ وهللن مائة ومن يزد * ثانية ففعله لا تنتقد ﴾
﴿ وبعد ذا جوهرة الكمال * تقرأ إحدى عشرة فى الحال ﴾
﴿ وفى حياة شيخنا قد زادوا * واحدة فزيدها سداد ﴾

قوله (بأى صيغة) هذا التخيير هنا لا نحفظه والمحفوظ عندى المائة أنها بصيغة الورد أعنى أستغفر الله فقط وفى الثلاثين انها أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وهو قوله (وان ترد فاتل ثلاثين) أى وان ترد العظيم الخ فاتل ثلاثين ولا تزد عليها وهو قوله (ولا يزيد من لذا الأخير وصل بالفاتح خمسين) يعنى مع الاتيان بالثلاثين فقط من الاستغفار وقوله (ومن لمثلها) أى الخمسين يزد الخ يعنى مع المائة من الاستغفار لا مع الثلاثين وقوله (وهللن مائة) يعنى مع الثلاثين من الاستغفار والخمسين من صلاة الفاتح وقوله (ومن يزد ثانية) أى مائة ثانية من التهليل يعنى مع المائة من الاستغفار ومثلها من صلاة الفاتح ولا يخفى ما فى كلامه فى هذا التفصيل من القلق المفضى الى التخليط والحيرة وسنذكر الثابت فى ذلك عن الشيخ رضى الله عنه وقوله (وفى حياة شيخنا الخ) أشار إلى أن زيادة هذه الواحدة تقرير من الشيخ رضى الله عنه ولذلك قال (فزيدها سداد) أى غير خطأ وملخص ما أشار اليه رحمه الله تعالى على ما ثبت عن الشيخ رضى الله عنه فى ذلك حسبما فى جواهر المعانى وغيره أن أركان الوظيفة التى تبنى منها الاستغفار بصيغة الورد فقط مائة مرة ثم صلاة الفاتح لما أغلق مائة مرة ثم الهيللة بصيغة الورد أيضا مائتى مرة بالتثنية ثم جوهرة الكمال اثنتى عشرة مرة وهذا لم يستقر عليه عمل الأصحاب إلا فى بعض بلاد الصحراء الشرقية فقد بلغنى أن عملهم ما زال عليه إلى الآن والذى عليه

عند ذكره صلى الله عليه وسلم الخامسة والعشرون أنها تأتى بصاحبها على طريق الجنة وتخطىء بتاركها عن طريقها السادسة والعشرون أنها تنجى من نتن المجلس الذى لا يذكر فيه اسم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم السابعة والعشرون أنها سبب لتمام الكلام الذى ابتدىء بحمد الله والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم الثامنة والعشرون أنها سبب لفوز العبد بالجواز على الصراط التاسعة والعشرون انه يخرج العبد عن الجفاء بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم الموفية ثلاثين أنها سبب لالقاء الله تعالى الثناء الحسن على المصلى عليه صلى الله عليه وسلم بين السماء والأرض الاحدى والثلاثون أنها سبب لرحمة الله الثانية والثلاثون انها سبب للبركة الثالثة والثلاثون أنها سبب لدوام محبته صلى الله عليه وسلم وزيادتها وتضاعفها وذلك عقد من عقود الايمان لا يتم إلا به الرابعة والثلاثون أنها سبب لمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم للمصلى عليه صلى الله عليه وسلم الخامسة والثلاثون أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه السادسة والثلاثون أنها سبب لعرض المصلى عليه صلى الله عليه وسلم وذكره عنده صلى الله عليه وسلم السابعة والثلاثون أنها سبب لتثبيت القدم الثامنة والثلاثون تأدية الصلاة عليه لأقل القليل من



حقه صلى الله عليه وسلم وشكر نعمة الله التى أنعم بها علينا التاسعة والثلاثون أنها متضمنة لذكر الله وشكره ومعرفة انعامه

العمل في جل البلاد المغربية والمشرقية والأمصار الكبار هي أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم فقط ثلاثين مرة ثم صلاة الفاتح خمسين مرة ثم الهيللة مائة مرة ثم جوهرة الكمال اثنتي عشرة مرة ولابد لها من استفتاح فاتحة الكتاب بعد التعوذ وكان من حق الناظم أن ينص عليه وكذلك الختم للهيللة بقولنا محمد رسول الله عليه سلام الله مرة لابد منه أيضا لما تقدم لنا في الكلام في الورد والظاهر أن المأمور به أولا في الوظيفة أعني في ابتداء الأمر في الطريق هذا الوجه الأول ثم خفف ذلك لقول سيدنا الشيخ رضي الله عنه في بعض رسائله ما نصه وخففوا من وردها يعني الوظيفة إن ثقل عليكم واجعلوها الى آخر ما استقر عليه العمل في الوجه الثاني فاعرف ذلك ﴿ تنبيه ﴾ قد علمت أن صيغة الاستغفار في الطريقة الثانية في الوظيفة يقتصر فيها على اللفظ السابق الى القيوم وليس فيها وأتوب اليه وكلا اللفظين وردت به الأخبار الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم ولعل اختيار الشيخ رضي الله عنه للأول لأن الاستغفار إذا أتى به العبد لا يكون كاذبا فيه بخلاف التوبة فانه إذا قال وأتوب اليه وليس بتائب فهو كاذب لأن التوبة الرجوع والندم وإن كان اللائق بالاستغفار هو أن يكون مقرونا بالاقرار بالذنب والندم عليه والعزم على عدم العود فمرجعه إلى التوبة لكن صورة الغافل في الاتيان به مجرداً عن ذكر التوبة ليست كصورته في الاتيان به مقرونا بها لما في الثانية من ظهور الكذب والاستهزاء بخلاف الصورة الأولى فانما فيها طلب المغفرة ذكره الفخر الرازي رضي الله عنه في تفسيره وفيه دقيقة سنية كما لا يخفى والله تعالى أعلم ثم قال رحمه الله تعالى

﴿ تسبيحنا من بعد كل ذكر * بما تقدم لورد يجري ﴾

قوله (تسبيحنا) أي قراءتنا لقوله تعالى «سبحان ربك رب العزة — الآية» وقوله (من بعد كل ذكر) يعني من الأذكار التي ابتنيت منها الوظيفة وقوله (بما تقدم) أي بالآية الشريفة على حسب ما جرى عليه العمل في الورد وأراد أن الذاكر للوظيفة منفرداً كان أو في جماعة يختم كل ذكر من الأذكار التي قامت منها بقوله تعالى «سبحان ربك رب العزة — الآية» الى آخر السورة وعليه العمل في الصحارى وأما أهل فاس ومابازائها فانهم لا يأتون به عقب الاستغفار ولا عقب الهيللة أيضا ووجهه عند من يفعله ماذكرناه في اختتام أذكار الورد به وهو استشعار الحمد على ما أنعم الله به عليه وأهله له من هذا التوجه الخاص الذي حظره على كثير ولا شك أنه فعل حسن ووجهه مستحسن وخصوصا مع الحضور فيه والله الموفق ﴿ تنبيه ﴾ قد علمت أن من أركان الوظيفة صلاة الفاتح لما أغلق وأنه لا يجزىء في الوظيفة غيرها من الصلوات بدلها وعليه فتسقط الوظيفة عمن لم يحفظها حسبما هو مصرح به في جواهر المعاني وكان من حق الناظم أن لا يهمله وبه تعرف أمر الوظيفة أخف من الورد كما مر والله تعالى أعلم ثم قال رحمه الله تعالى متمما الكلام في الأذكار اللازمة للطريق وهي الورد والوظيفة وذكر الهيللة بعد صلاة العصر من يوم الجمعة لا غير والأول أي الورد لازم لذاته بمعنى أنه لا يمكن الدخول في الطريق إلا به والأخيران لازمان له بمعنى أنهما إنما يلزمان بالتبعية له أعني بعد الدخول في الطريق فلذا لما ذكر الناظم رحمه الله تعالى ما يتعلق بالورد والوظيفة اتبعه بذكر الهيللة بعد عصر يوم الجمعة فقال

صلى الله عليه وسلم انطباع صورته الكريمة في النفس الثانية والأربعون أن الاكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يقوم مقام الشيخ المربي انتهى ابن زكري اى في الهداية وتصفية الباطن قال في المطالع ذكره الشيخ السنوسي في شرح صغرى صغراه والشيخ زروق واليه أشار الشيخ أبو العباس أحمد بن موسى المشرع اليمني في جواب له قال ابن زكري وقد استشهدوا لذلك بقوله صلى الله عليه وسلم لمن قال له أجعل لك صلاتي كلها إذا تكفي همك ويغفر ذنبك وهو ظاهر ويبين ذلك ما في العهود المحمدية من أن المكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يصير يشاهده نوما ويقظة ومتى شاء ويسأله عما يعرض له وعن الأحاديث التي ضعفها الحفاظ انتهى وفي الروض الخصيب بشرح نفح الطيب للشيخ سيدي محمد الكنتي رضي الله عنه ما معناه من فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم أن من داوم عليها ملك شيطانه مع ما فيها من القيام برسم العبودية وابتغاء الوسيلة الى الله تعالى بحبيبه ومصطفاه إذ لا وسيلة أقرب منه وشكر الواسطة في نعمه تعالى إذ لا نعمة سابقة ولا لاحقة إلا وهو السبب في وصولها الينا وفي المطالع من فضلها ما فيها من سر الاعتدال الجامع لكمال العبد وتكميله ففي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الله وذكر رسوله ولا كذلك عكسه فلذلك كانت المثابرة على الأذكار والدوام عليها يحصل به الانحراف وتكسب نورانية تحرق الأوصاف وتثير وهجها في الطباع والصلاة على رسول الله صلى الله

عليه وسلم تذهب وهج الطباع وتقوى النفوس لأنها كالماء فكانت تقوم مقام شيخ التربية أيضا من هذا الوجه انتهى وفى القواعد لزروق بعد ذكر نحو هذا الكلام ولهذا أمر المشايخ بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم عند غلبة الوجد والذوق ولذلك شاهد وقد أشار اليه الصديق رضى الله عنه اذ قال الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم أمحق للذنوب من الماء البارد للنار انتهى ومن فضلها أيضا ان الرياء لا يبطل أجرها كما فى المطالع وانها مقبولة قطعا كما قال أبو اسحق الشاطبى فى شرح الالفية قال فى شرح روضة النسرين واستشكل السنوسى وغيره ماقاله أبو اسحق ولم يجدوا له مستندا قالوا وان لم يكن قطع فلا مرية فى غلبة الظن وقوة الرجاء اه لكن قال فى الروض الخصيب مقبولة قطعا من حيث مدلول الدعاء له صلى الله عليه وسلم وانما النظر فى قبولها من جهة الاثابة للمصلى عليه أخلص أو لم يخلص أما مع الاخلاص فجزم الغزالى بقبولها وانها مما لا تحطه التباعات من الاعمال وأما مع عدم الاخلاص والحضور فحكى الطبرى انها ذكر كسائر الاذكار وانما يعتبر من الاذكار ماحضر صاحبه بقلبه حالة ذكره مخلصا فلا يثاب على الصلاة المجردة عن الاخلاص وقال زروق فى شرح الوغليسية بعدم اعتبار الاخلاص ولا الحضور وانها مقبولة قطعا اذ الكريم جل وعز أكرم من أن يتقبل العمل من جهة ويرده من جهة وانما يحرم من لم يخلص فيها ولم يحضر ما يفاض على الحاضر المخلص فيها من أنواره صلى الله عليه وسلم وفتوحات الغيب التى تنبعث من سر امتزاج روحانية المصلى بروحانيته عليه السلام والله أعلم انتهى

وذكر فى عدة المريد انه ورد أن كل الأعمال فيها مقبول ومردود إلا الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم انتهى وقد ذكر شيخنا رضى

العمل

﴿ حضرة يوم الجمعة ﴾

أى هذا مبحث يوم الجمعة وعبر بالحضرة لأن المطلوب فى ذكر الهيللة بعد عصر يوم الجمعة أن يكون فى جماعة إلا لعذر أو حيث لم يكن إخوان فى البلد الذى هو فيه حسبما سيظهر من كلام الناظم رحمه الله تعالى قال

﴿ بعد صلاة عصر يوم الجمعه * يلزم من يكون ذا الذكر معه ﴾
﴿ هيللة لمغرب ولا تعد * وشرط الاجتماع فيها معتمد ﴾
﴿ لمن له أخ وإلا فعلا * منفردا ومن يكن قد شغلا ﴾
﴿ جاز له الترك الى قبل الغروب * بساعة ونصفها يأتى الوجوب ﴾
﴿ ومن يشأ التزم ذكرا عددا * ألفا فصاعدا بلا حصر بدا ﴾
﴿ وفعلها كحضرة الخلوتى * تحسينه ينمى إلى الثبوت ﴾

أشار بهذه الأبيات إلى مانبه عن سيدنا رضى الله عنه وهو فى جواهر المعانى وغيره من أن الآخذ لهذا الورد الشريف يلزمه لزوما محتما أن يذكر بعد صلاة العصر من يوم الجمعة الكلمة الشريفة لا إله إلا الله وينتهى وقتها الى الغروب ولا لها عدد ينتهى اليه الذاكر كما قال (ولا تعد) وشرط هذا الذكر الاجتماع يعنى والجهر والتحليق إن كان للذاكر اخوان فى البلاد وإلا فيذكر وحده الهيللة من صلاة العصر الى الغروب من غير عدد وان كان له شغل آخر إلى قبل الغروب بنحو ساعة ونصف ثم يذكر إلى الغروب وإن شاء جعل عددا معلوما يلتزمه لنفسه ألفا فما فوق من غير حصر يعنى فى الزائد على الألف على ماقاله الناظم رحمه الله تعالى واعتمد فيه والله أعلم قول صاحب الجامع فى تعيين هذا العدد خمس عشرة مائة أو أكثر وقد روى عن بعض أركان الطريق ألفا وستمائة وعن بعضهم وهو الذى اعتمده صاحب الجيش الكبير ألفا ومائتان وعن السيد الجليل الماجد الأصيل مولانا محمد بن أبى النصر قدس الله سره ألف فقط وكلام الناظم رحمه الله شامل لهذه الروايات كلها الا أن الزيادة على ألف وستمائة لم تحفظ عن أحد ولا بلغنا أن عليها عمل أحد وهذا كله إنما هو فى ذكر الهيللة فقط على الكيفية التى فى الوظيفة وفى جواهر المعانى ماهو صريح فى أن زمن الكيفيات فى ذكر الهيللة كونها على قاعدة الطريقة الخلوتية بل فيه مايؤخذ منه أن هذه الكيفية أعنى الجارية على قاعدة الطريقة الخلوتية مقدمة على غيرها حيث اصطلح عليها أهل بلد فانه لما قال فى هذه الحضرة انها تكون على قاعدة الطريقة الخلوتية قال وإلا فبحسب كل ما اصطلحت عليه البلد التى هو فيها هذا نصه وهو مشعر بتقديم الكيفية المذكورة لدى من اصطلح عليها ولهذا قال الناظم رحمه الله تحسينه ينتهى الى الثبوت وكأنه رحمه الله تعالى لم يحمل مافى جواهر المعانى على مايفيد تقديم الكيفية المذكورة وتحسينها لكونه غير صريح فى ذلك ولأن الأصل هو ذكر الهيللة سردا كما عليه العمل فى الوظيفة والكيفية المذكورة إنما هى لمن اصطلح عليها وعرف طريقها التى عليه أهلها والا فالعمل على السرد أولى لما يؤدى اليه العمل مع عدم الاتقان لطريقته من الحركات المنافية لحال الذاكرين الخاشعين ولا يوجد ماذكر من المعرفة والاتقان الا فى أهل الحواضر كأهلها ومن فى معناهم وأما غيرهم من أهل الصحارى ومن فى معناهم من أهل البادية فتجنب

الله عنه وأرضاه فى آخر شرحه لجوهرة الكمال بعد ذكر الخلاف فى قبولها قطعا مانصه والذى نقول به انها مقبولة قطعا والحجة لنا فى ذلك أن الله تعالى يقول للنبى صلى الله عليه وسلم من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه وهذا الوعد صادق لايخلف وهو لامن حيثية العبد بل من شدة العناية منه سبحانه وتعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم وقيامه سبحانه عنه بالمكافأة لمن صلى عليه صلى الله عليه وسلم لايترك صلاة العبد تذهب دون شىء وهو معنى قبول الصلاة من العبد وبالله الهداية والتوفيق إلى سواء الطريق انتهى الوجه الثانى فى معناها وقد اختلف فى ذلك والمشهور أنها من الله تشريف لعبده ومن الخلق طلب ذلك أى طلب زيادته وقال الحليمى فى الشعب معنى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم تعظيمه فمعنى قولنا اللهم صل على محمد عظم محمدا والمراد تعظيمه فى الدنيا باعلاء ذكره واظهار دينه وابقاء شريعته وفى الآخرة باجزال مثوبته وتشفيعه فى أمته وابداء فضيلته بالمقام المحمود وعلى هذا فالمراد بقوله صلوا عليه ادعوا ربكم بالصلاة عليه انتهى قيل ولايعكر عليه عطف آله وأزواجه وذريته عليه فانه لايمتنع أن يدعى لهم بالتعظيم إذ تعظيم كل أحد بحسب مايليق به انتهى لاسيما وهم منسوبون إليه صلى الله عليه وسلم والدعاء لهم واقع بالتبع له قاله فى المطالع الوجه الثالث فى حكمها وهو الوجوب وهل بلا قيد وأقل مايحصل به الاجزاء مرة أو مرتان فى العمر أو فى الدعاء أو فى كل مجلس أو فى الصلاة أو عقب التشهد أو كلما ذكر اسمه أقوال قال فى المطالع قال ابن عطية فى تفسيره الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التى لا يسع تركها

العمل عن تلك الطريقة أولى فى حقهم بل الحق منع ذلك إلا على أهل الحواضر ثم دعوى تقديم الكيفية التى عليها أهل فاس بل وأحسنيتها مسلمة عند كل ذى ذوق سليم بلا شك حسبما يشهد به الوجدان الذى هو أقوى من العيان

وإذا لم تر الهلال فسلم * لأناس رأوه بالابصار
وإذا لم تذق ماذاقت الناس فى الهوى * فبالله ياخالى المشك لاتعنفنا

واعلم أن الذكر على الكيفية المذكورة قد تواصل عليه عمل المشايخ الكبار فى سائر المدن والأمصار ووقع الاجماع عليه بعد الاختلاف الكثير فجاز اليوم عند من يعتد به من علماء الأمصار من غير خلف ولا نكير وقد ألف فى جوازه غير واحد من العلماء الأعلام منهم عالم عصره وحافظ قطره الشيخ الامام سيدى أبو العباس أحمد ابن الشيخ الكبير والقطب الشهير سيدى أبى المحاسن الفاسى شارح رائية الشريشى رحم الله جميعهم ورضى عنهم وقد أفاد فى تأليفه فى ذلك وأجاد وفصل القول فيه تفصيلا شافيا أفصح به عن الحقيقة وبين المراد وكذلك ألف فيه أيضا بعده بعض السادات الفاسيين تأليفا حسنا سلك فيه فى تحرير الأدلة وبيان وجوهها شريعة وطريقة مسلكا واضحا مستحسنا وقد من الله تعالى بمطالعتهما معا ورأيت على ظاهر الثانى وهو بخط مؤلفه عدة خطوط لعلماء الوقت كلهم أجازوه وأقروه وقالوا بمضمنه ومن جملة مارأيت اجازته لهم بخط يد خاتمة المحققين وراية العلماء المتفننين المدققين الشيخ أبو العباس الهلال العمرى رضى الله عنه وفى شرح الحصن للشيخ الامام المتفنن المتقى سيدى محمد ابن شيخ الاسلام سيدى أبى محمد عبد القادر الفاسى مايوافق مااشتمل عليه المؤلفان المذكوران فليراجعه جميع من أراده ليزداد تبصرة إن كان مسلما أو يتحقق الأمر على ماهو عليه عساه أن يكون سببا لتسليمه ورجوعه إن كان منكرا أو جاهلا متعلما وفى أمر سيدنا الشيخ رضى الله عنه وفعله بحضرته كفاية لنا فى جوازه وثبوت طريقته ومما يجب أن يعلم منها أن سيدنا الشيخ رضى الله عنه كان يحب الوقوف عند الحدود المحدودة فيه عند السادات الخلوتية من الافتتاح بشىء من القرآن كفاتحة الكتاب والختم بشىء منه أيضا ولو كآخر سورة اليقطين وينبغى أن يقصد المفتتح لاخوانه فى قراءته ذلك الافتتاح بالقرآن العظيم والاختتام به كذلك ومن ذلك أن لايشغل عن فريضة حتى يخرج وقتها المختار فان ذلك والعياذ بالله تعالى من عمل أهل الغرور من المتلاعبين المستهزئين وما لهم بلا شك إلى الخسران المبين ومن ذلك اتحاد الجنس فلايختلط أهل اللغات والنغمات العجمية مع أهل اللغات والنغمات العربية مثلا بل يجب أن يكون الذاكرون جنسا واحدا حتى لايقع تخليط وتشويش يشغل عن الحضور والاستغراق المطلوب فى الذكر فاذا ألجأ الحال واحدا من العجم مثلا إلى أن يذكر مع العرب أو العكس فانه يجب عليه أن يستعمل مايقدر عليه من المتابعة لهم والموافقة بحركته وصوته لحركاتهم وأصواتهم بما أمكن وهو أفضل له من ترك الذكر جملة وكذا يفعل من كان من جنس بعض الفقراء ممن ليست طريقته فى الذكر طريقة الجماعة التى أراد الدخول معهم بأن يتابعهم على طريقتهم بما أمكن قال فى البحر الموروذ أخذ علينا العهود أن نكون هينين

ولا يغفلها إلا من لا خير فيه انتهى وقد خصت مواطن بالتنصيص على استحباب الصلاة عليه فيها فمنها يوم الجمعة وليلتها وزيد يوم السبت والأحد والخميس لما ورد فى كل من الثلاثة وعند الصباح والمساء وعند دخول المسجد والخروج منه وعند زيارة قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وعند الصفا والمروة وفى التشهد الأول لذكر النبي فيه فتندب أو تجب الصلاة فيه لذكره ونص عليه الشافعية وفى التشهد الآخر قبل الدعاء عند المالكية وفى خطبة الجمعة وغيرها من الخطب وعقب إجابة المؤذن وعند الاقامة وأول الدعاء وأوسطه وآخره وعقب دعاء القنوت عند الشافعية وأثناء تكبيرات العيدين عندهم وفى صلاة الجنازة وعند الفراغ من التلبية وعند الاجتماع والافتراق وعند الوضوء وعند طنين الأذن وعند نسيان الشيء وبعد العطاس على أحد القولين وعند الوعظ ونشر العلم وقراءة الحديث ابتداء وانتهاء وعند كتابة السؤال والفتيا ولكل مصنف ودارس ومدرس وخطيب وخاطب ومتزوج ومزوج وفى الرسائل وما يكتب بعد البسملة ومنهم من يختم بها الكتاب أيضا وبين يدى وسائر الأمور المهمة وعند ذكره أو سماع اسمه أو كتابته عند من لا يقول بوجوبها لذلك ولو ذكر فى صلاة نفل على ما روى عن الحسن البصرى والشعبي وأحمد بن حنبل وفى الصلاة عليه عند ذكره أحاديث كثيرة قال السخاوى والأظهر الوجوب اه وقال الكواشى وطريق الأدب والاحتياط أن يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم كلما ذكر اه ثم إنما يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم بنية القربة والاحتساب وقصد التعظيم ورجاء الثواب ولهذا كره العلماء الصلاة عليه فى سبعة مواضع وهى الجماع وحاجة الانسان وشهرة البيع والعترة والتعجب والذبح والعطاس جوابه

لينين فى إخواننا المسلمين ما لم يدعونا إلى مذموم شرعا وفى الحديث الوارد فى تسوية الصفوف ولينوا فى أيدى إخوانكم واعلم يا أخى أن من جملة اللين انك إذا دخلت على جماعة يذكرون الله تعالى على طريقة المغاربة أو العجم وغيرهم أن تذكر كأحدهم فى النغمة والصوت ولا تخالفهم فتشوش عليهم ولا تسكت فيفوتك أجر الذكر وهذا فى حق فقراء لم يكن شيخهم يمنعهم من صحبته من ليس على طريقتهم وإلا فيجب على مريده الوقوف عند إشارته وعدم التعدى لما أمره به علما بأنه لم يأمره بذلك إلا لمصلحة لا علة أخرى لأنهم المبرؤن من دسائس النفس والهوى رضى الله عنهم وقد بلغنا عن بعض الأصحاب أنه دخل مع جماعة من فقراء الوقت فى حلقة ذكر فبمجرد دخوله تثاوب فانقض حنكه الأعلى على الأسفل فأعيي الناس علاجه فكان ذلك سبب موته أعاذنا الله من المخالفة بمنه ورضاه آمين ومن ذلك عدم التمطيط فى الذكر بحيث يخرج فيه إلى حد الغناء المنافى للخشوع أو إلى اللحن الذى لا يسوغ وقد كان أصحاب سيدنا رضى الله عنه يذكرون على الكيفية المذكورة بالقرب منه فسمعهم مرة فعلوا شيئا من ذلك فزجرهم ونادى بأعلى صوته أى شيء فى هذا أى شيء فى هذا لا إله إلا الله لا إله إلا الله ﴿ تنبيه ﴾ كثيرا ما يقع من الفقراء مد هاء لا إله إلا الله أعنى الهاء من إله وكثيرا ما ينكر عليهم فى ذلك وقد سئل عن ذلك بعض العلماء فأجاب بما حاصله أن مدة هذه الهاء فى تلاوة القرآن كقوله تعالى فاعلم أنه لا إله إلا الله ونحوه لا يسوغ لأن القراءة سنة متبعة وأما فى غير التلاوة فالأمر واسع فى ذلك لأن له وجوها فى العربية تقتضيه منها أن لا تعمل عمل إن والله اسمها فهو منصوب منون فيجوز إشباع هائه وصلا اعطاء للوصل ما للوقف

﴿ وربما أعطى لفظ الوصل ما * للوقف نثرا ونشا منتظما ﴾

انظر شروح الألفية وذكر فى الجواب وجوها أخرى لا تطيل بها ثم قال والذاكر فيما وافق لغة العرب فى وجه ولو على وجه القلة والندور عد ذا كرا ومأجورا ولا يعترض عليه فيما أتى به لأن العرب كلهم فصحاء بلغاء وانظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم ليس من امبر امصيام فى امسفر وهو صلى الله عليه وسلم منزه عن اللحن اه باختصار ومن ذلك لما كان الشيخ رضى الله عنه يجب الوقوف عنده من حدود الذكر عدم رفع الأقدام من الأرض وركض الأرض بها حال القيام فى الذكر وهى طريق السادات الخلوتيين خلافا لمن خالفهم فى ذلك وقد كان سيدنا رضى الله عنه لا يقبله يعنى رفع الأقدام وركض الأرض بها ويشدد الزجر لمن صدر منه تابعه على ذلك جميع أصحابه فهو عندهم من الأمر الشنيع فى طريقتنا ومثله التصفيق يعنى فى الذم والشناعة فى طريقتنا ومن ذلك تفعل شيء من الحركات التى تسقط العمامة أو الرداء أو نحو ذلك فان وقع شيء من ذلك عن غلبة وجد فلا بأس به حينئذ ومن التحرز من زعقة وغيرها أثناء الذكر إلا عن غلبة وجد أيضا وقد نقل عن السرى السقطى رضى الله عنه انه قال شرط الواجد فى زعقته أن يبلغ إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لا يشعر به قال فى عوارف المعارف وقد لا يبلغ وجد هذه الرتبة من الغيبة ولكن تكون زعقته كالنفس بنوع إرادة ممزوجة بالاضطرار وأما القيام أثناء هذه الحضرة فلا بأس به ولا إنكار على فاعله سواء كان باختيار أم لا وقد سئل عنه الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى فأجاب بقوله لا إنكار عليه فى ذلك ثم قال فى

على خلاف فى الثلاثة الأخيرة وذكر الشيخ يوسف بن عمر الاكل بدل شهرة البيع وزاد الرصاع ما يصدر من العوام فى الأعراس وغيرها من اشهادهم أفعالهم للنظر اليها بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم مع زيادة عدم الوقار والاحترام بل بضحك ولعب ثم ذكر من المواضع التى نهى عن الصلاة عليه فيها الاماكن القذرة وأماكن النجاسة والله أعلم قاله فى المطالع وفى رشد الغافل ويخشى على قائلها عند رؤية مستقذرا وعند الضحك الكفر كما فى شرح الشفا للشهاب انتهى وينبغى الاكثار منها يوم الجمعة لحديث أكثروا الصلاة على يوم الجمعة قال أبو طالب المكى رضى الله عنه وأقل ذلك ثلاثمائة مرة ذكره فى المطالع الوجه الرابع فى كيفية التربية بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وذلك ان يشخص بين عينيه ذاته الكريمة الشريفة بشرية من نور عليها ثياب من نور طيبة الرائحة وبذلك تنطبع صورته صلى الله عليه وسلم فى روحانية الذاكر ويتألف معها تأليفا يتمكن به من الاستفادة من أسراره والاقتباس من أنواره ثم قال ومن لم يقدر على هذا فليكن كالجالس عند قبره المبارك يشير اليه قاله فى شرح روضة النسرين وقال فى الروض الخصيب واعلم أنه مما يتأكد على المصلى عليه صلى الله عليه وسلم أن يستحضر وقت الصلاة عليه صورته النبوية الكريمة فى مرآة قلبه حتى كأنه بين يديه سائلا من الله الصلاة عليه وذلك أنه اذا واظب المصلى على ماذكر تدوم عليه غاديات أنوار الصورة الكريمة المحمدية ومتى ذهل أو غفل عنها أخطأته وحرمها وسر ذلك أن الذات المحمدية مهبط أنوار الملكوت فان أدام بتصويرته النظر اليها فى حال الصلاة نال الحظ العظيم من أنوار الملكوت الفائضة على روح حبيب الله صلى الله عليه وسلم فينبغى المصلى تجديد ذلك على الدوام فالأنوار الفائضة منه صلى الله عليه وسلم لا تنقطع أبدا فينبغي

---

جوابه وقد سئل هذا السؤال شيخ الاسلام البلقينى فاجاب بمثل ذلك وزاد أن صاحب الحال مغلوب والمنكر محروم ماذاق لذة التواجد ولا صفاله المشروب قال الى أن قال فى آخر جوابه وبالجملة فالسلامة فى تسليم حال القوم ثم قال وأجاب أيضا بمثل ذلك بعض أئمة الحنفية والمالكية كلهم أجابوا بالموافقة من غير مخالفة ثم قال أقول وكيف ينكر الذكر قائما والقيام ذاكرا وقد قال الله تعالى «الذين يذكرون الله قياما وقعودا ـ الآية» وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله فى كل أحيانه وان انضم الى هذا القيام رقص أو نحوه فلا انكار عليهم فى ذلك لأنهم من لذة الشهود والمواجيد وقد ورد حديث رقص جعفر بن أبى طالب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال له أشبهت خلقى وخلقى وذلك من لذة هذا الخطاب ولم ينكر صلى الله عليه وسلم فكان هذا أصلا فى رقص الصوفية لما يدركونه من لذة المواجيد قال وقد صح القيام والرقص فى مجالس الذكر والاستماع عن جماعة من كبار الأئمة منهم شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام اه بلفظه والمراد بالرقص التمايل يمينا وشمالا وهو الذى عليه السادات الخلوتية وفى رسالة ألفها فى آداب الذكر الاستاذ الحفنى أحد أركان الطريقة الخلوتية رضى الله عنه وقد جرى له ذكر القيام فى الذكر ما نصه وينبغى للذاكر أن يكون فى غاية الخشوع والأدب ملاحظا للمذكور كأنه واقف بين يديه ولا يضره التمايل يمينا وشمالا الى أن قال ولا عبرة بما انكر به بعض الناس على القوم فى التمايل وقالوا لم يرد بذلك نص وانما ورد الحث على ذكر الله من غير تمايل قال والجواب أن الحافظ أبا نعيم روى عن الفضيل بن عياض أنه قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكروا الله تعالى تمايلوا يمينا وشمالا كما تتمايل الشجرة فى الريح العاصف الى قدام ثم رجع الى وراء ثم قال فاغتنم يا أخى ذلك وان كنت منكرا ولابد فانكر على أهل المحرمات بالنص اه وذكر فى هذه الرسالة من فوائد التمايل المذكور أنه يزيد فى النشاط للذكر ومما يجب أن يلتحق بالأمور التى يجب التحرز منها فى الذكر على هذه الطريقة حضور الاحداث دينا وسنا أما الحدث دينا ما كالمتزهد الذى لا ذوق عنده وشأنه أن ينكر ما لا ينكر أو كصاحب دنيا مستغرق قلبه وفكره فى حبها وشأن هذا أن يحوج غيره الى المداراة الكثيرة الخارجة الى حد التكلف أو كمتكلف للوجد وشأنه أن يشوش الوقت على الحاضرين وهؤلاء الاصناف الثلاثة فى صحبتهم عناء كبير على أهل الصدق والارادة ما لم تطهر نفوسهم مما شأنهم من الشؤن المذكورة اللازمة لهم ما داموا احداثا فى الطريق وقد كره القوم حضور أمثالهم فى الذكر بالسماع بانهم غير جنسهم وقد تقدمت الاشارة الى أن الجنسية فى هذا الباب مشترطة عند أهل الطريق وهى صادقة عندهم بما تقدم وبهذا أيضا فافهم ذلك وأما الحدث سنا فانه مظنة للفتنة ولاسيما ان كان ذا وضاءة وصوت حسن واتخذ حاديا للقوم فان الأمر فيه خطر جدا وتجنب مثل هذا فى كل مجلس ومجتمع واجب ولاسيما فى مجالس الذكر التى يتعرض فيها لما يرد على القلب من الفتح والسرور قولنا فانه مظنة للفتنة قال ابن الصلاح ليس المراد بخوف الفتنة غلبة الظن لوقوعها بل يكفى أن يكون ذلك نذيرا قلت وكيف يكون نذيرا وقد قال الشيخ مولانا عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه أما النظر اليه أعنى الحدث كله شر ما فيه ذرة من خير اه قال بعضهم وكثير من الناس لا يقدمون على الفاحشة ويقتصرون

للمصلى أن يجلبها اليه من الحبيب فى صلواته و ينبغى أن يكون كلما خرج عن هذا عاد اليه حتى يستصحبه ذلك و يستمر حالة لازمة له ولو فى أغلب الأحوال لأن الموانع كثيرة جداً ترد عليه انتهى وقد تقدم فيما كتبناه على الوصية الثانية ما يقصده المصلى بصلاته ومراتب ذلك فلينظر هنا لك الوجه الخامس فى بيان غناه صلى الله عليه وسلم عن ثواب الصلاة عليه وان نفعها راجع إلى المصلى عليه قال شيخنا سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه وأرضاه اعلم أنه صلى الله عليه وسلم غنى عن جميع الخلق فرداً فرداً وعن صلاتهم عليه وعن اهدائهم ثواب الأعمال له صلى الله عليه وسلم بربه أولا وبما منحه من سبوغ فضله وكمال طوله فهو فى ذلك عند ربه فى غاية لا يمكن وصول غيره اليها ولا يطلب معها من غيره زيادة وافادة يشهد لذلك قوله سبحانه «ولسوف يعطيك ربك فترضى» فان الحق تعالى يعطيه من فضله على سعة ربوبيته و يفيض على مرتبته صلى الله عليه وسلم على قدر حظوته ومكانته عنده فما ظنك بعطاء يرد من مرتبة لا غاية لها وعظمة ذلك العطاء على قدر تلك المرتبة ثم يرد على مرتبة لا غاية لها أيضا وعظمته على قدر وسعها أيضا فكيف يقدر هذا العطاء وكيف تحمل العقول سعته ولذا قال سبحانه وكان فضل الله عليك عظيما و إذا عرفت هذا فاعلم أنه ليست له حاجة إلى صلاة المصلين عليه صلى الله عليه وسلم ولا شرعت لهم ليحصل له النفع بها صلى الله عليه وسلم و إنما أمر الله العباد بالصلاة عليه ليعرفهم علو مقداره عنده وشفوف مرتبته لديه وعلو اصطفائه على جميع خلقه و يخبرهم أنه لا يقبل العمل من عامل إلا بالتوسل بالله به صلى الله عليه وسلم فمن طلب القرب منه تعالى دون التوسل به صلى الله عليه وسلم معرضا عن كريم جنابه كان مستوجبا من الله

على مجرد النظر والمحبة و يعتقدون أنهم سالمون من الاثم وليسوا سالمين اه وذكر عن رجل من الصالحين أنه نظر إلى صبى حسن الوجه وقال تبارك الله أحسن الخالقين فجاءه سهم فقلع عينه فبات تلك الليلة وهو مهموم بسبب ذلك فرأى الحق سبحانه وتعالى فى المنام وهو جل وعلا يعاتبه بسبب نظره فقال يارب إنما نظرت بعين الاعتبار والتفكر فى خلقك فقال له الحق تبارك وتعالى نظرت بعين الاعتبار فرميناك بسهم الأدب ولو نظرت بعين الشهوة رميناك بسهم الحرمان اه انظر الرسالة وشروحها ومن ذلك أيضا حضور النساء بالقرب من حلق الذكر بحيث يسمعن نغمة الحادى و ينظرن إلى الرجال الذاكرين لما فى ذلك من المفسدة المحققة عند كل لبيب نبيل ولاسيما فى هذا الزمان الرذيل الذى تراكمت فيه الفتن وعظمت فيه المحن فلا يقر على هذا الفعل إلا من لم يشفق على نفسه ودينه والعياذ بالله تعالى وفى الحديث باعدوا بين أنفاس الرجال وأنفاس النساء أو كما قال عليه الصلاة والسلام وقال بعض العارفين ما أيس الشيطان من انسى قط إلا أتاه من قبل النساء وقال سفيان قال ابليس لعنه الله سهمى الذى إذا رميت به لم أخطىء النساء والعجب ممن يقرهن على الحضور بالزاوية وجلوسهن بحيث يتوسمن وجوه الداخلين والخارجين منها و بحيث يسمعن صوت الحادى وهو يعلم ما فى ذلك من المفسدة المحققة مع ما يعلمه من سيرة سيدنا الشيخ رضى الله عنه ولو لم يكن إلا ما ثبت عنه رضى الله عنه من أنه أقر القيم على ما آربه فى الليلة التى توفى رضى الله عنه صبيحتها أن يدعو ثمانية نفر من خاصة أصحابه الأتقياء الأبرياء ليبيتوا معه ثم بعد أن خرج فى طلبهم دعا بالقيم فقال له انى فكرت فيما كنت أمرتك به من إعلام أصحابنا للمبيت معنا فعلمت انى لا أستغنى عن الخدم والرجال والنساء لا يمكن اجتماعهم بمكان واحد و يغلب على الظن انه رضى الله عنه قال له وقد قال صلى الله عليه وسلم باعدوا بين أنفاس الرجال الحديث السابق لكان كافياً هذا مع ما ترى عنه رضى الله عنه من أن يده لم تصافح يد امرأة قط عند التلقين للورد وكان يأمر ذوى محارمهن أن يلقنهن وربما لقن بعضهن بالكلام فقط ومن المتواتر أنه كان لا يتركهن ان يواجهنه عند زيارتهن له وطلبهن الدعاء منه و إنما كان يأمرهن أن يقفن خلفه من بعد فيعلمه القائم بين يديه من أصحابه الأخيار الأتقياء الأبرار بهن وبمطالبهن فيدعو لهن كل ذلك كان يفعله رضي الله عنه متابعة للسنة وسداً للذريعة فى هذه المفسدة التى هى محالة أشد بلية وأعظم فتنة فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم وما ذكرت هذا إلا أداء للنصيحة الواجبة فى الدين وخصوصا لاخواننا وأصحابنا وأهل طريقنا الذين لهم الحق الأكيد علينا ولا أظن أن أحداً ممن يقف عليه يكابر فيه أو تشرئب نفسه إلى البحث فيما تضمنه واشتمل عليه لأنه الصراط المستقيم المأمور باتباعه دون السبل التى تتفرق بمتبعيها على سبيل الحق والهدى القويم

ونهج سبيلى واضح لمن اهتدى * ولكننا الاهواء عمت فأعمت

﴿ تتمة ﴾ تزيد المستفيد فائدة فى هذه النازلة المهمة رأيت فى جواب لسيدى أبى القاسم بن خجوا فيما يتعلق بهذه المسألة قال فيه بعد أن صدره بقوله قال تعالى «أفمن زين له سوء عمله» فرآه حسنا ما نصه هذا الفعل يعنى مخالطة النساء الأجنبيات للرجال لا يحل ولا يسوغ لمن كان يؤمن

بالله واليوم الآخر إذ مخالطة النساء الأجنبيات لا يتعاطاها مع السلامة من الخلوة ذو عقل سليم إلى آخر كلامه الذى قال فيه ولا ينبغى أن يتخذ شيخا إلا عالما سنيا عالما بالعلم الظاهر والباطن عالما بالكتاب والسنة وأجماع الأمة متنزها عن الطمع وهوى النفس والاهواء المضلة كسيدى عبدالله الهبطى ومن ضارعه من السادات الأخيار الملازمين لسنة النبي المختار ومن كان يدعو إلى الله تعالى ويتعاطى غير سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو محمود فى دعائه إلى الدين مذموم وملوم فى تعاطيه مايخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فينبغى أن يؤمر بالتوبة والاتباع وينهى عن المخالفة والابتداع ثم قال وخلوة النساء أفضل لهن يعنى أفضل وجوه العبادات فى حقهن قال فمن أرادت أن تزور سيدى فلان وسيدى فلان وذكر جماعة من الصالحين فلتزره فى بيتها تدعو له وتهدى فهو أفضل لها فالعاقلة الدينة تزور جميع الأنبياء والملائكة والأولياء فى بيتها والحمقاء الجاهلة المستخفة فى دينها تطاوع هواها ويأخذ الشيطان بناصيتها ويقودها إلى المهالك والبدع المحرمة ثم قال فى آخر الجواب وقيل لسودة أم المؤمنين رضى الله عنه لم لا تحجين ولا تعتمرين فقالت قد حججت واعتمرت أمرنى الله أن أحج فى بيتى قال قال الراوى والله ما خرجت من باب حجرتها حتى خرجت جنازتها رضى الله عنها وقولها أمرنى الله تعالى أن أحج فى بيتى أشارت به رضى الله عنها إلى قوله تعالى لهن وقرن فى بيوتكن والله تعالى أعلم وفى هذا القدر مما قيدناه على كلام الناظم هنا كفاية عميمة ان شاء الله تعالى ثم تمم الناظم الكلام فيما يتعلق بهذه الوظيفة أعنى وظيفة الجمعة التى هى آخر الأذكار اللازمة فى الطريق فقال.

﴿ ومن يفته وقتها لا يلزمه * قضاؤها بلا خلاف أعلمه ﴾
﴿ وتركها يفيت خيراً جما * إلا لعذر عارض ألما ﴾
﴿ يكفيك فى الفضل حضور المصطفى * صلى عليه ربنا وشرفا ﴾

أراد أنه لا قضاء عندنا فى هذا الذكر أعنى ذكر الهيللة بعد عصر يوم الجمعة إذا فات وقته وهو كما عرفته من صلاة العصر يوم الجمعة إلى غروب الشمس ثم ان كان فاته لعذر عرض له فى الوقت فلا بأس ويرجى أن يكتب له أجره بفضل الله تعالى إنما الأعمال بالنيات ونية المؤمن من خير من عمله وإن فوته لغير عذر فقد فوت على نفسه خيراً كثيراً وضيع نفسه فى فضل كثير ولو لم يكن إلا الاستمداد من الحضرة المصطفوية صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم لأنه ثبت عن سيدنا الشيخ رضى الله عنه ان من فضائل هذه الحضرة حضور المصطفى صلى الله عليه وسلم فيها وهو الذى عقد فى هذه الأبيات الثلاث هو غالب لفظه فى الجامع فاياه أعتمد فى ذكره الحضور المذكور إذ لم يذكره فى جواهر المعانى ولعل مؤلف الجامع سمعه من الشيخ رضى الله عنه بعد وفاة مؤلف الجواهر والله أعلم وعلى كل حال فهو مما لا يقوله أحد من عنديته وخصوصاً من كان مثل صاحب الجامع من خاصة أهل الخير والصلاح رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته آمين (دقيقة) قد عرفت تواطؤ جل مشايخ التحقيق فى مشارق الأرض ومغاربها على اختيار يوم الجمعة لهذه الحضرة وقد علمت أن المقصود الأهم من هذه الحضرة وخصوصاً على الكيفية المخصوصة باسماع استجلاب الوجد واثارة كامن أنوار العرفان فكأنهم رضى الله عنهم أرادوا أن يسير السالك بذلك أحواله وأقواله فى ذلك الاسبوع فتجنى ثمرة أقواله وأفعاله من أحواله فى الاسبوع كله يوم

جميع التوجهات والمطلب لاغير هذه من توهم النفع له بها صلى الله عليه وسلم لما ذكرناه سابقا من كمال الغنى أولا فمن توهم أنه يزيده به صلى الله عليه وسلم أو يحصل به نفعا فهو كمن رمى نقطه قلم فى بحر طوله مسيرة عشر مائة ألف عام وعمقه كذلك متوهما أنه يمد هذا البحر بتلك النقطة ويزيده فأى حاجة لهذا البحر بهذه النقطة وما عسى أن تزيده فيه ثم ضرب رضى الله عنه لاهداء الثواب له صلى الله عليه وسلم مثلا بملك ضخم المملكة خزائنه مملوءة من كل شىء فسمع به فقير لا يملك إلا خبزتين فاحبه وعظمه فاهدى احدى الخبزتين معظما له ومحبا والملك متسع الكرم فلا شك أن الخبزة لا تقع منه ببال لما هو فيه من الغنى ثم الملك لسعة كرمه علم فقر الفقير غاية جهده وعلم صدق حبه وتعظيمه فى قلبه وانه ما هدى له الخبزة إلا لأجل ذلك فالملك يظهر الفرح والسرور بذلك الفقير وبهديته لأجل تعظيمه له وصدق حبه لا لأجل انتفاعه بالخبزة ويثيب على تلك الخبزة بما لا يقدر قدره من العطاء لأجل صدق المحبة والتعظيم لا لأجل النفع بالخبزة وعلى هذا التقدير وضرب المثل قدر اهداء الثواب له صلى الله عليه وسلم انتهى باختصار وهو فى غاية من الحسن لا تجارى والله تعالى يجزيه عنا أحسن ما جوزى به شيخ عن مريد وأما توجيه ماذكر الشيخ فى المحافظة على الطمأنينة فقد تقدم فى الباب الخامس ولفظ الصلاة التى تقرأ بعد عصر الجمعة وليلتها اللهم صل على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم وأما دعاء يامن أظهر الجميل فلفظه اللهم

يامن أظهر الجميل وستر القبيح ولم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر ياعظيم العفو ويا حسن التجاوز ياواسع المغفرة ويا باسط اليدين بالرحمة وياسامع كل نجوى ويا منتهى كل شكوى ويا كريم الصفح ياعظيم المن ويامبدئا بالنعم قبل استحقاقها يارب ويا سيدى ويا مولاى ويا غاية رغبتى أسألك أن لا تشوه خلقتى بالبلاء فى الدنيا ولا بعذاب النار ومن فضل هذا الدعاء ماذكره الشيخ رضى الله عنه فى بعض وصاياه أن جبريل أهداه للنبى صلى الله عليه وسلم وذكر أن ثوابه لا يقدر واصف أن يصفه وان من جملته أن من قراه يعطى من الثواب عددما خلق فى السموات السبع وفى الجنة والنار والعرش والكرسى وعدد قطر المطر والبحار وعدد الحصى والرمل وذكر أنه صحيح ثابت فى صحيفة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وجده عبد الله بن عمرو من أكابر الصحابة قال صححه الحاكم وقال رواته كلهم مدنيون انتهى وقد حض رضى الله عنه فى هذه الوصية على بذل المجهود فى تطييب اللقمة بطلب الحلال والتباعد عن الحرام لأن أكل الحلال منشأ للطاعة وأكل الحرام منشأ للمعصية وفى الحديث من أكل الحلال أطاع الله أحب أم كره ومن أكل الحرام عصى الله أحب أم كره وقد قال بعض الفقراء كل ماشئت فمثله تفعل واصحب من شئت فانك على دينه ويقال التوفيق بين الماء والدقيق ومعنى ذلك أنهما اذا كانا طيبين نشأ عنهما توفيق قلبه وجوارحه والتوفيق توجيه الاعانة من الله تعالى لعبده بهدايته أى بارشاد لما يوافق أمره التكليفى بخلق القدرة على قال مايريده منه وهذا أدل دليل على شفقته وكمال نصحه رضى الله عنه ﴿الوصية الرابعة﴾ وهى مما كتب به إلى أصحابه فقراء الأغواط

الجمعة باستغراقه فى الحضرة على قدر استعداده وذلك لأن يوم الجمعة يوم المزيد لكل صادق وقد ذكر واعلى بعضهم أنه كان يجعل مايجده عند الجمعة محكا يعير به أحواله فى سائر الأسبوع الذى مضى فانه إذا كان الأسبوع سالما يكون له يوم الجمعة مزيد الأنوار وإذا كان الأسبوع على العكس كان الأمر بخلاف ذلك مما يجده السالك من ظلمة القلب وساءمة النفس وقلة انشراح الصدر يوم الجمعة فهو مما ضيعه فى الأسبوع والرجاء قوى أنه إذا جاهد نفسه فى ساءمتها ودخل الحضرة واستعمل ماأمكنه من الحضور وانجبر حاله فيما ضيعه فى الأسبوع ببركة الذكر والذاكرين وشفاعة الشافعين والله تعالى أعلم وأحكم ثم قال الناظم رحمه الله تعالى ورضى عنه

﴿خاتمة فى فضل الياقوتة الفريدة وجوهرة الكمال فى مدح سيد الرجال﴾

لايخفى على من خص بمزيد العقل والفهم وجه جعل الناظم رحمه الله تعالى الكلام فى هذا الغرض الأهم خاتمة لما اعتمده من الفصول والمسائل فى هذا النظم ومن ذلك التفاؤل بأن تكون خاتمة أمره فى عمره كله إفاضة الفضل عليه من واسع الفضل بمحض فضله وفى افتتاحه الكلام فى فصول الطريقة بعد ذكر سندها بفضل فضلها على الاجمال وختم ذلك بالكلام فى فضل مااختصت به من الاذكار التى لاتنال إلا بمحض الامتنان والافضال إشارة إلى أن دائرة أهل هذه الطريقة السنية دائرة الفضل المحض الذى لاسبب له إلا العناية الأزلية فأما الياقوتة الفريدة فهى صلاة الفاتح لما أغلق وسماها بذلك سيدنا الشيخ رضى الله عنه كما تقدم وأما جوهرة الكمال فى مدح سيد الرجال صلى الله عليه وسلم فهى الصلاة المعروفة عند أهل هذه الطريق وهى أحد أركان الوظيفة حسبما تقدمت الاشارة اليه ثم الصلاتان الشريفتان كلتاهما من جملة الأسرار التى يتلقاها الكمل من العارفين الكبار فى مقاماتهم الخاصة الشهودية أما من الحضرة القدسية كتلقى القطب سيدى محمد البكرى للأولى على ماسيتضح قريبا إن شاء الله تعالى أو من الحضرة المحمدية عليه الصلاة والسلام فى حالة اليقظة أو حال المنام كتلقى سيدنا الشيخ رضى الله عنه للثانية على ماسينص قريبا أيضا هنا بحول الله تعالى والكل من الثابت المعروف عند أربابه ومن الحق المعمول به فى بابه والفضل المذكور هنا للصلاتين معا كله مما تلقاه الشيخ رضى الله عنه من الحضرة المحمدية صلى الله عليه وسلم ومن المقرر عند العلماء الأعلام أنه يعمل بجميع مايتلقاه العارفون منه عليه الصلاة والسلام سواء فى اليقظة أو المنام مالم يصادم شيئا من النصوص القطعية أو يؤدى إلى انخرام قاعدة شرعية والقاعدة الشرعية فى هذا الباب حسبما ذكره الشيخ رضى الله عنه ٧ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى فى فتاويه أنه ليس لأحد أن يحكم على ذكر أو دعاء لم يرد بمقدار معين من الأجر قال لأن ذلك مرجعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقد علم أن اخباراته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم عام وهو ماأمر صلى الله عليه وسلم أن يخاطب به عامة الناس وذلك كتشريع الشرائع وتحديد الأحكام وتبيين الفرض من النفل والحلال من الحرام وهذا القسم انقطع بوفاته صلى الله عليه وسلم والقسم الثانى خاص وهو ماأمر صلى الله عليه وسلم أن لايخاطب به إلا الخواص وهذا لم ينقطع بوفاته صلى الله عليه وسلم فلا يزال يلقيه إلى آخر الدهر لمن أهله الله لذلك لحكم الاختصاص

يتحدث بما أنعم الله به عليه ونصها بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يصل الكتاب إلى أيدى أحبابنا وأصفيائنا فلان بن فلان وكافة الفقراء الذين معهم بالاغواط كل واحد باسمه وعينه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته من كاتبه اليكم العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن محمد التجانى وبعد نسئل الله عز وجل أن يتولاكم بعنايته وأن يفيض عليكم بحور فضله وولايته وأن يكفيكم هم الدنيا والآخرة وأن ينجيكم من فقر الدنيا وعذاب الآخرة يليه اعلامكم أن فضل الله لا حد له وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وأقول لكم ان مقامنا عند الله فى الآخرة لا يصله أحد من الأولياء من عصر الصحابة الى النفخ فى الصور ليس فيهم من يصل إلى مقامنا ولا يقاربه لبعد مرامه عن جميع العقول وصعوبة مسلكه على أكابر الفحول ولم أقل لكم ذلك حتى سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم تحقيقا وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصى ما بلغوا إلا أنا وحدى ووراء ذلك مما ذكر لى فيهم وضمنه لهم صلى الله عليه وسلم أمر لا يحل لى ذكره ولا يرى ولا يعرف إلا فى الآخرة ومع هذا كله فلسنا نستهزىء بحرمة سادا تنا الأولياء ولا نتهاون بتعظيمهم فعظموا حرمة الأولياء الأحياء والأموات فان من عظم حرمتهم عظم الله حرمته ومن أهانهم أذله الله وغضب عليه فلا نستهينوا بحرمة الأولياء والسلام انتهت هذه الوصية ولا يقال هذا من باب تزكية النفس المؤذنة برؤيتها وشهودها منها لأن ذلك انما يتصور من ضعفة الأحوال وأهل البداية من الرجال ممن يخاف عليه الوقوع فى الرياء أو السمعة والسكون أو الركون وأما من كان فى مرتبة الشيخ ممن تحقق بالمعرفة ومشاهدة الوحدانية فله الاخبار بذلك أداء لحق واجب الشكر وتحدثا بنعمة الله عليه وتنشيطا للطلبة

قال سيدنا الشيخ رضى الله عنه بعد أن أجاب عن سؤال سائل عن المسئلة بمثل التفصيل المذكور ما نصه ومن توهم أنه صلى الله عليه وسلم انقطع جميع مدده عن أمته صلى الله عليه وسلم كسائر الأموات فقد جهل رتبة النبى صلى الله عليه وسلم وأساء الأدب معه ويخشى عليه أن يموت كافراً ان لم يتب من هذا الاعتقاد وقد عرفت أن جميع ما هو مذكور عن شيخنا رضى الله عنه مما تلقاه من الحضرة المحمدية صلى الله عليه وسلم فى فضل هاتين الصلاتين ليس فيه مصادمة للنصوص القطعية ولا ما يؤدى الى انخرام القواعد الشرعية إذ غايته أنه اخبار عدل عنه صلى الله عليه وسلم بذكر غير خارج عن معنى ما أتى به ولا منحرف عن أصول دينه القويم وبتضعيف الأجر الثابت أصله فى الكتاب والسنة والله يضاعف لمن يشاء وفى الحديث بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وقد تقدمت الاشارة اليه فافهم والله يتولى هدانا جميعا بمنه قال الناظم رحمه الله تعالى

﴿ أما صلاة الفاتح الحسنى التى * يدعون بالياقوتة الفريدة ﴾
﴿ ففضلها على مراتب انقسم * وجلها عن الخلائق انكتم ﴾

وصف صلاة الفاتح الحسنى لما اشتملت عليه من وجوه الحسنى والحسية والمعنوية التى لا تكاد تنحصر ويكفى ما أبداه من ذلك فى كتاب ميزاب الرحمة الربانية وقوله (التى يدعون الخ) قد قدمنا أن الشيخ رضى الله عنه هو الذى سماها بذلك ووجه التسمية فى غاية الوضوح ومراتب الفضل المذكور سبع أو ثمان وقوله ( وجلها الخ ) انما انكتم لأنه مما لا ينال إلا بالذوق والتعريف الالهى ومن كان سبيله ذلك لا يفشيه من فتح عليه فيه إلا باذن لاغير وأشار الناظم بهذا إلى ماذكره سيدنا رضى الله عنه فى فضل هذه الصلاة وهو أن لها من الفضل سبع مراتب أو ثمان مراتب وأن الذى ذكر من فضلها هو جزء من المرتبة الأولى وغير ذلك كله مكتوم ثم قال رحمه الله تعالى

﴿ ومن سوى المكتوم أن من تلا * من هذه الصلاة عشرا حصلا ﴾
﴿ ما لم يحصله ولى سام * قدراً وعاش ألف ألف عام ﴾

أشار بهذا الى بعض فضل الياقوتة الفريدة فى مرتبتها الظاهرة وهو أن سيدنا رضى الله عنه سئل عن فضلها فقال من ذكرها عشر مرات لو عاش العارف ألف ألف سنة كان ذاكرها عشراً أكثر منه ثواباً يعنى العارف الذى لم يذكرها اه ذكره فى الجامع وهو من باب تضعيف الأعمال بالاضعاف الكثيرة واعلم أن من المقرر عند العلماء فى التضعيف أنه يكون تارة باعتبار لفظه كاشتماله على جميع الأوصاف السلبية والذاتية والفعلية ومثلوا ذلك بنحو ذى الجلال والاكرام ونحوه قالوا ولا شك أن الثناء بالأتم أبلغ من الاخص والخاص وكاشتماله على ما يؤذن بالتضعيف نحو سبحان الله عدد خلقه ونحو ذلك كقوله فى هذه الصلاة حق قدره وهو ظاهر وخصوصا على رأى من أخذ بظاهره عملا على ما هو اللائق بالكرم وقد تقدم بعض ما يوضحه وتارة يكون باعتبار الأشخاص فان عبادة أهل المراتب ليست كعبادة غيرهم فى الفضل وهم أيضا متفاوتون بحسب تفاوت مراتبهم فمنهم من يومه كليلة القدر ومنهم من يومه

وترغيبا للسالكين المسترشدين واعلاما لأصحابه ليكون اعتقادهم فيه على حسبه وموجبه ومقام الشيخ مقام النصيحة لعباد الله والدعاء لهم الى الله فظهور ما أظهره ليس بارادته لنفسه لكن بارادة الله تعالى كما هو اللائق بكل العارفين وعلى ذلك قول يوسف عليه السلام «اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم» وقوله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وقد كان بعض السلف يصبح فيقول صليت البارحة كذا وكذا ركعة وتلوت كذا وكذا سورة فيقال له أما تخشى الرياء فيقول وهل رأيتم من يرائى بفعل غيره وكان آخر يفعل مثل ذلك فيقال له لم لا تكتم ذلك فيقول ألم يقل الله سبحانه «وأما بنعمة ربك فحدث» وأنتم تقولون لا تحدث وقد ألف الامام الشعرانى فى التحدث بالنعم تأليفا سماه لطائف المنن والأخلاق فى بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الاطلاق وهو كتاب جليل ضخم مفيد ذكر فيه ما من الله به عليه من الأخلاق الحميدة وكذلك الجلال الامام السيوطى ألف تأليفا سماه نزول الرحمة فى التحدث بالنعمة من جملة كلامه فيه وربما استحسن من الانسان ذكر محاسنه فى مواضع منها التحدث بالنعمة امتثالا لقوله تعالى «وأما بنعمة ربك فحدث» أخرج ابن أبى حاتم عن الحسن بن على رضى الله عنهما فى قوله تعالى «وأما بنعمة ربك فحدث» قال إذا أصبت خيراً فحدث إخوانك وعن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر ومنها إذا لم ينصف أو نوزع أو كان بين قوم لا يعرفون مقامه واستدلوا لذلك بأن أبا بكر الصديق لما ولى الخلافة خطب فقال أما بعد أيها الناس فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم فجرى على قاعدة التواضع ثم بلغه عن بعض الناس كلام فخطب فقال ألست أحق الناس بها

بألف سنة ومنهم من يومه كيوم المعارج بخمسين ألف سنة قاله سيدنا رضى الله عنه وأشار اليه الشيخ زروق رضى الله عنه وكذا ابن عطاء الله وقد يعظم فضل الله تعالى على أهل المراتب فيسرى سر التضعيف فى المذكورين لاتباعهم بسبب إذنهم لهم فيحصل للمأذون له قسط مما للآذن وإن لم يجاهد مجاهدته وقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه أنا تحملت التعب عن أتباعى ومثله قول سيدنا فى حق أصحابه وهذا لهم من أجلى وذلك لما خصوا به من الفضل وتارة يكون باعتبار الأزمان وتارة باعتبار الأمكنة كالعمل فى الحرمين الشريفين على ما ورد فى ذلك وإذا عرفت هذا فاعلم أن هذه الصلاة الشريفة أعنى صلاة الفاتح لما أغلق قد اشتملت من الوجوه التى تكون سببا للضعف المذكور على ما لا يخفى فانها اشتملت على نداء الله تعالى بالاسم الجامع للذات والصفات والأفعال على ما مر بيانه وهو يتضمن الثناء عليه سبحانه بما هو أعم وجوه الثناء واشتملت من الثناء على حبيبه الأعظم ورسوله الأكرم على أبلغ الثناء وأعم المدح حسبما يفيده فيما يشير الى معناها على جهة الاختصار مع ما اشتمل عليه قوله فيها حق قدره ومقداره العظيم وهذا باعتبار لفظها وأما باعتبار الأشخاص فيكفى ما مر عن الشيخ رضي الله عنه من الفضائل التى أعطاها الله تعالى لأهل هذه الطريق من المحبوبية المفاضة عليهم من الحضرة المحمدية عليه الصلاة والسلام مع ما انضاف الى ذلك من المزايا العظام والخصوصيات الجسام هذا مع حصول الاذن فى الصلاة المذكورة من أستاذ هذه الطريقة الذى هو الختم الأكبر المحمدى وهو عن سيد الوجود بلا واسطة حسبما تقدم بيانه وأما باعتبار الأزمان فمن حيثية كونهم فى آخر الأزمان الذى ورد الخبر بأن القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر وأن للعامل من أهل هذا الزمان أجر الخمسين منا أو منهم قال صلى الله عليه وسلم منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا وهم لا يجدون عليه أعوانا فتأمل ما ذكرناه ولا تظن أننا أردنا به التسور على إدراك ما انبهم عنا بسبب التضعيف المذكور بل الذى نعتقد وندين الله به أن الله تعالى تفضل بذلك بمحض جوده وكرمه إما بلا سبب أو بسبب لا يدركه أمثالنا إلا بتعريف من الله تعالى وإنما ذكرنا شيئا مما يتعقل فى ذلك ظاهراً ليستأنس به أمثالنا الضعفاء فيما يرونه هنا من فضل هذه الصلاة لا غير والله تعالى أعلم ثم قال

﴿ وعدم الاحباط للذى فعل * ما هو فى سواها يحبط العمل ﴾

أشار بهذا الى أن من فضائل هذه الصلاة الشريفة وخصوصيتها السامية المنيفة أنه إذا صدر من المصلى بها بعض ما يحبط الأعمال فانها لا تحبط هى فى جملة ما يحبط بفضل الله تعالى ذكره فى الجامع عن سيدنا الشيخ رضى الله عنه ثم قال رحمه الله تعالى

﴿ ومرة واحدة تقرأ من * هذا تكفر الذنوب وتزن ﴾
﴿ من كل تسبيح وذكر وقعا * ستة آلاف ومن كل دعا ﴾

أشار بهذا الى ما ثبت عن سيدنا الشيخ رضى الله عنه من أن المرة الواحدة من صلاة الفاتح لما أغلق الخ تكفر ذنوب العبد ولفظه رضى الله عنه فى الرسالة الأولى من رسائله ووصاياه واعلموا أن الذنوب فى هذا الزمان لا قدرة لأحد على الانفصال عنها فانها تنصب على الناس كالمطر الغزير ولكن أكثروا من مكفرات الذنوب وآكد ذلك صلاة الفاتح لما أغلق فانها

ألست أول من أسلم ألست صاحب كذا ألست صاحب كذا فحدث بمناقبه وأثنى على نفسه بمحاسنه عند ما تكلم بعضهم فى مبايعته أنظر الروض الخصيب ﴿ الوصية الخامسة ﴾ وهى مما كتب به إلى كافة الفقراء ونصها بعد البسملة وتوابعها و بعد فنسأل الله لكافتكم وخاصتكم أن يفيض عليكم بحور العناية والمحبة منه والرضى منه سبحانه وتعالى على طبق ما منح من ذلك

لا تترك من الذنوب شاذة ولا فاذة هذا معنى قوله مرة واحدة الخ وقوله تزن من كل تسبيح الخ أشار به إلى ما ثبت عنه رضى الله عنه أيضا من أن المرة الواحدة من هذه الصلاة الشريفة تعدل من كل تسبيح وقع فى الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ستة آلاف مرة فاقدر إذا قدر ما أعد الله للمصلى بهذه الصلاة فان جميع ما فى الكون جامده ومتحركه ذرة ذرة يسبح بحمد الله تعالى كما قال تعالى « و إن من شىء إلا يسبح بحمده ـ الآية » ثم قال رحمه الله تعالى

﴿ ومرة منها بست مائه * ألف من الواقع فى البريه ﴾

﴿ من صلواتهم لوقت الذكر * وهى تضاعف بهذا القدر ﴾

أشار به إلى ما فى الجواهر والجامع من بيان تضعيف ثواب صلاة الفاتح لما أغلق وهى أن المرة الأولى منها إذا أتى بها المصلى تضاعف له بستمائة ألف صلاة من صلاة كل ملك و إنس وجن من أول خلقهم إلى وقت تلفظ الذاكر بها والمرة الثانية مثلها وتكتب له الأولى بستمائة ألف صلاة وهكذا إلى انقطاع ذكر الذاكر لها بالموت وهذا أمر يبهر العقول والله ذو الفضل العظيم فقوله البرية أراد الملائكة والآدميين والجن وأما غيرهم من المخلوقات فهو داخل فى قوله من كل تسبيح وذكر وقع فى الكون الخ ذكره فى الجامع و يدخل فى البرية المصلى نفسه إذ صلاته من جملة الواقع فى البرية من الصلوات كما يدخل فى الصلاة الواقعة فى البرية صلاة الفاتح الخ فيضاعف للمصلى بها جميع الصلوات التى وقعت فى البرية حتى صلاة الفاتح نفسها بجميع ما اشتملت عليه من التضعيف فى كل مرة من وقت صلاة المصلين بها إلى وقت التلفظ بها بستمائة ألف مرة وهو معنى قوله وهى تضاعف بهذا القدر وهذا من باب مضاعفة أفراد الثواب المجازى به على الحسنة المفعولة وقد قال العلماء بجوازه وقد نقل بعض شراح الرسالة عن القرطبى فى شرح مسلم فى حديث من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحديث ما هو صريح فى ذلك ثم قال ومن هذا المعنى ما قاله الخطاب أن الصلاة فى جماعة بمائتين وخمسين صلاة فان كانت فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بمائتى ألف وخمسين ألفا والله يضاعف لمن يشاء وقد بسطنا الكلام فى بيان هذا التضعيف بأكثر من هذا فى تقييد لنا فى بيان فضل الياقوتة الفريدة وهو بزاوية عين ماضى ولم يبق بأيدينا نظير منه ولم نيأس من روح الله تعالى أن يجمعنا بنسخة منه بمنه وطوله وذكرناه ليبحث عنه من عسى أن تتشوف اليه نفسه من الاخوان والله المستعان ثم قال رحمه الله تعالى

﴿ سعادة الدارين ضامنتها * فى اليوم مرة مداومتها ﴾

﴿ ومن يلازم مرة فى كل يوم * منها يمت مسلما من غير لوم ﴾

أشار بهذا إلى ما ثبت عن الشيخ رضى الله عنه فى كلام قال فيه الملازمة على الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بركتها تدرك الرجل وأولاده وأولاد أولاده ثم قال وأما صلاة الفاتح لما أغلق الخ فهى ضامنة لخير الدنيا والآخرة لمن التزم دوامها ثم بين رضى الله عنه خير الآخرة بقوله من داوم على الفاتح لما أغلق يموت على الايمان قطعا والمداومة عليها فى كل يوم مرة باختصار

أكابر العارفين من عباده وأهل الخصوصية حتى تكون عنده جميع مساويكم ممحوة غير مؤاخذين بها وجميع ذنوبكم وآثارسوءكم مقابلة بالصفح والتجاوز عنه غير مقابلين بها ونسأله سبحانه أن يكتبكم جميعاً فى ديوان أهل السعادة الذى ما كتب فيه إلا أكابر أوليائه وأهل خصوصيته بوجه لا يمكن فيه المحو والتبديل وأن يكحل بصائركم بنوره الذى رشه على الأرواح فى الأزل وان يواجهكم بفضله فى الدنيا والآخرة وأن ينظر فيكم بعين رحمته التى من نظر اليه بها صرف عنه جميع مكاره الدنيا والآخرة هذا وليكن فى كريم علمكم أن جميع العباد فى هذه الدار أغراض لسهام مصائب الزمان إما بمصيبة تنزل أو بنعمة تزول أو حبيب يفجع بموته أو هلاك أو غير ذلك مما لا أحد لجهله ولا لتفاصيله فمن نزل به منكم مثل ذلك فالصبر الصبر لتجرع مرارتها فانه لذلك أنزل العباد فى هذه الدار ومن كبى به منكم جواده عن تحمل ثقلها ومقاومة ما يطرأ عليه من أعبائها فعليه بملازمة أحد أمرين أوهما معا وهو الأكمل الأول ملازمة يا لطيف ألفا خلف كل صلاة ان قدر وإلا فألفا فى الصباح وألفا فى المساء فانه بذلك يتيسر خلاصه من مصيبته والثانى مائة صلاة على النبى



صلى الله عليه وسلم بالفاتح لما أغلق و يهدى ثوابها للنبى صلى الله عليه وسلم أن قدر مائة خلف كل صلاة و إلا مائة فى الصباح ومائة فى الليل و ينوى بهما أعنى باللطيف والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم التى يهدى ثوابها له صلى الله عليه وسلم أن ينقذه الله من جميع وحلته و يعجل خلاصه من كربته فانها تسرع له الاغاثة فى أسرع وقت من طرفة عين وكذا من كثرت عليه الديون وعجز

عن أدائها أو كثر عياله واشتد فقره وانغلقت عليه أسباب المعاش فليفعل ماذكرنا من أحد الأمرين أوهما معا فانه يرى الفرج عن قريب ومن دهاه خوف هلاك متوقع نزوله به من خوف ظالم لا يقدر على مقاومته أو خوف من صاحب دين لا يجد منه عذراً ولا إمهالا ولا يجد من المال مايؤديه به أوكلا الأمرين من كل مخوف فليلازم ماذكرنا من أحد الأمرين أوهما معا مع صدقة قلت أو كثرت بنية دفع مايتوقعه من المخوف أو بنية تعجيل الخلاص من ألمه وكربه يجد الفرج عن قريب «وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة» وإياكم ثم إياكم أن يهمل أحدكم حقوق اخوانه مما هو جلب مودة أو دفع مضرة أو إعانة على كربة فان من ابتلى بتضييع حقوق الإخوان ابتلى بتضييع الحقوق الالهية والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه وصونوا قلوبكم إذا رأيتم أحداً فعل حقا يخالف هواكم أوهدم باطلا يخالف هواكم أن تبغضوه أو تؤذوه فان فعل ذلك معدود من الشرك قال صلى الله عليه وسلم الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا وأقل ذلك أن تحب على باطل أو تبغض على حق أو كما قال صلى الله عليه وسلم مما معناه هذا وكذا صونوا قلوبكم عمن فعل باطلا أوهدم حقا يطابق هواكم أن تحبوه أو تثنوا عليه فانه أيضا معدود من الشرك عند الله تعالى فان المؤمن يحب الحق ويحب أهله ويحب أن يقام الحق ويعمل به ويبغض الباطل ويبغض أهله ويبغض أن يقام الباطل ويعمل به والسلام (استدراك) ماذكرناه من مراعاة حقوق الاخوان فليكن ذلك في غير حرج ولا كلفة بما تيسر وأمكن في الوقت الا أن يكون في بعض العوارض ويخاف من أخيه العداوة والقطيعة أو فساد القلب فليسارع لاصلاح قلبه فان ذلك يستجلب الرضا نصه من الله تعالى وأما ماذكرنا من بغض أهل الباطل فليكن ذلك محله القلب فقط وان خرج الى جارحة من الجوارح أدى الى منكر أعظم منه فترك إخراجه من القلب الى الجوارح أولى والسلام انتهت هذه الوصية ولا تحتاج الى شيء يكتب عليها والله تعالى يجزي عمليها أحسن جزاء

ووقع في بعض النسخ من هذا النظم من النساخ في هذا المحل فليتنبه له وقد ذكر الشعراني رضي الله عنه أذكارا من لازمها يموت مسلما برواية عن الخضر عليه السلام في ذلك فينبغي أن يستعمل المؤمن جميع مايقف عليه من ذلك مع كثرة اللجأ والاضطرار الى الله تعالى فيه ثم قال رحمه الله تعالى

﴿ وفضلها يحصل مع شرطين * من ذاك إذن الشيخ دون مين ﴾

﴿ ثم اعتقاد انها قد برزت * من حضرة الغيب لمن له سرت ﴾

الضمير في فضلها لصلاة الفاتح المتكلم فيها والمراد بالفضل في البيت الفضل الخاص الذي تلقاه سيدنا الشيخ رضي الله عنه تفصيلا من الحضرة المحمدية ومنه ماتقدم ذكره للناظم في الأبيات السابقة وأشار بهذا الى مانبت عن سيدنا رضي الله عنه بأن الفضل المذكور يعني الخاص لا العام الذي هو مذكور في وردة الجيوب عن القطب سيدي محمد البكري رضي الله عنه لا يحصل لذاكرها إلا بشرطين الأول الاذن الصحيح من الشيخ رضي الله عنه اذ هو رضي الله عنه المأذون له من الحضرة المحمدية صلى الله عليه وسلم في ابرازه والشرط الثاني اعتقاد المصلي أنها ليست من تأليف البشر وذلك لأن القطب البكري المذكور رضي الله عنه توجه إلى الله تعالى مدة يسأله أن يمنحه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيها سر جميع الصلوات فنزلت عليه مكتوبة بقلم القدرة في صحيفة من نور وهو معنى قوله قد برزت من حضرة الغيب إلى آخره وفي التعبير ببرزت اشارة الى انكشاف الحجاب للقطب المذكور عما هو من عالم الملكوت والغيب الذي من شأنه عادة أن لا يدرك بالحس فهو من باب خرق العادة كرامة لأولياء الله تعالى وفي قوله سرت إشارة الى ان هذا من الأسرار التي لا يطلع عليها الناس حتى تظهر حيث أظهرها الله تعالى كما أن السارى لا يطلع عليه الناس حتى يصبح بالمكان الذي يصبح به فافهم وقوله دون مين أراد به وصف الاذن بالصحة كما في عبارة سيدنا الشيخ رضي الله عنه فتحصل أن الفضل الخاص الذي تلقاه الشيخ رضي الله عنه من الحضرة المحمدية صلى الله عليه وسلم لا يحصل الامع الاذن الصحيح من الشيخ رضي الله عنه ولو بواسطة أو وسائط وكذلك مع اعتقاد المصلي انها ليست من تأليف القطب البكري ولا غيره وانها وردت من الحضرة القدسية مكتوبة بقلم القدرة في صحيفة نورانية ثم ان بروز الأمر من الحضرة القدسية للولي المتمكن بالكتابة معروف وقد عدوه من أقسام كيفية الالهام للأولياء يعني الالهام الذي يثلج له الصدر وهو معمول به عند المحققين وهو أعني الالهام وان كان المعنى الأصلي هو معنى يجده الولي في سره يثلج له صدره من غير تعلق حسن ولا خيال من الولي في ذلك فقد عدوا من أقسامه أيضا مايكون متلقى بالخيال في عالم الخيال وهي المبشرات ومنه مايكون خيالا في حس على ذي حس وهو الذي يسمونه الواقعة ومنه مايجدونه مكتوبا في ورقة مثلا قالوا وهو الذي كان يقع لأبي عبد الله قضيب البان وغيره قال في اليواقيت والجواهر بعد ذكره لنحو ماتقدم

نصه فان قلت فما علامة كون تلك الكتابة التى فى الورقة من عند الله تعالى حتى يجوز للولى عمل مابها فالجواب ان علامتها كما قال الشيخ محيي الدين فى الباب ٣١٥ من فتوحاته المكية ان تلك الكتابة تقرأ من كل ناحية على السواء لا تتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لا نقلابها قال قال الشيخ محيي الدين وقد رأيت ورقة نزلت على فقير فى المطاف بعتقه من النار على هذه الصفة فلما رآها الناس علموا أنها ليست من كتابة المخلوقين اه الغرض منه وفى الجيش الكبير ما نصه (فائدة) قال الهروشي سألت شيخنا العياشى رحمه الله تعالى عن الثواب المذكور فى بعض فضائل الأعمال المروى عن غير النبى صلى الله عليه وسلم كقولهم من صلى على النبى صلى الله عليه وسلم بالصلاة الفلانية كذا فهى بمثابة فدية أو الصلاة الفلانية تعدل عشرة آلاف أو غير ذلك فاجاب بان ذلك مما يلهمه الله تعالى لأوليائه يرونه مكتوبا بقلم القدرة على حجر أو ورق أو شجر أو يسمعون الهاتف أو يتلقونه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم أو اليقظة قلت أو تخاطب به عوالمهم اللطيفة وهو أصل متين من الأصول المعتمدة عندهم دليله من السنة قوله صلى الله عليه وسلم فى الصحيح أنه كان فيمن قبلكم محدثون وفى رواية مكلمون من غير أن يكونوا أنبياء وان كانوا فى أمتى فعمر منهم أو كما قال عليه الصلاة والسلام فاذا عرفت هذا عرفت ان الذى وقع للقطب البكرى فى هذه الصلاة من هذا الحيز فهى يعنى الصلاة الشريفة المذكورة وردت من حضرة الحق تبارك وتعالى على طريق التعليم وفق ما قالوه فى فاتحة الكتاب يعنى من أنها وردت على طريق التعليم لنا فافهم ذلك وبه تفهم ما وقع فى تعبير صاحب الجامع من قوله الشرط الثانى اعتقاد أنها من كلام الله تعالى كالأحاديث القدسية وهذه العبارة هى الدائرة على ألسنة الأصحاب اليوم وعبارة الناظم التى شرحنا عليها هى الموافقة لعبارة جواهر المعانى ولذلك آثر التعبير بها على التعبير بغيرها وان كان المآل واحدا والله تعالى أعلم ثم قال رحمه الله تعالى

﴿ ومرة من الجحيم فديه * يوم القيامة بغير مريه ﴾

أشار بهذا الى ماذكروه عن القطب البكرى رضى الله عنه من قوله فمن قرأها مرة ودخل النار فليقبض صاحبها بين يدى الله تعالى وهو فى روضة الجيوب فهذا من الفضل العام الذى ذكره فيها غير سيدنا الشيخ رضى الله عنه ولهذا أردفه الناظم بقوله

﴿ وذا بلا اشتراط ماتقدما * سبحان من فضلها وعظما ﴾

أشار بذا الى ماذكره من كون المرة الواحدة منها فدية من النار وأخبر أنه حاصل بفضل الله تعالى لكل من صلى بها بنية ذلك مصدقا وأشار بقوله (سبحان من فضلها الخ) الى أن هذا الفضل وهو كونها فدية من النار من أعظم ما يطلب ويرغب فيه ويعترف بالمنة العظيمة لواهبه ومسديه حيث كان سبحانه يمن على العبد بعتق رقبته من النار بسبب ذكره للمرة الواحدة من هذه الصلاة العظيمة المقدار ثم أتى رحمه الله تعالى بما هو كالتحصيل لما ذكره من فضل هذه الصلاة تفصيلا على طريق الاجمال فقال رحمه الله تعالى

﴿ وما على النبى صلى أحد * بمثلها سمح ذا ذا الأوحد ﴾

من دون الله أعظم من هوى متبع وعلى قوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه وعلى قوله صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا الحديث وهذا وان ورد فى ميادين الجهاد فى قتال الكفار فهو منقلب فى هذه الأزمنة فى الصفح عن شر الناس فمن تمنى بقلبه أو أراد تحريك الشر منه على الناس سلطهم الله عليه من وجه لا يقدر على دفعهم وعلى العبد أن يسأل الله العافية من تحريك شر الناس وفتنتهم فان تحرك عليه من غير سبب فالوجه الذى تقتضيه رسوم العلم مقابلتهم بالاحسان فى اساءتهم فان لم يقدر فبالصفح والعفو اطفاء لنيران الفتنة فان لم يقدر فبالصبر لثبوت مجارى الاقدار ولا يتحرك فى شىء من اذايتهم لاساءتهم وإن اشتعلت عليه نيران شرهم فليدافع بالتى هى أحسن بلين ورفق فان لم يفد ذلك فعليه بالهروب ان قدر على الخروج من مكانه فان عوقت العوائق عن الارتحال ولم يجد قدرة فليدافع بالأقل فالأقل من الاذاية فليفعل ذلك ظاهرا ويكثر التضرع والابتهال الى الله سرا فى دفع شرهم عنه مداوما ذلك حتى يفرج الله عليه فان هذه الوجوه التى ذكرنا هى التى تقتضيها رسوم العلم والحذر

الحذر لمن تحرك عليه شر الناس منكم أن يبادر اليه بالتحرك بالشر لمقتضى حرارة طبعه وظلمة جهله وعزة نفسه فان المبادر بالشر بهذا وان كان مظلوما فاضت عليه بحور الشر من الخلق ويستحق الهلاك به فى الدنيا والآخرة وتلك عقوبته لاعراضه عن جناب الله أولا فانه لو فزع الى الله بالتضرع والشكاية واعترف بعجزه وضعفه رفع الله عنه ضرر الخلق بلا سبب أو بسبب لا تعب عليه فيه أو

يشغلهم الله بشاغل يعجزون عنه فاما أن يفعل به هذا وإما أن ينزل عليه اللطف العظيم والصبر الجميل فيكابد غصص تلك الشرور بما هو فيه من اللطف والصبر حتى يفرج الله عنه فيكون مثابا دنيا وأخرى أما ثواب الدنيا فبحمد العاقبة وبظهور نصره فى الخلق على قدر رتبته وأما ثواب الآخرة فبالفوز بما لا غاية له من ثواب  الصابرين الذى وعد الله تعالى به قال سبحانه حاكيا عن نبيه يوسف عليه السلام «انه من يتق و يصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين. ان الله مع الصابرين. ولئن صبرتم لهو خير للصابرين» إلى غير ذلك من الآيات ولعدم اعتبار الناس لما ذكرناه ترى الناس أبدا فى عذاب عظيم من مكابدة شرورهم ووقعوا بذلك فى المهالك العظام إلا من حفته عناية عظيمة الهية فان العامة لا يرون فى تحريك الشر عليهم إلا صورة الشخص الذى حركه عليهم لغيبتهم عن الله سبحانه وتعالى وعن غالب حكمه فنهضوا فى مقابلة الشرور بحولهم واحتيالهم وصولة سلطان نفوسهم فطالت عليهم مكابدة الشرور وحبسوا فى سجن العذاب على تعاقب الدهور فان الكيس العاقل إذا انصب عليه الشر من الناس أو تحركوا له به رآه تجليا الهيا لا قدرة لأحد على مقاومته إلا بتأييد إلهى فكان مقتضى ماحمله عليه علمه وعقله الرجوع إلى الله بالهروب والالتجاء اليه وتتابع التضرع والابتهال لديه والاعتراف بعجزه وضعفه فنهض معتصما بالله فى مقابلة خلقه فلا شك أن هذا يدفع عنه الشرور بلا تعب منه ولو التهبت عليه نيران الشر من الخلق لعجزوا عن الوصول اليه لاعتصامه بالله تعالى فان من تعلق بالله تعالى لا يقوى له شىء قال سبحانه «ومن يتق الله يجعل له ـ إلى قوله فهو حسبه» وهذا الباب الذى ذكرنا كل الخلق محتاجون إليه فى هذا الوقت

الصلاة

فمن أدام السير على هذا المنهاج سعد فى الدنيا والآخرة ومن فارقه وكله الله إلى نفسه فنهض إلى مقابلة الشرور بحوله واحتياله فهلك كل الهلاك فى عاجله وفى آجله وفيما ذكرناه كفاية وعليكم بشكر النعم الواردة من الله تعالى بسبب أو بلا سبب والشكر يكون بمقابلتها

الضمير فى مثلها لصلاة الفاتح لما أغلق والاشارة الأولى إلى قوله (وما على النبي إلى آخر الجملة) وذا الثانية راجعة إلى الشيخ رضى الله عنه أوحد الأولياء علما وحالا ومقاما وقوله (سمع) يعنى من النبي صلى الله عليه وسلم ففيه حذف المتعلق للعلم به وأشار بهذا إلى مافى جواهر المعانى وغيره من قول سيدنا رضى الله عنه قال لى صلى الله عليه وسلم ماصلى على أحد بمثل صلاة الفاتح لما أغلق فقد ظهر من هذا ومن جميع ما تقدم من فضلها ان الله تعالى استجاب دعوة القطب البكرى رضى الله عنه فى سؤاله صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيها سر جميع الصلوات وقد صرح سيدنا رضى الله عنه بذلك فقال ان جميع مافى الصلوات من الخواص وغيرها يحصل لذاكر الفاتح لما أغلق إلى آخره ﴿تنبيه﴾ قد عرفت ان الصلاة أهديت إلى القطب البكرى رضى الله عنه على ماتقدم بيانه وان الفضل الخاص لم يتلقه القطب المذكور وإنما تلقاه سيدنا الشيخ رضى الله عنه و بسبب هذا وقع السؤال لمقيده عفا الله عنه من بعض الاخوان الصادقين حفظه الله تعالى عن الحكمة فى عدم إظهار هذا الفضل على يد من نزلت عليه و برزت بسبب توجهه إلى الله تعالى فأجابه سامحه الله تعالى بأنه يمكن أن تكون الحكمة فى ذلك والله أعلم تقرير فضلها اجمالا فى عصر القطب البكرى وفيما بعده حتى يكون ذلك كالتمهيد لقبول تفاصيله عند وجود من سبق فى علم الله تعالى انه صاحب اظهاره وانه المخصوص بالتربية بهذه الصلاة لمواقيتها لزمان وجوده الذى هو آخر الأزمان لما عليه أهله من ضعف الاستعدادات وقلة الراغب بالجد والاجتهاد فى عظم الافادات ومن فضلها الاجمالى هو كونها فيها سر جميع الصلوات حسبما عرف والله تعالى أعلم وأحكم وهو المسؤل بفضله أن يتولى غفران ذنوبنا وستر عيوبنا بجاه السبب الأعظم لكل خير وسعادة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ثم انتقل رحمه الله تعالى إلى ما قصد ذكره هنا من فضل جوهرة الكمال فى مدح سيد الرجال فقال

﴿جوهرة الكمال من املاء * امام الارسال والأنبياء﴾
﴿على حبيبه الولى العالم * قطب الورى أحمد نجل سالم﴾
﴿و بعض فضلها تقدم ومن * لازمها سبعا فاكثر قمن﴾
﴿بأن يكون خير الأنبياء * يحبه ومن الأولياء﴾

أشار بهذا إلى ماهو مصرح به فى جواهر المعانى وغيره من الاجازات بل هو مما بلغ الآن حد التواتر القطعى بين جميع الأصحاب وهو ان هذه الصلاة التي نحن بسبب ذكر فضلها هى من املاء سيد الوجود صلى الله عليه وسلم على سيدنا الشيخ رضى الله عنه و إنما قال الناظم على حبيبه لما ثبت عن الشيخ رضى الله عنه من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له أنت حبيبي وكل من أحبك حبيبي وقدمر لنا الكلام فى هذا ووصفه بالعالم بعد الولى إشارة إلى جمعه رضى الله عنه بين العلم والولاية على الوجه الذى انتهت اليه وجوه الكمالات شريعة ممزوجة بالحقيقة أتم مزج وأحسنه فهو رضى الله عنه الوارث الأكبر للمقال والحال ثم أخبر رحمه الله تعالى بأن بعض فضل هذه

بطاعة الله ان قدر أن تكون كلية وإلا فالأبقع خير من الأسود كله وأقل ذلك شكر اللسان فلا أعجز ممن عجز عن شكر اللسان وليكن ذلك بالوجوه الجامعة للشكر فاعلى ذلك فى شكر اللسان تلاوة الفاتحة فى مقابلة ما أنعم الله عليه شكرا وليتو عند تلاوتها أنه يستغرق شكر جميع ما أحاط به علم الله من نعمه عليه الظاهرة والباطنة والحسية والمعنوية  والمعلومة عند العبد والمجهولة لديه والعاجلة والآجلة والمتقدمة والمتأخرة والدائمة والمنقطعة ويتلو بهذه النية ماقدر عليه من الفاتحة من مرة إلى مائة فمن فعل ذلك كتبه الله شاكرا وكان ثوابه المزيد من نعمه على قدر رتبته بحسب وعده الصادق ووجوه المحامد الجامعة كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ومنها إلهى لك الحمد ولك الشكر مثل ما أحاط به علمك من صفاتك وأسمائك وجميع محامدك التى حمدت بها نفسك بكلامك والتى حمدك بها كل فرد من خلقك بأى لفظ ذكروك به كل حمد من ذلك لك ومن جميع خلقك عدد ما أحاط به علمك على جميع ما أحاط به علمك من نعمك على فهو حمد جامع لأنواع المحامد مستغرق للشكر على جميع النعم وأحذركم لكل من خوله الله نعمة أن يمد يده بها فيما لا يرضى الله مثل شراء الخمر والوقوع فى الزنا ومد اليد بها فى المعاملة فى الربا وصرفها فى وجوه طلب الرياسة والسلطنة أو فى طلب إذاية المسلمين من سفك دمائهم ونهب أموالهم وهتك حرماتهم أو باذاية ولو بأقل قليل فان الفاعل لهذه الأمور بما أنعم الله به عليه من النعم مستحق لسلب النعمة من الله مع ما يعرض له من مقت الله وغضبه فان فعل هذه الأمور أو بعضها بما أنعم الله به عليه ولم ير الله سلب نعمته فليعلم فى نفسه أنه ممن يحل عليه غضب الله وسخطه فى الدنيا والآخرة والسعيد إذا وقع فى شىء من هذه الأمور يرى عن قريب تعجيل العقوبة ويرى التنبيه فى قلبه من الله أن هذه المصيبة وقعت على تلك الفعلة وأوصيكم فى معاملة الأسواق على محافظة قواعد الشرع وأصوله على حسب ما يعطيه الوقت وتجنبوا جميع وجوه الغش

الصلاة الشريفة تقدم يعنى فى قوله ومن تلا جوهرة الكمال سبعا إلى آخر الأبيات الثلاثة المضمنة للخاصية العظمى وهى وجود النبى صلى الله عليه وسلم وكذا الخلفاء الأربعة رضى الله عنهم مع الذاكر لها مادام يذكرها من حين يبلغ السابعة منها إلى مالا نهاية له من الاعداد ثم أخبر أيضا رحمه الله تعالى أن من فضلها الثابت عن الشيخ رضى الله عنه أن من لازمها سبع مرات فى كل يوم يحبه النبى صلى الله عليه وسلم محبة خالصة ولا يموت حتى يكون من الأولياء ثم قال الناظم رحمه الله تعالى

﴿ ومرة تعدل تسبيح الورى * ثلاث مرات على ماسطرا ﴾
﴿ ومن يكن لازمها سبعا لدى * منامه يرى النبى أحمدا ﴾
﴿ صلى وسلم عليه الله * ما اشتاق مؤمن إلى لقياه ﴾
﴿ وآله الشم المطهرين * وصحبه الغر المحجلين ﴾

أراد بالورى العالم بأسره ملكيا وإنسيا وجنيا وغير ذلك حسبما خرج به فى ميدان الفضل والافضال وقوله (على ماسطرا) يريد فى جواهر المعانى وغيره ويحتمل أن يكون راجعا للورد فيكون المراد على ماسطرا فى تفسير الورى من أن معناه الخلائق أجمعون أى فكأنه قال تسبيح الورى أى الخلائق أجمعين حسبما سطرا فى تفسيره وقوله (لدى منامه) أى عند إرادته النوم ويرى من الرؤيا الحلمية وأخبر هنا أن من فضل هذه الصلاة الثابت أيضا أن المرة الواحدة منها تعدل تسبيح العالم بالمعنى السابق بأسره ثلاث مرات «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم» وراجع ما تقدم قريبا فى جواب العياشى لتلميذه الهروشى رحمهما الله تعالى لتعلم أن لهذا الفضل أصلا معمولا به عند المحققين من العلماء رضى الله عنهم ثم أخبر رحمه الله تعالى أن من فضلها الثابت أيضا أن من لازمها سبع مرات عند النوم يريد على طهارة كاملة ثم ينام على فراش طاهر كذلك فانه يرى النبى صلى الله عليه وسلم فى نومه اهـ قال أخونا فى الله تعالى وسيدنا ترجمان المعارف الربانية العلامة أبو الفضل سيدى عبيدة بن محمد الصغير فى شرحه لهذه الصلاة الذى ترجمه بميدان الفضل والافضال بعد حكايته لهذه الخاصية مانصه ولا أقيد ذلك برؤية صورته الشريفة لأنه صلى الله عليه وسلم يظهر فى صورة الأولياء والصالحين من هذه الأمة اهـ بلفظه وهذا الذى ذكره حفظه الله ورعاه صحيح إلا أنهم نصوا على أن رؤيته فى غير صورته وهيئته التى كان عليها صلى الله عليه وسلم فى هذه الدار يدخلها التعبير بخلاف رؤيته على صورته الشريفة صلى الله عليه وسلم وقد حدثنى مراراً بعض الخاصة من أصحاب سيدنا الشيخ رضى الله عنه أخبره أنه كان يستعمل لرؤياه صلى الله عليه وسلم الصلاة التى كان الواسطة المعظم سيدى محمد بن العربى يستعملها للقيه عليه الصلاة والسلام فكان يعنى الوصيف المذكور إذا رأى النبى صلى الله عليه وسلم يقول له أنا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر لى هذا الفاضل رحمه الله تعالى أن أصحاب سيدنا رضى الله عنه كانوا يميلون إلى التقييد لمثل هذا تثبتاً منهم رضى الله عنهم خشية الكذب عليه صلى الله عليه وسلم والوصيف المذكور كان مشهوراً بالخير معروفاً بالجود والاجتهاد

والتدليس والكذب فى تقويم الاثمان واقتحام ما حرم الله بنصوص الشرع فان المنهمك فى ذلك يهلك كل الهلاك ثم إن الجأته الضرورة إلى أن يأخذ قوته مما حرم شرعا فى الاسواق فليأخذ قدر ما يتقوت به وليكن جارياً فى ذلك على حكم المضطر فى أكل الميتة فانه إنما يأكل بلاغا وسداً للفاقة لا كسبا ولا تمولا وإياكم (٢٨٦) أن تتهاتفوا فى المعاملات المحرمة شرعا تهافت الجهلة من العامة محتجين بعدم وجود الحلال المعين يريدون أن يسقطوا عنهم الأحكام الشرعية فى المعاملات فقد صاروا فى ذلك كأنهم لا تكليف عليهم وهو كذب على الله وزور فقد قال سبحانه «يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان - الآية» وهذه الآية وان نزلت فى مطلب خاص فهى مشتملة على كل ما تحتمله من القضايا إما ضمنا وإما تلويحا والعالم يأخذ حكمه من كل آية فى كل ما تحتمله وان لم تنزل لأجله والواقع منه من الآية فى قضيتنا هذه أن الذى فى الأرض هو ما أمكن وجوده من حلال أصلى أو عارض على حسب عوارض الوقت وهو الأمثل فالأمثل على حسب ما فصلنا فى جواب المعاملات وخطوات الشيطان التى نهى الله تعالى عنها هى المعاملات المحرمة شرعا حيث يجد العبد عنها معدلا فان لم يجد عنها معدلا وألجأته عوارض الأقدار بحكم القهر والتحتم إلى أن يأخذ قوته من المحرم شرعا وان لم يأخذ منه مات فى الوقت أو مات بعض عياله جوعا لضيق الوقت وفقد السبيل لغيره فهو الواقع فى قوله «فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه» ولا تلتفتوا إلى ما نقل عن السيد الحسن بن رحال من قوله كل عقدة لا يوجد فيها الا من يعامل بالحرام فهى حلال فهو قول باطل لأنه تغافل عن ضبط ونظره القاعدة الشرعية فيه والتحقيق فيها هو ما ذكرناه آنفاً يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك إلى ما لا يريبك وقوله صلى الله عليه وسلم إذا أمرتكم بشىء فافعلوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شىء فانتهوا وقوله سبحانه «فاتقوا الله ما استطعتم» واسمعوا وأطيعوا

فى طاعة الله تعالى اسمه سيدى الحاج أبو جمعة وقد تأخرت وفاته عن وفاة سيدنا رضى الله عنه بنحو العشرين سنة وهذا الذى ذكرته عنه كان يحدث قيد حياة الشيخ رضى الله عنه وكم من واحد من هؤلاء الوصفان مما ليك الشيخ رضى الله عنه ومما ليك غيره ظهر عليهم آثار الفتح على يد الشيخ رضى الله عنه ومن فضل هذه الصلاة الشريفة الذى لم يذكره الناظم هنا وأشار إليه فيما مر عند ذكر اللوازم ان من ذكرها اثنتى عشرة مرة وقال هذه هدية منى إليك يا رسول الله فكأنما زاره صلى الله عليه وسلم فى روضته الشريفة وزار أولياء الله تعالى والصالحين جميعا من لدن آدم عليه السلام إلى وقته ذلك يعنى أنه يحصل له من الثواب والفضل مثل ما يحصل للزائر للروضة الشريفة وجميع أولياء الله تعالى فى كل عصر ثم لما جرى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله (يرى النبى أحدا) أتى بالصلاة والسلام عليه وعلى آله وأصحابه صلى الله عليه وسلم لتأكيد الامر بها كلما ذكر وقد قال بوجوبها عند ذكره جماعة من العلماء منهم الطحاوى وجماعة من الحنيفية والحليمى وجماعة من الشافعية وبه قال اللخمى من المالكية وقال ابن العربى منهم أيضا أنه الاحوط وأبد الصلاة والسلام باشتياق المؤمن إلى لقياه صلى الله عليه وسلم لان اشتياق كل مؤمن إليه صلى الله عليه وسلم لا ينقطع إلى الابد وفيه مع ذلك إشارة إلى الترغيب فى العمل على الخاصية المذكورة قبل وذلك لافادته ان من صفة المؤمن الكامل الايمان الاشتياق الى رؤيته عليه الصلاة والسلام وبالتحقيق أن كل مؤمن وان كان فى غاية الغفلة إذا علم أن الاشتياق على رؤيته من علامة الايمان حمله ذلك على التعلق بهذه العلاقات بحسب قوة استعداده وضعفه على انك لا ترى والحمد لله تعالى مؤمنا إلا وهو يود رؤيته صلى الله عليه وسلم ببذل جميع ما يملك حتى روحه التى بها حياته هذا هو الأصل فى كل مؤمن وهو مصداق ما ورد فى ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام يود أحدكم أن لو رآنى بجميع ما يملك الحديث نعم فلا سالكين الصادقين فى استعمال الأذكار المعروفة لخاصة رؤياه صلى الله عليه وسلم طريقتان الأولى الاحجام عند ذلك والتوقف فيه لاكتناف الهيبة والخجل للواحد من أهل هذه الطريقة عند إرادته الاقدام على ذلك وذلك لشدة نظره لنفسه بعين التحقير فيرى أنه ليس أهلا لأن يطلب رؤياه صلى الله عليه وسلم مع كثرة تلطيخه بالذنوب والمعائب اللازمة له ويرى أن اقدامه على ذلك وهو على تلك الحال من سوء الادب الذى يستوجب به العطب ويقول لنفسه عند ما تدعوه لاستعمال شىء من تلك الاذكار ان كنت صادقة فيما تدعيه من الشوق إلى رؤيته صلى الله عليه وسلم فعليك بمتابعته بقدر استطاعتك وتصحيح التوبة من مخالفة شريعته بقدر الامكان والصدق فى ذلك كله فى السر والاعلان ثم بكثرة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى سائر الاوقات والازمان على حد ما قاله العارف بالله تعالى البوصيرى رضى الله عنه فى داليته .

وتزود التقوى فان لم تستطع * فمن الصلاة على النبى تزود

وحينئذ اقدمى على ما أردت الاقدام عليه وهذا ولما فاجأه الفتح فى هذا المرمى ببركة أدبه

والسلام انتهت هذه الوصية وليس فيها مايحتاج إلى مزيد بيان وقد نصح فيها غاية النصح والله تعالى يجزيه عنا وعن نفسه وعن المسلمين أحسن جزاء * الوصية السابعة ونصها بعد البسملة وتوابعها وبعد فتعلقك بالخواص فى طلب الدنيا وأغراضها وشهواتها وأنت مشغول باطلاق لسانك فى الغيبة والنميمة وفيما لايرضى الله تعالى ومنهمك فى البعد عن الله لاربح فى هذه التجارة إلا التعب

ونظره بعين الحقرة لنفسه بمحض الافضال والاكرام والأدب لايأتى إلا بخير والطريقة الثانية الاقدام على استعمال كل مايقف عليه من ذلك والسعى فى كل ماذكروه فى تحصيله بغاية الشوق والجد والاجتهاد من غير نظر إلى تمييز وصف من الأوصاف فى نفسه ولا فى غيره لكثرة ماغلب عليه من التوقان لبغيته العظمى مع اعتقاده أن من منّ الله عليه بكشف الحجاب بينه وبين حبيبه الأعظم فقد خصه من السعادة الكبرى بالحظ الأوفر الأتم على حد ماقاله البوصيرى رضى الله عنه فى همزيته

ليته خصنى برؤية وجه * زال عن كل من رآه الشقاء

وهذا جدير بأن يتفضل عليه مولاه المجيب بفضله وكرمه ووعده الذى لايخلف دعوة من دعاه وبالجملة فالكل من أهل الطريقتين مشتاق إلى رؤياه ويود بجميع مايملكه لقياه غير أن أهل الطريقة الأولى منعهم الحياء والخجل والحذر والوجل من أن يكونوا أهلا للتعرض لذلك بأعمالهم الناقصة المشوبة بظلمات نفوسهم السيئة التى هى فى ميادين الخير على أعقابها ناكصة وهذا الحال مفض بصاحبه إلى موارد الرضى من الله تعالى والكرامة مع العافية والسلامة وأهل الطريقة الثانية غيبتهم المحبة الحالية عن الشعور بما هو منهم جملة وتفصيلا ولم يجعلوا على غير فضل الله تعالى تعويلا فجدوا حتى وجدوا ووفوا الزراعة حقها فقرت أعينهم بما حصدوا « كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا » اللهم إنى أسألك يامولانا بجاه من عظمت جاهه على كل جاه وأعليته على كل عال من خلقك مراتب علاه أن تصلى عليه وعلى آله صلاة ترضيك وترضيه وأن تلهمنا بفضلك الرشد والصواب وتصحبنا اللطف الخفى فى الحال والمآب إنك أنت الله الكريم الوهاب آمين آمين آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ﴿ تنبيه ﴾ أعم الله نعمه علينا كما أعمها على آبائنا فى الدين ووهب لنا من الايمان مايلحقنا بسببه بحزبه المفلحين قال القسطلانى فى المواهب اللدنية رئيت امرأة مسرفة على نفسها بعد موتها فقيل لها مافعل الله بك قالت غفر لى قيل لها بماذا قالت بمحبتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهوتى النظر اليه نوديت من اشتهى النظر إلى حبيبنا نستحى أن نذله بعتابنا بل نجمع بينه وبين من يحبه اهـ ثم قال رحمه الله تعالى

﴿ قد انتهى بعين ماضى مسقط * رأس أمامنا الشريف الأوسط ﴾
﴿ جعله الهنا الرحيم * القادر المقتدر الكريم ﴾
﴿ من حوض طه المصطفى نشرب به * لكونه تاريخه نشرب به ﴾

انتهى كمل ومسقط الرأس محل سقوطه ويطلقونه ويريدون محل الولادة والمراد هنا زاوية عين ماضى لأنها البلدة التى ولد بها الشيخ رضى الله عنه حسبما مر فى أول الكتاب والأوسط كالوسط الأفضل وكذلك جعلنا كم أمة وسطا والضمير فى نشرب به راجع للنظم كهو فى انتهى يقول قد انتهى وكمل هذا النظم بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه الجميل وهو إن شاء الله تعالى

فلا تظفر منها بشىء وان الخواص بحر الطمع والمتعلق بها كالذى يريد الظفر بسراب بقيعة إنما الخواص وأسرارها لايتمكن منها أحد من خلق الله إلا أحد رجلين إما رجل ظفر بالولاية وإما رجل جعل أكثر أوقاته فى ذكر الله فى صحة التوجه إليه سبحانه وتعالى فى الصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم طلبا لوجه الله الكريم لا لغرض غير ذلك وداوم على هذا المنوال وصان لسانه عن الأقاويل التى لاترضى شرعا كالغيبة والنميمة والكذب والسخرية وسائر مالا يرتضى وصان قلبه عما لايرضى الله كالكبر والحسد وظلم الناس والبغض بغير أمر شرعى إلى غير ذلك وهو فى ذلك كله قائم لله تعالى فهذا هو الذى يرجى له أن يدرك بعض أسرار الخواص ومن سوى هذين لا يفيده التعلق بالخواص إلا التعب والذى يليق به فى وقته أن يجعل وردين لله تعالى من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وردا فى الليل ووردا فى النهار فى كل ورد خمسمائة مرة ثم تدرج كل ورد بالزيادة خمسين مرة فى كل أسبوع ولايزال كذلك حتى يصير الوردان ألف مرة فى كل ورد وداوم على الوردين هكذا لاتزيد ولا تنقص واقصد بذلك صحة التوجه إلى الله تعالى لوجهه الكريم فقط لا لغير

ذلك فانك بالدوام على ذلك تنفرج عنك الأمور وزد على ذلك من قولك يا لطيف ألفا بالليل أو بالنهار فقط واقصد بذلك الاستغاثة من ضرر الفقر وداوم عليه يفرج الله عنك ماأنت فيه والسلام انتهت هذه الوصية وهى مما ينبغى للمريد أن يشد عليها يد الضنين ويعمل بما تضمنته من رفع الهمة عن التعلق بعلوم الأسرار والخواص لأن ذلك من أكبر العوائق للمريد فان عامة المريدين يتشوفون إلى ذلك وقوفا مع

الحظوظ النفسانية ولا طائل تحت ذلك فالطالب لها طالب لحظ نفسه قال في الحكم تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب قال سيدى زروق لأن الاشتغال بالعيوب هو حق الربوبية وطلب الغيوب تفويت لحق العبودية وقد قالوا



ولأن تكون بحق ربك أولى من أن تكون بحظ نفسك انتهى وقال في شرح حزب البحر علوم الاسرار والاسماء علوم وهب وفتح لم يتكلم فيها أهلها إلا إعانة لمن له فتح وإفادة لمن له حقيقة ثم ما رأينا ولا سمعنا من استفاد أو أفاد منها حقيقة بمجردها ثم قال وبالجملة فعلوم الوهب كلها محمودة من وجهها مذموم طلبها فلا يطلبها إلا جاهل ولا ينكرها إلا جاهل فسلم تسلم وتجنب ماسوى الذكر تنجو من الشر فتالله ما وجدنا الاسرار إلا في الاذكار وما وجدناها في غير المعربات من الاسماء لا في المعجمات بل قد قال مالك لمن سأله عنها وما يدريك لعلها كفر نعم يحتاج مستعمل الاذكار لاعتبار المناسبة الذاتية والوقتية أو الهمة القوية أو القوة النفسية وذلك لا يخفى على ذي همة وبصيرة والغالب فقده في هذه الازمنة فعليكم بظاهر الشرع وظاهر الحقيقة مع طلب الفتح من الله بكثرة الهمة وبالله التوفيق وقال في موضع آخر منه لا تكاد تجد مشغولا به إلا ابتلى بالفقر والذل وميتة السوء لأنه يريد إبطال حكمة الله في خلقه باقامة غرضه انتهى وقال في النصح الأنفع قال الشيخ محيي الدين بن عربي في بعض كتبه علم الحروف علم شريف إلا أنه مذموم دينا ودنيا قلت أما دينا فلأنه مثبط للهمة في الاسباب من غير وجه صحيح وأما دنيا فلأنه متعلق بأوهام مع توقفه على شروط معدومة فالعمل فيه عمل في غير معمل فمن شروطه إدراك مباديه ومعرفة مبانيه تحقيقا ومعرفة مواقعه حقيقة بنظر دقيق وذلك بعيد من النفوس فلذا قل من ينتفع به إلا على يد شيخ كامل فاضرب عنه الذكر صفحا إن كنت

وفق ما وعد به بكشف الحقيقة في وردنا المحمدى كفيل وذلك بزاوية عين ماضي مسقط رأس إمامنا وقدوتنا الجليل ومحل ولادة أستاذنا الشريف الأفضل الأصيل جعلنا إلهنا البر الرؤف الرحيم القادر المقتدر الجواد الكريم نشرب به أي بهذا النظم من حوض طه المصطفى حبيب الله وخاتم أنبيائه وفق ما بشر به الفأل الحسن في حروف تاريخ إنشائه وقد جرت عادة كثير من المؤلفين بذكر البلدة التي ألفوا بها تآليفهم عند ختمهم كما فعله الناظم رحمه الله تعالى هنا ومقاصدهم في ذلك على ما يظهر متباينة ومما يمكن أن يقصده الناظم هنا تقوية رجاء مطالع هذا النظم في البركة له بسبب إنشائه في تلك البقاع المباركة والتفاضل بين البقاع بسبب من ولد بها أو سكنها أو حل بها ولو مجتازاً مقرر معروف والتبرك بآثار الصالحين بين أهل الدين والخير من السنن المعهود المألوف ويمكن أن يكون من مقاصده في ذلك مع ضميمة التاريخ اليه إفادة الواقف على هذا النظم أنه عرض مسائله وحررها على من كان موجوداً لذلك العهد بذلك القطر من أصحاب سيدنا رضي الله عنه الذين أدركوه وتلقوا عنه طريقه ولا شك أنهم كانوا إذ ذاك متوافرين والفائدة في ذلك تقديم ما اشتمل عليه نظمه هذا عند وجود الخلاف في بعض مسائله إذ لا يخفى أن ذلك من أقوى وجوه الترجيح ويمكن أن يقصد بذلك غير ذلك والله تعالى أعلم ثم ان الناظم رحمه الله تعالى لما أتى بما يؤذن بانتهاء ماقصده في هذا النظام أردفه بالدعاء له ولاخوانه ولأحبابه بما يناسب المقام وبيان ذلك أنه اختار من المطالب الشراب من حوض النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال أهل التحقيق الشريعة علم وعمل فالحوض علومها والصراط عملها فعلى قدر الشرب من العلوم الشرعية يكون الشرب من الحوض اه الغرض وقد عرفت أن العلوم الذي ضمنها هذا الناظم شرعية بل هي من أخص علوم الشريعة لأنها من العلم النافع بلاشك حسبما أوضحنا وجهه أول الشرح فالجزاء الذي طلبه رحمه الله تعالى فيه غاية المناسبة لعلمه فافهم ذلك فانه من لطائف الناظم رحمه الله تعالى التي أشرنا الى نظائرها في هذا النظم وأتى بنون الجمع في جعلنا إلهنا لادخال إخوانه معه في ذلك رجاء أن تسرع اليه الاجابة من الله تعالى إذ الدعاء كلما كان أعم كان الى الاجابة أقرب وأسند الجعل الذي طلبه الى الاله الحق المعبود بحق الذي لا يعبد غيره ولا يرجى إلا خيره والاضافة فيه لاستشعار التعليم بكماليته الذاتية والصفاتية والأسمائية إذ الاله الحق هو من له كمال الذات والصفات والأسماء والأفعال وأردفه بالاسم الرحيم إشعاراً بتعيين مطلبه الذي هو مشربه من حوض النبي صلى الله عليه وسلم إذ هو دال على الانعام الأخروي وقد عرف أن ذلك من جملة آداب الدعاء عند المحققين ثم أردفه بالاسم الرافع جل وعلا إشعاراً بعلو همته إذ حظ العبد من هذا الاسم رفع ما رفعه الله تعالى في حكمه وشرعه وذلك يستلزم الرغبة في الأمور الأخروية الرفيعة التي من جملتها الورود من الحوض ونحو ذلك مما هو آثر رضا الله تعالى الذي لا أرفع منه ثم أتبع الاسمين الجليلين بالاسم المقتدر عز وجل وهو والاسم القادر بمعنى واحد إلا أن في لفظ المقتدر زيادة مبالغة والمراد من له القدرة والارادة أي المتمكن بلا معالجة ولا واسطة من إيجاد كل ممكن وإعدامه وقد يقال

المقتدر

عاقلا وبالله التوفيق انتهى وقد بين الشيخ رضى الله عنه ما ذكره فى هذه الوصية بقوله فى جواب له ونصه أما بعد فالذى سألتنا عنه من التصرف بالدائرة الشاذلية وأسمائها وخواصها فالجواب عن ذلك اعلم أن التمسك بما فى كتب أهل الخواص من دائرة الشاذلية وأسمائها والحروف والجداول كله كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ما فى جميعها إلا التعب والطمع الذى لا يوجد فيه قليل من الفائدة ولا جدوى من العائدة إلا أن لتلك الأسرار تصاريف عالية وأفعالا عظيمة لكنها مشروطة بالوقوف على أمرين لا ينال أحد بدونهما شيئا الأول هو الفتح للعبد فى كمال المعرفة العيانية الباطنية فصاحبها لا يتوقف على وجود شرط أو زوال مانع متى أراد شيئا أوجده بتلك الاسباب والامر الثانى أن لتلك الاسرار أرواحا علوية طاهرة مطهرة قائمة بالتصريف بتلك الاسرار دائمة التمادى فى التصريف بأسرارها وتلك الروحانية لها طرق مخصوصة يتوصل بتلك الطرق إلى تسخيرر وحانيتها حتى لا يتوقف على داعيها فى شىء إلا أجابت فى أسرع من طرفة عين وهذه الطرق لا يعرفها إلا الأولياء وقد أخذ العهد على الاولياء فى ظهر الغيب أنهم لا يطلعون على هذه الاسرار أو شىء منها أحدا من الواقفين مع حظوظهم ومن تعدى منهم فى شىء وأطلع عليه أحدا من أهل الحظوظ ابتلى ببلية عظيمة اما بقتلة شنيعة واما أن يسلط عليه وارد من قبل الحق فيستأصل ماله وولده واما أن يبتليه بالفقر وعدم الصبر عليه أو بالسلب أو بالكفر نسأل الله السلامة والعافية من ذلك كله بجاه النبى صلى الله عليه وسلم وآله وما مثال ذلك إلا كحصن عظيم مملوء بخزائن الكنوز والاموال والتحف مما يقضى بتوفية جميع الاغراض وعلى ذلك الحصن أسوار عظيمة من حديد فى غاية ما يكون من الغلظ ولا أبواب لتلك الاسوار ولا مفاتيح ثم ان لذلك الحصن أبوابا وطرقا مخبوءة تحت الارض تأتى من تحت الحصن على مسير ستة أيام أو سبعة تحت الارض كل من سلك طريقا من تلك الطرق أفضت به إلى باب الحصن الذى تحت الارض ودخل الحصن وأخذ ما أراد فهو أبدا يدخل من تلك الطرق ويخرج ووضعت أبواب تلك الطرق من خارج مغلقة مطمسة بحيث لا يوقف عليها إلا بنقل وأخبار ومن لم يخبر بتلك الابواب لا ينتهى لتلك الطرق ولا يدخل إلى الحصن فالرجل الاول هو المفتوح عليه بالمعرفة متى جاء إلى الحصن زالت عنه تلك الاسوار من غير تعمد منه ووصل إلى كنوزها من غير مشقة

المقتدر أخص فيكون معناه المتمكن من التأثير والفعل بواسطة الأسباب العادية وإن لم يكن لتلك الأسباب أثر البتة وحظ العبد منه التحقق بعجز نفسه وعجز العوالم كلها عن ابداء أمرها والايواء بكلية القلب إلى المولى القادر المقتدر سبحانه وتعالى ففى إتيان الناظم به هنا استشعار التبرى من رؤية أثر سبب من الأسباب بأسرها ومن جملة ذلك ما طلبه هنا من أن يجعل الله تعالى هذا النظم سببا يشرب به من الحوض فانه لما طلب ذلك من الله تعالى وكان ظاهر اللفظ ربما استنشق منه رائحة الاعتماد على عمله أتى بما يؤذن ببراءة عقيدته من ملاحظة ذلك فافهم وهو غاية فى الأدب المطلوب فى المقام أيضا كما لا يخفى والله تعالى أعلم ثم أردف الأسماء الحسنى المذكورة بالاسم الكريم عز وجل وختمها به تحقيقا لما لاحظه من التعلق فيها جميعها إذ الاسم الكريم تبارك وتعالى من أشمل الأسماء حكما وأثراً إذ الكرم يجمع الشرف والسودد الجامعين لاسداء المعروف واغاثة الملهوف ويجمع مع ذلك عظم الخطر ونباهة الشان والسبق بالاحسان والعفو والصفح والحلم والغفران وجميع أنواع الخير والبر والنفع والامتنان وفى ختمه هذه الأسماء الكريمة به أيضا استشعار ما هو حظ العبد منه وهو قصر نظره وآماله على مولاه الكريم فى كل حال وبكل حال فان الكريم لا تتخطاه الآمال ثم ثنى طلبه من الله تعالى فقال

﴿ والحشر أسأله رب الناس * فى زمرة الشيخ أبى العباس ﴾
﴿ أنا ووالدى مع الأحباب * لكى يجيرنا من الحساب ﴾

السؤال طلب الاعطاء قال بعضهم السؤال والدعاء مترادفان وعليه فهو أى السؤال من الأدنى للاعلى كالدعاء والعكس يسمى أمراً والطلب من المساوى يسمى التماسا وقد قدمنا أن أول من سمى الأمر دعاء الامام محمد بن على الترمذى رضى الله عنه وأفرد الوالد باعتبار الجنس فيشمل الأم فكأنه قال أنا ومن ولدنى من أم وأب يقول وأسأل الله تعالى ربى ورب العالمين ورب السموات والأرض والناس أجمعين أن يحشرنى بفضله وكرمه يوم العرض الاكبر فى زمرة شيخى وأستاذى ووسيلتى إلى الله تعالى العلم الاخضر والقطب المكتوم الاشهر أنا ومن ولدنى من أم وأب وجميع الاحباب رجاء أن يحقق لنا جميعا بفضله وكرمه الوعد الصادق فى دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب هذا والذى يعطيه سياق الكلام ويفيده قرينة الحال والمقام أن محصل طلبته هذه هو أن يختم له بالايمان والمحبة لهذا الشيخ العظيم القدر والشان حتى يحشر معه وفى زمرة أتباعه وأحبابه حيث يكتنفهم ظل عرش الرحمن ويدخل معهم الجنة فى أول الزمرة الاولى ويستقر من جملتهم فى عليين مجاوراً لسيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم وشرف

وأصحاب الأمر الثانى هم العلماء بالطريق التى يهتدى بها إلى تسخير الروحانية والتصريف بها والبلوغ بها إلى كل غرض وهم الذين فى المثال الثانى هم المطلعون على الطريق المخبوءة تحت الأرض المطمسة أبوابها والعامة الخارجة عن هذين الامرين بمنزلة من يطوف حول الحصن يريد أن ينال مما فى داخله من الكنوز من غير باب ولا مفتاح فليس له من طوافه إلا التعب نعم قد تقع فى بعض الاحيان للعامى الذى لاحظ له فى الامرين الاولين إجابة فى أمر من الامور وقعت بنفحة الهية اقتضت تلك النفحة منه تعالى ان كل من طلب منه فى وقت تلك النفحة شيئا سواء كان على جادة  مستقيمة أو على غير صواب سواء كان أهلا لذلك السؤال أم لا لكن لا يطرد له فى كل ساعة وفى كل مطلب لأن تلك الاجابة اقتضتها تلك النفحة الإلهية البارزة من الحق سبحانه لا أنه اقتضاها علمه بذلك السر وتلك الخاصية فأصحاب الأمرين الأولين تطرد لهم الاجابة فى كل مطلب وفى كل ساعة وهذا الثالث لا تقع له إلا اذا وافقت نفحة إلهية بحكم الاتفاق انتهى ومن أنصف وتأمل هذه الوصايا وجدها دالة على رسوخ قدم قائلها فى مقام الدلالة على الله تعالى وبلوغه الغاية القصوى فى كمال النصيحة والشفقة على الخلق فالله يجزيه أحسن جزاء

(الفصل الثانى) فى الأحزاب السبعة

ولنقدم بين يديها الكلام على حقيقة الحزب وحكمته وحكمه قال فى شرح حزب البحر أما حقيقة الحزب فهو الورد المعمول به تعبداً ونحوه فى الاصطلاح مجموع أذكار وأدعية وتوجهات وضعت للذكر والتذكير والتعوذ من الشر وطلب الخير واستنتاج المعارف وحصول العلم مع جمع القلب على الله سبحانه بذلك ولم تكن فى الصدر الأول ولا من بعدهم بقريب لكن جرت على أيدى مشايخ المتصوفة وصالح الأمة بحكم التصويب والنظر السديد اشغالا للبطالين وإعانة للمريدين وتقوية للمحبين وحرمة للمنتسبين وترقية لهمم المتوجهين من العباد والزهاد وأهل الطاعة والسداد وفتحا للباب حتى يدخله عوام المؤمنين لما رأوا قصر الهمم وضعف العزائم وبعد النيات ونقص القرائح واستيلاء الغفلة ومرض القلوب وقلة اليقين قال وحكمها الجواز عند جماعة المتصوفة وكثير من العلماء لأنه مما يتعبد به وليس فى الشرع ما يدل لنفيه بل ما يؤيد إثباته فى آحاده وإن لم يرد بجملته انتهى واعلم أن هذه الأحزاب الآتية خمسة منها للشيخ رضى الله عنه واثنان كان كثيراً ما يستعملهما ولنقدم ما هو للشيخ منها الحزب الأول حزب التضرع والابتهال وقرع باب الملك المتعال ونصه الهى وسيدى ومولاى هذا مقام المعترف

---

وكرم وقد تقدم هذا مبسوطا فى فضائل أهل هذه الطريق وتخصيص الله تعالى بالكرامة فى موقف الحشر لمن شاء من عباده المؤمنين وكذا دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب لمن تفضل الله عليه من المقرر عند العلماء المحققين ووردت به الاخبار النبوية والاحاديث المصطفوية كحديث الطبرانى وأبى نعيم عن ابن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عباداً استخصهم بنفسه لقضاء حوائج الناس وآلى على نفسه أن لا يعذبهم فى النار فاذا كان يوم القيامة جلسوا على منابر من نور يحادثون الله تعالى والناس فى الحساب وكحديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب وهو مذكور فى غير ما كتاب وقد قيل ان مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا وقد نص القرطبى وغيره على أن أعمال من لا يحاسب لا توزن وعليه فيتضمن طلب الناظم رحمه الله تعالى أن لا توزن أعماله بفضل الله تعالى ثم ثلث طلبته فقال :

﴿ وأن ينيل من تلا ذا الرجزا * أو من سعى فيه الرضا يوم الجزا ﴾

ينيل من النيل بمعنى العطاء وتلا قرأ والرجز بحر معروف من بحور الشعر والسعى أعمال الحركة فى طلب الشىء وتحصيله ويوم الجزاء يوم القيامة يقول وأسأل من مولاى ذى الجلال والاكرام أن يعطى كل من تلا هذا النظم بقصد أن يتعبد به لمولانا خالق الأنام أو سعى فى تحصيله بكتابة أو غيرها بقصد أن ينفع به من إخوانه الخاص والعام الرضا التام الذى لا غاية لما اشتمل عليه من الافضال والانعام اذ كل إفضال وانعام فى الآخرة هو أثر للرضا منه تبارك وتعالى وأجل الانعام وأعظمه الانعام بالنظر إلى وجهه الكريم ومصاحبة نبيه وحبيبه الاعظم فى دار النعيم ولا شك ان كلا من تعليم العلم النافع للعمل به ومن سعى المؤمن فى نفع إخوانه من موجبات الرضا والكرامة من الله تعالى ففيه تحريك للهمم الى طلب العلم النافع الذى يتعبد به لمولانا الملك الديان وبعث لها إلى السعى فيما ينفع الخاص والعام من الاخوان فأما فضل طلب العلم النافع فمن الواضح البين الذى لا يحتاج إلى تقدير وأما السعى فى منافع الاخوان فهو من أخلاق الاولياء والصالحين وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه عن بعض رجال الطبقات أنه كان يقول سعى الاخوان فى الدنيا يكون لاخوانهم لا لأنفسهم اه قال الشعرانى رضى الله عنه ولما حججت سنة كذا جعلت دعائى حول البيت وفى البيت وفى مواضع الاجابة كله لاخوانى قال لأن الفتوة أن يقدم الانسان حظ إخوانه ويؤخر حظ نفسه ليكون الحق تعالى فى حاجته بالقضاء والتيسير والحمد لله رب العالمين اه كلام الشيخ الشعرانى رضى الله عنه ثم جعل الناظم رحمه الله تعالى خاتمة طلباته الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم رجاء حصول الاجابة فى ذلك

بكثرة ذنوبه وعصيانه وسوء فعله وعدم مراعاة أدبه حالى لايخفى عليك وهذا ذلى ظاهر بين يديك ولا عذر لى فابديه لديك ولا حجة لى فى دفع ما ارتكبته من مناهيك وعدم طاعتك وقد ارتكبت ما ارتكبته غير جاهل بعظمتك وجلالك وسوطة كبريائك ولا غافل عن شدة عقابك وعذابك ولقد علمت انى متعرض بذلك لسخطك وغضبك ولست فى ذلك مضاداً لك ولا معانداً ولا متصاغراً بعظمتك وجلالك ولامتهاوناً بعزك وكبريائك ولكن غلبت على شقوتى وأحدقت بى شهوتى فارتكبت ما ارتكبته عجزاً عن مدافعة شهوتى فحجتك على ظاهرة وحكمك فى نافذ وليس لضعفى من ينصرنى منك غيرك وأنت العفو الكريم والبر الرحيم الذى لا تخيب سائلا ولا (٢٩١) ترد قاصداً وأنا متذلل متضرع لجلالك مستمطر جودك ونوالك مستعطف لعفوك ورحمتك فأسألك بما أحاط به علمك من عظمتك وجلالك وكرمك ومجدك وبمرتبة ألوهيتك الجامعة لجميع صفاتك وأسمائك أن ترحم ذلى وفقرى وتبسط رداء عفوك وحلمك وكرمك ومجدك على كل ما أحاط به علمك مما أنا متصف به من المساوى والمخالفات وعلى كل ما فرطت فيه من حقوقك فانك أكرم من وقف ببابه السائلون وأنت أوسع مجداً وفضلا من جميع من مدت اليه أيدى الفقراء المحتاجين وكرمك أوسع ومجدك أكبر وأعظم من أن يمد اليك فقير يده يستمطر عفوك وحلمك عن ذنوبه ومعاصيه فترده خائبا فاغفر لى وارحمنى واعف عنى فانما سألتك من حيث أنت لا تصافك بعلو الكرم والمجد وعلو العفو والحلم والحمد إلهى لو كان سؤالى من حيث أنا لم أتوجه اليك ولم أقف ببابك لعلمى بما أنا عليه من كثرة المساوى والمخالفات فلم يكن جزائى فى ذلك إلا الطرد واللعن والبعد ولكنى سألتك من حيث أنت معتمداً على ما أنت عليه من صفة المجد والكرم والعفو والحلم ولما وسمت به نفسك من الحياء على لسان رسولك صلى الله عليه وسلم أن تمد اليك يد فقير فتردها صفرا وان ذنوبى وان عظمت وأربت على الحصر والعد فلا نسبة لها فى سعة كرمك وعفوك ولا تكون نسبتها فى كرمك إلا مقدار ما تبلغ هيئة من عظمة كورة العالم فبحق كرمك ومجدك وعفوك وحلمك التى جعلتهن وسيلة فى استمطار عفوك وغفرانك اعف عنى واغفر لى بفضلك وعفوك وان كنت لست أهلا لذلك فانك أهل أن تعفو عمن ليس أهلا لعفوك وكرمك فانك أهل أن تمحو فى كل طرفة عين جميع ما لمخلوقاتك من جميع المعاصى والذنوب بامجيد يا كريم يا عفو يا رحيم ياذا الفضل العظيم والطول الجسيم انتهى قال رضى الله عنه ينبغى أن يتحرى له أوقات الاجابة وآكد ذلك ثلث الليل الأخير فانه وقت يبعد

---

كله فقال رحمه الله تعالى

﴿ وأن يصلى على من ختما * به الرسالة ومن له انتمى ﴾

(يصلى) مضارع صلى صلاة لا تصلية حسما سبق والصلاة من الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم تقدم أن معناها زيادة التكرمة والانعام إذ أصل الانعام عليه صلى الله عليه وسلم دائم مستمر من ربه عز وجل بلا انقطاع ولا انصرام والذى ختم الله تعالى به الرسالة هو نبينا سيدنا محمد رسول الله وخاتم النبيين (وانتمى) انتسب فالمراد ممن انتسب له صلى الله عليه وسلم آله الأكرمون الطاهرون المطهرون وهم أقاربه من بنى هاشم نفعنا الله بمحبتهم ويدخل معهم بحسب التبعية فى هذا المقام بالنسبة الدينية جميع المؤمنين يقول الناظم رحمه الله تعالى وأسأل أيضا من ربنا المنفرد بصفات الكمال ونعوت الجلالة أن يصلى على حبيبه الأعظم ونبيه الأكرم الذى ختم به النبوة والرسالة وعلى جميع من انتمى إلى جنابه الأعز الطاهر من ساداتنا وموالينا آله الأكرمين المخصوصين بالسودد الاشم والشرف الأتم والفخر الباهر وأفرد الناظم رحمه الله تعالى الصلاة عن السلام هنا إشارة إلى جواز الافراد وتنبيهاً على أن الكراهة عند القائل بها فى الافراد مقيدة بما لم يجمعهما مجلس أو كتاب عند أهل السداد واختار الاتيان فى هذه الصلاة التى ختم بها طلباته من الأسماء المحمدية والصفات المصطفوية بالخاتم للاشعار بختم نظامه ففيه عليه براعة الختم لتقوية الرجاء من أن الله تعالى استجاب بفضله دعاءه فى جميع ما طلبه وقضى له عز وجل بجميع ذلك وأتمه له أحسن إتمام بحيث صار القضاء له بذلك كالكتاب المختوم عليه إشارة إلى تنفيذ الحكم وإبرامه بجميع ما فيه ولقوة الرجاء أيضا فى أن الله تعالى بفضله وكرمه ينفع بنظمه هذا المختوم عليه بذكر حبيبه النبى الخاتم صلى الله عليه وسلم ما فيه كفاية وأما عطفه فى الصلاة على النبى للآل فلما هو مقرر من حصول الاتمام بذلك للصلاة والاكمال مع ما فى ذلك من الايذان بفضيلة معرفة قدرهم ومكانتهم والتنويه بفخرهم وجلالتهم اداء لبعض ما يجب من امحاض الحب لهم ورجاء الفضل الوارد فى ذلك ففى الحديث معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد أمان من العذاب اه قال القاضى عياض عن بعض العلماء معرفتهم معرفة مكانتهم من النبى صلى الله عليه وسلم وإذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم اه ﴿ تتمة ﴾ تشتمل بعون الله تعالى على فائدة مهمة نقل العارف بالله تعالى سيدى عبد الرحمن بن محمد الفاسى رضى الله عنه عن الاستاذ القشيرى رحمه الله تعالى فى تفسير قوله تعالى « إن الله وملائكته يصلون على النبى - الآية » ما يؤذن بأنه صلى الله عليه وسلم ينتفع بصلاتنا عليه قائلا فى آخر كلامه على الآية بما يؤذن بما ذكر

فيه الرد من الله تعالى و ينبغى أن يدعو به فى أوقات الاجابة المعلومة و يفتتحه المتوجه به الفاتحة بعد البسملة والتعوذ مرة ثم صلاة الفاتح لما أغلق مرة و يختمه بها مرة وأجاز رضى الله عنه كل من يحسن القراءة من أصحابه أن يدعو به والسلام ﴿الحزب الثانى﴾ وهو ياقوتة الحقائق فى التعريف بحقيقة سيدا الخلائق من فضلها ماذكره رضى الله عنه أن من داوم عليها يضمن له خير الدنيا والآخرة وأن من ذكرها مرتين فى الصباح ومرتين فى المساء غفرت له ذنوبه والكبائر والصغائر بالغة ما بلغت ولا يقع له وهم فى التوحيد ونصها الله الله الله اللهم أنت الله الذى لا إله إلا أنت العالى فى عظمة انفراده  حضرة أحديتك التى شئت فيها بوجود شؤونك وأنشأت من نورك الكامل نشأة الحق وانطقتها وجعلتها صورة كاملة تامة تجد منها بسبب وجودها من انفراد أحديتك قبل نشر أشباحها وجعلت منها فيها بسببها انبساط العالم وجعلت من أثر هذه العظمة ومن بركاتها شبحة للصور كلها جامدها ومتحركها وانطقتها باقبال التحريك والتسكين وجعلتها فى إحاطة العزة من كونها قبلت منها وفيها ولها وتشعشعت الصور البارزة باقبال الوجود وقدرت لها وفيها ومنها ما يماثلها مما يطابق أرقام صورها وحكمت عليها بالبروز لتأدية ماقدرته عليها وجعلتها منقوشة فى لوحها المحفوظ الذى خلقت منه ببركته وحكمت عليها بما أردت لها وبما تريد بها وجعلت كل الكل فى كلك وجعلت هذا الكل من كلك وجعلت الكل قبضة من نور عظمتك روحا لما أنت أهل له ولما هو أهل لك أسألك اللهم بمرتبة هذه العظمة واطلاقها فى وجد وعدم أن تصلى وتسلم على ترجمان لسان القدم اللوح المحفوظ والنور السارى الممدود الذى لا يدركه دارك ولا يلحقه لاحق الصراط المستقيم ناصر الحق بالحق اللهم صل وسلم على أشرف الخلائق الانسانية والجانية صاحب الأنوار الفاخرة اللهم صل وسلم عليه على وعلى آله وأولاده وأزواجه وذريته وأهل بيته وإخوانه من النبيين والصديقين وعلى من آمن به واتبعه من الأولين والآخرين اللهم اجعل صلاتنا عليه مقبولة لامردودة اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وآله اللهم واجعله لنار وحاولعبادتنا سرا واجعل اللهم محبته لنا قوة نستعين بها على تعظيمه اللهم واجعل تعظيمه فى قلوبنا حياة أقوم بها وأستعين بها على ذكره وذكر به اللهم اجعل صلاتنا عليه مفتاحا لم وافتح لنا يارب بها حجاب الاقبال وتقبل منى ببركة حبيبى وحبيب عبادك المؤمنين ما أنا أؤديه من الأوراد والأذكار والمحبة والتعظ

ما نصه وفى هذا إشارة إلى أن العبد لا يستغنى عن الزيادة من الله تعالى فى وقت من الأوقات إذ لا رتبة فوق رتبة الرسول عليه السلام وقد احتاج إلى زيادة صلوات الله عليه اه ثم نقل أعنى العارف بالله عن غيره من الأئمة المحققين ما يظهر منه خلافه وأن النفع بصلاتنا عليه صلى الله عليه وسلم راجع الينا لا اليه ثم قال أعنى العارف بالله فالظاهر الخلاف والله أعلم قال وقد يقال لا خلاف وان أحدهما تنبيه على الأدب فى القصد والآخر اخبار عن كرم الله تعالى وعدم تناهى افضاله اه وهذا من العارف بالله رضى الله عنه توفيق حسن وجمع مستحسن اذ رد القولين إلى قول واحد وهذا القول المتضمن للتنبيه على الأدب فى القصد هو الذى تواطأت عليه نصوص جماعة من العلماء العاملين والمشايخ الكاملين قال العارف بالله تعالى سيدى عبد الرحمن ابن محمد الفاسى رضى الله عنه أثر التوفيق السابق ما نصه وقال فى المواهب اللدنية ما نصه قال الحليمى والمقصود بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم التقرب إلى الله تعالى وقضاء حق النبى صلى الله عليه وسلم علينا وتبعه ابن عبد السلام فقال فى الباب الثامن من كتابه المسمى بشجرة المعارف ليست صلاتنا على النبى صلى الله عليه وسلم شفاعة له فان مثلنا لا يشفع فى مثله ولكن الله تعالى أمرنا بمكافأة من أحسن الينا فان عجزنا عنها كافأناه بالدعاء فأرشدنا الله تعالى لما علم عجزنا عن مكافأة نبينا صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة عليه وذكر نحوه عن الشيخ أبى محمد المرجانى وقال ابن العربى فائدة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ترجع إلى المصلى عليه لدلالة ذلك على نصوص العقيدة وخلوص النية وإظهار المحبة والمداومة على الطاعة والاحترام للواسطة الكريمة صلى الله عليه وسلم اه بلفظه فهذه النصوص كلها مشيرة إلى القول الثانى المتضمن للتنبيه على الأدب فى القصد بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم لا شك عند من أنصف أن الاقتصاد على ملاحظة ما أشار إليه هذا القول عند القصد إلى الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم هو العصمة بحول الله تعالى فى بساط التربية فمهما مال المصلى عليه صلى الله عليه وسلم عن ملاحظة ذلك إلى غيره أساء الأدب وزل فى مهواة العطب والعياذ بالله تعالى وقد أوضح الحق فى هذه المسئلة أتم إيضاح وأكمله القطب الكبير سيدى عبد العزيز الدباغ رضى الله عنه فيما نقله عنه تلميذه العالم الكبير سيدى أحمد بن مبارك فى الذهب الابريز فانه رحمه الله تعالى ذكر فيه أنه سأله رضى الله عنه هل ينتفع النبى صلى الله عليه وسلم بصلاتنا عليه أو لا ينتفع وذكر له خلاف العلماء فى هذه المسئلة فأجابه رضى الله عنه بقوله لم يشرعها الله سبحانه بقصد نفع نبيه صلى الله عليه وسلم وإنما شرعها بقصد نفعنا خاصة كمن له عبيد فنظر إلى أرض كريمة لا تبلغها أرض فى الذراعة فدعا عبيده فأعطاهم تلك الأرض

لذاتك لله لله آه آمين هو هو هو آمين وصلى الله على سيدنا محمد آمين ﴿ الحزب الثالث ﴾ ونصه اللهم اجذبني اليك قلباً وقالباً بجواذب عنايتك وألبسني خلعة استغراق أوقاتي في الاشتغال بك واملأ قلبي وجوارحي بذكرك وحبك والشوق اليك امتلاء لا يبقى في متسعاً لغيرك واسقني كأس انقطاعي اليك بتكميل البراءة من غيرك وعدم التفات قلبي لسواك واجعلني بك لك قائماً وعنك آخذاً ومنك مستمعاً وإليك ناظراً وراجعاً وعليك معولا وفيك متحركاً وساكناً مطهراً بفيوض تجلياتك من جميع الحظوظ والبقايا ومن جميع المساكنات والملاحظات لغيرك وحل بيني  وبين النفس وهواها والشيطان

على أن يكون الزرع كله لهم يستبدون به فهذا حال صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم فأجرها كله لنا وإذا اشتعل نور أجرها في بعض الأحيان واتصل بنوره صلى الله عليه وسلم نزاه بمنزلة شيء راجع إلى أصله لا غير لأن الأجور الثابتة للمؤمنين قاطبة إنما هو لأجل الايمان الذي فيهم والايمان الذي فيهم إنما هو من نوره صلى الله عليه وسلم فصارت الأجور الثابتة لنا إنما هي منه صلى الله عليه وسلم ولا مثال لذلك في المحسوسات إلا البحر المحيط مع الأمطار إذا جاءت بمائها السيول إلى البحر فان ماء الأمطار من البحر فاذا رجع إلى البحر فلا يقال انه زاد في البحر إلى أن قال رضي الله عنه في جوابه هذا فترى الرجل يقرأ دلائل الخيرات فاذا أراد أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم صوره في فكره وصور الامور المطلوبة له كالوسيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود وغير ذلك مما هو مذكور في كل صلاة وصور نفسه طالبا لها من الله تعالى وقدر في نفسه ان الله تعالى يجيبه ويعطي ذلك لنبيه صلى الله عليه وسلم على يد هذا الطالب فيقع في ظن الطالب انه حصل منه للنبي صلى الله عليه وسلم نفع عظيم فيفرح ويستبشر ويزيد في القراءة ويبالغ في الصلاة ويرفع بها صوته ويحس بها خارجة من عروق قلبه ويعتريه خشوع وتنزل به رقة عظيمة ويظن أنه في حالة ما فوقها حالة وهو في هذا الظن على خطأ عظيم فلا يصل بصلاته هذه إلى شيء من الله تعالى لأنها متعلقة بما ظنه وصوره في فكره وظنه باطل لا يتعلق بالحق سبحانه وإنما يتصل بالحق سبحانه ما هو حق في نفس الأمر فكل ما كان كذلك فهو متعلق بالحق سبحانه فليحذر المصلي على النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الآفة العظيمة فان أكثر الناس لا يفطنون لها ويظنون ان تلك الرقة والحلاوة الحاصلة لهم من الله سبحانه وإنما هي من الشيطان ليدفعهم بها عن الحق ويزيدهم بها بعداً وإنما ينبغي أن يكون الحامل لهم عليها محبته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لا غير وحينئذ يشتغل نورها واما ان كان الحامل عليها نفع العبد نفسه فانه يكون محجوبا وينقص أجره وان كان الحامل عليها نفع النبي صلى الله عليه وسلم فان صلاته حينئذ لا تتعلق بالحق ولا تبلغ اليه اه وهو من أجل ما يعتمده المريد في بساط التربية الخاصة وقوله رضي الله عنه فان صلاته حينئذ لا تتعلق بالحق الخ يريد والله أعلم لأنه لاحظ فيها انه يحصل النفع للنبي صلى الله عليه وسلم وفي هذه الملاحظة سوء أدب ظاهر وانظر عبارة سيدنا ومولانا الشيخ رضي الله عنه في هذه المسئلة آخر كتاب جواهر المعاني فانها الشافية الكافية في الباب والله الموفق للصواب ولنختم هذا التقييد المرجو من الله تعالى أن ينفع به كل محب ومريد بخاتمة تشتمل على فصلين وما هما في الحقيقة غير وصلين ﴿ الفصل الأول في التنبيه على أمرين ﴾ كان الشيخ رضي الله عنه يدل عليهما بلسان حاله ومقاله حتى كادا أن يكونا في طريقته ركنين وهما وإن أشار اليهما قول الناظم رحمه

بسرادقات عصمتك لي منهم
وأدم لي صفاء الوقوف بين يديك
بك لك من حيث ترضى مما ترضى
كما ترضى مثل أكابر الصديقين
بين يديك وحفني بجنود نصرك لي
وتأييدك لي وعونك لي بكمال
توليك لي بعنايتك بي ومحبتك لي
واصطفائك لي وحل بيني وبين
غيرك من أول الأمر إلى آخره
حتى تميتني على ذلك واجعلني في
الدنيا والآخرة من أهل
ولايتك الخاصة الكاملة الصرفة
التي لا شائبة فيها لغيرك انك على
كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم تسليما انتهى
قال رضي الله عنه فمن أراد قراءة
هذا الدعاء فليجعل ألفا من
الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم في الصباح وألفاً في المساء
وليدع بهذا الدعاء خلف كل
ألف سبعا ويهدي ثواب الصلاة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ويكون ذلك بترتيل وحضور
قلب قدر الاستطاعة ويداوم على
هذا مع لزوم الاعتزال والصمت
وتخفيف الأكل والشرب من
غير افراط ولا تفريط ويحفظ

قلبه من الجولان في أمر الدنيا والنساء والشهوات ومن سخط المقدور ومن الجزع من كل ما لا يطابق الهوى في الوقت فمن فعل هذا يرى من الأسرار والأنوار ما لا يدخل تحت حصر وبالله التوفيق ﴿ الحزب الرابع ﴾ وهو للمنقطعين لله تعالى ونصه اللهم حققني بك تحقيقا يسقط النسب والرتب والتعينات والتعقلات والاعتبارات والتوهمات والتخيلات حيث لا أين ولا كيف ولا رسم ولا علم ولا وصف ولا مساكنة ولا ملاحظة مستغرقا فيك بمحو الغير والغيرية بتحقيقي بك من حيث أنت بما أنت وكيف أنت حيث لا حس ولا اعتبار إلا أنت بك لك عنك منك لأكون لك خالصاً وبك قائماً واليك آيبا وفيك ذاهبا باسقاط الضمائر والاضافات واجعلني في جميع

ذلك مصونا بعنايتك بى وتوليك لى واصطفائك لى ونصرك لى آمين انتهى وكان يأمر باستعماله أربعين مرة متوالية أو موزعة على الأوقات

﴿ الحزب الخامس ﴾ وهو مما كتب به الى بعض تلامذته فى بعض وصاياه رضى الله عنه قال وان قدر أحدكم أن يكون تضرعه فى كل ليلة بهذا الدعاء فليفعل وليقرأ قبله صلاة الفاتح لما أغلق عشرا وبعده عشرا فان المداومة بهذا الدعاء سبعا أو خمسا أو ثلاثا تدفع عنه كثيرا من المصائب والأحزان وان تحتم نزولها نزل به لطف عظيم فيها ونصه إلهنا أنت المحرك والمسكن لما وقع فى الوجود من الخيرات والشرور وفى حكمك الحل والعقد فى جميع الأمور وبيدك (٢٩٤) وعن مشيئتك تصاريف الأقدار والقضاء المقدور وأنت أعلم بعجزنا وضعفنا وذهاب حولنا وقوتنا عن تباعدنا عما يحل بنا من الشرور وعن اتصالنا بما نريد الوقوع فيه من الخيرات وما يلائم أغراضنا فى جميع الأمور وقد وقفنا ببابك والتجأنا لجنابك ووقفنا على أعتابك مستغيثين بك فى صرف ما يحل بنا من الشرور وما ينزل بنا من الهلاك مما يجرى به تعاقب الدهور مما لاقدرة لنا على تحمله ولاقوة لنا على طله فضلا عن ويله وأنت العفو الكريم والمجيد الرحيم الذى ما استغاث بك مستغيث الا أغثته ولا توجه اليك مكروب يشكو كربه الا فرجته ولا ناداك ضرير من أليم بلائه الا عافيته ورحمته وهذا مقام المستغيث بك والملتجى اليك فارحم ذلى وتضرعى بين يديك وكن لى عونا وناصرا ودافعا لما ينزل بى من المصائب والأحزان ولا تجعل عظائم ذنوبى حاجبة لما ينزل بنا من فضلك ولا مانعة لما أتحفتنا به من طولك وعاملنا فى جميع ذنوبنا بعفوك وغفرانك وفى جميع زلاتنا وعثراتنا برحمتك واحسانك فانا لفضلك راجون وعلى كرمك معولون ولنوالك سائلون ولكمال عزك وجلالك متضرعون فلا تجعل حظنا منك الخيبة والحرمان ونيلنا من فضلك الطرد والخذلان فانك أكرم من وقف ببابه السائلون وأوسع مجدا من كل من طمع فيه الطامعون فانه لك المن الأعظم والجناب الأفخم وأنت أعظم كرما وأعلى مجدا من أن يستغيث بك مستغيث فترده خائبا أو يستعطف أحد نوالك متضرعا اليك فيكون حظه الحرمان لا إله إلا أنت ياعلى ياعظيم يامجيد يا كريم ياواسع الجود يابر يارحيم عشرين مرة من قولك لا إله إلا أنت انتهى

﴿ الحزب السادس ﴾ حزب النجاة ويسمى حفيظة الامام بن العربى ويسمى بالدور الأعلى وأصله لسيدى محمد بن العربى وهو حصن منيع

---

الله تعالى كذلك فعل ما به الهادى أمر الخ من فصل اللوازم على جهة الاجمال فالتنصيص على عينهما هو الأولى والكمال (الأمر الأول) منهما هو قيام الليل فقد كان سيدنا الشيخ رضى الله عنه يرغب فيه غاية الترغيب ويرهب من عدم المبالاة به أتم ترهيب والذى عليه العمل فى طريقنا قيام ما تيسر منه ولو بقدر ما يصلى ركعتين يسبق بهما الفجر ويكون بما تيسر من تلاوة القرآن داخل الصلاة أو خارجه ولو سورة أو آية يرددها إن لم يحفظ غير ذلك ويذكر الله تعالى من الاستغفار والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وذكر الباقيات الصالحات ونحوها ولو لم يكن الا الاتيان بتسبيح ملء ماعلم وعدد ماعلم الخ ثنتى عشرة مرة وصلاة الفاتح لما أغلق كذلك أيضا يسبق بذلك الفجر وليس فى طريقنا تحديد فى هذا القيام بركوعات مخصوصة كيفية وعددا بل الأمر فى ذلك عندنا بحسب ما تيسر فان تيسرت الركوعات الواردة فى السنة أعنى العدد الذى كان يوتر بعده صلى الله عليه وسلم فهو الأولى وان زاد على ذلك فهو خير وان نقص بحسب الطاقة فقد أتى بالمطلوب قال فى العوارف وقد جاء فى الخبر قم من الليل ولو قدر حلب شاة وقد أخبرنى بعض الفضلاء الثقات من خاصة سيدنا الشيخ رضى الله عنه وملازميه أن سيدنا رضى الله عنه كان يوصيه ويؤكد عليه فى قيام الليل حتى قال له فان اعتراك فتور أو مرض أو نحو ذلك فاحرص على أن تقوم قبل الفجر ولو بمقدار ما تصلى ركعتين خفيفتين ثم تصلى الفجر والصبح ثم لا عليك ان أخرت ذكر الورد الى الضحى مثلا وفى هذا تأييد لما قدمناه من عدم التحديد عندنا فى هذا القيام بشىء من العبادات كيفية وكما وان كان بعضها أفضل وأولى بحسب ما دلت عليه السنة المطهرة فافهم وفيه أيضا ما يشير الى تأكيد أمر القيام فى طريقه رضي الله عنه ولاشك أن قيام الليل من شأن الصادقين ونعت العارفين وسمة الناسكين وحلية العابدين وقد جاء مما يشير الى فضيلته مالا يكاد يحصى قال تعالى «فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون» قيل عملهم كان قيام الليل وقيل فى قوله تعالى «واستعينوا بالصبر والصلاة» استعينوا بصلاة الليل وفى الخبر عليكم بقيام الليل فانه مرضاة لربكم ودأب الصالحين قبلكم ومنهاة عن الاثم وملغاة للوزر ومذهب كيد الشيطان ومطردة للرائى عند الحسد ذكره فى العوارف وفيه أيضا وقد ورد من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار قال ويجوز أن يكون بمعنيين أحدهما أن المشكاة تستنير بالمصباح فاذا صار سراج اليقين فى القلب يزهر بكثرة زيت العمل بالليل يزداد المصباح اشراقا وتكتسب مشكاة القالب نورا وضياء اه الغرض من هذا الوجه ثم قال الوجه الثانى لقوله صلى الله عليه وسلم من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار أن وجوه أموره التى يتوجه اليها تحسن وتتداركه المعونة من الله الكريم فى تصاريفه

لمن أراد أن يأمن من جميع الآفات طول حياته ولو قرأه مرة واحدة فى عمره لكفاه وكيفية العمل به أن تقرأ بعد صلاة الصبح ياحى ياقيوم ألف مرة ثم تقرأ الحزب بعد الفراغ ثلاث مرات ونصف اللهم إنى أسألك ياألله ياحى ياقيوم بك تحصنت فاحمنى بحماية كفاية وقاية حقيقة برهان حرز أمان بسم الله وأدخلنى ياأول ياآخر مكنون غيب سرك ودائرة ماشاء الله لاقوة إلا بالله واسبل اللهم ياحليم ياستار على كنف سرستر حجاب نجاة واعتصموا بحبل الله وابن يامحيط ياقادر على سور أمن إحاطة مجد سرادق عظموت عظمة عز ذلك خير ذلك من آيات الله وأعزنى ياقريب يارقيب يامجيب يامعز بعزسر من كان يريد العزة فان العزة لله  واحرسنى فيما أنعمت به على من نفسى ودينى وأهلى وأولادى ومالى واخوانى بكلاءة اعاذة اعانة وليس بضارهم شيئا إلا باذن الله وقنى يادافع يامانع يانافع بأسمائك وآياتك وكلماتك من شر الشيطان والسلطان ياأمانى من كل شر فأى ظالم وجبار بغى على أخذته غاشية من عذاب الله ونجنى ياعذل يامنتقم من عبادك الظلمة الباغين على وأعوانهم فان هم بى أحد منهم بسوء أو خديعة أو مكر خذله الله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله واكفنى ياكافى ياقادر ياقابض ياقهار خديعة مكرهم وارددهم عنى مذؤمين مدحورين بتحيير تعسير تدمير تغيير تكدير فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وأذقنى ياسبوح ياقدوس لذة مناجاة أقبل ولاتخف انك من الآمنين اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آيات الله وأذقهم ياميت يامقيت ياضار نكال وبال زوال فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله وسلمنى وأمنى ياسلام يامؤمن يامهيمن من سطوة صولة جولة دولة الاعداء بغاية بداية آيات لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله وتوجنى ياعظيم يامعز يافتاح بتاج مهابة كبرياء اجلال ملكوت سلطان مكنون عز عظمة ولايحزنك قولهم ان العزة لله وألبسنى ياجليل ياجميل ياكبير خلعة عز كبرياء جمال كمال جلال اقبال فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله وألق باودود ياعزيز على محبة منك تنقادلى بها رقاب عبادك بالمحبة والعزة والمودة والمسرة من تعطيف تأليف يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله وأظهر على ياظاهر ياباطن آثار أسرار أنوار يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولايخافون لومة لائم ذلك فضل الله ووجه اللهم ياصمد يانور وجهى بجمال صفاء إقبال كمال أنس اشراق فان حاجوك فقل أسلمت

تصاريفه فيكون معانا فى مصدره وموارده فتحسن وجوه مقاصده وأفعاله وتنتظم فى سلوك السداد جميع أقواله لأن القوالب تستقيم باستقامة القلب اه وفى هذين الخبرين من الفضائل الدينية والمنافع الدنيوية مالا يهمل العمل عليها الا من لايكترث بالفضل والخير نسأل الله تعالى أن يعتق رقابنا من رق الأغيار ويلحقنا بفضله وكرمه بدرجة الاحرار آمين ووراء هذه الفضائل مايجده العارفون بالله تعالى فى قيامهم من لذة المناجاة وحلاوة التملق بين يدى سيدهم ومولاهم ملك الملك رب الأرضين والسموات وقد قال بعضهم ليس فى الدنيا شيء يشبه نعيم أهل الجنة إلا مايجده أهل التملق فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة فحلاوة المناجاة ثواب عاجل لأهل الليل وقال بعضهم ان الله تعالى يطلع على قلوب المستيقظين فى الأسحار فيملؤها نوراً فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير وقد ورد أن الله تعالى أوحى فى بعض ماأوحى إلى بعض الأنبياء ان لى عبادا يحبونى وأحبهم ويشتاقون إلى وأشتاق اليهم ويذكرونى وأذكرهم وينظرون الى وأنظر اليهم فان حدوث طريقهم أحببتك وإن عدلت عن ذلك مقتك فقال يارب ماعلاماتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى أقدامهم وافترشوا لى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقوا الى بانعامى بين صارخ وباك وبين متأوه وشاك بعينى مايتحملون من أجلى وبسمعى مايشكون من حبى أول ماأعطيهم أن أقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم والثانى لو كانت السموات السبع والأرضون السبع وما فيها فى موازينهم استقللتها لهم والثالث أقبل بوجهى عليهم فترى من أقبل بوجهى عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه اه ذكره فى العوارف أيضا وهو كاف فى بيان فضيلة قيام الليل فى بساط السلوك ولهذا كان جماعة من الصالحين يقومون الليل كله حتى نقل عن أربعين من التابعين انهم كانوا يصلون الغداة بوضوء العشاء منهم سعيد بن المسيب وفضيل بن عياض ووهيب بن الوردى وغيرهم عدهم وسماهم بأسمائهم وأنسابهم الشيخ أبو طالب المكى فى كتابه قوت القلوب وقد كان على هذا القدم جماعة من أصحاب سيدنا الشيخ رضى الله عنه فكانوا يحيون عامة الليل ومنهم من أدركناه ورافقناه بحمد الله تعالى فى المدد الكثير مرارا إلا أنه فيما أحسب كان يتوضأ بعد صلاة العشاء وكنا نصلى معه الصبح بذلك الوضوء وبالجملة فجميع أصحاب الشيخ رضى الله عنه الذين أدركناهم لهم الحظ الأوفر من قيام الليل ولا نتعقل الآن أنا رأينا منهم من ينام الليل كله ولا سمعنا بذلك أيضا عن أحد منهم وماذلك إلا لتأكيد أمره عند الشيخ رضى الله عنه وقد أخبرنى بعض الفضلاء ممن لازم الشيخ رضى الله عنه مدة طويلة

وجهى لله وجملنى يابديع السموات والأرض ياذا الجلال والاكرام بالفصاحة والبلاغة والبراعة واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى برأفة رحمة رقة ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقلدنى ياشديد البطش ياجبار ياقوى سيف الهيبة والعزة والقوة والشدة والمنعة من بأس جبروت عز وما النصر إلا من عند الله وأدم على ياباسط يافتاح يارزاق بهجة مسرة نصرة رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى بلطائف عوارف عواطف ألم نشرح لك صدرك وبشائر زخائر ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وأنزل اللهم يارؤف يارحيم ياخبير ياطيف بقلبى الايمان والاسلام والاطمئنان والسكينة (٢٩٦) لأكون من الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله اوأفرغ على ياشكور

ياصبور صبر سر واصبر وما صبرك إلا بالله واجعلنى من الذين زرعوا بذر يقين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله واحفظنى ياحفيظ ياوكيل واحرسنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى ومن تحتى بوجود تأييد جنود له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله وثبت اللهم ياقائم يادائم ياقديم قلبى وقدمى وقوتى بقوتك كما تثبت القائل وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله وانصرنى يانعم المولى ونعم النصير على الاعداء نصر الذى قيل له أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله وأيدنى ياطالب ياغالب يانصير بتأييد نبيك محمد صلى الله عليه وسلم بنصر تعزيز توقير إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله وا كفنى يا كافى يا شافى شر الاعداء والأدواء والأهواء بفوائد عوائد لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وامنن على ياوهاب يارزاق يافتاح بوصول حصول قبول تدبير تسخير تيسير كلوا واشربوا من رزق الله وتولنى ياولى ياعلى بالولاية والعناية والرعاية والسلامة والكرامة بمزيد إيراد إسعاد إمداد ذلك خير ذلك من آيات الله واكرمنى والعاصى يا كريم ياغنى بالسعادة والسيادة والمغفرة والكرامة كما أكرمت الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله وتب على ياتواب ياحليم توبة نصوحا لأكون من الذين إذا فعلوا فاحشة أوظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله وحقق إيمانى ياعلى ياعظيم بحق اسمك الأعظم بتحقيق الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله وصب على قلبى يامقلب القلوب من ماء سماء التوفيق لمرضاة الطاعة

أن رجلا من أصحابه أتاه فقال له ياسيدى إننى لا أقدر على القيام قبل الفجر بل كثيراً ما أؤخر الصلاة الى أن تطلع الشمس وهذه حالة لازمة لى لا أستطيع الانفكاك عنها وكأنه يريد من الشيخ رضى الله عنه أن يرخص له فى ذلك بشىء مما يحكى عن بعض أصحاب الأحوال فلم يساعده رضى الله عنه بشىء بل قال له فى جوابه أنت رجل لا تصلح لطريقتنا فاطرح سبحتنا عنك اه وأراد بذلك رضى الله عنه زجر الرجل عن الركون الى الترخصات بالتأويلات التى يأباها التقييد بالسنة المطهرة مثل ماحكوه عن بعض أصحاب الأحوال من أنهم يرون القيام يفترداعية الشوق ويقولون إنه أعنى القيام وقوف وقصور فى مقام الشوق وذكر صاحب عوارف المعارف رحمه الله تعالى أن هذا محل غلط هلك به خلق كثير ولهذا شدد سيدنا رضى الله عنه الزجر للرجل الذى سأله فى ذلك حتى أمره بطرح سبحته وهذه كانت عادته رضى الله عنه لا يحيد عن قانون السنة المطهرة ولا يبنى فى جميع أفعاله وأقواله إلا على قواعدها المحررة لا تستفزه رضى الله عنه عن ذلك حالة جمالية ولا تعرض له فيه شبهة خيالية فشريعته رضى الله عنه ممزوجة بطريقته مزج الماء بالماء ومنطبقة عليها انطباق المسميات على الأسماء وحقيقته منطوية فى مجموعها انطواء النور فى النور فصار يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها عند من نور الله بصيرته «ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور» رزقنا الله رضا هذا الامام وأدامنا وسائر خاصتنا فى حوزة حماه الذى لا يضام آمين وإذا تقرر لديك أمر قيام الليل وعرفت أنه من آكد الأعمال فى طريقتنا هذه الأحمدية فلنذكر لك نبذة من الأمور التى تعين عليه مما ذكره أهل هذا الشأن فى كتبهم المتلقاة بالقبول فى القديم والحديث من الأزمان فمن ذلك الوضوء بعد صلاة العشاء وقد كان بعضهم يغتسل فى ذلك الوقت وقد صرحوا بأن الوضوء والغسل فى هذا الوقت أثراً ظاهراً فى تيسر قيام الليل ومن ذلك الاقبال على الذكر حتى يغلب عليه النوم فانه يعين على سرعة الانتباه ومن ذلك خفة المعدة من الطعام فان حصل ثقل من الطعام فلا ينم حتى يذيبه بالذكر والتلاوة والاستغفار ومن ذلك التحرز من ارتكاب الذنوب نهاراً فان الذنب يمنع من قيام الليل والتحرز من الذنب يعين عليه وذكر أن رجلا قال لبعضهم إنى أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهورى فما بالى لا أقوم فقال له ذنوبك قيدتك وكان الحسن البصرى رضى الله عنه يقول ما ترك أحد قيام الليل إلا بذنب أذنبه فتفقدوا أنفسكم كل ليلة عند الغروب وتوبوا الى ربكم لتقوموا الليل وقال رجل لابن أدهم إنى لا أقدر على قيام الليل فصف لى دواء فقال لا تعصه بالنهار وهو يقيمك بين يديه بالليل فان الوقوف بين يديه بالليل من أعظم الشرف

آناء الليل وأطراف النهار بوجود جود فضلك المطلق بدوام الأبد توفيقا ينهض بهمتى للاستقامة فما للعاجز مثلى عن اصلاح نفسه إلا قول وما توفيقى إلا بالله واهدنى ياهادى الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله قل إن الهدى هدى الله وهو مشيئتى بمشيئتك بخير يامالكى يامن بيده مقاليد الأمور بتحقيق تدقيق تصديق توفيق المستغرقين فى محبتك الخالصة لوجهك الكريم فزمام قدرتى الحادثة بيد ارادتك القديمة الصالحة لاقادتى إلى عين الصواب فانى عديم الحول والقوة مستمسك بقولك وما تشاؤون إلا أن يشاء الله واختم لى يارحمن يارحيم بحسن خاتمة الناجين والراجين الذين قيل لهم ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله واسكنى ياقريب يامجيب ياسريع جنات عدن التى أعدت للمتقين دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله يا الله يانافع (٢٩٧) يارحمن يارحيم يامقسط ياجامع ياباعث

والعاصى لا يستحق ذلك الشرف اه ذكره فى تنبيه المغترين وذكر فى العوارف عن الثورى أنه قال حرمت قيام الليل سبعة أشهر بسبب ذنب أذنبته فقيل له ما كان الذنب فقال رأيت رجلا بكى فقلت فى نفسى هذا مراء اه وكلام المشايخ فى هذا كثير ومن أراد فلينظر العوارف والقوت وغيرهما ﴿ فائدة ﴾ قد صح أنه مامن ليلة إلا وفيها ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه وقد قال الشيخ زروق قال بعض من لقيناه من الشيوخ ومن شاء القيام فيها فليقرأ ما ورد للقيام فى أى وقت شاء كآخر سورة الكهف ونقل عن البلالى رحمه الله أنه ذكر أن من قرأ قوله تعالى الله يتوفى الأنفس إلى قوله تعالى مسمى يقيمه الله تعالى متى نوى ويفعل ما نوى وشرطها أن لا يتكلم بعدها قال وهى مجربة جدا اه والله المستعان (الأمر الثانى) رفع الهمة عن الخلق اكتفاء بالملك الحق واتصاف سيدنا الشيخ رضى الله عنه بهذا من الواضح الذى لا يحتاج إلى تقرير وقد سرى ذلك لأصحابه فاتصفوا به بين الخاص والعام حتى صار الناس ينسبونهم إلى الغنى ولو لم يكونوا أغنياء وكلام المشايخ رضى الله عنهم فيما يشير إلى تأكيد رفع الهمة عن الخلق فى الطريق وكونه من أركانها المعتمدة فيها كثير وغرضنا التنبيه على أنه فى طريقنا من الأمر الآكد فيها بل هو من أوصاف أهلها التى يعرفون بها ورأيت فى بعض المؤلفات نقلا عن تذكرة المحبين للرصاع مانصه قال بعض العارفين رفع الهمة عن الخلق هو ميزان الفقراء وقبيح بالفقراء أن ينزلوا حاجاتهم بغير مولاهم ويبذلوا أنفسهم لأرباب الدنيا بالسعى اليهم وكثرة الوقوف على أبوابهم موافقين لهم على مآربهم تراهم يتزينون كما يتزين العروس معتنين باصلاح ظواهرهم غافلين عن اصلاح سرائرهم لقد كان حق أحدهم لو صدق فى فقره أن يسمى عبد الكبير فخرج عن هذه الاضافة فصار يضاف لعدم صدقه إلى الذليل الحقير * أولئك هم الكاذبون على الله الصادون العباد عن محبة أولياء الله ثم قال قال ابن عطاء الله رفع الهمة عن الخلق هى زينة أهل الطريق وسمة أهل التحقيق وقال بعضهم فى ذلك

الله يعلم أننى ذو همة * تأبى الدنية عفة وتظرفا
لم لا أصون عن الورى ديباجتي * وأريهم عز الملوك وأشرفا

يا وارث يا بديع السموات والأرض أسألك بحرمة هذه الأسماء والآيات والكلمات سلطانا نصيرا ورزقا كثيرا وقلبا قريرا وعلما غزيرا وعملا بريرا وفهما منيرا وحسابا يسيرا وملكا فى الفردوس كبيرا إنك على كل شىء قدير وصلى الله على البشير النذير وآله وصحبه وسلم تسليما ﴿ الحزب السابع ﴾ الحزب السيفى وهو حزب عظيم القدر وفيه عجائب لا تحصى وأكثر أولياء الله وجدوا منه فيض الله تعالى وصاروا محظوظين بالحظ الأوفر يروى عن طاهر بن محمد عن تميم الثقفى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى المرة الواحدة منه ثواب صوم رمضان وقيام ليلة القدر وعبادة سنة وفيه سر الحفظ من السحر ومافى معناه ومن العين السوء والحية والعقرب والسارق والسلطان والغرق والحرق ويقرأ وقت التوجه للسفر للسلامة ولتوسيع الرزق وللنجاة من موت الفجأة وللوجاهة ويكتب للآبق

(٣٨ - بغية) فيرجع ولطلب الولد ومن واظب عليه أربعين صباحا متوالية بلغ مرتبة الولاية ومن قرأه على الملدوغ أو الملسوع نزل السم فى ساعته وفوائده أكثر من أن تحصى وأغزر من أن تستقصى ونصه بسم الله الرحمن الرحيم اللهم أنت الله الملك الحق المبين القديم المتعزز بالعظمة والكبرياء المتفرد بالبقاء الحى القيوم القادر المقتدر الجبار القهار الذى لا إله إلا أنت أنت ربى وأنا عبدك عملت سوأ وظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنوبى كلها فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت ياغفور ياشكور ياحليم ياكريم ياصبور يارحيم اللهم إنى أحمدك وأنت المحمود وأنت للحمد أهل وأشكرك وأنت المشكور وأنت للشكر أهل على ماخصصتنى به من مواهب الرغائب وأوصلت إلى من فضائل الصنائع وأوليتنى به من احسانك وبوأتنى به من مظنة الصدق عندك وأنلتنى به من منتك الواصلة الى وأحسنت به الى فى كل وقت من دفع البلية عنى والتوفيق لى والاجابة لدعائى حين أناديك داعيا وأناجيك راغبا وأدعوك متضرعا مصافيا ضارعا وحين أرجوك

راجيا فأجدك كافيا وألوذ بك فى المواطن كلها فكن لى جارا حاضرا حفيا بارا وليا فى الأمور كلها ناظرا وعلى الأعداء كلهم ناصرا وللخطايا والذنوب كلها غافرا وللعيوب كلها ساترا لم أعدم عونك وبرك وخيرك وعزك واحسانك طرفة عين منذ أنزلتنى دار الاختبار والكفر والاعتبار لتنظر ما أقدم لدار الخلود والقرار والمقامة مع الأخيار فأنا عبدك فاجعلنى يارب عتيقك يا الهى ومولاى خلصنى من النار ومن جميع المضار والمضال والمصائب والمعائب والنوائب واللوازم والهموم التى قد سارت فيها العموم بعاريض أصناف البلاء وضروب جهد القضاء إلهى لا أذكر منك إلا الجميل ولم أر منك إلا التفضيل خيرك لى شامل وصنعك لى كامل ولطفك بى كافل وبرك لى غامر وفضلك على دائم متواتر ونعمك عندى متصلة لم تخفر لى جوارى وآمنت خوفى وصدقت رجائى وحققت آمالى وصاحبتنى فى أسفارى وأكرمتنى فى احضارى وعافيت أمراضى وشفيت أوصافى وأحسنت منقلبى (٢٩٨) ومثواى ولم تشمت بى أعدائى وحسادى ورميت من رمانى بسوء وكفيتنى شر من عادانى فانا أسألك يا الله الآن أن تدفع عنى كيد الحاسدين وظلم الظالمين وشر المعاندين وارحمنى تحت سرادقات عزك يا أكرم الاكرمين وباعد بينى وبين أعدائى كما باعدت بين المشرق والمغرب واخطف أبصارهم عنى بنور قدسك واضرب رقابهم بجلال مجدك واقطع أعناقهم بسطوات قهرك وأهلكهم ودمرهم تدميرا كما دفعت كيدا لحساد عن أنبيائك وضربت رقاب الجبابرة لاصفيائك وخطفت أبصار الأعداء عن أوليائك وقطعت أعناق الأكاسرة لأتقيائك وأهلكت الفراعنة ودمرت الدجاجلة لخواصك المقربين وعبادك الصالحين يا غياث المستغيثين أغثنى على جميع أعدائك فحمدى لك يا الهى واصب وثنائى عليك متواترا دائما دائما من الدهر الى الدهر بألوان التسبيح والتقديس وصنوف اللغات المادحة وأصناف التنزيه خالصا لذكرك ومرضيا لك بناصع التحميد والتمجيد وخالص التوحيد واخلاص التغرب والتقريب والتغريد وإمحاض التمجيد بطول التعبد والتعديد وأما لم تعن فى قدرتك ولم تشارك فى ألوهيتك ولم تعلم لك ماهية فتكون للاشياء المختلفة مجانسا ولم تعاين إذ حبست الاشياء على العزائم المختلفات ولا خرقت الاوهام حجب الغيوب إليك فاعتقد منك محدودا فى مجد عظمتك لا يبلغك بعد الهمم ولا ينالك غوص الفطن ولا ينتهى إليك بصر ناظر فى مجد جبروتك ارتفعت عن صفات المخلوقين صفات قدرتك وعلا عن ذكر الذاكرين كبرياء عظمتك فلا ينتقص ما أردت ان يزداد ولا يزداد ما أرادت أن ينتقص لا أحد شهدك حين فطرت الخلق ولا ند ولا ضد حضرك حين برأت النفوس كلت الالسن عن تفسير صفاتك وانحسرت العقول عن كنه معرفتك وصفتك وكيف يوصف كنه صفتك يارب وانت الله الملك الجبار القدوس الازلى الذى لم يزل ولا يزال أزليا باقيا أبديا سرمديا دائما فى الغيوب وحدك لا شريك لك ليس فيها أحد غيرك ولم يكن اله سواك حارت فى بحار بهاء ملكوتك

أأريهم انى الفقير * وجميعهم لا يستطيع تصرفا
أم كيف أسأل رزقه من غيره * هذا لعمرى إن فعلت هو الجفا
شكوى الضعيف إلى ضعيف مثله * عجز أقام بحامليه على شفا
فاسترزق الله الذى احسانه * عم البرية منة وتلطفا

انتهى ما نقله عن الرصاع وفى هذا القدر الذى ذكرناه تتميما لغرض الناظم رحمه الله تعالى كفاية والله ولى التوفيق والهداية (الفصل الثانى) فى ذكر نبذة من الفضل العام للأركان القائم منها هذا الورد فان الناظم رحمه الله تعالى اقتصر فى خاتمته على ذكر الفضل الخاص للصلاتين الشريفتين صلاة الفاتح لما أغلق وجوهرة الكمال ونحن بحول الله نتم الغرض المناسب للمقام بالتبرك بذكر نبذة من الفضل العام رجاء أن يختم الله لنا بنيله بلا استحقاق منا بل بفضل مولانا ذى الجلال والاكرام فاما الاستغفار فقد قال تعالى «استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا» وقال عز من قائل «واستغفروا الله ان الله غفور رحيم» فالآيتان الكريمتان مؤذنتان للمستغفر بالمغفرة والرحمة وبسط الحال فى الحال والمآل وقال سبحانه وتعالى «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون» وهذه الآية مؤذنة كما صرح به الفخر الرازى بان الاستغفار أمان من العذاب إلى غير ذلك من الآيات القرآنية المعظمة وذكر النسفى حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن الا وله كل يوم صحيفة فاذا طويت وليس فيها استغفار طويت وهى سوداء مظلمة وإذا طويت وفيها استغفار طويت ولها نور يتلألأ وروى ابن ماجه عن النبى صلى الله عليه وسلم طوبى لمن وجد فى صحيفته استغفارا كثيرا وعنه صلى الله عليه وسلم من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار رواه البيهقى وعنه صلى الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب رواه أبو داود والنسائى وعنه صلى الله عليه وسلم ما من عبد ولا أمة يستغفر الله فى يوم وليلة سبعين مرة إلا غفر الله له سبعمائة ذنب وقد خاب عبد أو أمة عمل فى اليوم أو الليلة أكثر من سبعمائة ذنب رواه البيهقى وفى هذا القدر كفاية والله ولى التوفيق والهداية

عميقات مذاهب التفكر وتواضعت الملوك لهيبتك وعنت الوجوه بذلة الاستكانة لعزتك وانقاد كل شيء لعظمتك واستسلم كل شيء لقدرتك وخضعت لك الرقاب وكل دون ذلك تحبير اللغات وضل هنالك التدبير فى تصاريف الصفات فمن تفكر فى إنشائك البديع وثنائك الرفيع وتعمق فى ذلك رجع طرفه اليه خاسئا حسيرا وعقله مبهوتا وتفكره متحيرا أسيرا اللهم لك الحمد حمدا كثيرا دائما متواليا متواترا متضاعفا متسعا متسقا يدوم ويتضاعف ولا يبيد غير مفقود فى الملكوت ولا مطموس فى المعالم ولا منتقص فى العرفان فلك الحمد على مكارمك التى لا تحصى ونعمك التى لا تستقصى فى الليل إذا أدبر والصبح إذا أسفر وفى البر والبحار والغدو والآصال والعشى والابكار والظهيرة والاسحار وفى كل جزء من أجزاء الليل والنهار اللهم لك الحمد بتوفيقك قد أحضرتنى النجاة وجعلتنى منك فى ولاية العصمة فلم أبرح فى سبوغ نعمائك وتتابع آلائك محروساً بك فى الرد والامتناع ومحفوظا بك فى المنعة والدفاع عنى اللهم (٢٩٩) إنى أحمدك إذ لم تكلفنى فوق طاقتى ولم ترض منى الا طاعتى ورضيت منى من طاعتك وعبادتك دون استطاعتى وأقل من وسعى ومقدرتى فانك أنت الله الذى لا إله إلا أنت لم تغب ولا تغيب عنك غائبة ولا تخفى عليك خافية ولن تضل عنك فى ظلم الخفيات ضالة إنما أمرك إذا أردت أن تقول له كن فيكون اللهم لك الحمد مثل ما حمدت به نفسك وأضعاف ما حمدك به الحامدون وسبحك به المسبحون ومجدك به الممجدون وكبرك به المكبرون وهللك به المهللون وقدسك به المقدسون ووحدك به الموحدون وعظمك به المعظمون واستغفرك به المستغفرون حتى يكون لك منى وحدى فى كل طرفة عين وأقل من ذلك مثل حمد جميع الحامدين وتوحيد أصناف الموحدين والمخلصين وتقديس أجناس العارفين وثناء جميع المهللين والمصلين والمسبحين ومثل ما أنت به عالم وأنت محمود ومحبوب ومحجوب من جميع خلقك كلهم من الحيوانات والبرايا والأنام إلهى أسألك بمسائلك وأرغب بك إليك فى بركة ما أنطقتنى به من حمدك ووفقتنى له من شكرك وتمجيدى لك فما أيسر ما كلفتنى به من حقك وأعظم ما وعدتنى به من نعمائك ومزيد الخير على شكرك ابتدأتنى بالنعم فضلا وطولا وأمرتنى بالشكر حقا وعدلا ووعدتنى عليه أضعافا ومزيدا وأعطيتنى رزقا واسعا كثيرا اختيارا ورضى وسألتنى عنه شكرا يسيرا فلك الحمد اللهم على إذ نجيتنى وعافيتنى برحمتك من جهد البلاء ودرك الشقاء ولم تسلمنى لسوء قضائك وبلائك وجعلت ملبسى العافية وأوليتنى البسطة والرخاء وشرعت لى أيسر القصد وضاعفت لى أشرف الفضل مع ما عبدتنى به من الحجة الشريفة وبشرتنى به من الدرجة العالية الرفيعة واصطفيتنى بأعظم النبيين دعوة وأفضلهم شفاعة وأرفعهم درجة وأقربهم منزلة وأوضحهم حجة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وأصحابه الطيبين الطاهرين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واغفر لى ما لا يسعه إلا مغفرتك ولا يمحقه إلا عفوك ولا يكفره إلا تجاوزك

وأما الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ففضلها أشهر من كل شهير ويكفى فى بيان فضلها حديث مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من صلى على واحدة صلى الله عليه عشراً وحديث ابن حبان عن أبى طلحة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أتانى ملك فقال أما يرضيك أنه لا يصلى عليك أحد إلا صليت عليه عشراً ولا يسلم عليك أحد الا سلمت عليه عشراً قال فى شرح الحصن والملك فى هذا الحديث هو جبريل عليه السلام كما تبين من رواية النسائى وغيره قال وظاهر هذه الرواية أن الضمير فى صليت للملك وأنه المصلى عشراً وقد نقل السيوطى الحديث بلفظ أتانى جبريل فقال يا محمد أما يرضيك أن ربك عز وجل يقول إنه لا يصلى عليك أحد من أمتك صلاة إلا صليت عليه بها عشراً ولا يسلم عليك أحد من أمتك تسليمة إلا سلمت عليه بها عشراً قلت بلى أى وربى اه ووردت أيضا صلاة الملك فى حديث نقله السيوطى رضى الله عنه وهو أن جبريل قال للنبى صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى وكل بك ملكا من لدن خلقك إلى أن يبعثك لا يصلى عليك أحد من أمتك إلا قال وأنت صلى الله عليك اه وفى رواية غير مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم من صلى على واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات وكتبت له عشر حسنات قال فى شرح الحصن وقد يفهم منه أن صلاة الله على المصلى عشر صلوات أمر زائد على تضعيف الحسنة بعشر لأنه جمع فى هذا الحديث بينهما معا قال وقال ابن العربى إن قيل قد قال الله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فما فائدة هذا الحديث قلت أعظم فائدة وذلك أن القرآن اقتضى أن الحسنة بعشر والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم حسنة فمقتضى القرآن أن يعطى عشر درجات فأخبر الله تعالى أنه يصلى على من صلى على رسوله عشراً وذكر الله للعبد أعظم من بالحسنة مضاعفة قال يعنى ابن العربى وتحقيق ذلك أن الله تعالى لم يجعل جزاء ذكره إلا ذكره لمن ذكره وكذلك جعل جزاء ذكر نبيه ذكره لمن ذكره قال العراقى ولم يقتصر على ذلك حتى زاده كتابة عشر حسنات وحط عنه عشر سيئات كما ورد فى أحاديث اه بنقل السيوطى رحمه الله تعالى اه من شرح الحصن ويكفى العبد المصلى على هذا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم هذا الذى يحصل له فى المرة الواحدة من صلاة الله تعالى عليه وذكره إياه وصلاة الملائكة عليه مع

وفضلك وهب لى فى يومى هذا وليلتى هذه وساعتى هذه وشهرى هذا وسنتى هذه يقينا صادقا يهون على مصائب الدنيا والآخرة وأحزانهما ويشوقنى اليك ويرغبنى فيما عندك واكتب لى عندك المغفرة وبلغنى الكرامة من عندك وأوزعنى شكر ما أنعمت به على فانك أنت الله الذى لا إله إلا أنت الواحد الأحد الرفيع البديع المبدىء المعيد السميع العليم الذى ليس لأمرك مدفع ولا عن قضائك ممتنع وأشهد أنك ربى ورب كل شىء فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال اللهم انى أسألك الثبات فى الأمر والعزيمة على الرشد والشكر على نعمك وأسألك حسن عبادتك وأسألك من خير كل ما تعلم وأعوذ بك من شر كل ما تعلم وأستغفرك من شر كل ما تعلم انك أنت علام الغيوب وأسألك أمنا وأعوذ بك من جور كل جائر ومكر كل ماكر وظلم كل ظالم وسحر كل ساحر وبغي كل باغ وحسد كل حاسد وكيد كل كائد وغدر كل غادر وعداوة كل عدو وطعن (٣٠٠) كل طاعن وقدح كل قادح وحيل كل متحيل وشماتة كل شامت وكشح كل كاشح اللهم بك أصول على الأعداء والقرناء وإياك أرجو ولاية الأحياء والأولياء والقرباء فلك الحمد على ما أستطيع احصاءه ولا تعديده من عوائد فضلك وعوارف رزقك وألوان ما أوليتنى به من ارفادك وكرمك فانك أنت الله الذى لا اله الا أنت الفاشى فى الخلق حمدك الباسط بالجود يدك لا تضاد فى حكمك ولا تنازع فى أمرك وسلطانك وملكك ولا تشارك فى ربوبيتك ولا تزاحم فى خليقتك تملك من الأنام ما تشاء ولا يملكون منك الا ما تريد اللهم أنت المنعم المتفضل القادر المقتدر الجبار القهار المقدس بالمجد فى نور القدس ترديت بالمجد والبهاء وتعظمت بالعزة والعلاء وتأزرت بالعظمة والكبرياء وتعشيت بالنور والضياء وتجللت بالمهابة والبهاء لك المن القديم والسلطان الشامخ والملك الباذخ والجود الواسع والقدرة الكاملة والحكمة البالغة والعزة الشاملة فلك الحمد على ما جعلتنى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وهو أفضل بنى آدم عليه السلام الذين كرمتهم جددوا وحملتهم فى البر والبحر ورزقتهم من الطيبات وفضلتهم على كثير من خلقك تفضيلا وخلقتنى سميعا بصيرا صحيحا سويا سالما معافى ولم تشغلنى بنقصان فى بدنى عن طاعتك ولا بآفة فى جوارحى ولا عاهة فى نفسى ولا فى عقلى ولم تمنعنى كرامتك اياى وحسن صنيعك عندى وفضل منائحك لدى ونعمائك على أنت الذى أوسعت على فى الدنيا رزقا وفضلتنى على كثير من أهلها تفضيلا فجعلت لى سمعا يسمع آياتك وعقلا يفهم ايمانك وبصرا يرى قدرتك وفؤادا يعرف عظمتك وقلبا يعتقد توحيدك فانى لفضلك على شاهد حامدشا كرولك نفسى شاكرة وبحقك على شاهدة وأشهد أنك حى قبل كل حى وحى بعد كل حى وحى بعد كل ميت وحى لم ترث الحياة من حى ولم تقطع خيرك عنى فى كل وقت ولم تقطع رجائى ولم تنزل بى عقوبات النقم ولم تغير على وثائق النعم ولم تمنع عنى دقائق العصم فلو لم أذكر من احسانك وانعامك على

ما تفضل عليه به مولاه زيادة على ذلك من رفع الدرجات ومحو السيئات واثبات الحسنات فكيف بما يحصل له بالصلوات الكثيرة «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم» فالصلاة الواحدة من الله تعالى فيها كما قاله التاج ابن عطاء الله كفاية هم الدنيا والآخرة وذلك كما نقله شارح الحصن عن الشيخ الحرالى بنقل المنوى عنه أن معنى صلاة الله على عباده اقباله عليهم بعطفه اخراجا لهم من حال ظلمة الى رفعة نور «هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور» فبصلواته عليهم اخراجهم من ظلمات ما أوقعهم فى وجوب تلك الابتلاآت اه وبالجملة فالصلاة على النبى المصطفى صلى الله عليه وسلم من أسنى الذخائر وأفضل الأعمال المقربة الى الله دنيا وأخرى وفضلها أظهر من أن يذكر وأكثر من أن يسطر وغرضنا التبرك بما يشير الى طرف من ذلك على أنه مما لا يقدر قدره ولا ينال الا بالتخصيص الالهى الذى اقتضاه انبساط جاهه العظيم صلى الله عليه وسلم والا فمن أين للعبد الذليل الحقير أن يصلى عليه ربه عزوجل وملائكته لولا انبساط جاهه العظيم صلى الله عليه وسلم * وأما كلمة الاخلاص لا إله إلا الله فهى أشرف الذكر وكل فضل للذكر على الاطلاق فهو لها والآى القرآنية المؤذنة بالترغيب فى ذكرها كثيرة قال تعالى «فاعلم أنه لا إله إلا الله» وقال سبحانه «الله لا إله إلا هو الحى القيوم» وقال عزوجل «شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم» الى غير ذلك وفى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال لقد ظننت يا أبا هريرة ان لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه أو نفسه وعن يعلى بن شداد قال حدثنى أبى شداد بن أوس وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل فيكم غريب يعنى من أهل الكتاب قلنا لا يا رسول الله فأمر بغلق الأبواب وقال ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله الا الله فرفعنا أيدينا ساعة وقال الحمد لله اللهم انك بعثتنى بهذه الكلمة وأمرتنى بها ووعدتنى عليها الجنة وانك لا تخلف الميعاد ثم قال ألا أبشروا فان الله قد غفر لكم ذكره فى الترغيب والترهيب عن الامام أحمد والطبرانى وغيرهما وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلا عفوك عنى والتوفيق لى والاجابة لدعائى حين رفعت صوتى بدعائك وتحميدك وتوحيدك وتمجيدك وتهليلك وتكبيرك وتعظيمك والافى تقديرك خلقى حين صورتنى فأحسنت صورتى والافى قسمة الأرزاق حين قدرتها لى لكان فى ذلك مايشغل فكرى عن جهدى فكيف إذا فكرت فى النعم العظام التى أتقلب فيها ولا أبلغ شكر شىء منها فلك الحمد عدد ماحفظه علمك وجرى به قلمك ونفذ به حكمك فى خلقك وعدد ماوسعته رحمتك من جميع خلقك وعدد ما أحاطت به قدرتك وأضعاف ماتستوجبه من جميع خلقك اللهم انى مقر بنعمتك على فأتمم إحسانك إلى فيما بقى من عمرى كما أحسنت إلى فيما مضى منه برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم انى أسألك وأتوسل اليك بتوحيدك وتمجيدك وتحميدك وتهليلك وتكبيرك وتسبيحك وكمالك وتدبيرك وتعظيمك وتقديسك ونورك ورأفتك ورحمتك وعلمك وحلمك وعلوك ووقارك وفضلك وجلالك ومنك وكمالك وكبريائك (٣٠١) وسلطانك وقدرتك واحسانك وامتنانك

جددوا ايمانكم قيل يارسول الله وكيف نجدد ايماننا قال أكثروا من قول لا إله إلا الله وفيه أيضا انى لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه فيموت على ذلك الا حرم على النار لا إله إلا الله وفيه أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من شهادة أن لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها وفيه أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الجنة لا إله إلا الله وفيه أيضا مامن عبد قال لا إله إلا الله فى ليل أو نهار إلا طمست مافى الصحيفة من السيئة حتى تكسى إلى مثلها من الحسنات وفيه أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تبارك وتعالى عموداً من نور بين يدى العرش فاذا قال العبد لا إله إلا الله اهتز ذلك العمود فيقول الله تبارك وتعالى أسكن فيقول كيف أسكن ولم تغفر لقائلها فيقول جل وعلا إنى قد غفرت له فيسكن عند ذلك قال راويه البزار وهو غريب وفيه أيضا التسبيح نصف الميزان والحمد لله تملؤه ولا إله إلا الله ليس بينها و بين الله حجاب حتى تخلص اليه وفيه أيضا ان الله يستخلص رجلا من أمتى على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئا أظلمك كتبتى الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر فيقول لا يارب فيقول الله تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول أحضروزنك فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فقال انك لا تظلم فتوضع السجلات فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شىء ينقل العلامة اليوسي فى منهاج الخلاص وفيه ومن كتاب الفوائد التامة عن على بن الحسن رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أخبرنى جبريل عليه السلام أن لا إله إلا الله أنس للمسلم عند موته وفى قبره وحين يخرج من قبره يامحمد لو تراهم حين يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن رءوسهم هذا يقول لا إله إلا الله فيبيض وجهه وهذا ينادى ياحسرتى على مافرطت فى جنب الله فيسود وجهه اه وذكر فيه أيضا مانصه وفى مفتاح الفلاح عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يفتح الله أبواب الجنة فينادى مناد من تحت العرش أيتها الجنة وكل مافيك من النعيم لمن أنت فتنادى الجنة ومافيها نحن لأهل لا إله إلا الله ونحن محرمون على من لم يقل لا إله إلا الله ولم يؤمن بلا إله إلا الله وعند هذا يقال للنار وكل مافيها من العذاب لمن أنت فتقول لا يدخلنى إلا من أنكر لا إله

وجمالك وبهائك وبرهانك وغفرانك ونبيك ووليك وعترته الطاهرين أن تصلى على سيدنا محمد وعلى سائر اخوانه الأنبياء والمرسلين وأن لا تحرمنى رفدك وفضلك وجمالك وجلالك وفوائد كراماتك فانك لا تعتريك لكثرة ماقد نشرت من العطايا عوائق البخل ولا ينقص جودك التقصير فى شكر نعمتك ولا تنفد خزائنك مواهبك المتسعة ولا يؤثر فى جودك العظيم منحك الفائقة الجليلة الجميلة الأصلية ولا تخاف ضيم املاق فتكدى ولا يلحقك خوف عدم فينقص من جودك فيض فضلك انك على كل شىء قدير وبالاجابة جدير اللهم ارزقنى قلبا خاشعا خاضعا ضارعا وعينا باكية وبدنا صحيحا صابرا ويقيناً صادقا بالحق صادعا وتوبة نصوحا واسانا ذاكراً وحامداً وايمانا صحيحا ورزقا حلالا طيبا واسعا وعلما نافعا وولداً صالحا وصاحبا موافقا وسنا طويلا فى الخير مشتغلا بالعبادة الخالصة

وخلقا حسنا وعملا صالحا متقبلا وتوبة مقبولة ودرجة رفيعة وامرأة مؤمنة طائعة اللهم لا تنسنى ذكرك ولا تولنى غيرك ولا تؤمنى مكرك ولا تكشف عنى سترك ولا تقنطنى من رحمتك ولا تبعدنى من كنفك وجوارك وأعذنى من سخطك وغضبك ولا تؤيسنى من رحمتك وروحك وكن لى أنيسا من كل روعة وخوف وخشية ووحشة وغربة واعصمنى من كل هلكة ونجنى من كل بلية وآفة وعاهة وغصة ومحنه وزلزلة وشدة وإهانة وذلة وغلبة وقلة وجوع وعطش وفقر وفاقة وضيق وفتنة ووباء و بلاء وغرق وحرق و برق وسرق وحر و برد ونهب وغى وضلال وضالة وهامة وزلل وخطايا وهم وغم ومسخ وخسف وقذف وخلة وعلة ومرض وجنون وجذام و برص ونقص وهلكة وفضيحة وقبيحة فى الدارين انك لا تخلف الميعاد اللهم ارفعنى ولا تضعنى وادفع عنى ولا تدفعنى واعطنى ولا تحرمنى وزدنى ولا تنقصنى وارحمنى ولا تعذبنى وفرج همى واكشف غمى وأهلك عدوى وانصرنى ولا تخذلنى وأكرمنى ولا تهنى واسترنى ولا تفضحنى وآثرنى ولا تؤثر

على واحفظنى ولا تضيعنى فانك على كل شىء قدير ياأقدر القادرين وياأسرع الحاسبين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم أجمعين ياذا الجلال والاكرام اللهم انت أمرتنا بدعائك ووعدتنا باجابتك وقد دعوناك كما أمرتنا فاجبنا كما وعدتنا ياذا الجلال والاكرام انك لاتخلف الميعاد اللهم ماقدرت لى من خير وشرعت فيه بتوفيقك وتيسيرك فتممه لى بأحسن الوجوه كلها وأصوبها وأصفاها فانك على ماتشاء قدير وبالاجابة جدير نعم المولى ونعم النصير وماقدرت لى من شر وحذرتنى منه فاصرفه عنى ياحى ياقيوم يامن قامت السموات والأرضون بأمره يامن يمسك السماء أن تقع على الأرض الا باذنه يامن أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون سبحان الله القادر القاهر القوى العزيز الجبار الحى القيوم بلا معين ولا ظهير برحمتك استغيث اللهم هذا الدعاء ومنك الاجابة وهذا الجهد منى وعليك التكلان ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا الى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين وقد تم والحمد لله ماأردناه وبلغنا الغرض الذى قصدناه من تجهيز الجيش الكبير لارجاف جمع النكير بمبلغ جهد جامعه العاجز الحقير ومنتهى علمه اليسير وفهمه القصير (٣٠٢) ومن بذل المجهود حق له العذر لكنه من فضل الكريم الوهاب ثم من بركة عبده شيخ المشايخ وقطب الأقطاب قدجاء بحمد الله مؤسس القواعد والمبانى محرر الألفاظ والمعانى جم الفروع والفوائد جزل الصلة والعوائد لا يعدل عن استحسان اصابته الا مزكوم الشم عن طيب عرف افادته وأعشى البصيرة عن حسن كمال افادته ولولا المدد الوارد من تلك الحضرة المولوية وان لم يكن العبد لها أهلا ماحام حول هذا المشرع ولا اجال بمرجه خيلا ولا رجلا فما هى الا نفحة من كريم نفحاتها وبركة من معهود بركاتها وقطرة من سحاب جودها الصيب ونسمة من روض عرارها الطيب فلله الحمد على ماهنى به من ذلك

الا الله ولا أطلب الا من كذب بلا اله الا الله وأنا حرام على من قال لا إله إلا الله ولا أمتلىء إلا بمن جحد لا اله الا الله وليس غيظى الا على من أنكر لا إله إلا الله قال فتجىء رحمة الله ومغفرته ويقولان إنا لأهل لا إله إلا الله وناصران لمن قال لا إله إلا الله ومحبان لمن قال لا إله إلا الله ومتفضلان على من قال لا إله إلا الله ويقول الله تبارك وتعالى أبحت الجنة لمن قال لا إله إلا الله وماتكونت الجنة الا لأهل لا إله الا الله والأحاديث فى هذا الباب كثيرة والغرض التبرك منها بهذه النبذة اليسيرة وليكن هذا الذى أتينا به فى فضل كلمة التوحيد ختاما لما يسر الله تعالى جمعه من مسائل هذا التقييد رجاء أن يختم الله لنا ولخاصتنا بما ختم به لخاصة الخاصة من كمل الرجال وخلص العبيد وأن يمتعنا وسائر الأحباب والاخوان بالنظر الى وجهه الكريم فى دار الكرامة والمزيد وأن يكرمنا بجوار نبينا المصطفى الكريم فى أعلى الدرجات من أعلى عليين ودار النعيم انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير وصلى الله وسلم على حبيبه الفاتح الخاتم سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وعلى آله وصحبه رهبان المحاريب وليوث الملاحم والحمد لله أولا وآخرا حمدا يوافى نعمه ويكافىء مزيدة وهو حسبنا ونعم الوكيل ولاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اه التقييد المبارك بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه الجميل ونسأل الله الذى أكمل به منيتنا أن ينجح بفضله وكرمه بغيتنا وان ينفع به كما نفع باصوله ويجعله من أقوى الأسباب الى ولوج حضرة وصوله بجاه الواسطة العظمى فى كل خير وافادة وكل كرامة وسعادة سيدنا ومولانا محمد حبيب الله ومصطفاه من بريئته صفوة صفوته وخيرته من خليقته صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

واسأله سبحانه اتمام النعمة بأن يسلك بعبده حميدها تيك المسالك وماذلك على الله بعزيز ولا عسير ولا فى جنب كرمه ببعيد عن مثل هذا العبد الفقير فدائرة رحمة الله تعالى قد وسعت البرية وحضرة كرمه بتحقيق الرجاء حرية اللهم ان لم نكن لرحمتك أهلا أن ننالها فرحمتك أهل أن تنالنا ياأرحم الراحمين على انى استغفر الله راجيا * تجاوزه فيما تعديت من طورى ونسأله مع ذلك أن لا يؤاخذنا بما انطوت عليه ضمائرنا واكنته سرائرنا من أنواع القبائح التى يعلمها منا ولا نعلمها أو نعلمها ولا تسمح نفوسنا بالتنقى منها والتنزه عنها اغترارا بحلمه لا استهانة بنظره وعلمه ونرغب الى الله جل وعز أن يمن علينا بتوبة تمحو عنا كل حوبة حتى ينقلب عنا أعداؤنا خائبين مدحورين صاغرين لم ينالوا من تحقيق ارادتهم فينا مطلبا ولم يبلغوا من عدم اسعافه إياهم بما طلبناه مأربا وان يتم لنا ذلك بادامة امداد العافية مدة حياتنا والشكر عليها وعلى سائر النعم فى جميع تقلباتنا وان يختم لنا بما ختم به لأوليائه الصالحين عند مماتنا وان يؤمن فيما بعد الموت سائر روعاتنا وأن يشمل معنا فى ذلك كله اصولنا وفروعنا وأشياخنا وسائر متعلقاتنا وكل من أمن على هذا الدعاء ممن سمعه من عامة المسلمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين اللهم انا نتوسل اليك فى نيل هذا المطلب العظيم بكرم وجهك الكريم ثم بوجاهة وجه من أخرجتنا على يديه من الظلمات الى النور سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك المبجل المنصور اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادى الى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم آمين

﴿ سرية الحق والانتصار والذب عن أولياء الله الأخيار نظم الامام العالم الهمام شيخ الطريقة المحمدية ولسان الحضرة التجانية سيدى محمد بن محمد الصغير الشنجيطى التشبتي قدس الله روحه وبرد ضريحه آمين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حمداً لمن حد لكل ما بسط ... من الأمور طرفين ووسط ... فجعل الأوساط للأشراف ... وشيعة الأطراف فى الأطراف
وأمر الخلق على لسان ... نبيه بالعدل والاحسان ... ثم نهاهم عن الفحشاء ... والبغى كالبذاء والافشاء
وأودع الجبلة الانسيه ... عجائب الطبائع النفسيه ... فكان من أعجب مايستغرب ... من هذه شهوته والغضب
إذ خلقا لدفعه عن نفسه ... ولبقاء نفسه وجنسه ... فليس أجدى منهما لديه ... ولا أضر منهما عليه
إذ بهما جمع واستمالا ... وبهما استكبر واستطالا ... وبهما اشتدت عرى العدوان ... عليه بين النفس والشيطان
فحكم العقل عليها فضبط ... أمور طبعها إلى الحد الوسط ... ومع ذاك فالعدو ساعى ... فى ضرها من جهة الطباع
إذ علم استحسانها ما مالا ... له وظنها به الكمالا ... فكان يغريها بالاستئناس ... بعاجل الحظ على اختلاس
فاعتقدته ناصحاً محبا ... واتخذته صاحبا ملبا ... ومن هناك أوتى الانسان ... فقاده لما ابتغى الشيطان
لكنه سبحانه قد أيدا ... بشرعه العقل عليها فاهتدى ... به لضبط نفسه المستحسنه ... فهلكت أو حيت عن بينه
فاستحكمت عداوة اللعين ... وزاد فى اغوائه المبين ... لكن هذا العالم الانسانى ... أودى به استحسانه النفسانى
وأفضل الصلاة والسلام ... على الذى بعث للأنام ... بخير دين وسط حنيفى ... جمع بين اللين والتعنيف
نفى به غلو قوم عيسى ... كما نفى تقصير قوم موسى ... فكان وارثا لكلتا الملتين ... وجامعا لبحرى الشريعتين
وأهل بيته المطهرين ... ساداتنا الغر المحجلين ... وصحبه الأولى عنوا بنصره ... وقدروا الاسلام حق قدره
وبعد فالله يحب المقسطين ... ولا يثيب المعتدين المفرطين ... وسيد الارسال والافراط ... نهى عن التفريط والافراط
فقال يسروا ولا تعسروا ... وقال سكنوا ولا تنفروا ... وسددوا وقاربوا وابشروا ... ونحوها مما حكى المبشر
من قوله خير الأمور الوسط ... وقال خالق الورى وأقسطوا ... وقوله الدين النصيحة جمع ... أمور دينه الحنيفى جمع
فهى له سبحانه بالنصر ... لدينه وباتباع الأمر ... وللرسول باتباع سنته ... وحب آله وحفظ أمته
وللكتاب باتباع أمره ... كلا وأن يقدر حق قدره ... ولعموم أهله بالاحترام ... والذب والنصرة فى كل مقام
ولولاة الأمر بالتعظيم ... بالسمع والتصديق والتسليم ... إلا بمجمع لمنعه فلا ... طاعة للخلوق فيما حظلا
ثم هو قائم على أركان ... الاسلام والايمان والاحسان ... فحل ظاهرك بالاسلام ... وقم له بظاهر الأحكام
وحل باطنك بالايمان ... واستنتج الايقان بالبرهان ... وزنهما جهدك فى ميزان ... الأدب تأخذ بعرى الاحسان
فالفقهاء اعتمدوا أولها ... واعتمد الصوفى ما كملها ... والثانى يعتمده الأصولى ... فى أصل مابنوه من أصول
ثم التصوف له أهل يحد ... بعد وجذوى وله حد يعد ... فأهله كل محب صدقا ... أو ذى توجه إليه صدقا
أو عارف محقق أو عالم ... قيد الحقائق له ملازم ... أو طالب منصف أو فقيه ... له اتساع نظر يقيه
لا متحامل عرته بلوى ... جهل ولا مستظهر بدعوى ... ولا غبى فى العموم مودى ... ولا مصمم على التقليد
فمن تأهل لبذله قضى ... به له والحال شاهد رضى ... وقال بعض القوم فى جذواه ... افراد قلبك لمن سواه
وذكروا له حدوداً جامعه ... وهى لما يذكر بعد راجعه ... صدق التوجه إلى مولاه ... من حيث يرضيه بما يرضاه
فلزم التحقيق بالايمان ... وعمل بأول المبانى ... فلا تصوف لمن لا فقه له ... والفقه دونه يرى خزعبله
ولا يصحان بلا إيمان ... فلزم اجتماع ذى الأركان ... وانما سمى كل بلقب ... ما كان فى جل أموره غلب
لذاك قال العالم المحقق ... تصوف مجرد تزندق ... والفقه أيضا دونه تفسق ... وجمعه بينهما تحقق
فالجامع اعتمده فيما قد بدا ... وغيره اعتمده فيما اعتمدا ... وفى كليهما على الأعيان ... ماهو مفروض على الأعيان
إذ جاء الأمر بهما عن العلى ... جل على لسان خير مرسل ... فصحح النية فى تحصيل ما ... لا بد منه لك من كليهما

من حين تصبح إلى أن تمسى ... وهو الضرورى لكل نفس ... وجد فى طلبه ثم اعمل ... من عالم به وان لم يعمل
وغيره الحاجى والتكميلى ... وأول أجدر بالتحصيل ... فالثانى فالثالث إذ لا يعذر ... طالب دين قبل ما يصدر
ثم التصوف على الفقه ارتقى ... لشرف الذى به تعلقا ... إذ خشية الله له ابتداء ... ومنتهاه فاعلم الفناء
فان رغبت فى الدخول فيه ... والانتظام مع مقتفيه ... فاطهرن من جرب الاوزار ... بتوبة تذهب بالاضرار
واعمل بتقوى الله ثم استقم ... وأعرضن عن خلقه كلهم ... وارجع اليه فى البلاء والحبور ... وعنه فارض فى القليل والكثير
وصحح التقوى بالاتباع ... والاستقامة بالاتباع ... وصحح الاعراض بالتوكل ... وحقق الرجوع لله العلى
بحمده والشكر فى السراء ... وحسن الالتجاء فى الضراء ... وحقق الرضى عن الله البديع ... بحسن تفويض له وبالقنوع
ثم استعن بهمة الشيخ النصوح ... على تمردات نفسك الجموح ... وملكته زمام النفس ... بعد تحقق الأصول الخمس
علم صحيح يكشف الدجنة ... وعمل مع اتباع السنة ... وهمة عليه عن الورى ... برفضهم ورفض دنياهم ورى
ثم بصيرة لها تقوذ ... هواه باستجلائها منبوذ ... وحالة مرضية معتدله ... بالانحياش فى جميع الأمر له
فلذ به واعكف على وداده ... واترك مرادك إلى مراده ... واعتمد الناقص فيما تم فيه ... وغيره هو به أخ نزيه
ومدعو هذى الطريق كثروا ... واشتبهوا فوجب التبصر ... فمن تحققت له فضيلة ... فاصحبه ثم ان بدت رذيلة
فلا توافقه لفعلها ولا ... توحشه ثم أنت ناج مسجلا ... فليس من شرط الولى عصمته ... بل شرطه أن لا تدوم زلته
ولا تصنع له ولا طمع ... فى أحد فراع من لها جمع ... فالاعتقاد أصل كل خير ... ومع الاغترار حلف ضير
والانتقاد أصل كل شر ... إلا إذا ظهر وجه الضر ... فمن تسارع إلى الانكار ... كمن تسارع للاغترار
وأكثر الناس مفرطون ... فى أمر دينهم ومفرطون ... فالفقها بنوا على التحقيق ... والفقرا بنوا على التصديق
فسوه ظن عند الأولين ... أصل وعكسه للآخرين ... وكلهم أوجبوا الأخذ بالحذر ... لك الى التحقيق ما ينفى الضرر
فجل مع أمر الحق حيث جالا ... ولا تقلد دينك الرجالا ... وخذ بذا مع كل ذى انتساب ... من متجرد وذى اكتساب
واحذر من الانكار بادى بدا ... عليهم إلا بموجب بدا ... بحيث لا يسوغ أن تؤولا ... فقم بحق ان تأهلت ولا
تعد محل الضرر الذى بدا ... فحرمة الايمان تبقى أبدا ... وسلمن ماجهلت غوره ... ولا تكن ممن تعدى طوره
كمن تعصب من المجان ... بالمغرب الأقصى على التجانى ... شيخ الطريقة الامام الأكبر ... من فضله من النهار أشهر
وقد تعصب عليه معشر ... إلى مصارع الردى قد حشروا ... من مفرط جاز الصراط المستقيم ... ومن مفرط يهتك الحريم
تظاهروا بالاثم والعدوان ... عليه واعتدوا على الاخوان ... وكان حامل لواء منكره ... والصنم المعبود عند معشره
مغلوب جيد شذ فى تصغيره ... فى لفظه وشذ فى نكيره ... أفرط فى الانكار والعياذ ... بالله واغتر به أفذاذ
فقرطوا وقلدوه الدين ... وما هم إذا بمهتدين ... إذ عدلوا عن وسط الصراط ... جهلا إلى التفريط والافراط
وزله عالمهم واتبعوا ... أهواءهم بغير علم إذ دعوا ... وبالنفوس أعجبوا فجمعوا ... بجهلهم ما الشر فيه أجمع
لكن من عليه يعكفون ... عالة علم يتكففون ... وكان حذرهم لو أن ثم ... قلبا ولكن تيك القلوب صم
إذ قال إياكم والاغترارا ... بكل ناعق حكى حمارا ... وزاد فى استحكام ذلك الصمم ... صدوره من قلب غافل أصم
إذ كل قول يتحلى بحلا ... كسوة قلبه الذى منه جلا ... وهل ترون ياعباد الله ... فى الجو ناعقا كهذا اللاهى
إذ قام ينكر على من لم يره ... ولم يحقق عن ثقات خبره ... لكن بنى جميع ما تقوله ... على التسامع الذى لا أصل له
ثم هو إذ كان على طريق ... فقه فمبناه على التحقيق ... فيجب البحث على ذا الناعق ... إذ قد يكون نبأ من فاسق
وان يك الناعق صوفى السنن ... فأمره يبنى على الظن الحسن ... وحق من ليس له علم يقيه ... سكوته ولا كلام لسفيه
فالصمت جنة لكل جاهل ... بل هو زينة لكل فاضل ... وان تمشينا على تحقيقه ... لما نفاه من هدى طريقه
فشاهدوا إثباته مبرزون ... على شهود نفيه مقدمون ... وكلما أثبته عدلان ... لا ينتفى ولو نفى ألفان
وأيضاً المنكر ذو شروط ... وبالشروط صحة المشروط ... ذكرها فى الكوكب الوقاد ... عن علما أجلة نقاد

وهكذا

وهكذا نقلها اليد الى ... عنهم وذا الناعق عنها خال ... منها التمكن من النظر فى ... منازع المجتهدين فاعرف
وعلمه مستندات العلما ... من سنة ومن كتاب من سما ... وأخذ ذلك عن أئمة الهدى ... من بعدما أروه وجه الاهتدا
وعلمه بمعجزات الأنبيا ... وبالكرامات التى للأوليا ... وعلمه بمن بظاهر يقول ... ومن يرى التأويل من أهل النقول
ومن دليله قوى منهم ... وأن يحيط باصطلاحاتهم ... وأين هذا الشاعر المجنون ... من هذه هل لا انتهى المفتون
قد أحسن الظن بنفسه كما ... أساءه بغيره فزعما ... حصولها فقال فيما نظما ... وإنما ينكر ذاك العلما
إذ هو فى قوة قوله أنا ... هو الذى ينكر ذلك الخنا ... فنظمه مصدق لزعمه ... وحاله مكذب لنظمه
وما درى أن لسان الحال ... أصدق من ألسنة المقال ... لأنه بالافتضاح نادى ... عليه واستدعى له العنادا
لذاك جاء بالشروط مجمله ... فى شعره إذ قال فيما أجمله ... بل يطلب الانكار إذ ذاك متى ... توفرت شروطه عند الفتى
ولو أتى بها مفصلات ... ما اغتر مغتر به مواتى ... وأيضاً الانكار عن عناد ... ووجهه للمنصفين باد
فان من سيمته التشنيعا ... فى القول وهو لم يدع شنيعا ... وعدم انضباط ما يحتج به ... وهكذا اتساع دعوى صاحبه
وهو عن الحق كثيرا ينصرف ... وقد يحوم حوله فينحرف ... وان بدت نصوص أهل المذهب ... له يروغ روغان الثعلب
وأيضا المنكر للفقير ما ... لمنعه أجمع كل العلما ... وليس فى إنكاره ما يتفق ... عليه إلا ما بنفسه اختلق
إذ جره الانكار للدخول ... فى الكذب الصريح والفضول ... وانما يؤجر أو يسلم من ... بحق إنكار على ذوى المنن
ذبا عن البيضاء وانتصارا ... بالحق لا رداً ولا احتقارا ... وذاك أن المدعين كثروا ... واشتبهوا فواجب أن ينكروا
لكن ذاك ليس فيمن عرفا ... يقدح والزبد يذهب جفا ... وهل ترون ياعباد الله ... فى الجو ناعقا كهذا اللاهى
فانه صاح بهذا الجيل ... فصدهم عن سند السبيل ... فتركوا أورادهم وباتوا ... وغفلوا عن ربهم وكانوا
بذكره يزينون الألسنه ... ويعمرون فيه بعض الأزمنه ... واستبدلوا من وردهم بطاله ... دعتهم للغو والضلاله
وليت شعرى ثم ليت شعرى ... هل تركوا أورادهم عن عذرى ... أم تركوها سخطة لها وما ... موجبها أم باطلا و بئسما
أتوا وما موجب ما به استخف ... تاركه من الوعيد بالتلف ... فى ذاك إلا أمن مكر المقتدر ... وإنما يأمن ذاك من خسر
بل غرهم ما قاله نعاق ... ليس يرى لقولهم مصداق ... نعقة قد أمروا أن يفصلا ... ما أمر الله به أن يوصلا
من التعلق بخير جيل ... والذكر بالغدو والأصيل ... فهم على موائد الانكار ... أطفل من ليل على نهار
وفيهم مخص بابا أنشدا ... سدده الله إلى نهج الهدى ... نهوا عن الطريق من أرادها ... وأنكروا لعالهم أورادها
أليست الأوراد ذكر الله ... والنهى عنه منكر ياناهى ... قلت وقد وقع سهم نكره ... فى النحر كالباغى هوى فى حفره
ألا تراه سدد السهاما ... ليستهيض ذلك الامام ... فاطردت معكوسة البأس عليه ... فعاد عين مارمي به إليه
أليس قال انه نهانا ... عن الهدى حاشاه بل ماما نا ... فكان كل سعيه فى الصد ... عن الهداية بعين الضد
أخطأ فظن أنه مصيب ... والظن قد يخطى وقد يصيب ... وحال ذا الناعق فيه ينشد ... ثور الكلاب فى الرهان أقعد
ومدعوا علم الهدى قد كثروا ... واشتبهوا فوجب التبصر ... ولا علينا أن نفرق هنا ... بين بنى الأخرى وأبناء الدنا
ممن عليهم يصدق اسم العلم ... فالأولون اتسموا بالحزم ... وخشية الله والآخرون ... بالأمن والرغبة موسومون
وصفقة العلم على الذين ... يخشونه مقصورة يقينا ... وفى الحديث العلماء أمنا ... رسله مالم يميلوا الدنا
فاخشوهم فى دينكم للآخره ... وقد أتى عن عمرما آثره ... فلتحذروا العالم ان رأيتموه ... بحب هذه الدنا واتهموه
وعلماء المسلمين أوضحوا ... أمر الفريقين لنا وصرحوا ... لا سيما الغزالى قد أطالا ... فى ذاك والفضيل فيهم قالا
كانوا بيع الناس فى صدر الزمن ... واليوم صاروا فتنة من الفتن ... وبعد ما كانوا دواء راحوا ... داء عضالا ماله براح
وبعد ما كانوا أساة جروا ... إلى النفوس كل ما يضر ... إذ هم أساة الدين والداء الدنا ... وكلهم الى الدنا قد ركنا
قلت وجل علماء الزمن ... نعقة من علماء الألسن ... قد فسدت نيتهم ففسدت ... بخبثها أعمالهم وكسدت
واستحكمت فيهم دواعى الجاه ... فوردوا موارد الملاهى ... وأقبلوا على الدنا وازدادوا ... بعدا من الله بما استفادوا

ورب علم كان حجة على ... صاحبه فكان موجب البلا ... وكل من آثر دنياه على ... أخراه فهو من قبيل الجهلا
والدين مبنى على التبصر ... فليتبصر ذو الحجا وليحذر ... وليعرفن زمانه وأهله ... فعلمه بذلك آكد له
فانه قد غلب الحق الهوى ... وصارتا فعاله حتى هوى ... لم يبق من دين الهدى إلا اسمه ... ولا من القرآن إلا رسمه
فليبك نادب الهدى ما اسطاعا ... عليه وليسترجع استرجاعا ... فهل رأيت من دعاه علمه ... إلى اعتنائه بما يهمه
أم هل رأيت منصفا من نفسه ... أو قامعا لها بموت حسه ... أو تاركا للانتصاف من سواه ... أو متوجها بها لمن بداه
لكن تراه سائسا لغيره ... ونفسه بمعزل عن خيره ... بل ليس في دهرك إلا متبع ... هوى ومعجب بنفسه فدع
صحبة من صحبته ضلاله ... واصحب ذوي الانهاض والدلاله ... وإنما ينهض حال من قصر ... على الاله همه وقد نظر
بالاحتقار نفسه وقد وقع ... من عينه الخلق وشأوه رفع ... واصحب معاونا على البر ولا ... تصحب معاونا على الاثم ولا
وعد عمن قاده هواه ... ومن على علم أضل الله ... ولا يغرنك علم الرجل ... فالجهل خير منه ان لم يعمل
وفي الحديث ان هذا الدين ... يدعمه الله بفاجرين ... وفسروهم بالأولى لم يعملوا ... بعلمهم والناس عنهم تنقل
وزن بما عن النبي مرا ... ولا بكل ناعق تغترا ... وزم نفسك عن ادعائها مالم ... تنل واحرص على استجلائها
واطلبه في مرآة تلك الحكم ... فالمرء عن عيوب نفسه عم ... ولتثن من أعنة المقال ... لرد فحش الناعق البطال
وليحذر أن يسيء ظنا من نظر ... في كل ما في حقه مني صدر ... فوجه عذري للبصير ظاهر ... يراه في آخر نظمي الناظر
فقوله عند الشروع المودى ... وذاك تهديد على زيود ... سميته سيف النجاة والهدى ... في قطع أعناق البغاة والعدا
يصح حمله على ما قد ظهر ... بشرط ان يتوب مما قد غبر ... إذ قد يصح أن يتوب ويكون ... سببه استقباح هذه الفتون
وربما على العبيد كتبا ... ذنب فكان للوصول سببا ... اذا يضاف للنجاة والهدى ... ثم يراد بالبغاة والعدا
شيطانه والنفس وهي أعظم ... والله أعلم باعدائكم ... وأن يصمم على الأعداء ... ويتصامم عن الاهتداء
مجمله لظاهر لا يتجه ... بل حمله لغير ذاك المتجه ... فهو إذا سيف الضلال والردى ... في قطع أعناق البغاة والعدا
ثم يراد بالبغاة معشره ... وبالعدا نفس بذاك تأمره ... بل اسمه أرجوزة التلاحي ... تفضحها سرية الفلاح
أرجوزة مفروكة الجوارى ... مرمية باللوم والبوار ... أرجوزة ألقت جلا بيب الحيا ... مضمونها فحش وعجب وريا
طوافة بكل موسم وسوق ... مطلبها أعز من بيض الأنوق ... تسألني أم الخيار جملا ... يمشي رويداً ويكون أولا
وكلما قرعت الابوابا ... ردت ومن لها بأن يجابا ... ولم تزل في حرمة التكفف ... وخطة التطفال والتطوف
حتى انتهى بها شقاء الصلف ... والاحتظال بدواعي التلف ... إلى مدينة تشيت وبها ... من لا يصون نفسه عن ذبها
فصادفت أعصل من ابلائها ... يعجبه النزع على ظمائها ... من صبية الشيخ الذي قد كسبت ... بسببه من الخنا ما اكتسبت
فقيض الله لها نقادها ... فبينوا بنقدهم فسادها ... فمزقت كل ممزق بها ... لأنها عتت عن أمر ربها
وهذه سنته تعالى ... فيمن تعدى طوره واختالا ... وقوله في فحش ما أشاعا ... من ذاك جعل وردهم رضاعا
وقوله في فحشه وانكرا ... اعادة الأجسام فيما ذكروا ... جميع ذلك اختلاف وكذب ... والله ربنا حسيب من كذب
جلبه ليبتني عليه ... والله يأبى أن يحق الباطلا ... بل لم يزل مغلوب جيد عاطلا
وكل ما قال من اختلاق ... أساس كل ما دعا إليه ... فان يقله جاهل ينتسب ... للشيخ فليعزر المنتسب
فانه منه عقوق والكلام ... فالشيخ عن ذلك في وثاق ... ويترك الشيخ اذا لم يحترم ... لما به من البراءة اتسم
وأخذ غير مجرم بمجرم ... متجه له وحق أن يلام ... والله يشهد بانا برأ ... من كل من على الاله اجترأ
والمسلمون المنصفون بيننا ... ظلم وذوا الظلم غدا في الظلم ... وإنما تقبل في التعديل ... وغيره شهادة العدول
فهذه الكرة والميدان ... وبين ذا اللاهي شهود أمنا ... فيا معاشر عباد الله هل ... ترون ما زعمه من الخلل
أم هل رأيتم يا ولات الأمر ... وليس مثل الخبر العيان ... أم هل نقمتم منه إلا أنه ... كشيخنا الحافظ في ذا القطر ... محافظ على اتباع السنه
أم هل رأيتم على أعيان ... أصحابه مخايل العدوان ... وهل تلامذة الأولياء ... إلا مظاهر للأصفياء

أم يستقيم ظل عود أعوجا ... أم يتأسى ذو النهى باعوجا ... ولا اعتبار برجال نزروا ... والمصطفى صحبه من غدروا

فقد تعين الأداء فاشهدوا ... بما علمتم والشهيد يشهد ... أما ابن قتال فقال منصفا ... ماقاله صواحبات يوسف

وقد علمتم مابه أجابا ... فى نظمه الشيخ محنض بابا ... وهكذا العزم ابن أحمدداما ... علمتم ما قال فى الامام *

والشيخ سيدى الشهير العلم ... راض بحال شيخنا مسلم ... ولا اعتداد بحسود لاهى ... يريد أن يطفىء نور الله

وقول هذا الناعق المصاب ... وفقه التواب للمتاب ... وأمروا بحضرة الأوراد ... وأمرها لم يخل عن ايراد

يوجب عنه المنصف الصدوق ... بما يقول سيدى زروق ... من ندب الاجتماع عند الذكر ... وقد حكى جوازه ابن ذكرى

وقال ناظم الذى به جرى ... عمل فاس وهو حبر شهرا ... والذكر مع قراءة الأحزاب ... جماعة شاع مدى الاحقاب

وسيدى عبد الاله الكامل ... قد قال فى كتاب رشد الغافل ... والجمع للذكر وللقرآن ... جرى به العمل فى البلدان

ونصه الصحيح رد المنكرا ... والعذر من خفائه قد ظهرا ... وهو مما ينبغى التمسك ... به ليدرك الجميل مدرك

وقال سيدى محنض بابه ... أحسن خلاق الورى ما آبه ... وأنكروا الجهر والاجتماعا ... للذكر وهو جائز اجماعا

جرى على ذلك مذ أعصار ... شرقا وغربا عمل الامصار ... فوقع الاجماع بعد الخلف ... فيه فجاز اليوم دون خلف

قلت ومن أمثالهم ماقد ذكر ... جرى المداد حسرت عنه الحمر ... وهؤلاء باصول مالك ... اعلم من هذا الجهول الهالك

وقول هذا الناعق المعادى ... ورفعوا أصواتهم فى النادى ... لآخر الفحش الذى ينادى ... عليه بالجحود والعنادى

يرده ما قاله ابن زكرى ... وغيره من ندب أمر الجهر ... نقله عن شيخه الفاسى الأمين فى شرحه لعدة الحصن الحصين

وقاله الغزالى والنواوى ... وقاله السيوطى فى الفتاوى ... وقال ناظما كلام النووى ... سيدنا عبد الاله العلوى

والجهر ندبه هو المعول ... من غير مانع كعجب يحصل ... ومثله التخليط والتشبيه ... ونحوه مما يرى النبيه

وهو مابين شهيق وزفير ... وهو الصياح إذ حكى صوت الحمير ... قلت وماورد فى الجهر الأثير لكن ذاك ليس فى الجهر الكثير

وقول هذا الناعق الطعان ... وأفرطوا فى حضرة التجانى ... حتى ادعوا فضلا على القرآن ... كلام عسيف جهول جانى

بل ماادعوا فضلا ولكن فصلوا ... أنواع قارئه فيما حصلوا ... فمنهم القائم بالأوامر ... منتهيا عن سائر الزواجر

فذا التلاوة له مفضله ... إذ قام بالحق الذى عليه له ... ومنهم منهمك عتل ... يلعنه القرآن حين يتلو

فذا صلاته على خير البشر ... أنجى له لما ترون فى الخبر ... من أنه سبحانه يصلى ... عشرا بمرة على المصلى

وأيضا السالك يختار له ... ذكر يعالج به علله ... فانظر كتاب الساحلي الآسى وشارح الحصن الحصين الفاسى

فالفضل باعتبار حال من ذكر ... لا باعتبار الذكر عند من نظر ... وذاك ليس يقتضى تفضيلا ... وأى شىء يفضل التنزيلا

وان يكن افراطنا اشتراطا ... طهر لها فليس ذا افراطا ... إذ المقام أدبا يعظم ... والله بالمفرط منا أعلم

ومن يعظم حرمات الله ... فلتنكفف عنه ذوو الملاهى ... وصح ان المصطفى تيمما ... ثم أجاب من عليه سلما

وقال أكره أن أذكر على ... غير طهارة الها قد علا ... وقد جرى عمل الأخيار به ... وكم يعبه ذو مقام نبيه

وقول ذا الناعق فيما قد ذكر ... وفضلوا شيخهم على الخضر ... فلم يرد عن شيخنا ولا نقل ... عن صحبه لكن مبتغى الزلل

يزعمه من قوله لما حكى ... قول الامام الجيلى واستدركا ... وذاك أخبار رضى بمكن ... وهو عن أمر الأنبياء منثنى

فان يك الخضر منهم خرج ... أوكان من غيرهم فلا حرج ... فما يجيب الجيلى المنتبه ... عن قوله هو الذى يجيب به

وهكذا لا يدخل الصحابه ... فيه لدى ملتمس الأصابه ... لأنه فضلهم تصريحا ... عن غير الأنبياء لا تلويحا

فانظره فى جواهر المعانى ... فقول هذا الناعق الطعان ... وفضلوا محجوب صحبه على ... قرن الصحابة وقرن من تلا

فيه جنوح لابتغاء الزلل ... للازم القول الذى لم يقل ... مع تعام وتصامم جلى ... عن الصريح واتباع المشكل

وليخش من يتبع العورات ... مما أتى فى وعد خير الناتى ... وليحذرن ما أتى فى عائشه ... فيمن يحب أن يشيع الفاحشه

وقول هذا الناعق المفتن ... والكفر فى تفضيل هذا القرن ... كثر فحشه به وزوره ... إذ ليس بالمعلوم بالضروره

بل ذاك كالصلاة والرساله ... ونحوها إذ جحدها ضلاله ... وهو لا يعلمه العموم ... فنسبة الكفر به هجوم

وأيضا الخلاف فيه قد جلب ... هل يجب اعتقاده أولا يجب ... وعلى الآخر اعتقاد غيره ... يضر أى ليس يجوز قادره
فانظر أبا الحسن فى الكبير ... على الرسالة وفى الاجهور ... ونحن والله الحميد نحمده ... لم نعتقد ذاك ولا نعتمده
ولازم المذهب ليس مذهبا ... على الأصح والجهول ذهبا ... الى المقابل فأسس على ... أساسه جميع ماتقولا
وان تمشينا عليه لزما ... عليه كفره بما به رمى ... وقول هذا الناعق المغتر ... بما على لسانه قد يجر
وقول بعض القوم خضنا بحراً ... تشنع غربه من غرا ... ليظهر اطلاعه على العلوم ... وليس فيه حجة له تقوم
وقول ناعقكم أقاله ... رب الورى فى فحش ماقد قاله ... ومنعوا تيمم الصعيد ... لمن تلا جوهرة الوعيد
قول جهول يدعى الاحاطه ... فى كل شىء يبتغى مناطه ... وذاك شرط أدبى ولعل ... لذاك سرا بسواه لم ينل
ومثل ذاك فى الخواص فاشى ... وحلف الأنكار اذا يحاشى ... وكل من يسعه التسليم لا ... يعلق قلبه بمثل ماخلا
ومن أراد أن يحيط بعلل ... أحكام ربنا تعالى فليسل ... عما لمنع جمعة من حكم ... للحاضر الصحيح بالتيمم
فان يقل بدلها به يحل ... قلنا كذاك هذه لها بدل ... فليعلم المنصف أن ليس يحيط ... بالسر الا المتكبر المحيط
وانظر أعاذ المسلمين الله ... رب الورى مما به ابتلاه ... كيف نما جوهرة الكمال ... الى الوعيد والى الخبال
ولم تزل جوهرة الكمال ... محفوفة بالحسن والجمال ... وعاد ما قال من الخبال ... لعقله الناقص باختلال
ألا تراه قام فى نقض الهدى ... فصده عن السبيل فاعتدى ... وقاد بالخبال حزب المنكرين ... الى الردى فلحقوا بالاخسرين
وضل سعيهم وهم يحجون ... أنهم للصنع يحسنون ... فهل بهذا الناعق المفتون ... مس جنون أوهوى مجنون
ألم يكن أمر بالتأدب ... بزعمه فى شعره مع النبى ... فساقه خباله حتى ارتكب ... باباعظيما من اساءة الأدب
فعند ذا نطق باستحقاق ... وعيده من قبل الاستنطاق ... ونطق الغمر بما استحقه ... بوزره سبحان من أنطقه
وقوله فى فحش ماأثاره ... وقد نهوا عن مطلق الزياره ... بل مانهى استاذنا عن مطلق ... بل ذاك فى زيارة التعلق
وهو على قدم جل الأوليا ... اذ منعهم لها كثيرا رويا ... ذكره فى جنة المريد ... كذلك الشعرانى فى العهود
وفى اللطائف له أيضا وفى ... فرائد اليدالى منعها بفى ... وفى قصيدة الشريشى التى ... حض عليها علماء الملة
وذاك لايستلزم المنع لما ... اطلق منها بل نقول يعتمى ... قلت ومن منع هذى الصوره ... جرى على القاعدة المشهوره
درء المفاسد مقدم على ... جلب المصالح فخذ مانقلا ... وقوله هداه للرشاد ... والتوبة الله الكريم الهادى
وحددوا سجود كل فرض ... ولم يكن تحديده بالمعرضى ... قول جهول بالمناهى آمر ... فى صورة النهى عن المناكر
اذ لم يرد نهى عن احتياط ... لدينا بالدين عن محتاط ... نعم يصح أن يشنع على ... من باتراكه الصلاة أبطلا
ونحن لا نقول بالبطلان ... الا اذا لم يأت باطمئنان ... والشافعى استحب ماقلناه ... وفى الحديث أنه أدناه
وهل يعاب ذواحتياط اعتمد ... فى أمره على صحيح المستند ... ومالك على علو منصبه ... وقدره مابدع القائل به
وليس للناعق آن يبدعا ... من قدره على السماك ارتفعا ... وان يبدع بانتقال من خرج ... بالاحتياط عنه فهو ذوحرج
اذ منعه عند ذوى المنع يخص ... بما يؤل لتتبع الرخص ... والاحتياط شأن كل ورع ... وليس من ذيالك المنتزع
بل استحب باتفاق من سما ... لنا الخروج من خلاف العلما ... وهبه لم يضف لهذا المسلك ... ألم يكن ذاك قوى المدرك
بل ليس هذا بانتقال عن سنن ... امامنا مالك الرضى الحسن ... بل ذا موكل لأصله الذى ... كان على سد الذرائع خذ
قلت ولو رأى الامام مابدا ... فى الناس من نقر الغراب حددا ... اذ سمعوا تخفيفها فغلطوا ... فنقروها نقرة ففرطوا
فينبغى الرجوع للذى نقل ... من ذاك قاله ابن عباد الأجل ... فانظره فى ابن زكرى الذى سما ... وقال عبد الله فيما نظما
لو قعد اليوم خليل بدلا ... مراعيا طوار يا ونزلا ... وقول هذا الناعق المكاشح ... واتحفوا بالسر كل طالح
كلام جاهل بما يعطى وما ... يمنع من ذلك عند العلما ... وقد علمت أنه أراد ... بالسر هذا تيلك الأوراد
وهى تهليل مع استغفار ... مع صلاتنا على المختار ... وهذه عم بها الخطاب ... كل مكلف فلا يعاب
باذلها والناس كلا أهلها ... اذهى لايسع شفرا جهلها ... وأمروا أن يكثروا من ذكره ... فدخلت تحت عموم أمره

اذلا نجاة دون تهليل ترى ... ومرهم المذنب أن يستغفرا ... وفى صلاتنا على المختار ... نجاح ذى الدار وتلك الدار

فلا يصح معها من شفر ... إلا بشرح صدره بالكفر ... قدحام حول ذاك والعياذ ... بالله ربى وبه الملاذ

أما ترى حاصل هذا النقد ... آل إلى ما اعتاده من صد ... نعم يصح المنع من دقائق ... الأحوال والتوحيد والحقائق

إذ قد تشوش على البليد ... ذكره فى عدة المريد ... وقول هذا الناعق المجهال ... وأنه يحضر فى رجال

عندا بتدا جوهرة الخيال ... محض تحامل على الضلال ... والشيخ لم يذكر زيادة كما ... يزعمه ناعقكم وإنما

ذكر أن المصطفى يشهد من ... ذكرها سبعا وذا من المنن ... ولم يفسر ذلك الشهودا ... لكن من جحده جحودا

فسره بما به قد فسره ... تحكما منه لكيما ينكره ... فقال فيما قاله من الثره ... وأنه يزور أهل الجوهره

ونحن لم نحط بما يروم ... فشأننا التصديق والتسليم ... وهو على ما قاله الشيخ خبر ... عدل بما ليس يحيله النظر

لم يأت نافيه بنص فيه ... لمنعه والعقل لا ينفيه ... وحكم عادة هنا منخرم ... وكل شىء دون حكم عدم

فبان من ذاته أنه حظله ... بطبعه والطبع لاحكم له ... فكان ممن قال فيهم سيدى ... محنض بابا اللوذعى المهتدى

قد وزنوا أحكامهم بالطبع ... ولا يرون وزنها بالشرع ... فكل مالايم طبعهم فحق ... وما يخالفه فباطل زهق

قلت وبالله الملاذ خاطرا ... بدينه ناعقكم ومادرى ... إذجره إنكار أخبار العدول ... للشك فى حياة أكرم رسول

وصاحب المدخل فيه ذكرا ... أن النبى بعد منامه يرى ... أمته ويعرف الخواطرا ... مشاهداً لعزمهم بلا مرا

ولا خلاف فى حياة الشهدا ... وهو امام الشهدا يامن عدا ... وقول هذا الناعق المعادى ... من أجل ذاك شيخهم فى النادى

ينشر ثوبا للنبى الهادى ... فيه تعسف وفحش بادى ... أجابه الشيخ محنض باب فيه ... بقوله الجادع عرنين السفيه

وأنكروا كون الثياب تنشر ... لأجل تعظيم النبى إذ يحضر ... وأنكروا كون النبى يحضر ... صلاتنا لأجل علم يقصر

قد نشر الصديق للملائك ... ذكر ذاك صاحب الحبائك ... وصافح السيوطى عند القاهره ... بيده يد النبى الطاهره

ومع ذا فأبلغ التعظيم ... من اكتفى بالظن والتوهيم ... ولم يقل لو جاءنا يقينا ... لكنت أفرش له الجبينا

قلت ونشر الثوب ليس لازما ... والشيخ لم يأمر به وإنما ... فعله من بعده استشعارا ... لذلك الشهود واستحضارا

ولا يعاب من يراعي الأدبا ... لعلمه بكونه مراقبا ... مستنداً فيه لأخبار رضى ... بمثله أمر بعض من مضى

ألا ترى ما قال فيه سيدى ... عبد الاله العلوى المهتدى ... منه طهارة وطيب المجلس ... لمؤمنى الجن وطيب الملبس

وقول هذا الناعق الغبى ... ونسبة الكتمان للنبى ... أجابه الشيخ محنض بابه ... بقوله فى النظم إذ أجابه

ونسبوا لشيخنا التجانى ... أن نسب الرسول للكتمان ... لجهلهم ورود هذا الورد ... فى نص الآية بغير رد

وأنكروا جوهرة الكمال ... لوصف هذا الدين بالاكمال ... وجهلوا شمول الأمر بالصلاة ... على النبى لكل صيغة صلاة

وقول هذا الناعق المصمم ... ولم يجز اطلاق لفظ مفهم ... نقصا على النبى مثل الأسقم ... تشبع صدر عن توهم

وصح عنهم أن كل موهم ... صدر عن أمثال هذا العالم ... يقبل ان بينه من قاله ... بظاهر يستحسن احتماله

والشيخ قد فسره بالمستقيم ... فيجب الرجوع للمعنى السليم ... بل يجب التأويل حيث أمكنا ... بحسن ان لم نجد مبينا

فانظره فى قواعد البرنوس ... بدر البدور بهجة النفوس ... وقوله كذا مطلسم وما ... يدريك قول متشبع بما

لم يعط لكن مدعو الاحاطه ... ان يجهلوا من مثل ذا مناطه ... لكنه أربى خبال عقله ... حتى هذى به ومكر جهله

فالطلسمات قال فيها مالك ... ماقد حكاه هنا ذا الهالك ... وهى بباطل لها قد حكموا ... فكيف ينضاف لها مطلسم

نعت قد اشتق للفظ النور ... فسره السادات بالمستور ... ولفظه ذكر فى المصباح ... أعاذنا الله من افتضاح

وقول هذا الناعق المغرور ... فيما أتاه من عظيم الزور ... وما أدعوا من أخذ هذا الورد ... عن الرسول يقظة لايجدى

لآخر الفحش الذى أصابه ... يرده قول محنض بابه ... ولن تزل أقطاب الأولياء ... تأخذ عن امام الأنبياء

بعد منامه علوم السر ... كالشاذلى فى أخذ حزب البحر ... قلت وما موجب تكذيب رضى ... قد ادعى ما نال بعض من مضى

من جائز من الكرامات التى ... على جوازها نحول الملة ... أليس فضله تعالى واسعا ... أم هل ترى التأخير منه مانعا

بل كذب الغمر بما لم يحط ... بعلمه بمحض جهل مفرط ... وكل من أنكره فلينكر ... أصل الكرامة وقول المنكر
ولم يرد عن النبي المصطفى ... لقياه يقظة بنور ما انطفا ... جهلا بما أخرجه البخارى ... وهو كنار علم للسارى
من قوله فسيرانى يقظه ... وابن أبى جمرة ممن حفظه ... وغير واحد من الأكياس ... أثبت ان يرى بعين الراس
لمن تأهل من أهل الذوق ... أهل المحبة وأهل الشوق ... فليؤمن المؤمن ما أمكنه ... ثم ليسلم وليحسن ظنه
وليتركن انكار ماقد قصرا ... عنه فلا مجال للعقل يرى ... فى مثل ذا ولنمسك العنانا ... عن آخر الفحش الذى عنانا
فالجيش بالباقى كفيل وزعيم ... به بعون ومشيئة الكريم ... وهذه سرية الجيش الكبير ... الى من استل صوارم النكير
سرية الحق والانتصار ... والحمد والذب عن الأخيار ... سرية يذمها المكاشح ... ويحمد الصديق ماتكاشح
سرية آثار من نصير ... ومالمن تطلب من نصير ... قد خرجت طالبة لثارها ... واثقة بالله فى اظهارها
آخر يوم رأس شوال المنى ... فى أول الربيع فى صدر الزمن ... عائذة بالله أن تصيبا ... من لم يصب من دمها نصيبا
كفيلة للمؤمن المنتصر ... بها بتشتيت جموع المنكر ... تخرق تخييلات كل منتقد ... كما تحيط سور كل معتقد
تلقى الأعادى بوجوه مسفره ... لامن وراء جدر مستتره ... ولاتراها فى قرى محصنه ... اذالاعادى استحصنوا بالحصنه
تعنوا لها خاضعة الأعناق ... مطرقة مردة النعاق ... وهى فى زهاء أربعمائة ... تصغر فى أعينها كل فئة
ثم أمدت بعد ذاك بمدد ... فاقت به ماللسرايا من عدد ... لكنها فى أعين الأعادى ... تفوق آلافا من الأعداد
وعزها بعز رب الخلق ... تحت بوارق سيوف الحق ... وبمجامع القلوب كلها ... آخذة بحقها لادلها
تأنف عن تبرج القصائد ... بل تركت ذلك للقواعد ... وجهتها مصحوبة بالنصر ... من مالك الأمر العظيم القهر
والجيش فى أثرها سيرد ... بأمر من هو الجليل الصمد ... أرجوله الظفر بنيل المقصد ... بقمعه لكل عات معتد
حتى ترى القوم الذين اتبعوا ... تبرؤا من الذين اتبعوا ... ولم أرد تنقيص مستحقه ... بل قمت للشيخ بحق حقه
فما بقاء عصبة الولى ... من بعده كأمة النبي ... والثور يحمى أنفه بروقه ... وذب مثلى من دليل صدقه
وإنما وجهت ما أمليته ... لقائل الفحش الذى رأيته ... فان يك الشيطان فهو مستحق ... أو نفس سوء فهى نفس تستحق
نفس دعاها حبها لجاهها ... فعملت بمقتضى شغفها ... وذكرنا للجهل والنعاق ... والحمق فيه جائز الاطلاق
فالطرفان ليس يخلو منهما ... شفر وجاهر بما بينهما ... ولايعاب أحد بما جهر ... بفعله ولا بما عم البشر
نص عليه صاحب الاحياء ... فى مبحث النهى عن الفحشاء ... وذكرنا لضده انتصار ... بمثل ماعتدى به المهدار
ولم أرد بما بدا فى شأنه ... تسورا على حمى ايمانه ... بل لم أزل وان غلا لسانى ... أرعى له اخوة الايمان
سدده الله الى التوفيق ... لسبل الرشاد والتحقيق ... فليحذر الناظر أن يسىء ... ظنا به فى غير ماقد رىء
لنا الذى بدا لنا من أمره ... والله أعلم بكنه سره ... ولست أزدريه فى ذا المنتقد ... ولاأرى فضلا عليه لأحد
إذا أمر خاتمته منبهم ... أحسنها له الكريم المنعم ... لذاك أمسكت العنان والبذا ... فى النار وهو يستحق غير ذا
لكن قول أمنا عائشه ... (١) ... لله ... در التقى يحجم عن ذا اللاهى
لذاك أعرض كثير جنحا ... لقوله فمن عفا وأصلحا ... أما المنافح فمبنى عزمه ... ولمن انتصر بعد ظلمه
ومالمن نافح أن يعادى ... غير قبيح الفعل من ذا العادى ... وانما أقمت هذا العصا ... عليه تأديبا له كما عصا
إذ قيل لايرتدع العصى ... إلا اذا أقيمت العصى ... وليست العصا عصاى انما ... هى عصا فاطر الأرض والسما
أقامها على عبيد جرأته ... لما استخف بعباد حضرته ... ولم يزل رب الورى المهيمن ... مدافعا عن الذين آمنوا
أما أنا فانني فى الجمله ... وغيرها أوى على فضله ... لأننى أعلم منى مالا ... أعلمه منه سوى أن قالا
مالم أقل فالحمد لله على ... ذاك واستغفره مما غلا ... فيه لسانى ومن التصنع ... ومن تطلعى ومن تشيعى
ومن مقال لم يوافق مايحب ... جل ومن حكم عن الحق نكب ... ونية لعلة لم تخلص ... ومقصد مزج بالتنقص
فهو الذى يعفو عن المسىء ... ويتجاوز عن الجرىء ... ثم الصلاة والسلام ماجرى ... على لسان ذكر خالق الورى

(١) بياض بالأصل

على الذى فتح ما قد أغلقا * وختم الله به من سبقا
الناصر الحق بحقه القويم * هادى الورى إلى الصراط المستقيم
وآله بحق قدره العظيم * ومن تلاهم إلى اليوم العقيم
وعامه التاريخ زيد بالضمير * وقد مضى وقدره قدر أمير

﴿ تمت القصيدة ﴾

﴿ يقول الملتجى لذى الجلال ، صالح مراد الهلالى ﴾

الحمد لله الذى خص أهل حضرته بمزيد عنايته ، وأشرب قلوبهم بخالص محبته ، فسطعت على قلوبهم أنوار الرضا ، وانبسطت على أرواحهم أعلام فيوضات المصطفى المرتضى ، فقاموا لله على قدم العبودية خير قيام ، وشربوا من صافى كؤوس المحبة الكأس التام ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خير داع إلى الله وهاد ، ينبوع الفضل وأصل كل إمداد ، الذى من تمسك بهديه فقد اهتدى ، ومن خالف أورد نفسه موارد الردى ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله ذوى النصح والارشاد والهدى ، وأصحابه والتابعين ومن بهديهم اهتدى

أما بعد فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب بغية المستفيد لشرح منية المريد فى الطريقة التجانية للعلامة الفاضل والملاذ الكامل ذى الأنوار الربانية والأسرار العرفانية ، من تفتحت أزهار علومه وأضاءت بأسراره آفاق نجومه سيدى الشيخ محمد العربى السائح الشرقى قدست أسراره وتبلجت أضواؤه وأنواره . وقد تحلت طرره ووشيت غرره بكتاب الجيش الكفيل بأخذ الثار ، ممن سل على الشيخ التجانى سيف الانكار . للقدوة الامام والعمدة الهمام سيدى محمد الصغير الشنجيطى رحمه الله وأثابه رضاه . مع تذييله بالقصيدة الفيحاء والروضة الغناء الملقبة بسرية الحق والانتصار والذب عن أولياء الله الأخيار للعلامة محمد العربى المذكور ضاعف الله له الأجور .

فجاء كتابا تتدفق أنوار الهداية من صفحاته ، ويستضاء عرفان الدراية من مشكاته . وذلك بمطبعة ( الحاج مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر ) فى شهر جمادى الثانية سنة ١٣٥٦ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

آمين

A.U.B. LIBRARY

DATE DUE

JAFET LIB.
24 MAR 2013
Circulation Dept. 4

A.U.B. LIBRARY

181.5.A63A.c.1
العربى ،محمد
بغية المستفيد لشرح منية المريد
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01002548